مطالع الأنوار

تاريخ النبيل عن وقائع الأيام الأولى للأمر البهائي

أقف وروحي في يدي مستعداً لعل بفضل الله وكرمه يضحي
هذا الحرف المنزل الظاهر حياته فداء في سبيل
النقطة الأولى الكلمة العليا
بهاءالله
(مترجما)

هذّبه وترجمه من اللغة الفارسية الى اللغة الانكليزية

شوقي أفندي رباني

عرّبه من اللغة العربية

عبد الجليل سعد

إعادة طبع وتنقيح: سيفي سيفي
تدقيق: عبد المجيد دلشاد وفرزانه جابري

مطالع الأنوار

تاريخ النبيل عن وقائع الأيام الأولى للأمر البهائي

إلـى

الورقة العليا

آخر الأحياء من عصر الشجاعة المجيد

أقدم هذا الكتاب

تذكاراً

لما أنا مدين به لها من عظيم المحبة والفضل

وافق المحفل الروحاني المركزي للبهائيين بالقطر المصري والسودان على هذه الترجمة العربية المنقولة عن النسخة الانجليزية – القاهرة –

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمحفل
الروحاني المركزي للبهائيين
بالقطر المصري والسودان

مقدمة

اشتهرت الديانة البهائية الآن في جميع أنحاء العالم، وجاء الوقت الذي فيه يهتم القراء بتصفح تاريخ النبيل الفريد عن أوائل حوادث هذه الديانة التي ظهرت في أظلم عهود إيران، فلهذا التاريخ الذي دوّن بدقة تامة أهمية من جهات متعددة، ففيه قطع مؤثرة مهيجة للشعور. ولا يقتصر سمو تدوينه على قيمته التاريخية فقط، بل لأنه أيضا يحوي قوة أدبية فائقة، فأنواره مشرقة ولها قوة ساطعة كأنها الشمس المضيئة في وسط الديجور الحالك. والرواية عبارة عن ملاحم واستشهادات، فمناظرها مؤثرة مروعة وحوادثها مفجعة متعددة. وقد اكتنفت هذه الديانة وأحاطتها جملة أنواع من التعصبات الدينية والرشاوى والاضطهادات، كانت كلها ترمي الى محوها والقضاء عليها. وينتهي هذا الجزء من التاريخ الى حيث تكون سَورة البغض والعدوان قد أتمت عملها وانتهت في إيران بنفي وبقتل كل رجل أو امرأة أو طفل ممن يصبو الى تعاليم حضرة الباب.

وكان النبيل بنفسه مشتركاً في بعض الأدوار التي يقصها، ورقّم بقلمه الفريد جميع حوادث الذين استشهدوا رجالاً ونساءً بغير رحمة ولا شفقة، وسرد أحوال الأمر وما لحقه من الإهانات التي لا مثيل لها في التاريخ.

وكتابته من السهل الممتنع وعندما يهيج شعوره تصل الى بلاغة ساحرة تأخذ بالألباب، ولم يكن يرمي في تحريره كتابة شيء عن طبيعة الدعوة الجديدة أو تعاليم وأحكام حضرة بهاءالله ومبشره (الباب) من قبل، على هيئة منظمة، فلم يعن الا ببسط أحوال مبدأ الأمر البهائي والمحافظة على ذكريات الأعمال من أنصاره الأولين، ولذلك كان يقص سلسلة من الحوادث ويتحرى الحقيقة عن مصدر كل خبر يرويه.

ويذكره بالدقة ويذكر اسم راويه، فلكتابته قيمتها الأدبية الفنية العظيمة نظراً لما تحرّاه اما بنفسه أو من الشهود العيان عن تاريخ أوائل الأمر فضلا عن قيمتها التاريخية والفلسفية. وكانت كتابته في معالم تاريخه إذ يصف الشخصيات البارزة في هذا الأمر بلغة واضحة سهلة كوصفه لحضرة الباب، ذلك الرئيس القدسي الباسل الوديع الهادئ الغالب الغيور الراسخ، وكوصفه لإخلاص أتباعه الذين احتملوا الظلم بشجاعة وإقدام وأحيانا بشغف ووجد وهيام تلقاء حنق وغيظ الطائفة الدينية، أي العلماء الذين أشعلوا نيران التعصبات في قلوب العوام المتعطشين لسفك الدماء، ولما لم يكن من السهل الإلمام بجميع تفاصيل ذلك التاريخ أو تقدير ذلك العمل الخطير الذي ظهر من حضرة بهاءالله ومن مبشره من قبل، بدون الاطلاع ولو قليلا على حالة النظام الديني والملكي السائد في إيران في ذلك الوقت، وعلى حالة عقلية الشعب وعقلية رؤسائه، لهذا كله، رأينا ان نبسط للقارئ الغربي بعض معلومات عن هذا الموضوع، ذلك لأن نبيل كان يؤرخ بصفته كاتبا شرقياً ولم يكتب الا لشرقي مثله وبلغة شرقية ولم يكن يخاطب الغربيين ولم يسافر خارج حدود بلاد الشاه والسلطان الا نادراً إن لم يكن قطعاً، فلم يخطر على باله عمل مقارنة بين مدنية بلاده والمدنيات الأجنبية، فقد كان النظام الديني والمدني السائد في بلاده عنده من الأوليات ولم يكن يجهله، ولذلك أغفل ذكره، رغم انه كان يعلم ان التاريخ والمعلومات التي دونها سوف لا تقتصر في ذيوعها على أهل وطنه أو على البلاد الاسلامية، وانها لابد وان تذاع في القريب العاجل شرقاً وغرباً حتى تعم العالم. وكان الكتاب الذي بذل فيه الجهد عملاً فريداً وعظيماً أنشأه بكل أمانة ودقة. ولما كان موجودا باللغة الانجليزية كتابات أدبية كثيرة عن إيران في القرن التاسع عشر كما يوجد في بعض الكتابات الفارسية التي ترجمت الى اللغات الأجنبية وفي كتب السائحين من الاوربيين أمثال اللورد كرزون والسير ج. ملكولم وغيرهم أبواب كثيرة تفصح عن الفضائع التي واجهها حضرة الباب عندما

أسس الديانة البابية في أواسط القرن التاسع عشر، لذلك رأينا ان نبسط للقراء بعضا منها لاطلاعهم.

ولا ينظر جميع أهل العلم لإيران الا انها مملكة ضعيفة وان أمتها متأخرة منقسمة على نفسها بما دب فيها من عوامل الرشوة والتعصبات الوحشية، وعلى أثر الانحطاط الأدبي فيها امتلأت بالجهل والعمى، فمن الأعلى الى الأسفل لم يوجد فيها من يقدر على عمل الإصلاح أو يرغب فيه، فالغرور القومي جعل الناس راضين بعظمة كاذبة. فلبست جميع الأشياء رداء الجمود واصبح التقدم مستحيلا من تأثير الشلل العقلي العام.

ومما يؤسف له ما يظهر للطالب المؤرخ من عوامل الفساد التي دبت في أمة كان لها تاريخ مجيد ذو شهرة فائقة. وكان حضرة عبد البهاء، رغم المظالم التي وقعت عليه شخصياً، وعلى حضرة بهاءالله وعلى حضرة الباب، يسمي ذلك الانحطاط في كتابه (الرسالة المدنية) بمأساة الأمة، حيث كان محباً لأمته. ففي ذلك الكتاب أراد تحريك قلوب مواطنيه للعمل على الإصلاحات الأساسية وكان يتألم على ما آل اليه حال ذلك الشعب بعد ان كان في الأزمان القديمة يمد فتوحاته شرقاً وغرباً ويقود مدنية العالم. وفي ذلك الكتاب يقول : (ان إيران كانت في الأزمان الخالية قلب العالم وأضاءت جميع الأمم كالسراج الوهاج وأخذ مجدها وسعادتها يظهران في أفق الإنسانية كالفجر الصادق وانتشرت أنوار المعرفة وأضاءت أمم الشرق والغرب. وكانت عظمة ملك الملوك قد أخضعت ملوك روما واليونان وامتلأ جميع الحكماء رهبة من حكمتهم واحتذى ملوك العالم حذوها في صياغة القوانين مقتفين آثارها ومتتبعين سياستها. وامتاز الفرس من بين ملل الأرض بأنهم أمة الفتوحات ويفخرون بعلمهم ومدنيتهم وكانت أقطارهم مركزا للعلوم والمعارف والصنائع ومعدناً للتربية والثقافة ومنبعاً للفضائل والكمالات. والآن انظر كيف أظلمت أشعة السعادة في هذه

المملكة الفائقة وأشرفت على الزوال بسبب ما دبَّ فيها من عوامل الكسل والغرور وعدم المبالاة وانعدام التعليم وفقدان النظام وزوال الحماس وازدياد الأطماع).

وقد وصف هذه الأحوال التي تكلم عنها حضرة عبد البهاء كتّاب آخرون، فمما قاله اللورد كرزون : (ان الحكومة في وقت ظهور الباب وإعلان دعوته كانت عبارة عن حكومة دينية جامدة طامعة قاسية سافلة مرتشية فاسقة، وكانت أحكام الاسلام الفقهية هي العامل الوحيد الذي استولى على شؤون الحكومة وحياة الأهالي الاجتماعية فلم توجد غيرها من قوانين ولا أحكام ولا أخلاق لإرشاد العموم، ولم يكن لديهم مجلس أعيان ولا مجلس نواب ولا مجمع ديني ولا مجلس لوزراء الدولة، بل كان الشاه هو الحاكم المطلق المستبد وأمره نافذ على جميع الموظفين من وزير الى أحقر كاتب، ولا توجد محكمة مدنية لتوقف أو تعدل أحكامه أو تحد من السلطة التي يعطيها لأي مرؤوس. وكلمته هي القانون، فله ان يفعل ما يشاء ويعين أو يطرد الوزراء أو الموظفين والضباط والقضاة. وله وحده السلطة على حياة أو موت أي فرد من أفراد أسرته أو حاشيته سواء كانوا مدنيين أو حربيين، فهو وحده يملك حكم الإعدام وبيده جميع السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية فلا حد لامتيازه ولا رادع من قانون مكتوب... وكان أنجال الشاه يوظفون في الحكومة في الوظائف التي تدر عليهم بالخيرات في طول البلاد وعرضها، وبمرور الأجيال ملأوا أيضا الوظائف الصغيرة مما لا يعد ولا يحصى، حتى أثقلوا كاهل البلاد بهذا الجيش الجرار من العائلة الملكية الذين لا سبب لتوليتهم المناصب الحكومية الا مجرد قرابتهم ودمهم الملكي حتى اشتهر بسبب ذلك مثل قائل "ان البرنسات والقمل والمواشي موجودون بكثرة في كل مكان").

وإذا أراد الشاه أن يحكم في مسألة بالعدل والحق، فلا يستطيع ذلك لأن المعلومات التي يدلى بها اليه لا يمكن التعويل عليها فيعمل الوزراء وغيرهم من ذوي

الأطماع على إخفاء الحقائق عنه أو تقديمها اليه مشوهة. أما نظام الرشوة فأصبح في إيران نافذاً ومن الأنظمة المعترف بها. فقد وصفها اللورد كرزون بما يأتي :-

(والآن آتي على وصف نظام الإدارة الأساسي الفريد. فإن الحكومة بل الحياة نفسها في تلك المملكة يمكن ان يقال عنها انها عبارة عن تبادل الهدايا. وقد يظن من الوجهة الاجتماعية ان هذه العادة إنما تعبر عن إحساس شعب أليف كريم، ولو انها لا يظهر فيها وجه الكرم عندما يضطر المهدى له أن يعيد مثلها للواهب. فضلاً عن إلزامه أيضاً بأن يهدي لحامل الهدية جزءً نسبياً لقيمتها، وأحياناً يكون ذلك هو كل ما يملكه الواهب، بل وربما ما يقتات به. أما من الوجهة السياسية فإن عادة الإهداء ولو أنها متعلقة بقواعد وتقاليد الشرق الجامدة، إلا أنها تنطبق كل الانطباق على ذلك النظام الغير المشرف. وهو الذي اتبعته إيران من قرون عديدة وهو الذي يقف حجر عثرة في سبيل الإصلاح الحقيقي. فمن الشاه الى أصغر موظف لا يوجد أحد لا يقبل الهدايا ولا تكاد توجد وظيفة لا يكون التعيين فيها بغير الهدايا ولا يوجد إيراد مكدس إلا من الهدايا، وكل موظف يشتري وظيفته بمبلغ يقدمه إما الى الشاه مباشرة أو للوزير أو الحاكم الأعلى الذي يعينه. وإذا كان لوظيفة واحدة جملة طلاب فالذي تكون هديته أكبر هو الذي يكون مقبولاً فيها. وكان نظام "المداخل" من الأنظمة القومية المحبوبة في إيران وتحصيلها بآلاف الطرق والأشكال وتتعدد تدابير تحصيلها بتعداد أنواعها. وإن شئت قلت انها نفس الحياة الإيرانية ومصالحها الرئيسية. ويقول المستر واطسون، انه لا توجد أي كلمة في اللغة الانجليزية يمكن ان تعبر بدقة عن هذا النظام. فيمكن ترجمة كلمة "مداخل" بكلمات النهب والنشل والإكرام والمنافع والرشوة والهدية والحلوان والراتب، وذلك تبعاً للكيفية التي استعملت فيها، وهي على وجه العموم ميزان المنافع الشخصية التي يمكن تشخيصها في مبلغ من النقود مما يستخرج أو يطلب في أي معاملة، فيصح وجودها أثناء مفاوضة بين رئيس ومرؤوس

وفيما بين اثنين من المتعاملين المتعاقدين في إيران ولابد أن يكون أحد الفريقين هو الدافع للهدية لغرض الحصول على منفعة، والآخر هو الذي يستلم مبلغاً معيناً من النقود في مقابل الخدمة التي يؤديها له. ويمكن الاعتراض بأن الطبيعة البشرية هي واحدة في كل مكان وان مثل هذا النظام موجود في مملكتنا، كما هو في الممالك الأخرى تحت اسم آخر، وان الناقد الفيلسوف يرحب بالرجل الإيراني كأخ له في هذا السبيل، ورغماً من ان هذا الاعتراض وجيه الى حد ما، إلا أنه لا يوجد ولا يرى ولا يسمع في أي مملكة، نظام مكشوف الى هذا الحد وهو عام في جميع بلاد إيران ولا خجل فيه ولا حياء، وفضلاً عن انه لم يكن قاصراً على دائرة الاقتصاد السياسي أو المعاملات التجارية، فانه يوجد في كل عمل ويقترن بجميع المرافق الحيوية وبه محيت صفة الكرم من قائمة الفضائل الاجتماعية في إيران وأصبح الجشع هو العامل القوي في الحياة الاجتماعية الإنسانية... وقد تأسست بسبب ذلك سلسلة من الهيئات المتوالية الحسابية للسلب والنهب من الملك الى أفراد الرعايا، وأصبح الفلاح المسكين هو الفريسة الأخيرة. فلا عجب ان تكون الوظائف بمقتضى هذا النظام هي السبيل العادي للحصول على الثروة. خصوصاً وقد شوهد في كثير من الأحوال ان الموظفين أصبحوا بعد الفقر المدقع من ذوي الثروات ويقطنون في منازل فخمة تحوطهم حاشية كبيرة من الخدم والحشم يعيشون في رغد من العيش كالأمراء. وكانت القاعدة المتبعة عند أغلب الناس منذ دخولهم في الحياة العامة هي "اجمع من المال كلما تستطيع وبقدر ما تستطيع". ولم تكن هذه الأعمال ممقوتة من الوجهة الاجتماعية قط، وكان الناس يعتبرون من تهيأت له الفرصة ولم يملأ جيوبه من هذه "المداخل" انه شخص لا يحترم نفسه ولم يفكر أحد من الرؤساء في هؤلاء البؤساء الذين تسلب من عرق جبينهم هذه المداخل لتصرف على بناء وتهيئة المباني الفخمة وعلى البضائع الأوروبية وعلى الحاشية الكبيرة).

ومن قراءة ما تقدم من السطور المنقولة عن اللورد كرزون، يمكن ان يفهم مقدار الصعوبة التي عاناها حضرة الباب في رسالته، وكذلك يفهم من العبارة الآتية التي اقتبسها من أقواله مقدار الأخطار التي كانت تتهدد حياة حضرة الباب. وما ذكره اللورد من تفاصيل أحوال العقوبات تجعل القارئ يستعد لأن يسمع رواية القسوة الوحشية الممقوتة التي عومل بها قال :-

"قبل ان أترك موضوع القانون الإيراني والإدارة الإيرانية أريد ان أذكر بعض العقوبات وشيئاً عن السجون فلا يوجد شيء أدهش للقارئ الأوربي من وصف العقوبات الوحشية والتعذيب المفجع المثبوت في صحائف تاريخ إيران الملوثة بسفك الدماء والإجرام في القرن الفارط (التاسع عشر) وهي في القرن الحالي (العشرون) أخف نوعا وكلها تشهد بالقسوة الوحشية والخبث الشيطاني. وكانت غرائز أهل إيران تميل الى استنباط الحيل في اختراع أنواع العقوبات. ولم يكن عندهم اكتراث بالآلام الناتجة عنها. ويظهر ذلك بجلاء في ميدان التنفيذات القضائية التي هي محل ظهور كلتا الطبيعتين. وكان من عهد قريب وفي حدود الحكم الحالي يصلب المجرمون أو ينسفون من المدافع أو يدفنون أحياء أو يعدمون بالخازوق أو يضربون بالرصاص كما تضرب الخيول أو يشطرون شطرين بواسطة ربطهم في رأس شجرتين تضمان على بعضهما بقوة ثم يفك ربطهما حتى تعودان الى مكانهما الأصلي وتكون الجثة في هذه الأثناء قد انشطرت شطرين أو تعمل منهم مشاعل إنسانية أو تسلخ جلودهم وهم أحياء".

"وكان من جراء وجود حكومة ذات صفتين كالتي وصفتها يعني ان يكون العامل في إدارتها شخصان أحدهما راشي والآخر مرتشي ويكون الإجراء القضائي بلا قانون ولا محاكم – عدم وجود أي ثقة في الحكومة ولا أي شعور بالواجب ولا في

الفخر بالشرف ولا في الثقة بالتعاون الا على الضرر ولا خجل في التبذل ولا فائدة في الفضائل وفوق ذلك لا روح للأمة ولا وطنية".

ومن أول يوم قام فيه حضرة الباب على الدعوة، تنبأ بالمصير الذي سيعطيه مواطنوه لتعاليمه وبالنصيب الذي سوف يلاقيه على أيدي الملاوات (العلماء) ولكن مع علمه بذلك المصير، لم يمتنع عن إعلان دعوته بكل صراحة ولا عن إظهار أمره مكشوفا. وكانت التجديدات التي قام على نشرها شديدة الوقع ولو انها كانت دينية محضة. وكان إعلان ظهوره مدهشاً خطيراً فإنه أظهر نفسه بأنه هو القائم الموعود والرسول الجليل والمسيح المنتظر الذي كان العالم الإسلامي يترقب ظهوره بفروغ صبر. وأضاف الى ذلك، انه الباب الذي سيظهر من خلاله للعالم الإنساني مظهر الهي آخر أعظم منه شأناً.

وإذ طبق الأحاديث الاسلامية على شخصه وأظهر انه هو المقصود من النبوات، وقعت بينه وبين أصحاب الأفكار الجامدة العتيقة مشادّة، لأنهم يفسرون هذه الأحاديث على خلاف ما يدعيه. ومع ان كلتا الفرقتين العظيمتين من الفرق الاسلامية، وهما الشيعة وأهل السنة، علقتا أهمية كبيرة على وديعة دينهم المقدسة الا انهما لم يتفقا على تفسيرها، فتقول الشيعة التي منها ظهرت البابية بظهور اثنا عشر إماماً خلفاء للرسول وهم يعتقدون ان كلا منهم ملهم بمواهب ربانية. وان واجب جميع المؤمنين طاعته وان تعيينه لا يكون بالانتخاب بل ان كل سلف منهم يعين كل خلف. وان آخر هؤلاء الأئمة كان اسمه محمد ويسمونه بالإمام المهدي حجة الله وبقية الله وقائم آل محمد، وتولى مهمة الإمامة سنة 260 هجرية ولكنه اختفى فجأة وكان يتصل مع أتباعه بواسطة وسيط منتخب اسمه الباب. وظهر من هؤلاء الأبواب أربعة وتتابعوا بموافقة الإمام، ولما حضرت منيّة الباب الرابع أبو الحسن علي، لم يوصهم بآخر بعده بل قال لهم ان لله شأنا آخر، فانقطعت بذلك الصلة بين الهيئة

الدينية وبين الإمام. ويعتقد الشيعة أيضا ان الباب حيّ ومنتظر في مكان مجهول ومحاط بفئة من الاتباع وانه لا يعود لمعاشرة قومه الا عند مجيئه لتأسيس العصر الذهبي.

أما أهل السنة فعلى العكس من ذلك لا ينظرون الى خلفاء الرسول بهذا النظر السامي، فهم يعتبرون خلافته مسألة مادية لا علاقة لها بالروحانية. والخليفة في نظرهم هو حامي الدين ويتعين بالانتخاب بين الناس. وكلا الفريقين ينتظر ظهورين. فالشيعة تنتظر ظهور القائم الذي يظهر في أواخر الأيام وتنتظر كذلك عودة الإمام الحسين. أما أهل السنة فينتظرون ظهور المهدي ورجعة المسيح. ولما ابتدأ حضرة الباب بإظهار دعوته، تلقب أولا بالقائم ثم بالباب فلم يفهم المسلمون مقصوده وظنوه الباب الخامس الذي خلف أبا الحسن علي. ولكن المعنى في ذلك كان مخالفاً لهذا الظن كما قرر ذلك بنفسه. ومع كونه كان القائم الموعود ومن كبار الرسل، الا انه بالنسبة للظهور الذي يتلوه كان كيوحنا المعمدان بالنسبة للمسيح مبشراً بظهور أعظم منه. ولقد سلك أمره نفس طرق الشرائع السابقة، فأخذ في الأفول بينما راحت شريعة حضرة بهاءالله تسمو وتعلو. كما كان يوحنا المعمدان مناديا وباباً للمسيح، كذلك كان حضرة الباب مناديا وباباً لحضرة بهاءالله.

ومن الحديث الصحيح ما يدل على ان القائم عند ظهوره يأتي بأحكام جديدة تنسخ الأحكام القديمة، ولكن هذه القاعدة لم تكن معولا عليها عند العلماء الذين كانوا يعتقدون ان الأمر الجديد لا يمكن ان يؤسس دينا أقوى من القديم بل انه فقط يروج النظام القديم الذي يقومون على تنفيذه وان الأمر الجديد سيزيد في احترامهم وتبجيلهم وينشر سلطتهم شرقاً وغرباً بين الأمم ويلزمهم بالخضوع التام لهم والامتثال لأوامرهم مع الامتهان. فلما اظهر حضرة الباب كتاب البيان وأتى بشريعة جديدة وأسس إصلاحا أدبيا واجتماعياً متيناً ليكون مقتداهم ونبراساً لهم، شعر هؤلاء بالخطر الداهم

ووجدوا ان امتيازهم قد تقوض وان أطماعهم قد تبددت وان حياتهم وثروتهم قد انحطت في درجات الاحتقار فقاموا لذلك ضده قومة رجل مندهش متذرع بالديانة، وقرروا أمام الشاه والرعية ان هذا القائم عدوّ للعلم وموهن للإسلام وخائن في دين محمد وخطر على الدين المقدس بل على الهيئة الاجتماعية وعلى الحكومة نفسها.

فكان إنكار حضرة الباب وأمره واضطهاده شبيها في جوهره بإنكار المسيح واضطهاده، ولو كان المسيح لم يأت بكتاب جديد ولم يردد سوى الأصول الروحية التي علّمها موسى، بل لو كان أمر باستمرار قوانين موسى لكان يعتبر مصلحا أدبيا وينجو من انتقام الكتبة والفريسيين، ولكن مجرد الادعاء بأن أي جزء من قوانين أو شريعة موسى حتى الأوامر المتعلقة بالأمور المادية كالطلاق وحفظ السبت يمكن تغييرها بمعرفة شاب من قرية الناصرة يعتبر خطرا على مصالح الكتبة والفريسيين أنفسهم لأنهم كانوا خلفاء موسى وخلفاء الله وان ذلك التغيير عبارة عن تجديف على الحق وما كاد مقام المسيح يعرف حتى ابتدأ اضطهاده، فلما امتنع عن الرجوع عن دعوته حكم عليه بالقتل.

ولمثل هذه الأسباب اتهم حضرة الباب من أول أمره من رؤساء الديانة بأنه هادم لأساس الدين حتى ان الملاوات الذين هم بمثابة الكتبة في قرن ظهور المسيح، في تلك المملكة المظلمة المتعصبة، لم يجدوا ذريعة سهلة يقدمونها لإهلاك المسيح الذي اعتقدوه عدوّهم خلاف هذه التهمة، ولم يدون في الصحائف ذكر مشاهدة أي أوروبي لحضرة الباب الا أثناء الفترة التي كان مضطهدا فيها، فان طبيبا انجليزيا مقيما في تبريز اسمه الدكتور كورميك، دعي من السلطات الإيرانية لفحص قوى حضرة الباب العقلية وكان الخطاب الذي أرسله الى طبيب مساعد في الارسالية الأمريكية قد أورده البروفسور براون في كتابه المسمى (مستندات في دراسة ديانة الباب) قال الدكتور : "تسألني عن بعض المعلومات الخاصة بمقابلتي لمؤسس الفرقة

المدعوة بالبابية، ففي تلك المقابلة لم يحصل أمر ذو بال، لأن الباب كان عالما بأني موفد مع طبيبين من الايرانيين للكشف عليه إذا كان عقله سليما أم انه مجرد رجل معتوه، وذلك للفصل في إمكان إعدامه، ولعلمه بذلك كان يكره ان يجيب على الأسئلة الموجهة اليه، وعند كل سؤال كان ينظر إلينا بنظرة الحنان وهو يتلو بصوت منخفض وبترتيل بعض المناجاة على ما أظن، وكان سيّدان آخران حاضرين معه وهما من أصحابه وقتلا معه بخلاف اثنين آخرين من الموظفين، ولما قلت له : إني لست مسلماً، وأريد ان أعرف شيئاً عن دينه لأني ربما اعتنقه، رضى ان يجيبني، وحدّق نظره فيّ وأجاب : بأنه لاشك عنده ان جميع الاوربيين سيعتنقون دينه. وكان تقريرنا للشاه في ذلك الوقت مشفوعا بعدم إعدامه، ولكنه أعدم بأمر الأمير نظام ميرزا تقي خان بعد حين. وأما بناء على تقريرنا فجلده أحد الفراشين، وأثناء الجلد أصيب في وجهه من العصا المعدة للجلد، ولم يعلم ان كانت الإصابة متعمدة أو كانت بدون قصد وسببت الإصابة له جرحا كبيرا في الوجه مع كدم أيضا، وإذ سئل هل يحضر اليه طبيب إيراني، أظهر رغبته في حضوري لمعالجته، وفي ظرف بضعة أيام عالجته ولم أتمكن مطلقاً أثناء مقابلتي له من التحدث معه بطريقة سريّة لأن موظفي الحكومة كانوا دائما حاضرين معنا لأنه كان سجيناً، وقد كان رجلا حليما وسيم المحيّا نحيف الجسم برقة لا تصدر عادة من إيراني وكان صوته ناعما موسيقيا ذا تأثير كبير على نفسي ولأنه سيّد من الأشراف كان يرتدي ملابس الأسياد كما هي العادة في تلك البلاد، وكذلك كان صاحباه، وكان منظره في الواقع يبعث في الإنسان ميلا شديداً ومحبة له، ولم أسمع من فمه شيئاً بخصوص شريعته، ولو انه كان يغلب على الظن ان بينها وبين المسيحية نوع تقارب، وقد رآه بعض النجارين الذين أرسلوا لإجراء بعض التصليحات في السجن الذي كان محبوسا فيه، ونظروه يقرأ في الكتاب المقدس

ولم يخف ذلك عنهم، بل كان يعلن ذلك لهم. ومن المؤكد ان دينه خلو من التعصب الإسلامي بالنسبة للديانة المسيحية ولا يوجد فيه ذلك الحجر على حرية النساء".

وعلى هذا النحو كانت آراء رجل انجليزي مهذب فيما يختص بشخصية حضرة الباب، ومنذ ان انتشرت تعاليمه وآدابه في الغرب، لم يعلم ان شاهده أحد آخر من الاوروبيين خلاف من ذكر. وكانت أخلاقه في الجمال والشرف نادرة المثال وشخصيته وديعة ولكنها مؤثرة ويمتزج لطفه بالحكمة، حتى انه بعد إعلان دعوته، عرف بسرعة في جميع أنحاء إيران بشخصيته المعهودة، وكان حلو الحديث جذّاباً لكل من يقابله أو يتصل به وكثيراً ما كان سجّانوه يعتقدون في دينه وكان يتمكن من قلب أخلاق المفسدين الى محاسن الأخلاق فيصبحون من أصحابه المعجبين به.

ولم يكن من السهل في إيران في أواسط القرن الماضي، ارغام مثل هذا الشخص على السكوت بسهولة بدون إثارة سخط الأهالي ولو لدرجة محدودة، أما بالنسبة لاتباع حضرة الباب، فكان الأمر على خلاف ذلك.

ولم يجد الملاوات داعيا للتعويق ولم يكونوا في احتياج الى التدبير أو الاحتيال لأن التعصب الموجود في نفوس الجميع من الشاه الى أحقر شخص يمكن إثارته بسهولة ضد أي إصلاح ديني، كما انه يسهل اتهام البابيين بعدم الطاعة أو الولاء للشاه ويمكن بذلك إسناد الأغراض السياسية الشنيعة الى أعمالهم ومجهوداتهم، وفضلا عن ذلك فان اتباع حضرة الباب كانوا عديدين وكان الكثير منهم من ذوي اليسار والبعض كانوا أغنياء ذوي ثروات طائلة، وكان بعضهم يملك عقارات يحسدهم عليها الجيران ويودون من صميم أفئدتهم تملكها، وإذ تذرع الملاوات بتخويف السلطات وبأهواء التعصبات القومية والجشع العام أثاروا حربا شعواء للتخريب والتدمير الذي نفّذوه بوحشية وبلا رحمة حتى قضوا مآربهم للنهاية.

وقد قص "نبيل" كثيراً من حوادث هذه الرواية المحزنة في تاريخه وخاصة في ذكر حوادث مازندران ونيريز وزنجان التي اقترنت بأعمال الشجاعة الصادرة من البابيين الى ان انتهت هذه الحوادث الثلاث التي اضطر البابيون فيها ان ينسحبوا من منازلهم ويلتجئوا الى المعاقل التي اتفقوا عليها بينهم حيث رأوا انهم في حالة يأس تام واشتغلوا بتحصين مراكزهم حتى أمنوا من الهجوم عليهم. ويظهر لكل منصف ان ادعاء الملاوات عليهم بأنهم قاموا بدافع سياسي كان كاذبا، فالبابيون كانوا دائما يعلنون انهم على استعداد للعودة الى منازلهم اذا تأكدوا ان العامة لا تهاجمهم أو تتعدى عليهم بسبب معتقداتهم، ونبيل يؤكد انهم كانوا حريصين الا يصدر منهم أعمال التعدي، فكانوا لا يقاتلون الا للدفاع عن حياتهم فقط بمهارة وقوة وشجاعة وما كانوا يعتدون، حتى انهم كانوا في وسط معمعان القتال لا يضربون ضربة غير لازمة ولا ينقلون الغنائم الى معاقلهم بل يتركونها. وقال عنهم حضرة عبدالبهاء في مقالة سائح (صحيفة 34–35 طبعة انجليزية) ذاكراً موقفهم الأدبي بما يأتي :–

(والخلاصة ان هذا الوزير "تقي خان" بما له من السلطة الاستبدادية، أمر بتأديب وتعذيب البابيين بدون ان يستشير في ذلك أو يستأذن أحداً، وأرسل بذلك الى جميع الأطراف فوجد الحكام والولاة هذا الأمر علة لجمع الأموال، وكذلك وجد المأمورون ذلك سببا لجلب المنافع الشخصية، وصار العلماء المعروفون يحثون الناس من رؤوس المنابر على الهجوم العام، واتحدت القوة التشريعية "الدينية" مع القوة التنفيذية "المدنية" قلباً وقالباً على قمع وقلع هذه الطائفة واستئصال شأفتها، والى ذلك الحين لم تكن هذه الطائفة قد اطلعت على أساس وأسرار تعاليم حضرة الباب اطلاعا كافيا ولم يعلموا أحكامه، فكانت تصوراتهم وآراؤهم موافقة للمسلك القديم وكان طريق الوصول الى حضرة الباب مسدودا واشتعلت نار الفتنة في كل الجهات، وبمقتضى فتوى أشهر العلماء شرعت الحكومة فضلا عن عامة الناس في نهب وسلب هذه

الطائفة ومعاقبتهم وتعذيبهم بنهاية القسوة وشنّوا الغارة عليهم واجتهدوا في قتلهم لعل يطفئوا هذه النار ويخمدوا هذه النفوس المشتعلة، ففي المدن التي كان عدد البابيين فيها محدودا أخذوا جميعا طعمة للسيف، وأما في المدن التي كان عددهم فيها كبيرا، قاموا للدفاع عن أنفسهم على حسب عقائدهم السابقة حيث لم يكن يتيسر لهم السؤال عن تكاليف أحكامهم الجديدة لأن أبواب الوصول اليها كانت جميعا موصدة).

أما حضرة بهاءالله، فعند إعلان دعوته بعد ذلك ببضع سنين، لم يترك مجالا للشك بخصوص قاعدة أمره، حيث يتفضل بطريق الجزم "**خيرٌ لكم أن تُقتَلوا من أن تَقتِلوا**".

ومهما يكن من أمر المقاومة التي حصلت من البابيين، فانه قد ظهر عدم فائدتها، وتغلبت عليهم كثرة الجموع وأخذوا حضرة الباب نفسه من حجرته وأعدموه، ولم يتركوا أحدا من شموس مساندیه حيّاً سوى حضرة بهاءالله، الذي نفي هو وأسرته وبعض المخلصين من الأتباع وسجن في بلدة أجنبية.

ومع ان النار أطفئت، فانها لم تخمد، بل كانت تشتعل في قلوب المنفيين الذين انتقلوا بها من قطر الى آخر بينما هم يرتحلون، وحتى في موطنهم في إيران، كانت قد تأسست وتأصلت تأصلاً عميقا يصعب معه إطفاؤها بالقوة الغاشمة، بل بقي ومیض النار في القلوب منتظراً هبوب أنفاس من الروح ليضطرم الى لهب نار مشتعلة في الصدور.

أما الظهور الإلهي الثاني الأعظم، فقد أعلن طبقا للنبوة الصادرة من حضرة الباب في الوقت والسنة التي أنبأ عنها. ففي السنة التاسعة من ظهور حضرة الباب، أعني سنة 1853م، أعلن حضرة بهاءالله في بعض أشعاره انه هو المقصود من تلك النبوات، وبعد مرور عشر سنوات، بينما كان مقيما في بغداد، أعلن نفسه لجميع أصحابه انه هو المقصود.

والآن ظهر الأمر العظيم الذي كان حضرة الباب يهيئ الطريق اليه، وابتدأ في دور عظمته بكل قوة، ومع ان حضرة بهاءالله عاش وصعد وهو منفي سجين ولم يكن معروفا للاوروبيين الا قليلا، فإن ألواحه التي أعلن فيها مجيئه الجديد أرسلها لعظماء الملوك في نصفي الكرة الأرضية من شاه إيران الى رئيس حكومة الولايات المتحدة والبابا، وبعد صعوده قام نجله حضرة عبد البهاء وسافر بنفسه لإعلان الأمر في مصر وفي العالم الغربي وزار حضرة عبدالبهاء انجلترا وفرنسا وسويسرا والمانيا وامريكا معلنا في كل مكان ان أبواب السماء قد فتحت وان الأمر الجديد قد نزل ومعه البركات الالهية لتحل على أبناء الإنسان. وصعد في نوفمبر سنة 1921م، واضطرمت النار مرة أخرى في جميع أنحاء إيران بعد ان ظن الناس انها أطفئت الى الأبد وتأسس الأمر في الولايات المتحدة وفي كل مملكة وقطر في العالم.

والآن قد تناولت الأيدي كتابات حضرة بهاءالله وحضرة عبد البهاء وشرحوا تعاليمها حتى نتجت عن ذلك مؤلفات جسيمة في شرحها وشواهدها وفي الأصول والمبادئ الإنسانية والروحية التي جاء بها منذ عشرات السنين في أظلم بقاع الأرض والتي تأسست بمعرفته بنظام ملائم، ويقتفي العالم الآن أثرها واحدة تلو الأخرى دون ان يشعر بالمصدر الذي انبثقت منه هذه المدنية الراقية. فامتلأ جميع المفكرين شعوراً بأن العالم قد انقطعت صلته بالماضي القديم وان الآراء والهداية القديمة لا تصلح في نجاة العالم طبقاً لمستلزمات ومقتضيات الأحوال الحاضرة وأضحت شكوكهم كبيرة من هذه الوجهة وخابت منهم الآمال الا الذين تمكنوا من ان يعلموا من خلال حوادث ظهور حضرة بهاءالله معنى كل هذه المخاوف والإنذارات التي يتشاءم منها العالم.

والآن قد مر تقريبا ثلاثة أجيال على ظهور هاتين الديانتين، فالذين كانوا من أتباعها الأولين ونجوا من الاستشهاد والسيف، قضوا نحبهم منذ زمن طويل بطبيعة

الحال، وأغلق الى الأبد الباب الذي يمكن الوصول منه الى معرفة شيء عن الرسولين العظيمين وعن تلاميذهما الأبطال ممن شاهدوا أحوالهما رؤى العين.

أما تاريخ النبيل، فهو مجموعة من الحقائق التي دونت بالصدق والدقة وتمت في زمان حياة حضرة بهاءالله، وله قيمته الفريدة، وكان المؤلف يبلغ من العمر 13 عاما، عندما أعلن حضرة الباب دعوته، وولد في قرية زرند في إيران في اليوم الثامن عشر من شهر صفر سنة 1247هـ. وكان في كل أدوار حياته معاشراً لرؤساء الأمر، ولم يكن الا طفلا وقت ان كان على أهبة الالتحاق بجماعة الملا حسين في قلعة الشيخ طبرسي، إذ علم بالمذبحة الخائنة التي وقعت على البابيين، وبذلك تبددت آماله في إمكان الذهاب اليها. وذكر في تاريخه انه قابل في طهران الحاجي ميرزا سيّد علي، خال حضرة الباب، وكان في ذلك الوقت عائداً من زيارة حضرة الباب في قلعة جهريق، وكان مدة سنتين في صحبة كاتب وحي حضرة الباب المدعو ميرزا احمد.

وتشرف بحضور حضرة بهاءالله في كرمنشاه وطهران قبل النفي الى العراق وكان فيما بعد في خدمته ببغداد وأدرنه، كما كان في مدينة السجن عكا وأرسله مراراً للتبليغ في إيران ولتشجيع جماعة المؤمنين المضطهدين، وفي وقت صعود حضرة بهاءالله سنة 1892 ميلادية، كان قاطنا في عكا وتوفي بطريقة مؤثرة ومحزنة، لأنه تملكه الأسى من صعود محبوبه العظيم حتى انه ألقى بنفسه في البحر وغرق، ووجدت جثته بعد ذلك على الشاطئ قريبا من عكا.

وابتدأ في تدوين تاريخه سنة 1888 ميلادية، بمساعدة ميرزا موسى، أخ حضرة بهاءالله، وتمَّ في مدة سنة ونصف، وروجعت بعض فصوله ووافق عليها حضرة بهاءالله وفصول أخرى بمعرفة حضرة عبد البهاء.

ويشمل الكتاب تاريخ الديانة البابية الى وقت صعود حضرة بهاءالله سنة 1892 ميلادية، والجزء الأول منه ينتهي بنفي حضرة بهاءالله من إيران، وهو ما تدون بالجزء الحالي هنا، وله أهميته المعروفة، وستستمر قراءته على توالي الأزمان بما حواه من صور الشهامة والشجاعة والإيمان الثابت الذي لا يتزعزع، وخاصة تلك القطع المؤثرة التي حواها، فضلا عن الأهمية الدائمة لتلك الحوادث التي وصفها ببيان بديع وتدوين فريد منقطع النظير.

حالة انحطاط إيران
في أواسط القرن التاسع عشر

أولا : سلاطين القاجار

" إن النظام الذي كان الملك قائما عليه في إيران هو الملكية المطلقة، وان كلمة الملك هي القانون لأنه هو الممثل لشريعة الماديين والفرس الأولى التي هي نظام ثابت لا يتغير وبذلك يتبرر استبداد الملك برعيته فهو الذي يعين ويقبل الوزراء والضباط والموظفين والقضاة وله السلطة العامة التامة على أفراد أسرته وعلى الموظفين المدنيين والحربيين والذين في خدمته، فله حق الحياة والموت عليهم دون الرجوع الى أية محكمة، وكذلك على أملاك كل شخص يعدم أو يعزل فهو المسيطر عليها وتعود اليه، حتى ان حق الإعدام امتياز خاص له ويمكنه ان ينيب عنه فيه من يشاء من ولاته وجميع الأملاك التي لم تكن قد وهبها لأحد أو اشتراها منه أحد وجميع العقارات التي لا صاحب لها تكون ملكه وله ان يتصرف فيها كيف يشاء، ولا يمكن التسليم بأي شيء من الحقوق والامتيازات الخاصة بالمرافق العامة أو موارد البلاد

الطبيعية الا بأمره وذلك كالأشغال العامة وأعمال التعدين والتلغراف والطرق العمومية والسكك الحديدية والترام، فيجب شراؤها منه قبل التمكن من استغلالها، ففي شخصه تجتمع القوى الثلاث، التنفيذية والتشريعية والقضائية، وليس عليه أي واجب خلاف المواظبة على مراسيم الدين الخارجية، وبالاختصار هو المحور الذي تدور حوله حركة الحياة العامة ".

وهذا هو نظام الملكية الذي كان متبعا الى عهد قريب في إيران، فلم يتنازل الملك عن أي من هذه الامتيازات تنازلا صريحا وكانت اللغة التي يخاطب بها الملك أتباعه هي لغة التكبّر والغطرسة، ولا يزالون يخاطبونه بها كما كان ارتكزرسيس أو دارا يخاطب الملايين من الاتباع، كما هو منقوش في آثار قصورهم وقبورهم. فهو يدعى شاهنشاه، وقبلة العالم، وظل الله، وكوكب زحل المتعالي، ومنبع العلم، وموطئ أقدام العلويات، والمليك الأعلى الذي صُورت الشمس فوق أعلامه، والذي يوجد بهاؤه في السموات، وهو ملك الجيوش التي لا تعد ولا تحصى. وللآن يستشهد الإيرانيون بقول السعدي (إن الرذيلة اذا وافق عليها السلطان تنقلب فضيلة، وإن الذي يخالف أمره في ذلك يغمس يديه في دمه) ومع تقدم الأزمان لم يكن عليه رقيب لا من مجلس ديني ولا مجلس ملّي ولا مجلس علماء أو شيوخ، ولم تدخل في سياستهم الأنظمة الانتخابية ولا البرلمانية التي دأبها المعارضة، ولا يوجد أي رادع كتابي يمكن ان يقاوم الامتياز الملكي.

"وهكذا كان تأله الذي يرتقي العرش في إيران لدرجة ان الشاه لا يأكل مع أحد على مائدة عامة الا في عيد النوروز مع أرشد أفراد أسرته الذكور. وكانت اللغة التي يخاطبه بها أقرب الوزراء لغة الطاعة والانقياد والتملق. فكان أقرب الموظفين يخاطبه، قائلا : (جعلت فداءك يا ملجأ العالمين) ففي حاشيته لا يوجد من يقول له الصدق أو ينصحه بنصيحة خالية عن الغرض، ولا يقدر ان يعلم حقائق الأمور الا

من سفراء الدول الأجنبية الذين هم المنبع الوحيد لإسداء النصح الخالي عن الغرض أو التملق، اما بالنسبة لاجراء الإصلاحات وعمل التدابير اللازمة لتحسين حالة المملكة، فهو عاجز عن تنفيذ أي مشروع، لأنه بمجرد ان يخرج أي مشروع من يده للتنفيذ، يقع في أيدي الموظفين المرتشين الذين يبحثون عن المنافع، ولا يصل المشروع إلا نصف المبالغ التي تقرر صرفها عليه، بل تدخل في جيوب الموظفين الذين بمهارتهم الفنية يعملون على اقتناصها، وبذلك لا يتحقق نصف المشاريع التي يأمر بها، ويتكل الوزير المأمور بالتنفيذ على نسيان الملك وعلى اشتغاله في أهوائه، وأخيرا يحصل التجاوز عنه ويهمل أو يترك كلية".

"وكان هذا النظام الممقوت متبعاً حتى ابتداء القرن الأخير، فكانت تسمل أعين كل طامح في الملك وكان من المسموح به في العقوبات تقطيع الأجسام إربا أو الحكم بالأسر وبالحبس الأبدي أو بالذبح القاسي أو سفك الدماء المنظم، ولم يكن العزل من الوظائف بأقل مفاجأة من الترقية وفي كثير من الأحيان يكون القتل رفيقا للعزل".

وكان فتح علي شاه، ولوداً هو وخلفاؤه، وأغلب أولادهم من الذكور وبذلك ضمن استمرار تغلب هذه الدولة، فلم توجد في العالم أسرة حاكمة تكاثر عدد أفرادها بمثل الصورة التي وصلت إليها أسرة الملك في إيران مهما كانت كبيرة كما تكاثرت أسرة فتح علي شاه، لا في عدد الأزواج ولا في عدد الذرية، وما هو معروف عنه على العموم من القوة والاقتدار في الأحوال المنزلية يمكن ان يفهم من عدد المحظيات والذرية كما تدل على ذلك القوائم العديدة المختلفة الموجودة في الكتب المدونة عن إيران، وقد عدَّ الكولونيل دروفيل في سنة 1813م عدد أزواجه 700 زوجة وعدد ذريته 64 ولد و 125 بنت، وعدّ له الكولونيل استوارت ألف زوجة و 105 ولد، وعددت له المدام ديوه لافوه أسماء 5000 شخص من الذراري، وذلك بعد

مضي 50 سنة من تاريخه وهو ما يترآى قريب الاحتمال، وأما التقدير الذي قدره صاحب "ناسخ التواريخ" وهو مؤرخ إيراني كبير، فهو أزيد من ألف زوجة و 260 من الذرية عاش منهم 110 بعد وفاة والدهم، ومن ذلك نتج المثل الإيراني القائل : (بان الأغنام والقمل والبرنسات موجودة بكثرة في كل مكان).

ولم تكن الآية الموجودة في التوراة (وسيكون لك ذرية بدلا من الآباء وسيكونون حكاما في البلاد) بأكثر انطباقا على أي أسرة ملكية في العالم كأسرة الشاه، فانه لا تكاد تكون وظيفة أو عمل حكومي في إيران الا وهو مشغول بأحد هؤلاء البرنسات، والآن أصبح هذا النسل من أولاد الشاه عظيما ومعدودا بالآلاف وصار لعنة على المملكة رغما عن ان البعض من هؤلاء العاطلين الملكيين الذين يلتهمون أغلب إيراد المملكة بالرواتب والمعاشات يشغلون فعلا أصغر الوظائف الحكومية ابتداء من كتبة التلغراف والسكرتاريين الخ. ووصف فريزر ما عمّ البلاد من البلاء في سنة 1842م (أي منذ خمسين سنة) من جراء وجود هذا الجيش العظيم من هؤلاء العاطلين الذين ملأوا وظائف الحكومة ليس فقط في الأقاليم بل في المراكز أيضا وفي جميع أنحاء البلاد. ويوجد لكل منهم حاشية وعدد كبير من الحريم وهم يستنزفون دماء الأهالي كقطيع من الجراد.

وكان فريزر قد مرّ في آذربايجان سنة 1834م وإذ لاحظ النتائج المفجعة لهذا النظام الذي وزع بمقتضاه فتح علي شاه جيشه الجرار من الذراري على كل وظيفة حكومية في طول البلاد وعرضها، كتب عنه يقول (ان أوضح نتيجة لهذه الحالة هو إنزال اللعنة العامة على جنس القاجار وهو إحساس عام في كل قلب وهو ما تلوكه جميع الألسنة).

"وكما أن ناصر الدين شاه في سياحته في أوروبا جمع أشياء كثيرة مما يعد غريبا في نظر العقل الشرقي حتى تكدست بها غرف القصر المتنوعة أو وضعت في

المخازن وتنوسيت، فكذلك كان حال السياسة العامة والإدارة التي فيها مشاريع متعددة تلعب بها الأهواء وتهمل وتترك لتموت وتنقرض. ففي أسبوع يهتمون بمشروع للغاز ثم بمشروع للأنوار الكهربائية ثم بمشروع إنشاء كليات أو مستشفى حربي ثم بالملابس الروسية ثم بمشروع شراء باخرة حربية المانية للخليج الفارسي وفي إحدى السنين صدر أمر بالتجنيد ثم صدر وعد بسن قانون عام ولا ينفذ من جميع هذه المشاريع شيء البتة. وقد ملئت عنابر القصر بالعدد والآلات المتكسرة والأدوات المتروكة وكذلك الحال فيما يتعلق بجهات الحكومة بما فيها من المشاريع الخائبة والميتة".

"وفي إحدى غرف القصر العلوية، أمر محمد شاه ان يقتل القائم مقام الوزير الكبير ميرزا أبو القاسم، خنقاً سنة 1835م، متبعا في ذلك عادة سلفه ومدليا بها لخلفه الذي اتبع نفس هذا العمل. ومن النادر في التاريخ ان يجد الإنسان ثلاثة ملوك متوالية يقتلون رؤساء وزاراتهم الشاغلين لأكبر المناصب بداعي الحسد وحده، مع انهم هم الذين أجلسوهم على العرش، وبهذا امتاز حكم فتح علي شاه ومحمد شاه وناصر الدين شاه".

ثانيا : الحكومة

"ان العلاقات الشخصية هي دائما سلّم الصعود في مملكة متأخرة كإيران خالية من النظام البرلماني والقوانين واللوائح ومختوم عليها بطابع التقاليد العتيقة الشرقية، وما كانت حكومة إيران الا عبارة عن سلطة استبدادية ووحدات متسلسلة متنازلة من الملك الى رئيس القرية، ولم يكن عند صغار الموظفين من رادع سوى خوف الرؤساء الذين يسهل إسكاتهم، ولا رادع للموظفين سوى الخوف من الملك وهذا أيضا يمكن إرضاؤه. أما الملك فهو لا يخاف من أهل مملكته وانما خوفه من

الانتقادات المعادية ومن الآراء الأوروبية التي تظهر في الصحف المحلية، ويعتبر الشاه أحسن مثال لملك مستبد حر، لأنه داخل الحدود السابق ذكرها غير مسؤول عن شيء وله السلطة التامة على حياة وأملاك أي شخص من رعيته وليس لأنجاله قوة مستقلة عنه، فيمكنه إذلالهم وإفقارهم في أقل من لمح البصر.. أما الوزراء فيعينون ويعزلون تبعاً للإرادة الملكية. فالملك وحده هو القوة المنفذة وجميع الموظفين نواب عنه ولا يوجد في المملكة محاكم نظامية تحد من سلطته".

وأما بالنسبة لأخلاق وأعمال الوزراء في البلاط الملكي فقد كتب السير ج. مالكولم في تاريخه في ابتداء القرن الحالي ما يأتي : (ان الوزراء وكبار رجال البلاط هم من الرجال المثقفين والماهرين في الأعمال كل فيما يخصه وهم ذووا ملاحظات دقيقة ومحادثات شيقة وأخلاق خاشعة وهذه الصفات هي كل ما يملكون، ولم يكن ينتظر من أشخاص يهتمون بالأشكال والصور ان يكون عندهم اطلاعات علمية أو فضائل، لأنهم يستقون معيشتهم من أحط الموارد وكل همهم منصرف الى الفتن بقصد حفظ أنفسهم وإهلاك غيرهم وبغير خطر لا يقدرون ان ينطقوا أو يتكلموا بغير التملق والخداع وهم متبعون سبل الشهوات والباطل، وقد توالى على إيران جملة من الوزراء الذين لا يصح بحال وضعهم في صف غيرهم من ذوي السيرة الرديئة، ولكنهم كانوا بما فيهم من كبار المثقفين مضطرين لمجاراة الأحوال نوعا ما لحفظ مراكزهم، ولولا ثقة الملك فيهم بكيفية تمنع عنهم كيد أعدائهم لألجأتهم الضرورة الى تتبع المنافع والمواربة والمداهنة التي تخالف طريق الحق والصدق ذلك الطريق الذي يجلب الاحترام لعظماء الرجال وهذه الملحوظات إنما تمليها العدالة والتأمل الشديد ويظهر انها تنطبق على الجيل الحاضر كما كانت تنطبق على الأجيال السالفة).

ثالثا : الرعية

"والآن أذكر العامل الأصلي المعول عليه في الإدارة الإيرانية، فان الحكومة بل الحياة نفسها في تلك المملكة عبارة عن تبادل الهدايا، وقد يظن من الوجهة الاجتماعية ان هذه العادة انما تعبر عن إحساس شعب أليف كريم، رغما عن انها لا يظهر عليها وجه للكرم عندما يضطر المهدى له ان يعيد مثلها للواهب، فضلا عن الزامه أيضا بان يهدي لحامل الهدية جزاً نسبيا لقيمتها وأحيانا يكون ذلك هو كل ما يقتات به. أما من الوجهة السياسية فان عادة الاهداء ولو انها متعلقة بقواعد وتقاليد الشرق الجامدة الا انها تنطبق كل الانطباق على ذلك النظام غير المشرّف. وهو الذي اتبعته إيران من قرون عديدة والذي يقف حجر عثرة في سبيل الاصلاح الحقيقي، فمن الشاه الى اصغر موظف لا يوجد احد لا يقبل الهدايا ولا تكاد توجد وظيفة لا يكون التعيين فيها بغير الهدايا ولا يوجد ايراد مكدس الا من الهدايا وكل موظف يشتري وظيفته بمبلغ يقدمه اما الى الشاه مباشرة أو للوزير أو الحاكم الأعلى الذي يعينه. واذا كان لوظيفة واحدة جملة طلاب فينالها صاحب أكبر هدية بينهم".

"وكان نظام (المداخل) من الأنظمة القومية المحبوبة في إيران وتحصيلها بآلاف الطرق والأشكال وتتعدد تدابير تحصيلها بتعدد أنواعها. وان شئت قلت أنها هي نفس الحياة الإيرانية ومصالحها الرئيسية. ويقول المستر واطسون أنه لا توجد أي كلمة في اللغة الإنجليزية يمكن أن تعبر بدقة عن هذا النظام. فيمكن تعريب كلمة (مداخل) بكلمات النهب، والنشل، والاكرام، والمنافع، والرشوة، والهدية، والحلوان، والراتب، وذلك تبعا للكيفية التي استعملت فيها، وهي على وجه العموم ميزان المنافع الشخصية التي يمكن تشخيصها في مبلغ من النقود مما يستخرج أو يطلب في أي معاملة فيصبح وجودها أثناء مفاوضة بين رئيس ومرؤوس وفيما بين اثنين من المتعاملين المتعاقدين في إيران ولابد أن يكون أحد الفريقين هو الدافع للهدية لغرض

الحصول على منفعة والآخر هو الذي يستلم مبلغا معينا من النقود مقابل الخدمة التي يؤديها له. ويمكن الاعتراض، بأن الطبيعة البشرية هي واحدة في كل مكان وان مثل هذا النظام موجود في مملكتنا كما هو في الممالك الأخرى تحت اسم آخر، وان الناقد الفيلسوف يرحب بالرجل الإيراني كأخ له في هذا السبيل. ورغم ان هذا الاعتراض وجيه الى حد ما، الا أنه لا يوجد ولا يرى ولا يسمع في أي مملكة بوجود نظام مكشوف الى هذا الحد، وهو عام في جميع بلاد إيران ولا خجل فيه ولا حياء وفضلا عن انه لم يكن قاصراً على دائرة الاقتصاد السياسي أو المعاملات التجارية فانه يوجد في كل عمل ويقترن بجميع المرافق الحيوية وبه محيت صفة الكرم من قائمة الفضائل الاجتماعية في إيران وأصبح الجشع هو العامل القوي في الحياة الاجتماعية الإنسانية... وقد تأسست بسبب ذلك سلسلة من الهيئات الحسابية المتوالية للسلب والنهب من الملك الى أفراد الرعايا وأصبح الفلاح المسكين هو الفريسة الأخيرة. فلا عجب أن تكون الوظائف بمقتضى هذا النظام هي السبيل العادي للحصول على الثروة. خصوصا وقد شوهد في كثير من الأحوال ان الموظفين اصبحوا بعد الفقر المدقع من ذوي الثروات العظيمة ويقطنون في منازل فخمة تحوطهم حاشية كبيرة من الخدم والحشم يعيشون في رغد من العيش كالأمراء، وكانت القاعدة المتبعة عند أغلب الناس منذ دخولهم في الحياة العامة هي (اجمع من المال كلما تستطيع وبقدر ما تستطيع) ولم تكن هذه الأعمال ممقوتة من الوجهة الاجتماعية قط، وكان الناس يعتبرون من تهيأت له الفرصة ولم يملأ جيوبه من هذه (المداخل) انه شخص لا يحترم نفسه، ولم يفكر احد من الرؤساء في هؤلاء البؤساء الذين تسلب من عرق جبينهم هذه المداخل لتصرف على بناء وتهيئة المباني الفخمة وعلى البضائع الأوربية وعلى الحاشية الكبيرة".

"ومن بين مظاهر الحياة العامة في إيران التي هي غريبة في نظر الأجنبي والتي هي من نتائج هذا النظام، هو زيادة عدد الاتباع والحاشية الذين يلتفون حول الوزير أو الموظف من أي نوع كان، ففي حالة الموظف من ذوي المراتب العالية يختلف عددهم من 50 الى 500 ... ويقول بنيامين، ان الوزير الأكبر له حاشية تبلغ 3000 نفر، ويفهم من ذلك معنى النظامات الاحتفالية التي تتبع عادة في إيران، وخاصة في الشرق لأنها ناتجة عن هذه الأوضاع وأصبحت أهمية كل شخص تتوقف على عدد الحاشية والخدم الذين يصطفون حوله في الاحتفالات في المناسبات المتنوعة وأساس كل هذه المفاسد هو نظام (المداخل) والتلصص الحاصل فيه. ولا يمكن ان ينقص عدد الحاشية الا اذا تغير النظام الحالي بنظام دفع المرتبات، فاذا كان الوزير أو الحاكم مضطراً لدفع مرتبات للذين حوله فإن عدد الحاشية ينقص نقصاً بيناً سريعاً، فإن أغلبهم لا يتقاضى مرتبا، وهو يحوم حول سيده فقط انتهازاً للفرص التي تدر عليهم بالأموال فيعيشون بذلك على السلب والنهب".

"ومن ذلك يعلم فداحة المصيبة القومية الناتجة من وجود هذا الجيش الجرار من الذين يشتغلون في استنزاف أموال المساكين.. ومن آداب الفرس ان الإنسان عندما يزور آخر يأخذ معه عددا من الحاشية على قدر طاقته وبأكبر عدد يمكنه، ويسير اما ماشيا أو راكبا، وتعلم أهمية الزائر من عدد أفراد حاشيته".

رابعا : النظام الديني

"كان الدين الإسلامي موافقا لعوائد وأخلاق ووظائف وأعمال تلك الممالك التي دخلت تحت رايته، ولها يخضع الأهالي خضوعا تاما من المهد الى اللحد. ولم يكن الدين منظما للعلاقات الفردية فقط، بل كان هو الحكومة وهو الفلسفة والعلم أيضا،

فالفكرة الاسلامية لا ترمي الى إيجاد دين حكومي فحسب، بل الى إيجاد حكومة دينية، فجميع الروابط في الهيئة الاجتماعية وأساس نظام المجتمع عندهم ليس مدنياً بل هو ديني من تشكيل الفقهاء الذي أحاط بهذا الدين السامي.. وعلى هذا النحو يعيش المسلم برضا وقناعة وهو خاضع لجميع أحكام ذلك النظام ويعتبر عبادة الله أعلا الفرائض محتقرا كل من لا يتعبده بالروح، ولا يتوفى الا وهو آمل في دخول الجنة.. وأما الأشراف أو نسل الرسول فهم سبب متاعب المملكة وهم عالة على الناس، ومن امتيازهم لبس العمامة الخضراء، ولا يخشون شيئاً لارتكانهم على امتياز نسبهم الشريف.. واما يهود إيران فقد انحطوا في الفقر والجهل، وهؤلاء التعساء في العالم الإسلامي في الشرق قد وطدوا أنفسهم على أن يعتبروا الاضطهاد نصيبا لهم، كما عرف العالم ذلك، فكانوا يجبرون على ان يعيشوا منعزلين في أماكن خاصة بهم، وبما انهم كانوا مضطهدين في أعمالهم وملابسهم وعوائدهم، اصبحوا طائفة منعزلة معروفة، ويبلغ عددهم في اصفهان نحو 3700 شخص ولا يسمح لهم فيها بلبس الكلاه وهو لباس الرأس القومي ومع ان حالتهم المعنوية في تلك البلاد أحسن منها في غيرها، الا انه لا يسمح لهم فيها بمزاولة أعمالهم داخل حوانيت الأسواق ولا ان يتطاولوا في البنيان بارتفاع أزيد من جيرانهم المسلمين، أو امتطاء الدواب في الأسواق، وكلما قامت ضجة في إيران كانوا هم أول ضحاياها، فتمتد إليهم كل يد والويل لليهودي التعس الذي يجابه طائفة من غوغاء الايرانيين.

.. ولعل من اعظم مظاهر الحياة في (مشهد) التي أريد أن أذكرها قبل أن أنتهي من الكلام على موضوع الضريح الذي فيها والحجاج الذين يؤمونها، مسألة إباحة اللهو فيها مدة إقامة الزائرين، فأبيح لهم أن يعقدوا زواجاً مؤقتاً (زواج المتعة) بموافقة الرؤساء الدينيين، ويوجد في المدينة جمهور من الزوجات المعدات لهذه الأغراض، ويعقد الملا العقد ويختمه من كلا الطرفين بعد الاستيلاء على الرسم،

وبذلك يصح الاقتران وينتهي عقد الزواج بمضي المدة المعينة في العقد سواء حددت باسبوعين أو شهر أو أي مدة أخرى، فيعود الزوج الى أسرته في بلاد بعيدة ويترك الزوجة حتى تنقضي عدتها وهي أربعة عشر يوما، فتعود بعد ذلك وتتزوج بآخر. وإني آسف لأقول كم من الزائرين الصامتين الذين يعبرون البحار والأراضي لأجل التوصل لتقبيل شباك الضريح، يتشجعون على أداء هذه المهمة بما يلاقونه من التسلية التي نسميها نحن الإنجليز بالمجون.

الخاتمة

" وقبل ان أترك موضوع القانون الإيراني أريد ان أذكر بعض الشيء عن السجون فلا يوجد شيء أدهش للقارئ الأوربي من وصف العقوبات الوحشية والتعذيب المفجع المثبوت في صحائف تاريخ إيران الملوثة بسفك الدماء والإجرام في القرن الفارط وهي في القرن الحالي أخف نوعا وكلها تشهد بالقسوة الوحشية والخبث الشيطاني. وكانت غرائز أهل إيران تميل الى استنباط الحيل في اختراع أنواع العقوبات. ولم يكن عندهم اكتراث بالآلام الناتجة عنها. ويظهر ذلك بجلاء في ميدان التنفيذات القضائية التي هي محل ظهور كلتا الطبيعتين. وكان من عهد قريب وفي حدود الحكم الحالي يصلب المجرمون أو ينسفون من المدافع أو يدفنون أحياء أو يعدمون بالخازوق أو يضربون بالرصاص كما تضرب الخيول أو يشطرون شطرين بواسطة ربطهم في رأس شجرتين تضمان على بعضهما بقوة ثم يفك ربطهما حتى تعودان الى مكانهما الأصلي وتكون الجثة في هذه الأثناء قد انشطرت شطرين أو تعمل منهم مشاعل إنسانية أو تسلخ جلودهم وهم أحياء".

"وكان من جراء وجود حكومة ذات صفتين كالتي وصفتها . يعني ان يكون العامل في إدارتها شخصان أحدهما راشي والآخر مرتشي ويكون الإجراء القضائي بلا قانون ولا محاكم – عدم وجود أي ثقة في الحكومة ولا أي شعور بالواجب ولا في الفخر بالشرف ولا في الثقة بالتعاون الا على الضرر ولا خجل في التبذل ولا فائدة في الفضائل وفوق ذلك لا روح للأمة ولا وطنية".

"... قالت الفلاسفة ان الروحانيات يجب ان تسبق الماديات، والحق في ذلك معهم فان الإصلاح الباطني يجب ان يسبق الإصلاح المادي الظاهري في إيران. فلا فائدة ترجى من تطعيم شجرة قديمة بفروع شجرة جديدة بعد ان استهلكت أو تسممت، نعم يمكن أن يعمل في إيران طرق وسكك حديدية وان تستغل معادنها ومرافقها الطبيعية وان يدرب جيشها وتنظم عمالها، ولكنها لا تقترب بهذه الأعمال الى الأمم الأوربية المتمدنة، الا اذا وصلت الى صميم قلوب الرعية وأحدثت انقلابا كليا في الأنظمة والأخلاق القومية".

ولقد بينت كيفية الإدارة الإيرانية كما اعتقد صحتها حتى يطّلع القراء الإنجليز على النظام الذي يواجه كل من أراد الإصلاح في تلك البلاد سواء من الأهالي ام من الأجانب، لأنه لابد وان يرى ذلك السد الحديدي المنيع المبني على الأطماع والطبائع الغريزية المعادية لأفكار التقدم والترقي، ولو فرض وقام بذلك رجل قوي مثل الملك الحالي فمن الذي يقوم على نشر دعوته؟!

(مقتطف من كتاب اللورد كرزون إيران والمسألة الإيرانية).

إجلال حضرة بهاء الله لمقام حضرة الباب وكبار تلاميذه

مقتطفات من " كتاب الإيقان "

ومع انه كان في ريعان شبابه وكان أمره مخالفاً لجميع من على الأرض من الوضيع والشريف والغني والفقير والعزيز والذليل والسلطان والرعية، الا انه قام بكل استقامة على الدعوى لهذا الأمر. وكل الناس علموا منه ذلك وسمعوه. ولم يخف من أي إنسان ولم يعر أي اهتمام لما يتوقع من النتيجة. فهل يمكن ظهور مثل هذا الأمر الا بقوة إلهية ومشيئة ثابتة ربانية؟ تالله لو يفكر أحد في القيام بمثل هذا الأمر لتهلكه الفكرة في الحال ولو جمعت قلوب أهل العالم في قلبه فانه لا يجسر على حمل مثل هذه المهمة الشاقة المخوفة الا ان يكون ذلك بإذن من الله وان يكون قلبه متصلا بالفيوضات الرحمانية ونفسه مطمئنة بالعنايات الربانية. فبربك على أي محمل يحملون هذا الإقدام؟ هل ينسبونه للجنون كما سبق ان نسبوا ذلك الى الأنبياء السابقين؟ أو يقولون انه تعرض لهذه الأمور طلبا للرئاسة الظاهرة، أو بقصد جمع زخارف هذه الدنيا الفانية؟ يا سبحان الله، هل يكون ذلك بعد اذ انه اخبر في كتابه المسمى "قيوم الأسماء" وهو الأول والأعظم والأكبر من جميع الكتب عن استشهاده قائلا: (يا بقية الله قد فديت بكلي لك ورضيت السب في سبيلك وما تمنيت الا القتل في محبتك وكفى بالله معتصماً قديما)، فهل يمكن ان ينسب لصاحب مثل هذا البيان انه يمشي على غير صراط هدى الله؟ أو انه يطلب شيئاً خلاف رضاه؟ ففي هذه الآية ظل نسيم الانقطاع مكنونا بحيث لو يهب على العالم لينفق جميع هياكل الوجود أرواحهم ويضحون حياتهم في سبيله. والآن انظر كيف ان سدرة الرضوان السبحاني قد بلغ أمر الله في ريعان شبابه. وتأمل فيما ظهر من جمال الأحدية من الاستقامة. ومع قيام جميع من على الأرض على منعه لم يحصلوا على أي فائدة. وكلما زادوا البلاء والأذى على سدرة الطوبى كلما زاد شوقا واشتعلت نار حبه الى ان اسلم الروح

في نهاية الأمر وأسرع الى الرفيق الأعلى وما كاد ذلك الجمال الأزلي يظهر في شيراز في سنة الستين أو يكشف عن نفسه الستار حتى ظهرت آثار النصرة والقوة والسلطنة والاقتدار من جوهر الجواهر وبحر البحور في جميع البلاد على شكل ظهرت في كل مدينة آثار وإشارات ودلالات وعلامات تلك الشمس الأزلية. وكم من رشحات علمية من بحر علمه أحاطت جميع الممكنات. وفي كل بلدة ومدينة قام العلماء والأمراء على قمع البابيين وردهم وأحكموا نطاق الغل والحسد والظلم لقمعهم. فكم أعدموا من هؤلاء النفوس المقدسة واتهموهم ظلماً مع انهم كانوا جواهر العدل. وكم عذبوهم بأشد أنواع العذاب. ومع كل ذلك كان كل واحد من هؤلاء الوجودات القدسية مشتغلا بذكر الله الى آخر نفس من حياته طائرا في هواء عالم التسليم والرضا. وكانت درجة تأثيره عليهم على شأن انقلبت أعيان وجودهم فلم يطلبوا أمراً خلاف رضائه ولم يختاروا الا ما اختاره لهم، تاركين رضاءهم متعلقة قلوبهم بذكره. والآن تدبروا من ذا الذي في عالم الإمكان يمكنه ان يصدر عنه مثل هذه المعرفة وهذه الإحاطة، فجميع هؤلاء النفوس المقدسة وأصحاب القلوب المنزهة أسرعوا بكمال الرضا في مواد القضاء استجابة لطلبه. وبدلا من يشكوا شكروا ولم يظهر منهم في موارد البلاء غير التسليم والرضاء، وكان من المعلوم المحقق ان جميع أهل الأرض قاموا على هؤلاء الأصحاب بكل غل وبغض بحيث اعتبروا إيذاء هذه الطلعات القدسية المعنوية سبيلاً للفوز والاستقامة وسبباً للفلاح والنجاح الأبدي، فلم ير العالم منذ بداية خلق آدم حصول مثل هذا الهياج وهذه الضوضاء بين العباد، ومع كل صنوف الاعتداء والإيذاء التي احتملوها كانوا هدفاً للعن العام والملام من جميع من في البلاد حتى كأن الصبر قد ظهر في الكون من اصطبارهم وكأن الوفاء قد برز في أركان العالم من أفعالهم، فانظروا وتدبروا هذه الحوادث بقلوبكم حتى تعلموا عظمة هذا الأمر وتشاهدوا بهاءه الأسمى.

***

مميزات الشيعة في الاسلام

ان النقطة الأساسية التي تختلف فيها الشيعة (مع الفرق الأخرى المرتبطة بها والتي تدعى جميعها باسم الإمامية) عن أهل السنة هو اعتقاد الإمامة، فتبعاً لاعتقاد أهل السنة تتعين الخلافة بالانتخاب الحاصل من الاتباع ولا يمتاز الرئيس في العالم الإسلامي بشيء من المواهب الالهية، فلا يجمع في وظيفته سوى القوة الإدارية والدينية، اما في نظر الامامية فعلى العكس من ذلك، فالخلافة فيها أمر روحي ومنحة إلهية تعطى أولا للرسول ثم للذين يخلفونه من بعده، وليس لها علاقة بالانتخاب ولا بتصديق العامة، فالخليفة عند أهل السنة هو المدافع الظاهر عن الدين، واما إمام الشيعة فهو الخليفة للرسول وهو الملهم والمتحلي بالكمالات والمواهب الروحية، وعلى جميع المؤمنين طاعته وحكمه قطعي ونهائي وحكمته فوق المستوى البشري وكلمته فصل الخطاب. وتطلق الامامية على كل من اتبع هذا الرأي بدون التفات الى الطريقة التي يعينون بها سلسلة التوريث، ولذلك فهي تشمل الباقرية والاسماعيلية والشيعة مذهب الاثنى عشرية، وتلك الطائفة الأخيرة هي التي نتكلم عنها، فعندهم عدد الأئمة اثنا عشر إماماً، وهم:-

1 - الإمام علي بن أبي طالب، أول المؤمنين وابن عم الرسول. قتله ابن ملجم في الكوفة، سنة 40هـ (661م).

2 – الحسن بن علي وفاطمة، ولد في السنة الثانية للهجرة. سمّهُ معاوية الأول سنة 50هـ (670م).

3 – الحسين بن علي وفاطمة، ولد في سنة 4هـ. قتل في كربلاء في 10 محرم سنة 61هـ (10اكتوبر سنة 680 م).

4 – علي بن الحسين وشهربان بنت يزدجرد آخر ملوك الساسانية (ويسمى بالإمام زين العابدين). وسمّهُ الوليد.

5 – محمد باقر بن زين العابدين وابن أم عبد الله بنت الإمام الحسن. سمّهُ ابراهيم بن الوليد.

6 – جعفر الصادق بن الامام محمد باقر، وسمّ بأمر المنصور الخليفة العباسي.

7 – موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق، ولد سنة 129هـ، وسمّ بأمر هارون الرشيد سنة 183هـ.

8 – علي بن موسى الرضا المدعو بالإمام الرضا، ولد سنة 153هـ، وسمّ في طوس من أعمال خراسان، بأمر الخليفة المأمون سنة 203هـ، ودفن في مشهد التي سميت بذلك من أجله.

9 – محمد تقي بن الإمام الرضا، ولد سنة 195هـ، وسمّ بمعرفة الخليفة المعتصم في بغداد سنة 220هـ.

10 – علي تقي بن الإمام محمد تقي، ولد سنة 213هـ، وسمّ في سرّ من رأى (سامراء)، سنة 254هـ.

11 – الحسن العسكري بن الإمام علي تقي، ولد سنة 232هـ، وسمّ سنة 260هـ.

12 – محمد بن الإمام حسن العسكري ونرجس خاتون، وتسميه الشيعة بالإمام المهدي، حجة الله وبقية الله وقائم آل محمد، ويكنّى بنفس كنية الرسول(ص) وهي أبو القاسم، وعند الشيعة لا يجوز لأحد ان يحمل هذا الاسم والكنية معاً بهذه الكيفية غيره. ولد في سر من رأى سنة 255هـ، وخلف والده في الإمامه سنة 260هـ، ويعتقد الشيعة انه لم يمت، وانه اختفى في سرداب تحت الأرض في سرّ من رأى سنة 329هـ، وانه حيّ للآن محاط بطائفة من اتباعه في إحدى البلاد السرية (جابلقا وجابلسا)، وانه سيظهر في آخر أيامه عندما تملأ الأرض بالظلم ويقع المؤمنون في اليأس، ويظهر قبله المسيح مبشراً بظهوره ويقلب أفكار الكفار ويؤسس العدل ويبدأ الحكم الذهبي للألف سنة ويباركه. وفي جميع مدة الإمامة أي من سنة 260هـ لغاية الوقت الحالي كان الإمام المهدي مختبئاً ولا يصل اليه أحد من الاتباع، وهذا ما يسمونه بالغيبة، وبعد ان تولى الإمام حسن العسكري الإمامة ودفن والده وسلفه، اختفى عن نظر الناس الا القليل من الذين انتخبهم ليكونوا واسطة بينه وبين اتباعه واحداً بعد الآخر، وهؤلاء دعوا بالأبواب، وأولهم أبو عمر عثمان بن سعيد العمري والثاني أبو جعفر محمد بن عثمان، وهو ابن الأول، والثالث من الأبواب حسين بن روح نوبختي، والرابع أبو الحسن علي بن محمد السمري. وكان تعيين أولهم بمعرفة الإمام حسن العسكري، واما الآخرون فعيّنهم الباب الأول بموافقة الامام المهدي، وقد امتدت هذه المدة 69 سنة، كان فيها الامام معروفا من الأبواب الذين كانوا الواسطة بينه وبين الناس وكانت غيبته في هذه المدة تدعى بالغيبة الصغرى، ثم جاءت بعد ذلك الغيبة الكبرى، فعندما حضرت الوفاة أبا الحسن علي آخر الأبواب طلب منه المؤمنون ان يعين خلفاً له، لأنهم كانوا خائفين من انفصالهم عن الامام انفصالا كلياً، ولكنه رفض طلبهم قائلا: ان لله أمراً هو بالغه. وبوفاته انقطعت كل صلة بين الامام

وبين علماء الدين وابتدأت بذلك الغيبة الكبرى وستستمر الى رجعة الامام في آخر الأيام.

(من مقالة سائح صحيفة 296–299 حاشية "و").

ميلاد محمد(ص) 20 أغسطس سنة 570م
إعلان الدعوة سنة 613 - 614م
هجرته للمدينة سنة 622م

أبو بكر الصديق ابن قحافة 632م - 634م
عمر بن الخطاب 634م – (644م)
عثمان بن عفان 644م – (656م)
علي بن أبي طالب 656م - 661م

خلفاء دولة بني أمية من 661 - 749م
العباسيون من 749 - 1258م
الفاطميون من 1258 - 1517م
العثمانيون من 1517 - 1919م

النظام القضائي في إيران
نظرياً وعملياً
في أواسط القرن التاسع عشر

ينقسم القانون في إيران وفي البلاد الاسلامية على وجه العموم، الى قسمين، الأول ديني عام وهو ما بني على الكتاب والشريعة الاسلامية ويطبقه أرباب الدين، والثاني هو القانون المدني وهو ما تطبقه المحاكم المدنية، والأول يسمى بالشرع، والآخر يسمى بالعرف، ومن هذين الأصلين يتفرع النظام القضائي الحالي، وهو وإن لم يكن مبنيا على العلم الا انه معقول من جهة التطبيق ويوافق مقتضيات وحاجيات الذين دوّن لأجلهم والأساس الذي بني عليه الشرع ما نطق به الرسول في القرآن وآراء الأئمة الإثني عشر الذين لا يقل حكمهم في نظر الشيعة عن حكم الرسول، وكذلك تفاسير علماء الدين وهو ما وسّع دائرة الشرع كما وسّعت قواعد وأحكام (الجورس كنسالت) شريعة روما، أو كما وسّعت تفاسير التلمود شريعة بني إسرائيل. وانقسمت الشريعة الناتجة من ذلك الى أربعة أقسام وهي، العبادات والمعاملات والأحوال الشخصية والدعاوى، ويطبق هذه الشريعة رجال الدين وهم الملاوات والمجتهدون

وأحيانا القضاة تحت رئاسة موظف يدعى شيخ الاسلام، ويعين عادة في كل مدينة من الملك، ويرأس شيخ الاسلام جميع أرباب الدين والقضاة في المملكة، ولكن هذه الوظيفة ألغاها نادر شاه عند قيامه ضد رؤساء الدين ولم تتجدد فيما بعد عندهم، وفي البلاد الصغيرة والقرى يقوم بهذه الوظيفة الملاوات الذين يستندون دائما على آية من القرآن. واما في المحاكم العالية فان الحكم يكون مكتوبا معززا بأدلة من الكتاب والتفاسير، واما القضايا ذات الأهمية الكبرى فترفع الى المجتهدين الأعلام وهم قليلو العدد ولا يصلون الى هذا المقام الا بالعلم والاطلاع الذي يكون مشهودا لهم به من العموم، وهم الذين لا تنقض أحكامهم الا فيما ندر، ومذكور في كتب القانون في إيران ان القضايا الجنائية يحكم فيها الرؤساء الدينيون، واما القضايا المدنية فتحكم فيها المحاكم المدنية، وفي العمل لا يوجد هذا التمييز ويختلف امتياز المحاكم باختلاف الأزمان تبعا للتصادف أو الاختيار لا للضرورة والاضطرار، والآن ولو ان القضايا الجنائية من اختصاص المحاكم الدينية الا انها تنظر عادة بمعرفة المحاكم المدنية. اما مسائل البدع والارتداد فتعرض على المحاكم الدينية بطبيعة الحال. وكذلك يحكمون في أحوال الزنا والطلاق والسكر، ولو ان شرب الخمر بحسب العرف المدني معتبر من أكبر المؤهلات المدنية الا انه مخالف لنص القرآن، ولذلك يقع في دائرة اختصاصهم.

وهنا انتقل من الشرع الى العرف، أو القانون العام. وهذا مبناه العادة ويختلف باختلاف الأماكن في إيران. وكذلك يختلف الحكم فيه باختلاف الشخص الذي يطبقه، فهو قانون غير مدون. وقضاة العرف هم القضاة المدنيون ولا يوجد لهم نظام معلوم كالنظام الموجود في البلاد الأوروبية. وفي القرى ينظر الكدخدا (العمدة أو المختار أو العاقل) قضاياها. واما في المدن فينظر هذه القضايا الداروغ، وهو قاضي شرطة ويحكم في جميع جرائم الشرطة كمحكمة الشرطة في انجلترا، والعقوبة في قضايا

السرقة والخطف وأمثالها هي رد الشيء المسروق أو المخطوف أو قيمته المالية، واذا كان غير قادر على الرد فانه يجلد. أما القضايا الجنائية الأخرى فيحكم فيها حاكم المدينة، وأما الأكثر أهمية فحاكم الإقليم، واستئناف الأحكام يكون أمام الملك اذا كان المستأنف من بلاد قاصية والعدالة التي تطبق بهذه الكيفية في إيران غير تابعة لأي قانون أو نظام مقرر ولا ضمان لها سوى السمعة والإعلان، لكن المجال يتسع فيها خصوصا في الدرجات الجزئية للرشوة والبقشيش، اما الداروغ فشهرته انه قاسي ومرتشي ويقول البعض انه لا يوجد أي حكم في إيران يصدر من اي موظف حتى في المراتب العليا الا ويمكن الحصول عليه بالنقود والأموال. (من كتاب إيران والمسألة الإيرانية للورد كرزون الجزء الأول صحيفة 452-455).

مفتاح النسبة لحضرة الباب

1 – من ذرية الامام الحسين وفاطمة، وقطن في شيراز
2 – حرم حضرة الباب
3 – ملقب بالأفنان الكبير
4 – زوجة ميرزا زين العابدين
5 – معروف بسقا خان
6 – زوجة حاج ميرزا سيد حسن ابن ميرزا علي
7 – توفي عند الميلاد
8 – ملقب بالخال الأصغر وهو الذي نزل له كتاب الإيقان
9 – ملقب بالخال الأعظم، وهو أحد الشهداء السبعة في طهران
10 – ملقب بوكيل الدولة المساهم الأكبر في بناء مشرق الأذكار في عشق آباد
11 – ملقب بالوزير من أهالي نور مازندران واسمه عباس
12 – اسمه عباس
13 – اسمه علي محمد
14 – اسمه حسين علي

15 – زوجة وكيل الدولة حاجي ميرزا محمد تقي

16 – الإبن الوحيد للحاج ميرزا محمد

17 – صهر حضرة عبد البهاء

18 – من ذرية الامام الحسين تاجر من أهالي شيراز

19 – صهر حضرة عبد البهاء

20 – النجل الوحيد لميرزا أبو الفتح

سلالة القاجار

فتح علي شاه 1798 – 1834م.

محمد شاه 1835 – 1848م.

ناصر الدين شاه 1848 – 1896م.

مظفر الدين شاه 1896 – 1907م.

محمد علي شاه 1907 – 1909م.

أحمد شاه 1909 – 1925م.

ميرزا أبو القاسم القائم مقام

الحاج ميرزا آقاسي

ميرزا تقي خان أمير النظام

ميرزا آقا خان النوري

اعتراف

بالامتنان للسيدة بلمفيلد لاقتراحاتها القيّمة وللمراسل الانجليزي الذي ساعد في تحضير المقدمة وللسيدة أي. هواج، لطبع النسخة الخطية على الآلة الكاتبة وللآنسة إيفي بيكر، للصور الفوتوغرافية المصورة في هذا الكتاب.

المترجم

(حضرة شوقي أفندي)

ديباجة

كان من عزمي بفضل الله ومساعدته ان أخصص الصحائف الأولى من هذا التاريخ لذكر الروايات التي حصلت عليها فيما يخص النورين الأعظمين الشيخ احمد الإحسائي والسيد كاظم الرشتي، وكان أملي بعد ذلك ان أحكي بالترتيب الزمني أهم الحوادث التي حصلت منذ سنة 60 هـ (1260هـ، 1844م)، تلك السنة التي أعلنت فيها دعوة حضرة الباب لغاية الوقت الحالي، وهو سنة 1305هـ (1887م – 1888م)، وذكرت بعض الحوادث بالتفصيل واقتنعت في البعض الآخر بذكر مختصر الوقائع ودونت وصف الحوادث التي شاهدتها بنفسي وكذلك التي سمعتها من ثقاة الرجال ذاكراً اسمهم ومقامهم في كل حالة، والذين أنا مدين لهم على الأخص هم الميرزا أحمد قزويني كاتب وحي حضرة الباب، وسيد إسماعيل الذبيح، والشيخ حسن الزنوزي، والشيخ أبو تراب قزويني، والأخير الذي لم يكن له آخراً هو ميرزا موسى أقاي كليم أخ حضرة بهاءالله.

واني اشكر الله الذي مكنني من كتابة هذه الصحائف الأولى ومن تبريكها وتشريفها بموافقة حضرة بهاءالله، الذي تنازل وتفضل بمراجعتها وحازت رضاه وقبوله،

بعد ان قرأها له كاتب وحيه أقا ميرزا جان، واني أطلب من القدير العون والهداية، لئلا أغلط أو أخطأ في المهمة التي عزمت على إتمامها.

عكا / فلسطين / 1305هـ

"محمد زرندي" (نبيل أعظم)

استدراك لمترجم السفر الى اللغة العربية

لمّا منّ الله تعالى عليّ بالنزوح الى بلدة "اسنا" قاضياً، مبعداً الى أقاصي الصعيد بسبب قيامي على رد أحد مشايخ السنّية فيما افتراه على البهائية السامية، وجدت من فراغي هناك وقتاً ليس بقليل. عكفت فيه على ترجمة كتاب "مطالع الأنوار"، تهذيب مولانا العطوف حضرة ولي أمر الله أرواحنا لتراب عتبته فداء. وهذا السِفر الجليل مستقى أصلا من "تاريخ النبيل" محمد زرندي، ومضاف اليه مقدمة وخاتمة من يراعة غصن دوحة البقاء الممتاز، وفيه ألواح حضرة الباب بصورتها الأصلية وبخط يده المباركة. الا انه لتحريره باللغة الانجليزية، كان أغلب قراء العربية محرومين من اجتلاء طلعته البهية ومبعدين عن اقتطاف أثماره الجنية. ولذلك تطلعت نفسي الى تقريبهم الى جنته العالية ومشاركتهم لباقي الأحباء المطلعين على الانجليزية في التلذذ من نعماء مائدته السماوية، واطلاعهم على حوادث البطولة والشهامة الممردة التي صدرت من شهداء الأمر، مما يبقى على مرور القرون والاجيال وتتزين بها صحائف تاريخ

العالم في دورته الجديدة. ولعمري انها لإحدى المعجزات وأعلا خوارق العادات مما لم يسمح بمثلها الزمان ولم تسمع بها الآذان ولم ترها الأعين ولا خطرت على قلوب البشر.

ورغم إني بذلت الجهد الجهيد لأقرب من بلاغة الترجمة الانجليزية في نقلها الى اللغة العربية، الا اني أعترف بعجزي وتقصيري عن أن أبلغ شأو معانيها او أصل في تعبيري الى سمو مبانيها، فهي والحق يقال درة فريدة وجوهرة منيعة وترجمة منيفة، كما يشهد بذلك أساطين اللغة الانجليزية، وأين الثرى من الثريا. فليعذرني القارئ الكريم ان كان لابد لمثلي من وجود بعض الاخطاء وخاصة في المطبعة، رغما عن تكرار المراجعة. وقد أردفت الكتاب بقائمة من الخطأ والصواب على قدر الامكان، فما لا يدرك كله لا يترك جله. وإني أتضرع الى عتبته المقدسة العليا ان تكون هذه الخدمة الضئيلة مقبولة وان يثيبني بها جميل ذكره. راجيا ممن ينظر فيه من عالم فاضل ان يقبل ما يراه فيه من عثار ويسد ما يعثر عليه من خلل ويصلح ما طغى به القلم وقصر عنه الفهم وزاغ منه البصر.

الأحد 24 مارس سنة 1940م.

يوم العظمة شهر البهاء سنة 96 بهائية (بديع).

عبد الجليل سعد

الفصل الأول
رسالة الشيخ أحمد الاحسائي

ظهر الشيخ أحمد الإحسائي[1] نجم الهداية اللامع في أفق الشرق[2] في وقت كانت شمس الحقيقة الاسلامية مختفية من أثر الجهل والتعصب والفساد الذي وقعت فيه الفرق المتجادلة، وقد لاحظ كيف ان رؤساء الدين الإسلامي مزقوه شذر مذر واضعفوا قوته وعكسوا مقاصده وحطوا من شأن اسمه المقدس، فكانت روحه ممتلئة بالدهشة مما فشا بين فرق الشيعة من الفساد والغرور والشرور والجدال. وإذ اهتدى بالنور الذي كان يشرق في باطنه[3] قام بنظر ثاقب وقصد معيّن وانقطاع تام ليحتج على آثام هؤلاء القوم المخادعين، وإذ كان واثقا بنبالة مقصده طلب بحماس من جميع أتباع الاسلام في الشرق بما فيهم أهل الشيعة ان ينتبهوا من نوم غفلتهم ويهيئوا الطريق للذي سوف يظهر بينهم عند تمام الأيام. والذي يقدر وحده بأنواره على محو ظلمات الجهل

والعمى التي أحاطتهم في دينهم. وإذ ترك أهله وعشيرته وموطنه الواقع في إحدى جزائر البحرين جنوب الخليج الفارسي، استعد كما أمرته القدرة الإلهية ان يبين معضلات الآيات الاسلامية التي كانت تشير الى مجيء مظهر جديد، وكان عالماً حق العلم بالمصاعب التي تعترض طريقه والمسؤولية الساحقة المهينة، فأضاءت في روحه شعلة الاعتقاد بأنه لا يمكن لأي إصلاح مهما كان ان يأتي بنتيجة او ثمرة في إنهاض هذا الشعب من كبوته، وأعلمته الإرادة الإلهية انه لا يمكن إحياء ذلك الدين ولا إعادة طهارته الأولى الا بأمر جديد كما تشهد بذلك نفس الكتب الاسلامية[4].

ولأنه كان خلواً من الممتلكات ومنقطعاً عن كل ما سوى الله، قام في أوائل القرن الثالث عشر من الهجرة وله من العمر أربعين سنة وخصص ما بقي من حياته للمهمة التي رأى نفسه مضطراً للقيام بها، وسافر الى النجف وكربلاء[5]، وهناك اطلع على أفكار وآراء ومشارب علماء الاسلام واشتهر بأنه من أقدر المفسرين للكتاب، وأصبح من المجتهدين وحاز قصب السبق على جميع أقرانه الذين أقاموا في تلك الجهات او أتوا اليها للزيارة واعترفوا جميعهم له بمقدرته الفائقة على حل المعضلات الدينية والاطلاع على الأسرار الإلهية وتأويل المتشابهات. وإذ اتسعت دائرة نفوذه وازداد تأثيره وجد نفسه محاطاً بعدد غفير من التلاميذ والباحثين الذين كانوا يسألونه عن أمور كثيرة، تتعلق بدقايق الدين وكان قادراً على حلها جميعها، وبهذه المعرفة وهذا الاقدام، أوقع الرعب في قلوب الصوفية والافلاطونية الجدد وأشباههم[6] ممن حسدوه على علمه وخشوا بأسه، وبهذه الوسيلة زاد اعتباراً في أعين علماء الدين الذين يعتبرون هذه

الطوائف من الفرق الباطلة. وكان مع ذلك لا يعبأ بالتكريم الذي يسديه له المعجبون به رغماً عن اتساع دائرة علمه وشهرته واحترامه من الجميع، وكان يتعجب من شدة تعلقهم بالرتب والمناصب ولم يقبل ان يشاركهم في مقاصدهم.

وبعد ان أتم مهمته هناك وإذ استنشق طيب الرائحة التي هبت عليه من إيران أسرع الى تلك المملكة وأخفى عن أصحابه الحامل الحقيقي الذي جعله يرحل الى تلك البلاد، فمن طريق الخليج الفارسي أسرع الى أرض محبوب قلبه متظاهراً أنه يقصد زيارة ضريح الإمام الرضا في مشهد[7]، ولما وصل الى شيراز تلك البلدة التي ستر فيها الكنز الإلهي والتي سيرتفع صوت المنادي فيها بالأمر الجديد، ذهب الى مسجد الجمعة الذي هو مشابه في هيئته وشكله للكعبة المقدسة وكان يقول وهو ينظر الى هذا البناء (حقاً ان لبيت الله علامات لا يعلمها إلا أولوا الأبصار وإني أعتقد بأن الذي بناه موحى اليه به من الله)[8]، وكم كان يمتدح هذه المدينة بشغف وبدرجة أدهشت سامعيه الذين كانوا معتادين على رؤيتها ولكنه كان يقول لهم (لا تدهشوا.. لأنكم سوف ينكشف لكم سرّ كلامي عن قريب وان منكم من يعيش ليرى جلال ذلك اليوم الذي اشتاق الأنبياء قديما لرؤيته) ولجلالة قدر الشيخ في أعين العلماء لم ينسبوا عدم فهمهم لكلماته الا لقصور في ادراكهم لأسرار اشاراته.

ولما تم له ما اراد من بذر بذور المعرفة الإلهية في قلوب الذين أوجد فيهم الاستعداد لقبول ندائه، رحل الى يزد ومكث فيها مدة وأخذ ينشر الحقائق التي رأى ضرورة الافصاح عنها، وفي تلك البلدة كتب[9] معظم كتبه ورسائله وكان صيته وشهرته[10] قد وصلتا الى درجة ان سلطان إيران فتح علي شاه

أرسل له خطابا بخط يده[11] من طهران طلب منه فيه شرح بعض التعاليم الدينية التي لم يقدر العلماء على بيانها، فأجابه حالا برسالة تسمى بالرسالة السلطانية، وسُرَّ الشاه من عباراتها وما حوته من المعارف لدرجة انه دعاه بخطاب آخر لزيارة تخت المملكة، فأجابه (بأني منذ سافرت من النجف وكربلاء كنت وطدت العزم على زيارة ضريح الإمام الرضا في مشهد ولذلك أتعشم ان جلالة الملك لا يمنعني عن البر بذلك القسم، ثم بعد ذلك ان شاء الله أتعشم ان أقوم بالشرف الذي أسداه إليّ جلالته).

ومن بين الذين انتبهوا لفحوى الدعوة التي قام بها ذلك المطلع الإلهي في مدينة يزد، الحاجي عبد الوهاب، وهو رجل ذو تقوى كبيرة ومستقيم ويخاف الله، وكان يزور الشيخ احمد كل يوم بصحبة من يدعى عبد الخالق يزدي، الذي كان مشهورا بنفوذه وعلمه. وفي كثير من الأحيان كان يريد الشيخ احمد ان يحادث عبد الوهاب سراً، فكان يطلب من عبد الخالق ان يتركه على انفراد مع تلميذه المحبوب، وكان هذا التفضل المشهود لرجل أميّ مثل عبد الوهاب سبباً لدهشة زميله الذي كان يظن نفسه أقدر وأعلم منه. وكان بعد رحيل الشيخ أحمد من يزد، اعتكف عبد الوهاب واعتزل الناس، فظنوه قد زهد وتصوف. فقام عليه الرؤساء كنعمة الله والذهبي واتهموه بأنه دخيل ويريد ان يسلبهم سلطتهم. واما عبد الوهاب الذي لم يكن منجذباً من طريقة التصوف، فلم يكن له كبير اعتناء بإدعاءآتهم واحتقر اتهامهم وامتنع عن صحبتهم ولم يكن له من الأصحاب سوى الحاجي حسن نائني، الذي انتخبه كصديق حميم وأطلعه على السر الذي أدلى به اليه سيده. فلما قضي نحب عبد الوهاب، استمر ذلك

الصاحب (الحاجي حسن نائني) في السبيل الذي أرشده اليه وكان يبشر كل شخص مستعد ببشارة قرب ظهور دين الله.

وقابلت في كاشان ميرزا محمود القمصري الذي كان رجلا مسناً ويبلغ التسعين من عمره ومحبوباً ممن يعرفونه، وأخبرني بالرواية الآتية:-

(أتذكر إني كنت أسمع وأنا صغير وقاطن في كاشان، ان رجلا في بلدة نائين، كان يبشر الناس بقرب الظهور وكل من يسمعه سواء من العلماء او الموظفين او العوام، كان يزهد في الدنيا ويحتقرها، وإذ كنت اريد التحقق من صدق ذلك، سافرت الى نائين بدون إطلاع اخواني، وهناك تحققت من الرواية التي سمعتها عنه. وكانت طلاقة وجهه تنطق عن النور الذي اشتعل في روحه. وسمعته (الحاجي حسن نائني) ذات مرة يقول بعد ان أدى صلاة الصبح: "عن قريب سوف تتبدل الأرض بالجنة وستكون بلاد إيران كعبة القصاد من جميع أمم العالم ويطوفون حولها". وفي أحد الأيام رأيته لفرط دهشتي في الفجر ساجداً يردد بإخلاص كلمة "الله أكبر" كثيراً، ثم التفت إليّ، وقال: "إن الذي كنت أبلغك عنه قد ظهر، ففي هذه الساعة انبثق نور الموعود، وهو يضيء العالم بأنواره. يا محمود الحق أقول لك انك سوف ترى وتشاهد بعينك يوم الأيام".

فبقيت تلك الكلمات التي خاطبني بها ذلك الرجل المقدس تدوي في أذني، الى ان جاء اليوم الموعود في سنة الستين، فكان لي الشرف ان استمع للنداء الذي ظهر من شيراز وكنت ويا للأسف بسبب مرضي غير قادر على الذهاب الى تلك المدينة.

وفيما بعد عندما زار حضرة الباب صاحب الظهور مدينة كاشان، ونزل ضيفاً ثلاث ليال في منزل الحاجي ميرزا جاني، لم أكن أعلم بزيارته، وبذلك منعت من شرف المثول بين يديه. وفيما بعد بينما كنت أتحادث مع أصحاب الأمر، علمت بتاريخ ميلاد حضرة الباب أنه يقع في أول المحرم سنة 1235هـ، ووجدت ان ذلك التاريخ لم يكن مطابقاً للتاريخ الذي تكلم عنه الحاجي حسن النائني، بل كان هناك فرق بمقدار سنتين بين التاريخين، فأزعجني ذلك الأمر وحيرني. ولكن بعد ذلك بمدة، قابلت (محمود القمصري) حاجي ميرزا كمال الدين الناراقي، الذي أخبرني بظهور حضرة بهاءالله في بغداد، وقص عليّ بعضاً من القصيدة الورقائية وبعض قطع من الكلمات المكنونة الفارسية والعربية، فحركت تلاوة هذه الكلمات القدسية أعماق روحي، وتذكرت منها ما يأتي (يا ابن الوجود فؤادك منزلي قدسه لنزولي وروحك منظري طهره لظهوري)، (يا ابن الأرض اذا اردتني لا تطلب سواي ولو تنظر الى جمالي فاغمض عينيك عن العالمين لأن ارادتي وارادة غيري كالماء والنار لا يسكنان في قلب واحد). فسألت عن تاريخ ميلاد حضرة بهاءالله، فعلمت انه سنة 1233هـ في فجر اليوم الثاني من المحرم ويوافق 12 نوفمبر سنة 1817م، فتذكرت إذ ذاك كلام الحاجي حسن النائني واليوم الذي ذكّرني فيه، فسجدت لله قائلا: "سبحانك اللهم يا إلهي أحمدك على ما أعلمتني بيومك الموعود، فإذا دعوتني اليك الآن، فإني أموت راضياً مطمئناً". وفعلا توفي محمود القمصري في تلك السنة، وهي سنة 1274هـ الموافق 1857م-1858م، وصعدت الى الله روحه الطيبة.

وهذه الرواية التي سمعتها من فم ميرزا محمود القمصري والتي هي متداولة بين الناس، تشهد بعرفان الشيخ الاحسائي وبتأثيره البليغ على تلامذته المباشرين، فقد تم الوعد الذي اخبرهم به وانكشف السر الذي أشعل قلوبهم به بكل بهائه ومجده.

وفي تلك الأيام التي كان الشيخ الاحسائي يستعد فيها للرحيل من يزد، تحرك السيد كاظم الرشتي[12]، ذلك النور والعلم الإلهي الآخر من بلدته جيلان، لزيارة الشيخ احمد قبل رحلته الأخيرة للحج في خراسان، وفي أول مقابلة له خاطبه الشيخ قائلاً: (مرحباً يا حبيبي كم كنت أشتاق اليك، وانتظرتك لتخلصني من غرور هؤلاء الجهلاء، واني لمرتبك من عدم مبالاتهم وقلة خجلهم من أعمالهم وفسوقهم "إنّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين ان يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان انه كان ظلوما جهولا").

وكان السيد كاظم تظهر عليه من صغره علائم النجابة والقوة الروحية، فكان فريداً بين معاصريه والذين في رتبته. وفي سن الحادية عشر حفظ القرآن كله غيباً، ولما بلغ الأربعة عشر عاما، حفظ كثيرا من الأحاديث الاسلامية والصلوات والمناجاة، وفي الثامنة عشر من عمره كتب تفسيراً على آية الكرسي، أدهش الكثيرين من أعظم علماء عصره، وكانت تقواه وكمال أخلاقه وتواضعه بدرجة يتأثر منها كل من يعرفه من الصغير والكبير.

وفي سنة 1231هـ الموافق 1815م–1816م، لما بلغ من العمر اثنين وعشرين عاما فقط، ترك الأهل والخلان وسافر من جيلان ليتشرف بلقاء من قام لاعلان قرب الظهور الإلهي ولم يمكث معه سوى بضعة اسابيع، حتى

واجهه الشيخ احمد بهذه الكلمات: "إلزم بيتك ولا تحضر مجلسي، والذين يريدون من تلاميذي وأصحابي ان يتحروا مسألة قد تحيروا فيها يذهبون اليك ويتعلمونها منك، فإنك بفضل الله وموهبته التي منحها لك، ستحل لهم المشكلات بما يطمن قلوبهم وستحيي بقوة بيانك دين جدك محمد(ص) الذي أهمله الناس". وكانت هذه الكلمات التي خوطب بها السيد كاظم قد اشعلت نار الحسد في صدور تلاميذ الشيخ احمد وأهاجت شجونهم، ومن بينهم الملا محمد المامقاني والملا عبد الخالق اليزدي، وكان تكريم الشيخ للسيد كاظم واضحاً لدرجة ان هؤلاء التلاميذ اضطروا للخضوع، خصوصا لما شاهدوه من اتساع علمه وحكمته.

وبعد ان سلم الشيخ احمد تلاميذه لحراسة السيد كاظم، ارتحل الى خراسان، وهناك استراح مدة في الجهات المجاورة لضريح الامام الرضا في مشهد، وابتدأ في ذلك الاقليم ايضا بنشر تعاليمه وواصل اعماله هناك بحماس زائد. فكان يحل معضلات الامور لعقول الباحثين ويهيئ الطريق لمجيء المظهر، وفي تلك المدينة ازداد شعوره بقرب مجيء اليوم الذي يولد فيه الموعود وبأن الساعة الموعودة كانت تقترب بسرعة، ومن ناحية بلدة النور، اقليم مازندران، كان يشاهد علائم تشعشع أنوار الجمال، مما كان ينادي بقرب انبثاق فجر ظهور الموعود، كما اشارت اليه النبوات في الأحاديث: "سترون ربكم كما ترون القمر ليلة أربعة عشر وستنكرونه"، وكذلك " ان من إشراط الساعة ان تلد الأَمَةُ ربها ".

فولى الشيخ احمد وجهه شطر اقليم النور، وسافر فعلا الى طهران ومعه السيد كاظم وبعض التلاميذ، ولما علم شاه إيران بقرب مجيء الشيخ احمد الى العاصمة، أمر جميع الأعيان والموظفين في طهران بالخروج لاستقباله وان يرحبوا به غاية الترحيب. واستضافه الشاه مع أصحابه ضيافة ملكية، وزاره الشاه بنفسه ووصفه بأنه فخر أمته وزينة رعيته[13].

وفي تلك الأيام ولد مولود من عائلة نور[14] الشريفة، وكان والده ميرزا عباس المعروف بميرزا بزرك وزير مشهور في إيران، وكان المولود هو حضرة بهاءالله، واسمه ميرزا حسين علي، ففي ساعة الفجر في اليوم الثاني من المحرم سنة 1233هـ الموافق 1817/11/12م وهي الساعة التي لم يشعر العالم بأهميتها، ولد من قدر له ان يهب العالم نعماً لا تحصى، وكان الشيخ أحمد مطلعاً على ذلك، وأراد ان يمضي بقية أيامه في موطن هذا المولود الالهي، ولكنه لم يرو غلته ولا شفا ظمأه، واضطر ان يستسلم لأمر الله ويغادر مدينة محبوبه وسار الى كرمنشاه.

وكان البرنس محمد علي ميرزا، أكبر أنجال الشاه حاكم كرمانشاه وأقدر عضو في اسرته. قد استأذن جلالة الملك ان يمكّنه من القيام بشخصه على خدمة الشيخ احمد[15] ولما كان البرنس محبوبا من الملك، أذن له في ذلك، وودع الشيخ احمد طهران مفوضا أمره الى ما قدر له. وقبل مفارقته لتلك المدينة دعا الله بمناجاة ان يحفظ هذا المولود الجديد ويبارك هذا الكنز الرباني وان يعترف مواطنوه ببهائه وبركته اعترافا كليا وان يعلنوا تفوق أمره لسائر الأمم والأقوام.

ولما وصل الشيخ احمد الى كرمانشاه، عزم ان ينتخب جماعة من اخلص مريديه ووجه اهتمامه اليهم وأمرهم ان يكونوا على أهبة الاستعداد لنصرة الأمر الجديد الموعود. وفي سلسلة كتبه ورسائله التي حررها وخاصة في كتابه المعروف بـ " شرح الزيارة " عدّد مناقب الأئمة بلغة عالية ممتازة وجعل جلَّ اهتمامه الاشارة الواردة في أقوالهم بالنسبة لظهور الموعود. وكان يكرر كلمة "الحسين" مشيراً بذلك الى الحسين الموعود، وكذلك كان يشير الى "علي"، ولم يكن مقصوده الذبيح، بل الذي ولد حديثاً. وكان يشير في أجوبته على الأسئلة الخاصة بعلامات ظهور القائم الموعود الى ضرورة قرب ظهوره. وفي السنة التي ولد فيها حضرة الباب، توفي ابن الشيخ المسمى علي، فكان يقول لتلاميذه الذين تأسفوا على وفاته "لا تحزنوا لأني قدمت ابني عليّ، فداء للعليّ الذي تنتظرونه جميعاً، واني ربيته وأعددته لذلك".

وكان حضرة الباب المدعو "علي محمد"، قد ولد في شيراز في أول المحرم سنة 1235هـ من بيت مشهور بالشرف والعترة النبوية ومن سلالة الرسول، وكان والده السيّد محمد رضا من ذرية الرسول، كما كانت والدته ايضا من العائلات العريقة في النسب، وطابق تاريخ ولادته الحديث المروي عن الإمام علي أمير المؤمنين، حيث قال: (أنا أصغر من ربي بسنتين) وبقي سرّ هذا الحديث مستوراً الا للذين بحثوا وعرفوا حقيقة هذه الرسالة الجديدة. وقال حضرة الباب في أول كتبه وأعظمها عن حضرة بهاءالله (يا بقية الله قد فديت بكلي لك ورضيت السب في سبيلك وما تمنيت الا القتل في محبتك وكفى بالله العلي الحافظ القديم شهيدا).

وبينما كان الشيخ احمد يجول في كرمانشاه، أظهر له البرنس محمد علي ميرزا، علائم الخضوع التام حتى انه في ذات يوم أشار الى البرنس قائلا عنه: (اني اعتبر محمد علي إبني ولو انه من نسل فتح علي). وكان كثير من الطلاب والتلاميذ يحضرون منزله ودرسه، فلم يكن يعر اهتماما خاصا لأحد من اتباعه سوى السيد كاظم، وتبين انه أفرده من بين الجماهير الذين التفوا حوله وأعده بكل قوته لإتمام عمله بعد وفاته. وسأله يوما أحد التلاميذ عن الكلمة التي يتفوه بها الموعود في وقته وهي التي يفرّ منها نقباء الأرض والثلثماية وثلاثة عشر رئيس في الأرض، وهي التي يمتلئون منها رعباً لعدم قدرتهم على تحملها. فأجابه الشيخ قائلا: "كيف تقدر على تحمل كلمة لا يقدر على تحملها نقباء الأرض؟ فلا تطمع في المحال ولا تعد تطلبه، ولا تسألني هذا السؤال، وأطلب من الله المغفرة". ولكن السائل المغرور أصر على السؤال ملحاً في طلب معنى تلك الكلمة، فأجابه أخيرا الشيخ احمد بقوله: "لو فرض وبلغت ذلك اليوم، وقيل لك فيه أترك ولاية عليّ وانكر صحتها، فماذا عسى ان يكون جوابك؟" فصاح ذلك التلميذ: "لا قدّر الله ذلك، فلا يمكن ان يحصل هذا أبداً، فلا يعقل ان تصدر مثل هذه الكلمات من لسان الموعود". وبهذه العبارة امتحن التلميذ وخفّت موازين إيمانه وظهر نقصها، لأنه لم يعلم ان الذي يظهر قد وهب له من السلطة ما لا يمكن لأي انسان ان يعارضه او يناقشه فيها، لأنه مظهر يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، والذي يتردد او يجادل في ذلك أقل من آن، انه محروم من فضله ومحسوب من الغافلين. ومع ذلك لم يلتفت أحد في

تلك المدينة من تلاميذ الشيخ أحمد الى المعنى المقصود من قوله، ولا انكشفت أسراره الا للقليل منهم.

وبعد وفاة البرنس محمد علي ميرزا سنة 1237هـ، نقل الشيخ احمد مسكنه الى كربلاء حيث تخلص من رجاء البرنس في اطالة مدة إقامته في كرمانشاه، ومع انه بحسب الظاهر كان يدور حول ضريح سيد الشهداء الإمام الحسين، الا ان قلبه كان وهو يقوم بأداء فرائض الزيارة، يدور حول حسينه الحقيقي الذي كان مقصود فؤاده في دعواته. وقد حضر جمهور غفير من العلماء لملاقاته، وأخذ الكثيرون يحسدونه على شهرته، وأراد العديدون النيل من سلطته، ولكنهم أخفقوا في سعيهم للحط من مقامه بين علماء تلك المدينة. وأخيرا دعي ذلك النور المضيء لارسال أشعته على مدينتي مكة والمدينة، فسافر اليهما، وهناك تابع باخلاص تام أعماله وجعل مضجعه الاخير بجوار قبر النبي الذي اتعب حياته في نشر تعاليمه وبيان حقيقة دينه.

وقبل مبارحته كربلاء، أوصى السيد كاظم خليفته وزوده بسر رسالته[16] وطلب اليه ان يبذل الجهد في إشعال قلب كل باحث بما يجعل باطنه متوقداً، ورفض ان يأذن له في مرافقته الى النجف، كما كان السيد كاظم يلح به، وكانت كلماته الختامية له وهو يودعه: (لا تضيع الوقت بل اغتنم كل ساعة تمر وأشدد أزر الهمة واجتهد ليل نهار في ان تزيل بعون الله ومحبته وقدرته تلك الحجب والغشاوة التي أعمت الناس، فالحق أقول لك ان الساعة قريبة، تلك التي طلبت من الله ان ينجيني من مشاهدتها، لأن زلزلة الساعة شيء عظيم. فاسأل الله ان ينجيك من محنة وهول ذلك اليوم، لأننا كلانا لا نقدر ان نتحمل

قوتها الجارفة وسيحمل ثقلها غيرنا ممن هم أشد بأساً وقوة، رجال قلوبهم مقدسة عن أهواء هذا العالم وقوتهم مستمدة من قوة الله القدير).

ولما أتم الشيخ احمد هذه العبارة ودّعه وشجعه على أن يقابل المصاعب والامتحانات التي ستأتيه ووكله الى حفظ الله. وفي كربلاء اجتهد السيد كاظم في نشر واكمال تعاليم الشيخ احمد ودافع عن أمره وأجاب على كل سؤال، مما حيّر عقول أتباعه وزاد في حسد معارضيه الجهلاء الذين كانوا يصيحون في وجهه قائلين: "إننا تحملنا تعاليم الشيخ الادعائية مدة اربعين سنة بدون أي معارضة من جانبنا، والآن يدعي السيد مثل ادعائه، فلا يمكننا والحالة هذه تحملها او السماح بنشرها فهو لا يعتقد بقيامة الجسد، وينكر المعراج الجسماني ويعتبر علامات اليوم الأخير انها استعارية وجميع ذلك مخالف لقواعد الاسلام الصحيحة، فآراؤه التي يقوم على نشرها بدعة مضلة". ولكن السيد لم يعبأ بصيحاتهم واستمر في مجهوده، وكلما زاد صخبهم كلما زاد ثباتا عملا بالوصية. وأخيرا ارسل خطابا الى الشيخ يعلمه فيه بالمصاعب التي حلت عليه والتهم التي وجهت ضده، ويسأله فيه عن مقدار الزمن والوقت الذي يستطيع فيه ان يتحمل جهل وتعصب هؤلاء القوم العنودين وعن الوقت والميعاد الذي يظهر فيه الموعود حتى يتخلص من مجابهتهم. فأجابه الشيخ بقوله: " ثق بفضل الله ولا تحزن من أعمالهم، فسيظهر الله سرّ هذا الأمر وينكشف الغطاء عن مكنون الرسالة، ولا أزيدك شيئا على هذا ولا أعين لك[17] زمناً معيناً، وستعلمون نبأه بعد حين[18] ولا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم".

فما أعظم وما أسمى الأمر الذي كُتبت بسببه مثل هذه الكلمات الى شخص عظيم مثل السيد كاظم، وكان جواب الشيخ أحمد مما طمّن خاطر السيد وقواه على متابعة عمله بمضاعفة المجهود الأول مستمرا على مقاومة هجمات العدو الحسود الماكر.

وتوفي الشيخ احمد سنة 1242هـ وكان عمره 81 سنة[19]، ووضع جسده في مقبرة البقيع[20] في المدينة المنورة، وراء حائط مرقد الرسول.

الحواشي

1 – ولد في رجب سنة 1166هـ (24 ابريل – 24 مايو سنة 1753م) في بلدة الاحساء من اقليم الاحساء في الشمال الشرقي من بلاد العرب (انظر مقالة عن الشيخية للمؤلف ا. ل. م. نقولاس جزء اول صحيفة 1) وولد شيعيا ولو ان اجداده كانوا من اهل السنة (صحيفة 2)، وتبعاً للمستر إي. ج. براون، ولد الشيخ احمد سنة 1157هـ وتوفي سنة 1242هـ (انظر مقالة سائح حاشية إي صحيفة 235).

2 – وكانت نسبته كما رواها نجله الشيخ عبد الله ما يأتي: الشيخ احمد بن زين العابدين بن ابراهيم بن صقر بن ابراهيم بن ظاهر بن رمضان بن راشد بن دهيم بن شمروخ بن صولح. (كتاب مقالة على الشيخية صحيفة 1 جزء أول تأليف نقولاس).

3 – كتب السيد كاظم في كتابه دليل المتحيرين ما يأتي: "ان مولانا رأى الامام الحسن عليه السلام ذات ليلة، وضع لسانه المقدس في فمه، فمن رقيه المقدس ومعونة الله تعلم العلوم وكان في فمه كطعم السكر وأحلى من العسل وأطيب من رائحة المسك. ولما استيقظ أصبح في خاصته محاطاً بأنوار معرفة الله طافحاً بأفضاله منفصلاً عن كل ما هو مغاير لله وزاد اعتقاده في الله في نفس الوقت الذي ظهر فيه استسلامه لارادة العلي. وبسبب

ازدياد شوقه والرغبة الشديدة التي استولت على قلبه نسي الأكل واللبس، اللهم الا ما يسد به حاجته الضرورية". (ا. ل. م. نقولاس مقالة على الشيخية صحيفة 6 جزء اول).

4 – وكان الشيخ احمد يعلم بأن الله اختاره ليعد قلوب الناس لقبول الحق الذي سوف يظهر عن قريب وانه بواسطته يسهل فتح الطريق الى المهدي الامام الثاني عشر المختفي، ولم يكتب ذلك بلغة واضحة مفهومة لئلا يمزقه الأشرار. (من كتاب اتحاد الأمم والأديان للدكتور جيني صحيفة 15).

5 – تقع كربلاء في الجنوب الغربي من بغداد على بعد 55 ميل عن شاطئ الفرات، ويقع قبر الحسين في وسطها، وقبر أخيه العباس في الربع الجنوبي الشرقي (انظر تاريخ إيران لماركهام صحيفة 486)، اما النجف فيقدسها الشيعة لأنها تحوي قبر الامام علي(ع).

6 – ان أخص عقايد الشيخ احمد هي كما يأتي: (ان جميع العلوم والمعارف موجودة في القرآن ولأجل فهم معاني بواطنه الكلية يقتضي معرفة العلوم ابتداء والاطلاع عليها ولأجل ايضاح هذه العقيدة كان يستعمل طرقا حرفية في تفسير الكتاب، واجتهد ان يطبق عليه جميع انواع العلوم المعروفة في العالم الإسلامي، وكان يزدي احتراما زائدا للأئمة وخاصة للامام جعفر الصادق وهو السادس في ترتيب الأئمة وكان دائم الاقتباس من أقواله. وفيما يتعلق بأحوال الآخرة وقيام الأجساد، كان اعتقاده معدوداً من الهرطقة، فقد قرر ان جسم الإنسان مكون من أجزاء متباينة مستمدة من الطبائع الأربعة والأجسام التسعة السماوية، واما الجسم الذي يقوم في يوم القيامة لا يتكون الا من الأجزاء السماوية. واما الطبائع الأربعة فانها تعود الى أصلها بمجرد الوفاة. اما هذا الجسم الهرقولي فهو الذي يعود، وبسبب هذه الآراء اعتبره باقي العلماء مبتدعاً واتهموه بأنه يوافق آراء الملا صدرا أكبر فيلسوف ايراني في الزمن الحديث. (انظر جريدة الجمعية الآسيوية الملكية سنة 1889م مقالة عدد 12 صحيفة 890–891).

7 – في القرن التاسع الميلادي دفنت رفاة الامام الرضا بن الامام موسى وثامن الأئمة الإثني عشر في مشهد.

8 – وفي ارض الفاء (فارس) يوجد مسجد قد شيد في وسطه بناء شبيه بالكعبة (مسجد الجمعة) ولم يُبن ذلك البناء الا علامة قبل ظهور الأمر من الله ببناء البيت في هذه الأرض "اشارة الى منزل الباب في شيراز" طوبى لمن يعبد الله في تلك الأرض وانا قد عبدناه هناك ودعونا الله لمن شيّد هذا البناء. (من كتاب البيان الفارسي الجزء الثاني صحيفة 151 ترجمة فرنساوي).

9 – عدد نقولاس في كتاب مقالة على الشيخية في الفصل الخامس نحوا من 96 كتاب مما كتبه الشيخ احمد ومن بينها ذكر اشهرها كما يأتي: 1– شرح الزيارة على الجامعة الكبيرة للشيخ هادي 2– شرح آية قل هو الله أحد 3– الرسالة الخاقانية جواب فتح علي شاه على سؤاله بخصوص امتياز القائم على اسلافه 4– رسالة في الاحلام 5– جواب الشيخ موسى البحرين بخصوص دعوى صاحب الزمان 6– جواب الصوفية 7– جواب الملا مهدي الاسترابادي في معرفة النفس 8– في نعيم وجحيم الحياة الاخرى 9 – جواب الملا علي أكبر في أحسن الوسائل للوصول لله 10– في القيامة.

10 – وكان لنبأ وصوله رنة بين العلماء وخاصة أكابرهم الذين قابلوه بكل احترام والتفوا حوله وقلدهم في ذلك سكان المدينة وجاء جميع العلماء لمقابلته وكانوا يعتقدون انه اشهر عالم بين أكابر العلماء. (من كتاب مقالة في الشيخية لنقولاس صحيفة 18).

11 – ويقول نقولاس في كتاب مقالة في الشيخية "صحيفة 19–20" بأن الشاه ارسل له خطابا آخر قال له فيه "انه يعلم انه من الواجب عليه الذهاب الى يزد لمقابلة العلامة الشهير والرجل القدسي الذي تبركت بأقدامه البلاد التي وطأها، الا انه لاسباب سياسية خطيرة لا يقدر في الوقت الحالي على مفارقة تخت المملكة وخاصة انه لو سافر منها يكون مضطرا لاصطحاب عشرة آلاف من الرجال والاتباع وتضيق بهم مدينة يزد الصغيرة، وقال انه لذلك يرجو ان يتنازل الشيخ لزيارته، وزاد على ذلك بقوله (مع علمي الأكيد بحقارتي أمامك).

12 – وكان السيد كاظم من اسرة مشهورة بالتجارة واسم والده أقا سيد قاسم ولما بلغ من السن اثنى عشرة سنة كان يقطن في اردبيل قريبا من قبر الشيخ صفي الدين اسحق من اولاد الامام موسى الكاظم سابع الأئمة، وجد الملوك الصفوية، وفي ذات ليلة رأى احد أسلاف الشيخ يأمره بأن يكون تحت أمر الشيخ الاحسائي الذي كان مقيما إذ ذاك في يزد، فسافر بناء على هذا الأمر الى هناك واندمج ضمن تلاميذ الشيخ احمد ونبغ في تعاليمه لدرجة انه اعترف له بالاجماع عند وفاة الشيخ بأنه هو الرئيس للشيخية. (من كتاب مقالة سائح حاشية نمرة إي صحيفة 238).

13 – وكان الشاه يشعر بزيادة احترام وتقدير الشيخ ويعتقد ان من الفرض عليه طاعته وان مخالفته كفر. وحصلت في تلك الأيام جملة زلازل في الري وسقطت جملة منازل ورأى الشاه في الرؤيا من قال له لولا وجود الشيخ احمد لكانت المدينة قلبت رأساً على عقب وقتل جميع السكان، فإنتبه مرعوبا وزاد اعتقاده في الشيخ (من كتاب مقالة في الشيخية لنقولاس جزء اول صحيفة 21).

14 – يقول ميرزا ابو الفضل في كتاباته ان نسبة حضرة بهاءالله يمكن تسلسلها الى أنبياء إيران القدماء وكذلك الى الملوك الذين حكموا تلك البلاد قبل احتلال العرب.

15 – وكانت كرمنشاه تنتظره بفروغ صبر وكان البرنس محمد علي حاكمها قد أخرج المدينة بأسرها لملاقاته وشيد خياما لاستقباله في شاه كيلان ومشى البرنس أمامه لغاية تاج عباد التي تبعد 4 فراسخ عن المدينة (من مقالة في الشيخية لنقولاس جزء أول صحيفة 30).

16 – ذكر نقولاس في مقدمته على كتاب رسالة في الشيخية: اقتبس الآتي من الاقوال التي تنسب للشيخ احمد مما قاله للسيد الرشتي "لا يوجد سوى السيد كاظم الرشتي الذي يعرف مقصدي ولا يقدر ان يفهمه احد خلافه، فاطلبوا علومي من السيد كاظم الرشتي، فقد تلقاها مني مباشرة وهي التي تلقيتها من الأئمة الذين تلقوها من رسول الله(ص). فهو وحده الذي يعرف مغزى كلامي".

17 – أشار حضرة الباب نفسه الى هذه الفقرة في الدلائل السبعة وأيدها بقوله (وهذا معروف من أقوال الشيخ أحمد الاحسائي وتوجد دلائل لا تحصى خاصة بهذا الظهور، فمثلا كتب بيده للسيد كاظم الرشتي قائلا "كما انه ينبغي لبناء المنزل وجود الأرض، كذلك يلزم لهذا المظهر من قيام الوقت، ولكن الآن لا يمكن الاجابة عن تحديد هذه الساعة، ومع ذلك فهي معلومة على وجه اليقين" فكل هذا الذي سمعته بنفسك مرارا من السيد كاظم ألم يكن واضحاً؟ ألم يكرر قوله "ألا ترضون أن أذهب ويظهر لكم الله" ا.هـ. من كتاب الدلائل السبع ترجمة نقولاس صحيفة 58. وفيه ايضا الحكاية الآتية الخاصة بالشيخ احمد في طريقه الى مكة، فان بعضاً من تلامذته رووا انهم سمعوا بان الملا عبد الخالق ومرتضى قلي قالا ان الشيخ أخبرهما يوما قائلا "صلوا حتى لا توجدوا في يوم الظهور والرجعة لأنه سوف توجد حروب أهلية كثيرة واذا عاش أحدكم ليرى هذا الوقت يشاهد أمورا عجيبة بين سني 60، 67، وأعجب الكل نفس المظهر، فسوف تشاهدوا أمرا عجيبا لأن الله اذا اراد نصرة هذا المظهر يظهر هيكلا يتكلم عن نفسه وبدون ان يتعلم من احد) (صحيفة 59–60).

18 – بحسب حساب أبجد، كلمة "حين" تساوي من العدد 68 وفيها أظهر بهاءالله أمره كما يعلم من القصائد التي كتبها سنة 1268هـ.

19 – توفي في مكان يدعى الحدّة بجوار المدينة "انظر مقالة في الشيخية صحيفة 60 جزء أول".

20 – ونقل جسده الى المدينة ودفن في مقبرة البقيع خلف حائط القبة النبوية الى جهة الجنوب تحت ميزاب المحراب، ويقال ان هناك ايضا قبر فاطمة امام بيت الحزن "صحيفة 60–61 من مقالة في الشيخية"، وقد أعقب وفاة الشيخ احمد لمدة بضعة ايام هدوء. ويظهر ان الاهواء قد سكنت وذلك في وقت اصيب فيه الاسلام بنكبة وتضعضعت قوته، لأن امبراطور الروسيا أخضع أمما اسلامية، وأغلب البلاد المأهولة بالمسلمين وقعت فريسة لجيش موسكو. "انظر الجزء الثاني من كتاب مقالة على الشيخية صحيفة 5"، وكان قد ظن انه بوفاة الشيخ احمد تنقرض تعاليمه وتتلاشى، ومرت سنتان ساد فيهما الهدوء، الا

انه لم تمضي تلك المدة الا ورؤي ان تعاليمه قد اشرقت على العالم مرة اخرى بواسطة السيد كاظم الرشتي أقدر تلاميذه "صحيفة 5-6 ".

الفصل الثاني

رسالة السيد كاظم الرشتي

ان اخبار وفاة الشيخ احمد قد احزنت قلب السيد كاظم وامتلأ منها أسى، ولكنه قام لاتمام عمله الذي أوصاه به رغما عن معارضة الأعداء، وتشجع بالآية الكريمة (يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون) وقد وجد نفسه من بعد ذلك المربي الممتاز فريسة لعداوة كثير من الناس حوله ممن تنطق ألسنتهم بفحش القول ولا يأنفون من التهكم عليه والاستهزاء بتعاليمه وتوهين كرامته وقد اجتمع جميع أعداء السيد كاظم معا بإشارة من رئيس شيعي شهير مقتدر يدعى سيد ابراهيم قزويني وأخذوا في عمل تدبير لإهلاكه، ولذلك فكر السيد كاظم في الحصول على مساعدة أحد

أعاظم رجال الدين في إيران من الرؤساء البارزين وهو الحاج سيد محمد باقر الرشتي الذي كان مقيما في اصفهان والذي كانت تمتد سلطته خارج حدود تلك المدينة، وفكر السيد كاظم في انه يمكن ان يعتمد عليه لسبق معرفته به وصحبته معه وعطفه عليه وان يواصل مجهوداته في اعلاء أمره بين تلاميذه، فكان دائما يشير اليهم قائلا (هل فيكم من يقدر ان يسافر الى اصفهان منقطعا عن كل شيء ويوصل هذه الرسالة مني لهذا السيد العلامة ويقول له: "لماذا أظهرت في مبدأ الأمر احتراما ومحبة للشيخ أحمد وتعاليمه، والآن فجأة تركت اتباعه وانفصلت عنهم، ولماذا تركتهم تحت رحمة أعدائهم". ولعل هذا الرسول يقوم متوكلا على الله ويفسر له كل ما أشكل على عقله ويزيل جميع الشكوك التي أوجبت ابتعاده، ثم يأخذ منه إقرارا بصحة تعاليم الشيخية ووجاهتها وشهادة منه بعلو شأن الشيخ أحمد، فاذا أجاب الى ذلك يذهب ايضا الى مشهد وهناك يقابل ميرزا عسكري، أكبر عالم في تلك المدينة المقدسة وبعد اتمامه لهذه المأمورية، يعود ظافراً الى هذا المكان). وكان السيد يكرر هذا الطلب كلما حانت الفرصة. فلم يرض أحد بتحمل هذه المشاق سوى ميرزا محيط كرماني، الذي أظهر استعداده للقيام بهذه المأمورية. فأجابه السيد كاظم قائلا (احذر ان تمس ذيل الأسد، فلا تقلل من شأن مثل هذه المهمة). ثم التفت الى تلميذه الملا حسين بشروئي المدعو باب الباب[1] وخاطبه قائلا: (قم أنت وأتمم هذه المأمورية، لأني أعتبرك كفأً لها، وسوف يساعدك القدير عليها ويكلل أعمالك بالنجاح).

فوثب الملا حسين بكل فرح وقبّل طرف رداء سيده وابتسم له بالطاعة وقام تواً لرحلته وبانقطاع تام وعزم شريف اضطلع بأعباء هذه المأمورية. واذ وصل الى اصفهان طلب في الحال الحضور امام السيد، ومع انه كان مرتديا لباسا حقيرا وعليه غبار السفر ظهر في وسط التلاميذ الذين كانوا جميعهم في أكمل حلة كأنه شخص حقير وبدون ان يشعر بقدومه أحد وبغير خوف تخطى الصفوف حتى وصل الى مقعد مواجه للسيد، وبكل شجاعة واقدام وثقة مما كان ينفثها في روعه السيد كاظم، قام وخاطب الحاج سيد محمد باقر بهذه الكلمات (اسمع كلامي أيها السيّد، لأن بإجابتها تنصر دين رسول الله، وبرفضها تسبب أضرارا بليغة له) واستمر في الكلام على هذا المنوال بكل جسارة وقوة مما أوجب الدهشة عند السيد، فقطع درسه فجأة ولم يعبأ بالتلاميذ الحاضرين واستمع بالتفات الى الرسالة التي جاء بها هذا الزائر الغريب، ولكن تلاميذ السيد الذين دهشوا من جسارة هذا الدخيل سفهوا ادعاءاته وأخذوا يزجرونه، فأشار الملا حسين في أدب كبير الى جفائهم وسخافتهم وأظهر دهشته من صلفهم وغرورهم. وسُرّ السيد من براعة هذا الزائر، وللدلالة على عدم موافقته على غلظة التلاميذ، أظهر سروره من مقدم هذا الشاب وأكرمه وطلب منه إبداء رسالته، فعرّفه الملا حسين بالمأمورية التي عهد بها اليه، فأجابه (إنا كنا في أول الأمر نعتقد ان تعاليم الشيخ احمد والسيد كاظم فيها تقدم الدين وان لا غرض لهما الا مصلحته، ولكنا لاحظنا أخيرا وجود متناقضات واشارات خفية في كلامهما، ففضلنا ان نلتزم السكوت ردحا من الزمن وان نمتنع عن المدح او القدح فيها). فأجاب الملا حسين (إني آسف

على سكوتك هذا لأني أعلم ان في ذلك ضياعا للفرصة الثمينة لاعلاء كلمة الحق، فعليك ان تظهر ما أشرت اليه من وجود تناقض في كلامهما وأنا أفسر لك معناه بمعونة الله تعالى).

وكانت مهابة هذا الرسول المفاجئ ووقاره وثقته قد ادهشت الحاج السيد محمد باقر، الذي رجاه في ان لا يستعجل الموضوع في الوقت الحالي وان يرجئه الى وقت يكونان فيه على انفراد ويتمكن فيه من اظهار شكوكه. فلم يقبل الملا حسين التسويف لاعتقاده ان ذلك يضر بالأمر المحبب لقلبه. وصمم على ضرورة حصول الاجتماع تواً والمفاوضة في المسائل الخطيرة التي أظهر استعداده لحلها وبيانها، فتأثر السيد لذلك حتى جرت دموعه من تأثره من حماس ذلك الشاب ومن المصداقية البادية على وجهه، وأرسل واحضر بعض كتب الشيخ أحمد والسيد كاظم وشرع يسأل الملا حسين عما أبهم عليه، فكان يجيبه عليها بعلم واسع وحكمة سديدة. واستمر الملا حسين على اظهار الحق والدفاع عن الأمر حتى قطع صوت المؤذن حديثهما مناديا للصلاة، وعادت الكرّة في ثاني يوم، وكان السيد وجميع تلاميذه صامتين يستمعون لبيانات الملا حسين الفصيحة دفاعا عن المهمة التي أوكله بها الشيخ احمد وخليفته السيد كاظم من الحضرة الإلهية. وحصل سكوت عميق من السامعين، وأخذهم العجب من طلاوة حججه وحلاوة عباراته، فوعد السيد انه سوف يصدر في اليوم التالي فتوى يثبت فيها علو مقام الشيخ احمد والسيد كاظم، وان كل من يخالفهما يخالف في الوقت نفسه دين الرسول بذاته، ويشهد لهما كذلك بسعة اطلاعهما وقوة كشفهما وصحة فهمهما للاسرار المودعة في دين محمد(ص).

وبرّ السيد بوعده وكتب بيده الفتوى التي وعد بها، وكانت كتابته مفصلة، وامتدح في أثنائها علم واخلاق الملا حسين وتكلم بعبارات التفخيم والاجلال للسيد كاظم واعتذر عن مسلكه القديم ووعده بأنه في مستقبل الايام يتدارك ما فاته، وقرأ فتواه بنفسه لتلامذته وسلمها مفتوحة الى الملا حسين، وصرح له بان يطلع من يشاء عليها حتى يعلم الخاص والعام اخلاصه للسيد الرشتي. ولما استأذن الملا حسين في الانصراف، أمر السيد أحد اتباعه ان يتبعه ويعلم مقره، فراقبه عن بعد ووجده قد دخل بناءً معداً كمدرسة[2] ونام في احدى غرفها، ولم يكن بها من الفرش سوى حصير مقطعة مفروشة على البلاط، وبعد ان صلى وشكر الله، نام وتغطى بعباءته، فلما علم السيد بذلك، ارسل له في ثاني يوم مبلغ 100 تومان[3] مع رسول، مع اعتذاره لسيده (السيد كاظم) من عدم امكانه اكرام رسوله بما يليق بمقامه، ولكن الملا حسين رفض استلام المبلغ، وقال للرسول (قل لسيدك ان عطيته الحقيقية هي عطفه وإكرامه لي وما أظهره من التسامح وسعة الصدر الدال على علو مقامه نحو غريب مثلي أتاه برسالة، فأرجع الى سيدك النقود لأني لا اريد مكافأة ولا جزاء "إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا"(قرآن 9/76)[4] ورجائي من سيدك هو ان لا تمنعه الرئاسة الارضية عن الشهادة والاعتراف بالحق). وكانت وفاة حاجي سيد محمد باقر قبل سنة الستين التي هي سنة الظهور ودعوة حضرة الباب، وكان لآخر لحظة من حياته من أشد أنصار السيد كاظم وأكبر المعجبين به.

ولما أتم الملا حسين الجزء الأول من مهمته، أرسل فتوى الحاج سيد باقر الى مولاه في كربلاء، وعزم على الارتحال الى مشهد وبذل الجهد لتوصيل

الرسالة الى ميرزا عسكري، وما كاد الخطاب الذي يتضمن الفتوى يصل الى السيد كاظم، حتى ابتهج وارسل اليه رد الجواب مقدرا كفاءته على أداء المأمورية وقيامه بها خير قيام. وكان قد ابتهج بوصول الفتوى وخطاب الملا حسين حتى انه قطع الدرس وقرأهما للتلاميذ، ثم قرأ عليهم فيما بعد الرد الذي أرسله الى الملا حسين، اعترافا منه بالخدمة الفريدة التي أداها. وفيها أظهر ما هو عليه من الكفاءة والاخلاق المرضية وأطراه إطراءً شديداً على استعداده وعلو كعبه، حتى ان الذين سمعوا ذلك المدح ظنوا ان الملا حسين هو المنتظر الذي كان دائما سيدهم يشير اليه والذي يقول عنه انه موجود بينهم ولكنهم لا يعرفونه وهو مستور عنهم. وكانت هذه الرسالة في نظر الملا حسين أقوى حجة لمقاومة هجوم الأعداء عليه وعنوان الشرف لكل مؤمن مخلص حتى انه ازداد بها خشية لله. وكانت مكتوبة بقالب المحبة حتى ان كل من يقرأها لا يشك في ان كاتبها يودّع فيها تلميذه المحبوب ويقطع الأمل في رؤيته مرة اخرى في هذا العالم.

وكان السيد كاظم على تمام العلم باقتراب الساعة التي يظهر فيها الموعود[5] وبالحجبات التي تمنع الباحثين من تفهم ومعرفة جمال الظهور المستور. وقد بذل جهده تدريجياً بالحكمة في إزالة تلك الحجب والعقبات التي تقف في سبيل كنز الله المستور، وكان دائما يشير الى اتباعه (بأن الموعود الذي تنتظرونه لا يأتي من جابلقا ولا من جابلصا[6]، بل هو موجود في وسطكم وترونه بأعينكم ولكنكم لا تعرفونه). وكان يقول لتلاميذه عن علائم الظهور (بأنه من نسل شريف من سلالة رسول الله من سبط هاشم وهو حديث

السن وعلمه لدنّي وليس مستفادا من تعاليم الشيخ احمد بل من الله. وان علمي لم يكن إلا كقطرة بالنسبة الى بحر علمه، واجتهادي إلا كالنقطة من التراب أمام عجائب فضله وقدرته، ولا يوجد قياس بينهما، فأين الثَرى من الثريا، وإنه لمتوسط القامة ولا يشرب الدخان وعلى غاية من الاستقامة والصلاح والتقوى[7]). وكان البعض من التلاميذ يظنون ان السيد هو الموعود رغم صدور هذه التعليمات منه، وظنوا ان جميع العلائم تنطبق عليه، وأخذ ملا مهدي خوي أحد أتباعه في ذكر هذا الاعتقاد علانية، فانتهره السيد وغضب عليه وكان على وشك طرده من جملة الأتباع المخلصين، ولكن التلميذ المذكور رجاه ان يصفح عنه بعد توبته.

ومما حكاه لي الشيخ حسن الزنوزي انه كان يعتقد مثل هذا الاعتقاد، وكان يطلب من الله دائما ان يخلصه من هذا الوهم اذا كان اعتقاده غير صحيح، وقال:-

(كنت اضطربت من هذا الأمر لدرجة اني لم آكل ولم أشرب ولم أنم جملة ايام، وكنت أصرف الوقت دائما في خدمة السيد كاظم الذي كنت دائم التعلق به. وذات يوم في الفجر أيقظني ملا نوروز احد أتباعه وأمرني بولهٍ أن أقوم وأتبعه، فقمت وذهبنا سويا الى منزل السيد كاظم حيث وجدناه مرتديا عباءة ومستعدا للذهاب معنا، قائلا "قد حضر شخص جليل القدر وواجب علينا زيارته نحن الاثنين"، وكان الفجر قد انبثق ونحن نسير في شوارع كربلاء، ووصلنا الى منزل كان يقف على بابه شاب كأنه ينتظر مقابلتنا، وهو يلبس عمة خضراء ويظهر على محياه الخشوع واللطف الذي لا أقدر ان أصفه،

وتقدم نحونا ببطئ وعانق السيد بكل محبة وكان شغفه ولطفه في معانقة السيد لا يقل عن احترام السيد له احتراماً عميقاً، وقد قابل أشواق واحترام الشاب المتكررة بالتزام السكوت وإحناء الرأس، وسرعان ما أخذنا الى غرفة عليا مزينة بالزهور ومعطرة بأروح الطيب وأمرنا بالجلوس، وكان السرور قد شملنا بدرجة اننا لم نكن نشعر بالمقاعد التي جلسنا عليها، وشاهدنا كوباً من فضة موضوعاً في وسط الحجرة، وسرعان ما ملأه مضيفنا وناوله للسيد كاظم قائلا (وسقاهم ربهم شرابا طهورا)"قرآن 21/76"، فأمسك السيد الكأس من يده وانتهله وامتلأ هيكله بسرور فائق عن الحد، وأنا أيضا أعطاني كوباً من ذلك المشروب ولم يخاطبني بأي كلمة. وكلما دار من الحديث كان خاصا بالآية القرآنية السابقة. ثم بعد هنيهة قام مضيفنا وودعنا لغاية عتبة باب المنزل. وأنا كدت أذوب من التعجب ولم أقدر ان أعبر عن شدة إكرامه وترحيبه وجلال هيكله وجمال ذلك الوجه. وكم كانت دهشتي إذ رأيت أستاذي قد نهل ذلك المشروب بدون أدنى تردد من الكأس الفضي مع ان استعمال هذا المعدن محرم حسب قواعد الاسلام. ولم يمكنني ان أعلل سبب شدة احترام السيد وإجلاله لذلك الشاب احتراما لا يسدى حتى لمقام سيد الشهداء.

وبعد ثلاثة أيام، رأيت ذلك الشاب جالسا وسط حلقة تلاميذ السيد كاظم قريبا من العتبة وكان يستمع للدرس بأدب ووقار، وبمجرد ان وقعت عينه على ذلك الشاب، سكت عن الدرس، فترجّاه أحد تلاميذه ان يستمر، فأجاب قائلا (ماذا أقول لكم زيادة عن ذلك) ولفت وجهه نحو شخص حضرة الباب، ثم قال (إن الحق أظهر من شعاع الشمس الواقع على هذا الذيل)، وفي الحين لاحظت

ان أشعة الشمس كانت واقعة في حجر هذا الشاب الذي زرناه أخيرا. فأجابه السائل (ولماذا لا تكشف لنا عن اسمه او تظهر لنا شخصه؟)، فأشار السيد الى حنجرته بإصبعه، يعني انه لو كشف ذلك لتعرضا للقتل في الحال. وقد زاد ذلك في حيرتي وسمعت من أستاذي مرارا، بأن ضلال هذا الجيل كان بدرجة انه لو أشار بإصبعه الى الموعود وقال (هذا هو محبوب قلبي وقلبكم) لأنكروه وما قبلوه، وقد رأيت بنفسي ذلك السيد يشير بإصبعه الى حجر ذلك الشاب، ومع ذلك لم يفقه أحد المعنى المقصود من الاشارة. وأما أنا فكنت مقتنعاً بأن السيد لا يمكن ان يكون هو الموعود، ولكن بعض السر المستسر أصبح يحوم حول هذا الشاب الغريب الجذّاب، وكثيرا ما أردت ان أتجاسر بالتقدم نحو السيد لسؤاله عن كشف هذا السر، ولكن هيبته كانت تحول دون ذلك، وكثيرا ما كنت أسمعه يقول يا شيخ حسن "افرح لأن اسمك حسن، فابتداؤك حسن وانتهاؤك حسن، وانك تشرفت بلقاء الشيخ أحمد وتقابلت معي وفي المستقبل سيكون لك فرح عظيم لأنك سترى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر".

وكنت كثيرا ما أشعر باشتياق لمقابلة هذا الشاب الهاشمي لأكشف سره وكنت أرقبه يصلي في مشهد الإمام الحسين وهو مستغرق في مناجاته حتى كأنه غير شاعر بمن حوله، وكانت الدموع تذرف من عينيه، وتنحدر من فمه كلمات لا تزيد عنها الآيات في الحسن والقوة والشرف، وتتردد في فمه كثيرا عبارات (يا إلهي ومحبوب قلبي) حتى ان المصلين كانوا كثيرا ما يقطعون صلواتهم ويستمعون لآيات الرحمة والخشوع التي تظهر من وجه ذلك الشاب،

وكانوا مثله يذرفون الدموع مدراراً ويتعلمون منه كيفية العبادة الحقة، وكان هذا الشاب يعود بسكون بعد اتمام صلاته الى منزله بدون ان يمر على عتبة المقام وبدون ان يتكلم مع الذين حوله، وقد رأيت ضرورة مخاطبته، وكنت كلما حاولت الاقتراب منه أجد قوة تحجزني عنه مما لا أقدر ان أصفها. وبالبحث عنه علمت انه قاطن في شيراز وانه يشتغل بالتجارة وانه لم يكن من طائفة علماء الدين وانه هو وأخواله وأقاربه من المعجبين بالشيخ احمد والسيد كاظم، وسمعت بعد ذلك انه مسافر للنجف في طريقه الى شيراز وكان قد أشعل قلبي وذكراه لا تغيب عن مخيلتي وكانت روحي متعلقة به. حتى سمعت ان شابا في شيراز ادعى انه الباب، فخطر في بالي انه لابد وان يكون ذلك الشاب هو محبوب قلبي الذي رأيته في كربلاء. ولما سافرت من كربلاء الى شيراز فيما بعد، علمت انه سافر للحج الى مكة والمدينة، وعند عودته قابلته واجتهدت ان أكون في صحبته، فلما حبس في قلعة ماكو، كنت أكتب الآيات التي أملاها لكاتبه ولمدة تسعة أشهر كان كل ليلة يملي تفسيرا على جزء من القرآن وكان في كل شهر يكمل تفسيرا كاملاً على القرآن بأجمعه، فكمل في أثناء حبسه في ماكو تسعة تفاسير للقرآن، وكانت هذه التفاسير قد أودعت عند شخص يدعى سيد ابراهيم الخليل وكان مأمورا بإخفائها الى ان يأتي الوقت لنشرها، ولم يعلم نصيب هذه التفاسير الى الآن. وذات يوم سألني حضرة الباب بخصوص هذه التفاسير قائلاً (أيهما تفضله في نظرك، هذا التفسير الذي أنزلته الآن أم أحسن القصص، ذلك التفسير الأول على سورة يوسف؟) فقلت له (في نظري أحسن القصص أفضل، لأن فيه قوة وبهجة)، فتبسم لملحوظتي وقال (انك للآن لم

تعرف لحن هذا التفسير الاخير، فإن الحقائق المدونة فيه تمكن الباحث للوصول الى مرغوبه ومطلوبه). وكنت ملازما لحضرة الباب باستمرار الى ان حصلت حادثة الشيخ طبرسي، ولما سمع بها حضرة الباب أمر جميع أصحابه ان يسرعوا ويعاونوا جناب القدوس تلميذه البطل الممتاز، ومرة قال لي (لولا حبسي في جبل الشديد وقلعة جهريق، لكان من الواجب عليّ معاونة محبوبي قدوس، ولكنك أنت غير مفروض عليك الاشتراك في هذه الملحمة بل عليك ان تذهب الى كربلاء وتمكث فيها حتى ترى بعينيك جمال وجه الحسين الموعود كما هو مقدر لك، وعندما تنظر الى وجهه المضيء، تذكّرني وقدم اليه محبتي وخضوعي). ثم زاد على ذلك مرة اخرى قائلاً (اعلم إني أوكلت اليك مأمورية كبيرة، فاحذر من ان يوهن قلبك وتنسى هذا الفخر الذي منحته لك).

وبعد قليل سافرت الى كربلاء كما أمرني ومكثت في تلك المدينة أترقب. وتزوجت خوفا من اتهامي بسبب طول مكثي بها. وابتدأت أتعيش من الكتابة، وكم من المصائب حلت بي من الشيخية الذين ادعوا انهم من اتباع الشيخ احمد، ومع ذلك لم يعرفوا حضرة الباب. ولكني صبرت على أذاهم وفي اثناء ذلك أخذوا ذلك الشاب المقدس من سجنه الارضي، وبواسطة استشهاده تخلص من القسوة الوحشية التي اختتمت بها حياته. ومضى على شهادة حضرة الباب ستة عشر شهراً قمريا الا اثنين وعشرين يوما، الى ان جاء يوم عرفه (هو اليوم التاسع من شهر ذي الحجة سنة 1267هـ الموافق 5 اكتوبر سنة 1851م)، فبينما انا اسير عند الباب الداخلي من مشهد الإمام الحسين، وقعت عيني لأول مرة على حضرة بهاءالله، فما أذكر عن ذلك الوجه الذي رأيته ! فإن

جمال ذلك الوجه وكمال هيئته ولطف محياه الذي لا يقدر القلم على وصفه وكذلك لمحاته النافذة ونضارة وجهه واعتدال قوامه وحلاوة ابتسامه وغزارة ضفائر شعره السوداء الحالكة المتدلية على كتفيه، قد أثرت في نفسي تأثيرا عميقا، وكنت في ذلك الوقت طاعنا في السن، فما أحلى عطفه عليّ وأخذه بيدي حينما تكلم معي بصوت لا يضارعه جمال ولا قوة قائلا (اني عزمت في هذا اليوم ان أشهرك في كربلاء بأنك بابي) وجعل يتكلم معي وهو ممسك بيدي حتى دخلنا السوق، وأخيرا قال لي (إحمد الله الذي بقيت في كربلاء حتى رأيت بعينيك وجه الحسين الموعود)، فتذكرت إذ ذاك كلام حضرة الباب الذي كنت أظن انه يشير به الى مستقبل بعيد ولم أكن شافهت به احداً، فحركت هذه الكلمات لبي الى أعمق درجة وشعرت بأني مجبور في ذلك الوقت على ان أعلن بكل روحي وبما أوتيت من قوة نبأ ظهور الحسين الموعود. ولكنه همس في أذني قائلا (صبراً فإن الساعة آتية قريبا، ولكنها لم تدق بعد، فاطمئن وأصبر). ومنذ ذلك الوقت زالت جميع أحزاني وطفح السرور على قلبي، وكنت إذ ذاك فقيرا جدا، الا ان جميع كنوز الارض تلاشت أمامي عندما قارنتها بما أمتلك، وهذا من فضل الله يعطيه لمن يشاء وهو الواسع الكريم). انتهى.

وسأعود الآن الى أصل المطلب والكلام على شوق السيد كاظم على كشف السبحات التي حالت بين الخلق وبين معرفة المظهر، ففي الكتابين الاولين من كتبه، وهما "شرح القصيدة" و "شرح الخطبة"[8]، كان يشير بكنايات الى اسم حضرة بهاءالله المقدس، وفي آخر رسالة كتبها، ذكر اسم حضرة الباب بقوله (ذكر الله أعظم) وفيها كتب مخاطباً ذلك الذكر[9]

أخاف عليك من قومي ومني ومنك ومن مكانك والزمان

ولو إني وضعتك في عيوني الى يوم القيامة ما كفاني

وكم كان السيد يتحمل إهانة أهل الشرور والفساد بكل شجاعة، فما أنكى تلك الاضرار التي كان ذلك الجيل الفاسق الشرير يوقعها به وكان يتحمل بسكون وهدوء جميع الشتائم والسخرية التي كانت تكال له، ولكنه عاش ليرى في أواخر أيامه كيف ان يد الغيب قد أهلكت جميع معانديه والذين كانوا يكيدون ويدبرون له، فأتباع السيد ابراهيم ذلك العدو اللدود للسيد كاظم تجمعوا في تلك الايام ونادوا بقصد جلب الأذى والخطر على حياة خصمهم القوي وبكل وسيلة نجحوا في تسميم عقول أحبابه والمعجبين به وتقويض سلطته وتلويث إسمه، ولم يرتفع أي صوت في الاحتجاج ضد هؤلاء الخائنين الكفرة الذين كان كل منهم يدعي انه مفسر للتعاليم الالهية وانه مكمن الاسرار ولم يحذرهم او ينبههم احد من سوء اعمالهم، فجمعوا جموعهم وهيجوا فتنة شعواء ونجحوا في طرد مندوب الحكومة العثمانية شر طردة واستولوا بأنفسهم على الموارد المخصصة له ارضاء لاطماعهم الحقيرة، فغضبت الحكومة العثمانية المركزية من تهديدهم ووعيدهم وأرسلت ضابطا حربيا لمكان الثورة ومعه التعليمات لإطفاء نيرانها، فحاصر الضابط المدينة بالقوة التي كانت معه وارسل الى السيد كاظم رسالة يطلب فيها ان يهدئ الثورة الفكرية الموجودة عند هذا الشعب الهائج وان ينصحهم بالاعتدال ويطلب منهم ان يخضعوا لأمره وحكمه وانهم لو فعلوا ذلك يضمن لهم حياتهم ويؤمنهم ويأمر بالعفو العام ويجتهد فيما يكفل لهم راحتهم.

واما اذا رفضوا، فإنه ينذرهم بأن حياتهم تكون في خطر وتنزل عليهم المصائب الجمة.

وبمجرد وصول الرسالة الى السيد كاظم، أحضر رؤساء الفتنة ونصحهم بغاية الحكمة أن يكفوا عن الهيجان وان يسلموا أسلحتهم، وتكلم معهم في ذلك بكل صدق واخلاص وفصاحة وبلاغة حتى لانت قلوبهم وهبطت مقاومتهم وعزموا على فتح أبواب القلعة في اليوم الثاني، وان يسلموا أنفسهم الى القائد بصحبة السيد كاظم وان السيد يتوسط لهم ويطلب لهم العفو والامان وكل ما يلزم لراحتهم، ولكنهم بعد ان تركوا مجلسه قام فيهم العلماء أعداء السيد وحرضوهم على عدم الاذعان، ولعلمهم بان توسط السيد الذي كانوا يحسدونه يكون سببا لاعلاء شأنه وتثبيت سلطته، عزموا على تحريك بعض الغوغاء وحرضوا الحمقى من سكان المدينة على مهاجمة القوة التركية ليلا، وكانوا يؤكدون لهم النصر باقوال مصطنعة، كقولهم ان أحدهم رأى في الرؤيا العباس (أخ الحسين) يأمره بتحريض الناس على الحرب الدينية ضد المحاصرين وانه وعدهم بالنصر النهائي. وإذ خدعوا من هذا الوعد الكاذب، رفضوا نصيحة ذلك الرئيس العادل وقاموا على تنفيذ رغبة هؤلاء المهوسين، ولما كان السيد كاظم عالما بالضرر الذي سيلحق بالثائرين، كتب رسالة الى القائد التركي نجيب باشا وأفهمه حقيقة الموقف، فأجابه القائد مرة اخرى طالبا منه اعادة النصح للأهالي وانه سيفتح أبواب المدينة في ساعة معينة ولا يؤمَّن أحدا فيها الا من التجأ الى منزل السيد. ولما وصلت الرسالة قام السيد بنشرها في كافة انحاء المدينة، فقابلوها بالاستهزاء والسخرية، ولما أخبر بذلك قال (إن موعدهم الصبح أليس

الصبح بقريب)(قرآن 11/81). وفي الفجر في الساعة المعينة هاجمت القوات المرابطة القلعة وهدموا الاسوار واستبيحت المدينة قتلا ونهبا وهرب الكثيرون ملتجئين الى حرم المقام الحسيني والتجأ آخرون الى مقام العباس وهرع الى منزل السيد كاظم أحباؤه ومعارفه وازداد عددهم بدرجة انه اضطر الى اضافة المنازل المجاورة لمنزله لتكون حرما لجميع للاجئين وازدادت الجموع التي هرعت الى منزله حتى انه بعد هدوء الحالة، وجدوا عشرين شخصا توفوا من شدة الزحام، وما كان أشد انزعاج سكان المدينة المقدسة والزائرين لها وما أقسى ما عامل الفاتحون الاهالي الخائفين، وبكل جسارة تجاهلوا الحقوق المقدسة التي كان الحجاج المسلمون يسدونها للمقامات المقدسة فيها ولم يعترفوا بحرمة مقام الحسين(ع) ولا مقام العباس المقدس كحرمين للاجئين، فقتل فيهما آلاف من الهاربين اليهما للاختفاء وجرت دماء القتلى في صحن المقامين، وما كان يوجد في المدينة كلها مكان مأمون سوى منزل السيد كاظم مع متعلقاته، فكان حرما مقدسا يتمتع بأمان لم تتمتع به مقامات الشيعة المقدسة. وكان هذا الغضب الالهي العجيب درسا قاسيا للذين قللوا من أهمية ذلك الرجل المقدس السيد كاظم. وكان حصول[10] هذه الحادثة التاريخية سنة 1258 هجرية في ثامن ذي الحجة (10 يناير سنة 1843م).

ومن المعلوم ان رسل الحق والذين مهدوا الطريق لقبوله كانوا في كل عصر مبتلين بمعاندين من ذوي القوة والسطوة الذين كانوا دائما يجتهدون في افساد تعاليمهم، وقد نجحوا وقتيا في اضلال الجهال لرغبتهم في جعل عقول وأفكار الناس في قبضة يدهم ليتمكنوا من جني ثمار السلطة الدنيوية الزائلة

مادام أن دين الله يبقى محجوبا، إلا انه لا يكاد أمر الدين الحق يشتهر حتى يجدوا لفرط دهشتهم ان جميع آثار مجهوداتهم وتدابيرهم الباطلة تذوب وتتلاشى أمام أنوار يوم الله الجديد. وتذهب أعمالهم ويذوب مكرهم وضلالهم أمام شعاع الشمس الطالعة ويكون كالهباء المنثور.

وقد اجتمع ايضا حول السيد كاظم عدد من المغرورين الذين يدعون التعلق به ويتظاهرون بالصلاح والتقوى ويظنون انهم مخزن أسرار الشيخ أحمد وخلفاؤه من بعده وكانوا يجلسون في الصفوف الاولى في المقاعد في درس السيد، ورغما عن انه كان يلقي عليهم درسه ويظهر لهم احترامه فانه كان يشير من طرف خفي وفي لحن القول الى عمههم وغرورهم وعجزهم عن فهم الاسرار الالهية وكان يقول (لا يفهم قولي الا المولود مني) وكان كذلك كثيرا ما يقول (يأخذني الفكر ويدهشني ان أرى العالم محروما من القوة السامعة فلا أقدر ان أكشف السر لأن الناس لا يقدرون ان يتحملوا أثقاله) ومرة كان يتمثل بقول الشاعر:

وكل يدعي وصلا بليلى وليلى لا تقر لهم بذاكا

اذا انبجست دموع من مآق تبين من بكى ممن تباكى

وكثيرا ما كان يشير الى الموعود ويقول (ان الذي يظهر بعدي هو من السلالة الطاهرة من النسب الرفيع من ذرية فاطمة وهو متوسط القامة وخال من العيوب الجسمانية والعاهات[11]).

وسمعت الشيخ ابا تراب[12] يحكي الآتي:- (إني مع تلامذة السيد، علمنا من قوله السابق واشارته الى العاهات الجسمانية، انه أشار ضمنا الى

الـذين لا يصـلحون ان يكونـوا خلفـاءه لوجـود عاهـات بهـم وأولهـم ميـرزا كـريم خـان[13] بـن ابـراهيم خـان القاجـاري الكرمـاني، الـذي كـان أعـور العـين وكـث اللحية، وثانيهم ميرزا حسن جوهر الذي كان ذا جسم بدين جدا، والثالث ميرزا محيط شاعر كرماني، كان ذا طول مفرط ونحافة زائدة، وكنا مقتنعين بأنه لا يوجد احد يدعي تلك الدعوى بالباطل سوى هؤلاء الثلاثة الذين كان السيد دائما يصـفهم ويشـير الـيهم بـأنهم عـديمو الايمـان ومغـرورون وانهـم سـوف يـدعون بالباطل ويظهرون حمقهم وجهالتهم. أما الحاجي كريم خان فقد لازم السيد عدة سنين وأخـذ عنـه علمـه الـذي يدعيـه، واخيـرا استأذن منـه ان يقيم فـي كرمـان، وهناك يشتغل في ترقية الاسلام واذاعة تلك الاحاديث التي حامت حول ذكرى أئمة الهدى. ومرة كنت موجودا في مكتبة السيد كاظم اذ وصل رسول الحاجي ميـرزا كـريم خـان وبيـده كتـاب، فقدمـه للسـيد ورجـاه ان يقـرأه ويصـادق علـى محتوياته بخطه. فقرأ السيد بعض فصوله وأعاده للرسول قائلا: قل لسيدك انه أقوى من غيره على تقدير كتابه. فلما ذهب الرسول كلمني السيد بصوت حزين قائلا (الا لعنة الله عليه، انه عاشرني عدة سنوات، والآن إذ أراد الانفصال كان غرضـه الوحيد بعد صـرف السنوات العديدة في الدرس والصـحبة ان ينشر في كتابـه قواعد الكفر والالحـاد وهـي مـا يريـدني ان اقرظهـا، وقد اتـفق مـع بعض الملحدين علـى ان يتخذ لـه مركزا فـي كرمـان، حتـى بعد فراقي من هذا العـالم يمسك زمام القيادة والرياسة، فما أخطأ ظنه في ذلك لأن نسيم الوحي الالهي قد هب من ربيع الهداية وسوف يطفئ ناره ويهدم سلطته فلن تثمر شجرة وجوده سوى الخزي والوهم الباطل، واني الحق أقول لك انك سوف ترى بعينيك كل

ذلك واطلب من الله ان يحفظك من فتنة هذا الدجال الذي يعاند الموعود في مستقبل الايام). وقد طلب مني السيد ان أخفي ذلك النبأ الى يوم القيامة ذلك اليوم الذي تكشف فيه يد الغيب الاسرار المستورة في قلوب وصدور الرجال. وقال لي (في ذلك اليوم قم على نصرة أمر الله بقوة لا تتزعزع وعزم متين وانشر في كل مكان ما سمعت وما رأيت).

وكان الشيخ ابو تراب في ابتداء اعلان الأمر قد ظن ان من الحكمة ان يستر ايمانه، وبقيت في قلبه تلك النار الكامنة حتى أدى اشتعالها أخيرا الى سجنه في طهران في نفس السرداب الذي سجن فيه حضرة بهاءالله، وتوج ختام حياته بتاج التضحية وفخر الشهادة. واذ قاربت ايام السيد كاظم على الانتهاء، كان يعظ مريديه إما سراً واما علانية، بقوله (يا أحبائي، حذار حذار ان تخدعكم الدنيا بغرورها واحذروا ان تنسوا الله وتزدادوا غرورا على غروركم. عليكم برفض اللذات الدنيوية والممتلكات الارضية والاهل، في طلب مرغوب قلوبكم وقلبي. وتفرقوا في كل جهة وتخلوا عن متعلقات الدنيا وادعوا ربكم تضرعا ان يهديكم، ولا تهنوا في عزمكم حتى تجدوا من اختفى خلف حجاب العظمة، وواظبوا على ذلك حتى ان مولاكم وهاديكم الحقيقي يساعدكم بفضله ويمن عليكم بمعرفته، فكونوا ثابتين الى ان يختاركم اصحابا له وتكونوا ناصري أمر القائم الموعود، هنيئا لمن يشرب منكم كأس الشهادة في سبيله. وعلى الذين يؤيدهم الله ليشهدوا غروب كوكب الهداية المنير وظهور شمس الحقيقة الالهية ان يكونوا ثابتين مستقيمين ولا ييأسوا ولا يقنطوا لأن بعد حصول النفخة الأولى التي تهلك الارض بالفناء والموت، سيرتفع نداء آخر تحيى به جميع الاشياء

ويظهر اذ ذاك معنى (ونفخ في الصور فصعق من في السموات والارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون(قرآن 68/39) والحق أقول لكم ان بعد القائم يظهر القيوم[14] وبعد ان يغرب الكوكب الاول تشرق شمس جمال الحسين وتضيء العالمين.. وفي ذلك الحين ينكشف السر الذي تكلم عنه الشيخ احمد عندما قال (إن سر هذا الأمر لابد وان ينكشف ويظهر سر هذه الرسالة) فمن وصل الى معرفة ذلك في يوم الايام، فكأنما وصل الى معرفة ثمرة الاجيال الماضية، وان عملا طيبا في ذلك الوقت يساوي عبادة قرون لا عدد لها. فكم كان الشيخ احمد يكرر آيات القرآن السابق ذكرها. ويؤكد ان مضمونها عبارة عن مجيء ظهورين متواليين لا يفصلهما وقت كبير وكل منهما يملأ الارض مجداً وبهاءً، وكان يصيح مراراً قائلا (طوبى لمن يدرك معناها ويشاهد جمال محياها)، وكثيرا ما كان يخاطبني ويقول (نحن الاثنين لا نعيش لنرى ضياء بهائهما، ولكن الكثيرين من تلاميذك المخلصين سيشاهدون ذلك اليوم الذي لا أمل لنا في رؤيته ويا للأسف فيا أحبائي المخلصين، ما أعظم وأجل هذا الأمر وما أعظم المقام الذي أدعوكم اليه وما أعظم المهمة التي أعدكم لها، فشمروا عن ساعد الجد واجعلوا وعده نصب أعينكم، أسأل الله ان يؤيدكم بفضله على ان تقاوموا عواصف الامتحان التي سوف تكتنفكم حتى تخرجوا منها ظافرين وبغير خطر سالمين وترتقوا مقاماً علياً).

وكان السيد كاظم في كل سنة في شهر ذي القعدة يسافر من كربلاء الى الكاظمين[15] ليزور في يوم عرفة مقام الإمام الحسين وفي آخر سنة من سني حياته سافر الى كربلاء تبعاً لعادته التي كان حريصا عليها، وفي أوائل شهر ذي القعدة سنة 1259هـ (23 نوفمبر/23 ديسمبر سنة 1843م) وصل في رابع يوم من الشهر الى مسجد (براثة) الكائن في الطريق العام ما بين بغداد والكاظمين، وقت صلاة الظهر، فأمر المؤذن ان يؤذن بالصلاة ووقف تحت نخلة مواجهة للمسجد، وما كاد يتم الصلاة حتى ظهر بغتة أعرابي، وإذ اقترب من السيد كاظم، عانقه قائلا (منذ ثلاثة أيام كنت أرعى غنمي في المرعى المجاور، إذ أخذتني سنة من النوم، فرأيت محمداً رسول الله يقول لي هذه الكلمات: "اسمع ايها الراعي كلماتي واحفظها في قلبك لأنها وديعة الله أؤديها اليك لتحفظها، واذا وفيت بالامانة يكون أمرك عظيما واذا أهملتها يحل بك عقاب شديد واسمع فهذه هي الوديعة التي أعطيها لك: "أمكث قريبا من مسجد براثة، وفي اليوم الثالث من هذه الرؤيا سيحضر أحد ذريتي وهو السيد كاظم مصحوبا بأصحابه ويقفون ساعة الظهر تحت النخلة بقرب الجامع، وبمجرد ان تراه اهدي له تحياتي وقل له عني أفرح لأن ساعة فراقك قد جاءت، فبعد الفراغ من زياراتك في الكاظمين ورجوعك الى كربلاء، فهناك بعد ثلاثة ايام، أي في يوم عرفة، تطير إليّ، ولا يمضي زمن كبير حتى يظهر من هو الحق ويضيء الارض بأنوار وجهه"). فبدت على وجه السيد كاظم ابتسامة بعد ان وصف الراعي الرؤيا، وقال (لاشك عندي في صحة رؤياك). فحزن أتباعه لذلك حزنا عميقا، ولكنه التفت اليهم قائلا: (أليست محبتكم لي لأجل من نحن ننتظره

جميعاً، أفلا تحبون ان أذهب حتى يظهر لكم الموعود؟). وكانت هذه العبارة متداولة وسَمِعْتُها من نحو عشرة أشخاص ممن كانوا حاضرين وقتها. ومع ذلك فكثير ممن شاهدوها بأعينهم، رفضوا الاعتراف بالحق وأنكروا رسالته.

وانتشرت ذكرى هذه الحادثة العجيبة في أقاصي البلاد وأوجبت الحزن والأسى في قلوب محبي السيد كاظم، فكان يهدئ روع قلوبهم المضطربة ويثبتهم في ايمانهم ويشعل فيهم نار الحمية والحماس. وأكمل حجّه بكل كمال ووقار وعاد الى كربلاء، وعند وصوله وقع مريضا طريح الفراش، وأشاع أعداؤه لمجرد التضليل، ان حاكم بغداد أعطاه سماً، لان الحاكم بنفسه كان كثير الاعتقاد في السيد ويضع فيه ثقته ويعتبره أكبر رئيس ديني مثقف وذا اطلاع تام وخلق مجيد[16]. وفي يوم عرفة سنة 1259هـ في سن الستين من عمره، ودّع السيد كاظم هذا العالم طبقا لرؤيا ذلك الراعي البسيط وترك وراءه جماعة من الاصحاب المخلصين زهدوا في الدنيا وما فيها وانتشروا في البلاد يبحثون عن القائم الموعود، ودفنت بقاياه المقدسة في مقام الإمام الحسين[17] وأحدثت وفاته ضجة كبيرة في كربلاء كالتي قامت في السنة السالفة في مساء يوم عرفة، اذ جاءت عساكر الترك منصورة واقتحمت أبواب القلعة وقتلوا عدداً غفيراً من الاهالي، وكان منزله اذ ذاك أي قبل وفاته بسنة واحدة ملجأً[18] للاجئين اليه، فأصبح منزله منزل الاحزان والأسى لاصحابه الذين كانوا يندبون وفاته وينوحون لفراقه[19].

الحواشي

(1) كان أول من آمن بالباب، ولذلك لقّبه بهذا اللقب.

(2) المدارس في إيران هي في أيدي العلماء ويوجد منها عدد كبير في كل مدينة، وهي عبارة عن فناء يحيط به غرف للتلاميذ والمعلمين، ولها باب من جهة واحدة وأحيانا يوجد بها حديقة وبئر في وسط الفناء وكثير من هذه المدارس تأسست بمعرفة الملوك والصلحاء ثم وهبت منهم. (تاريخ ماركهام، مختصر تاريخ إيران صحيفة 365).

(3) يساوي تقريبا 100 ريال، وهو مبلغ كبير في تلك الايام.

(4) يشير الباب في الدلائل السبعة الى الملا حسين بقوله (أنت تعلم بنفسك من هو أول من اعترف بهذا الأمر وتعلم ان أغلب علماء الشيخية والسيدية وغيرهم من الاحزاب أعجبوا بعلومه ومواهبه، ولما دخل اصفهان صاح غوغاء المدينة قائلين عند مروره "آه آه قد حضر طالب مسكين ولكن هذا الرجل قد أفحم سيدا مشهورا بالعلم وقوة برهانه وهو محمد باقر" حقا ان ذلك احدى دلائل هذا الظهور لانه بعد وفاة هذا السيد، ذهب هذا الرجل لمقابلة

أغلب علماء الاسلام ولم يجد الحق الا عند رب الحق، وبذلك وصل الى ما قدر له. حقا ان خلق هذا الظهور من الاول للآخر يغبطونه وسوف يغبطونه الى يوم يبعثون ومن الذي يقدر ان يتهم سلطان العلم والحكمة بضعف العقل او خفته). (كتاب الدلائل السبعة ترجمة ا.ل.م. نقولاس صحيفة 54).

(5) وقد أبان الباب في الدلائل السبعة في هذا الخصوص ما يأتي: والذي رواه عند انتهاء سفره من الذي سمعته بنفسك فهل لم يكن يروى لك؟ وكذلك حكاية ميرزا محمد اخباري التي رواها عبد الحسين الششتري فانه سأل السيد المحترم ذات يوم وهو في الكاظمين قائلا: متى يكون ظهور الموعود؟ فأدار السيد عينيه في المجلس ثم قال له، وإنك أنت سوف تراه. وقد حكى ملا محمد هراوي ايضا هذه الرواية في اصفهان. (من كتاب الدلائل السبعة ترجمة ا.ل.م. نقولاس صحيفة 58).

(6) أنظر المقدمة في ذكر معالم الشيعة في الاسلام.

(7) وكان السيد الرشتي في أواخر أيامه يعتقد بان المظهر موجود وكثيرا ما كان يشير الى ذلك بقوله إني أراه كالشمس المشرقة. (دكتور جيني اتحاد الاجناس والاديان صحيفة 19).

(8) خصص نقولاس الفصل الثاني من الجزء الثاني من مقالة على الشيخية في تعداد المائة وواحد وثلاثين رسالة من رسائل السيد كاظم، وأهمها 1- شرح الخطبة التطنجية 2- شرح القصيدة 3- تفسير آية الكرسي 4- اسرار شهادة الإمام الحسين 5- في الهيئة 6- دليل المتحيرين. ويقال ان رسائله زادت على 300 رسالة (انظر مقالة سائح حاشية ي صفحة 238).

(9) وقد أورد نقولاس في الفصل الثالث من كتاب مقالة على الشيخية صحيفة 43 جزء ثاني القطعة الآتية من كلام السيد في كتابه شرح القصيدة قال (ويقوم في كل ماية من يروج الاحكام ويبين الحلال من الحرام فيظهر ما كان مخفياً ويفصل ما كان مجملا في المائة السابقة ويبين ما كان مبهما فيها وبالجملة فذلك العالم الكامل الفاضل يروي غصن

الشريعة ويخضر عودها الى ان يبلغ الكتاب أجله ويتم تمام المايـة الثانيـة عشر. واذا ظهر بعض الكـاملين واظهر بعض البـواطن للبـالغين الواصـلين كـان بيانـه مخفيـا وتلـك المطالـب كانـت مطويـة ... فلمـا تمـت المايـة الثانيـة عشرة وتمـت الـدورة الاولـى المتعلقـة بـالظواهر لشمس النبوة والاثني عشر دورة لقمر الولاية من حيث التبعية فتمت الدورة وتمت مقتضياتها والكرّة الثانية والدورة الاخرى لبيان أحكام ظهور البواطن والاسرار المخفيات والمختبئات تحت الحجب والاستار. وبعبارة اخرى ان الدورة الاولى وهي الاثني عشر ماية لشمس النبوة لتربية الابـدان والارواح المتعلقـة بهـا، مثالـه الجنـين فـي بطـن الأم، والكـرّة الثانيـة لتربيـة الارواح المقدسـة والنفوس المجـردة الغير المرتبطـة بالاجسـام مثالـه تربيـة الارواح بـالتكليف فـي هـذه الـدنيا، فلمـا تمـت الـدورة الاولـى لشـمس النبـوة التـي هـي متعلقـة بتربيـة الظـواهر التـي هـي مقتضى ظهور اسم محمد أتت الدورة الثانية لشمس النبوة التي هي متعلقة بتربية البواطن. والظواهر فـي هذه الـدورة تابعـة كمـا ان الـدورة الاولـى لتربيـة الظـواهر والبـواطن كانـت تابعـة، فكانت هذه الدورة الثانية فيها اسم رسول الله صلى عليه وسلم الذي في السماء وهو احمد فكـان المـروج والرئيس فـي رأس هذه المايـة المسمى بأحمد ولابـد ان يكـون مـن أعـذب أرض وأحسن هواء). انتهى. ويزيد على ذلك نقولاس في الحاشية بقوله (وربما كانت اشارة اسم أحمد الى الشيخ احمد، ولكنه لا يمكن القول بان الاحساء هي أعذب أرض، فبالعكس من ذلك فأنه يفهم من جميع أقوال الشعراء في إيران اتفاقهم على التغني بمدح شيراز وان هواءها لا يفوقه هواء ويمكن الرجوع لأقوال الشيخ فيما يختص ببلاده).

(10) وقد وصـف نقولاس فـي مقالـة علـى الشيخية جزء 2 صـحيفة 29–30 هذه الحادثـة كـالآتي: حصـلت هذه الحادثـة سنة 1258هـ "1842م"، فـي ليلـة القدر وقد دخـل الجيش التركي تحت قيادة نجيب باشا كربلاء وقتل الاهالي وسلب ما في الجوامع من نفائس وقتل فيها قريبا من تسعة آلاف شخص أغلبهم من الفرس. وكان محمد شاه مريضا بحالة خطرة عند حصول هذه الحادثة، ولذلك أخفاها عنه كبار الموظفين، ولما علم الشاه بها بعد شفائه غضب غضباً عظيماً، وحلف ان يأخذ بالثأر، ولكن مندوبي انجلترا وروسيا تداخلوا لتهدئـة الخـواطر. وأمـر ميـرزا جعفـر مشـير الدولـة العائـد مـن سـفارة اسـلامبول بالسـفر الـى

أرضروم ليقابل هناك مندوبي انجلترا وروسيا وتركيا. وإذ وصل الى تبريز مرض السفير الايراني، فعين الحاجي ميرزا آقاسي، ميرزا تقي خان فراهاني وزير النظام الذي ذهب الى أرضروم ومعه 200 ضابط، وكان مندوب الاتراك أنور أفندي يظهر بمظهر الاحترام والصلح، ولكن أحد رجال الامير نظام صدر منه فعل عد اهانة لطريقة أهل السنة، فهجم الاهالي على خيمة السفير وقتلوا أثنين او ثلاثة من الفرس ونهبوهم، ونجا السفير أمير النظام بتداخل بدري باشا، واعتذرت الحكومة التركية ودفعت 15000 تومان تعويضا لهذا الحادث.

وفي هداية الطالبين، يقول كريم خان، انه اثناء نهب المدينة كانت الجيوش تحترم بيوت الشيخية، وكل من التجأ اليهم صار آمنا وكل ما معه من الاشياء الثمينة ولم يقتل احد من اصحاب السيد كاظم مع ان الذين التجأوا الى المشاهد المقدسة قتلوا جميعا بلا رحمة ويقولون ان الباشا دخل بجواده في المكان المقدس.

(11) نقل المسيو نقولاس في كتابه مقالة على الشيخية الجزء الثاني صحيفة 60-61 من كتابات السيد كاظم قال: قد علمت ان الشريعة وأصول الآداب هي غذاء للروح لذلك يجب ان تكون الشرائع متنوعة، وعلى ذلك يجب نسخ الشرائع العتيقة ويجب ان تشمل على شرائع محكمة وشرائع متشابهة وعامة وخاصة وظاهرة وباطنة ومطلقة ومقيدة حتى بذلك يصل الطفل الى درجة البلوغ ويكون كاملا في قوته ومقدرته وفي ذلك الوقت يظهر القائم وبعد ظهوره واتمام حياته يقتل واذا قتل يصل العالم الى سن 18 سنة.

(12) تبعا لسمندر "صحيفة 32" كان الشيخ أبو تراب من جهة اشتهارد وكان من أخص تلاميذ السيد كاظم واقترن بأخت الملا حسين وتوفي وهو في السجن في طهران.

(13) كتب الباب الى الحاجي محمد كريم خان... وطلب منه ان يعترف برسالته فلم يرفض هذا الاخير هذا الطلب فحسب، بل كتب رسالة ردا على الباب وعلى شريعته (صفحة 910) وكتب ما لا يقل عن رسالتين من هذا القبيل وكانت احداهما بعد وفاة الباب وبناء على طلب ناصر الدين شاه، وقد طبعت واحدة منها تحت عنوان ازهاق الباطل. (من جريدة الجمعية الاسيوية الملكية 1889 المقالة 12).

(14) يشير الى الباب وبهاءالله.

(15) قبر الكاظمين، وهما موسى الكاظم سابع إمام، والامام التاسع محمد تقي، وهو على بعد 3 أميال من بغداد، ونشأت مدينة كبيرة حوالي المقامين ويسكنها الايرانيون وسميت بالكاظمين.

(16) وكريم خان الذي أصر على ان الفاتحين أظهروا كل احترام للشيخية وللسيد كاظم الرشتي لم يتردد في القول باحتمال سم السيد في بغداد من نجيب باشا، حيث سقاه شرابا شعر بعده بعطش شديد وتوفي، وعلى هذا المنوال المضطرب يكتب الفرس تواريخهم (من مقالة على الشيخية لنقولاس جزء 2 صحيفة 30–31).

(17) ودفن خلف شباك البهو الموجود بقبر أمير المؤمنين، وقد حفر عميقا ومائلا في عمقه نحو مدخل فناء الحرم.

(18) وانتشرت عقائد السيد حال حياته في جميع أنحاء إيران، وكان له في العراق وحده مائه ألف مريد (من الجريدة الأسيوية سنة 1866 جزء 7 صحيفة 463).

(19) وهناك ينتهي تاريخ الشيخية او على الأقل تاريخ وحدتها وانقسمت بعد وفاة السيد الى شعبتين، أحدهما تحت اسم البابية وانتشرت بقوة كبيرة كالقوة التي أوجدها الشيخ احمد ومنها ظهر الظهوران اللذان تنبأ عنهما، وأما الطائفة الاخرى صارت تحت رياسة كريم خان القاجاري الكرماني الذي استمر في منازعته مع الشيعة وهو دائما يتستر تحت ستار الشيعي الاثنى عشري الكامل. أما الباب في نظر كريم خان، فهو ضال هو وأتباعه. وأما كريم خان فهو في نظر البابيين الدجّال الذي تنبأ عنه محمد (صلعم). (انظر نقولاس مقالة على الشيخية جزء 2 صحيفة 31).

الفصل الثالث

إعلان دعوة حضرة الباب

كانت وفاة السيد كاظم إشارة لقيام أعدائه بمجهودات جديدة، إذ كانوا متعطشين للرياسة ومتجرئين بوفاته وتفرق أصحابه وأرادوا ان يجددوا ادعاآتهم وأعدوا العدة لتحقيق أغراضهم. وكان المخلصون للسيد من تلاميذه قد انزعجت قلوبهم وامتلأت أسى وحزنا عليه ردحا من الزمن، ولكن عودة الملا حسين بشروئي من سفره الى كربلاء في أول المحرم سنة 1260هـ (22 يناير سنة 1844م)، بعد ان قضى المهمة التي أوكلها له السيد كاظم بنجاح، قد بددت أحلام الأعداء[1] وأنعشت قلوب المحزونين من تلاميذ السيد وجددت آمالهم في المثابرة والدأب على البحث عن محبوبهم المختفي. وإذ كان مقيما في المنزل

المجاور للذي كان يقطنه السيد، مكث مدة ثلاثة أيام يتقبل العزاء من المعزين ويستقبل عددا كبيرا من الذين كانوا يواسونه باعتباره أكبر تلاميذ السيد. وبعد الانتهاء من العزاء، دعا عددا من الاتباع المخلصين وسألهم عن وصية السيد وعن آخر نصائحه لهم، فأخبروه بأنه أمرهم مرارا وتكرارا ان يهجروا منازلهم ويتفرقوا في البلاد ويطهروا قلوبهم من كل غرض دنيوي ويخصصوا أنفسهم للبحث عن الموعود الذي كان دائما يشير الى قرب ظهوره، ومما قالوه (انه أخبرنا بأن الذي هو مطلوبنا قد ظهر وأما الحجب التي هي بينكم وبينه فإنكم لا تقدرون على رفعها الا بالبحث الحثيث ولا يمكن تمزيق تلك الأستار الا بإخلاص النية والتضرع والاستقامة، ألم يقل تعالى "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا"(قرآن 29-69) فأجابهم الملا حسين "لماذا فضلتم الإقامة في كربلاء، ولماذا لم تتفرقوا للبحث؟" فقالوا (إننا نعترف بتقصيرنا ونشهد جميعا بعظمتك، ونحن على يقين بأنك لو تدّعي انك أنت الموعود، فإننا لا نتردد في الإذعان لك لشدة ثقتنا فيك ونحن نعاهدك على الطاعة وعمل كل ما تريده). فصاح الملا حسين قائلا: (لا سمح الله، أين التراب من رب الأرباب. فلو عرفتم لحن القول من السيد كاظم ما كنتم تتفوهون بمثل هذه الكلمات. فأول واجب عليكم وعليّ ان نقوم على تنفيذ أمر رئيسنا المحبوب قولا وفعلا). فأطاعه الجميع وقام توا من مقعده وذهب لمقابلة ميرزا حسن جوهر وميرزا محيط وهما من أشهر تلاميذ السيد كاظم، وأبلغهما رسالة رئيسه وألح عليهما بالقيام فورا لتنفيذ رغبته. ولكنهما امتنعا عن إجابة الطلب معتذرين باعتذارات واهية بقصد المراوغة، وقال أحدهما (ان أعداءنا كثيرون وأقوياء وعلينا ان ننتظر في هذه المدينة

لحراسة مقام رئيسنا المتوفى حاليا)، وقال الآخر (عليّ أن أقيم في هذه المدينة لأرعى تلاميذ السيد الذين تركهم). فعرف الملا حسين غرضهما وحمقهما والدافع الذي ألجأهما لأن يصما آذانهما عن الوفاء بأمر السيد، فتركهما لأطماعهما ولم يطل معهما الحديث لعلمه بأن كل مجهود معهما يضيع عبثا.

وأما سنة الستين التي شهدت ظهور الموعود، فقد ذكرت في الأحاديث المروية عن الرسول وعن الأئمة، فمما قاله الإمام جعفر الصادق جواباً على السؤال الخاص بظهور القائم (وفي سنة الستين يظهر أمره ويعلو ذكره) وكثيرا ما أشار العلامة محي الدين ابن العربي في كتبه ورسائله الى اسم الموعود وسنة ظهوره، ومن ذلك قوله (ان وزراء المهدي كلهم من الأعاجم، وفي اسمه يقدم اسم الولي (عليّ) على اسم النبي (محمد) وان سنة ظهوره تنطبق على نصف أصغر عدد مشترك ينقسم على التسع أعداد (2520)، أي سنة 1260هـ (سنة ظهور حضرة الباب).

ومما رواه ميرزا محمد أكبري في أشعاره فيما يخص سنة الظهور، ما معناه (وفي سنة غرس تشرق الأرض بأنواره ولو كنت حياً في سنة غرسي، تشاهد كيف تتجدد الأمم والملوك والدين)، وسنة غرس تطابق 1260، وغرسي 1270، ومن أحاديث الإمام (انه في سنة غرس تغرس شجرة الهداية الالهية).

أما الملا حسين، فبعد ان حرّض أقرانه على تنفيذ رغبة السيد كاظم، سافر من كربلاء الى النجف ومعه أخوه محمد حسين وابن عمه محمد باقر وكانا يلازمانه منذ زيارته لمدينة بشروئية موطنه في خراسان، ولما وصل الى مسجد الكوفة اعتزم على ان يصرف أربعين يوما فيه للخلوة والعبادة، واستعد

بمتابعة الصوم والتقشف للمهمة المقدسة التي كان ينتظرها. وكان يشاطره أخوه العبادة بينما كان ابن عمه يأتيهما بما يحتاجانه ويرافقهما في التعبد في وقت فراغه.

وبعد أيام قلائل تغيرت حالة السكون والهدوء ووصل الملا علي البسطامي، من أشهر تلاميذ السيد كاظم ومعه اثنى عشر من رفقائه الى مسجد الكوفة، وكان الملا علي متفقها في العلوم والمعارف وعلى اطلاع عظيم بتعاليم الشيخ احمد، حتى ان كثيرين كانوا يعدّونه أعظم من الملا حسين، وطالما كان يشتاق ان يسأل الملا حسين عن المصير بعد انقضاء مدة الخلوة، ولكنه رآه منهمكا في العبادة، وكلما أراد مقابلته لم يتجاسر ان يسأله، وعزم ان ينقطع للخلوة مدة أربعين يوما واتبعه في ذلك رفقاؤه عدا ثلاثة ممن كانوا يقومون على خدمتهم.

وبعد انقضاء مدة الأربعين يوما، سافر الملا حسين ومعه رفيقاه الى النجف وكان سفره من كربلاء ليلا، وبعد زيارة مشهد النجف واصل سيره الى بوشهر على الخليج الفارسي، وهناك ابتدأ يسأل عن محبوب قلبه، وفيها استنشق طيب الأنفاس التي عبقت ممن كان يقطن تلك المدينة مشتغلا فيها كتاجر بسيط، وشاهد روائح القدس التي ملأت أرجاء تلك المدينة من أثر مناجاة المحبوب.

ولكنه لم يقدر على المكوث كثيرا في بوشهر. وأحس ان شيئا يجذبه بقوة الى الشمال نحو شيراز، حتى اذا وصل اليها، طلب من رفيقيه ان يذهبا

الى مسجد ايلخاني وينتظراه هناك الى ان يلحقهما، وأخبرهما انه سوف يصلي معهما صلاة المغرب ان شاء الله.

وفي ذلك اليوم، بينما كان الملا يتمشى قبل الغروب ببضع ساعات خارج سور المدينة، إذ بصر فجأة بشاب وضّاح الجبين لابساً عمامة خضراء، قد أقبل عليه وحيّاه بابتسامة مرحباً بوصوله بالسلامة وعانق الملا حسين بمحبة وإخلاص كأنه صديق قديم، وكان الملا قد ظنه في أول الأمر أحد تلاميذ السيد كاظم وانه حضر للترحيب به بعد ان سمع بسفره الى شيراز.

ومما قصّه الميرزا احمد قزويني الشهيد، على المؤمنين، ما سمعه من الملا حسين مرارا من كيفية مقابلته لحضرة الباب، تلك المقابلة التاريخية العظمى، وتتلخص في الآتي: (ان الشاب الذي قابلني خارج أبواب شيراز أدهشني بإشارات محبته وألحّ بدعوتي لزيارته لأستريح قليلا من وعثاء السفر. وسألته ان يعفيني من ذلك لأن رفيقاي قد عملا ترتيبا لنزولي في هذه المدينة وهما بانتظار رجوعي، فقال (اتركهما لحراسة الله فهو لاشك حافظهما).

ولما تفوه بذلك، أمرني باتباعه، وكنت قد تأثرت جدا من اللطف الذي واجهني به أثناء محادثته، ولما تتبعته ازداد تعجبي من هذه المفاجأة ومن حسن ذوقه وحلاوة صوته وكمال هيئته ولم تمض برهة وجيزة حتى وجدت نفسي عند باب منزل ظريف، طرق بابه، ففتح له خادم حبشي، ولما دخل على العتبة، أمرني بإتباعه قائلا (ادخلوها بسلام آمنين)"قرآن 15-46".

وكانت تحيته بقوة وجلال نفذا الى أعماق قلبي واستبشرت خيرا من الفال الحسن الصادر من هذه الكلمات التي خاطبني بها وأنا واقف على عتبة باب

أول منزل دخلته في شيراز، تلك المدينة التي سبق ان طفح السرور على قلبي من تأثير جوّها سرورا لا مزيد عليه، وقلت في نفسي: لعلي أصل الى بغيتي او تقربني هذه الزيارة الى من أبحث عنه وتقصر عليّ مدة انتظاري الطويلة وبحثي الشاق.

وإذ دخلت المنزل وتبعت مضيفي الى غرفته شعرت بسرور لا مزيد عليه، وبمجرد أن جلسنا، أمر بالطشت والإبريق، وأمرني أن أغسل يدي وقدمي من وعثاء السفر. فاستأذنت منه لأغسل في الغرفة المجاورة، ولكنه رفض وشرع يصب الماء بنفسه على يديّ. ثم ناولني مشروبا لطيفا وطلب السماور وجهّز الشاي بنفسه وناولني منه. وبعد ان غمرني بلطفه، طلبت منه الانصراف، وقلت بأن صلاة المغرب قد اقتربت ووعدت أصحابي ان التحق بهم في مسجد ايلخاني. فبكل احترام وهدوء أجابني (لابد وانك تكون قد علقت عودتك على مشية الله ويظهر انه ما أراد ذلك. فلا تخف من خلف الوعد). وكان بهاؤه واطمئنانه قد أسكتني. وقمت أعدت وضوئي وابتدأت في الصلاة، وأخذ هو أيضا يصلي بجانبي. وأثناء الصلاة ارتاحت نفسي من تحيرها من غرابة هذه المقابلة ومن البحث الذي تعلقت به، وشرعت أثناء الصلاة أقول (يا إلهي لم آل جهدا في البحث، ولـلآن لم أوفق لضالتي المنشودة ورسولك الموعود، وأن وعدك الحق وانك لن تخلف الميعاد).

وكانت تلك الليلة العشية السابقة على 5 جمادي الأول سنة 1260هـ (الموافق مساء 22 مايو سنة 1844م، ويقع يوم 23 مايو في يوم الخميس)، وكان مضيفي الشاب ابتدأ يحادثني بعد المغرب بنصف ساعة، وسألني إذ ذاك

قائلا (من ذا الذي تعتبره خلفاً للسيد كاظم رئيساً لكم؟) فأجبته بأن السيد عندما حانت منيته، نصحنا بشدة أن نترك أوطاننا ونتفرق في كل مكان طلبا للمحبوب الموعود، ولذلك سافرت الى إيران وقمت لتنفيذ إرادته 0 وللآن لا أزال مشتغلا بالبحث). فسألني (هل أعطاكم معلمكم أوصافاً مفصلة وامتيازات في موعودكم؟) فقلت (نعم. فإنه من السلالة الطاهرة والعترة النبوية ومن ذرية فاطمة. وأما سنّه فأكثر من العشرين وأقل من الثلاثين، وعنده علم لدنّي، وهو متوسط القامة ويمتنع عن شرب الدخان وخال من العيوب والعاهات الجسمانية). فسكت هنيهة، ثم قال بصوت جهوري: (أنظر هل ترى هذه العلامات في شخصي؟)، ثم عدّد العلامات وأظهر أنها جميعها تنطبق عليه. فحصلت عندي دهشة كبيرة، وقلت له في أدب (ان الذي ننتظره هو شخص قدسي ليس فوق قداسته قداسة، ويظهر من الأمر ما له قوة فائقة وشرائطه وعلائمه عديدة، فكم أشار السيد الى سعة علمه وكم كان يقول: "إن علومي بالنسبة لعلمه كقطرة من بحر مما وهبه الله وان جميع ما حصلته لم يكن الا كذرة من التراب في مقابلة اتساع معارفه، والفرق بينهما شاسع"، وما كدت أتفوه بهذه الكلمات حتى شعرت بالخوف والخجل بدرجة لم أتمكن من إخفائها، ووبخت ضميري وعزمت على تغيير إسلوبي وتخفيف حدتي وعاهدت الله بأنه لو عاد للموضوع فإني أقول له بكل خضوع "اذا أردت ان تؤسس دعوتك فإنك تخلصني ولاشك من عبئ الانتظار والتوقف الذي أثقل كاهلي وأكون مدينا لك لهذا الخلاص". وكنت في ابتداء طلبي وبحثي قد جعلت أمام عينيّ علامتين أعرف بهما صحة دعوى القائم، وهما أولا، رسالة ألفتها تختص بالأمور

والأحوال الغامضة والأقوال المتشابهة والتعاليم الباطنية الصادرة من الشيخ احمد والسيد كاظم، وصممت على ان الذي يحل معضلات هذه المسائل أسلمه زمام أمري. وثانيا، أن أطلب منه ان يملي عليّ تفسيرا على سورة يوسف بلغة وطريقة مغايرة للأصول المعروفة في زماننا، ذلك لأني سبق ان طلبت من السيد تفسيرا على هذه السورة، فامتنع قائلا "ان هذا ليس في مقدوري، فإن الذي يأتي بعدي وهو أعظم مني سيكتب تفسيرا لها بدون أن يطلبه أحد، وهذا التفسير هو أكبر الأدلة على رفعة شأنه وعلو مقامه وأكبر شاهد على صدق دعوته"[2].

وبينما كنت مشتغلا بحل هذه الأمور في عقلي، قال مضيفي مرة أخرى (أنعم النظر، هلا يمكن ان يكون الشخص الذي يعنيه السيد كاظم، إنما هو أنا؟) فاضطررت إذ ذاك أن أقدم له نسخة من الرسالة التي كانت معي وسألته (هل لك أن تقرأ هذا الكتاب وتتصفحه بعين الرضا وتصفح عما تجده فيه من ضعفي وتقصيري؟) فأجابني الى طلبي، وفتح الكتاب ونظر في بعض صفحاته ثم أغلقه وابتدأ يخاطبني. وفي ظرف بضعة دقائق كشف لي عن جميع الأسرار التي فيه وحلّ جميع معضلاته، ولما أتم ما أردته في برهة قصيرة، فسّر لي أيضا كثيرا من الحقائق التي لم توجد في أقوال الأئمة ولا في كتابات الشيخ احمد ولا السيد كاظم، وهذه الحقائق التي لم أسمعها من قبل كانت تتلى بطلاوة مبهجة وقوة فائقة. ثم قال لي (لو لم تكن ضيفي، لكان موقفك خطيرا، ولكن الرحمة الالهية شملتك فإن لله أن يمتحن عبيده وليس للعبيد أن يمتحنوه بما عندهم من الموازين. ولو كنت فرضا لم أحل لك هذه المعضلات، فهل تعتبر

الحقيقة المشرقة في باطني عاجزة، أو تتهم علمي بالنقص، حاشا لله، بل ينبغي في هذا اليوم لملل الأرض في الشرق والغرب ان يسرعوا الى هذه العتبة وعندها ينشدون فضل الرحمن، وكل من يتردد في ذلك فهو في خسران مبين. أفلا يشهد أهل الأرض ان الغرض الأصلي من خلقهم انما هو معرفة الله وعبادته. إذا ينبغي لهم ان يقوموا بأنفسهم ويبذلوا الجهد كما قمت أنت ويطلبوا بالاستقامة والثبات محبوبهم الموعود).

ثم شرع يقول (والآن وقت إنزال التفسير على سورة يوسف)، وأخذ قلمه وبسرعة لا تكاد تصدق، نزلت سورة الملك، وهو أول باب من تفسيره على سورة يوسف، وكانت قوة تأثير كلماته قد زادتها حلاوة الصوت الذي كان يتلوها به، ولم يتوقف لحظة أثناء تلاوة الآيات التي نزلت من قلمه حتى تمت السورة. وكنت جالسا استمع مأسورا من سحر صوته وقوة بيانه، وأخيرا قمت وأنا أقدم رجلا وأؤخر أخرى، واستأذنت منه في الانصراف، فأمرني بابتسامة بالجلوس قائلا (اذا انصرفت على هذه الحال، فان كل من يراك يقول ان هذا الغلام قد فقد رشده). وكانت الساعة إذ ذاك اثنين وإحدى عشرة دقيقة بعد الغروب[3] من الليلة الخامسة والستين بعد النوروز او هي تطابق ليلة اليوم السادس من خرداد سنة نهنج. ثم قال لي (ان هذه الليلة وهذه الساعة سَيُحْتَفَلْ بها في الأيام الآتية كأعظم الأعياد وأهمها، فاشكر الله الذي أوصلك الى مرغوب قلبك وأشربك من رحيق كلامه المختوم، طوبى للذين هم اليه واصلون)[4].

وفي الساعة الثالثة بعد الغروب، أمر مضيفي بتجهيز العشاء وظهر الخادم الحبشي وأحضر أمامنا أشهى طعام مما أبهج جسمي وروحي معا،

وشعرت كأني أتناول من فواكه الجنة، وكنت أُكَبّر أخلاق هذا الخادم الذي كأن حياته قد تجددت من تأثير سيده، ومن ذلك عرفت معنى الحديث الشريف (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) ولو لم يكن عند مضيفي سوى ما قابلني به من الكرم والمحبة التي أقنعتني انها لا تصدر أبدا من أي مخلوق آخر، لكان ذلك شاهدا كافيا للدلالة على عظمته. ومكثت جالسا مسحورا من حديثه ناسيا الوقت ومن كانوا على انتظار عودتي ولم أنتبه من النشوة التي وقعت فيها الا على صوت المؤذن بغتة يدعو المؤمنين الى صلاة الصبح. وفي تلك الليلة شعرت بجميع المسرات والنعم التي ذكر الله في كتابه أنه يهبها لأهل الجنة، وأحسست أنى في مكان (لا يمسنا فيه نصب ولا لغوب) ويصدق عليه قوله تعالى (لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما) – (دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين).

وفارقني النوم تلك الليلة، فكنت أعير أذنا صاغية لنغمات صوته في صعودها وهبوطها أثناء نزول قيوم الأسماء (وهي تفسير حضرة الباب لسورة يوسف)[5]، متلذذا من ترنمات مناجاته التي كان يتلوها في صلواته وكان بين كل مناجاة وأخرى يكرر الآية (سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين)"قرآن 37–180".

ثم التفت إلي وخاطبني بقوله (يا من هو أول من آمن بي حقاً إنني أنا باب الله وأنت باب الباب ولابد وأن يؤمن بي ثماني عشرة نفساً من تلقاء أنفسهم ويعترفون برسالتي وسينشدني كلٌ منهم على انفراد بدون ان يدعوهم أحد او

ينبههم اليها. وعندما يتم عددهم يجب انتخاب أحدهم لمرافقتي الى الحج الى مكة والمدينة، وهناك أبلّغ الرسالة الالهية الى شريف مكة ثم أرجع الى الكوفة وفي مسجد تلك المدينة أظهر الأمر، وعليك الآن أن تكتم عن أصحابك وعن كل شخص آخر، وواصل الانقطاع في مسجد إيلخاني وواظب على الدرس فيه واحذر ان تظهر مكنون هذا السر من سلوكك او هيئتك الى وقت مفارقتي للحجاز، وسأعين لكل من الثمانية عشر نفس رسالته ومهمته وسأعرّفهم كيفية تبليغ كلمة الله وإحياء النفوس). ولما أتم هذه الكلمات أمرني بالانصراف ورافقني الى الباب. وجاءت هذه الرسالة على غرّة كالصاعقة التي خدرت جميع قواي وقتا ما[6]، وكان بهاء إشراقها يخطف بالأبصار وأخذتني قوتها الساحرة وحركت أعماق قلبي بشدة من الفرح وفرط التعجب والدهشة والخوف وكان الحبور هو الغالب عليّ من جميع هذه الاحساسات وكذلك القوة، فانهما أخذا بمجامع قلبي واستوليا على هيكلي ولبي، فكم كنت أحس بالضعف والإهمال والجبن قبل ذلك. وما كنت أقدر على الكتابة ولا على المشي وكانت يداي ورجلاي ترتعشان على الدوام. ولكن معرفة أمره بعد ذلك كهربت جسمي وأحسست بوجود قوة وشجاعة لا يقدر العالم بأجمعه على مقاومتها، بل لو اجتمع أهل الأرض وما عندهم من قوة، لرأيت في نفسي من الجسارة ما أقاوم به هجومهم وحدي، فكان الوجود أمامي كقبضة من تراب في يدي، وكأن جبريل قد تجسد فيّ وهو ينادي العالمين "تنبهوا أيها الأقوام فقد انبلج نور الصباح ولاح الأمر وفتحت أبواب الرحمة لتدخلوا فيها لأن الموعود الذي وعدتم به قد ظهر".

وعلى هذه الحالة تركت المنزل وعدت الى أخي وابن عمي ورأيت الكثيرين من أتباع الشيخ أحمد ممن بلغهم خبر حضوري في مسجد ايلخاني، أتوا لمقابلتي، وطبقا لإرادة محبوبي قمت لتنفيذ رغبته، ولما رتبت الدرس، اجتمع حولي الكثيرون وجاء لزيارتي وجهاء وعلماء المدينة وكان الجميع قد أعجبوا من الروح التي كنت ألقي بها الدرس غير عالمين بأن المنبع الذي صدرت عنه إنما هو ذلك الموعود الذي ينتظرونه بشغف.

وفي هذه الأثناء، كان حضرة الباب يدعوني لزيارته ويرسل لي ذلك الخادم الحبشي برسالة المحبة والترحيب، وكلما زرته كنت أصرف الليل بتمامه عنده وأبقى متيقظاً الى مطلع الفجر تحت أقدامه مبهوتا من حلاوة حديثه متناسيا الدنيا وما فيها، وكانت تمر تلك السويعات كالبرق الخاطف ولا أفارقه الا في الفجر بعد التردد. وكنت كل يوم أنتظر المساء بشغف حتى اذا دنا الفجر امتلأت حزنا وأسفا لفراقه. وقال لي مضيفي ذات ليلة، "سوف يأتي باكراً ثلاثة عشر شخصا من أصحابك وعليك ان تظهر لكل منهم محبتك الزائدة ولا تتركهم وشأنهم لأنهم خصصوا حياتهم لطلب المحبوب، وادع الله ان يمكنهم بمنّه وكرمه على ان يسيروا باطمئنان في هذا الصراط الذي هو أحدّ من السيف وأدق من الشعرة، ومنهم من هو معدود عند الله من عباده المنتخبين المخلصين. وآخرون يسلكون طريقا وسطا ولا يظهر نصيب الباقين حتى تأتي الساعة التي يظهر فيها كل أمر مكنون"[7].

وفي صبيحة ذلك اليوم في وقت الفجر بعد عودتي من منزل حضرة الباب، جاء الملاّ علي البسطامي في مسجد ايلخاني ومعه باقي أصحابه الذين

أخبرني عنهم حضرة الباب، وفي الحال قمت لهم بواجب الضيافة. وذات ليلة بعد مرور بضعة أيام على وفودهم، كلمني الملاّ علي نيابة عن باقي أصحابه قائلا (انك لتعلم عظم ثقتنا فيك وإن طاعتنا لك بدرجة لو تدّعي أنك القائم الموعود، فإننا جميعا لا نتأخر عن إجابتك، وطبقا لأمرك قد تركنا أوطاننا للبحث عن موعودنا المحبوب، وإنك كنت أول قدوة حسنة لنا وقد تبعنا خطواتك وعزمنا ان لا نتوانى في بحثنا حتى نعثر على ضالتنا المنشودة، ولقد تبعناك الى هذا المكان ونحن مستعدون لقبول كل من تقبله أملا في الاستظلال في ظل حمايته والفوز من المخاطر التي تؤذن بدنو الساعة الأخيرة، وقد رأينا من ملامح وجهك ان الترقب قد انتهى وان الاضطراب قد زال. ولذلك نرجوك ان تخبرنا عن سبب ذلك، حتى نتخلص نحن أيضا من عبء الانتظار والشك). فأجبتهم بلطف قائلا (ان أصحابك ربما نسبوا هدوئي وسروري الى الصيت والشهرة التي نلتهما في هذه المدينة، ولكن الحق بعيد عن ذلك، فالعالم جميعه بأبهته وملاذه لا يثني هذا الحسين البشروئي عن محبوبه، ومنذ بداية هذه المهمة المقدسة التي نزلت في ساحتها، أقسمت بأن يكون نصيبي أن أختم حياتي بخاتم دمي فرحبت بالولوج في بحر البلايا. فلا أحن لأمور هذه الدنيا ولا أبغي الا رضا المحبوب، فلا تنطفئ هذه النار المشتعلة في قلبي الا اذا سفك دمي في سبيله، وإنكم والحمد لله سترون ذلك اليوم. فبفضله العميم وبمنّه وكرمه، قد فتحت أبواب رحمته أمام الملاّ حسين وإتباعا لأمره وحكمته قد أمرني بالسير على هذا المنهج لإخفاء هذه الحقيقة). فحركت هذه الكلمات روح الملاّ علي ورأى بنفسه معناها وألح عليّ بعين دامعة ان أكشف له عن حقيقة ذلك

الذي أبدل الشك باليقين والاضطراب بالاطمئنان وقال (أقسمك بربك الرحمن أن تهبني نصيبا من ذلك الرحيق القدسي الذي تناولته من يد الرحمة ففي ذلك إطفاء للهيب ظمئي وتهدئة لاضطراب قلبي من ألم الانتظار). فأجبته (لا تطمح في أن تنال مني هذا المرغوب، وثق به فسوف يسدد خطواتك ويهدئ روع قلبك).

فأسرع الملاّ علي الى أصحابه وأخبرهم بما دار بينه وبين الملاّ حسين من الحديث وأشعل في قلوبهم الرغبة في البحث وتفرقوا للخلوة طالبين بالصوم والتضرعات كشف الحجاب الذي حال بينهم وبين معرفة محبوبهم. وكانوا يقولون في مناجاتهم (اللهم ربنا إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم يا ربنا وإلهنا أظهر لنا ما وعدتنا على لسان أنبيائك ورسلك ولا تخزنا يوم الدين إنك لن تخلف الميعاد). وفي ثالث ليالي الخلوة، بينما كان الملاّ علي البسطامي مستغرقا في الصلاة، رأى رؤيا، فظهر أمام عينيه نور تحرك أمامه فتبعه وهو مأخوذ من بهجته الى ان أوصله ذلك الى محبوبه الموعود، فانتبه في تلك الساعة في نصف الليل وهو مغتبط فرحاً، وفتح باب مخدعه وأسرع الى الملاّ حسين وارتمى في أحضانه وعانقه الملا حسين بغاية المحبة قائلا (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله)، وفي فجر ذلك اليوم ذهب الملاّ حسين يتبعه الملاّ علي الى منزل حضرة الباب، فرأيا ذلك الخادم الحبشي واقفا على الباب، فعرفهما وحياهما قائلا (قبل الفجر ذهبت لمقابلة سيدي، فأمرني ان أفتح باب المنزل وأنتظر على عتبته، قائلا انه

سيحضر في هذا الصباح باكرا ضيفان، فباسمي رحب بهما وقل لهما ادخلا بسلام على اسم الله).

وكانت مقابلة الملاّ علي مع حضرة الباب، شبيهة بمقابلة الملاّ حسين ولم تختلف عنها الا في ان المقابلة السابقة كانت تدور حول الحجج والبراهين على رسالة حضرة الباب، بينما في هذه الدفعة سادت روح الخضوع والخشوع التام وامتلأت الغرفة بالحياة من أثر تلك القوة السماوية وكأن كل شيء فيها ينادي (قد انبثق فجر اليوم الجديد وتسلط الموعود على قلوب العالمين وبيده كأس الأسرار ومعين الخلود طوبى للشاربين). وكذلك وجد كل فرد من باقي الأصحاب الاثنى عشر المرافقين للملاّ علي، محبوبه، كل بدوره وبكامل سعيه وجدّه، فرآه البعض في الرؤيا والبعض الآخر أثناء صلواته ومنهم من وجده أثناء تأملاته مسترشدا بالإلهام الرباني الذي ألهمهم لمعرفة قوة بهائه، وتشرف هؤلاء بحضرة الباب كما تشرف ملاّ علي من قبل، وكانت زيارتهم له مصحوبة بالملاّ حسين، ودعوا بـ "حروف الحيّ" وكمل منهم سبعة عشر حرفا وثبت اسمهم في لوح الله المحفوظ بالتدريج وتعينوا رسلا لحضرة الباب وأمناء لدينه وناشرين لنفحاته.

وتكلم حضرة الباب أثناء محادثته مع الملاّ حسين ذات ليلة قائلا (قد أثبتنا سبعة عشر حرفا وانضموا للواء دين الله، ولم يبق الا حرف واحد على تمام العدد، فعلى هؤلاء الحروف القيام لدعوة الأمر وتأسيس دين الله، وسيأتي الحرف الأخير في الليلة القادمة ليكمل العدد). ففي اليوم التالي في الغروب بينما كان حضرة الباب راجعاً الى منزله متبوعا بالملاّ حسين، إذ ظهر شاب

عليه غبار السفر واقترب من الملاّ حسين وعانقه وسأله إذا كان قد وصل الى بغيته، فاجتهد الملاّ حسين أن يهدئ روعه وطلب منه ان يترقب، ووعد بإرشاده، فلم يقبل ذلك الشاب ان يلتفت الى نصحه ووجّه نظره الى حضرة الباب، وقال للملاّ حسين (لماذا تكتم عني. فإني أعرفه من هيئته، وإني أشهد في سري أنه لا يقدر أحد خلافه في الشرق او الغرب ان يدعي انه الحق). فدهش الملاّ حسين من كلماته واعتذر اليه وطلب منه أن يتمهل حتى يأتي الوقت الذي يقدر فيه ان يبوح له بالحق. وتركه مسرعا نحو حضرة الباب وأخبره بما دار بينه وبين ذلك الشاب من المحادثة، فأجابه حضرة الباب (لا تدهش من ذلك المسلك فإننا كنا في عالم الروح نتحادث مع ذلك الشاب ونعرفه من قبل وكنا ننتظر قدومه، فاذهب اليه وأحضره أمامنا). فتذكر الملاّ حسين حالا من كلمات حضرة الباب تلك الفقرة (انه في اليوم الأخير تجوب رجال الغيب فضاء العالم على أجنحة الروح ويحضرون أمام القائم الموعود ويبتغون منه ذلك السر الذي يحل لهم معضلاته ويزيل متاعبهم). ومع ان هؤلاء الأبطال كانوا بعيدين عنه بالجسد الا انهم روحيا كانوا مشغولين بالمناجاة مع محبوبهم ويشاركونه في أحاديثه وصحبته، وإلا فكيف يمكن للشيخ احمد والسيد كاظم ان يعرفا حضرة الباب وكيف تمكنا من الاطلاع على السرّ المودع فيه، بل كيف يتمكن حضرة الباب نفسه وجناب القدوس تلميذه المحبوب ان يحصل بينهما ما دوّناه، لولا وجود رابطة سرية تجمع أرواحهما. ألم يشر حضرة الباب في ابتداء دعوته في أوائل سور (قيوم الأسماء) التي هي تفسير سورة يوسف، الى أهمية وجلال حضرة بهاءالله وأمره. ألم يك قصده في بيان الأضرار التي

لحقت بيوسف من أخوته وما ظهر منهم من الغدر والجفاء ان يتنبأ بما يصيب حضرة بهاءالله من أخيه وأقاربه. ألم يك جناب القدّوس مستمرا ليل نهار وهو محاط بجموع الأعداء من كل الجهات وبنيران لا تخبو أوارها في قلعة الشيخ طبرسي في إعداد وتكميل مديحه في حضرة بهاءالله في تفسيره الخالد لحرف الصاد من سورة الصمد الذي يبلغ نحوا من الخمسماية ألف آية. يشهد بذلك كل من ينعم النظر في آيات وكلمات تفسير (قيوم الأسماء).

وقد كمل عدد التلاميذ المنتخبين بقبول جناب القدوس لدعوة حضرة الباب، واسمه محمد علي، وينتمي من والدته الى سلالة الإمام الحسن أكبر أحفاد الرسول(ص)[8] وكان مولده في بارفروش في إقليم مازندران، ومما ينقل عن الذين حضروا دروس السيد كاظم ان جناب القدوس تتلمذ عليه وكان يجلس في الصف الأخير من المجلس ويقوم بعد انتهاء الدرس قبل غيره. وامتاز عن بقية الأصحاب بالهدوء والسكينة ودماثة الأخلاق. وكان السيد كاظم كثيرا ما يقول ان بعض التلاميذ مع انهم يجلسون في آخر الصفوف ويظهر منهم سكوت تام، لهم في نظره مقام جليل على شأن لا يستحق بنفسه ان يكون من خدامهم. وكان تلاميذه يلاحظون تواضع جناب القدّوس ويعترفون بسمو وشرف أخلاقه ولكنهم ما كانوا يعرفون قصد السيد كاظم. ولما وصل جناب القدّوس الى شيراز واعتنق الأمر كان له من العمر اثنان وعشرون عاما. ومع صغر سنه أظهر شجاعة نادرة وإيمانا تاما لم يصل اليه أحد خلافه من أتباع مولاه. وكان قد مثّل في أدوار حياته واستشهاده المجيد صحة الحديث القدسي

القائل (من طلبني وجدني، ومن تقدم إلي شبراً تقدمت اليه باعا، ومن أحبني أحببته، ومن أحببته قتلته، ومن قتلته فعليّ ديته).

أما حضرة الباب، فاسمه السيّد علي محمد[9] وولد في مدينة شيراز سنة 1235هـ (20 اكتوبر سنة 1819 ميلادية) في أول المحرم، من بيت مشهور بالشرف والانتماء الى الرسول وكان تاريخ ميلاده مطابقا للحديث المروي عن الإمام علي (إني أصغر من ربي بسنتين)[10] وأعلن دعوته بعد ان بلغ من العمر خمس وعشرين سنة وأربعة أشهر وأربعة أيام، وتوفي والده وهو طفل وكان والده من نسل النبي صلى الله عليه وسلم، وهو السيد محمد رضا[11] ومشهورا في جميع إقليم فارس بالتقوى والفضل وذا احترام عظيم من الجميع. وكان والداه كلاهما من الأشراف ولهما مكانة واحترام من الجميع، وكفله خاله حاجي ميرزا سيّد علي، أحد الشهداء في الأمر وسلمه الى معلم يدعى شيخ عابد[12] ولو ان حضرة الباب كان غير ميال للدرس، الا انه أطاع رغبة خاله. وكان الشيخ عابد، المعروف عند تلامذته بالشيخونة، رجلا صالحا متفقها وكان تلميذا لكل من الشيخ احمد والسيد كاظم. ومما حكاه الشيخ عابد قال (ذات يوم سألت الباب ان يقرأ فاتحة القرآن بسم الله الرحمن الرحيم، فلم يقبل قراءتها الا اذا عرف معناها. فتظاهرت بأني لا أعرف المعنى، فأجابني "أنا أعرف المعنى من هذه الكلمات" واستأذن مني ان يشرحها لي وتكلم في ذلك بطلاوة ومعرفة أدهشتني، وفسّر الله والرحمن والرحيم بكيفية لم أكن أعرفها من قبل ولا سمعتها، وكانت حلاوة عباراته لا تزال ماثلة في مخيّلتي، فشعرت باضطراري ان أرجعه الى خاله وأن أوصيه بتلك الوديعة التي عهد بها إليّ، قائلا له "إني أشعر اني

لست مستحقاً أن أعلم مثل هذا الطفل الفذ" وكنت رأيت خاله على انفراد في مكتبه، فقلت له "اني أعيده إليك واعهد به الى يقظتك وحمايتك ولا يمكن معاملته كطفل عادي لأني أشاهد فيه قوة عجيبة مما لا تظهر إلا من صاحب الزمان[13] وحده، فالواجب عليك ان تحيطه بكل عنايتك ومحبتك، فاحفظه في منزلك لأنه الحق أقول لك لا يحتاج الى معلمين مثلي"). ولكن خاله أمره بالرجوع الى الدرس ووبخه قائلا (ألم أنصحك أن تتبع مثال أقرانك وان تلتزم جانب السكون وتستمع الى كل كلمة يقولها لك معلمك).

وبناء على ذلك، عاد، ولكن روحه لم تقف في سبيل إفاضة ما لديها من العلم اللدني، بل كانت تظهر عليه يوما بعد يوم علائم الحكمة الفائقة الحد والخارجة عن حدود البشرية، حتى اضطر أخيرا خاله الى سحبه من المدرسة وإشراكه معه في التجارة[14] وفيها أظهر نجابة وعظمة وقوة لا يصل اليها الا القليل. وبعد بضع سنين تزوج[15] بأخت ميرزا سيد حسن وميرزا أبو القاسم[16] وولد له ابن يدعى احمد[17] توفي سنة 1259هـ، وهي السنة السابقة لإظهار الدعوة، وكان يقول (إلهي إلهي لو أعطيت لإبراهيمك ألف إسماعيل لفديتهم فرادى وجمعاً في سبيل محبتك، فيا محبوب قلبي إن فداء أحمد الذي قدمه عبدك عليّ محمد، فداء على مذبح محبتك لن يكفي لإطفاء اشتعال شوقه المتأجج في قلبه حتى يفدي قلبه تحت قدمك ويقع جسمه ضحية لأقسى أنواع الظلم في سبيلك وحتى يكون صدره هدفا لآلاف السهام في مرضاتك وبذلك يسكن اضطراب روحه. إلهي هذا هو مرغوبي فاجعل اللهم فداء ابني ووحيدي مقبولا عندك ومقدمة لفداء نفسي وكينونتي في سبيل مرضاتك وامنحني فضل

سفك دمي وفداء حياتي في سبيلك. واجعله يروي وينبت بذور دينك واشمله بقوتك السماوية حتى ينمو ذلك البذر الجديد في قلوب الرجال وينتعش ويعظم الى ان يصير شجرة كبيرة، وتجتمع وتستظل الأمم والأقوام تحت ظلها. فأجب يا إلهي دعائي واتمم لي مراد قلبي إنك أنت القوي الكريم[18]).

وكان حضرة الباب يصرف غالب أوقات التجارة في بوشهر[19] وكانت شدة الحرارة فيها صيفاً لا تمنعه من ان يقضي بضع ساعات في الصلاة كل يوم جمعة على سطح منزله. ومع انه كان يتعرض لأشعة الشمس اللاهبة في الظهيرة، فانه كان يتوجه بقلبه الى المحبوب ويستمر في المناجاة معه دون إعارة أي أهمية لشدة القيظ ومتناسيا العالم بأجمعه. وكان يقضي في الصلاة والعبادة كل الوقت من الفجر الى طلوع الشمس ومن الظهر الى ما بعد العصر، ويتوجه دائما الى جهة طهران شمالا ويحييّ الشمس المشرقة بمحبة وفرح زائد رمزا منه وإشارة لطلوع كوكب الحق الذي سوف يشرق على العالم، فكان ينظر الى قرص الشمس حين الطلوع بثبات ولهف كما ينظر العاشق في وجه معشوقه، ويناجي ذلك النيّر الأعظم بلغة سرية وكأنه يبلغها رسالة حنينه ومحبته لتوصيلها الى محبوبه المستور وبمثل هذه الرسائل الحبية كان يستقبل أشعتها الساطعة حتى ان من حوله من الجهلاء كانوا يظنون انه يعشق الشمس[20] ويتعبدها.

ومما حكاه السيد جواد الكربلائي[21] وسمعته بنفسي، انه أثناء سياحته الى الهند مرّ ببوشهر. ولمعرفته بالحاج ميرزا سيّد علي، تمكن من مقابلة حضرة الباب مراراً، وكان في كل مرة يراه بهيئة الخشوع والخضوع وغض

البصر واللطف وكمال المحيا، مما لا تقدر أي عبارة على وصفه[22]، وكان الجميع يشهدون بطهارة أخلاقه ونبالة صفاته ونكران ذاته وشدة صدقه وتقواه[23]. وذات مرة أودعه أحد الناس أمانة لبيعها بثمن معين، فلما أرسل له حضرة الباب ثمنها وجده أكثر مما قدّره، فكتب الى حضرة الباب يستفهم عن السبب، فأجابه حضرة الباب (بأن الثمن الذي أرسلته إليك هو حقك ولم أزدك شيئا، وقد أتى وقت على وديعتك وصل فيها ثمنها الى تلك القيمة، ولما لم أبعها بذلك الثمن وجدت من الواجب عليّ رد تلك القيمة)، وكلما أراد البائع رد القيمة الزائدة امتنع حضرة الباب من قبولها.

وكان يحضر احتفالات العزاء للإمام الحسين سيد الشهداء ويستمع بلهف الى ترتيلات المدائح ويظهر الخشوع والخضوع في هذه المعازي وتنهمر عيناه بالدموع بينما كانت شفتاه تهمسان ببعض المناجاة التي يتلوها، فما أعظم الكمال الذي كان يظهر على هيكله وما ألطف تلك الشمائل التي كانت تبدو آثارها على وجهه.

وأما أسماء الذين كان لهم الشرف في إثباتهم في كتاب الوحي بمعرفة حضرة الباب " كحروف الحيّ " المنتخبين، فهي كالآتي:-

1 – ملاّ حسين بشروئي

2 – محمد حسن – أخوه –

3 – محمد باقر – ابن عمه –

4 – ملاّ علي البسطامي

5 – ملاّ خدا بخشي كوشاني، وسمي بملا علي فيما بعد

6 – ملاّ حسن باجستاني

7 – سيد حسين يزدي

8 – ميرزا محمد روض خاني يزدي

9 – سعيد هندي

10 – ملاّ محمود خوئي

11 – ملاّ جليل أورومي

12 – ملاّ أحمد أبدالي مراغي

13 – ملاّ باقر تبريزي

14 – ملاّ يوسف أردبيلي

15 – ميرزا هادي بن ملاّ عبد الوهاب قزويني

16 – ميرزا محمد علي قزويني[24]

17 – الطاهرة[25]

18 – القدّوس.

وجميعهم تشرّف بحضور حضرة الباب، عدا الطاهرة التي لما علمت بسفر زوج أختها المدعو محمد علي من قزوين، سلمته خطابا مختوما وطلبت منه ان يسلمه الى ذلك الشخص الموعود الذي لابد وان يقابله أثناء بحثه، وأفهمته ان يقول له:

لمعات وجهك أشرقت وضياء طلعتك اجتلى

قال ألست بربكم قلنا بلى قلنا بلى[26]

وقد قابل ملاّ محمد علي، حضرة الباب، وأقبل الى دعوته وسلمه الخطاب وأوصل اليه الرسالة، فأقرها حضرة الباب ضمن حروف الحيّ. وكان والدها حاجي ملاّ صالح القزويني وأخوه الملاّ تقي من كبار المجتهدين في إيران ومن المتبحرين في الأحاديث الاسلامية والمحترمين من العموم من جميع أهالي طهران وقزوين وغيرها من كبار مدن إيران. وكانت متزوجة بالملاّ محمد بن الملاّ تقي، عمها[27]، ويسمونه الشيعة بالشهيد الثالث، ومع ان أسرتها كانت من بالاسري، فانها بمفردها كانت تميل الى تعاليم السيد كاظم وتظهر محبتها وإخلاصها له، وللدلالة على إعجابها بشخصيته كتبت له رسالة للدفاع عن تعاليم الشيخ احمد وقدمتها اليه، فأجابها السيد برسالة مكتوبة بأرق العبارات وافتتحها بقوله (يا قرة عيني وفرح فؤادي)، ومنذ ذلك الوقت أطلق عليها اسم "قرة العين"، وفي اجتماع الأحباء الأبطال في "بدشت"، دهش الكثيرون من جرأتها وشجاعتها حتى انهم رأوا من واجبهم ان يعلموا حضرة الباب بعملها العجيب الذي لم يسبق له نظير واجتهدوا أن يسيئوا الى سمعتها عند حضرة الباب، فأجابهم حضرة الباب بقوله (ماذا عسى أن أقول في من أسماها لسان العظمة والقوة بالطاهرة)، فقطعت هذه الكلمات، جهيرة كل قول وأسكتت الذين أرادوا تقويض سلطتها والنيل من سمعتها، فمنذ ذلك الوقت دعيت بالطاهرة من جميع المؤمنين[28].

والآن أذكر البالاسري[29] وأذكر معناها، فالشيخ احمد والسيد كاظم في وقت زيارتهما لضريح الإمام الحسين في كربلاء ومعهم الاتباع، لم يتقدما عن الجزء الأدنى من المقام علامة للاحترام. ولم يتقدما عن هذا الموقف، ولكن

كثيرين غيرهم وهم البالاسري، اعتادوا ان يقرءوا أدعيتهم في الجزء الأعلى من الضريح، ويعتقد الشيخية ان المؤمن الصادق حيّ في الدارين، الدنيا والآخرة، ولذلك فهم يشعرون انه لا يليق بهم ان يتقدموا وراء الحدود الدانية من ضريح الإمام الحسين الذي هو في نظرهم المثل الأعلى لأكمل المؤمنين.

وكان الملاّ حسين، يعتقد انه سيكون الشخص الذي ينتخبه حضرة الباب لمرافقته في الحج الى مكة. ولكن حضرة الباب بمجرد ان عزم على الارتحال من شيراز دعاه وقال له (إن أيام اجتماعنا قد قاربت الانتهاء، فشمّر الذيل وقم لتبليغ أمري ولا تخف من سقوط والتواء هذا الجيل، لأن رب العهد يساعدك ويحيطك بحفظه ومحبته وينقلك من نصر الى نصر. فسِر في البلاد وأغدق على الناس تلك البركات التي منحها لك القدير برحمته كما تغدق الأمطار ببركتها على الأرض، واحترس من العلماء وأسلم نفسك لارادة الله. وقم على النداء بصوت مرتفع، وقل:- "تيقظوا تيقظوا قد فتح باب الله وسطع نور الصبح بأشعته على جميع العالم وظهر الموعود فمهدوا الطريق أمامه يا أمم الأرض ولا تحرموا أنفسكم من بدائع فضله ولا تغمضوا أعينكم عن ساطع بهائه". والذين يقبلون منك الأمر اقرأ عليهم الألواح التي أنزلناها إليك لعل تجذبهم تلك الكلمات البديعة وتوقظهم من وهدة غفلتهم وترفعهم الى ملكوت الحضرة الالهية. وقد اخترنا معنا القدوس لمرافقتنا في هذا السفر، وتركناك لتواجه هجوم عدوّ قاس، فتأكد انك سوف تنال الموهبة الكبرى، فسافر ناحية الشمال وزر في طريقك اصفهان وكاشان وقم وطهران، واطلب من القدرة الربانية ان توفقك على ان تشاهد في هذه العاصمة مقر سلطنة الحق وتدخل في قصر المحبوب، ففي

تلك المدينة سرّ لو انكشف تنقلب الأرض جنة عليا. وأتعشم انك سوف تشترك في ذلك الفضل وتعترف ببهائه. ومن طهران سافر الى خراسان وهناك قم على النداء مرة أخرى بالأمر، ومنها عد الى النجف وكربلاء حيث تنتظر أمر ربك، وتأكد انك ستتمم المأمورية التي خلقت لأجلها، ولو اجتمعت جميع سهام المشركين وصوبت نحوك، لن تقدر ان تضرك ولو بمقدار شعرة واحدة من رأسك الى ان يتم عملك. فكل شيء موكل في قبضة قدرته فهو القادر القاهر).

وأحضر حضرة الباب الملاّ علي البسطامي وتكلم معه بكلمات المحبة والسرور، وأمره ان يذهب تواً الى النجف وكربلاء، وأشار الى الامتحانات الشديدة التي تنتابه والى المصاعب والشدائد التي ستصادفه، وقال له:- (إنك يجب ان تكون ثابتاً في إيمانك لا تزعزعك العواصف، فكن كالجبل الراسخ لكل كارثة ولا تحزن من قذف الجهال وشتائم الملاوات وأرباب الدين، واحذر ان يثنيك ذلك عن مقصدك، لأنك مدعوّ لأن تتناول من المائدة السماوية المعدّة لك في العالم الأبدي، فأنت أول من يغادر بيت الله وأول من يصيبه البلاء في سبيله، ولو فرض وذبحت لأجله فتيقن بأن جزاءك سيكون عظيما وموهبتك كبرى).

وما كاد الملاّ علي يتم له استماع هذه الكلمات، حتى قام لتنفيذ الأمر، وإذ بعد عن شيراز بمقدار فرسخ، لحقه شاب يدعى عبد الوهاب، وطلب منه بإلحاح وهو في حالة اضطراب ان يتكلم معه، وقال للملاّ علي وهو يبكي: (أتضرع إليك ان توافق على أني أرافقك في سفرك لأن قلبي ضاق ذرعا واضطرابا، وأرجو منك ان تسدد خطاي في سبيل الحق. فقد رأيت في الرؤيا

الليلة الماضية انني سمعت مناديا ينادي في سوق شيراز بظهور الإمام علي أمير المؤمنين، وكان يخاطب الجمهور قائلا: "قوموا واطلبوه وانظروا انه يجمع من وسط النار رسائل الغفران للناس، فأسرعوا اليه وكل من أخذها من يده غفرت له خطاياه ونجا من العقاب، ومن فاتته كان محروما من بركات الجنة". فلما سمعت صوت ذلك المنادي قمت وتركت الحانوت وجريت في سوق الوكيل الى المكان الذي أنت واقف فيه توزع تلك الأوراق للناس. وكل من أخذها تهمس في اذنه كلمات يفرّ عند سماعها صائحاً: "الويل لي لأني محروم من بركات عليّ وأصحابه، فيا أسفي إنني معدود من الساقطين". وعند ذلك انتبهت من النوم وذهبت الى الحانوت وأنا غريق في بحر من الأفكار. ثم رأيتك تمرّ ومعك رجل معمم يتكلم، فنهضت من ساعتي وجريت لألحقك كأني مدفوع بقوة لا أقدر على ردها. ولدهشتي وجدتك في نفس المكان الذي شاهدته في الرؤيا وأنت تتلو الآيات، فوقفت بعيداً عنك أشاهدك أنت وصديقك، فسمعت الرجل الذي تخاطبه يحتج عليك ويقول انه من السهل عندي ان تلتهمني النيران من ان أعترف بصحة كلماتك، فان الجبال لن تقدر ان تحمل ثقلها. فأجبته على اعتراضه وإنكاره قائلا: "لو أنكر العالم بأجمعه رسالته، فلن يؤثر ذلك على ذيل رداء عظمته الطاهر". فلما تركته عجّلت نحو باب كازرين، فتتبعتك الى ان وصلت الى هذا المكان).

فتلطف ملاّ علي به وأراد ان يهدئ روعه، وطلب منه الرجوع الى حانوته ومزاولة أعماله، وقال له ان صحبتك معي تجرّ لي متاعب، فارجع الى شيراز وتيقّن إنك معدود من الفائزين، فان الله لا يرد كأس فضله عن طالب

مشتعل مثلك أو يخيّب نفسا متعطشة من عمان فضله وأمره. ولكن كلمات الملاّ علي، كانت بغير نتيجة. وكلما شدد عليه في الرجوع، كلما زاد نحيبه وبكاؤه، فاضطر الملاّ علي أخيرا ان يجيب طلبه وسلم نفسه لارادة الله.

فكان الحاج عبد المجيد والد عبد الوهاب، كثيرا ما يقص هذه الرواية وعيناه منهمرتان بالدموع، فكان يأسف كثيرا على ما وقع منه ويرجو الله ان يسامحه على ذنبه، ومما قال: (كنت أحد حاشية بلاط أبناء فرمان فرما، حاكم فارس، ولم يكن أحد يقدر على مخالفته او يتداخل في أموره، ولما سمعت ان ابني عبد الوهاب ترك حانوته وخرج من المدينة، جريت الى باب الكازاراني لأمنعه وأخذت معي هراوة لضربه، وقيل لي انه مرّ ومعه رجل معمم وقصد ترك المدينة والسفر معه لأنه اتبعه، فأهاج ذلك غضبي ودهشتي وقلت كيف تحصل مثل هذه المخالفة من نجلي مع اني صاحب مقام رفيع في حاشية الأمير فرمان فرما، وصممت على عقابه لأغسل هذه الإهانة، واستمريت في البحث حتى اهتديت اليهما. وأخذ مني الغضب كل مأخذ حتى حدا بي ان أوقع بملاّ علي أشد العذاب. وكان يجيبني رداً على الضربات الشديدة بقوله: "كفّ عن ضربي يا عبد المجيد لأن عين الله ناظرة إليك وإني أشهد الله اني لم أك مسؤولا عن سلوك ابنك. وإني لا أهتم بضربك لأني مستعد لملاقاة أشد أنواع العذاب في السبيل الذي اخترته، فإساءتك بالنسبة لما انتظره ان يقع عليّ لم تكن الا كالقطرة بالنسبة الى المحيط. حقا أقول لك، انك سوف تعيش بعدي وتشهد إذ ذاك ببراءتي ويزداد اذن توبيخ ضميرك وندمك على فعلك ويكون حزنك عميقا". ولكن لم أك أعبأ بأقواله وإشاراته، وزدته ضربا وجيعا، الى ان

عييت فتحمل بسكون وشجاعة كل هذا العذاب الذي لم يكن يستحقه، ثم أمرت ابني أخيرا، ان يتبعني وتركت الملاّ عليّ وحده.

واثناء رجوعنا الى شيراز، أخبرني ابني بالرؤيا التي رآها، فتأسفت أسفا شديدا لما بدر مني وتجلت أمام عيني براءة الملاّ علي، وكنت كلما تذكرت قسوتي عليه ينفطر قلبي. وبقيت مرارتها في نفسي الى الوقت الذي شعرت فيه بتحويل اقامتي من شيراز الى بغداد، ومن بغداد تحركت الى الكاظمين حيث تركز عبد الوهاب في أشغاله، وكانت تلوح على محياه المنير سيماء سرٍّ عجيب، وظهر لي انه يخفي عني هذا السر الذي استولى على لبّه. وفي سنة 1267هـ (51/1850م) لما سافر حضرة بهاءالله من العراق وزار الكاظمين، كان عبد الوهاب قد وقع في جذب محبته، وجعل نفسه رهينة الفداء له، ولما استشهد نجلي بعد ذلك ببضعة سنين في طهران ونفي حضرة بهاءالله الى بغداد، أيقظني من نوم غفلتي برحمته وشفقته وعلّمني رسالة يومه الجديد غاسلا بمياه عفوه الالهي أقذار تلك الفعلة الشنعاء).

من هذه القصة يتبين كيفية أول اضطهاد حصل لأحد تلاميذ حضرة الباب بعد اعلان دعوته، وكان الملاّ علي قد عرف من هذه الحادثة ان السبيل للحصول على ما وعد به حضرة الباب محفوف بالمخاطر والأشواك، فواصل السفر الى ان وصل الى النجف وهو مستسلم لارادة المولى ومستعد لان يسفك دمه في سبيله. وفي حضور الشيخ محمد حسن، أحد الرؤساء الدينيين الكبار لهيئة الشيعة، تكلم الملاّ علي عن ظهور حضرة الباب بلا خوف ولا وجل، وكان ذلك أمام جمع كبير من أتباع وتلاميذ الشيخ، وقرر أمامهم جميعا بأنه

هو الشخص الذي ينتظرونه بشغف، وان دليله آياته ومعجزته هي المعجزة التي يعترف بها الاسلام لمعرفة الحق، فمن قلم هذا الشاب الهاشمي الذي لم يدخل المدارس تجري في ظرف ثمان واربعين ساعة من الآيات والمناجاة ما يعادل قدر القرآن الذي أنزل على محمد رسول الله في مدة ثلاثة وعشرين عاما. الا ان ذلك العالم بدلا من ان يرحب بنبأ الظهور الجديد في هذا العصر المظلم المجحف، حكم على الملاّ علي بالكفر وطرده من المجلس، وأتبعه في ذلك تلاميذه وأصحابه، حتى الشيخية الذين كانوا يشهدون بصلاح الملاّ علي وبتقواه وعلمه وصدقه لم يترددوا في ان يوافقوا على ذلك الحكم الصادر ضده، وفعلا ختموه. وتآزر تلاميذ الشيخ محمد حسن وتكاتفوا مع أعدائهم وقاموا جميعا ضد الملاّ علي، وأهانوه إهانات شديدة مما يخرج عن حد الوصف، وأخيرا أوثقوه بالأغلال وسلموه الى موظف في الحكومة العثمانية واتهموه بأنه هادم للإسلام وقادح في الرسول ومحرك للفتنة، وبأنه معرّة للايمان ومستحق لعقاب الإعدام. فأرسل الى بغداد تحت الحفظ بمعرفة مأموري الحكومة وأودع السجن بأمر حاكم تلك المدينة.

وأما الحاجي هاشم الملقب بالعطار، وهو تاجر شهير متفقه في شريعة الاسلام، فقد حكى ما يأتي: (كنت حاضراً ذات مرة إذ أحضروا الملاّ علي، أمام جمع من أعيان وموظفي الحكومة في تلك المدينة، واتهموه انه كافر وناسخ لشريعة الاسلام ومرتد عن أحكامه وأصوله. ولما عدّدوا أعماله وتهمه، قال له المفتي الذي هو رئيس شريعة الاسلام في تلك المدينة "يا عدوّ الله"، ولما كنت جالسا بجانبه، همست في أذنه، لماذا تخاطب هذا الغريب بهذه

اللهجة قبل ان تتبين أمره؟ ألا تعلم ان مثل هذه الألفاظ تهيج العامة الملتفين حوله، ومن اللائق ان لا تصدق هذه التهم الباطلة التي يكيلها هؤلاء الناس له جزافا، حتى تحقق معه، ثم تحكم حسب أصول العدل المقرر في شريعة الاسلام. فغضب المفتي غضبا شديدا، وقام من جلسته. وطُرح الملاّ علي ثانيا في السجن، وبعد أيام قليلة سألت عنه مؤملا نجاته، فأخبرت بأنه نفي للقسطنطينية في ذات الليلة التي سجن فيها، وصرت أبحث وأفتش عن مصيره، فلم أصل الى معرفة مآله. ويعتقد البعض انه أثناء الطريق الى القسطنطينية مرض وتوفي، وقيل انه تجرع كأس الشهادة كما يعتقد البعض الآخر[30]). ومهما يكن من أمر ختام حياته فهو أول من تألم وضحّى في سبيل الله وأول من وضع حياته على مذبح التضحية.

وبعد ان أرسل حضرة الباب، الملاّ علي في مأموريته، دعا باقي حروف الحيّ، وأمر كل شخص بأمر خاص وأوكله بمهمة خاصة، وودّعهم قائلاً: (يا أصحابي الأعزاء أنتم حاملون للواء الله في هذا اليوم وإنكم مختارون أمناء على سره. فعلى كل منكم ان تظهر منه صفات الله وان تتجلى في أقوالكم وأفعالكم علائم الصدق والقوة والعظمة حتى ان أعضاء جسمكم تشهد بنبالة مقصدكم وطهارة حياتكم وصدق إيمانكم وعلو منزلتكم، لأني أقول لكم ان هذا هو اليوم الذي تكلم عنه الله في كتابه القرآن "اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يعملون"، تفكروا في كلمات المسيح الى تلاميذه عندما أرسلهم لتبليغ أمر الله، قال لهم وهو يأمرهم بالقيام لإتمام المأمورية المكلفين بها "إنكم كالنار المشتعلة في ظلام الليل الموقدة على ذروة الجبل. فليكن نوركم

ساطعاً أمام جميع الأنظار ولتكن طهارة أخلاقكم وشدة انقطاعكم على شأن يتقرب أهل الأرض بها الى الأب السماوي منبع الطهارة والفضل ويتعرفون اليه، فأنتم أبناؤه الروحانيون عليكم ان تظهروا بأعمالكم فضائله وتشهدوا بعظمته فأنتم ملح الأرض، فاذا فسد الملح فبماذا يملح. يجب ان يكون انقطاعكم بحيث انكم اذا دخلتم مدينة لتبليغ وتعليم أمر الله فلا تنتظروا مكافأة من أهلها بل اذا خرجتم منها فانفضوا الغبار من أرجلكم فكما دخلتموها طاهرين كذلك اخرجوا منها طاهرين، لأني الحق أقول لكم ان أباكم السماوي معكم وينظر اليكم، فاذا كنتم أمناء لأمره فانه يدفع لأيديكم كل ثروة العالم ويرفعكم على حكام وملوك الأرض". فيا حروفي.. الحق أقول لكم ان هذا اليوم هو أرفع وأجل من أيام الرسل السابقين بل البون والفرق شاسع بينهما فأنتم شهداء فجر يوم الله الموعود الشاربون من كأس وحيه المختوم، فشمّروا عن ذيل الجد وتذكروا كلام الله الذي نزل به الوحي في كتابه "وجاء ربك والملك صفا صفا" فاغسلوا قلوبكم عن أدران الشهوات في هذه الدنيا واجعلوا زينتكم فضائل الملأ الأعلى واجتهدوا ان تكون أعمالكم شاهدة على صدق هذه الكلمات الإلهية واحذروا انكم اذا ترددتم او توليتم ان يستبدلكم ربي بقوم آخرين ثم لا يكونوا أمثالكم وهم الذين يأخذون منكم ملكوت الله فقد انتهت الأيام التي كانت فيها العبادة المقرونة بالكسل والفتور كافية، والآن قد أتى الوقت الذي لا تصعد فيه الأعمال الى عرشه الأعلى الا اذا كانت طاهرة نقية ولا تكون مقبولة لديه الا اذا كانت خالية من أثر الدنس "اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه" فأنتم المستضعفون الذي نزل في شأنهم في الكتاب "بل نريد ان نمن على الذين استضعفوا في

الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين"، فقد دعاكم ربكم الى هذا المقام وستصلون اليه اذا وضعتم تحت أقدامكم كل رغبة وشهوة أرضية واجتهدتم ان تكونوا من الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، فأنتم الحروف الأولى التي نبتت من النقطة الأولى والعيون الأولى التي انبجست من منبع الوحي فتضرعوا الى الله ان لا تعوقكم الشؤون الأرضية ولا الشهوات الدنيوية وان لا تعكر شؤون الخلق صفو ذلك الفضل الذي يجري فيكم او تقلب حلاوته بمرارة، لأني أعدّكم لمجيء يوم عظيم. فابذلوا غاية الجهد حتى أمام كرسي رحمة الله في العالم الآتي أكون أنا الذي أعلمكم وأرشدكم مبتهجاً بأعمالكم ومفتخرا بما تم على أيديكم. وأما سرّ ذلك اليوم الآتي فمستور لا ينكشف الآن لأن مولود ذلك اليوم الجديد يفوق أعقل وأشرف الناس في هذا الزمان وأصغر عاميّ فيه يفوق في العلم والمعرفة أعلم العلماء والفقهاء في هذا العصر. فانتشروا في جميع الجهات وأعدوا الطريق لمجيئه بأقدام ثابتة وقلوب طاهرة ولا تنظروا الى ضعفكم واستكانتكم بل اجعلوا أنظاركم دائما متوجهة الى القوة القاهرة من ربكم وإلهكم القدير. ألم يجعل ابراهيم منصورا على جيوش نمرود رغما عن ضعفه الظاهر. ألم يجعل موسى غالبا على فرعون وجنوده مع انه لم يكن له رفيق سوى عصاه. ألم يؤسس المسيح عزته ومجده ورفعته فوق جميع اليهود مع انه كان بحسب الظاهر فقيرا وحيدا. ألم يخضع محمد "صلعم" قبائل العرب المتوحشة الثائرة الى النظام القدسي الذي أتى به حتى قلبهم وغيّر أحوالهم. إذا قوموا على اسم الله وضعوا ثقتكم فيه وتوكلوا عليه وأيقنوا بالنصر والفوز في النهاية[31]).

وبهذه الكلمات أحيى حضرة الباب إيمان تلاميذه وبلّغهم مهمتهم وخصص لكل منهم إقليما يقوم فيه على التبليغ وأمرهم جميعا ان يمتنعوا عن الإشارة الى اسمه وشخصه[32] وأن ينادوا فقط بأن باب الموعود قد انفتح وان حجته كاملة وبرهانه قائم وان كل من يؤمن به فقد آمن بجميع أنبياء الله ومن أنكره فقد أنكر أولياءه. وبهذه التعاليم ودّعهم وتركهم لحفظ الله، وبقي معه في شيراز أحد هؤلاء الحروف الذين تكلم معهم، وهو الملاّ حسين أولهم، وكذلك جناب القدوس آخرهم، وأرسل الأربعة عشر الباقين من شيراز في ساعة الفجر كل لينفذ الخطة التي أمره بها.

أما الملاّ حسين فقد خاطبه في ساعة فراقه بهذه الكلمات: (لا تحزن إنك لم تكن مختارا لمرافقتي في السفر والحج الى الحجاز فإني سوف أرسلك الى تلك المدينة التي لها من القداسة العليا ما لا تأمل الحجاز ولا شيراز ان تقاربها فيها، لاشتمالها على سرّ يفوق كل قداسة، وأملي انك بمعونة الله ترفع الحجب عن أعين الأشرار وتثقف عقولهم. وفي أثناء الطريق عليك ان تزور أصفهان وكاشان وطهران وخراسان، ثم تسير الى العراق وهناك تنتظر أمر ربك فهو يرعاك ويرشدك الى حيث شاء وأراد. أما أنا فسأسافر الى الحج مع القدوس ومع الخادم الحبشي وسأرافق ركب الحج من فارس الذي سيسافر قريبا وسأزور مكة والمدينة وهناك أتمم المأمورية التي أمرني بها الله، وان شاء الله سأعود الى هنا بطريق الكوفة، وهناك أتعشم أن أراك وأقابلك، ولو جاء الأمر بخلاف ذلك، فاني سأخبرك ان تقابلني في شيراز، وكن واثقا ان جنود الملكوت ستؤيدك وتوفقك فجوهر القوة مودع الآن فيك وجنود ملائكته المختارين تحوم حولك

وقوات العليّ تحيطك وروحه الفائضة تسدد خطاك وترشدك، فمن أحبك فقد أحب الله ومن عاندك فقد عاند الله ومن تودد إليك فقد تودد الى الله ومن أنكرك فقد أنكر الله).

الحواشي

(1) كان الملا حسين بشروئي رجلا يعترف له أعداؤه بأنه عالم كبير وذو قوة خلقية عالية. وكان يداوم على الدرس من صغره وترقى في العلوم الدينية والشرعية على شأن أوجب احترامه. (من كتاب الأديان والفلسفة في أواسط أسيا للكونت جوبينو صفحة 128).

(2) يروى أن الملا حسين قال (بينما كنت ذات يوم مع السيد كاظم في مكتبته، سألته عن السبب في أن سورة يوسف دعيت في القرآن أحسن القصص؟ فأجابني بأنه لم يحن الوقت لإبداء السبب. وبقيت هذه الحادثة في مخيلتي ولم أذكرها لأي أحد. (من التاريخ الجديد صحيفة 39).

(3) أي من ليلة 5 جمادي الأول سنة 1260 هجرية وهي 1270 من رسالة محمد(ص) كما ذكر في الواحد الثاني من الباب 7 من البيان الفارسي (كان ابتداؤه بعد مرور ساعتين وإحدى عشر دقيقة من مساء اليوم السابق على 5 جمادي الأول سنة 1260 التي هي سنة 1270 من بعثة محمد(ص)} (منقول من نسخة خطية كتبت بخط السيد حسين كاتب وحي ورفيق الباب).

(4) نقل المسيو نقولاس من كتاب الحرمين (في الحقيقة ان أول يوم نزل فيه الروح على قلب هذا العبد كان يوم 15 من ربيع الأول) "انظر كتاب سيد علي محمد الباب تأليف نقولاس صحيفة 206".

(5) ويظهر عليه في أول هذه السور، انه كان شخصا تقيا باطنيا وفي الثانية جدليا منطقيا ويلاحظ المستمعون انهم وجدوا في الفصل الخاص بكتاب الله انه اختار نغمة جديدة لم يعلم بها أحد قبل ذلك وانها تستمد من معلومات لم يسمع بها من قبل. ولا يسع المستمع الا الاعجاب بعلو وجمال تلك العبارات العربية المستعملة في تلك السور. فلها من المعجبين العالين من لا يخشى تفضيلها على أحسن المقاطيع الالهية. (من كتاب الكونت جوبينو الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى صحيفة 120).

(6) ورد في بحار الأنوار والعوالم وفي الينبوع عن الصادق بن محمد قوله (العلم سبعة وعشرون حرفا وجميع ما جاءت به الرسل حرفان ولم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين فاذا قام قائمنا أخرج الخمسة وعشرين حرفا) فانظر كيف انه قرر ان العلم سبعة وعشرون حرفا وان جميع الأنبياء من لدن آدم الى الخاتم بينوا منه حرفين وبعثوا على هذين الحرفين، ويقول ان القائم يظهر جميع الخمسة والعشرون حرفا. فأعرف من هذا البيان قدر ومرتبة حضرته وان قدره أعظم من جميع الأنبياء وأمره أعلا وأرفع عن عرفان وأدراك كل الأولياء. (كتاب الإيقان).

(7) كذلك انظر في ابتداء ظهور الباب ففي مدة أربعين يوما لم يؤمن بحرف الباء سوى السين ولم يكن الا بالتدريج حتى لبست حروف باسم الله الأمنع الأقدس قميص الايمان

حتى كمل الواحد الأول، فانظر بعد ذلك كيف تضاعفت الى هذا اليوم. (البيان الفارسي الجزء الرابع صحيفة 119).

(8) وطبقا لكشف الغطاء توفي والد القدوس قبل ظهور الباب بجملة سنين وفي وقت وفاته كان القدوس طفلا يدرس في مشهد في مدرسة ميرزا جعفر (صحيفة 227 حاشية 1).

(9) وهو معروف أيضا بالأسماء الآتية:- سيد الذكر - وعبد الذكر - وباب الله - والنقطة الأولى - وطلعة الأعلى - وحضرة الأعلى - ومظهر الرب الأعلى - نقطة البيان - والسيد الباب.

(10) هذا من أحاديث الشيعة.

(11) تبعا للتاريخ الخطي المكتوب بمعرفة أبو الفضل، كان الباب طفلا لم يفطم حين توفى والده.

(12) وكتب ميرزا أبو الفضل في كتاب خطي، بأن الباب كان يبلغ من العمر ست او سبع سنوات عندما دخل مدرسة الشيخ عابد، وكانت المدرسة تعرف باسم قهويي أولياء، ومكث الباب فيها خمس سنين، تعلم فيها مبادئ اللغة الفارسية وفي أول ربيع أول سنة 1257هـ، عاد الى بلده في فارس بعد أن مكث في النجف وكربلاء سبعة أشهر.

(13) صاحب الزمان، أحد ألقاب المهدي او القائم.

(14) وطبقا لما ذكره الحاج معين السلطنة في تاريخه (صحيفة 37) اشتغل الباب في سن العشرين في التجارة بنفسه ولأنه كان يتيما من صغره وضع في وصاية خاله آقا سيّد علي، واشتغل تحت إشرافه بنفس تجارة والده (خردوات). (من كتاب نقولاس المسمى سيّد علي محمد الباب صحيفة 189).

(15) وتبعا لتاريخ الحاجي معين السلطنة (صحيفة 37) تزوج الباب لما وصل سن 22.

(16) وقد أشار الباب اليها في شرحه لسورة يوسف في سورة القرابة بقوله:- " وقد عقدت على الفراش بسرية اسم الحبيبة من الحبيب الأول للذكر الأكبر هذا ولقد جعلت

ملائكة السماء وأهل رضوانه في يوم العهد بالحق الأكبر على الذكر بالذكر شهيداً. يا أيتها الحبيبة من لدى المحبوب عند حبيبتي ما أنت كأحد من النساء ان اتبعت أمر الله الحق الأكبر اعرفي حق العظيم من كلمة القديم لنفسك وافخري بالجلوس مع الحبيب محبوب الله الأكبر ويكفيك الفخر هذا من لدى الحكيم حميدا واصبري على القضاء في شأن الباب وأهله وان ولدك احمد لدى فاطمة الجليلة في الجنة القدس على الحق بالحق قد كان في الحق بالعلم مربوبا".

وعاشت أرملة الباب الى سنة 1300هـ (جريدة الجمعية الآسيوية الملكية سنة 1889 مقالة 12 صحيفة 993) وكان كلاهما ابنا لميرزا علي الذي كان عم والدة الباب.. وكان ميرزا محسن ابن سيد حسن وميرزا هادي حفيد ميرزا أبو القاسم وهما صارا صهرين لعبد البهاء.

(17) وقد أشار الباب الى ابنه في تفسير سورة يوسف قال (وان ولدك احمد لدى فاطمة الجليلة في الجنة القدس على الحق بالحق قد كان في الحق بالعلم مربوبا) من سورة القرابة وكذلك (الحمد لله الذي أعطى قرة الأعين من شبابه طفلا يدعى احمد بالحق ورفعه الله اليه) "سورة العبد" (من مقدمة كتاب البيان الفارسي لنقولاس الجزء 2 صحيفة 11).

(18) وترك شيراز الى بوشهر وهو في سن السابعة عشر ومكث هناك خمس سنوات مشتغلا بالتجارة وفي تلك المدة كسب احترام جميع التجار الذين تعامل معهم لصدقه وتقواه، وكان دائم الالتفات الى واجباته الدينية وكان يصرف مبلغا كبيرا في الصدقة. وذات مرة أعطى لجار فقير 70 تومان (أي 22 جنيه). (حاشية التاريخ الجديد لحاجي ميرزا جاني صحيفة 343-344).

(19) كان دائم التأمل كثير الصمت مع ان هيكله الجميل ونور محياه وسكون ذاته كان يجذب أنظار مواطنيه، ومن صغره كانت المسائل الدينية تجذبه بقوة، وفي سن 19 كتب أول كتاب له وهو الرسالة الفقهية وأظهر فيها تقواه ونفحة إسلامية بشرته بمستقبل باهر بالنسبة للعقيدة الشيعية وربما كتبها في بوشهر أثناء إقامته فيها للتجارة، إذ كان سنه 18 او 19 سنة. (من كتاب السيد علي محمد الباب تأليف نقولاس من صحيفة 189-190).

(20) وكان يتباحث مع العلماء في المجالس ويستمع لروايات الزوار الذين يحضرون في تلك المدينة التجارية، وكانوا يعدونه من أبناء الطريقة التي كانت محترمة في تلك البلاد (الجريدة الآسيوية سنة 1866 جزء 6 صحيفة 335).

(21) وقد أبان في كشف الغطاء عن هذا الشخص الجليل، قال: ان السيد جواد الكربلائي أخبرني بنفسه انه كان مقيما في كربلاء وان أبناء عمه كانوا معروفين بين علماء تلك المدينة وهم تابعون للفرقة الاثنى عشرية من شيعة الاسلام، وفي حداثته قابل الشيخ احمد الإحسائي ولم يكن معدودا ضمن تلامذته، ولكنه كان من أتباع السيد كاظم المخلصين ومن المتقدمين بين تلاميذه، وقابل الباب في شيراز قبل الظهور بمدة ورآه جملة مرات عندما كان سن الباب ثمانية او تسعة أعوام في منزل خاله، ثم قابله فيما بعد في بوشهر ومكث نحواً من ستة أشهر في نفس الخان الذي كان يقطن فيه الباب وخاله وقد أبلغه ملا علي البسطامي أحد حروف الحي برسالة الباب بينما كان في كربلاء ومنها عاد الى شيراز ليزداد إطلاعا بنفسه على طبيعة الرسالة الجديدة (صحيفة 55–57).

(22) كان الباب وسيم الطلعة حليما مهابا ساكنا زائد الفصاحة والبلاغة سريع الكتابة (كتاب لمحات عن الحياة في إيران للسيدة شيل).

(23) وكان يختلي بنفسه ليشتغل دائما بالعبادة ببساطة متناهية وحلاوة جاذبة وكانت هذه المواهب قد نسبت الى حداثة سنه وكمال طلعته وانجذب حوله كثيرون من المتنورين الذين كانوا يستمعون لعلومه ومعارفه ويسرون من فصاحته وكان أصدقاؤه يؤكدون انه لم يفتح فاه الا بما حرّك أعماق القلوب وكان يسر المتدينين المتمسكين لشدة احترامه للرسول والأئمة وأصحابهم في كل عباراته وفي الوقت نفسه كان في أحاديثه الخاصة يبهج أرواح المستمعين اليه ويحدث فيهم اشتعالا. ولم يجدوا في أحاديثه غضاضة بل سرورا حتى فيما لم يكونوا يتحملونه، لأنها كانت تفتح أمامهم آفاقا لا نهاية لها وأبوابا متنوعة، فيكشف الكثير من الأسرار بطريقة مغطاة بغطاء رقيق يسهل به تصديق أهالي تلك البلاد. (كتاب الأديان والفلسفة في أواسط آسيا صحيفة 118).

(24) كتب سمندر في كتابه الخطي (صحيفة 15) وهو من المؤمنين الأولين في قزوين ان أخت الطاهرة مرضية كانت زوجة لميرزا محمد علي الذي كان أحد حروف الحيّ واستشهد في قلعة الشيخ طبرسي. وكانت مرضية قد آمنت على ما يظهر بأمر الباب (صحيفة 5) وكان الميرزا محمد علي بن الحاج عبد الوهاب الذي أرسل له الباب لوحا وهو في جوار قزوين.

(25) وفي كتاب تذكرة الأوفياء (صحيفة 291–8) كان للطاهرة ولدان وبنت ولم يعترف منهم أحد بالأمر، وكانت درجة اطلاعها وعلمها على شأن ان والدها كان كثيرا ما يأسف ويقول: لو كانت ولداً، لكانت أضاءت بيتي وخلفتني. وقد اطلعت على كتابات الشيخ احمد وهي في منزل ابن عمها ملاّ جواد وكانت تستعير كتباً من مكتبته وتأخذها معها الى المنزل. وكان والدها يعارضها في أعمالها. وذات مرة أثناء محاولاته معها بعنف انتهرها وازدرى بتعاليم الشيخ احمد، فلم تلتفت الطاهرة الى نصائح والدها واشتغلت بمكاتبة السيد كاظم سراً وهو الذي سمّاها "قرة العين" وكان لقب "الطاهرة" مقترنا باسمها وقت ان كانت في "بدشت"، ووافق الباب على ذلك اللقب، وتركت قزوين الى كربلاء أملاً في لقاء السيد كاظم، ولكنها وصلت بعد وفاته بعشرة أيام، واجتمعت مع تلامذة المرحوم وقضت وقتها في العبادة والتضرع في انتظار ظهور الموعود الذي أخبر عنه السيد كاظم، وبينما كانت في تلك المدينة، رأت رؤيا وهو ان شابا سيداً يلبس رداءً أسوداً وعمامة خضراء، ظهر لها في السماء وكان رافعا يده بالدعاء وتلاوة آيات، ولما استيقظت تأثرت من الرؤيا العجيبة وكَتبت إحداها في دفترها، ولما وصلها فيما بعد كتاب أحسن القصص وهو تفسير الباب لسورة يوسف، وجدت لفرط سرورها الآية التي سمعتها في الرؤيا مكتوبة. وكان ذلك الكشف مؤيداً لها في تصديق الدعوة الجديدة وأخذت على نفسها ترجمة أحسن القصص الى الفارسية وبذلت أقصى جهدها في نشره وتفسيره. وكان منزلها في كربلاء محاطا بالحرس الذين عينهم الحاكم لمراقبتها ومنعها من الاختلاط بالعامة، ومن كربلاء سافرت الى بغداد ومكثت مدة في منزل الشيخ محمد شبل ثم نُقلت من منزله الى منزل آخر، وأخيرا نُقلت الى منزل المفتي وفيه مكثت ثلاثة أشهر.

(26) ونقلا عن كشف الغطاء صحيفة 93 بُلغت الطاهرة الرسالة من ملاّ علي بسطامي الذي زار كربلاء سنة 1260هـ بعد عودته من شيراز.

(27) وكانت أسرة الحاجي ملاّ صالح البرقاني من أشهر أسر قزوين ومن أكبرها بسبب ما كان يشغله أعضاؤها من الوظائف العالية والمراكز في هيئة العلماء ولشهرتها في العلوم والمعارف، وكان له أخ يدعى ملاّ محمد تقي بارقاني تسمى بعد موته بالشهيد الثالث. وسنذكر تاريخهم لأجل معرفة مقدار نصيبهم في الاختلافات الدينية في فارس وفي المصيبة التي انتهت أخيرا بالقضاء على كبر وغرور أخ الملاّ صالح. ولما وصل المجتهد أقا سيد محمد الى قزوين، سأله بعضهم، اذا كان الحاجي ملاّ صالح برقاني يعد مجتهداً؟ فأجابهم السيد بقوله (طبعا) وذلك لأنه فضلا عن صلاحه كان من تلاميذه القدماء وكان متتبعا للنهاية لدروس الآقا سيد علي، فقال السائل: (حسنا وهل أخوه محمد تقي يستحق أيضا هذا اللقب المقدس؟)، فأجاب الآقا سيد محمد مادحا علوم تقي، إلا انه امتنع عن الاجابة على الاستفهام بطريقة جلية، ولكن ذلك لم يمنع المستفهم من ان ينشر في المدينة إشاعات ان السيد محمد اعترف بنفسه برياسة محمد تقي وانه قال عنه انه مجتهد في حضوره. وكان السيد محمد قد قطن مع أحد أقرانه الحاج ملاّ عبد الوهاب واطلع هذا الأخير على الإشاعة وأحضر السائل ووبخه أمام الشهود، وكانت إشاعة هذا التداخل بسبب تداولها بالألسنة قد زادت حتى وصلت سمع تقي، وحمى غضبه من ذلك، فكان بمجرد ان يسمع باسم عبد الوهاب يقول (أنا لا أحترمه إلا بسبب انه ابن معلمي المحبوب)، فلما سمع السيد محمد الإشاعة وظن انه أحزن تقي، دعاه يوما عنده للغذاء وعامله بكل احترام وكتب له شهادة مجتهد وصحبه الى المسجد، وبعد الانتهاء من أداء الصلاة، جلس على كرسي وأيّده علنا في مقامه الجديد. وتصادف مرور الشيخ الإحسائي فيما بعد بقزوين وكان الناس يكفرونه لأنه قرّب الفلسفة من الديانة، وكل العالم يعرف ان مزج الفلسفة بالشريعة أمر مستحيل، كما قال في كتاب قصص العلماء. إلا ان الشيخ احمد ارتفع في الحقيقة عن مقام أقرانه وشاركه العديدون في أفكاره وآرائه. وكان له مريدون في جميع مدن وأنحاء إيران. وعامله شاه إيران بمنتهى درجة الاحترام رغما عما قاله الآخوند ملاّ علي في حقه (بأنه جاهل ولكن قلبه

طاهر)، وعند مروره من قزوين ذهب وقطن في منزل الملا عبد الوهاب رغما عن عداوة أسرة البرقاني له، ولما ذهب للصلاة في المسجد حضر علماء قزوين وصلوا خلفه ورد لهم الزيارة جميعا بكل محبة، وازدادت روابط الألفة بينهم وظهر للعموم ان مضيفه هو من أجلّ مريديه. وزار الشيخ احمد، ملاّ محمد البرقاني الذي أظهر له منتهى الاحترام الا انه انتهز الفرصة لسؤاله بعض أسئلة غامضة منها (هل اعتقادكم في القيامة كاعتقاد الملاّ صدرا؟)، فأجاب الشيخ احمد بالنفي، فطلب تقي من أخيه الملا علي ان يحضر له كتاب شواهد الربوبية من المكتبة، ولما تأخر الحاجي ملاّ علي في إحضار الكتاب، قال تقي اني لا أريد الجدل ولكني مستغرب من اعتقادك في القيامة، فأجابه الشيخ أحمد (لم يكن أسهل منه لأن القيامة عندي لا تحصل بالجسم المادي بل بالجسم الهيولاني كما يكون الزجاج موجودا في الحجر بالقوة)، فقال له تقي اسمح لي ان أقول لك ان ذلك الجسم هو خلاف الجسم المادي ومن أصول اعتقادنا ان القيامة هي بأجسامنا المادية، فدهش الشيخ من ذلك وتوسط أحد تلاميذه من أهالي تركستان وفتح موضوعا آخر يطول فيه الجدال، وعاد الشيخ احمد مقتنعا انه أخذ على غرة، وتبين ان تقياً شهّر باعتقاده وكفّره. لأنه لما ذهب للمسجد في نفس اليوم، لم يتبعه أحد خلاف عبد الوهاب وعلم ان الأمر سيشتد، ولكن عبد الوهاب رغبة منه في مداركة الأمر طلب من سيده ان يكتب رسالة يؤيد فيها القيامة للجسد المادي حاسبا حساب ما صنعه تقي. وفعلا كتب الشيخ رسالة موجودة ضمن أجوبة المسائل لم يقبل أحد ان يقرأها، وانتشرت أخبار كفره وزادت يوما فيوما وتداخل البرنس علي ميرزا ركن الدولة للصلح خوفا من اتهامه بالإهمال، حتى تفاقم الأمر ودعا يوما جميع العلماء لتناول الطعام عنده وأعد المكان الأول للشيخ احمد ومن بعده لتقي يفصلهما رجل واحد وكان الترتيب معمولا على ان يأكل كل ثلاثة معا، الا ان تقي خالف النظام واتجه للأكل مع الزميل الذي على يمينه ووضع يده الشمال لينفصل عن الشيخ احمد. وبعد الانتهاء من الطعام أراد البرنس الإصلاح وأخذ في مدح الشيخ احمد قائلا: انه أكبر علماء العرب والفرس وان الواجب يقضي على تقي ان يقوم له بواجب الاحترام وان لا يصغي للذين يريدون إلقاء الفتنة بين العلماء. فقاطعه تقي قائلا: لا يمكن الصلح بين الكفر والإيمان، لأن الشيخ يعتقد في القيامة

عقيدة تخالف عقائد الاسلام وكل من اعتقدها كافر، فكيف يمكن التوفيق بيني وبين كافر. وكلما شدد البرنس في الصلح كلما تصلب تقي. وانتهت بذلك الحفلة. (من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 263–267).

(28) وكان من بين ذرية الملا صالح بنت تدعى زرين تاج (أي التاج الذهبي) جذّابة منذ صباها، وبدلا من صرف وقتها في اللعب، كانت تمضي أغلب أوقاتها في استماع المحادثات الدينية في أسرتها، وأمكنها بذكائها من ان تحل مشكلات العلوم الدينية وتجادل في أمهات المسائل العويصة. أما الأحاديث فقد أجادتها. ولم يخف عليها سرّها وانتشر وذاع صيتها في المدينة وكان مواطنوها يعتبرونها آية في الدين ولم تكن كذلك فحسب بل آية في العلوم والمعارف وآية في الجمال، وأصبح يتلألأ من وجهها شعاع نور الجمال حتى دعوها بـ (قرّة العين). وكان أخوها عبد الوهاب القزويني الذي ورث العلم والشهرة من والده يحكي بنفسه (إننا جميعا من اخوة وأولاد عم، ما كنا نقدر ان نتكلم في حضرتها، لأن علمها كان يرعبنا واذا تصادف وتكلمنا عن مسألة فانها كانت تتكلم عنها بكل وضوح واتقان على البداهة حتى نعلم اننا أخطأنا السبيل ونتركها ونحن متحيرون). وكانت تحضر دروس والدها وعمها في نفس البهو الذي كان يجتمع فيه من التلاميذ ما ينوف عن مائتين او ثلثماية تلميذ، ولكنها كانت تحتجب وراء ستار. وكانت كثيرا ما تدحض أدلة هذين العالمين في بعض المسائل الدينية. وزادت شهرتها في الأوساط العلمية في فارس. وكان العديدون من علمائها لا يحجمون عن ان يتبعوها في كثير من آرائها، وكان مع ذلك من رأي أهل الشيعة ان الاسلام لا يجعل للمرأة مقاما في شيء الا للولادة، فهي لا تفضل عن الحيوان في شيء. وقد تزوجت وهي صغيرة السن بابن عمها محمد قزويني الذي كان إمام الجمعة في المدينة، ثم سافرت الى كربلاء فيما بعد، وهناك حضرت دروس السيد كاظم الرشتي، وكانت موافقة على آراء معلمها لأنها وجدتها منطبقة على آرائها وأفكارها. وبذلك أصبحت قزوين مركز العقائد الشيخية. وكانت كما سنرى فيما بعد حادة الفهم سليمة الفكر بعيدة النظر هادئة الخلق وذات شجاعة فائقة. وقد أدى مجموع اجتهادها الى الاشتغال بمسألة الباب. وسمعته يتكلم عند عودته من قزوين. واشتد إعجابها بما تعلمته من ذلك حتى

انها واصلت الكتابة مع ذلك المصلح وليقينها فيه أشهرت إيمانها. فقامت لذلك قيامة العلماء واشتد حنقهم وحاول زوجها ووالدها واخوتها عبثا التأثير عليها كي ترفض التمسك بهذه الضلالة الخطرة. ولكنها لم تقبل ولم تتزعزع وأعلنت دينها الجديد بكل قوة. (من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 273–274).

(29) قال الحاجي كريم خان في كتابه هداية الطالبين، انهم سموا بذلك لأن الشيخ احمد لما كان في كربلاء وحضر للزيارة كان يتلو دعواته وصلواته وهو خلف الإمام احتراما. ومن ذلك يعلم انه لا يفرق بين الإمام الميت والإمام الحي، لأن الفرس اذا دخلوا القبور يولونها ظهورهم عند الصلاة لأن الأجداث المطهرة مدفونة بطريقة ان الرأس متوجهة للقبلة. ولكن ذلك خطأ واتباع المسيح إنما سموا نصارى لنصرهم الله ولكن هذا الاسم أطلق على جميع من اقتفى أثرهم، وكذلك أسم بالاسري يطلق على جميع الذين يصلّون وهم فوق رأس الإمام. (من كتاب مقالة على الشيخية لنقولاس الجزء الأول مقدمة صحيفة 5–6).

(30) وذكر محمد مصطفى (صحيفة 106) ان الملاّ علي سجن ستة أشهر في بغداد بأمر نجيب باشا والي المدينة، ثم أمر بالسفر الى الآستانة بناء على تعليمات الحكومة العثمانية، ومرّ بمدينة الموصل وفيها تمكن من إيقاظ بعض النفوس للأمر الجديد، ولكن أحبابه لم يتمكنوا من معرفة ان كان وصل الى مقره النهائي.

(31) يشير الباب الى حروف الحي في البيان الفارسي (الواحد الأول الباب الثاني) بقوله: وجميعهم يكونون اسم الحي لأنها أقرب الأسماء الى الله، وأما غيرهم فيهتدون بهداهم وأعمالهم المدلة، لأن الله قد ابتدأ بهم في خلق البيان واليهم يعود هذا الخلق للبيان فهم الأنوار الذين كانوا منذ القدم ساجدين وسيكونون الى الأبد ساجدين أمام عرش السماء (البيان الفارسي جزء أول صحيفة 24–25).

(32) وذكر المسيو نقولاس في مقدمته على الجزء الأول من البيان الفارسي ما يأتي (صحيفة 3–5) وقد اتفق الجميع على انه من المستحيل نشر الدعوة بين الناس علناً بل يجب معاملتهم كما يعامل الطبيب الأطفال فانه يخفي دواءً مرّاً في غلاف سكري حتى يمكن مداواة هؤلاء المرضى الصغار. وكان القوم الذين ظهر فيهم ويا للأسف متعصبين

بدرجة تفوق تعصب اليهود في وقت ظهور المسيح ولم تكن عندهم عظمة المملكة الرومانية لتمنع اصطلام الجهالة الدينية من قوم ذوي حمية عظيمة فاذا كان المسيح رغما عن الهدوء الذي كان حوله لا يتكلم إلا بالأمثال فلا بدع اذا كان السيد علي محمد يخفي أفكاره تحت طي الإشارات ولا يبدي من الحقائق الالهية الا قطرة قطرة، فربى طفل الإنسانية وهداه، مجداً في عدم تخويفه وسدد خطاه الأولى في طريق يوصله ببطئ وكيفية حتمية ومؤكدة الى النهاية التي أعدها له الى الأبد وكان وحده قادرا عليها.

الفصل الرابع

رحلة الملاّ حسين الى طهران

وكانت الكلمات التي خاطبه بها حضرة الباب تتردد في آذانه أثناء سياحته، فأينما ذهب وفي أي مجمع كان يخاطب الجمهور بكل جرأة ويعلمهم

الرسالة التي عهد بها اليه السيد المحبوب، ولما وصل الى أصفهان قطن في مدرسة نيم آورد. والتفّ حوله تلاميذ المجتهد الحاجي سيد محمد باقر[1] الذين عرفوه منذ زيارته الأولى بأنه رسول السيد كاظم الى ذلك المجتهد، وخلّفه بعد وفاته ابنه الحاجي سيد أسد الله واستلم كرسي والده بعد ان عاد من النجف، وأما الحاجي محمد ابراهيم كلباسي، فاشتد مرضه واقتربت منيته. وانزعج تلاميذ الحاجي سيد محمد باقر من التعاليم الجديدة التي كان ينشرها الملاّ حسين بعد ان ظنوا انهم تخلصوا من تعاليم سيدهم بعد وفاته، فقاموا ضد الملاّ حسين وشكوه الى الحاجي سيد أسد الله قائلين: (ان الملاّ حسين سبق ان اكتسب أثناء زيارته الأخيرة تأييد ومعونة والدك العلاّمة لأمر الشيخ أحمد ولم يتجاسر أحد من تلاميذه ان يعارضه، والآن يدعونا بكل قوة وشجاعة لأمر جديد آخر أقوى وأثبت، ويقول عن صاحبه انه ذو كتاب سماوي يشبه في عباراته القرآن، ويباهل به أهل هذه المدينة، قائلا: " فأتوا بسورة من مثله ان كنتم صادقين "، فلن يمضي وقت كبير حتى يؤمن به جميع أهالي أصفهان، فكان الحاجي سيد أسد الله يجيبهم، قائلا: "وماذا عساني أقول لكم، ألم تعترفوا بأنفسكم ان الملاّ حسين قد أسكت بقوة برهانه وفصاحته رجلا شهيراً كوالدي، فكيف وأنا أقل منه علما ومقاما يمكنني ان أدحض برهانه، فليفحص كل إنسان دعوته، فإن أقتنع، فبها وإلا فليلزم السكوت ولا يعرض اسم ديننا للإهانة ". ولما رأوا عجزهم عن التأثير على السيد أسد الله، أحالوا الأمر على الحاجي محمد ابراهيم كلباسي، وصرخوا اليه قائلين: "الويل لنا لأن العدو قد قام لنقض دين الاسلام المقدس"، وشرعوا يعارضون آراء الملاّ حسين بكل جرأة وجهالة، فأجابهم الحاجي محمد

ابراهيم قائلا: "التزموا جانب السكوت، فإن الملاّ حسين ليس بالرجل الذي ينخدع بسهولة او الذي يقع فريسة للباطل، ولو صحّ قولكم ان الملاّ حسين يدعو الى دين جديد، فأول واجب عليكم ان تفحصوا تعاليمه وان تمتنعوا عن ردّه قبل الفحص والتمعن، وإذا ساعدتني صحتي وعادت اليّ قوتي، فان غرضي ان أبحث الأمر لأتبين الحق بنفسي").

فلما وصلهم هذا التأنيب الشديد من الحاجي المذكور، لجأوا الى حاكم المدينة منوجهر خان معتمد الدولة، فامتنع هذا الحاكم العاقل العادل عن التداخل في هذه المسائل قائلا: إنها تخص العلماء. ولكنه حذّرهم من التورط في إحداث الاضطراب والاخلال بالأمن او الإساءة الى الرسول، فبددت كلماته آمالهم. فلم يقع الملاّ حسين فريسة لتدابير الأعداء واستمر في عمله مدة بدون أي عائق.

وكان أول من اعتنق الأمر في هذه المدينة، رجل يشتغل في تنقية القمح، فكان يخدم الملاّ حسين بكل إخلاص، وبسبب معاشرته له أصبح مدافعا كبيرا عن الأمر الجديد فيما بعد، ولما جاءت أخبار حصار قلعة الشيخ طبرسي وتفاصيلها المثيرة للأشجان وسمعها، شعر بوله عظيم ورغب في ان يكون نصيبه مع هؤلاء الأصحاب الذين قاموا للدفاع عن دينهم، وحمل غربال معه وقام على الفور لينضم الى تلك المعمعة. فسأله أصحابه إذ شاهدوه يجري في أسواق أصفهان بحالة انفعال عظيم وحماس قائلين: "لماذا هذا الاستعجال؟" فأجابهم قائلا: "أريد مساعدة إخواني الأعزاء في الدفاع عن قلعة طبرسي، وبهذا الغربال الذي معي سأغربل الناس في كل مدينة أمر فيها أثناء رحلتي، فمن

وجدته مستعدا لهذا الأمر، أسأله ان ينضم معي ويتعجل الى ميدان الشهادة". فهكذا كان إخلاص هذا الشاب الذي تفضل عنه حضرة الباب في البيان: (قد امتازت أصفهان تلك المدينة البارزة بعلم علمائها وحماس أهلها الديني في المذهب الشيعي ولشدة الانتظار والتربص سواء من الأعالي والأداني، لظهور ومجيء صاحب الزمان، وفي كل قسم من المدينة معاهد دينية، فلما أتى الرسول الإلهي، أنكر رسالته من ادّعوا انهم مخازن العلم ومكامن أسرار دين الله، ولم يؤمن بالحق من بين سكان مدينة العلم المذكورة سوى شخص واحد وهو منقي القمح وهو الذي ارتدى بخلعة الفضل الإلهي[2]).

ولم يعترف بالأمر من بين أشراف أصفهان سوى القليل، كميرزا محمد علي النهري الذي اقترنت ابنته أخيرا بالغصن الأعظم[3] وكذلك ميرزا هادي أخ ميرزا محمد علي، وميرزا محمد رضا باقالي. أما ملاّ صادق خراساني الذي كان يلقب بالمقدّس، والذي سمّاه حضرة بهاءالله باسم الله الأصدق، فأقام في أصفهان مدة خمس سنوات باحثا عن مجيء الأمر الجديد بناء على تعاليم السيد كاظم، وكان من المؤمنين الأولين الذين صدّقوا بحضرة الباب[4] لأنه لما علم بمجيء الملاّ حسين الى أصفهان أسرع اليه وقابله في منزل الملاّ علي النهري، وحكى الملا صادق الخراساني، الرواية الآتية، قال: (سألت الملاّ حسين ان يخبرني باسم الموعود، فأجاب بأن الاستفهام عن اسمه والإفضاء به، كلاهما ممنوعان. فسألته هل لي ان أعتكف كحروف الحيّ وأسأل الله في صلواتي ان يبينه لي برحمته؟ فأجابني: "بأن باب رحمته لن يغلق أبداً أمام وجه من يجاهد فيه". وبناء على ذلك، سألت مضيفي ان يفرد لي غرفة للخلوة، وفي

أثناء مناجاتي تذكرت وجه ذلك الغلام الذي رأيته مرارا في كربلاء وهو واقف يصلي في مسجد الإمام الحسين والدموع تكسو وجهه، فتمثل ذلك الوجه أمام عيني وشاهدته يبتسم بسرور لا يمكن وصفه، فذهبت نحوه لأرتمي على قدميه، ولكنني وجدته قد اختفى من أمامي. فذهبت الى الملاّ حسين وأخبرته بالرؤيا وأنا مستبشر، فأعلمني بأني قد وصلت في آخر الأمر الى محبوبي، وأمرني بكتم الرؤيا لأن الوقت لم يحن بعد للإفضاء بها، وقال لي، قد جنيت ثمرة انتظارك في أصفهان، فعليك الآن ان تذهب الى كرمان وتبلغ الدعوة للحاجي ميرزا كريم خان، ومن هناك تسافر الى شيراز وتسعى في تنبيه سكان تلك المدينة من غفلتهم، وأتعشم اني أقابلك في شيراز وأقاسمك نعمة الاجتماع المبهج مع محبوبنا[5]).

وسافر الملاّ حسين من أصفهان الى كاشان وكان أول من آمن هناك حاجي ميرزا جاني الملقب پاريا[6] وكان من بين أصحاب الملاّ حسين عالم شهير يدعى السيد عبد الباقي من سكان كاشان وأحد الشيخية بها، ومع انه كان من أعز أصحاب الملاّ حسين مدة وجوده في النجف وكربلاء، فان ذلك السيد لم يقبل ان يضحي بمركزه ولا رياسته لأجل الدعوة التي أتى بها صديقه.

ولما وصل جناب الملا حسين الى بلدة قم، وجد أهلها غير مستعدين لندائه ولم ينبت البذر الذي بذره فيها إلا بعد نفي حضرة بهاءالله الى بغداد. ففي تلك الأيام آمن حاجي ميرزا موسى، أحد سكان قم، وسافر الى بغداد، وهناك قابل حضرة بهاءالله، وأخيرا تجرع كأس الشهادة في سبيله.

ومن بلدة قم، ذهب جناب الملاّ حسين الى طهران ونزل في إحدى غرف مدرسة ميرزا صالح التي تسمى بمدرسة پاي منار، وفيها بلّغ الدعوة للحاجي ميرزا محمد خراساني المعلم في تلك المدرسة وهو رئيس الشيخية، ولكنه أبى ان يلبي الدعوة، وقال لجناب الملاّ حسين: (نحن كنا نظن انك بعد وفاة السيد كاظم ستجتهد في ترقية أمور الشيخية وتخلصها من الشبهات التي وقعت فيها، ولكنك، يظهر عليك انك قد تركتها فضيعت أعظم آمالنا. فاذا صممت على انك تذيع هذه العقائد الباطلة فانك تمحو آخر بقايا الشيخية في هذه المدينة). فطمّنه الملاّ حسين بأنه لم يقصد الحط من تعاليم الشيخ احمد ولا السيد كاظم وانه لا يود ان يطيل اقامته في طهران[7].

وكانت عادة الملاّ حسين مدة إقامته في طهران ان يترك غرفته في الصباح مبكرا ليعود اليها بعد الغروب بساعة. ويدخل غرفته بسكون ويغلق بابها على نفسه ويبقى فيها الى اليوم التالي[8]. ومما رواه ميرزا موسى أقاي كليم أخ حضرة بهاءالله، ما يأتي: (سمعت الملاّ محمد المعلم، أحد سكان نور في اقليم مازندران ومن المعجبين بتعاليم الشيخ احمد والسيد كاظم، يقول: "كنت من تلاميذ الحاج ميرزا محمد المعدودين، وقاطنا في نفس المدرسة التي يعلّم فيها، وكانت غرفتي ملاصقة لغرفته وكنت دائم المعاشرة معه، وذات يوم حضرت محادثة الملاّ حسين معه من الأول للآخر. وكنت متأثرا من سلاسة وقوة تعاليم ذلك الشاب الغريب، وأتعجب من محاولات الحاج ميرزا محمد معه في الأجوبة ومن تكبره ومن تحقيره له. فأحسست إذ ذاك بانجذابي من تأثير ذلك الشاب واستهجنت سلوك معلمي نحوه، ولكني أخفيت احساساتي وادعيت

اني متجاهل ما دار بينهما من المجادلات، وصممت على مقابلة الملاّ حسين على انفراد، وذهبت في نصف الليل على غير انتظار وطرقت الباب ووجدته منتبها وجالسا بجوار مصباحه. فقابلني بشوق زائد وتكلم معي بكل لطف وأدب، فتركت قلبي أمامه وخاطبته والدموع تجري من عيني، فقال لي:

"إني الآن عرفت لماذا اخترت هذا المكان للسكنى لأنه ولو كان معلمك قد رفض قبول الدعوة واحتقر مؤسسها، ولكن الأمل في ان تلميذه يعترف بها على عكس معلمه، فما هو اسمك وموطنك؟".

فأجبته بان اسمي ملاّ محمد ولقبي المعلم وموطني نور في مازندران.

فسألني قائلا: "أخبرني هل يوجد اليوم من بين أفراد عائلة المرحوم ميرزا بزرك نوري الذي اشتهر بأخلاقه وآدابه وعلومه من قام مقامه في حفظ هذا البيت الشهير؟"

فأجبته: " نعم. يوجد بين أنجاله الآن من امتاز بسمو الأخلاق التي اشتهر بها والده. وقد برهن بطهارة حياته وعلو كعبه ومحبته وشفقته وحريته، بأنه السليل الشريف لذلك الوالد النبيل".

فسألني عن صناعته؟

فأجبته: "انه يواسي الفقير ويطعم الجائع".

وسألني عن رتبته ومقامه؟

فأجبته: "ليس له لقب سوى انه صاحب المسكين والغريب، وأما اسمه فحسين علي، ومن جملة مواهب والده، إتقانه خط "النسخ تعليق" وهو خط

"الشكستة" ويجول في الغابات ويبتهج بجمال الطبيعة[9]، وعمره ثمان وعشرون سنة.

وكانت هذه المعلومات أجوبة على أسئلة الملاّ حسين التي كان يسألها بلهف، وكنت متعجبا من حالة السرور التي كانت تبدو عليه وقت ان كان يسمع الإجابة عن كل سؤال. ثم التفت اليّ بوجه مفعم بالسرور والاطمئنان، وقال لي:

"أظن انك قابلته كثيرا؟"

فأجبته قائلا: "نعم كثيرا ما زرته في منزله".

فقال: "هل لك ان توصل اليه وديعة مني؟"

فأجبته: " نعماً ومرحباً ".

فأعطاني ملفاً في قطعة قماش وأمرني أن أسلمها له باكرا عند الفجر، وزاد قائلا: "اذا تكرم بالإجابة فأعلمني برده". فأخذت منه الملف، وعند طلوع الشمس ذهبت لتنفيذ رغبته. فلما ذهبت الى منزل حضرة بهاءالله وجدت أخاه ميرزا موسى واقفا بجوار الباب، وما كدت أعلمه بمهمتي حتى ذهب داخل المنزل وعاد مرحبا بي. فدخلت الى حضوره، وقدمت الملف الى ميرزا موسى الذي وضعه أمام حضرة بهاءالله، فأمرني بالجلوس وفتح الملف ونظر في محتوياته وابتدأ يقرأ بعض عباراته بصوت مرتفع. وجلست مفتونا من استماعي لحلاوة صوته ونغماته. وبعد ان أتم قراءة صحيفة من الملف، التفت الى أخيه وقال له: "يا موسى، ماذا تقول؟ أليس كل من يعتقد في القرآن ويعترف بمنبعه السماوي لا يسعه ان يتردد ولو لحظة في ان هذه الكلمات قد تجلت بنفس القوة

المحيية للأرواح، وإلا فانه يخطئ في حكمه ويضل عن صراط العدل". ولم يزد على ذلك، الا انه أمرني بأن آخذ معي الى الملاّ حسين هدية منه، قمعاً من السكر الروسي وعلبة من الشاي وأن أبلغه تقديره ومحبته[10]".

فقمت مملوءا بالفرح ورجعت الى الملاّ حسين وسلمته الهدية وأبلغته الرسالة. فما كان أشد فرحه واغتباطه اذ ذاك، فلا تقدر الكلمات ان تعبر عن شدة تأثره، فقام عند ابلاغه الرسالة على قدميه وأحنى رأسه وأخذ الهدية من يدي وقبّلها بلهف شديد، ثم عانقني وقبّلني قائلا: "أيها الحبيب العزيز إني أدعو الله كما فرّحت قلبي ان يهبك السعادة الأبدية ويملأ قلبك بفرح لا مزيد عليه". وقد كنت متعجبا من سلوك الملاّ حسين، وقلت في نفسي ماذا عسى ان تكون الصلة التي جمعت هذين الروحين وما الذي أشعل مثل هذه الصحبة الحارة في قلبيهما ولماذا ظهر من الملاّ حسين مثل هذا السرور عند نظره لمثل هذه الهدية البسيطة من طرف حضرة بهاءالله مع ان أبهة الملك والعز لا أهمية لها في نظره، وكنت متحيراً في فكري ولم أتمكن من حل ذلك اللغز.

ولم تمض الا أيام قلائل حتى سافر الملاّ حسين الى خراسان وعند الوداع قال لي: "لا تخبر أحداً بما سمعت وشاهدت، فاجعل ذلك سراً مكتوما في صدرك، ولا تفش اسمه، لأن الذين يحسدونه على مقامه سيقومون للاضرار به، واطلب من الله القدير في مناجاتك ان يحفظه، فبواسطته يرفع المستضعفون ويغنى الفقراء ويعز المساكين، وسيبقى سرّ الأمر محجوبا الآن عن أنظارنا، فعلينا ان نرفع نداء هذا اليوم الجديد وندعوا جميع الأمم والأقوام الى هذه

الرسالة الربانية وسوف يفدي الكثيرون في هذه المدينة أرواحهم في هذا السبيل. ومن هذه الدماء ترتوي شجرة الله وتنمو حتى تستظل في ظلها جميع الخلائق".

الحواشي

(1) وكان الناس يهرعون جماعات وزرافات لسماع الخطيب وكان يتمثل في جميع كراسي أصفهان وهو ما كان ممنوعا عنه في شيراز ولم يخف ان يعلن ان ميرزا علي محمد

هو الإمام الثاني عشر، الإمام المهدي، وكان يظهر كتب سيده ويقرأها ويشير الى البلاغة والمتانة ويظهر كلما هو فتى بذلك الرائي ويعدد عجائبه. (من كتاب الأديان والفلسفة في أواسط آسيا صحيفة 130 للكونت جوبينو).

(2) وانظر الى أرض الصاد التي هي في هذا العالم الظاهر أعظم الأراضي فيوجد في كل ركن منها عبيد عديدون اتصفوا واكتسوا باسم العلماء والمجادلون ففي الوقت الذي انتخب فيه الخلق اكتسى مغربل القمح بحلة الأولية. وهنا يظهر سرّ كلمة الأئمة في موضوع المظهر (حتى يكون أعلاكم أسفلكم. وأسفلكم أعلاكم). (من البيان الفارسي جزء 4 صحيفة 113).

(3) إشارة الى زواج عبد البهاء بمنيرة خانم.

(4) ذكر جوبينو (صحيفة 129) ان الملا محمد تقي الهراتي من مشاهير العلماء كان من أوائل المؤمنين بالأمر الجديد.

(5) وكانت رحلة بشروئي في أصفهان نصرا للباب وآمن العديدون من المشاهير ولكن في الوقت نفسه جلب ضغينة العلماء الرسميين حتى انه اضطر الى مغادرة المدينة وكان إيمان الملا محمد تقي الهراتي وهو عالم من الطبقة الأولى قد أشعل غضبهم للنهاية خصوصا وان هذا الأخير كان ممتلئاً من الحماس وكان في كل يوم يصعد المنبر ويخاطب الناس بدون ستر عن عظمة الباب الذي كان أعطاه رتبة النائب الخاص عن الإمام الثاني عشر. (من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 255).

(6) وذكر في كشف الغطاء (صحيفة 42–45) ان الحاجي ميرزا جاني كان معروفا عند أهل كاشان باسم الحاجي ميرزا جاني بزرك لتمييزه من آخر سميّ له كان تاجرا في كاشان باسم حاجي ميرزا جاني ترك او الصغير، وكان للأول ثلاثة أخوة وأكبرهم يدعى حاجي محمد إسماعيل الذبيح والثاني الحاجي ميرزا احمد والثالث الحاجي على اكبر.

(7) وكان يمضي بعض الأيام في تخت المملكة ولكنه ما كان يظهر أمام الجمهور علنا وكان يقتنع ان يحادث الذين يحضرون عنده لمقابلته سرا. ولم يأل جهدا في مقابلة العديدين واخبارهم بعجائب الأمر وكان كل شخص يحب رؤيته ومقابلته. كذلك محمد شاه

ووزيره حاجي ميرزا آقاسي لم يفتهما ان يدعواه للزيارة، وأظهر لهما التعاليم وأعطاهما كتبا من كتب مولاه. (الكونت دي جوبينو الأديان والفلسفة في أواسط آسيا صحيفة 131).

(8) وذكر سمندر في كتابه الخطي (صحيفة 2) ان الملاّ حسين كان يحمل في طريقه من شيراز الى طهران لوحا الى محمد شاه من الباب سنة 1260 هجرية.

(9) وحكى الدكتور اسلمنت في كتابه قال (وفي ذات يوم حكي عبد البهاء أكبر أنجال بهاءالله لمؤلف هذا الكتاب التفاصيل الآتية بخصوص أوائل أيام حياة والده قال: "كان منذ طفولته كريما للغاية وشفوقاً ومحبا للعيشة خارج المنزل وكان يقضي أغلب أوقاته في الحديقة او المزارع وكانت له قوة جاذبة يشعر بها الجميع وكان الناس دائما يلتفون حوله وكذلك الأطفال كانوا يحيونه وكذلك جميع وزراء الدولة وكبار رجالها يودون مقابلته. وفي سن الثالثة عشر او الرابعة عشر اشتهر بالعلوم.. ولما بلغ الاثنين والعشرين توفي والده وأرادت الحكومة ان تسند اليه وظيفة والده في الوزارة كما هو الحال في إيران ولكن بهاءالله لم يقبل ذلك وعندئذ قال رئيس الوزارة اتركوه لنفسه فان هذا المنصب لا يليق له فان له غرضا أسمى تحت نظره لا أقدر ان افهمه ولكني مقتنع بأنه متهيئ لأمر عال فان أفكاره ليست كأفكارنا"). (صحيفة 31–32 بهاءالله والعصر الجديد).

(10) وكان الشاي وذلك النوع من السكر نادرين في ذلك الوقت في إيران وكان يهادى بهما العظماء.

الفصل الخامس

رحلة حضرة بهاءالله الى مازندران

كان أول ما قام به حضرة بهاءالله من الرحلات لنشر تعاليم حضرة الباب في موطنه الأصلي نور في إقليم مازندران. فانتقل الى تاكور محل وجود أملاك والده وحيث يوجد له فيها قصر كبير مفروش بالأثاث الفاخر، وكان من حظي أن سمعت حضرة بهاءالله نفسه يوما يذكر ما يأتي: (كان لأبي الوزير المرحوم منزلة يحسده عليها أقرانه، فكانت ثروته الواسعة وسلالته العريقة في النسب وأعماله الفنية وكرامته التي لا تدانى ورتبته العالية موضع اعجاب كل من عرفه. ولمدة عشرين سنة فأكثر لم يصب أي فرد من أفراد أسرة نور التي انتشرت في إقليم نور وطهران أي ضرر او ضيق او مرض، وكانوا يتمتعون لمدة طويلة بدون انقطاع بما كان يحل عليهم من البركات المتنوعة، ولكن الحال تغير فجأة وتبدلت تلك السعادة والرفاهية بالمصائب التي هزت أركان راحتهم المادية، فأول خسارة وقعت لهم تسببت عن فيضان عظيم ارتفع في جبال مازندران، وطغى بشدة على قرية تاكور وهدم نصف القصر المملوك للوزير المبني فوق القلعة، واقتلع السيل الجارف أحسن شقيّ المنزل رغم انه كان متين الأساس، فهلكت أمتعته الثمينة وهدمت زينته الفاخرة. وتبع ذلك ضياع الوظائف الحكومية التي كان الوزير قد تقلدها، وحصلت من خصومه وحسّاده هجمات متوالية، ورغما عن كل هذه النكبات استمر الوزير على سكونه ووقاره المعهود وعلى أعمال البر والإحسان واستمر يعامل أقرانه من عديمي

الوفاء بنفس الشفقة والاحترام الظاهرين في معاملته لجميع مواطنيه. والى آخر نسمة من حياته تحمل بكل ثبات جميع البلايا التي داهمته).

وكان حضرة بهاءالله قبل إعلان دعوة حضرة الباب قد زار إقليم النور في الوقت الذي بَلَغَ فيه المجتهد الشهير ميرزا محمد تقي النوري أوج شهرته وقوته التي وصلت الى درجة ان الذين يجلسون عند أقدامه كانوا يعتبرون أنفسهم انهم من مفسري الشرع ومعلمي الاسلام. وبينما كان المجتهد يشرح الدرس لنحو مائتين من أتباعه ومريديه ويتكلم عن حديث غامض من أحاديث الأئمة، إذ حضر حضرة بهاءالله ومعه عدّة من أصحابه ومكثوا يستمعون لمحاضرته، فسأل المجتهد تلاميذه ان يشرحوا نظرية غامضة من الوجهة الباطنية من التعاليم الاسلامية، فلما عجزوا عن الجواب، تحرك حضرة بهاءالله وبيّن تلك النظرية بلغة مقنعة وبيان سهل. فتكدر المجتهد من عجز تلاميذه وقال غاضباً: (علّمتكم عدة سنين وأردت ان أثبّت في نفوسكم الحقائق الغامضة والأصول العالية من الدين، ومع ذلك فقد أظهر ذلك الشاب الذي يلبس الكلاة "قلنسوة" تفوّقه عليكم بعد كل هذه السنين الطويلة مع انه لم يتعلم في مدرسة ولم يكن له اطلاع على دروسكم وعلومكم).

ولما سافر حضرة بهاءالله من هناك، أخبر ذلك المجتهد تلاميذه فيما بعد عن رؤيتين رآهما كان لهما في نظره أهمية كبيرة، قال عن الأولى: "كنت كأني واقف في وسط مجمع من الناس يشيرون الى منزل يقولون ان صاحب الزمان يسكنه، فأسرعت وأنا مستبشر بذلك للوصول الى حضرته. ولما وصلت الى المنزل تعجبت لمنعي من الدخول، وقيل لي ان القائم مشغول في المحادثة مع

شخص آخر، ولا يمكن الوصول اليه فذلك ممنوع بتاتا. واستنتجت من هيئة الحراس الذين رأيتهم بجوار باب المنزل، ان ذلك الشخص هو بهاءالله".

"وأما في الثانية، وجدت نفسي كأني في محل، وحولي صناديق عديدة قيل لي انها تخص بهاءالله، ولما فتحتها وجدتها مملوءة كتبا، وكانت الكتابة والحروف تلمع بجواهر غالية وضوؤها يأخذ بالأبصار، وقد أدهشني لمعانها على شأن أيقظني من النوم فجأة".

ولما زار حضرة بهاءالله إقليم نور سنة 60 هـ، وجد ان المجتهد الشهير الذي كانت له سطوة زائدة، قد توفي. ونقص عدد مريديه العظيم الى شرذمة ضئيلة من الاتباع اجتهدت في تتبع أحاديث معلمهم السابق تحت رئاسة الملاّ محمد خليفته، وتبدلّ الحماس الذي كان يحوم حول مجيء حضرة بهاءالله السابق الى خمول خيّم الآن على بقية هؤلاء الجماعة، وحضر لمقابلته جم غفير من الموظفين والأعيان في تلك الناحية ورحّبوا به الترحيب اللائق، وكانوا جميعا مشتاقين لأن يعلموا منه شيئا عن حياة الشاه وأعمال الوزراء وأمور المملكة نظرا للمركز الاجتماعي الذي كان يشغله، فلم يظهر لهم حضرة بهاءالله اهتماما خاصا بهذه الأحوال، ولكنه دعاهم الى الأمر الجديد بكل فصاحة ونطق بليغ وإقناع، ولفت أنظارهم الى المنافع العديدة التي تنالها المملكة من ذلك(1) وكان الذين يستمعون اليه يندهشون من عظيم اهتمام رجل في مقامه ومركزه وعمره للأمور التي هي من خصائص علماء الدين وكانوا يجدون أنفسهم مضطرين للاعتراف برجحان أدلته وغير قادرين على التقليل من أهمية

ذلك الأمر الذي كان يبينه بقدرة فائقة. وكانوا يعجبون بعلو كعبه في العلوم وحماسه ومتانة أفكاره، ويتأثرون للغاية من شدة انقطاعه وتبتله.

ولم يقدر ان يعارضه أحد في آرائه سوى عمّه عزيز، الذي تجرأ على مقاومته والطعن عليه وكان الحاضرون في مجلسه يرغبون في إسكات مقاومه والإضرار به، ولكن حضرة بهاءالله كان يتوسط له وينصحهم ان يتركوه لأيدي الله. فلما انزعج عمّه من ذلك طلب المساعدة من مجتهد نور، وهو الملاّ محمد، وقال له: "يا خليفة رسول الله، أنظر ماذا داهم الدين، فإن شابا من غير العلماء مرتديا خلعة النبالة والإمارة حضر الى نور وغزى معاقل الايمان ومزق دين الاسلام، فقم في وجهه وأوقف تهجمه لأن كل من يحضر أمامه يقع في حبائل سحره وينجذب بقوة منطقه، ولست أدري هل هو ساحر او هو يمزج الشاي الذي يسقيه للناس بما يجعلهم فريسة لسحره".

وكان المجتهد على قلة بضاعته في العلم والفهم يعلم بطلان ادعاءات ذلك العم، فكان يسأله مازحا: "وهل شربت من الشاي الذي يعمله او سمعته يتكلم مع أتباعه؟" فأجابه: "نعم، ولكنه لم يؤثر فيّ قوة سحره فقد حفظتني حماية حبك". وكان المجتهد يعلم انه غير قادر على إثارة العامة ضد حضرة بهاءالله او ان يقاوم الآراء التي ينشرها شخص مقتدر مثله بغير خوف ولا وجل. واكتفى المجتهد بكتابة عبارة الى عمه عزيز قائلا: "يا عزيز لا تخف فلن يقدر أحد ان يلحق بك ضرراً ". وكانت العبارة مكتوبة بخطأ نحوي جعل معناها غير مفهوم حتى ان كل من قرأها من أعيان تاكور عاب الكاتب والمكتوب له".

وكان كل من يتشرف بحضور حضرة بهاءالله او يسمع منه نبأ دعوة حضرة الباب ورسالته، يتأثر وينجذب من بيانه على شأن يقوم على نشر وإذاعة الكلمة بين أهل نور وإعلان فضائل المعلم الشهير. واجتهد تلاميذ الملاّ محمد في هذه الأثناء ان يقنعوه بأن يذهب الى تاكور ويزور حضرة بهاءالله ويتحقق منه أمر هذا الدين الجديد ويفهّم أتباعه مقصده ومأربه. ولكن المجتهد كان يتهرب في الجواب رغما عن الإلحاح الشديد، فلم يقبل منه تلاميذه ما كان يعتذر به، وقالوا له ان أول واجب على رجل في مقامك إزاء هذا الأمر ان يحافظ على سلامة المذهب الشيعي الإسلامي وان يبحث في كيان كل حركة لها مساس بالدين. وأخيرا صمّم ملاّ محمد ان يرسل اثنين من مشاهير أتباعه، وهما الملاّ عباس وميرزا أبو القاسم، وكلاهما أصهار المجتهد السابق ميرزا محمد تقي ومن أخص تلاميذه، وطلب منهما مقابلة حضرة بهاءالله والبحث معه في حقيقة الرسالة التي أتى بها وأوجب على نفسه الاعتراف بأي نتيجة يصلان اليها بدون أي تحفظ. وقال انها ستكون فصل الخطاب. ولما وصل الرسولان الى تاكور علما ان حضرة بهاءالله تركها الى مشتاه، فذهبا اليه هناك ووجداه مشغولا بتفسير سورة الفاتحة من القرآن، وإذ سمعا كلامه ومتانة بياناته وفصاحة عباراته وإقناع حججه وبراهينه. تأثرا للغاية وقام الملاّ عباس من مكانه مدفوعا بقوة لا يقدر على ردها ووقف بجوار الباب في حالة خضوع وخشوع وانجذب بحلاوة البيان الذي كان يصغي اليه، وقال لزميله وهو يرتعد ويبكي: "لقد رأيت حالي، فأنا غير قادر على سؤال بهاءالله، فجميع الأسئلة التي أعددتها قد زالت فجأة من مخيلتي، وأنت حرّ إما ان تتم بحثك او تعود الى

معلمك وحدك، وتخبره بالحالة التي صرت اليها، واخبره عن لساني وقل له ان عباس لا يقدر ان يرجع اليك او يترك هذه العتبة". واتبعه في ذلك زميله ميرزا أبو القاسم حيث أجابه قائلا: "اني من الآن لن أعرف معلمي، ففي هذا الوقت نذرت لله أن أخصص بقية حياتي لخدمة بهاءالله الذي هو مولاي الوحيد الحق".

وانتشرت أخبار إيمان الرسولين في نور بسرعة مدهشة وهرع الجميع من موظفين ومزارعين وعلماء الى مسكن حضرة بهاءالله وانتبهوا من غفلتهم وآمن الكثيرون بالأمر الذي كان يدعو اليه، ومن بين العظماء العديدين الذين أعجبوا به من قال: "اننا نرى أهل نور قد التفوا حولك ونرى ابتهاجهم ظاهرا في كل الجهات، فاذا انضم لهم الملاّ محمد فان نصر هذا الدين يكون مؤكدا". فأجابهم حضرة بهاءالله: "إني جئت الى نور لإظهار أمر الله وإعلان دعوته ولا أبغي مقصدا آخر، فاذا قيل لي ان طالبا على بعد ماية غلوة يبحث عن الحق وغير قادر على الحضور لمقابلتي، فإني بكل سرور وبدون تعويق أسرع الى مسكنه وأطعمه. وان الملاّ محمد يقطن في سعادت آباد وهي قرية ليست ببعيدة عن هذا المحل فسأزوره وأعلمه بالدعوة الالهية".

وذهب حضرة بهاءالله ومعه بعض أصحابه الى تلك القرية وقابلهم ملاّ محمد بكل ترحيب، وقال له حضرة بهاءالله: "إني لم أحضر الى هنا لأزورك زيارة رسمية فان غرضي هو تنويرك فيما يختص بالدعوة الجديدة العجيبة الموحى بها من الله والتي بها يتم الوعد المذكور في الاسلام. وكل من يصغي لهذه الرسالة يشعر بقوة تأثيرها ويحصل عنده تغيير من قوة أمرها. فأخبرني عن كل ما يخالج ضميرك من جهتها او ما يمنعك من تصديق الحق"، فقال له

الملاّ محمد باستخفاف: "إني لا أقدر ان أبت في أمر الا بعد ان استخير القرآن وأطلب دائما معونة الله بان أفتح القرآن كتابه المقدس وأتبع نص أول آية من الصحيفة التي تقع عيني عليها. ومن هذه الآية يمكني ان أحكم على الطريق الذي أتبعه". ولما رأى المجتهد ان حضرة بهاءالله لم يمانع في طريقة الاستخارة، طلب المصحف وفتحه ثم طواه، ولم يقبل ان يفصح عن الآية التي وقعت عينه عليها أمام الحاضرين، وقال اني استخرت الكتاب وأرى انه لم يكن من المستحسن لي ان أبحث في هذا الموضوع. فوافقه البعض وعرف الآخرون ما ساوره من الخوف في هذا الصدد، ولم يرتضِ حضرة بهاءالله ان يزيد في حيرته وارتباكه، بل قام واستأذن وودعه وداعا حبيّا.

وذات يوم أثناء سياحة حضرة بهاءالله في المملكة مع البعض من أصحابه، رأى شابا جالسا وحده بجانب الطريق، أشعث الشعر لابساً لباس الدراويش وهو يشعل النار ويطبخ بجانب جدول، وإذ اقترب منه سأله حضرة بهاءالله بلطف: "أخبرني ماذا تفعل أيها الدرويش؟" فأجابه بخشونة: "أنا مشغول في أكل الرب وطبخه وحرقه". فأعجب حضرة بهاءالله ببساطة الشاب وعدم تصنّعه وسلامة طويته وصراحة إجابته، وابتسم من هذه الإجابة وأخذ يتحدث معه بكل لطف وحرية، وفي قليل من الوقت تمكن حضرة بهاءالله من تغييره بالكلية. وإذ ابتهج بمعرفة طبيعة الله الحق وخلّص عقله من أوهام قومه اعترف حالا بالنور الذي جاءه به ذلك الشخص الغريب. وتعشق ذلك الدرويش المدعو مصطفى تعاليمه على شأن ترك أدوات طبخه وراءه وأخذ في اتباع حضرة بهاءالله. وكان يسير وراء جواده وهو يتغنى بأشعار كان ينشدها بداهة في

محبته التي اشتعلت نارها في قلبه. وكان يقول إنك نجم صبح الهداية وأنت ضياء الحق أكشف نفسك للناس يا مظهر الحق. ومع ان هذا الشعر قد انتشر في قومه واشتهر بأن درويشا يسمى المجذوب واسمه مصطفى بيجي سنندجي أنشأه على البداهة في مدح المحبوب، فان الناس لم يفهموا وقتها من هو الذي كان يعنيه في شعره ولم يشك أحد ان ذلك الدرويش عرف مقام حضرة بهاءالله واكتشف بهاءه في وقت كان فيه محجوبا عن جميع الأنظار.

وكانت زيارة حضرة بهاءالله لنور ذات نتائج باهرة ومكنت الأمر الجديد النشأة من الانتشار الزائد وكسب قلوب أهل نور. وحرك أرواحهم وأدخلهم تحت لواء الدين الجديد بطهارة حياته وفصاحته الجذابة ووقار هيئته ومنطقية براهينه وعلائم محبته. وهكذا كان تأثير كلماته وأفعاله وأقواله وهو يدعو الى الأمر الجديد ويظهر مجده لمواطنيه في نور حتى كأن الشجر والحجر في بلاد نور يحيى من أمواج القوة الروحانية التي كانت تصدر من شخصه، وكأن جميع الأشياء قد استمدت قوة واكتسبت حياة جديدة وكأنها بلسان حالها تنادي بأعلى النداء (انظروا الى جمال الله وبهائه فقد ظهر وجاء بكل مجده)، واستمر أهالي نور بعد فراق حضرة بهاءالله لهم، في نشر الأمر وتثبيت أسسه وتحمّل كثير منهم أشد أنواع الاضطهاد لأجله. وشرب البعض الآخر كأس الشهادة بكل سرور في سبيله. واشتهرت بلاد مازندران وخاصة بلاد نور بأنها كانت أول بلاد قبلت الرسالة الالهية من بين جميع الأقاليم في إيران، وكانت بلاد النور التي هي مغطاة بجبال مازندران أول أرض سطعت عليها أشعة شمس الحقيقة التي ارتفعت في شيراز. فبينما كانت جميع بلاد إيران محجوبة في وادي الغفلة،

كان إقليم النور أول البلدان التي أعلنت نبأ ارتفاع وظهور نجم الهداية الربانية أخيرا ليضيء ويشرق بنوره على الأرض جميعها.

ولما كان حضرة بهاءالله طفلاً، رأى والده الوزير في الرؤيا، كأن حضرة بهاءالله يسبح في محيط لا حدّ له وكأن جسمه يلمع على المياه بضياء أنار البحر، وكانت ترى شعراته السوداء الحالكة المتدلية حول رأسه فوق المياه تسبح على الأمواج وحامت حوله جملة أسماك تعلق كل منها بطرف شعرة من شعراته بكل ثبات وجميعها قد بهرها ضياء وجهه، فكانت تتبعه أينما توجه، ومع وفرة عددها وشدة تعلقها بشعره، لم تنفصل منه شعرة واحدة ولم يحصل لجسمه أي ضرر، بل كان يتحرك فوق المياه بغير مشقة وبدون عائق والجميع يتبعونه.

وإذ تأثر الوزير من هذه الرؤيا، استدعى معبراً اشتهر في تلك الأرجاء ليفسره له، فقال هذا الرجل الذي كأنه أوحي اليه بجلال حياة حضرة بهاءالله المستقبلة: "أيها الوزير إن البحر المحيط الذي رأيته، إنما هو عالم الوجود، وإن ابنك سيعلو عليه وحيداً فريداً ولا يعوقه عائق عن أي جهة يريد التوجه اليها ولا يقدر أحد ان يقف في سبيل تقدمه، وأما الأسماك العديدة، فهي عبارة عن الاضطراب الذي سيحدث بين الأمم والأقوام الذين سيجتمعون حوله ويتعلقون به، وبقدرة حماية الله القدير لا يناله أذى من هذا الاضطراب، بل يبقى سالما عاليا بمفرده على بحر الحياة".

وبعد التعبير، أوصلوا المعبر الى حضرة بهاءالله، فلما نظر الى وجهه وتقاطيعه، سُحِر من جمال طلعته، وبُهر من حسن سيماه، وكانت كل لمحة

من لمحات وجهه تنبئ عن بهاء باطنه، وكان عظيم إعجابه وشدة إطرائه لحضرة بهاءالله بدرجة ان الوزير أصبح منذ ذلك التاريخ أشد تعلقا بنجله، وكان ما تكلم به ذلك المعبر قد أنعش آماله وقوّى ثقته فيه. وأصبح كيعقوب لا يرى الا سعادة ابنه يوسف، يكتنفه بحماية محبته.

وكان الحاجي ميرزا أقاسي رئيس وزراء محمد شاه يظهر احتراما شديداً لحضرة بهاءالله، ولو انه كان متباعدا عن والده. وكانت شدة احترام رئيس الوزراء لحضرة بهاءالله قد أثارت الحسد في قلب ميرزا أقا خان النوري اعتماد الدولة الذي خلف حاجي ميرزا أقاسي في منصبه، فكان يحقد على رئاسة حضرة بهاءالله وهو صبي، وتأصل الحقد في قلبه من ذلك الحين، لأنه قال في نفسه اذا كان مثل هذا الاحترام يعطى من رئيس الوزراء لصبي مثله ووالده لا يزال على قيد الحياة، فما بالك لو خلف والده في كرسيه.

واستمر الرئيس حاجي ميرزا أقاسي في احترامه لحضرة بهاءالله حتى بعد وفاة والده الوزير، وكان يزوره في منزله ويخاطبه كما يخاطب والد ولده. وذات مرة كان يمر بجهة قرية كوش حصار، وهي من أملاك حضرة بهاءالله وقد أعجبه جمال ذلك المحل ووفرة الماء فيه، حتى انه أحب ان يتملكه، فطلب من حضرة بهاءالله شراءه، ولكنه أجابه: "لو كانت هذه الأملاك تخصني وحدي لتصرفت فيها طبقا لارادتك، فإن هذه الدنيا فانية بجميع مشتملاتها الخسيسة، وليس لها أي اعتبار في نظري فكيف بهذه القرية الحقيرة. ولكن لما كان يشاركني فيها الكثيرون من الأغنياء والفقراء، وبعضهم قاصر والبعض بالغ، فإني أطلب اليك ان ترجع اليهم وتطلب رضاهم وقبولهم". فلم يعجب الرئيس

هذا الرد، وأخذ في تدبير الحيلة ودس الدسائس للحصول على مرغوبه. ولما علم حضرة بهاءالله بمقاصده، باع الضيعة الى أخت الشاه مع قبول باقي الشركاء، لأنها كثيرا ما ألحت بطلب شرائها. فتغيظ الرئيس من ذلك وأمر بالاستيلاء عليها بالقوة، مدعيا انه اشتراها من مالكها الأول، ولكن نُواب أخت الشاه، وبّخوا وكلاء الرئيس وأمروهم بأن يخطروا سيدهم بعزمها على تثبيت حقوقها. فذهب الحاجي المذكور وعرض الأمر على الشاه مشتكيا أخته له. وكانت أخته سبق لها في نفس الليلة ان شكت له قائلة: "ان جلالتك طالما طلبت مني بيع مصاغي وجواهري لأشتري به ضيعة، وقد نجحت الآن وأتممت مرغوبك، ولكن الحاجي ميرزا أقاسي عزم على الاستيلاء عليها بالقوة". فطمّن الشاه أخته وأمر الحاجي أقاسي ان يتنازل عن ادعائه، ولما يئس المذكور من تنفيذ رغبته، دعا حضرة بهاءالله الى مقابلته واجتهد في الادعاء عليه بكل حيلة للحط من شأنه، فكان حضرة بهاءالله يجيب بشهامة عن كل تهمة يريد الرئيس ان يلصقها به، وأخيرا صاح الرئيس غاضبا: "ولماذا إذاً كل هذه الولائم والموائد التي تعدّها وتسرّ بها؟ وإني بصفتي رئيس وزراء شاهنشاه إيران لا أقبل ان يحوم حول مائدتك في كل ليلة مثل هذا الجمع الحاشد من الأضياف المتنوعين. ولماذا كل هذا الإسراف والتبذير؟ ولابد وانك تريد عمل مكيدة ضدي". فأجابه حضرة بهاءالله بقوله: "لا سمح الله، فهل الرجل الذي يشارك مواطنيه خبزه، يتهم بتدبير مؤامرة جنائية؟". فارتبك حاجي ميرزا أقاسي ولم يجب بشيء. ومع انه كان مؤيدا بجميع القوى في إيران من مدنية وشرعية ودينية، الا انه وجد نفسه أخيرا عاجزا تماما، كلما حاول إلصاق تهمة بحضرة

بهاءالله. وقد ظهرت رئاسة حضرة بهاءالله على معانديه في كثير من الحوادث، وأصبحت رئاسته من القضايا المسلم بها وأوجبت انتصاراته له صيتا ومقاما، وأشهرته في جميع الجهات، ودهش الناس على اختلاف مقاماتهم من نجاحه الباهر في الخروج سالما من أعظم المخاطر. وفكروا ان العناية الربانية لابد وان تكون هي التي أوجبت سلامته في جميع هذه الحوادث، ولم يخضع حضرة بهاءالله ولا مرة واحدة الى طمع وغرور وخيانة الذين حوله، مع انه كان محاطا بأعظم المخاطر. وفي أثناء معاشرته لكبار رجال الدولة والدين لم يخضع الى آرائهم ولم يوافقهم على مشاربهم، فكان في مجامعهم يقوم على إشهار أمر الحق ومساعدته بدون وجل ويحافظ على حقوق المظلومين ويدافع عن الضعفاء ويحامي عن الأبرياء.

الحواشي

(1) وكانت عباراته (بهاءالله) كالسيل المتدفق وأوجبت سلاسة عباراته ووضوح بياناته ان يجلس أعظم العلماء تحت أقدامه. (من كتاب الدكتور جيني، اتفاق الأمم والأديان صحيفة 130).

الفصل السادس

رحلة الملاّ حسين الى خراسان

وفي وقت توديع حضرة الباب لحروف الحيّ، أمرهم فرداً فرداً ان يدونوا في قائمة اسم كل مؤمن اعتنق الأمر وسار حسب تعاليمه وان يضع كل منهم قائمته في خطابات مغلقة مختومة ويرسلوها الى خاله حاجي ميرزا سيد علي في شيراز ليبعث بها اليه. وقال لهم: "سوف أبوب هذه الأسماء الى ثمانية عشر باب وأجعل كل باب يحتوي على أسماء تسعة عشر شخص فيكون كل باب في مجموعه واحداً[1] فاذا أضيفت هذه الأسماء في أبوابها الثمانية عشر الى الواحد الأول الذي تكوّن من اسمي وأسماء الحروف الثمانية عشر التي هي حروف الحيّ، فإنها تكوّن عدد كل شيء[2]، وسأذكر أسماء جميع المؤمنين في لوح الله حتى ان محبوب قلوبنا ينزل عليهم بركاته التي لا تحصى في اليوم الذي يستقر فيه على عرش مجده ويعدهم من سكان جنته".

وطلب من الملاّ حسين ان يبعث اليه بتقرير عن حالة الأعمال والمجهودات الخاصة بانتشار الأمر في أصفهان وطهران وخراسان، وأكد عليه ان يخطره بأسماء الذين أقروا وآمنوا، وكذلك الذين كفروا واعترضوا، وقال له: "إني لن أبارح هذه البلاد للحج حتى يصلني خطابك".

وبعد مقابلة الملاّ حسين لحضرة بهاءالله وانتعاشه من محادثته، قام بالسفر الى خراسان، وفي أثناء زيارته لهذا الإقليم ظهرت منه آثار القوة التي أحياه بها حضرة الباب أثناء توديعه[3]. وكان أول من آمن في خراسان ميرزا

احمد أزغندي وهو أشهر وأعلم علماء عصره في ذلك الإقليم، وكان مدرّهاً مفوّهاً إذا حضر أي جمعية من العلماء قل عددهم او كثر، كان هو المتكلم دونهم وكانت أخلاقه السامية وشدة تقواه قد زادت في شهرته التي اكتسبها ببراعته وقدرته وحكمته، وتبعه في الايمان من الشيخية في خراسان الملاّ احمد المعلم الذي كان معلما لأنجال السيد كاظم في كربلاء، وآمن بعده شيخ علي الذي سمّاه حضرة الباب بالعظيم ثم الملاّ ميرزا محمد فروغي الذي فاق علمه على الجميع عدا الميرزا احمد. ولم يكن أحد من علماء خراسان الباقين بقادر على معارضة حجج الملاّ حسين او عنده من العلم ما يكفي لمجادلته.

وآمن من بعدهم ميرزا محمد باقر قائني الذي صرف بقية حياته في الإقامة في مشهد، واشتعلت محبة حضرة الباب في قلبه على شأن لم يقدر أحد على معارضتها او التقليل من أهميتها لديه، ولما كان عليه من الشهامة والقوة والخضوع التام والصدق في جميع أطوار حياته، أصبح مهيبا من أعدائه ومنبع قوة روحية لأحبائه، وقد أعد منزله لخدمة الملاّ حسين ورتب له عدة مجالس لمقابلة ومناظرة العلماء في مشهد، واجتهد للسعي بكل قوته لإزالة كل عقبة في سبيل انتشار الأمر. وكان يبذل مجهودات قوية لا يتطرق اليه فيها الملل ولا الكلل وهو على استقامة لا تنثني ونشاط لا يفنى. واستمر على عمله بدون عائق في سبيل الأمر المحبوب الى آخر نسمة من حياته، حتى وقع شهيداً في قلعة الشيخ طبرسي. وفي أواخر أيامه أُمِر بأن يستلم قيادة المدافعين الأبطال بعد وفاة الملاّ حسين المحزنة وقام بهذه المأمورية بكل شهامة، وكان منزله في

بالا خيابان في مدينة مشهد معروفا حتى الآن باسم البابية وكل من دخله يتهم بأنه بابي. طيب الله ثراه وتغمده برحمته الكبرى.

ولما تمكن جناب الملا حسين من ضم هؤلاء المؤمنين الأشداء الى الأمر، عزم على كتابة التقرير الى حضرة الباب عن أعماله ووصف رحلته في أصفهان وكاشان، ووصف ما رآه من حضرة بهاءالله ورحلته الى مازندران، وذكر حوادث نور وحدّث فيه عن النجاح الذي صادفه في خراسان وأرفق مع التقرير كشفا ببيان أسماء الأحباء الذين أجابوا النداء واطمأن الى ثباتهم واستقامتهم. وأرسل خطابه بطريق يزد بواسطة شركاء خال حضرة الباب الذي كان إذ ذاك قاطناً في طاباس. ووصل الخطاب الى حضرة الباب في الليلة التي سبقت اليوم السابع والعشرين من رمضان[4] وهي المشهورة عند المسلمين بليلة القدر وهي التي وصفت في القرآن بأنها خير من ألف شهر[5] ولم يكن مع حضرة الباب في تلك الليلة عند وصول الخطاب اليه سوى جناب القدوس الذي قرأ عليه الكثير من فقراته.

وسمعت ميرزا احمد يقص ما يأتي: (ان خال حضرة الباب وصف لي الأحوال التي اقترنت بتسليم خطاب جناب الملاّ حسين لحضرة الباب. قال: "شاهدت في تلك الليلة علائم الفرح والسرور على وجه حضرة الباب وحضرة القدوس بما لا أقدر أن أصفه. وكثيراً ما سمعت حضرة الباب في تلك الأيام يكرر تلك الكلمات بانشراح "العجب كل العجب فيما وقع بين جمادي ورجب"، وبينما كان يقرأ الخطاب المرسل اليه من جناب الملاّ حسين، التفت الى حضرة

القدوس وأراه بعض فقرات ذلك الخطاب وبيّن له سبب سروره. وأما أنا فبقيت غير عالم بطبيعة ذلك البيان").

وكان الميرزا أحمد الذي تأثر من سماع هذه القصة تأثرا بالغا، قد عزم على استكشاف سرها، وقال لي: (اني لم أتمكن من الوقوف على حقيقة أمرها ولم يطمئن قلبي الا بعد مقابلتي للملاّ حسين في شيراز، لأني لما قصصت عليه ما ذكره لي خال حضرة الباب، تبسم وقال انه يتذكر جيدا انه فيما بين جمادي ورجب كان مقيما في طهران، ولم يذكر شيئا عن التفاصيل، وفقط لمّح لي واكتفى بهذه الإشارة، وكان ذلك كافيا لإقناعي انه يوجد في طهران سرّ اذا انكشف للعالم فانه يجلب الفرح والسرور على قلب حضرة الباب والقدوس، وكانت إشارات الملاّ حسين الى التصديق الفوري من حضرة بهاءالله للرسالة الربانية وإجابته لها بدون تردد وقيامه على التبليغ في نور بكل شهامة وما لقيه من النجاح العظيم الذي كلل مجهوداته، قد أبهج قلب حضرة الباب وقوى إيمانه في غلبة أمره النهائي واطمأن على انه لو وقع تحت مخالب ظلم الأعداء وفارق هذا العالم، فإن الأمر الذي قام على ترويجه سيعيش وينمو ويثمر بأشراف وإدارة حضرة بهاءالله الرئيسية وانه سيدير دفتها بحكمته الفائقة وان محبته الغالبة ستؤثر في قلوب الناس، وامتلأ قلبه بهذا اليقين والأمل وقويت به روحه. ومنذ ذلك الوقت تبدد منه الاضطراب من حلول المخاطر. وقَبِل بكل فرح نيران الاضطهاد وابتهج بحرارة اشتعالها ولمعان ضيائها كما تبتهج بذلك العنقاء).

الحواشي

(1) وعدد واحد هو 19 بالحساب الأبجدي.

(2) عدد كل شيء هو 361، يعني 19 في 19 بالحساب الأبجدي.

(3) وكان الزائر يزيد في مدة إقامته كلما أراد واحتاج لعمل المحادثات والمقابلات في المدن والبلاد والقرى والجدال مع الملاّوات وإظهار كتب الباب وتبليغ الدعوة. وكان الناس في كل مكان يستمعون له بفروغ صبر، ويبحثون عنه متعجبين ويستمعون له بلهف ويقبلون الدعوة بسهولة وخاصة في نيسابور حيث قبل الدعوة اثنان من مشاهير العلماء وهما الملاّ عبد الخالق من يزد، والملاّ علي الصغير، وكان أولهما من تلاميذ الشيخ احمد الإحسائي وكان عالما متضلعا في العلوم وله تأثير على الناس وذا فصاحة في المنطق، وكان الثاني شيخيا أيضا وذا أخلاق صلبة وله اعتبار عظيم ويشغل وظيفة المجتهد الأول في المدينة وأصبح الاثنان بابيين. وكانا من منابر المساجد يصيحان بتنبؤات قاسية على الاسلام وفي مدة الأسابيع الأولى ظن العموم ان الدين القديم قد زحزح نهائيا. أما العلماء الذين تذمروا من تخلية رئيسهم خشوا من الخطابة العامة التي ما كانوا يقومون بها الا نادرا فلم يشاءوا ان يظهروا وولوا الأدبار. ولما وصل الملاّ حسين بشروئي الى مشهد وجد الأهالي منقسمين قسمين في أمره ووجد العلماء متهيجين وقد عيل صبرهم وعزموا على إجراء مقاومة قوية للحملة التي وجهت إليهم. (من كتاب الأديان والفلسفة في أواسط آسيا للكونت جوبينو صحيفة 139-140).

(4) يوافق ليلة 10 أكتوبر سنة 1844 ميلادية.

(5) وهي إحدى الليالي العشر الأخيرة من رمضان ومعناها ليلة القوة، وهي على الأرجح الليلة السابعة اذا حسبت بالتراجع (أي ليلة 23، 24 من رمضان).

الفصل السابع
حج حضرة الباب الى مكة المكرمة والمدينة المنورة

وبعد وصول خطاب جناب الملاّ حسين، عزم حضرة الباب على الحج الى الحجاز، وترك زوجته في حماية والدته. وأوصى بهما خاله ليكونا تحت حمايته، وانضم الى جماعة الحجاج المسافرين من فارس الذين كانوا على أهبة الاستعداد للسفر للمدينة ومكة[1]، وكان جناب القدوس هو الرفيق الوحيد له خلاف الخادم الحبشي، وذهب أولا الى بوشهر تلك المدينة التي كان فيها محل تجارة خاله، وهي التي كانت مشتركة أصلا بينهما، وكان يشتغل فيها إذ ذاك كتاجر بسيط، وبعد ان عمل الترتيبات لهذا السفر الطويل الشاق. استقل مركبا سارت به مدة شهرين سيرا بطيئا واهتاج البحر بالعواصف حتى رست السفينة على شواطئ الأراضي المقدسة[2] ولم تمنعه مشاق السفر ولا تلاطم الأمواج ولا انعدام وسائل الراحة من الاستمرار على الصلاة بانتظام، وعلى المناجاة ودوام الابتهال والتضرع، واشتغل حضرة الباب بإملاء جناب القدوس بالمناجاة والألواح التي كان يوحي بها اليه، غير ملتفت الى العواصف الهائجة حوله ولا مهتما بما أصاب الحجاج من مرض السفر.

وسمعت الحاجي أبو الحسن الشيرازي الذي كان مسافرا في نفس السفينة مع حضرة الباب يصف تلك الرحلة الشهيرة. قال: "كنت أثناء الشهرين اللذين سارت فيهما السفينة، من وقت ان مخرت من بوشهر الى ان رست في جدة

التي هي ميناء الحجاز، أشاهد حضرة الباب منهمكا في العمل والاشتغال الدائم مع جناب القدوس كلما سنحت الفرصة في مقابلتهما، وكان حضرة الباب يملي وجناب القدوس يكتب ما يتفوه به حضرة الباب، وكانا يشتغلان باطمئنان وهدوء حتى في الوقت الذي كانت فيه السفينة مضطربة والركاب مذعورين من الرياح العاصفة. فلم يلفتهما ذلك عن العمل ولم تتغير بشاشة وجههما من هياج الركاب واضطرابهم ولا من اشتداد العواصف وانقلاب البحر وهياجه".

وأشار حضرة الباب في البيان الفارسي[3] الى هذه المشاق التي وقعت أثناء السفر. تفضل: (ولم نتمكن من الحصول على الماء جملة أيام الا بصعوبة، وكنا نكتفي بعصير الليمون الحلو. ولذلك ناجينا القدير ان يسهل سبيل السفر في هذا الأقيانوس، ويقلل مشاق السفر ويمحو أخطاره). فلم يمض وقت قصير حتى استجيب الدعاء وظهرت علائم التحسين في سبيل المواصلات البحرية واصبح الخليج الفارسي بعد ان لم يكن فيه سوى سفينة واحدة بخارية، ممتلئاً باسطول من السفن العظيمة التي تقدر ان تنقل جميع الحجاج من أهالي فارس بالراحة التامة الى الحجاز في بضعة أيام.

أما الأمم الغربية الذين ظهر فيهم الانقلاب الصناعي فجأة، فلم يدركوا المنبع الذي ظهرت منه تلك القوة العظيمة التي غيرت جميع مرافق الحياة، فان تاريخهم نفسه يشهد بأنه في سنة الظهور الأعظم ظهرت فيهم فجأة بوادر الانقلاب الصناعي والاقتصادي، على شأن أقروا بأنفسهم بانه لم يحصل لها مثيل في تاريخ العالم الإنساني. ولشدة انهماكهم في تفاصيل هذه القوى المحركة الجديدة، تناسوا مصدرها تدريجيا وعموا عن الغرض الذي من أجله

أعطاهم ذو القدرة هذه القوة العجيبة. فلم يستعملوها فيما خلقت لأجله بل استعملوها لزيادة وسائل التدمير والحروب بدلا عن نعمة السلام والسرور.

ولما وصل حضرة الباب الى جدة، ارتدى لباس الإحرام وركب جملا وشرع في سيره الى مكة. واما جناب القدوس ففضل ان يسير مرافقا له على قدميه في جميع الطريق، من جدة الى تلك المدينة المقدسة رغما عن رغبة سيده المتكررة ان لا يفعل، فكان يمسك مقود الجمل الذي كان حضرة الباب يركبه ويسير بجانبه مسرورا على هيئة الخشوع لتلبية طلبات سيده وغير مبال بالمتاعب والمشاق الناشئة عن مثل هذا السير القاسي، وكان في كل ليلة، من الغسق الى دنو الفجر، يضحي راحته ونومه في سبيل المحافظة على محبوبه، ويسهر بانتباه لا يعرف الملل استعدادا لتلبية احتياجاته وتأكيدا لحمايته وسلامته.

وفي ذات يوم، أثناء قيام حضرة الباب للصلاة، قريبا من إحدى الآبار، ظهر فجأة بدوي هائج واختطف الخرج الذي كان مطروحا على الأرض وبه كتابات حضرة الباب وأوراقه، واختفى بسرعة وسط الصحراء. فقام الخادم الحبشي ليتبعه، ولكن سيده منعه، وأشار اليه بيده ان يكف عن اتباعه وقال له: (لو أذنتك في تتبعه لأدركته وعاقبته، ولكن هذه الأوراق والكتابات سوف تصل بواسطة هذا البدوي الى المقر الذي لولاه لا يمكن إيصالها اليه بسهولة، فلا تحزن لهذا الحادث، لأن ذلك هو أمر الله المقتدر). وكثيرا ما كان حضرة الباب يواسي أصحابه بمثل هذه الملاحظات وبأمثال هذه العبارات تتبدل مرارة الغضب والأسف، بالرضاء بأمر الله بكل سرور وابتهاج.

وفي يوم عرفات، اختلى حضرة الباب في غرفته واشتغل بالصلاة والعبادة طيلة ذلك اليوم، وفي اليوم التالي وهو يوم النحر بعد صلاة العيد، ذهب الى منى وهناك تبعا للعادة المتبعة، اشترى 19 شاة من أجود الأصناف ونحر تسع باسمه وسبع باسم جناب القدوس وثلاث باسم خادمه الحبشي، وامتنع من تناول شيء من لحومها مفضلا توزيعها على الفقراء والمساكين في تلك الناحية. ومع ان شهر ذي الحجة وهو شهر الحج الى مكة والمدينة في تلك السنة صادف وقوعه في أول الشتاء، فإن الحرارة كانت في تلك الجهات مرتفعة بدرجة ان الحجاج لم يتمكنوا من عمل الطواف بملابسهم العادية، فأتموا هذه المناسك بلباس الإحرام. ولكن حضرة الباب لم يرض مع ذلك ان يخلع عمامته او عباءته التي هي علامة الاحترام وبكل هدوء وبساطة، أتم المناسك والطواف حول الكعبة مرتديا ملابسه العادية.

وفي آخر يوم من أيام الحج، قابل حضرة الباب ميرزا محيط كرماني عند الحجر الأسود، فأخذ بيده وخاطبه بهذه الكلمات: (يا محيط انك تعتبر نفسك أكبر رجال الشيخية البارزين ومن مشاهير مفسري تعاليم الشيخ. وتدعي في باطنك انك أحد ورّاث هذين النورين العظيمين التوأمين وأحد خلفاء هذين الكوكبين اللذين أضاءا بالهداية الربانية. فالآن أنظر ترانا واقفين في أقدس مزار، وفي هذا الإقليم المبارك يقدر الإنسان ان يتبين الحق من الباطل والهدى من الضلالة، والآن أقول لك بأنه لا يوجد أحد في الشرق او الغرب يقدر ان يدعي انه الباب الذي يوصل الإنسان الى معرفة الله غيري، وبرهاني هو عين البرهان الذي أتى به محمد رسول الله، فاسأل مني عما تشاء الآن، فإني في

هذه اللحظة أجيبك بآيات تثبت صحة دعوتي. وعليك ان تختار اما ان تخضع خضوعا تاما لأمري او تعرض عنه كلية ولا ثالث لهما، فإن اخترت الإعراض فلا أترك يدك حتى تعلن للعموم إعراضك عن الحق الذي ادعيته، ليحيى من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة ويتضح سبيل الحق لكافة الخلق).

وواجه حضرة الباب ميرزا محيط الكرماني بهذه المباهلة فجأة، حتى انه اضطرب منها وقد بهت من دقة توجيهها وجلالتها وعظمتها وأحس أمام هذا الشاب كأنه عصفور محصور في قبضة نسر عظيم رغما عما هو عليه من تقدم السن والقوة والعلم. فأجابه وهو ممتلئ رعبا: (يا سيدي من أول يوم وقعت فيه عيني عليك في كربلاء شعرت بأني قد وجدت وعرفت من هو مطلوب فؤادي ومرغوبي وإني أرفض كل من لا يعترف بك بل أحتقر كل من يبقى في قلبه ذرة من الشك في طهارتك وقدسيتك، فأرجوك ان تعفو عن ضعفي وان تجيب رجائي في دهشتي. وان شاء الله سأحلف يمين الطاعة لك في هذا المكان المقدس وأقوم على نصرة أمرك، وان لم أكُ صادقا فيما ادعيت او كان في قلبي ما يخالف ما أقررت به بلساني، فاني أعد نفسي غير أهل لرحمة رسول الله. وأعتبر عملي مخالفا لطاعة عليّ وليه مخالفة صريحة).

وكان حضرة الباب يستمع لكلماته وهو عارف بضعف روحه وذلة نفسه، فأجابه: (حقاً لقد تبين الحق من الباطل، فأشهدك يا قدوس يا من آمنت بي وأشهد تربة رسول الله في هذه الساعة، فإنكما سمعتما ورأيتما ما دار بيني وبينه وأنتما شاهديّ على ذلك والله من فوقك أعظم شاهد لي وهو البصير العالم الحكيم. فيا محيط اذكر كل ما يشغل بالك واسأل، تجد لساني بفضل الله يجيبك

على كل ما تسأل ويحل لك معضلات ما أبهم عليك حتى تشهد بسمو كلامي وتتحقق من انه لا يقدر أحد خلافي ان يظهر حكمتي).

وإطاعة لأمر حضرة الباب سأل ميرزا محيط جملة أسئلة وذكر انه مضطر للسفر للمدينة ويرجو ان شاء الله ان يصله الرد قبل مبارحته لها. فأكد له حضرة الباب الإجابة قائلا: (أثناء سفري للمدينة سأجيب على أسئلتك فاذا لم أقابلك هناك فإن جوابي يصلك قبل وصولك الى كربلاء، وأنتظر منك الوفاء بالعدل والإنصاف "من أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها وان الله لغني عن العالمين") (قرآن).

وقبل الافتراق جدد ميرزا محيط عهده مؤكدا وقائلا: (لن أترك المدينة حتى أوفي بعهدي اليك مهما يكن). وانزوى من أمام وجه حضرة الباب مرعوبا كأنه هباء أمام العاصفة وهو عاجز عن مقاومة العظمة الساحقة التي أظهرها له حضرة الباب، ومكث قليلا في المدينة ثم تركها الى كربلاء غير موف بالعهد الذي قطعه على نفسه ولا مبال بتوبيخ ضميره.

وصدق حضرة الباب في وعده وكتب في طريقه من مكة الى المدينة جوابا على الأسئلة التي أشكلت ذهن ميرزا محيط وسمّاها صحيفة بين الحرمين. أما ميرزا محيط الذي استلم الرسالة في أوائل وصوله الى كربلاء فلم يتأثر من فحواها ولم يقبل ما دوّن بها من الأصول، فكان مركزه بالنسبة للأمر معارضة مستورة مستمرة وكان أحيانا يدّعي انه تابع ومساعد للحاج ميرزا كريم خان المعاند الشهير لأمر حضرة الباب، وأحيانا يدّعي انه مرشد وذو مركز مستقل بنفسه. وقرب انتهاء حياته بينما كان مقيما في العراق تظاهر بالخضوع

لحضرة بهاءالله وبواسطة أحد الأمراء القاطنين في بغداد أظهر الرغبة في مقابلته سراً، حتى لا يعلم بها أحد. فأجابه حضرة بهاءالله بقوله: (أخبره بأني في أيام كنت فيها في جبال السليمانية كتبت رسالة بيّنت فيها الواجبات المفروضة على كل طالب يريد ان يسلك طريق البحث عن الحق، فأذكر له هذه القطعة منها "ان أردت ان تتمتع بالحياة الدنيا فلا تقرب لساحتنا، واذا كان مرغوب فؤادك التضحية، فأحضَر وأحضِر غيرك معك، فهذا هو سبيل الإيمان إن كنت تريد ان تسلك بقلبك مع البهاء. وأما اذا كنت ترفض ان تتخذ هذا السبيل، فلماذا تتعبنا؟". فاذهب اليه فإنه لو يريد ليسرع لمقابلتنا بدون قيد ولا شرط، وإلا فإني لا أريد ان أراه). وكان جواب حضرة بهاءالله المحكم قد أقلق بال ميرزا محيط. ولما رأى نفسه غير قادر على المقاومة ولا على الطاعة، سافر الى كربلاء موطنه في نفس اليوم الذي وصلته الرسالة ومرض هناك وتوفي بعد ثلاثة أيام.

هذا وبعد ان أتم حضرة الباب مناسك الحج في مكة، كتب رسالة الى الشريف يبين له فيها بوضوح تام معالم رسالته. وطلب منه ان يقوم ويعتنق دعوته وأمره، وسلّم حضرة الباب تلك الرسالة مع بعض كتابات أخرى الى جناب القدوس وأمره ان يقدّمها بنفسه الى الشريف. ولما كان الشريف المذكور منهمكا في الأمور الدنيوية والمقاصد المادية لم يمل أذنه لاستماع النداء الالهي.

وروى الحاج نياز البغدادي انه في سنة 1267هـ (1850-1851م)، ذهب للحج وقابل الشريف، وأثناء المحادثة معه أخبره قائلا: (أتذكر إني في

سنة 60هـ حضر شاب لمقابلتي أثناء الحج وسلمني كتابا مختوما، فأخذته، ولانشغالي وقتها لم أتمكن من تصفحه. وبعد مرور أيام قابلني الشاب نفسه وسألني عن جواب الرسالة، ولكثرة أشغالي لم أتمكن وقتها من تصفح محتويات الرسالة، ولذلك لم أحرر له الجواب. ولما انتهى موسم الحج، وبينما كنت أفتش في الأوراق وقع نظري على ذلك الكتاب ووجدت في مقدمات صفحاته مواعظ حسنة محررة بلغة شبيهة بالقرآن. وكل ما فهمته من الكتاب هو ان رجلا من سلالة فاطمة من نسل هاشم قام بين أقوام الفرس بدعوة جديدة وأعلن لجميع الأقوام ظهور القائم الموعود، وبقيت غير عالم بمؤلف ذلك الكتاب، ولم أطلع على الظروف التي أحاطت هذا النداء. فقال له الحاج: "انه قد حصل في تلك البلاد اضطراب عظيم في السنوات الأخيرة، فإن شابا من سلالة النبي يشتغل بالتجارة، ادعى ان كلامه موحى به من الله. وكان يقول انه في ظرف بضعة أيام يخرج من فمه آيات تزيد في الحجم والحسن على جملة القرآن نفسه الذي أوحي به الى الرسول في ظرف ثلاث وعشرين سنة. وهرع اليه جم غفير من الناس من الأعالي والأداني من علماء وموظفين من أهالي إيران، وضحوا بأنفسهم فداء له في سبيله، واستشهد هذا الشاب في السنة الماضية في أواخر شهر شعبان (يوليو 1850م) في تبريز في إقليم آذربايجان وأراد الذين قتلوه ان يطفئوا بقتله ذلك النور الذي أشعله في تلك البلاد، الا ان تأثير أمره ازداد منذ حصول تلك الشهادة وانتشر بين جميع الأمم والأفراد).

وكان الشريف يستمع الى كلام الحاجي بسكون، ودهش من قسوة الذين قتلوا حضرة الباب، وقال عن ذلك صائحا: (ألا لعنة الله على هؤلاء الأشرار

الذين عاملوا في الماضي آباءنا الطاهرين بنفس هذه المعاملة). وبهذه الكلمات أتم الشريف محادثته معي.

وسافر حضرة الباب من مكة الى المدينة في أول محرم سنة 1261هـ (الجمعة 10 يناير سنة 1845م)، وإذ كان يقترب منها تذكر الحوادث المؤلمة التي خلدت ذكرى ذلكم الذي عاش ومات بين جدرانها وتجلت أمام عينيه من خلال تلك المناظر تلك القوة المحييّة التي ظهرت من ذلك الفذ الخالد بجلالها المعهود وكان يكثر من الصلاة والمناجاة كلما أقترب من ذلك الحرم المقدس الذي ضم بقايا جثمان رسول الله (صلعم)، وكذلك تذكر أثناء سيره، الشيخ أحمد الإحسائي ذلك المنادي الذي يبشر الناس بهذا الظهور الجديد ودفن في مدفن البقيع قريبا من المقام النبوي والحرم المقدس، وهو الذي مضّى فيه بقية أيامه بعد حياة متعبة في خدمة الأمر. وهناك أيضا تمثلت أمامه ذكرى الذين استشهدوا لنصرة أمر الله والذين نصروه بدمائهم وكأن ترابهم المقدس قد حيّ من مرور أقدامه فظهرت له أشباحهم وتحركت من نفثاته المحيية للنفوس، وكانوا كأنهم قد قاموا من مراقدهم ينظرون اليه مسرعين ورافعين أصواتهم بالترحيب كأنهم يخاطبونه وهم متضرعون: (لا ترجع الى موطنك يا محبوب قلوبنا، بل أسكن بيننا لأننا هنا بعيدون عن الاضطراب الذي سيحصل من أعدائك فهم مترصدون لرجوعك. أما هنا فإنك تكون آمناً مطمئناً، وإنا نخاف عليك ونخشى من مكايد أعدائك ومكرهم. ونرتعد عندما نفكر ان أعمالهم سوف تجلب على أرواحهم الدمار الأبدي). وكأن حضرة الباب يجيبهم بروحه التي لا تقهر: (إنني حضرت الى هذا العالم لأشاهد جلال التضحية والفداء، وأنتم

تعلمون شوقي له وشدة إخلاصي. فتضرعوا الى الله ربكم ان يسرع بساعة شهادتي وأن يقبل مني هذه التضحية، فافرحوا لأني أنا والقدوس سوف نذبح على مذبح إخلاصنا لمليك البهاء فإن الدم الذي نسفكه في سبيله سيروي ويحيي حديقة سعادتنا الأبدية وقطرات هذا الدم التي بذرناها ستكون بذرا تنبت منه شجرة الله، تلك الشجرة القوية التي سوف تجمع في ظلها الوارف جميع أمم الأرض ومللها، فلا تحزنوا اذا سافرت من هذه الأرض وأسرعت لإتمام مأموريتي).

الحواشي

(1) وفي تاريخ معين السلطنة (صحيفة 72) قام الباب للحج الى مكة والمدينة في شهر شوال سنة 1260 هجرية (أكتوبر سنة 1844 ميلادية).

(2) وحصل له تعب من هذا السفر وكتب في كتاب بيان الحرمين (اعلم ان الطريق في البحر متعب ولا نحبه لأحبائنا مع وجود السفر بالطرق البرية) وكتب كذلك في البيان تفصيلا عن هذا الموضوع. ولم يكن الأمر تافها فان الروح التي اقتادت الباب الى مفاجع البحر أكثر سموا ونبالة، فقد دهش من نفسية الحجاج وأنانيتهم والتي زادتها متاعب وأخطار البحر ومن الحالة القذرة التي يضطر المسافرون ان يكونوا عليها على سطح المركب، فأراد لذلك ان يتجنب الناس عوائدهم الخشنة ويتخلصوا منها، ولذلك كان الرسول يعلمهم الآداب والاحترام نحو بعضهم البعض في أحوالهم الاجتماعية، فقال (لا تغضبوا أحداً لأي سبب) ورأى في هذا الحج صخب الكثيرين وقسوتهم عندما يقابلوا المصاعب. فقال في البيان جزء 4 صحيفة 16 (ان أحزن ما رأيته في حجي الى مكة النزاع المتوالي الواقع بين الحجاج والمشاجرات التي تمحو أجر الحج ومنافعه الأدبية).

ووصل الى مسقط واستراح فيها بضعة أيام وأراد تبليغ الأهالي، ولكنه لم يوفق لذلك وكان خطابه موجها الى أحد العلماء من رتبة عالية حتى اذا آمن يؤمن بواسطته مواطنوه على غالب ظني، ولكن لم يذكر تفصيل هذه الأمور. ومن الطبيعي انه لا يدعو أول من يقابله بدون أن يكون له تأثير على المواطنين، ومسألة كونه دعا أحدا للايمان ولم يقبل، مسألة لاشك فيها وأقرها بنفسه قال (ان ذكر الله الحق نزل على أرض مسقط ووصل بأمر الله الى أحد من أهالي تلك الجهة وكان يمكنه ان يفهم آياتنا ويكون من المهتدين قل انه اتبع هواه بعد ان سمع آياتنا بالحق وحسب في الكتاب من المعتدين. قل لم نر في مسقط من أهل الكتاب من يؤمن، ألا انهم من الجهلاء الهالكين. كذلك كان من على السفينة، الا واحد من بينهم آمن بآياتنا وكان ممن يخشون ربهم). "من كتاب السيد علي محمد الباب تأليف نقولاس صحيفة 207–208".

(3) وقد رأيت بنفسي شخصا في سفري الى الحج الى مكة يصرف مبالغ كبيرة ولكنه امتنع عن إعطاء كوب ماء الى زميل له في السفر ومقيم معه وحصل هذا على الباخرة وكان الماء فيها قليلا لدرجة اني لم أجد الماء أثناء سفري من بوشهر الى مسقط، ذلك السفر الذي دام اثنى عشر يوما وكنت أثناءها أكتفي بعصير الليمون الحلو. "البيان الفارسي الجزء 2 صحيفة 154". ولا يمكن ان يتصور في سفر البحر هذا سوى العذاب فلا يجد الإنسان فيه لوازمه كالسفر براً، وأما رجال البحر فمجبورون على المعيشة ولكنهم بعملهم يتقربون الى الله الذي يجازي على العمل الطيب سواء في البر او في البحر ولكن يضاعف أجر عبده الذي يعمل في البحر لأن عمله مضني. "نفس الكتاب صفحة 155–156".

ورأيت أثناء الحج الى مكة أعمالا شريرة لم تر عيني الله شراً منها وقد جَعلت المبرور الطيب "وهو الحج" هباء منثورا. وتلك هي المنازعات بين الحجاج. وعلى أي حال فمثل هذه المنازعات ممنوعة، والحق ان بيت الله في غنى عن ان يطوف به أمثال هؤلاء الناس. (ذات الكتاب صحيفة 155).

الفصل الثامن

إقامة حضرة الباب في شيراز بعد الحج

وكانت زيارة حضرة الباب للمدينة المنورة آخر مرحلة في حجه بالحجاز، ومن هناك عاد الى جدة ومنها أبحر الى موطنه ونزل في بوشهر بعد غياب تسعة أشهر قمرية منذ سافر منها الى الحج. وكان يقابل أصحابه ومعارفه الذين حضروا للترحيب به ومقابلته في نفس الخان الذي نزل به سابقا. وبينما كان مقيما في بوشهر، طلب جناب القدوس لمقابلته، وأمره بكل لطف ان يسافر الى شيراز، وقال له: (ان أيام صحبتك لي قد قاربت الانتهاء. وقد أتت ساعة الافتراق الذي لا يعقبه اجتماع الا في ملكوت الله في حضور مليك البهاء. ففي هذا العالم الترابي لم يكن لك حظ الاجتماع بي سوى تسعة أشهر فانية، وهناك على شواطئ بحر العمق الأكبر في عالم الأبدية ينتظرنا الاجتماع الأبدي بالفرح والسرور وسوف تغمسك يد القضاء في بحر من البلاء لوجه الله وسأتبعك وأنغمس معك في أعماقه، فابتهج بسرور وفرح عظيم لأنك انتخبت للملكوت حاملا لواء تلك الطائفة التي سوف تحل بها الرزايا والفجائع وستكون في طليعة ذلك الجيش النبيل الذي سيتجرع كأس الشهادة لاسمه، وفي شوارع شيراز سوف تنزل عليك كل الإهانات والشدائد ويصيب جسمك أشد أنواع الأذى ولكنك سوف تتغلب على نكبات الأعداء ويطول عمرك الى ان تحضر بين يديّ من هو مقصود محبتنا وعبادتنا وستنسى في محضره كل ألم وأذى أصابك وتؤيدك جنود الغيب وتعلن شجاعتك وعظمتك لكل العالم. وسيكون نصيبك

الابتهاج الذي لا يوصف عند تجرعك كأس الشهادة لأجله، وسوف أسير أنا أيضا في طريق الشهادة هنا وأجتمع بك في الملكوت الأبدي. ثم أعطاه حضرة الباب مكتوبا الى الحاجي ميرزا سيّد علي، خاله، يخبره فيه بسلامة وصوله ورجوعه الى بوشهر وكذلك سلّمه نسخة من (الخصائل السبع) وهي رسالة ذكر فيها الشروط الأساسية التي يجب على الذين آمنوا بالأمر الجديد واعترفوا بدعوته ان يسيروا بمقتضاها. وفي وقت توديعه لجناب القدوس، سأله ان يسلم على كل الأحباء في شيراز.

وسافر جناب القدوس من بوشهر وهو عازم عزما أكيدا على تنفيذ رغبات سيده. ولما وصل الى شيراز قابله الحاجي ميرزا سيّد علي بكل محبة واستضافه في منزله وسأله بشغف عن صحة ابن أخته وأعماله، ولما وجده جناب القدوس مستعدا لسماع النداء، أخبره بالدعوة الجديدة التي جاء بها هذا الشاب والتي سبق لها ان أشعلت روحه. فكان خال حضرة الباب أول من آمن واعتنق الأمر في شيراز بدعوة جناب القدوس بعد حروف الحيّ. ولما كانت عظمة الأمر مستورة، لم يكن لديه اطلاع كاف بمغزاها ومدى سطوتها. ولكن محادثته مع جناب القدوس كشفت الغطاء عن كل ذلك واصبح منذ ذلك الوقت مستقيما على الأمر، وزادت محبته لحضرة الباب حتى انه خصص باقي حياته لخدمته، وبذل أقصى جهده للدفاع عن الأمر وحماية شخص حضرة الباب، ولم يعبأ بالمتاعب في أعماله المتواصلة ورغما عن انه كان من أصحاب الأعمال في تلك المدينة فانه لم يقبل ان يجعل للأمور المادية أي تأثير على ما أخذه على عاتقه من المسؤولية الروحية لحفظ شخص حضرة الباب قريبه، وإعلاء

كلمته، وواظب على عمله الى آخر نسمة من حياته، حيث انضم الى الشهداء السبعة في طهران وضحّى حياته لأجله بشجاعة نادرة لا مثيل لها.

أما الشخص الثاني الذي قابله جناب القدوس في شيراز، فكان اسم الله الأقدس ملا صادق خراساني، وهو الذي أعطاه رسالة الخصائل السبع وأمره بضرورة إجراء كل محتوياتها وكان من ضمن الأمر المؤكد لكل مؤمن مخلص ان يضيف على الأذان (وأشهد ان عليّا قبل محمد[1]، هو عبد بقية الله)[2]، وكان الملا صادق يخطب في تلك الأيام من المنبر على الجماهير عن فضائل أئمة الدين، فانجذب من فحوى ولغة الرسالة ولم يتردد في تنفيذ ما جاء بها. وذات يوم بينما كان يؤم الناس في الصلاة في مسجد (نوّ)، أعلن الجملة الإضافية التي أمر بها حضرة الباب في الأذان، وهو مسوق بتلك القوة القاهرة المكنونة في اللوح. فصعق الجمهور الذين سمعوه وحصل بينهم الهرج والمرج، وصاح العلماء الذين كانوا في الصف الأول من المصلين والذين اشتهروا بالورع والتقوى، قائلين: الويل لنا نحن حماة الدين، ألا فانظروا كيف ان هذا الرجل قد رفع علم الكفر، فليسقط هذا الخائن المارق الذي نطق بالكفر. اقبضوا عليه فانه خزي وعار على الدين، فمن ذا الذي يتجاسر ان يخرج بهذه الكيفية عن قواعد الاسلام المقررة؟ ومن ذا الذي يدّعي انه يصل الى هذا المقام الرفيع؟ فردد الغوغاء احتجاجات هؤلاء العلماء وقاموا بضوضاء وجلبة وماجت المدينة بأسرها. واضطرب حبل الأمن واختل النظام، فتداخل حسين خان ايرواني حاكم فارس الملقب أجودان باشي ومعروف في تلك الأيام (صاحب اختيار)[3]، وأخذ يبحث عن سبب هذا الهيجان الفجائي. فأخبروه بأن تلميذا من

تلامذة السيّد الباب الذي رجع تواً من الحجاز من حجه في مكة والمدينة والذي هو قاطن الآن في بوشهر قد وصل الى شيراز وقام على تنفيذ تعاليم سيّده، وهذا التلميذ يدّعي أن سيّده أتى بشرع جديد موحى به من الله، وقد اتبعه الملا صادق الخراساني، وهو يدعو الناس جهارا بدون أدنى خوف الى قبول الرسالة ويعلمهم ان أول واجب على كل مؤمن شيعي تقي ان يقبلها.

فأمر حسين خان بالقبض على كل من جناب القدوس والملا صادق وأمر الشرطة ان يحضروهما أمامه، فأحضروهما وأحضروا معهما أيضا كتاب "قيّوم الأسماء" الذي كان الملا صادق يتلوه بصوت جهوري على الجمهور المتهيج، وخاطب حسين خان الملا صادق إذ رآه أكبرهما سناً متجاهلا جناب القدوس أولا لصغر سنه ولهيئة ملابسه الغير العادية، قائلا: (أخبرني هل علمت بما تضمنه افتتاح كتاب "قيوم الأسماء" عندما يخاطب السيد الباب حكام وملوك الأرض ويقول "يا معشر الملوك وأبناء الملوك انصرفوا عن ملك الله" وكذلك "يا وزير الملك خف عن الله الذي لا اله الا هو الحق العادل واعزل نفسك عن الملك وإنا نحن نرث الأرض ومن عليها باذن الله الحكيم وانه قد كان بالحق عليك وعلى الملك شهيدا". فاذا صدق هذا القول، فهل يسري ذلك على مليكي محمد شاه من عائلة القاجار[4] الذي أنا أمثله هنا كحاكم على هذه المدينة، فهل يجب على محمد شاه ان يتنازل عن تاج ملكه ويترك السلطنة؟ وهل عليّ أن أترك عملي وأتنازل عن سلطتي؟) فأجابه الملا صادق بلا تردد: (اذا تقرر صدق الرسالة التي أتى بها صاحب هذا الكلام وثبت صحتها يثبت صحة كل ما نزل من قلمه وما صدر من فمه، فاذا كانت هذه هي كلمات الله

فلا يهم تنازل محمد شاه وأمثاله فذلك لا يبدل شيئا من أمر الله أو يحجبه ولا يغيّر سلطنة الملك الأزلي القدير[5]).

فغضب ذلك الحاكم القاسي غضباً شديداً من هذه الإجابة، وأخذ في سبّه وشتمه، وأمر أتباعه ان يخلعوا ملابسه ويضربوه ألف جلدة. وأمر ان يحرقوا لحى كل من جناب القدوس وملا صادق وان يثقب أنفهما ويخزما ويربطا بحبل يدخل فيهما ويطاف بهما على هذه الحالة مقيدين في جميع أنحاء المدينة[6]، وقال حسين خان: (ان ذلك يكون درسا قاسيا حيّا لجميع أهالي شيراز ليعلموا منه عقاب الكفر). وكان الملا صادق يمشي وهو ساكن رافع عينيه الى السماء يتلو قوله: (ربنا إنا سمعنا مناديا ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنّا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفّر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار) وسلّم الاثنان أمرهما للقضاء وهما على ثبات عظيم، وقام المأمورون بإيقاع العقاب وتنفيذه بكل نشاط وقوة ولم يتداخل لمصلحة هذين المعذبين أحد ولا للدفاع عنهما. وبعد ذلك بقليل نفيا من شيراز، وقبل نفيهما حُذّرا انهما لو اجتهدا في العودة الى هذه المدينة فانه يعذبهما ويصلبهما، وبتعذيبهما حازا قصب السبق في ميدان الاضطهاد الواقع في ارض إيران لأجل الأمر، فان الملا علي البسطامي ولو انه كان أول شهيد بيد العدو القاسي الا انه أصابه الاضطهاد في ارض العراق التي هي خارج حدود إيران ولم تكن الاضطهادات التي وقعت عليه بدرجة القسوة الوحشية والشناعة التي حصلت لجناب القدوس والملا صادق.

وقد حكى شاهد رؤيا لهذه الفاجعة، ولم يكن مؤمنا، قال: (كنت حاضرا إذ كانوا يجلدون الملا صادق. وكنت أرى كيف كان مضطهدوه يتناوبون الجلد

على كتفيه الداميتين، واستمر جلده حتى أنهكت قواه ولم يكن أحد يصدق ان الملا صادق وهو طاعن في السن وضعيف البنية يقدر ان يتحمل أكثر من خمسين جلدة من هذا الجلد الوحشي، وكنا نعجب من رباطة جأشه إذ علمنا ان عدد الجلد قد زاد على التسعماية ومع ذلك كان ثابت الأركان رابط الجأش ولم تتغير بشاشة وجهه. وكانت تلوح على وجهه ابتسامة وهو واضع يده على فمه ويظهر عدم المبالاة بالضربات التي كانت تمطر عليه. وقد اجتهدت حتى وصلت اليه بعد نفيه من المدينة، وسألته لماذا كان يضع يده على فمه؟ وأظهرت له تعجبي من انه كان يبتسم ! فأكد لي قائلا: "كنت شديد التألم في السبع جلدات الأولى، وأما باقي الجلدات فلم أحس بها، وكنت أتعجب هل الجلد كان ينزل على جسمي أم لا؟ فقد أحاط روحي إحساس فرح وانشراح لا مزيد عليه وكنت أجتهد ان أخفي إحساسي وأمنع ضحكي. وهكذا علمت ان ربنا المنجي القدير يغير الألم بالراحة والحزن بالسرور في أقل من لمح البصر، تعالت قدرته فوق ادراكات خلقه الفانين").

فلما قابلت الملا صادق بعد مرور عدة سنين وسألته عن ذلك، وافق على كل ما بلغني عن هذه الحادثة المؤثرة. ولم يكتف حسين خان بأن يشفي غليله بايقاع العقوبة الوحشية القاسية، بل ان حماقته الوحشية تحولت نحو شخص حضرة الباب[7] للتعدي عليه. فأرسل الى بوشهر خيّالة من حرسه الخاص وأعطاهم أوامر مشددة للقبض على حضرة الباب وتكبيله بالحديد وإحضاره أمامه في شيراز، وكان رئيس هؤلاء الحرس من النصيرية المعروفين بعليّ اللّهينّ. وقد حكى ما يأتي: (عندما فرغنا من المرحلة الثالثة في سفرنا الى

بوشهر، وجدنا في البرية شابا يتمنطق بحزام أخضر وعمامة صغيرة كما يلبس عادة الأشراف الذين يحترفون التجارة، وكان ممتطيا جواده وخلفه حبشي يحرس أمتعته. وعندما اقتربنا منه، سلّم علينا وسألنا عن وجهتنا، وكنت أريد ان أخفي عنه مأموريتنا، فقلت له ان حاكم فارس أمرنا بمهمة في تلك الجهة، فتبسم قائلا: "ان الحاكم أرسلكم للقبض عليّ، فها انا ذا اعملوا معي كما تريدون وحضرت لمقابلتكم كي أوفر عليكم السير وسهلت لكم المأمورية في البحث عني". فدهشت من إجابته وأعجبت من صراحته واستقامته، ولم أقدر ان أفهم سبب استعداده لتقديم نفسه من تلقاء ذاته الى تعذيب موظفي الحكومة وتحمل الخطر على حياته وسلامته، واجتهدت ان أتجاهله وأظهرت استعدادي لتركه والارتحال بعيدا عنه، ولكنه اقترب مني وقال: "قسماً بالحق الذي خلق الإنسان وميّزه وفضله على جميع خلقه وجعل قلبه مقر سلطته ومعرفته إني في جميع أدوار حياتي لم أتكلم الا بالحق ولم يكن لي قصد سوى تقدم أبناء جنسي تاركا راحتي ولم أكن سببا في حزن أو أذى أحد وإني أعلم انكم تبحثون عني، لذلك فضّلت ان اقدم نفسي لكم بدلا من ان تتعرضوا للمسؤولية أو تتحملوا مشقة غير لازمة" فحركت هذه الكلمات أعماق قلبي ونزلت حالا عن جوادي وقبّلت ركابه وقلت له: "يا نور عين رسول الله، أقسمت لك بالذي خلقك وأعطاك القوة والمقام الأعلى بأن تقبل رجائي وتجيب تضرعي وتهرب من هذا المكان وتتجنب الحضور أمام وجه حسين خان ذلك الحاكم القاسي السافل، فإني أخاف عليك من مكره ولا أرضى ان يقع رجل مثلك من سلالة الرسول تحت تأثير دسائسه الخبيثة. أما جميع أعواني فرجال أشراف وتجمعهم كلمة واحدة

وهم يتعهدون ان لا يفشوا سرّ هربك. فأتوسل اليك ان تحتمي في مدينة مشهد في خراسان وتتجنب الوقوع فريسة لوحشية هذا الذئب الفاتك". فأجاب على توسلاتي قائلا: "جازاك الله عني كل خير لنبالة وعظمة مقصدك ولكن لا يوجد أحد يعلم أمري أو يطلع على خافيته فلن أحوّل وجهي أبدا عن أمر الله وقضائه فهو كهفي ووليي وملجئي، والى ان تأتي ساعتي الأخيرة لا يقدر أحد ان يضرّني ولا ان يبطل حكم الله القادر وإذا أتت ساعتي فما أعظم سروري بتجرع كأس الشهادة لأجل اسمه فها انا ذا سلّمني ليد سيدك ولا تخف لأنه لن يلومك في ذلك أحد". فقال رئيس الحرس: "إني لذلك خضعت لارادته ونفذت أمره".

واستمر حضرة الباب في سفره الى شيراز وكان يسير أمام الحرس بدون قيد، وهم يتبعونه بكل إجلال واحترام، وتمكن بتأثير سحر كلامه ان يبعد من قلوب الحرس كل عداء وان يقلب كبريائهم الى الخضوع والمحبة. ولما وصلوا الى المدينة، ذهبوا تواً الى مقر الحكومة وكان كل من رأى موكب الفرسان وهو يسير في المدينة لا يسعه الا الإعجاب بذلك المنظر الغير المألوف.

وبمجرد ان أُخبر حسين خان بوصول حضرة الباب، ناداه الى حضوره وقابله بكل وقاحة وأمره ان يجلس على كرسي في وسط الغرفة ووبخّه أمام العموم ولامه على سلوكه بألفاظ بذيئة واحتج عليه غاضبا بقوله: (ألا تعلم ما جلبه عملك من المفاسد وبأنك صرت لعنة على دين الاسلام المقدس وعظمة شخص مليكنا. ألست ذلك الرجل الذي تدعي انك مبتدع أمرا جديدا يلغي أوامر القرآن المقدسة؟). فأجاب حضرة الباب بسكون: (اذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)(قرآن كريم 49–6). فأثارت

هذه الكلمات التي نطق بها حضرة الباب غضب حسين خان، وصاح قائلا: (ماذا تقول؟ هل يجوز ان تنسب الينا الجهل وعدم التبصر؟). وأمر تابعه ان يصفع حضرة الباب على وجهه، فكانت اللطمة شديدة بدرجة ان عمامته وقعت على الأرض، ولكن الشيخ أبو تراب إمام الجمعة في شيراز الذي كان حاضرا في ذلك الاجتماع، انتقد عمل حسين خان هذا، وأمر بإعادة عمامة حضرة الباب وطلب منه ان يجلس بجانبه، والتفت الى الحاكم وفسّر له معنى الآية القرآنية التي تلفظ بها، وأراد بهذه الوسيلة ان يهدّي ثورة غضبه، وقال له: (ان هذه الآية التي ذكرها هذا الشاب قد أثرت عندي تأثيرا بليغا وأرى ان الطريق القويم هو البحث في هذا الموضوع بكل اعتناء وتدقيق ثم الحكم في هذه المسألة بمقتضى أحكام الكتاب). فوافق حسين خان على ذلك، وبعد ذلك أخذ الشيخ أبو تراب يسأل حضرة الباب بخصوص الأمر الجديد. فأنكر حضرة الباب انه وكيل القائم الموعود أو الواسطة بينه وبين المؤمنين، فأجاب إمام الجمعة: (نحن قد اقتنعنا ونطلب منك ان تظهر للناس يوم الجمعة في مسجد الوكيل وتعلن هذا الإنكار أمام العموم).

وإذ تأهب الشيخ أبو تراب للخروج لعمل الترتيب اللازم، تداخل حسين خان قائلا: (يلزمنا ان نأخذ الضمان الكافي من شخص محترم وان تكون الضمانة كتابية حتى اذا همّ في المستقبل ان يوقع الاضرار بالدين الإسلامي أو بحكومة البلاد، فانه يحضره في الحال لنا ويكون مسؤولا في كل الأحوال عن سلوكه). فقبل الحاجي ميرزا سيد علي خال حضرة الباب الذي كان حاضرا في ذلك الاجتماع ان يكون كفيلا لابن أخته، وكتب بخطه صورة الضمانة وختم

عليها بخاتمه وأيدها بإمضاء شهود عديدين وسلمها للحاكم. وبناء على ذلك أمر حسين خان ان يسلّم الى حفظ وكفالة خاله بشرط أن يسلمه في أي وقت عند طلبه بمعرفة الحاكم.

وقد امتلأ قلب الحاجي ميرزا سيد علي بالشكر لله، وأخذ حضرة الباب الى منزله وسلّمه الى حفظ والدته العزيزة وابتهج من هذا الاجتماع العائلي وشكر الله على خلاص قريبه من يد ذلك الطاغية الظالم. وكان حضرة الباب أمضى وقتا في عزلة تامة في منزله ولم يكن لأحد أي اتصال به سوى زوجته ووالدته وأخواله. وفي تلك الأثناء كان أهل السوء يلحون على الشيخ أبو تراب لدعوة حضرة الباب لمسجد الوكيل ليوفي بوعده. وكان الشيخ أبو تراب معروفا بالمروءة ويوافق في عوائده وأخلاقه المرحوم ميرزا أبو القاسم إمام الجمعة في طهران. فكان يتردد جدا في معاملة الأشخاص ذوي الحيثية بالإهانة وخاصة اذا كانوا من أهالي شيراز ويرى بالفطرة ان ذلك من واجبه، حتى ان أهالي تلك المدينة يجلّونه ويحترمونه لهذا السبب، فكان يسوّف المسألة جملة مرات ويجيب بأجوبة غير صريحة، حتى يخفف بذلك من غلواء الجمهور. ولكنه وجد بأن المفسدين تشبثوا بكل وسيلة لتحريك إحساس وإشعال هياج الجمهور. وأخيرا اضطر لإرسال رسالة سرّية الى الحاجي ميرزا سيد علي، يطلب منه ان يحضر حضرة الباب يوم الجمعة الى مسجد الوكيل حتى يوفي بالوعد والتعهد الذي أعطاه. وقال له: (أرجو ان تكون أقوال ابن أختك بعون الله عاملة على تسكين الهياج وتهدئة الخواطر حتى بذلك ترتاح ونرتاح معك).

ووصل حضرة الباب الى المسجد مع الحاجي سيد علي في الوقت الذي صعد فيه إمام الجمعة على المنبر، وبمجرد ان وقعت عينيه على حضرة الباب، طلب منه بكل ترحيب ان يصعد المنبر ويخطب الناس، فتقدم حضرة الباب إجابة لطلبه ووقف على الدرجة الأولى من المنبر وخطب في الناس الحاضرين، فطلب منه إمام الجمعة ان يصعد المنبر، فصعد درجتين أخريين طبقا لارادته بحيث كان وهو واقف يحجب برأسه صدر الشيخ أبو تراب الذي كان على آخر درجة من المنبر، وابتدأ إقراره بمقدمة، وما كاد ينطق بقوله: (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض بالحق) حتى اعترضه سيّد يحمل عصى إمام الجمعة وصاح قائلا: (كفى هذا الكلام الفارغ، أسرع وقرر الشيء الذي تريد ان تقوله). فغضب إمام الجمعة غضبا شديدا من وقاحة هذا السيّد ووبخه قائلا: (اسكت يا هذا واخجل من وقاحتك). ثم التفت الى حضرة الباب وسأله ان يختصر في القول حتى يسكن هياج العامة. فواجه حضرة الباب الجمع المحتشد وقال: (ان غضب الله على كل من يعتبرني وكيلا عن الإمام أو الباب اليه وإن غضب الله على كل من ينسب اليّ إنكار وحدانية الله أو اني أنكر نبوة محمد خاتم النبيين أو رسالة أي رسول من رسل الله أو وصاية علي أمير المؤمنين أو أي أحد من الأئمة الذين خلفوه). ثم صعد الى ذروة المنبر وعانقه إمام الجمعة، وقال له: (اذهب الى منزلك وأدي الصلاة هناك، لأن أسرتك تنتظرك بشوق زائد وتريد ان تطمئن على سلامتك من أذى يصيبك وهذا أفضل لك في نظر الله). كذلك أمر إمام الجمعة حاجي ميرزا سيد علي ان يرافقه الى المنزل، وكان هذا التدبير من إمام الجمعة خوفا من اعتداء بعض

الحمقى للإضرار بشخص حضرة الباب أو إيقاع حياته في خطر بعد الصلاة. ولولا حكمة إمام الجمعة ومحبته ورعايته التي أظهرها في جملة مواقع، لكان الجمهور الهائج قد انقض على حضرة الباب ليتشفى منه بوحشية ولارتكب معه أفظع اعتداء. فكان ذلك الإمام كآلة ليد الغيب تعمل لحفظ شخص حضرة الباب وتحفظ رسالته[8]. وأمضى حضرة الباب ردحا من الزمن في منزله بعيشة هادئة مع أسرته وأقربائه. وفي تلك الأثناء قام بإشهار أول عيد للنوروز بعد إعلان الرسالة وكان قد وقع في اليوم العاشر من شهر ربيع الأول سنة 1261 هجرية (مارس سنة 1845م).

وكان البعض ممن حضروا هذه الحادثة في مسجد الوكيل وسمعوا أقوال حضرة الباب أعجبوا بالطريقة الحكيمة التي بها نجح هذا الشاب في إسكات مقاوميه العنيدين بدون ان يساعده أحد في ذلك. فلم تمض على تلك الحادثة وقت كبير حتى عرف الجميع حقيقة رسالة حضرة الباب وجلالها، وكان من بينهم الشيخ علي ميرزا ابن أخت إمام الجمعة، وهو شاب وصل الى سن البلوغ وأينعت الحبة التي زرعت في قلبه ونمت، حتى انه في سنة 1267هـ تشرف بمقابلة حضرة بهاءالله في العراق وامتلأ من تلك المقابلة حماسا وفرحا، وإذ رجع الى موطنه ضاعف الجهد في أعماله لاعلاء أمر الله. ومن ذلك الوقت الى هذا الحين لا يزال مواظبا على أعماله. وقد امتاز باستقامته وأخلاقه وإخلاصه المتناهي للحكومة والبلاد، ووصل منه حديثا خطاب الى حضرة بهاءالله في الأرض المقدسة يبشر بانتشار الأمر في إيران وكتب يقول: (اني بكل إعجاب وسكون أشاهد علائم قوة الله التي لا تغلب تظهر بين أبناء قومي. ففي الأرض

التي قاومت الأمر واضطهدته بكل قسوة ووحشية جملة سنوات، اضطر اثنان من كبار رجال الدولة وهما الطاغية ظل السلطان ابن الشاه ذلك الظالم وعدوّ أمر الله، وميرزا فتح علي خان صاحب الديوان بأن يحكّما في نزاع بينهما شخصا بابياً معروفا في جميع أنحاء إيران بشدة تعلقه للأمر كان معتنقا له مدة أربعين سنة واتفقا ان يقبلا حكم هذا البابي بصفته محكّما بينهما وان ينفذا ما يحكم به في منازعتهما فورا).

وكان ممن انجذب من سلوك حضرة الباب البديع في تلك الحادثة أثناء صلاة الجمعة شخص يدعى محمد كريم. واعتنق أمره بسبب ما شاهده ورآه في ذلك اليوم واضطره الاضطهاد للسفر خارج حدود إيران الى العراق. وهناك في حضور حضرة بهاءالله ازداد إيقانا وإيمانا ورجع فيما بعد الى شيراز حيث أمره حضرة بهاءالله ان يبذل الجهد في نشر الأمر. ومكث هناك الى آخر أيام حياته مشتغلا بالأمر. وكذلك انجذب للأمر شخص آخر يدعى اقاي ركاب ساز، على شأن لم يؤثر عليه أي اضطهاد فلم يتزعزع في إيمانه وأشرقت أنوار محبته وتشرف أيضا بلقاء حضرة بهاء الله في العراق، وأرسل له حضرة بهاءالله لوحاً باسمه ردا على سؤال عن الحروف المقطعة في أوائل السور في القرآن وتفسيرا لسورة النور، واستشهد أخيرا في سبيل الأمر.

وكان من الذين انجذبوا في ذلك اليوم ميرزا رحيم خباز، الذي امتاز بجرأته وحماسه ولم يتوان في مجهوداته حتى ساعة منيته. وكذلك كان من بينهم حاجي أبو الحسن البزاز الذي حج في نفس السنة التي حج فيها حضرة الباب، ولم يكن إذ ذاك مطلعا على عظمة الأمر الا قليلا. ففي ذلك اليوم تغيّر

تغيرا كليا وحصل له جذبة شديدة، وأظهر لحضرة الباب محبة فائقة على شأن كانت تذرف دموعه من عينيه باستمرار وكان كل من عرفه يعجب من استقامته ويمدح حسن أخلاقه وسلامة طويته، وأظهر بأعماله تمسكه هو وأنجاله بالأمر وحازوا رضاء إخوانهم من المؤمنين. ومن جملة من افتتنوا بحضرة الباب في ذلك اليوم أيضا الحاجي محمد بساط، وهو رجل متفقه في تعاليم الاسلام الباطنية ومن المعجبين بالشيخ احمد والسيد كاظم، وكان رجلا شفوقا مطبوعا على الظرف ومحبوبا من إمام الجمعة ومواظبا على أداء صلاة الجمعة وملازما لصحبة إمام الجمعة المذكور.

وكان نوروز تلك السنة طافحا بأنباء التصديق بالأمر الجديد ومبشرا بقرب ظهور ربيع روحاني جديد ظهرت بوادره ومرت نسائمه في أنحاء البلاد، وخرج الكثيرون من أشهر الرجال والعلماء من جمود وبرودة الغفلة، واستنشقوا طيب أنفاس الأمر الجديد، ونضجت البذور التي غرستها يد القدرة في القلوب وازهرت بأجمل الأزهار وأحسنها، وانتشرت روائحها الزكية[9] وذاع عرف شذاها العطري في جميع الجهات من مرور نسيم محبته ورأفته بل جاوز طيب رائحتها حدود إيران ووصل الى كربلاء وانتعشت منها أرواح الذين كانوا هنالك منتظرين رجوع حضرة الباب. وبعد النوروز بقليل وصل اليهم لوح بطريق البصرة أخبرهم فيه حضرة الباب بعدوله عن العودة بطريق كربلاء بعد الرجوع من الحجاز، وعدم إمكان إيفاء ذلك الوعد وأمرهم ان يذهبوا الى أصفهان وينتظروا هناك حتى تصلهم تعليمات، وزاد بقوله: "وربما أمرناكم بالتوجه الى شيراز اذا رأينا ذلك موافقا، وإلا فانتظروا في أصفهان الى ان يقضي الله أمرا كان مفعولا".

فحرّك ذلك الخطاب الذي وصلهم بغتة شوق جميع المنتظرين لرجوع حضرة الباب الى كربلاء وأهاج أفكارهم وامتحن طاعتهم، وقال بعض المتمردين: "وماذا عسى ان يكون من أمر وعده لنا، فهل يقول إن خلف هذا الوعد كان بأمر من الله". وأما الثابتون فاشتد تعلقهم بالأمر أكثر من ذي قبل، وأطاعوا الأمر وهم خاضعون لمولاهم متناسين كل نقد واحتجاج صدر من المترددين. وسافروا الى أصفهان عازمين على تنفيذ أمر مولاهم المحبوب. واجتمع بهم بعض الأصحاب ممن كانوا يكتمون إيمانهم الذي حرك أعماق قلوبهم. وكان من بين أهالي أصفهان ممن دخل في زمرة هؤلاء الجماعة ميرزا محمد علي النهري الذي تزوجت كريمته بالغصن الأعظم وميرزا هادي أخ ميرزا محمد علي اللذين لم تحجبهما وساوس المفسدين عن النظر الى عظمة الأمر ورفعته. كذلك ميرزا محمد حناساب من أهالي أصفهان، وهو الآن يخدم في منزل حضرة بهاءالله، واشترك الكثيرون من هؤلاء الاتباع البواسل في ملحمة الشيخ طبرسي وكانت نجاتهم من نصيب إخوانهم من الشهادة المفجعة أعجوبة.

وفي طريقهم الى أصفهان، قابلوا في مدينة كانجاوار جناب الملا حسين مع أخيه وابن عمه اللذين رافقاه في زيارته الأولى لشيراز وكانا سائرين الى كربلاء، وسرّوا بهذه المقابلة التي لم تكن منتظرة، وسألوا جناب الملا حسين ان يطيل مكثه في كنجاوار، فأجابهم لذلك. وكان جناب الملا حسين يؤم أصحاب حضرة الباب في صلاة الجمعة ويجله ويحترمه الجميع لدرجة أن حسده على ذلك البعض وآل الأمر بهم الى الإنكار فيما بعد، ومن بين هؤلاء المفكرين

الملا جواد البارقاني والملا عبد العلي هراتي، وكان كل منهما يؤمل التوصل للرئاسة بالإيمان ويجتهدان سرا في تقويض المقام العظيم الذي وصل اليه جناب الملا حسين والذي كان محسودا عليه. واستمرا دائبين على دس الدسائس والملاحظات لإساءة سمعته والحط من سلطته. وسمعت من ميرزا احمد الكاتب المعروف في تلك الأوقات بملا عبد الكريم، والذي صاحب في سفره الملا جواد من قزوين، يقول: "كان الملا جواد كثير الإشارة في حديثه لجناب الملا حسين وكثيرا ما قطعت مرافقته بسبب ملاحظات الاستهزاء على جناب الملا حسين التي كان يكررها ويذكرها بمهارة مخبوءة في عبارات ماكرة. وكلما أردت هجره يمنعني جناب الملا حسين، ولما وقف على قصدي نصحني ان أعامله بالتسامح. فكانت مصاحبة جناب الملا حسين لاتباع حضرة الباب المخلصين تزيد في حميتهم واشتعالهم وتهذب أخلاقهم باقتفاء آثاره ومثاله، وهم معجبون بصفاته العالية واستنارة عقله وقلبه، حتى انه أصبح ممتازا بين الأقران".

وعزم جناب الملا حسين على السفر مع جملة الأصحاب الى أصفهان، وتقدمهم منفردا على بعد فرسخ، وعند الغروب يستريح للصلاة، فيلحقه أصحابه ويكمل صلاته معهم، ثم يتقدمهم في السير منفردا وعند الفجر يلحقونه عندما يشرع في الصلاة. ولا يصلي معهم صلاة الجماعة الا اذا ألح عليه أصحابه، وفي مثل هذه الأحوال كان يأتم بأحد من الأصحاب، وكان الإخلاص الذي أشعله في قلوبهم عظيما بدرجة ان الكثيرين منهم كانوا ينزلون من ركائبهم ويسلمونها للذين كانوا منهم مسافرين مشيا على الأقدام، ويتعقبونه مترجلين وذاهلين عن متاعب ومشاق السفر.

ولما قاربوا ضواحي أصفهان، نصح الأصحاب ان يتفرقوا ولا يدخلوا أبواب المدينة الا متفرقين وجماعات صغيرة غير ظاهرين خوفا من ان دخول جمهور كثير دفعة واحدة يثير شبهة واستغراب الأهالي. وبعد بضعة أيام من وصولهم جاءتهم الأخبار بحصول هيجان شديد في شيراز، وان الاختلاط مع حضرة الباب اصبح ممنوعا، وان زيارتهم القادمة لتلك المدينة ربما حفّت بأعظم الأخطار. ولكن جناب الملا حسين لم يحفل بهذه الأخبار المزعجة، وعزم على المسير الى شيراز وأفضى بعزمه هذا الى القليلين من أصحابه، وخلع القفطان والعمامة ولبس الجبة والكلاة، وهو لباس أهل خراسان، وواصل السير الى مدينة محبوبه، ووصل في ساعة غير منتظرة متخفياً بهيئة خيالة الهزاري والقوشان، ومصحوبا بابن عمه وأخيه. ولما اقترب الى باب المدينة أرسل أخاه في جنح الليل الى منزل خال حضرة الباب، وطلب منه ان يخبر حضرة الباب بوصوله، فأتاه الخبر في ثاني يوم، بأن الحاجي ميرزا سيد علي ينتظره بالترحيب بعد الغروب بساعة خارج باب المدينة. وقابله جناب الملا حسين في الساعة المعينة ورافقه الى منزله. وكثيرا ما كان حضرة الباب يشرّف ليلا ذلك المنزل ويستمر مع جناب الملا حسين الى طلوع الفجر، ولم تمض أيام كثيرة حتى أذن لأصحابه الذين اجتمعوا في أصفهان في الحضور تدريجيا الى شيراز، وهناك ينتظرون الفرصة الملائمة للتشرف بحضرة الباب، وحذرهم وطلب منهم استعمال منتهى الحكمة، وأمرهم ان لا يدخلوا باب المدينة الا جماعات ضئيلة وان يتفرقوا بمجرد وصولهم في الجهات التي ينزل فيها المسافرون، وان يشتغلوا بأي عمل يجدونه. وكان أول فوج وصل الى المدينة وقابل حضرة الباب بعد

وصول جناب الملا حسين بقليل مكونا من ميرزا محمد علي النهري وميرزا هادي أخوه والملا عبد الكريم القزويني والملا جواد البراغاني والملا عبد العلي الهراتي وميرزا ابراهيم شيرازي، وفي أثناء اجتماعهم به أظهر الثلاثة الاخيرون ما تكن قلوبهم من حقد وعمى وما في أخلاقهم من انحطاط وتدهور، وكانت إشارات حضرة الباب العديدة الى عطفه المتزايد على جناب الملا حسين أهاجت غضبهم وأضرمت وميض نيران حسدهم، وبسبب احتدام غضبهم وعجزهم، تذرعوا بالغيبة والنميمة الذميمة، وكانوا في أول الأمر عاجزين عن اعلان عداوتهم لجناب الملا حسين وطفقوا يبحثون عن كل مكيدة لتسميم الأذهان وتبريد محبة المعجبين به، وكان هذا السلوك المعوج من جانبهم سببا في ابعاد عطف المؤمنين عليهم وإخراجهم من زمرتهم. وإذ طردوا بأعمالهم من وسط المؤمنين تسلحوا مع أعداء الأمر وجاهروا برفض مبادئه وأصوله، وأشعلوا فتنة كبيرة بين سكان تلك المدينة. واخيرا طردتهم السلطة المحلية، لأنها خشيت من فتنتهم. وكان حضرة الباب قد بالغ في ذكر حيلهم وأعمالهم السيئة في أحد الألواح وشبههم بالعجل السامري الذي لم يكن له روح بل كان عملا مرفوضا وموضوع عبادة شعب ضال. ومما كتبه خاصا بالملا جواد والملا عبد العلي: "اللهم العن الجبت والطاغوت"(قران 4-50) التوأمين المعبودين من هذا الشعب الضال". وسافر الثلاثة الى كرمان حيث انضموا الى الحاجي ميرزا محمد كريم خان وساعدوه في خطته العدائية نحو الأمر وشدوا أزره في تهديداته وتوعداته.

وكان حضرة الباب ذات ليلة يزور منزل الحاجي ميرزا سيد علي بعد طرد هؤلاء الثلاثة من شيراز، فطلب إحضار محمد علي النهري وميرزا هادي

والملا عبد الكريم القزويني ليمتثلوا أمامه، فلما حضروا التفت حضرة الباب الى الملا عبد الكريم وقال له: (يا عبد الكريم، هل تبحث عن المظهر؟) فكان لهذه العبارة التي نطق بها حضرة الباب بكل هدوء ولطف، تأثير بليغ عليه حصل له منها دهشة واصفر لونه من هذا الاستفهام الفجائي وأجهش بالبكاء وارتمى على قدم حضرة الباب بحالة اضطراب عميق. فأخذه حضرة الباب باللطف بين ذراعيه وقبّل جبهته وطلب منه ان يجلس بجانبه وهدأ روعه بكلمات المحبة اللينة.

ولما عادوا الى منزلهم، سأل الميرزا محمد علي وأخوه من الملا عبد الكريم عن سبب انزعاجه المفاجئ، فأجابهم بقوله: (اسمعوا لأني سأحكي لكم واقعة غريبة وقصة لم أذكرها لأحد للآن. عندما وصلت الى سن البلوغ، شعرت وأنا قاطن في قزوين بميل شديد لكشف السر الإلهي ولمعرفة طبيعة قدّيسيه وأنبيائه. فلم أر وسيلة سوى تحصيل العلوم لأتمكن من بلوغ هذا المرام، فنجحت في الحصول على قبول والدي وأعمامي أن أترك الشغل وأتفرغ بالكلية للبحث والطلب والدراسة، فقطنت في غرفة في إحدى مدارس قزوين وأفرغت وسعي في تحصيل كل أنواع العلوم. وكثيرا ما كنت أباحث أقراني في المعارف التي أحصلها معهم ورأيت في ذلك وسيلة لإكمال تجاربي. وفي الليل أعود الى المنزل واعتزل في مكتبي وأخصص جملة ساعات للدراسة الهادئة، وكنت مستغرقا في أعمالي الى درجة ذهلت فيها عن الأكل والنوم. وفي ظرف سنتين وصلت الى حل مشكلات ومعضلات الفقه والأصول وكنت ملازما لدرس الملا عبد الكريم الأيراواني الذي كان معدودا في تلك الأيام من أعاظم علماء قزوين،

وكنت أعجب بسعة اطلاعه وفضله وصلاحه وأخصص بعض الوقت كل ليلة من مدة التلمذة لكتابة رسالة قدمتها له، ولما راجعها بعناية واهتمام أظهر سروره من اجتهادي وامتدح مجهوداتي العظيمة. ويوما قال لي أمام جمع من تلاميذه ان العلاّمة الفهّامة الملا عبد الكريم قد أعدّ نفسه لبيان وتفسير كتب الاسلام المقدسة فهو في غنى عن حضور درسي أو درس أقراني وإن شاء الله سوف أحتفل بارتقائه الى درجة مجتهد في صباح الجمعة الآتي وأسلمه الشهادة بعد صلاة الجمعة.

وبعد ان تكلم الملا عبد الكريم الأيراواني بذلك، نهض وتركنا، وجاء بعده التلاميذ وهنأوني من قلبهم على اتمام الدراسة، فرجعت الى منزلي مغتبطا. وبوصولي وجدت والدي وعمي الأكبر الحاجي حسين علي، وهما ممن لهم اعتبار عظيم في كل قزوين، يهيئان احتفالا لأجل إعلان ذلك. فطلبت منهما ان يؤجلا الاحتفال الذي دعوا له أعيان قزوين حتى أخبرهم، وقبلوا ذلك بسرور لعلمهم بان شوقي لمثل هذا الاحتفال لا يدع مجالا لتأجيله بعيدا. وفي تلك الليلة ذهبت الى مخدعي وأنا أردد الأفكار الآتية في قلبي، وقلت لنفسي: (ألا تعلم بطريق المحبة بانه لا أمل في الوصول الى بيان وتفسير الكتب الاسلامية المقدسة الا لذوي الأرواح الطاهرة؟ ألم يكن اعتقادك ان الذي يصل الى هذه المرتبة يكون معصوما من الخطأ؟ ألم تكن الآن معدودا من تلك الطبقة؟ ألم يعدك أكبر عالم في قزوين بأنك تكون كذلك؟ والآن كن منصفا – هل تعتقد في قلبك إنك وصلت الى هذه الدرجة من القداسة والطهارة والانقطاع الصرف وهي الشروط التي كنت تعدّها في الأيام الخالية لازمة وضرورية لمن يروم

الوصول الى تلك المنزلة الشريفة الرفيعة؟ وهل تعلم من نفسك انك خلصت من كل شائبة نفسية؟ وبينما أنا جالس أفكر إذ غلب علي احساس تدريجي بعدم استحقاقي لتلك الرتبة ورأيت نفسي أسير المتاعب والهموم والتجارب والشكوك وساورني القلق من ناحية كيفية رئاستي وإلقاء الدرس وإمامة الجمعة وتنفيذ أحكام الدين وكنت دائم الفكر مشتغل البال في كيفية تأدية واجبي وضمان سموّ ترتيباتي على ترتيبات من تقدمني. فكان يغلب عليّ شعور الضعة والحاجة الى طلب المغفرة من الله، فكنت أقول لنفسي انك كنت تقصد من طلبك العلم كشف السر الإلهي والوصول الى رتبة الإيقان، فكن منصفا هل أنت متأكد من صحة تفسيرك للقرآن ومن ان الأحكام التي تنفذها وتروجها هي التي تعبر عن إرادة الله؟ وبغتة ساورني قلق من خطأ الفكر، وعلمت لأول مرة ان صدأ التعلم قد غشي روحي وانهكها وحجب بصيرتي، فحزنت على ماضيّ وتأسفت على ضياع جهودي وعلمت ان الناس الذين هم من رتبتي هم مثلي خاضعون لنفس هذه الآلام فبمجرد ان يحوزوا العلوم الظاهرة يظنون انهم أصبحوا قادرين على بيان قواعد الاسلام ويدّعون لأنفسهم حق الامتياز التام في تفسير أحكامه. وبقيت مستغرقا في أفكاري الى الفجر، فلم أتناول في تلك الليلة طعاما ولا أخذني النوم، وأحيانا كنت أناجي الله قائلا: "ترى يا إلهي وتعلم بغيتي وإني لا أقصد سوى إرادتك ورضائك، وقد أخذتني الدهشة عندما أفكر في الفرق العديدة التي وقع فيها دينك المقدس وتحيرت إذ رأيت ان المذاهب قد مزقت الأديان المقدسة القديمة. فهل ترشدني يا إلهي في حيرتي وتخلصني من شكوكي؟ وهل أجد يا إلهي التعزية وأصل الى الهداية؟". ثم بكيت بحرقة في تلك الليلة حتى

انـي ظننت ان صـوابي قد ضـاع، وفجأة رأيت فـي الرؤيـا جمعيـة كبيرة وعلـى وجوههم نـور بهرنـي وجلس علـى منبـر شـخص جليـل بلبـاس سيّد وأخذ يفسّـر الآيـة (إن الـذين جاهـدوا فينـا لنهـدينهم سـبلنا) فانجـذبت مـن النظـر فـي وجهـه وقمت وتقدمت اليه وشرعت في الوقوع تحت قدمه، ولكن ذلك المنظر اختفى فجأة من أمـامي. فـابتهج قلبـي وامـتلأ بـالنور واشـتد فرحـي بدرجـة لا توصـف، وعزمـت ان أستشـير الحـاجي الله وردي والـد محمـد جـواد فرهـادي وهـو الرجـل المعرِف في جميع أنحاء قزوين بالعلم اللدني والمعرفة الروحانية الباطنية. فلما قصصت عليه الرؤيا تبسم ووصف لي ذلك السيد الذي رأيته بكل دقة وبيّن لـي مميزاته، ثم قال لي (ان ذلك الشخص الجليل لم يكن سوى الحاجي سيّد كـاظم الرشتي الذي هو الآن في كربلاء والذي هو في كل يوم يفسر لتلاميذه تعاليم الاسـلام المقدسـة. والـذين يسـتمعون لدروسـه ينتعشـون ويتهـذبون مـن كلماتـه ولا أقدر ان أصـف التـأثير الـذي يحدثـه علـى سـامعيه). فقمـت مسـرورا مـن عنـده وأظهرت له شكري العميق ورجعت الى منزلي ثم سافرت منه تواً الى كربلاء، وجـاء أقرانـي وطلبـوا منـي ان أقابـل المـلا عبـد الكـريم لأنـه طلـب المقابلـة امـا بحضـوري عنـده أو حضـوره لمنزلـي، فقلـت انـي أشـعر بضـرورة زيـارتي لمقـام الحسين في كربلاء، وأقسمت إني سأذهب تواً لتلك الزيارة، وإني غير قادر على أرجائهـا وان أمكـن فـاني أزوره بضـعة دقـائق قبـل مبـارحتي المدينـة، وإلا فـاني أرجوه ان يسامحني وان يدعو لي الله ان يهديني في صراطه المستقيم. وأعلمت أهلي وأقاربي سراً بالرؤيا وبالتفسير وأخبرتهم بعزمي على زيارة كربلاء. وكانت كلمـاتي لهـم فـي ذلـك اليـوم قـد زرعـت حـب السـيّد كـاظم فـي قلـوبهم وشـعروا

بانجذاب الى الحاج الله وردي واجتمعوا به وصاروا من أنصاره، وكان أخي عبد الحميد الذي تجرّع فيما بعد كأس الشهادة في طهران قد رافقني في سفري الى كربلاء. وهناك قابلت السيّد كاظم على الهيئة التي رأيته بها في الرؤيا، ودهشت عندما رأيته يفسّر نفس الآية التي كان يفسرها في الرؤيا. ولما جلست وأنصت له انجذبت كلية من قوة بيانه وسعة اطلاعه، ثم قابلني بكل ترحاب وأظهر لي كل محبة ورأفة وشعرت أنا وأخي بسرور باطني لم نذقه قط من قبل. وكنّا في ساعة الفجر نهرع الى منزله ونرافقه لزيارة الإمام الحسين وصرفت كل أيام الشتاء في مصاحبته. وأثناء هذه المدة كنت مواظبا على درسه وفي كل مرة كنت أصغي لأقواله وسمعته يصف ناحية خاصة من نواحي مظهر القائم الموعود وكان هذا موضوع بحثه في أحاديثه، فأي آية أو حديث يتصادف له تفسيره ينتهي بتفسير خاص بظهور الموعود، فكان يكرر قوله بصراحة: "ان الموعود يعيش وسط هؤلاء القوم وان ميعاد ظهوره قد قرب فهيئوا الطريق اليه وطهّروا نفوسكم حتى تروا جماله ولا يظهر لكم جماله الا بعد ان أفارق هذا العالم فعليكم بعد فراقي ان تقوموا على طلبه ولا تستريحوا لحظة واحدة حتى تجدوه". وبعد الاحتفال بالنوروز أمرني السيد كاظم بالخروج من كربلاء، وعندما كنت أودعه قال لي: (تأكد يا عبد الكريم انك في يوم ظهوره ستكون من الذين يقومون لنصرة أمره، وأتعشم انك تذكرني في ذلك اليوم المبارك). فتضرعت اليه ان يسمح لي بالبقاء في كربلاء لأن عودتي الى قزوين تثير عداوة الملاوات في تلك المدينة. فكان جوابه لي: "ليكن اعتمادك على الله وتجاهل قطعيا وشايتهم واشتغل بالتجارة وتأكد ان احتجاجاتهم لن تضرك في شيء". فاتبعت نصيحته

وسافرت مع أخي الى قزوين وبمجرد وصولي أخذت في تنفيذ نصيحة السيد كاظم وتمكنت باتباع نصائحه من إسكات كل معارض مبغض. وكنت اشتغل دائما في عملي وفي الليل أعود الى منزلي وأخصص وقتا في غرفتي الهادئة للتأمل والصلاة وكنت أناجي الله بأعين باكية وأتضرع اليه قائلا: "إنك يا الهي وعدتني على لسان عبدك الصدّيق اني سوف أرى يومك وانظر وحيك وأمرك وقد أكدت لي بواسطته اني سأكون ضمن الذين يقومون لنصرة أمرك، فإلى كم تؤخّر عني وعدك ومتى تفتح لي باب فضلك بيد كرمك ومحبتك ومتى تمنحني نعمتك الخالدة". وفي كل ليلة أكرر هذا النداء واستمر في المناجاة الى طلوع الفجر. وذات ليلة أي في مساء يوم عرفة سنة 1255 هجرية (الليلة السابقة على 13 فبراير سنة 1840م) كنت مستغرقا في الصلاة، فأخذتني سنة من النوم رأيت فيه أمامي طائرا أبيض كالثلج يحوم حول رأسي ثم وقف على فرع شجرة بجانبي وبنغمات شجّية لا توصف، قال: (هل أنت تطلب المظهر يا عبد الكريم هاهو ذا يظهر سنة 60). ولم يلبث الطائر الا ان طار واختفى. فهيجني سرّ هذه الكلمات وتذكرت جمال ذلك المنظر الذي يتردد كثيرا في عقلي، حتى كأني ذقت جميع ملاذ الجنة فكان سروري به لا يقهر. ونفذت الى أعماق روحي تلك الرسالة السرية من ذلك الطائر وكانت دائما على شفتي وكنت أرددها في عقلي. ولم أذكرها لأحد خوفا من أن تفارقني حلاوتها. وبعد بضعة سنين وصل الى سمعي النداء من شيراز فأسرعت في الحال الى تلك المدينة، وأثناء الطريق قابلت في طهران ملا محمد معلم الذي عرّفني بالأمر وبالمظهر وأخبرني ان الذين آمنوا به قد اجتمعوا في كربلاء منتظرين عودة إمامهم من

الحجاز. ولذلك سافرت تواً الى تلك المدينة ومن همدان رافقني لسوء حظي الملا جواد البارغاني الى كربلاء وفيها كان لي الشرف بمقابلتكم مع باقي الأحباء وكنت على الدوام أخفي في نفسي تلك الرسالة العجيبة التي كلّمني بها الطائر. فلما قابلت حضرة الباب أخيرا وسمعت من شفتيه نفس العبارة وبنفس النغمة واللغة التي سمعتها من الطائر عرفت المقصود وأخذني جذب قوتها وجمالها حتى اني بدون شعور وقعت على قدميه ومجّدت اسمه).

(يقول النبيل) وفي أوائل سنة 1265 هجرية (1848م)، قمت في سن الثامنة عشر من بلدتي زرند الى قم وهناك تصادف مقابلتي للسيد اسماعيل الزواري الملقب بالذبيح والذي بذل روحه فيما بعد للشهادة في سبيل حضرة بهاءالله في بغداد وهو الذي بلّغني الأمر الجديد. وكان على وشك السفر الى مازندران وعزم على الانضمام لجماعة المدافعين الأبطال في قلعة الشيخ طبرسي وعزم على ان يأخذني معه بصحبة ميرزا فتح الله حكاك وهو شاب من سني كان مقيما في قم، ولما كانت الأحوال تحول دون تنفيذ خطته، وَعَدَنا ان يقابلنا في طهران قبل سفره وطلب منا اللحاق به، وأثناء مباحثته مع ميرزا فتح الله، حكى لنا واقعة الملا عبد الكريم فاشتقت جدا لمقابلة هذا الأخير. ولما سافرت الى طهران فيما بعد قابلت السيد اسماعيل في مدرسة دار الشفاء مسجد شاه وهذا عرفني بالملا عبد الكريم الذي كان مقيما في تلك المدرسة. وفي تلك الأثناء علمنا ان الملحمة التي قامت في جهة الشيخ طبرسي انتهت وان أصحاب حضرة الباب الذين اجتمعوا في طهران والذين كانوا يفكرون في اللحاق باخوانهم قد رجعوا، كل منهم الى بلده بدون ان يتمكنوا من اتمام مقصدهم.

وبقي الملا عبد الكريم في طهران وكان يخصص وقته في استنساخ البيان الفارسي وكان دوام الاتصال به قد ساعدني على توثيق عرى المحبة والاعجاب به، ولا أزال أشعر بعد مضي 38 عاما منذ أول مقابلة معه في طهران بتلك الحرارة الحبيّة وباشتعال ايمانه وإحساسي بالمحبة الفائقة له جعلني أذكر بالتفصيل وقائع أحوال أوائل أيامه حيث انتهت بما يعتبر فصل الخطاب في جميع أدواره. ولعلها تنفع في إيقاظ وتنبيه القارئ الى عظمة هذا الأمر الإلهي العظيم.

الحواشي

(1) إشارة الى حضرة الباب.

(2) إشارة الى حضرة بهاءالله.

(3) وهو أيضا يدعى "نظام الدولة"، طبقا للتاريخ الجديد (صحيفة 204).

(4) والقاجار إحدى قبائل توران وهي عائلة تركية ظهرت أولا في إيران ضمن الجيش الفاتح الذي غزاها تحت امرة جنكيز خان (لمحة عن تاريخ إيران صحيفة 339 لماركهام).

(5) وتبعا للمسيو أ.ل.م. نقولاس في كتابه السيد علي محمد الباب في الهامش ن 175 صحيفة 225 حصل هذا الاجتماع في 6 أغسطس سنة 1845م.

(6) وتبعا لمقالة سائح (صحيفة 5) حصل نفس هذا الاضطهاد لشخص ثالث كان معهما وهو الملا علي أكبر أردستاني.

(7) وكانت هذه المدينة مسرحا لمجادلات عنيفة أقلقت الأمن العام فكان الحجاج والأراذل قد اجتمعوا فيها لأجل إحداث القلاقل سواء بالموافقة أو بالمخالفة وسواء مادحين أو قادحين للسيد الباب وحدث هياج عمومي وانزعج الملاوات لازدياد عدد المؤمنين بالامر الجديد ونقص الموارد التي كانت تدر عليهم. فأعلنوا بأن التسامح في هذا الأمر يخلي المساجد من أتباعهم. وإذا لم يدافعوا عن الاسلام فانهم يكونون مغلوبين. من جهة أخرى خشى حسين خان نظام الدولة حاكم شيراز انه لو ترك الحبل على الغارب فان الحالة قد تصل الى درجة لا يمكن معها قمع الهياج فيما بعد. وفي ذلك مضيعة لما رسمه من العقاب.

ولم يقنع الباب باظهار الدعوة بل دعا اليه الرجال الأتقياء قائلا "ان الذي يعرف كلمة الله ولم يأت للمساعدة في وقت الخطر فقد فر من مساعدة الحسين ابن علي وقت شهادته في كربلاء وكان من الكافرين" (كتاب بين الحرمين) فاجتمعت المصالح المدنية والمصالح السماوية أي اتفق نظام الدولة مع الشيخ أبو تراب إمام الجمعة وأرادا مواجهة الداعي الجديد بما يكون سببا لسقوطه في أعين مواطنيه وبذلك ربما تمكنا من تهدئة الخواطر (من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 229–230).

(8) وكانت نتيجة هذا الاجتماع الذي رتبه الملاوات بحماقتهم انجذاب العديدين من المؤمنين وزاد الأمر في جميع مدن إيران وازداد الشغب وكانت المحاورة قد أخذت شأنا عظيما

اضطرت محمد شاه ان يرسل رجلا الى شيراز ممن وضع فيه ثقته ليكتب له تقريرا بما يراه ويعلمه وكان هذا الرسول هو السيد يحيى الدارابي. من كتاب (نقولاس السيد علي محمد الباب صحيفة 232–233).

(9) ومهما يكن من الأمر فان الهياج ازداد في شيراز وهرع جميع المتعلمين الى ملاقاة علي محمد الباب، وما كاد يظهر في المسجد حتى التفوا حوله وما كاد يجلس على كرسي المنبر حتى أنصتوا ليستمعوا له، ولم تكن خطابته بقادحة في أصول الاسلام بل انه احترم كثيرا من التقاليد، ولذلك ساد التكتم، ومع ذلك كانت الخطابة جريئة ولم يكن فيها مداراة من العلماء بل كان يقرعهم بزواجر وعظه وبيان سوء أعمالهم وأشار بوجه عام الى حالة العالم السيئة المحزنة. وفي الخطابة اشارات وتلميحات هيجت أهواء البعض بينما أعجب بها الآخرون وامتدحوها وزادوا في وصف حسنها وملاحتها كما هو دأب العامة الذين يزيدون الأقاويل والاشاعات حتى ابتدأ الناس في جميع أنحاء إيران يتكلمون عن علي محمد. ولم يكن ملاوات شيراز بملتفتين لهذه الإشاعات حتى يجتمعوا لدحض ما شنع عليهم به. ومنذ ظهوره للناس يخطبهم، ارسلوا اليه أمهرهم للمجادلة معه وللقيام ضده ليأخذوه، وكانت هذه المجادلات العلنية سواء في المساجد أو المدارس تعقد بحضور الحاكم العام ورؤساء الحربية والعلماء وعامة الناس، فبدلا من ان تفيد العلماء زادت في شهرة المتحمس على حسابهم. وكان يدحض مزاعم خصومه ويحكم عليهم وذلك أمر ميسور له حيث كان القرآن في يده. ولم يكن بأسهل عليه من الظهور أمام الجمهور الذين كانوا يعلمون حق العلم بأن سلوكهم مناقض لاحترام الكتاب ومناف له منافاة صريحة، في حين انهم لا يقدرون ان يرفضوا الكتاب، ولذلك أمكنه ان يفضح أعدائه ومقاوميه بكل جرأة وحماس وأظهر ما هم عليه من المفاسد بدون أدنى مداراة وبغير اهتمام. فبعد ان أظهر لهم انهم لم يكونوا أوفياء لدينهم، أبان عن مثالب وعيوب حياتهم ودهاهم بداهية عظيمة حتى دهش له السامعون. وكانت عظاته مثيرة للعواطف لأقصى درجة حتى ان الذين حضروها لم ينسوا ما دار فيها بل كانت خطبته تذكارا لهم، فلم يقدروا على التكلم الا بخوف واتفق الجميع على ان فصاحة علي محمد لا يدانيها فصاحة ولا يقدر ان يتصورها العقل. وكان لا يظهر في مكان الا محاطا بجمهور

غفير من الأتباع والمؤمنين، وامتلأ منزله من الزوار فلم يكن تعليمه قاصرا على المساجد والمدارس بل كان أيضا يجتمع عنده كل ليلة كثيرون من الخواص المعجبين به ليبين لهم الأحكام. وكان في بدء الأمر جدليا أكثر منه تشريعيا وفي اجتماعاته السرية يكشف عن معضلات المسائل وهي في كل يوم تزداد حتى خشى أن تؤول الى قلب الاسلام قلبا تاما وتكون بمثابة مقدمة للايمان الجديد. واشتعلت الهيئة الدينية الجديدة واستعدت بجرأة لمكافحة كل شيء وضحت الأنفس والنفائس بغيرة وحمية في سبيل الأمر الجديد. (من كتاب الأديان والفلسفة في أواسط آسيا للكونت جوبينو صحيفة 120–122).

وابتدأ الباب يجمع حوله جماعة من المتحمسين. واشتهر بالبساطة الكلية في أخلاقه ولطافته وحسن منظره وصباحة محياه. وكان الناس يتأثرون من سعة علمه وفصاحة منطقه ومن كتاباته التي ولو كانت في نظر جوبينو غير جلية الا ان الايرانيين كانوا أشد الناس اعجابا بها لبداعة أسلوبها وجمالها، وكان لها تأثير عظيم في شيراز وبمجرد دخوله الجامع يمتلئ، وبمجرد تكلمه ينصتون (من كتاب السير فرانسس يونج هازبند ص 194 المسمى بالنور (The Glean .

وكانت الآداب التي يحث عليها شاب في السن الذي تغلي فيه الأهواء والشهوات قد أثرت على السامعين من المتدينين المتتبعين لمطابقة أقواله لأفعاله فلم يشك أحد في ورعه فكان دائم التذكر وكثيرا ما يهرب من الجموع الذين كانوا يطلبونه من كل جهة (الجريدة الآسيوية جزء 7 صحيفة 341 سنة 1866). وكان السيد بسلوكه مثالا أعلى للملتفين حوله يستمعون له في وعظه عن المفاسد الشائعة في جميع الطبقات، فيحفظون أقواله ويلقونها على غيرهم ويصفونه بأنه معلم صادق يسلمون اليه مقاليدهم بدون أي احتراز (من نفس الجريدة).

الفصل التاسع

في إقامة حضرة الباب في شيراز بعد الحج

- تكملة -

وبمجرد وصول الملا حسين الى شيراز قام الناس مرة أخرى احتجاجا عليه وزاد خوف العامة واضطرابهم لعلمهم باتصاله الوثيق بحضرة الباب. فكانوا يتذمرون قائلين انه عاد الى مدينتنا ليرفع علم العصيان ويدبر مع سيّده حملة شديدة على أحكامنا وشرائعنا العتيدة. وأصبح مركز حضرة الباب من الخطورة والقوة بمكان حتى انه أمر الملا حسين بالعودة بطريق يزد الى موطنه في إقليم خراسان، وكذلك صرف باقي أصحابه الذين اجتمعوا في شيراز وأمرهم بالرجوع الى اصفهان وأبقى الملا عبد الكريم وحده وأمره بنسخ كتاباته.

وهذه الاحتياطات التي رأى حضرة الباب من الحكمة اتخاذها خلّصته من خطر هجوم أهل شيراز عليه نظرا لما هم عليه من الحنق والاضطراب، وساعدت على إيجاد قوة دافعة لترويج الايمان خارج حدود المدينة، فلما انتشر التلاميذ في أنحاء البلاد أعلنوا بدون خوف ولا وجل لجمهور مواطنيهم تلك القوة المحيية للدين الحديث الولادة، وانتشر وذاع صيت حضرة الباب في الأطراف[1] ووصل الى آذان الذين تبوءوا أعلى مراكز السلطة سواء في العاصمة أو في الأرياف واشتد البحث والتحري من الرؤساء والمرؤوسين وأخذت الدهشة والحيرة كل الذين سمعوا من أفواه رسل حضرة الباب تلك العلامات والدلائل التي بشّرت بظهوره. وكان عظماء الدولة ورؤساء الديانة دائبين على البحث والتحري بأنفسهم ويوفدون من يثقون بهم من القادرين للبحث والتنقيب عن حقيقة وصفة هذه الحركة العظيمة.

وتحرك محمد شاه[2] أيضا للتحقق من هذه الأخبار والبحث في صفتها، فأوفد السيد يحيى الدارابي[3] أشهر علماء العصر وأفصحهم وأكثرهم أثرا في الرعايا، لمقابلة حضرة الباب ولكتابة تقرير عن حقيقة الحال ونتيجة بحثه. وكان للشاه ثقة تامة في إنصافه وعدم تحيزه وكفاءته ونورانية باطنه. وكانت له مكانة بين كبار رجالات فارس، حتى انه في أي مجمع يحضره يكون هو المتكلم فيهم ومهما حضر في المجمع من الرؤساء الدينيين لا يجسر أحد منهم ان يذكر رأيه في حضوره وجميعهم يكونون صامتين أمامه بكل احترام ومقرين ومذعنين برجحان عقله وغزارة علمه وحكمته البالغة.

وكان السيد يحيى في تلك الأيام يقطن في طهران في منزل لطف علي، رئيس تشريفاتي الشاه كضيف معزز لجلالة الملك. فأسرّ الشاه الى ميرزا لطف، على رغبته في أن يقوم السيّد يحيى بفحص هذا الموضوع شخصيا، وقال له: (واخبره عنّا لثقتنا العالية في صدقه وإعجابنا بآرائه الحكيمة العلمية والأدبية ولاعتبارنا له انه أليق عالم في قطرنا، فإننا ننتظر منه أن يقوم بنفسه الى شيراز ويفحص أمر السيد الباب ويخبرنا بالنتيجة البحتة حتى ننظر في الإجراءات التي يجدر بنا اتخاذها نحوه). وكان السيد يحيى بنفسه أيضا راغبا في الحصول على أدق المعلومات الخاصة بدعوة حضرة الباب، ولكنه لم يكن يتمكن من السفر الى فارس نظرا للأحوال غير الملائمة. فاضطره أمر محمد شاه أن ينفذ عزمه الذي طالما كان يتمناه. وبعد أن أكد للشاه استعداده لتنفيذ رغبته، سافر الى شيراز.

وأثناء الطريق فكّر في الأسئلة المختلفة التي يلقيها على حضرة الباب

لأن صحة الرسالة تتوقف حسب رأيه على الإجابة على هذه الأسئلة. وإذ وصل الى شيراز قابل الملا شيخ علي الملقب بالعظيم، وهو الذي كان يعاشره في خراسان بصداقة متينة وسأله هل هو مسرور من مقابلته لحضرة الباب، فأجابه العظيم: (عليك أن تقابله ثم تبحث بنفسك بدون تداخل أحد حتى تطّلع بنفسك على أمره. وكصاحب لك، أنصحك أن تسدي اليه منتهى الاحترام أثناء المحادثات لئلا تندم آخر الأمر على أي جفاء يصدر منك نحوه).

وكانت مقابلة السيد يحيى في منزل الحاجي ميرزا سيّد علي، وأظهر له الاحترام والإجلال أثناء المحادثة كما أوصاه عظيم، ومكث زهاء ساعتين يلفت نظر حضرة الباب الى المسائل العويصة المشكلة المستعصية والآيات المتشابهة في القرآن ونبوّات أئمة الدين، وكان حضرة الباب ينصت أولا الى إشاراته العلمية عن الشريعة والنبوات الاسلامية ويستوعب كل أسئلته، ثم يشرع في بيان الجواب المقنع المختصر لكل سؤال، وكانت سلاسة أجوبته واختصارها مما أثار إعجاب ودهشة السيّد يحيى الذي رأى نفسه مغلوبا وأحس في نفسه بشعور أزال صلفه وكبرياءه ومحا منه محبة الرئاسة. ولما عزم على الاستئذان من حضرة الباب، خاطبه قائلا: (إن شاء الله في المقابلة الآتية أعرض لكم بقية أسئلتي وبها أنتهي من بحثي) وبعد الافتراق اجتمع بعظيم وأخبره بكل ما جرى. وقال له: (انني أسهبت في حضرته بدون جدوى في إظهار معارفي، ولكنه بكلمات قليلة أجاب على كل أسئلتي وحل لي ما أشكل عليّ وشعرت أمامه بتذلل وخضوع جعلني أسرع وأطلب الانصراف من أمامه).

وفي المقابلة الثانية وجد السيد يحيى لفرط دهشته انه نسي جميع الأسئلة

التي كان قد عزم على إلقائها على حضرة الباب. وجعل يعالج مواضيع لا علاقة لها ببحثه ورأى مع ذلك ان حضرة الباب كان يجيب عليها بنفس السلاسة والاختصار الذي رآه في إجاباته السابقة، وأجابه أيضا على الأسئلة التي نسيها وقتيا، فكان يذّكره بها. ووصف السيد يحيى ذلك، قال: (كنت أشعر إذ ذاك اني أنام نوما عميقا وكانت كلماته وإجاباته على المسائل التي نسيت ان أسألها توقظني من سباتي، وكان يتردد في أذني وفي سرّي قول قائل "هل يمكن ان يكون ذلك كله من باب المصادفات؟" فاضطربت نفسي من تراكم وتزاحم أفكاري، وطلبت ثانيا الاذن بالانصراف. وقابلني عظيم فيما بعد وقال لي في غير مبالاة وهو مقطّب الوجه (يا ليت كانت هذه المدارس التي تعلمنا فيها مغلقة وليتنا لم ندخلها، فمن قصر عقولنا وغرورنا احتجبنا عن فضل الله الذي هو مخلصنا، وكنا سببا لمتاعب منبع الفضل، إلا يحسن بك أن تتضرع لله في هذه الدفعة ليهبك في حضوره شرف الانقطاع والخشوع ليخلصك بلطفه ورحمته من ألم الشك والحيرة).

فصممت في المقابلة الثالثة أن أطلب منه في سر سري تفسيراً لسورة الكوثر (108 قرآن كريم). وعزمت أن لا أذكر هذا الطلب له شفاها. فاذا أتى بالتفسير من تلقاء نفسه وبكيفية تخالف بحسب رأيي التفاسير المعهودة، اقتنعت إذ ذاك بصحة رسالته السماوية واعتنقت أمره، وإلا فلا أعترف به. وبمجرد تشريفي شعرت بخوف لم أكن أعلم سببه، وكنت أرتجف وأنا أنظر الى وجهه، ومع اني حضرت مرتين أمامه ما كان يحصل لي فيها أي اضطراب رغم تشككي، إلا اني في هذه الدفعة كنت غير قادر على الوقوف على قدمي، ولما شاهد حضرة

الباب حالتي، قام من مقعده وأخذ بيدي وأجلسني بجانبه وتفضل (اطلب مني كل ما يرومه قلبك، أذكره تواً لك) فبقيت متعجباً وبدون حراك كطفل لا يقدر أن يفهم أو يتكلم، فتبسم وهو ينظر إلي وتفضل (إذا فسرت لك سورة الكوثر، هل تعترف أن كلامي هو من روح الله، وانه لا علاقة له بالسحر؟) فلما سمعته يذكر ذلك أجهشت بالبكاء وما قدرت أن أتكلم بشيء سوى الآية القرآنية (ربنا إنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا نكن من الخاسرين) وكان قبل العصر إذ طلب حضرة الباب حاجي ميرزا سيد علي أن يأتيه بدواة وقرطاس ثم ابتدأ تفسيره على سورة الكوثر. وكيف أقدر أن أصف جلال ذلك المنظر المهيب، فكانت الآيات تتموج من قلمه بسرعة مدهشة لا تكاد تصدق(4) وكانت لطافته وظرافة صوته وتغنياته وقوة بيانه المهيب أدهشتني وحيرتني، واستمر على هذا المنوال لغاية الغروب، ولم يقف حتى أتم تفسير السورة. ثم وضع القلم وطلب الشاي، وبعد ذلك ابتدأ يقرأها بصوت جهوري أمامنا. فكان قلبي يخفق وصرت كالمجنون من شدة تأثري وانا أصغي الى نغمات قراءته الشجية التي لا توصف بالعبارة وتفسيره الرفيع الهادي لتلك الكنوز المحجوبة[5] وسحرني جمالها على شأن كنت على وشك الاغماء ثلاث مرات. فكان ينعش قوتي الهابطة برش بعض نقط من ماء الورد على وجهي، فاستعيد بعدها قوتي وأتمكن من متابعة القراءة للنهاية.

وبعد ان أتم التلاوة قام وانصرف وأوصى بها خاله، متفضلا (ليكن في ضيافتك الى أن يتم مع الملا عبد الكريم استنساخ ما نزل حديثا من التفسير ويقابله بالدقة على الأصل. وصرف الملا عبد الكريم معي ثلاثة أيام بلياليها

في ذلك، وكنا نقرأ لأنفسنا بالتناوب بصوت جهوري أجزاء متتابعة من التفسير، حتى أتم استنساخها. وتحققنا من الأحاديث الواردة في الأصل ووجدناها على غاية من الدقة، ووصل ايماني بعظمة الأمر إذ ذاك الى درجة، لو اجتمعت جميع قوات الأرض وتحزبت ضدي فلا تقدر أن تقلل شيئاً منه[6]. وبينما كنت قاطناً في منزل حسين خان حاكم فارس منذ ورودي في شيراز، شعرت بأن تغيبي المستطيل من منزله ربما أوجب له الشكوك أو الغضب، فعزمت على الاستئذان من حاجي ميرزا سيّد علي ومن الملا عبد الكريم، لأعود الى مقر الحاكم. وبمجرد وصولي وجدت أن حسين خان الذي كان يبحث عني في تلك الأثناء، مشتاق ليعلم إذا كنت وقعت فريسة لتأثير حضرة الباب السحري، فأجبته قائلا (لا يقلّب قلب السيّد يحيى إلا الله وحده، فهو مقلّب القلوب والذي يقدر على أسر قلبه هو من الله. وكلمته بلا شك من صوت الحق) وكان جوابي قد أسكت الحاكم. وأثناء محادثتي مع آخرين فيما بعد، علمت أنه ذكر لهم إني وقعت فريسة لسحر ذلك الشاب وأنه قطع الرجاء فيّ، فضلاً عن انه كتب الى محمد شاه يعلمه انه في مدة اقامتي في شيراز امتنعت عن الاتصال بعلماء تلك المدينة. وكتب أيضاً (ولو انه في الظاهر ضيفي، إلا أنه كان متغيباً أيضاً جملة أيام وليالي متتابعة عن منزلي ولست أشك مطلقاً أنه أصبح بابياً وقلبه أسيراً لارادة السيد الباب).

وقيل أن محمد شاه ذات مرة، قال للحاجي ميرزا أقاسي[7] بلغنا أخيراً ان السيد يحيى الدارابي صار بابياً، فإذا صح ذلك، فالأليق بنا أن لا نقلل من أهمية أمر ذلك السيد الباب.

ثم وصل حسين خان الأمر الشاهاني الآتي (ممنوع لأي أحد من الرعية أن يتفوه بأي كلمة يشم منها انتقاص لرتبة السيد يحيى الرفيعة فهو من سلالة الأشراف وذو علم واسع وفضل تام كامل ولا يستمع بأي حال لأمر ما، إلا إذا اعتقد انه يؤول الى تقدم مصالح ممالكنا وعزة دين الاسلام). ولما وصل هذا الأمر الشاهاني الى حسين خان أصبح غير قادر على مقاومتي جهراً، وكان يجتهد في تقويض سلطتي سراً، ولكن خاب سعيه في ايذائي أو توهين سمعتي نظراً لما كان يظهره الشاه نحوي من الاكرام والعطف البيّن.

وأمرني حضرة الباب فيما بعد أن أسافر الى بروجرد وهناك أبلّغ والدي[8] بالأمر الجديد وحثني على أن أعامله بكل أدب ووقار، فأطعت الأمر ومن محادثاتي مع والدي سراً علمت أنه لا يميل الى إنكار الرسالة ولكنه أحب مني أن أتركه وشأنه في طريقه الخاص.

وممن فحص الأمر بدقة من العلماء الأعلام واعتنقه أخيرا الملا محمد علي من أهالي زنجان[9] وهو الذي سماه حضرة الباب بالحجة الزنجاني. وكان ذا فكر مستقل ومشهورا بالذكاء التام والتخلص من كل القيود التقليدية. وعاب كل درجة من درجات نظام الرياسة الدينية الموجودة في المملكة من أول الأبواب الأربعة[10] الى أصغر ملا واحتقر أخلاقهم وتأسف على انحطاطهم وأطنب في ذكر مساويهم. واشتهر قبل ايمانه بعدم اعتباره للشيخ أحمد الاحسائي ولا السيد كاظم الرشتي[11] وكان حانقا على حصول الحوادث التي لطخت تاريخ الشيعة في الاسلام حتى أن كل من ينتمي الى هذه الطائفة كان في نظره غير جدير بالاحترام مهما كان عالي القدر. وتكررت منه حوادث

الجدل العنيف مع علماء زنجان ولولا تداخل الشاه بنفسه لأدى الأمر الى اضطراب الأمن وسفك الدماء. وأخيرا استدعاه الشاه الى العاصمة وطلب منه أن يثبت ادعاءه أمام جمع غفير من رؤساء الدين سواء في طهران أو في الأطراف. وفاز على مناظريه مع أنه كان وحيدا وأفحمهم حتى اضطروا للاعتراف ظاهرا بسلطته وتأييد رأيه ولو أنهم باطنا كانوا يخالفونه ويعيبون مسلكه، وبمجرد أن وصل نداء الأمر الجديد الى سمعه من شيراز أرسل الملا اسكندر وكان يثق به ثقته التامة ليبحث الموضوع بحذافيره ويرسل له تقريرا بنتيجة التحريات. ولما كان لا يعبأ بمدح أو قدح مواطنيه من العلماء الذين يحتقر آرائهم ويشك في صدقهم أرسل مندوبه الى شيراز وأفهمه بعمل تحقيق مستقل دقيق. وتوصل الملا اسكندر الى مقابلة حضرة الباب وفي الحال شعر بقوة تأثيره المحيية. ومكث أربعين يوما في شيراز وفي أثنائها تذوق مبادئ الايمان على حسب قوته وعرف عظمة الأمر. وبإذن من حضرة الباب رجع الى زنجان ووصل في وقت كان العلماء مجتمعين أمام الحجة. ولم يكد يحظى بالمثول حتى سأله الحجة اذا كان قد آمن بالأمر الجديد أم لم يؤمن؟ فقدم الملا اسكندر الأوراق المشتملة على كتابات حضرة الباب التي أحضرها معه، وقال أنه يطيع كل ما يأمره به، فصاح الحجة عليه غاضبا وقال (كيف يكون ذلك. فلولا حضور هؤلاء الجماعة الأعلام لكنت أوقعت بك تعزيرا. بل كيف تجرأ أن تجعل مسائل المعتقد متعلقة على قبول أو رفض أي شخص آخر). وإذ استلم من يد المندوب نسخة من كتاب قيوم الأسماء وبمجرد ان قرأ صحيفة من ذلك الكتاب خرّ ساجداً وصاح قائلا: (أشهد ان هذا الكلام الذي قرأته صدر من

نفس المنبع الذي أظهر القرآن ومن عرف الحق فيه يشهد بصدق هذا الكلام وانه من منبع ربّاني وعليه ان يخضع الى الأحكام التي يفرضها صاحبه وإني أشهدكم أيها الحاضرون في هذا المجلس بأني أجعل طاعته واجبة حتى لو حكم على الليل حكم النهار أو على الشمس حكم الظل لأطعت حكمه بدون أي تردد لأن حكمه صوت الحق وكل من أنكره فاني أعتبره انه أنكر الله نفسه) وبهذه الكلمات انتهى المجلس[12].

وسبق لنا في الصحائف السالفة ان أشرنا الى طرد حضرة القدوس وملا صادق من شيراز وبيّنا على قدر المستطاع العقوبة التي أوقعها عليهما ذلك الطاغية المفترس حسين خان. والآن نذكر طرفا من أعمالهما التي وقعت بعد طردهما من تلك المدينة، فإنهما استمرا بضعة أيام بشيراز معاً ثم افترقا، وذهب حضرة القدوس الى كرمان لأجل المباحثة مع حاجي كريم خان، واتجه الملا صادق الى يزد بقصد الاستمرار في التبليغ ودعوة العلماء في تلك الجهة بالطريقة التي اتبعها في فارس ولم يتركها الا مرغما، ولما وصل جناب القدوس الى كرمان استقبله في منزله السيّد جواد الكرماني المعروف في كربلاء والذي اشتهر بين جميع أهالي كرمان بالعلم والمهارة والبراعة وفي جميع المجالس التي التأمت في منزله كان يبدي لضيفه الشاب ما يليق به من الاحترام ويعامله بغاية الإجلال والتعظيم وكان من شأن هذا التبجيل والاحترام لهذا الشاب وهو شخص عادي حسب الظاهر ان أشعل نيران الحسد في قلوب تلاميذ الحاج ميرزا كريم خان حتى شكوا اليه ما يظهره السيّد من الرعاية والاحترام لجناب القدّوس وكان غرضهم من ذلك إشعال عداوة رئيسهم، فهمسوا في أذنه قائلين:

(إن أقرب المقربين للباب ومعتمده الأكبر من بين أصحابه هو الآن ضيف معزز مكرم عند أقوى وأقدر شخص قاطن في كرمان. فاذا سمح له بأن يعيش بصحبة الحاجي سيّد جواد فانه بلا شك ينفث سمومه في روحه ويهيئه ليكون آلة لنجاح مقصده في إزالة سلطتك وإطفاء صيتك). وإذ ارتعب الحاجي ميرزا كريم خان من هذه الهمزات ذهب تواً الى الوالي وأقنعه ان يحضر الحاجي سيّد جواد ويطلب منه الامتناع عن مصاحبة جناب القدوس نظرا للخطر الذي ينشأ منها. فلما خاطبه الوالي في ذلك، اهتاج الحاج سيّد جواد وأجابه محتداً بقوله: (كم نصحتك ان لا تصغي لفتنة هذا النمام الذي تشجع بما يراه من تسامحي فاحذر ان يتعدى حدوده. فهل يريد ان يغتصب مقامي؟ ألم يقابل في بيته آلافا من أرذل وأحط الناس ويتملقهم بأحط التملقات؟ ألم يجتهد مرارا في إعلاء شأن الأشقياء وإسكات وإذلال الأبرياء؟ وفي كل عام يعاشر الأشرار ويقوي أيديهم ويساعدهم ويجتهد في مصاحبتهم إرضاء لشهواته؟ أليس هذا الرجل الذي يصر الى هذا اليوم على التفوه بتجديفاته وتقولاته ضد كل ما هو طاهر ونقي في الاسلام ويظن ان سكوتي جعله يزيد في وقاحته وتهوره فهو يجيز لنفسه الحرية التامة في ارتكاب أشنع الموبقات ولا يرضى ان يتركني أكرم في منزلي من هو مثال الصدق والعلم والشرف؟ فليحذر بعد ذلك الآن وان لم يمتنع عن هذه الفعال فإن أراذل المدينة سوف يطردونه من كرمان بناء على أول إشارة مني). فلما سمع الحاكم هذا التهديد الشديد، اعتذر عن قوله. وقبل افتراقه أكد للحاج سيّد جواد بأن لا يخشى أمرا وانه سيجتهد في تنبيه الحاج ميرزا كريم خان الى سوء سلوكه ويطلب منه الاعتذار عما فرط منه. وكانت رسالة السيد قد لسعت

الحاج ميرزا كريم خان وشعر بخيبة الأمل في الحصول على رياسة أهل كرمان بدون منازع. وكانت هذه المباهلة المكشوفة بمثابة دق ناقوس المنية لأطماعه الزائدة.

واستمع الحاج سيّد جواد في منزله لجميع تفاصيل مجهودات جناب القدوس، من يوم تركه كربلاء لغاية عودته الى كرمان، وقصّ عليه كيفية ايمانه وحجّه بعد ذلك مع حضرة الباب. وحركت روايته إحساس مضيفه وأشعلت في قلبه حرارة الايمان، ولكنه رأى أن يخفي ايمانه أملاً في ان يكون أكثر اقتدار على حراسة شؤون الأمر الجديد. فأكد له جناب القدوس محبته قائلا: (إن عزمك النبيل سيكون مقبولا كخدمة عظيمة لأمر الله وسيساعدك ويؤيدك الله ويجعلك في كل الأحوال غالبا على أعدائك). وحكى لي هذه الرواية ميرزا عبد الله الخواجه الذي سمعها في كرمان من نفس الحاج سيد جواد وقد ظهر صدق نيّة السيد في الطريقة البديعة التي نجح بها في مقاومة تعديات الحاج ميرزا كريم خان الماكر الذي لو ترك وشأنه لكان يلحق بالأمر أضراراً جسيمة.

ومن كرمان سافر جناب القدوس الى يزد ومن هناك الى أردكان ونائين وأردستان وأصفهان وكاشان وقم وطهران. وفي كل هذه المدن نجح في غرس المبادئ الجديدة في قلوب سامعيه وقام بكل شجاعة على ترويجها. وسمعت أقا كليم أخ حضرة بهاءالله يصف مقابلته مع جناب القدوس في طهران، قال: (إن جمال طلعته ومحبته العظيمة وكمال هيئته ظاهر للجميع حتى للذين لا يهتمون بالأمور الدينية، فكل من يعاشره يأخذه العجب من قوة جاذبية شبابه، وذات يوم لاحظناه وهو يتوضأ وأعجبنا من السماحة التي ميزته عن عامة

المصلين في أداء هذه الفريضة فقد ظهر لأعيننا بأنه كان هيكل الطهارة والوداعة).

وفي طهران تشرف بمقابلة حضرة بهاءالله ثم رحل الى مازندران حيث أقام في منزل والده في بارفروش مدة سنتين، وكان في أثنائها محاطا بأهله وأسرته ومحفوفا بمحبتهم، وكان والده قد تزوج بعد وفاة زوجته الأولى بأخرى كانت تعامل جناب القدوس بكل شفقة ومحبة وعناية لا تنقص شيئا عن عناية أي والدة، وكانت تتمنى ان تراه يتزوج وتقول انها تخشى ان تذهب الى القبر بغير ان تتمتع بهذا الفرح العظيم، وكان جناب القدوس يجيبها بقوله: (إن يوم عرسي لم يحن بعد وإن ذلك اليوم سيكون بلا شك مهيباً ولا يكون العرس داخل المنزل بل في العراء وتحت قبة السماء في وسط سبز ميدان وأمام نظر جميع الجموع. هناك يكون عرسي وهناك أشاهد بغية آمالي). وبعد مضي ثلاث سنوات عندما علمت تلك السيدة بتفاصيل استشهاده في سبز ميدان تذكرت تلك النبوءة وفهمت فحوى عباراتها[13].

ومكث جناب القدوس في بارفروش حتى تقابل مع جناب الملا حسين بعد رجوع الأخير من زيارته لحضرة الباب في قلعة ماكو، ومن بارفروش ذهبا معا الى خراسان وكانت سياحته مليئة بالمجهودات المجيدة التي لا يبلغ شأوها أحد من قومه. وأما الملا صادق، فبمجرد وصوله الى يزد سأل أحد أصدقائه الموثوق بهم من أهالي خراسان عن تقدم الأمر في تلك الجهات، وكان مشتاقا على الأخص لمعرفة مجهودات الميرزا أحمد أزغندي وتعجب من احتجابه مع انه أظهر حماسا قويا ظاهرا لإعداد الناس لقبول الأمر الجديد في ابتداء نشأته

وقبل كشف سره، ولكنه علم ان ميرزا أزغندي اعتزل في منزله مدة وعنى باخراج كتاب كبير جمع فيه الأحاديث الاسلامية والتنبوءات الخاصة بهذا الظهور الموعود وجمع فيه ما يزيد على 12 ألف حديث من الأحاديث الواضحة الصحيحة والمسلم بها من العموم، وعزم على اتخاذ جميع الوسائل لنشر واستنساخ هذا الكتاب وشجع تلاميذه على الاقتباس منه وتلاوة بعض اقتباسات منه في المجالس والمحافل حتى يمكنه بذلك ان يزيل تلك العوائق التي توجد في سبيل تقدم الأمر.

ولما وصل الى يزد استقبله بكل ترحاب خاله السيد حسين أزغندي، أول مجتهد في تلك المدينة، وكان قبل وصوله ببضعة أيام، سبق ان أرسل اليه بطلب الحضور الى يزد ليتخلص من فتنة حاجي كريم خان الذي يعتبره عدوا خطراً للإسلام، ولو انه لا يتظاهر بالعداوة، وكان ذلك المجتهد قد طلب من ميرزا أحمد ان يحارب بكل قوته سطوة الحاجي ميرزا كريم خان الضارة. ورغب اليه ان يجعل اقامته الدائمية في تلك المدينة حتى يتمكن بنصائحه وارشاداته المتكررة من تنوير عقول الشعب بخصوص حقيقة مقاصد وأغراض ذلك العدو السيئ.

وكان الميرزا أحمد قد أخفى عن خاله رغبته الأصلية في السفر الى شيراز، فأطال الإقامة في يزد وأظهر له كتابه الذي جمعه، وكان يشارك كثيرا من العلماء في محتوياته من الذين كانوا يهرعون من كل جانب من المدينة لملاقاته وهم معجبون بذلك العمل المجيد والمهارة والحمية التي أظهرها في ذلك المجموع القيم.

وكان من بين الذين حضروا لملاقاة الميرزا أحمد، شخص يدعى ميرزا تقي، وهو رجل طمّاع وشرير ومتكبر، وكان عائداً من النجف حديثاً حيث أتم دراسته وتحصّل على درجة مجتهد. وفي أثناء الحديث مع ميرزا أحمد أظهر رغبته في قراءة ذلك الكتاب وأن يسمح له بابقائه طرفه بضعة أيام لإكمال اطلاعه. فوافقه السيد حسين وابن أخته على ذلك الطلب، ولكن الميرزا تقي لم يف بوعده في ارجاع الكتاب، ولما شك الميرزا أحمد في مقصد الميرزا تقي، أخذ يلح على خاله ان يذكّر ذلك المستعير بوعده وأرسل له رسولا لإعادة الكتاب، ولكن المستعير أجابه بوقاحة: (إخبر سيدك انني بعد أن اطلعت على مقاصد الكتاب السيئة، عزمت على محوه، وفي الليلة الماضية رميته في البركة وبذلك زال أثر الكتابة بالكلية). فتأثر السيد حسين من هذا الجواب الماكر الوقح ومن شدة غضبه عزم على إنزال نقمته عليه، ولكن الميرزا أحمد نجح بنصائحه الرشيدة في تهدئة روع خاله المتهيج وفي تحويله عن المضي في السبيل الذي عزم على سلوكه، وقال له: (إن ذلك العقاب الذي يريد ايقاعه عليه سيكون سبباً في تهييج العامة وينتج عنه ضرر بليغ ويتعارض مع الرغبة في هدم صولة الحاجي ميرزا كريم خان. لأنه بلا شك ينتهز هذه الفرصة لاتهامك بالبابية ويجعلني مسئولا عن تغيير دينك، فيتمكن بهذه الوسيلة من هدم سلطتك فضلا عما يجنيه من احترام العامة له وامتنانهم منه، فلنتركه لأمر الله). وفرح الملا صادق إذ علم من هذه الحادثة ان الميرزا أحمد موجود في يزد وانه لا يوجد أي عائق في سبيل مقابلته، ولذلك ذهب تواً الى المسجد الذي كان يصلي فيه السيد حسين إماماً، والذي يخطب فيه الميرزا أحمد. ودخل الجامع والتحق

في الصلاة بالصف الأول وبعد اتمامها ذهب تواً الى السيد حسين وعانقه علنا، وبدون إذن صعد الى المنبر وابتدأ يخطب في جماعة المؤمنين، ومع ان السيد حسين ارتاع أولا من هذه الجرأة، إلا انه فضّل عدم معارضته حتى يعلم الدافع له على هذا العمل، ويتحقق من شخصية هذا الزائر المفاجئ، فأشار الى ابن أخته بعدم التعرض له.

وشرع الملا صادق يتلو خطبة من أحسن خطب حضرة الباب، ثم خاطب الجمهور قائلا: (اشكروا الله أيها العلماء لأنه قد فتح باب العلم الإلهي الذي تقولون عنه انه اغلق، وفاضت مياه بحر الحياة الأبدية من مدينة شيراز واهبة لأهل هذه البلاد نعماً فائقة. والذي يشرب نقطة من معين محيط الفضل الإلهي يرى في نفسه قوة لحل الأسرار العويصة وتفسير أصعب المسائل في الحكمة القديمة مهما كان أمياً أو خاملا. وأما الذي اختار ان يتكل على علمه وقدرته وأنكر رسالة الله، فقد حكم على نفسه بالضياع والذلة الأبدية مهما يكن من أكبر علماء الاسلام).

فوقع الجميع في دهشة الاستغراب والذهول بينما كان الملا صادق يتفوه بهذه الانذارات الشديدة وامتلأ المسجد بأصوات الاستنكار والتجديف الصادرة من شعب متهيج ضد الخطيب وارتفع صياح السيد حسين وسط الضوضاء قائلا: (انزل من المنبر) وطلب من الملا صادق ان يسكت وينسحب. وما كاد ينزل الى ساحة المسجد حتى التف حوله جمهور المصلين وأوسعوه ضربا. وتداخل السيد حسين في الحال وفرّق الجموع المحتشدة حوله وأمسك بيده وجذبه بقوة جانبا وخاطب الجمهور قائلا: (ارفعوا أيديكم عنه واتركوه لي

وساخذه الى منزلي وأبحث الموضوع مليّا، إذ ربما قد تكون قد غشته نوبة جنون على حين فجأة وأجبرته على التفوه بهذه العبارات. وسأبحث بنفسي، وإذا وجدته متعمداً أو معتقدا فيها، فإني بيدي أوقع عليه العقاب الذي يستوجبه الشرع).

وبهذه التأكيدات نجا الملاّ صادق من هجوم القوم وافتراسهم، فتركوه الى رجال الملا السيد حسين بعد ان جردوه من عباءته وعمامته ومداسه وعصاه، وأوسعوه ضربا وأثخنوه جراحا وتهشيما، واخترق رجال السيد حسين به الصفوف حتى أوصلوه الى منزل سيدهم.

وكذلك أصاب الملا يوسف أردبيلي في تلك الأيام اضطهاد أقسى وأشد مما أصاب الملا صادق من هجوم الغوغاء من أهالي يزد عليه ولولا تداخل ميرزا أحمد وخاله لوقع فريسة لغضب العدو المفترس.

ولما وصل الملا صادق والملا يوسف الأردبيلي الى كرمان حصل لهما أيضا مثل هذا الاضطهاد والأذى من يد الحاج ميرزا كريم خان وأعوانه[14] وأخيرا خلصهما الحاج سيد جواد من قبضة يد مضطهديهما بمساعيه المتكررة ومكنهما من النزوح الى خراسان.

ولم تكن تلك المعاملة الوحشية ولا الاضطهاد والزجر بمانع لتلاميذ حضرة الباب وأعوانهم من اتمام مقاصدهم بل استمروا ثابتين في ايمانهم بلا ملل يحاربون جنود الظلام الذين هجموا عليهم في كل مقام في طريقهم، وباخلاصهم الذي لا تشوبه شائبة وثباتهم المنقطع النظير، تمكنوا من ان يظهروا لمواطنيهم تأثير ذلك الايمان الشريف الذي قاموا على ترويجه.

ولما كان وحيد[15] مقيما في شيراز، وصل السيد جواد الكربلائي[16]، وتشرف بمقابلة حضرة الباب بواسطة الحاج ميرزا سيّد علي، وفي أحد الألواح التي كتبها للوحيد والحاج سيد جواد، أثنى حضرة الباب على ايمانهما الثابت وعلى اخلاصهما الذي لم يتغير، وكان هذا الأخير قد عرف حضرة الباب وقابله قبل اظهار أمره وأعجب بجميع أطوار حياته وأخلاقه التي امتاز بها منذ نعومة أظفاره، وقابل فيما بعد حضرة بهاءالله في بغداد وكان محل عنايته الخاصة. ولما نفي حضرة بهاءالله بعد بضع سنوات الى أدرنه، كان قد وصل الى سن الشيخوخة، فرجع الى إيران ومكث قليلا في العراق ثم توجه الى خراسان. ولدماثة أخلاقه ولطافة وداعته وشدة تقواه سمي بسيد النور.

وذات يوم بينما الحاج سيّد جواد يمر في الطريق في طهران، إذ رأى الشاه بغتة ممتطياً جوادا، فتقدم الى مليكه وحيّاه بهدوء وثبات. فسرَّ الشاه من هيكله المحترم وحسن منظره ورد عليه التحية ودعاه لمقابلته، فأخذ الحسد حاشية الشاه وقالوا له: (هل يعلم جلالة الشاه ان هذا الحاج سيد جواد اعترف بأنه بابي حتى قبل ظهور الباب وجعل طاعته رهن اشارته). فلما اطلع الشاه على نواياهم السيئة، حزن ووبخهم على قلة عقلهم وطيشهم، وقال متعجباً منهم: (يا عجبا كلما رأينا شخصاً مستقيما في سيره ومبجلا في هيئته اتهمه قومي بأنه بابي واعتبروه مستحقا للعقاب). فصرف الحاج سيد جواد بقية عمره في كرمان وبقي حتى آخر ساعة من حياته أكبر مساعد للأمر ولم يتردد في اعتقاده أو يتهاون في نشره.

وكان ضمن الذين قابلوا حضرة الباب في شيراز الشيخ سلطان

الكربلائي، الذي كان والده وأجداده من أشهر علماء كربلاء، وكان هو بنفسه من أخصاء السيد كاظم الرشتي وصاحبه الحميم. وهو الذي ذهب فيما بعد الى السليمانية للبحث عن حضرة بهاءالله، وزوّج ابنته بأقاي كليم. ولما وصل الى شيراز، صحبه الشيخ حسن الزنوزي الذي أشرنا اليه فيما سبق من هذا الكتاب. وكان حضرة الباب قد عهد اليه ان ينسخ بمساعدة الملا عبد الكريم الألواح التي نزلت أخيراً. وإذ كان الشيخ سلطان مريضاً وقت وصوله، لم يتمكن من ملاقاة حضرة الباب، وذات ليلة وصلته رسالة وهو طريح الفراش من محبوبه يخبره فيها بأنه سوف يزوره بنفسه بعد ساعتين من غروب الشمس. فصدرت الأوامر اللازمة الى الخادم الحبشي الذي كان يحمل مصباحه ان يمشي على بعد مبتعدا عنه حتى لا يلفت اليه الأنظار، وان يطفئ السراج بمجرد وصوله الى المكان المقصود.

وسمعت الشيخ سلطان يصف تلك الزيارة الليلية قال: (وكان حضرة الباب قد أمرني أن أطفئ النور قبل حضوره. وإذ دخل مخدعي أمسكت بذيل ردائه في ذلك الظلام الحالك وتضرعت اليه قائلا: "يا محبوب قلبي أجب ندائي واسمح لي ان استشهد في سبيلك لأنه ليس أحد خلافك يقدر ان يمنحني هذه العطية". فأجاب حضرة الباب: "يا شيخ اني أيضاً أتمنى ان أقدم نفسي قربانا على مذبح التضحية، وعلينا نحن الاثنين ان نتشبث برداء أحسن المحبوب ونطلب منه السرور والفرح بالشهادة في سبيله وتأكد بأني أدعو لك ربي القدير ان يمكنك ان تتشرف بلقائه، فاذكرني في ذلك اليوم الذي لم ير العالم شبهه من قبل". وإذ جاءت ساعة فراقه وضع هدية في يدي، فاجتهدت أولا ان أردها اليه،

ولكنه رجاني ان أصرفها في شؤوني وأن أقبلها. وأخيرا وافقته على مراده ثم قام وتركني).

وأدهشتني الإشارة الى أحسن المحبوب. وكنت فيما غبر من أيامي أعتقد ان أحسن المحبوب هو جناب الطاهرة، ثم ظننت انه سيدي علوّ، وصرت في حيرة من الأمر ولم أعلم كيف أحل هذا اللغز. ولما وصلت الى كربلاء وتشرفت بلقاء حضرة بهاءالله، تيقنت انه هو وحده الذي يشير اليه حضرة الباب بمحبته، وانه هو وحده الجدير بهذا الابتهال وليس أحد غيره.

وفي النوروز التالي لدعوة حضرة الباب 21 ربيع أول سنة 1262هـ (الموافق سنة 1846 ميلادية) كان حضرة الباب في شيراز متمتعا بالراحة والسكون مع أسرته وأهله، واحتفل بهدوء بعيد النيروز في منزله، وحسب عادته أسدى الى زوجته ووالدته علائم المحبة والفضل. وبحكمة نصائحه ولطف محبته، فرّح قلبيهما وأزال هميهما وأوصى بجميع أملاكه لهما وسجلها باسميهما وكتب وصيته بأن منزله ومنقولاته وباقي أملاكه تكون ملكاً لوالدته وزوجته، وعند وفاة الأولى يرجع نصيبها الى زوجته.

ولم تفهم والدة حضرة الباب أهمية رسالته وبقيت مدة غير عالمة بعظمة القوة المودعة في الأمر الجديد، ولما قاربت أواخر أيام حياتها، علمت قدر تلك الامانة المنقطعة النظير. وكان حضرة بهاءالله هو الذي مكّنها من اكتشاف ذلك الكنز المكنون الذي بقى مدة مستطيلة محجوباً عن أنظارها. وكانت تعيش في العراق. وطمعت ان تصرف بقية أيام حياتها فيه. وأمر حضرة بهاءالله اثنين من أخلص أحبائه وهما الحاجي سيد جواد الكربلائي وزوجة الحاج عبد المجيد

شيرازي، وهما من أخص معارفها ان يعلّماها أصول الايمان. فاعترفت بالأمر وعاشت لغاية أواخر القرن الثالث عشر الهجري[17] وتوفيت وهي عالمة تماماً بالفضل والموهبة التي منحها لها رب العزة. أما زوجة حضرة الباب فكانت خلافا لوالدته قد اطلعت على جلال الأمر في أوائل إشراقه وشعرت من المبدأ بغزارة قوته. ولم يفق عليها أحد من جيلها في قوة العبادة ولا في قوة الايمان سوى جناب الطاهرة. وقد أعلمها حضرة الباب بمستقبل آلامه وكشف أمام أعينها أهمية تلك الحوادث التي ستحصل في ذلك اليوم، وأمرها ان لا تذيع هذا السر الى والدته، ونصحها ان تصبر وتمتثل لارادة الله. وأوصاها بدعاء خاص كتبه بنفسه لها، وأكد لها ان تلاوته تزيل منها جميع آلامها وتخفف متاعبها. وقال لها: (في وقت اضطرابك اقرئي هذا الدعاء قبل ان تنامي فسأظهر لك وأنفي عنك همومك) وكان صادقا في نصحه، فكلما اتجهت له في صلواتها لم يلبث نور هدايته الا ان يضيء لها الطريق ويحل لها معضلاتها[18].

وبعد أن أنهى حضرة الباب شؤون منزله ورتب معاش والدته وزوجته انتقل الى منزل الحاج ميرزا سيّد علي، وهناك دقت ساعة آلامه المنتظرة. وعرف ان المصائب المخزونة له لا يمكن ان تتأخر وانه سوف يؤخذ وسط عاصفة البغض والاضطهاد ويُحمل منها سريعاً الى ميدان الشهادة التي هي تاج فخر حياته. وأمر من أقام في شيراز من أحبائه ان يرحلوا الى اصفهان ومنهم الملا عبد الكريم والشيخ حسن الزنوزي وان ينتظروا هناك أوامره. وكذلك صدر الأمر للسيد حسين يزدي أحد حروف الحيّ، وكان قد حضر الى شيراز قبل ذلك، أن يسافر أيضاً الى أصفهان، ويجتمع هناك مع أقرانه في تلك

المدينة.

وفي هذه الأثناء، كان حسين خان حاكم فارس يعمل كل جهده لايقاع حضرة الباب في المشاكل ليحط منزلته في نظر الناس، وكانت نيران عداوته الخامدة قد عادت للاشتعال، إذ علم ان حضرة الباب لا يزال يواصل مجهوداته بدون حصول أي تعرض له وانه لم يزل يقابل الكثيرين من أصحابه وانه يواصل الصحبة والاختلاط مع أسرته وذويه بدون أي مانع[19] وتمكن الحاكم المذكور ان يعلم ويقف بواسطة معاونيه على جميع تفاصيل الحركة التي أسسها حضرة الباب، فكان يراقب أعماله سراً ويتحقق من درجة الحماس والشعور الذي كان يثيره. ويدقق ويبحث في العوامل وفي عدد الذين اعتنقوا الأمر. وجاءه في إحدى الليالي رئيس جواسيسه ومعه تقرير بأن عدد الذين اجتمعوا لرؤية حضرة الباب زاد لدرجة تستلزم عملا سريعا من جانب الذين يهمهم حفظ الأمن في المدينة. ومما قاله له: (ان الجمهور المتعطش الذي يجتمع كل ليلة لرؤية الباب، يفوق في العدد جمهور الناس الذين يحضرون باب حكومتك. ومن بينهم يشاهد رجال اشتهروا بعلو المقام والعلم الواسع[20] وان مرؤسيك لا يرضوا ان يعلموك بحقيقة الحال، لأن لخاله إحسان عليهم، وانك لو تأمرني فاني مع نفر من مرؤسيك أهجم على "الباب" في ساعة متأخرة من الليل واحضر لك بعضا من خواص اتباعه مغلولي الأيدي. وهم يخبرونك بكل أعماله ويصادقوني على قولي). فلم يقبل منه حسين خان ذلك وأجابه: (اني أعرف المصلحة التي تتطلبها الحكومة أحسن منك، فراقبني عن كثب فسأعرف كيف أعالج هذا الموضوع). وفي تلك اللحظة دعا الحاكم عبد الحميد

خان رئيس الشرطة في المدينة وأمره قائلا: (اذهب تواً الى منزل الحاجي ميرزا سيّد علي، وبكل سكون وبدون ان يشعر بك أحد تسلّق الحائط وأصعد الى السطح ومنه ادخل فجأة المنزل واقبض على السيّد الباب في الحال واحضره الى هنا ومعه كل من تجد من الزائرين، واضبط جميع الأوراق والكتب التي تجدها في ذلك المنزل. أما ميرزا سيّد علي، فسأوقع عليه العقاب اللازم في اليوم التالي لعدم وفائه بالوعد. واني أقسم بتاج محمد شاه الشاهاني اني لابد قاتل السيّد الباب وأصحابه التعساء. وستكون وفاتهم المشينة مطفئة للنار التي اشعلوها، وليتنبّه كل من يريد الانتماء الى هذا الامر الى الخطر الذي يتهدد كل من يعكر صفو هذا البلد. وبذلك أكون قد محوت تلك البدعة التي لو استمرت لكانت اعظم خطر على مصلحة الحكومة). فذهب عبد الحميد خان لتنفيذ الأمر وهجم مساعدوه على منزل الحاج ميرزا سيّد علي، ووجدوا حضرة الباب مع خاله ومع السيد كاظم الزنجاني وهو الذي استشهد أخوه السيد مرتضى ضمن الشهداء السبعة في طهران، واستشهد هو أيضا في مازندران فيما بعد. فقبض عليهم جميعا وأخذ كل ما وجده من الأوراق وأمر الحاج ميرزا سيّد علي ان يبقى في منزله وقاد الباقين الى مركز الحكومة. وكان حضرة الباب يردد الآية القرآنية (إن موعدكم الصبح أليس الصبح بقريب) وهو على غاية من الثبات والشجاعة.

وما كاد لرئيس الضبطية أن يصل الى السوق حتى وجد لفرط دهشته ان أهالي المدينة يهرعون في كل مكان وهم ذاهلون كأنما دهمتهم مصيبة كبرى، وانزعج إذ رأى سرباً من النعوش ينقل في الشوارع ويمشي في كل نعش جمهور

كبير من الرجال والنساء وهم يصيحون من الألم والحزن، ففزع وارتاع من هذه الضجة والصيحة الفجائية والعويل والوجوه العابسة الوجلة والجلبة الصادرة من الجمهور. فسأل عن سبب هذه الضجة فأخبروه ان الوباء (الكوليرا) ظهر فجأة هذه الليلة بشدة وان الناس قد انتابهم هذا الوباء بقوته المهلكة، وفي ساعة نصف الليل مات به نحوماية نفس، وارتفع العويل واشتد الخوف في كل منزل، وترك الناس منازلهم وهم يجأرون الى الله ان ينجيهم[21].

وفزع عبد الحميد خان من هذا الخبر وأسرع الى منزل حسين خان فأخبره حارس المنزل وهو رجل عجوز بأن أهل المنزل هجروه وان الوباء قد ضربه وضرب أفراد الأسرة وهلك بسببه جاريتان حبشيتان وخادم، والباقي من الأسرة مرضى في حالة خطرة. ولذلك ترك سيده المنزل وهو يائس، حتى انه ترك الموتى بدون دفن وهرب مع الباقين من أسرته الى باغي تخت وهي حديقة في ضواحي شيراز. فعزم عبد الحميد خان إذ ذاك على أخذ حضرة الباب الى منزله لحفظه هناك حتى تصله أوامر من الحاكم. ولما اقترب من منزله أزعجه صوت النحيب والبكاء من أفراد الأسرة، وكان الوباء قد ضرب إبنه وصار على شفا الهلاك. ففي حالة يأسه وقع على أقدام حضرة الباب وتضرع اليه باكيا ان ينقذ حياة ابنه، وسأله ان يغفر له سابق تعدياته وسيئاته. وقال لحضرة الباب وهو ممسك بطرف ردائه (أتضرع اليك بالذي رفعك الى هذا المقام ان تشفع لي وتدعو لشفاء نجلي ولا تجعله يؤخذ مني وهو في ريعان شبابه ولا تعاقبه لأجل ذنب اقترفه والده فإني تبت عما فعلته. وفي هذه الساعة استعفي من وظيفتي وأتعهد أن لا أقبل بعد اليوم مثل هذه الوظائف ولو مت جوعا).

وكان حضرة الباب في ذلك الوقت يتوضأ لصلاة الفجر، فأمره أن يأخذ بعضا من الماء الذي يغسل به وجهه ويطلب من نجله ان يشربه، فذلك كفيل بنجاته من الموت.

وما كاد عبد الحميد خان يشاهد هذه الآية في شفاء نجله، حتى كتب للحاكم خطابا يعلمه بالأمر ويرجوه ان يترك تهجمه على حضرة الباب، وقال له أرحم نفسك والذين أولاك الله رعايتهم. فهذا الوباء لو استمر في سيره المهلك فلا ينجو منه أحد في آخر الأمر، فأجاب حسين خان باطلاق سراح حضرة الباب وإعطائه الحرية ليذهب حيث يشاء[22].

وبمجرد وصول هذه الأخبار لطهران، ولفت نظر الشاه اليها، أصدر أمره بعزل حسين خان من وظيفته وأرسل الأمر بذلك الى شيراز. ومن وقت عزله، وقع ذلك الطاغية أسير المصائب المتنوعة وأصبح في نهاية أمره غير قادر على كسب معيشته اليومية. ولم يقبل احد ان ينقذه من ورطته. وعندما نفي حضرة بهاءالله الى بغداد ارسل له حسين خان خطابا أظهر فيه التوبة والعزم على التكفير عن سابق سيئاته بشرط ان يستعيد وظيفته، فلم يجبه حضرة بهاءالله الى شيء، وأخيرا وقع في البؤس والذلّة وخمد الى ان مات.

وأثناء اقامة حضرة الباب في منزل عبد الحميد خان، ارسل سيد كاظم الى حاجي ميرزا سيّد علي ان يأتي لزيارته وأخبره بعزمه على مبارحة شيراز، وأوصاه بوالدته وزوجته وان يخبر كلا بمحبته وبتأييد الله وعونه، وقال له وهو يودّعه: (أينما تكونوا تحيطكم محبة الله الشاملة وحفظه وسأقابلك مرة أخرى في جبال أذربايجان ومنها أرسلك لتحصل على تاج الشهادة وسأتبعك بنفسي ومعي

أحد أصحابي المخلصين ونتقابل في عالم الأبدية).

الحواشي

(1) كان للبابية أتباع عديدون في كل فرع من فروع الحياة ولكثير منهم أهمية

خاصة، فمنهم الأكابر ومنهم أعضاء في الهيئة الدينية ومنهم ضباط في العسكرية وتجار (من الجريدة الآسيوية سنة 1866 الجزء الثامن صحيفة 251).

(2) انظر النسبة للدولة القاجارية في أول الكتاب.

(3) عبد البهاء عنه ما يأتي:-

وكان هذا الرجل الشهير وهذه الروح الغالية يحفظ على ظهر قلبه أكثر من ثلاثين ألف حديث وكان محبوبا من جميع طبقات الشعب وأصبحت له شهرة عامة في جميع أنحاء إيران ويعترف له الكل بالقوة والسلطة والمهارة (من كتاب خطي خاص بشهداء إيران).

وكان هذا الشخص كما يدل عليه اسمه مولودا في داراب قريبا من شيراز ووالده سيد محمد الملقب بالكشفي وهو من أكبر وأشهر العلماء في زمانه وكان لعلو كعبه في الآداب والأخلاق الفاضلة قد استحق مدحا واحتراما عاما ولقب بالكشفي بسبب اتساع علومه ومعارفه ولأنه اكتشف المعارف الالهية والباطنية. ولم يتأخر نجله عن ان يساويه في الرتبة من جميع الوجوه وكان له نفس الاحترام الذي كان لوالده في طهران وزادت شهرته وكبر صيته وأصبح مؤاكلا للبرنس طاهماسب ميرزا مؤيد الدولة حفيد فتح علي شاه من أبيه محمد علي ميرزا. وكانت الحكومة تعتبره لعلمه، وكان يستشار في الامور الخطيرة. ولما أرادوا البحث عن رسول يرسلونه في هذه المهمة، لم يجد حاجي ميرزا أقاسي أحدا سواه لأن صدقه لاشك فيه مطلقا. (من كتاب السيد علي محمد الباب صحيفة 233 للمسيو نقولاس).

وبينما كانت هذه الحوادث تقع في شمال إيران كانت الأقطار الجنوبية والوسطى ملتهبة من إنذارات وتكريز الدين الجديد وكان الشعب على ما هو عليه من السذاجة والجهل والطيش والوهم قد اندهش من سماعه المعجزات التي تروى له في كل وقت، وكان الملاوات الملهوفين قد شعروا بتخوف وارتعدوا من ايمان أتباعهم واستعدادهم لتركهم، فزادوا في شتم وسب الأمر الجديد والافتراء عليه ونشروا عنه روايات مختلفة تستلزم الانتقام من شعب متردد بين الاعجاب والتشنيع وبين الاستحسان والاستهجان.. وكان السيد جعفر بعيدا عن معتقدات الشيخية والملا صدرا، ومع ذلك فان حماسه المتوقد وأفكاره المستنيرة قد أخرجته من مأزق الشيعة الضيق، فكان يفسر الاحاديث بطريقة تخالف طريقة أقرانه ويدعي انه أخترق

السبعين، يعني من المعاني الباطنية للقرآن... وكان نجله الذي على أثره اجتاز هذه الصعوبات قد بلغ من العمر 25 سنة تقريبا وأتم دروسه وجاء ليستقر في طهران وفيها اتصل قلبه بكل من اعتقد فيه العظمة والامتياز وهو الذي اختير من الشاه وأمر ان يذهب الى شيراز وان يتصل بالباب ويستعلم بقدر ما يستطيع ليعلم السلطة المحلية بالنتائج السياسية التي يمكن استنتاجها من الاصلاح الذي يظهر عليه انه سيقلب وجه المملكة. (من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 387-388).

(4) وذكر في كشف الغطاء ان الباب نطق بما لا يقل عن ألفي آية في تلك المرة وكانت سرعة نزول الوحي مدهشة في نظر السيد يحيى كما كان جمال الآيات وما أفعمت به من المعاني الدقيقة (فقد ذكر في البيان الفارسي الجزء الأول ص 43) انه في مسافة خمس ساعات ظهر منه ألفا آية بسرعة لا تكفي إلا للاملاء وبقدر ما يكتب الكاتب، ومن ذلك يمكن الحكم (إذا أمكن العد) كم من الكتب أنزلت وانتشرت بين الناس منذ ابتداء الدعوة للآن (وفي الجزء الثاني من البيان صحيفة 132) يقول: ولقد أعطاه الله من القدرة وقوة البيان والبلاغة ما اذا كتب الكاتب البديع بكل سرعته يحصل على ما يوازي القرآن في ظرف يومين وليلتين مما ينزل من معدن هذه الكلمات. (وفي الواحد الثاني من الباب الأول من البيان) يقول: واذا تفكّر احد في ظهور سدرة الباب ليعتقد بدون تردد في علو وسمو دين الله لأنه من شخص مر من حياته أربع وعشرون عاما وهو خال من العلوم التي تفقه فيها الكثيرون وتنزل عليه الآيات بدون أي فكر أو تردد وفي ظرف خمس ساعات يكتب ألف آية من المناجاة بدون توقف القلم ويصدر من التفاسير والرسائل العلمية ومن الحكمة العالية والتفهم للتوحيد الالهي مما يعجز عن فهم مضامينه العلماء والفلاسفة. فلا شك انها صادرة جميعها من الله (مقالة سائح ترجمة انجليزية حاشية من صحيفة 219).

(5) والحق يقال ان كتابة تفسير جديد على سورة عويصة بدون توقف قلم، أدهش السيد يحيى ولكن الذي زاد في دهشته انه وجد في نفس التفسير ما كان يعتقده بنفسه واكتشفه بتأملاته في الثلاث آيات، وبذلك اتفق مع المصلح في تفسير كان يظن انه وحده

المكتشف له وان غيره لم يطلع عليه (من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 234).

(6) ومن أعجب الأمور ان يكون من بين الذين صدقوا دعوة الباب الكثيرون من كبار العلماء والمجتهدين الذين لهم مركز عظيم في الأحكام الدينية في الاسلام وكثير من هؤلاء ختم ايمانه بدمه (من كتاب لمحات في حياة وعوائد الفرس صحيفة 178–179 للّيدي شيل).

(7) وذكر في مقالة سائح (صحيفة 8) ان السيد يحيى كتب تفصيلات الحادثة من غير تخوف ولا تردد الى ميرزا لطف علي التشريفاتي ليعرضها على الخاقان المغفور له، اما هو فساح بنفسه الى أطراف إيران ودعا الناس في كل مدينة وقرية الى الأمر الجديد من رؤوس المنابر بدرجة أوجبت ان حكم عليه العلماء بالجنون وظنوا انه مسحور.

(8) وكان اسمه السيد جعفر الكشفي لأنه بمهارته كشف عن معاني القرآن وله رؤيات متعددة رآها بنفسه.

(9) وكان اسمه حجة الاسلام.

(10) والأبواب الأربعة كل منهم ادعى انه الواسطة بين الامام الغائب وبين أتباعه.

(11) كان من فرقة الاخبارية وقد ورد ذكرهم في كتاب الأديان والفلسفة في أواسط آسيا صحيفة 23 وما بعدها للكونت جوبينو.

(12) يقول ميرزا جاني: (إني قابلته، أي الملا محمد في طهران في منزل محمد خان كالانتر، وكان محبوسا فيه لإعتقاده في أمر الباب، وكان يقول: "إني كنت أحد الملاوات فخوراً بنفسي ومدعيا الرياسة حتى إني كنت لا أخضع لأي أحد حتى ولا للمرحوم حاجي سيد باقر الرشتي الذي هو معتبر بأنه حجة الاسلام وأعلم العلماء الأعلام. وكانت آرائي كفرقة الاخبارية، وكنت أخالف جمهور العلماء في بعض المسائل، وكان الناس يشكوني لمحمد شاه الذي دعاني الى طهران. ولما وصلت وقرأ كتبي وفهمها سألته ان يطلب السيد باقر الرشتي حتى نتجادل معا، فعزم في أول الأمر على تنفيذ ذلك ثم عدل عنه خوفا من تفاقم الأمر واتساع الخرق. وبالاختصار رغما عن كل هذا الاعتماد على النفس بمجرد

ان وصلتني كتابات مولاي وقرأت صحيفة واحدة من آيات نقطة الفرقان، أحسست كأني واقف بجانبه وبدون تردد وبكل جوارحي اعتنقت دعوته وصرت عبده المخلص، كأني شاهدت فيه أعظم معجزات الرسول ولو كنت رفضتها لكنت في الوقت نفسه قد رفضت دين الاسلام"). (تاريخ ميرزا جاني تعليق 2 على التاريخ الجديد صحيفة 349–350).

(13) وقد ذكر ذلك في كشف الغطاء صحيفة 227 ويقول المؤلف انه سمع مثل ذلك من كثير من سكان اقليم مازندران.

(14) وحصل نزاع كبير بين المقدس وكريم خان الذي تبوأ مركز رئيس الشيخية بعد وفاة السيد كاظم وحصلت المناقشة أمام جم غفير حيث طلب كريم خان من خصمه ليدلل على صدق دعوة الباب وقال له: (اذا أمكنك البرهان على ذلك فاني أول من يؤمن ويتبعني في ذلك تلاميذي ولكن اذا لم تقدر فاني سوف أصيح في الأسواق وأقول هذا الذي أوقع أحكام الاسلام الى الحضيض) فأجاب المقدس: إني أعلم من أنت يا كريم. ألا تعلم من سيدك السيد كاظم ما قاله (يا كلب ألا ترضى ان أموت وبعد موتي يظهر الحق المطلق. والآن في هذا اليوم قد اتبعت هواك بغناك وفخرك فاحكم اليوم بنفسك على نفسك). وحيث انتهى المجلس بهذه الكيفية المختصرة استل بعض تلاميذ كريم خان سكينا وطعنوا بها الذي سب رئيسهم، ولكن حاكم المدينة تداخل وقبض على المقدس وقاده الى منزله. وأبقاه عنده بعضا من الزمن حتى هدأت الخواطر وأرسله بعد ذلك ومعه عشرة من الخيالة الى مسافة بعض محطات خارج المدينة (من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 228–229).

(15) الوحيد هو لقب أعطي للسيد يحيى الدارابي من الباب.

(16) وذكر في كشف الغطاء الاحوال العجيبة التي آمن الحاجي سيد جواد الكربلائي بها (صحيفة 70–76) وأشار الى لوح صدر له من بهاءالله (صحيفة 63) وفيه أهمية الكتاب الأقدس وأخذ الحيطة في تنفيذ أحكامه بالحكمة والاعتدال. ونقل نص اللوح في الكتاب (صحيفة 64–70) وذكر في الدلائل السبع اشارة لايمان الأقا سيد جواد الكربلائي قال:– ان السيد جواد الكربلائي ذكر ان هنديا كتب له اسم الداعي الذي سيظهر وذلك قبل

اظهار الدعوة (كتاب الدلائل السبع ترجمة نقولاس صحيفة 5).

(17) وكان آخر القرن الثالث عشر الهجري اكتوبر سنة 1882.

(18) وعاشت أرملة الباب لغاية سنة 1300 هجرية، وكانت أخت جد صاحبي لأمه وسمعت ذلك من سيدة كبيرة في الأسرة ولذلك كان كلامها حجة (مجلة الجمعية الاسيوية الملوكية سنة 1889م صحيفة 993).

(19) ومع ذلك فقد استمر الشجار والنزاع والمجادلات العنيفة في شيراز وإذ ضجر الحاجي ميرزا آقاسي من كل هذه الضوضاء أصدر أمره سراً الى حسين خان نظام الدولة ان ينتهي مع المصلح ويقتله سراً (كتاب السيد علي محمد الباب تأليف نقولاس صحيفة 235).

(20) وكان الملاوات في فارس قد ضجروا وملوا ورأوا انهم عاجزون عن ايقاف تيار الحركة التي هددتهم، ولكنهم لم يكونوا هم وحدهم المخيرون بل ان السلطات المحلية في المدينة والاقاليم أيضا علموا ان الاهالي الذين كانوا دائما يشقون عصا الطاعة قد اصبحوا خارجين عن قبضة يدهم، لان اهالي شيراز هوائيون مستهزئون مهرجون محبون للثورة والهياج ووقحون للغاية ولم يكونوا في وقت ما سلسي الانقياد للدولة القاجارية وكانوا دائما مصدر تعب للحكام. فماذا يكون الحال بالنسبة لهؤلاء الحكام اذا كان الرئيس الحقيقي للمدينة والبلاد والحكم النافذ على الجميع ومعبود الكل شاب صغير. البتة لا يخضع لهم أحد منهم، فلا تبادل للمنفعة بينه (المصلح) وبينهم، بل انه يعمل لاستقلاله ولا يخشى ان يتهجم في كل يوم على ما هو معروف وثابت من الاصول والاوضاع المحترمة والقوية في المدينة، ومع انه في الحقيقة والواقع لم يكن الحكام ولا ارباب السلطة مقصودين بالذات وبالتشديد عليهم من المصلح، ولكن لما كان قاسيا على العلماء وأرباب الدين ولا يلين فيما يختص بتشديد النكير عليهم وزجرهم عن النهب والسلب، لذلك كان من المشكوك فيه انه في ذات يوم ربما يوجه نظره فيما بعد للحكام والموظفين. ولا يحجم اذ ذاك ان يوبخهم أيضا كما وبخ العلماء على ما لم يقدروا على ستره. (كتاب الكونت جوبينو الاديان والفلسفة في أواسط آسيا صحيفة 122–123).

(21) وقد أشار الباب الى الحادثة في الدلائل السبع بقوله (فارجع الى الأيام الاولى

من الدعوة كم من الناس ماتوا من الكوليرا فهذا أحد معجزات الظهور ولم يفهمها أحد لمدة أربع سنوات عاقب الله الشيعة بهذا البلاء ولم يعلم أحد دلالته (من كتاب الدلائل السبع ترجمة نقولاس صحيفة 61-62).

(22) وتبعاً لمقالة سائح (صحيفة 11 ترجمة انجليزية) أفرج حسين خان عن الباب على شرط أن يترك المدينة.

الفصل العاشر

إقامة حضرة الباب في إصفهان

كان صيف سنة 1262 هجرية (سنة 1846م) قد أذن بالرحيل إذ ودّع حضرة الباب موطنه في شيراز وسافر الى أصفهان ورافقه في سفره سيد كاظم الزنجاني، ولما قرب من ضواحي المدينة كتب خطابا الى منوجهر خان معتمد الدولة[1]، والي ذلك الإقليم وطلب اليه ان يعين له مكان الإقامة. وكان الخطاب الذي سلّم الى السيد كاظم ناطقا بالاحترام ومحررا ببلاغة جعلت المعتمد يأمر سلطان العلماء إمام الجمعة في أصفهان[2] وهو أكبر رجال الدين في ذلك الإقليم بان يستقبل حضرة الباب ويضيفه في منزله ويظهر له كل ترحاب وإكرام، وزيادة على ذلك أرسل الحاكم لإمام الجمعة الخطاب الذي أرسله له حضرة الباب. فأمر سلطان العلماء أخاه (الذي تسمى فيما بعد بالرقشاء من قلم حضرة بهاءالله نظراً للوحشية التي ظهرت منه فيما بعد) أن يذهب مع بعض رفقائه ليقابل ويحرس الزائر المنتظر الى باب المدينة، وإذ اقترب حضرة الباب، ذهب إمام الجمعة بنفسه للترحيب به وأدخله منزله بكل احترام.

وكان يحف حضرة الباب الاحترام والإجلال من جميع الجهات حتى انه في يوم جمعة بينما كان راجعا من الحمام الى المنزل، اجتمع جمهور من الناس يتشاحنون على اقتسام الماء الذي استعمله في الوضوء، وكان المعجبون به المتحمسون له يعتقدون في طهارتها وقدرتها على شفاء أمراضهم وأسقامهم، ووصلت محبة إمام الجمعة من أول ليلة الى درجة انه أعدَّ نفسه لخدمة ضيفه

المحبوب وقضاء حوائجه بنفسه، وكان يمسك بالإبريق من يد الخادم ويصب الماء بنفسه على يد حضرة الباب متناسيا بالكلية شرف مركزه.

وذات ليلة بعد العشاء أخذ إمام الجمعة العجب من صفات وأخلاق ضيفه الشاب ومحاسن أحواله وطلب منه ان يفسّر له سورة والعصر. فطلب حضرة الباب الورق والقلم وأخذ يكتب بسرعة مدهشة وبدون أدنى تأمل، ما طلبه مضيفه وحرّر أمامه تفسيراً جليلا لتلك السورة، فكان قريبا من نصف الليل عندما كان حضرة الباب يتلو عليهم المعاني المتعددة التي يدل عليها أول حرف من السورة وهو حرف الواو الذي كان الشيخ احمد كثيرا ما يلفت اليه الأنظار في كتاباته. فكان في نظر حضرة الباب يدل على ابتداء دورة جديدة للدين الالهي، وأشار اليه حضرة بهاءالله في الكتاب الأقدس في مواضع كثيرة كسرّ التنكيس لرمز الرئيس. وابتدأ حضرة الباب يتلو أمام مضيفه وأصحابه مناجاة جعلها مقدمة لتفسيره على السورة. وكانت قوة بيانه قد أدهشت سامعيه الذين سحروا من صوته وقاموا حالا بما فيهم إمام الجمعة وقبلوا طرف ردائه ونطق الملا محمد تقي الهراتي المجتهد الشهير فجأة بعبارات المدح والثناء وقال حقا انها لكلمات فريدة لا مثيل لها تلك التي صدرت من قلمه، فما أعجب هذه القدرة، حيث تمكن في وقت قصير أن يجري من فمه عدداً كبيراً من الآيات مما يعادل ربع أو ثلث القرآن ببلاغة تامة فهذا ما لا يقدر أي انسان ان يعمله من نفسه بدون تأييد الهي، فلا انشقاق القمر ولا تسبيح الحصى يضاهي عظمة هذا العمل.

ولما زادت شهرة حضرة الباب انتشاراً في جميع أنحاء مدينة أصفهان، حضر لزيارته جم غفير من الزوار من كل مكان بمنزل إمام الجمعة، وكان بعضهم يحضر على سبيل التفرج والبعض الآخر لمعرفة الحقائق الدينية وكثيرون حضروا طلباً للشفاء من الأمراض والآلام. وجاء المعتمد نفسه ذات مرة لزيارة حضرة الباب، وبينما كان جالسا وسط أشهر علماء أصفهان طلب منه بيانا عن صحة النبوة الخاصة وكذلك طلب من الحاضرين ان يظهروا البراهين والحجج على صحة معتقدهم المذكور، ليكون ذلك دليلا كافيا لكل من ينكره. فلم يقدر أحد من الحاضرين على إجابة هذا الطلب، ولكن حضرة الباب قال له: (هل تريد ان يكون الرد كتابة أم شفاها على سؤالك) فقال له: (بل أريد رداً كتابياً ويكون بحيث لا يقنع فقط الذين هم حاضرون في هذا المجلس بل يكون مُعلماً ومُهذباً للأجيال الحاضرة والمستقبلة). فأخذ حضرة الباب قلمه وشرع في الكتابة، وفي أقل من ساعتين ملأ أكثر من خمسين صحيفة ببحث مستفيض عن أصل وكيفية تأثير الاسلام الشامل وكانت قوة عباراته وسلاستها ومتانتها ودقة جميع تفاصيلها قد طبعت الموضوع الذي يعالجه بطابع الامتياز الذي لم يغب عن ذهن أحد من الحاضرين. وبموهبته وقدرته الفائقة ربط هذه الفكرة الرئيسية في الفصول الأخيرة بحادثة ظهور القائم الموعود ورجعة الإمام الحسين المنتظر، وفي كتابته أدلى بالحجج القوية بشجاعة تامة حتى ان المستمعين لتلاوة الآيات أخذتهم الدهشة من عظمة وحيه ولم يجرأ أحد ان ينبس بأقل اعتراض، فضلا عن ان يرد علنا على شيء من عباراته ولم يقدر المعتمد ان يخفي حماسه وسروره وصاح قائلا (اسمعوا اني لم أكن الى هذا

اليوم أعتقد بقلبي اعتقاداً جازماً بصحة الاسلام، ولكني الآن أعترف بأني صرت مؤمناً حقاً بالدين الذي جاء به رسول الله وذلك من أثر بيانات هذا الشاب، والحمد لله واني أشهد بالقوة الخارجة عن طاقة البشر التي يتحلى بها هذا الشاب تلك القوة التي لا يقدر أي تعليم أرضي ان يهبها لأحد) وبهذه الكلمات انتهى الاجتماع.

وسببت شهرة حضرة الباب الآخذة في الازدياد حقد الرؤساء الدينيين في أصفهان فنظروا بعين الحسد والقلق الى المقام الرفيع الذي وصل اليه شاب غير متعلم والعظمة التي حصل عليها في أعين أتباعه تدريجا، وقد تيقنوا انهم ان لم يقوموا على صد تيار الحماس فان أساس وجودهم ينهار، ورأى قليل من عقلائهم ان الأوفق هو الامتناع عن أعمال العداء لشخص حضرة الباب او للتعاليم، لأنهم شعروا ان مثل هذه الأعمال لا تفيد الا في إعلاء شأنه وتثبيت مقامه. وكان الأشرار يروجون الإشاعات بتقارير كاذبة عن كيفية دعوة حضرة الباب. وكانت هذه التقارير تصل الى طهران وتعرض على الحاجي ميرزا آقاسي رئيس وزراء محمد شاه، وظن هذا الوزير المتعجرف المتغطرس ان من الممكن ان يميل الشاه ذات يوم الى محبة حضرة الباب، وذلك يؤول طبعاً الى سقوطه، وكذلك خشي الحاجي المذكور ان يرتب المعتمد مجلسا يجمع فيه حضرة الباب مع الشاه، لأن المعتمد المذكور يتمتع بثقة الشاه. وتيقن الحاجي بأنه لو تم هذا الاجتماع فان ذلك المذهب الجديد يأخذ بلب الشاه ويستحوذ على قلبه الرقيق بجاذبيته وما فيه من تجديد. ولما تمكنت منه هذه الهواجس أرسل الى إمام الجمعة خطابا شديداً وبخه فيه على إهماله العظيم في حراسة

مصالح الاسلام. وكتب اليه قائلا (كنا ننتظر منك ان تقاوم بكل جهدك كل أمر يتعارض مع مصالح الحكومة وشعب البلاد ولكن يظهر انك صاحبت بل عظمت مؤسس هذه الحركة المظلمة المزرية) ثم كتب أيضا جملة كتابات مشجعة الى علماء أصفهان الذين كان يتجاهلهم قبل ذلك واصبحوا إذ ذاك موضع عنايته. ومع ان إمام الجمعة أبى ان ينتقص شيئا من احترامه وإجلاله لحضرة الباب، فانه بسبب لهجة الرسالة التي وصلته من الوزير الكبير أصدر الأوامر الى أقرانه بأن يبحثوا عن وسيلة لتقليل العدد المتزايد من الزوار الذين يقصدون الاجتماع بحضرة الباب يوميا، وأخذ محمد مهدي المدعو صفي العلماء ابن المرحوم الحاج كلباسي في سبّ حضرة الباب على المنبر بألفاظ قبيحة إرضاء لرغبة حاجي ميرزا آقاسي لينال عنده الحظوة.

ولما علم المعتمد بهذه الترتيبات أرسل الى إمام الجمعة يذكره بزيارته لحضرة الباب ويطلب منه حضوره مع مضيفه لمنزله. وكذلك دعا المعتمد كلا من الحاجي أسد الله ابن المرحوم حاجي سيد محمد باقر الرشتي والحاجي محمد جعفر آبادي ومحمد مهدي وميرزا حسن نوري وغيرهم لحضور الاجتماع. أما الحاجي سيد أسد الله فقد رفض قبول الدعوة واجتهد في منع المدعوين الآخرين من حضور هذا الاجتماع قائلا (إني اعتذرت وأطلب منكم بالحاح ان تفعلوا مثلي وإني لا أرى من الحكمة ان تقابلوا السيد علي محمد الباب وجهاً لوجه، لأنه سوف يؤيد دعوته بالحجة ويظهر لكم كلما تطلبونه من البراهين وبدون أدنى تأمل يتلو عليكم آيات عديدة تربو على نصف القرآن ليؤيد بها دعوته، وأخيراً يباهلكم بقوله "فأتوا بمثلها ان كنتم صادقين" فلا يمكننا

والحالة هذه ان نقاومه واذا امتنعنا عن إجابته فان ذلك يظهر عجزنا واذا خضعنا لدعوته فاننا لا نخسر فقط شهرتنا وامتيازاتنا وحقوقنا بل أيضا نلتزم بقبول كل ما يدعيه في المستقبل).

فاستمع حاج محمد جعفر لهذه النصيحة وعدل عن قبول الدعوة، أما محمد مهدي وميرزا حسن نوري وغيرهما فحضروا في الموعد المعين في منزل المعتمد واحتقروا مثل هذا النصح، وفي هذا الاجتماع طلب الميرزا حسن (وهو من مشاهير الأفلاطونية) من حضرة الباب ان يفسر بعض القواعد الفلسفية المتعلقة بالعرشية للملاّ صدرا[3] والتي لا يفقه معانيها الا القليل، فأجابه حضرة الباب بعبارة سهلة على كل سؤال[4] بطريقة خالية عن الاصطلاحات. فعرف الميرزا حسن تفوق أجوبة ذلك الشاب على المعارف الافلاطونية والارسطية ومقدار الفرق العظيم بين الاثنين ولو انه لم يستوعب ذكر المعاني كلها في أجوبته. أما محمد مهدي فسأل حضرة الباب بدوره عن بعض النظريات في الفقه الإسلامي، ولما لم تقنعه الإجابة ابتدأ يشاغب حضرة الباب فأسكته المعتمد وقطع الحديث وطلب من أحد أتباعه ان يشعل مصباحا ويقود محمد مهدي الى منزله. ثم أسرّ المعتمد الى إمام الجمعة قائلا (إني أخاف من تدابير أعداء السيد الباب وقد أمر الشاه بإحضاره الى طهران وإني مضطر ان أعمل الترتيبات لإرساله وأرى ان يمكث في منزلي حتى يحين الوقت لمغادرته مدينتنا). فوافقه إمام الجمعة على ذلك وعاد الى منزله منفرداً.

ومكث حضرة الباب أربعين يوما في منزل إمام الجمعة. وكان في أثنائها الملاّ محمد تقي الهراتي يترجم رسالة حضرة الباب المسماة "فروع العدلية" من

اللغة العربية الى الفارسية بإذن منه، ولكنه حبط عمله أخيراً وانقطع عن المؤمنين واستولى عليه الخوف فجأة.

وقبل انتقال حضرة الباب الى منزل المعتمد كان الميرزا ابراهيم وهو والد سلطان الشهداء وأخ ميرزا محمد علي النهري الأكبر قد دعا حضرة الباب لوليمة عنده ذات ليلة في منزله، وكان الميرزا ابراهيم صديقاً حميماً لإمام الجمعة ويقوم بكل طلباته وأعماله. وكانت المائدة التي أعدت لحضرة الباب في تلك الليلة من أفخر الموائد ولم يسبق لها مثيل من جميع الموظفين ولا من الأعيان في العظمة والفخامة، وكان سلطان الشهداء وأخوه محبوب الشهداء يخدمان على المائدة وهما طفلان من سن العاشرة والحادية عشر سنة ويرعاهما حضرة الباب بعنايته. وفي تلك الليلة أثناء تناول الطعام طلب الميرزا ابراهيم من حضرة الباب قائلا: (إن أخي ميرزا محمد علي ليس له ابن، فأرجوك ان تهبه مرغوب فؤاده). فأخذ حضرة الباب بعضاً من الطعام ووضعه بيده في صحن، وطلب منه ان يعطيه لميرزا محمد علي وزوجته وان يتقاسماه، فيتم لهما مرادهما. وحصل فعلا بسبب اقتسامهما المأكول الذي اختاره حضرة الباب ان حملت زوجة الميرزا محمد علي وولدت بنتاً اقترنت فيما بعد بالغصن الأعظم[5] وكان هذا القران منتهى آمالهما. وأثارت هذه التبجيلات والاحترامات الموجهة نحو حضرة الباب عداوة علماء أصفهان الذين رأوا ان تأثيره النافذ قد اخترق معاقل الديانة وهدم تأسيساتهم، فقرروا فيما بينهم عقد اجتماع وفيه حرروا خطابا ختموه من جميع الرؤساء الدينيين في تلك المدينة وحكموا فيه على حضرة الباب بالإعدام[6]. ووافقوا جميعا على هذا الحكم عدا الحاج سيد

أسد الله والحاج محمد جعفر آبادي، فانهما رفضا ان يوقعا على هذه الفتوى الواضحة الخطأ. واما إمام الجمعة فمع امتناعه عن إمضاء حكم الإعدام فانه كتب إقرارا بخط يده على الفتوى بسبب شدة خوفه وطمعه كالآتي (أشهد اني في مدة صحبتي مع هذا الشاب لم أجد انه صدر منه أي عمل يناقض أحكام الاسلام، وبالعكس لم أر منه الا التقوى وانه شديد التمسك بأحكامه، ولكن تغاليه في الادعاء واحتقاره لأمور هذا العالم تجعلني أعتقد انه خال من العقل والحجى).

ولما علم المعتمد بالحكم الصادر من علماء أصفهان رتب حملة لإلغاء تأثير هذه الفتوى القاسية، فأصدر أوامره بقيام حضرة الباب من أصفهان محروسا بخمسمائة من الخيالة ليتوجه في غروب الشمس الى جهة طهران. ثم أصدر الأوامر المشددة على ان يعود في كل فرسخ مائة من الخيالة الى أصفهان، وأسرّ الى قائد المائة الأخيرة وهو رجل يثق به ان يعيد 20 نفر من الخيالة من المائة الباقية بعد كل ميدان ومن العشرين الباقية يرسل عشرة منهم الى أردستان لتحصيل الضرائب ثم يعود بطريق آخر غير مطروق مع العشرة الباقية من رجاله الموثوق بهم الى أصفهان خفية. ويعدلوا سيرهم بطريقة انهم يعودون بحضرة الباب الى أصفهان[7] قبل الفجر في اليوم التالي ويسلموه له.

وقد نُفذّت فعلا هذه الطريقة. وعاد حضرة الباب في ساعة غير منظورة الى المدينة وأوصلوه الى مخدع المعتمد الخاص المسمى بعمارة خورشيد[8] ودخل اليه من مدخل خاص به الى غرفته الخصوصية. وكان الحاكم المذكور

يتولى أمر حضرة الباب بنفسه ويقوم على خدمة طعامه وما يلزم لراحته واطمئنانه[9].

وفي هذه الأثناء كثرت التقولات والظنون بخصوص سفر حضرة الباب الى طهران والمتاعب التي سوف يلاقيها في طريقه اليها والحكم الذي يصدر عليه والعقاب الذي ينتظر توقيعه عليه، وكانت هذه الأراجيف قد أحزنت اتباعه المقيمين في أصفهان حزناً عميقاً. وكان المعتمد عالما بحزنهم وشوقهم وتوسط عند حضرة الباب لأجلهم ورجاه ان يسمح بإحضارهم عنده، فكتب حضرة الباب بعض أسطر الى ملاّ عبد الكريم قزويني الذي كان مقيما في مدرسة نيم آورد وطلب من المعتمد إيصالها اليه مع رسول أمين.

وبعد ساعة حضر عبد الكريم وأدخل تواً الى حضرة الباب، وعند حضوره لم يعلم أحد به سوى المعتمد نفسه. واستلم من سيده بعض مكاتيب وأمره ان ينسخها بمعونة السيد حسين يزدي والشيخ حسن الزنوزي، وقفل عبد الكريم راجعا اليهم يحمل خبر حضرة الباب السار وسلامته ولم يسمح لجميع الأحباء المقيمين في أصفهان الا لهؤلاء الثلاثة ان يروه. وذات يوم أثناء جلوس حضرة الباب في حديقته الخاصة داخل حوش المنزل، توجه المعتمد الى ضيفه وخاطبه بثقة قائلا (ان الذات العلية قد وهبتني أموالا عظيمة[10] ولا أعلم كيف أصرفها على أحسن وجه، والآن الحمد لله قد وصلت الى معرفة حقيقة هذا الظهور ولي رغبة شديدة في ان أخصص كل ممتلكاتي للصرف منها على شئون هذا الأمر ولإعلاء صيته ولي رغبة ان أسافر بإذنك الى طهران واعمل جهدي حتى يعتنق محمد شاه هذا الأمر وهو شديد الثقة بي وثقته بي لا

تتزعزع، واني متأكد انه سيقبل الدعوة ويقوم على ترويجها شرقا وغربا. وسأجتهد ان اقنع الشاه ان يطرد الحاجي ميرزا آقاسي الفاسق الذي جعل البلاد تشرف على الخراب بسوء إدارته، وسوف اجتهد ان احصل لك على يد إحدى أخوات الشاه وانفذ مراسيم الزواج بنفسي. وفي نهاية الأمر أرجو ان أكون قادراً على ان أميل قلب حكام وملوك الأرض الى هذا الأمر العجيب وان أقضي على كل أثر باق من هذه الهيئات الدينية التي لطخت اسم الاسلام). فأجابه حضرة الباب قائلا (جازاك الله على مقاصدك النبيلة فان مثل هذا الغرض السامي أثمن من الفعل نفسه، ولكن أيامك وأيامي في هذه الدنيا محدودة وهي أقصر من ان تمكنني ان أشاهد أثرها او ان تسمح لك ان تعمل على تحقيق آمالك، فلا يتم الله القدير نصرة أمره بالطرق التي نتصورها ونحبها بل بواسطة المساكين والمستضعفين، وبالدماء التي تسفك في سبيله يحقق القدير أمره ويحفظه ويصونه. ويضع لك الله في العالم الآتي إكليل الفخر الأبدي وينثر عليك بركاته التي لا تحصى. وقد بقي لك الآن في الحياة الدنيا ثلاثة أشهر وتسعة أيام فقط وبعدها تعود بإيمانك ويقينك الى المسكن الأبدي). ففرح المعتمد بهذه الكلمات وأسلم الأمر لإرادة الله وابتدأ يستعد للفراق الذي أنبأه به حضرة الباب بوضوح تام. وكتب وصيته وأنهى أشغاله الخصوصية وأوصى بأمواله لحضرة الباب. وبعد وفاته استولى ابن عمه جرجين خان الخائن على أمواله وتجاهل وصيته ومزقها محتقراً رغباته.

وكان المعتمد في أيامه الأخيرة دائم الحضور مع حضرة الباب وفي ساعات اجتماعه معه كان يزداد يقيناً وعلماً بطبيعة الروح التي أحيت إيمانه.

وذات يوم قال لحضرة الباب (بما ان أجلي قد دنا فإني أشعر بفرح لا يوصف ولكني أفكر فيك وأرتجف إذ أعلم اني سأفارقك وأتركك لتقدير وارث قاس مثل جرجين خان، فانه سيكشف أمر وجودك في هذا المنزل وأخاف عليك ان يؤذيك إيذاءً بليغاً). فأجابه حضرة الباب (لا تخف اني أسلمت أمري الى الله وعليه توكلت ولقد منّ عليّ بقوة من عنده بحيث لو أرغب أقلب هذه الأحجار الى جواهر مما لا عدل لها وأثبت في قلب أشقى المجرمين أعلا أشكال الاستقامة والإخلاص، لأقدر، ولكني اخترت بنفسي ان أعذب بيد أعدائي حتى يقضي الله أمراً كان مفعولا). وكلما مرت تلك الساعات السعيدة كان قلب المعتمد يمتلئ بإخلاص خارج عن إرادته وبازدياد شعور التقرب الى الله وزالت من نظره أبهة العالم وأذنت زينته بالزوال إذ رأى مواجهة الحقائق الأبدية المخزونة في أمر حضرة الباب وشاهد جماله وعزته وبركاته التي لا حد لها كلها وهي تنمو بجلاء أمام عينيه كما تحقق من غرور الأطماع الأرضية وعجز القوة البشرية، واستمر على تأمل هذه الأفكار في قلبه حتى انتابته حمى طفيفة لم تمكث سوى ليلة واحدة وانتهت بذلك حياته فجأة وطار الى العالم الأبدي وهو مطمئن[11].

ولما كانت حياة المعتمد قد قربت على الانتهاء، دعا حضرة الباب لحضوره كلاً من السيد حسين يزدي وملا عبد الكريم وأخبرهما بما تنبأ به لمضيفه وأمرهما ان يخبرا به المؤمنين المجتمعين في تلك المدينة وان ينتشروا في كاشان وقم وطهران وينتظروا ما يقضي به الله ويختاره.

وبعد قليل من وفاة المعتمد، علم جورجين خان من أحد المطلعين[12] بمقر حضرة الباب الحالي في عمارة خورشيد وبالانعامات التي أعطاها سلفه

لصديقه في خاصة منزله وعلم ذلك من بعض من كان مطلعا على سرّ الاحتياطات التي عملها سلفه لحماية حضرة الباب، وعند ذلك أرسل رسولا الى طهران ليسلم الرسالة الآتية الى محمد شاه بنفسه (كان من المعتقد في أصفهان منذ أربعة أشهر ان معتمد الدولة سلفي قد أرسل السيد الباب الى مقر الحكومة الملكية بناء على طلب جلالتكم وقد ظهر ان هذا السيد قاطن الآن في عمارة خورشيد التي هي مقر معتمد الدولة الخاص. واتضح ان سلفي قد أكرم السيد الباب في ضيافته واجتهد في إخفاء تلك الحراسة عن الناس وعن الموظفين في المدينة فمهما يرى الآن جلالة الملك فاني أقوم حالا على تنفيذه بنفسي).

ولما كان الشاه كبير الثقة في المتعمد علم ان رغبة الحاكم الأكيدة كانت في انتهاز الفرصة لترتيب اجتماع بينه وبين حضرة الباب وان منيّته عاجلته وحالت دون تنفيذ ذلك، فأصدر أمرا ملكيا بدعوة حضرة الباب الى تخت المملكة وفي خطابه الى جرجين خان أمره ان يرسل حضرة الباب في الخفاء بصحبة حرس من الخيالة[13] تحت رياسة محمد بك شابرشي من فرقة[14] العلي اللهين الى طهران وان يظهر له منتهى الاعتبار أثناء سفره وان يبقي أمر رحلته سراً مكتوماً[15].

فذهب جرجين خان تواً الى حضرة الباب وسلمه الخطاب الصادر من الشاه، ودعا محمد بك وأظهر له رغبة الشاه وأمره بالاستعداد للرحيل. وحذره قائلا (احترس لئلا يطلع أحد على شخصيته او يشتبه فيه. ولا تجعل أحدا خلافك يعرف شخصيته حتى ولا حراسه، وإذا سألك أحد عنه فقل له انه تاجر

مطلوب لتخت المملكة ولا نعلم حقيقته). وبعد نصف الليل قام حضرة الباب بالارتحال من المدينة الى جهة طهران تبعاً للأوامر الصادرة.

الحواشي

(1) وكان منوجهر خان رجل نشاط وشجاعة وفي سنة 1841م أتم هزيمة القبائل البختيارية التي قامت على الثورة وكانت إدارته النشيطة رغما عن قسوتها قد ضمنت لأهالي أصفهان بعض العدالة (س. ر. ماركهام. نظرة عمومية في تاريخ إيران صحيفة 487).

(2) وقد ذكر ميرزا أبو الفضل في نسخة خطية صحيفة 66 ان اسم إمام الجمعة كان مير سيد محمد ولقبه سلطان العلماء وأما وظيفة صدر الصدور وهو الرئيس الديني في الدولة الصفوية فقد ألغاها نادر شاه وحل محله الآن إمام الجمعة في أصفهان فهو الرئيس الديني لجميع إيران. (من كتاب س.ر. ماركهام. نظرة في تاريخ إيران صحيفة 365).

(3) انظر الحاشية ك من كتاب مقالة سائح وجوبينو صحيفة 65–73.

(4) وإذ كان الميرزا محمد حسن متشبعا بعقيدة الملا صدرا الفلسفية سأل الباب (حسنا اذا كنت أنت محمد، ففسر لنا ثلاث عجائب تكفي للاقناع (الأولى) طي الأرض، أي نقل شخص من مكان معين الى آخر يكون غاية في البعد، والشيعة يعتقدون ان الإمام الثالث الجواد كان يفضل هذه الطريقة السهلة في الأسفار، ففي غمضة عين يسافر من المدينة في بلاد العرب الى طوس في خراسان (الثانية) حضور شخص معين في وقت واحد في جملة أماكن مختلفة، كما كان الإمام علي يحضر ضيفاً على ستين شخص مختلفين (الثالثة) ما ورد في الحديث بان السماء تدور بسرعة أثناء حكم الظالم، وأما أثناء حكم الإمام تدور ببطء. فكيف يكون للسماء حركتان إحداهما سريعة والأخرى بطيئة، وكيف كانت حركتها أيام بني أمية والعباسيين. فهذه هي الأسئلة التي وضعت أمام الباب ولا أعلق عليها كثيراً ولكنها تدل على مقدار سخافة اعتقادات علماء إيران وان العلم عندهم كان يرتكز مدة ألف سنة على مثل هذه الأوهام. ومهما يكن من الأمر فان الاجتماع فض باعلان ميعاد الغذاء واستعداد كل شخص بالرجوع الى منزله. (من كتاب نقولاس المسمى السيد علي محمد الباب صحيفة 239–240).

(5) إشارة الى زواج منيرة خانم بحضرة عبد البهاء.

(6) وتبعاً لميرزا أبو الفضل كان عدد العلماء والأعيان الذين حكموا على الباب انه كان مرتداً يستحق الإعدام يقرب من السبعين.

(7) وفي كتاب مقالة سائح (صحيفة 12) ان المعتمد أعطى أوامره السرية انه عند وصول الباب الى مورشه خار (وهي المحطة الثانية من الطريق من أصفهان الى الشمال تبعد نحو 35 ميلا) يعود الى أصفهان.

(8) وهذه الغرفة التي لم يكن لها أبواب ولا حدود ظاهرة هي اليوم أعلا غرف الجنان لان فيها يقطن سدرة الحق وسوف يقولون ان كل ذرات هذه الغرفة تغني حقاً إنني أنا الله لا اله الا أنا الحاكم على كل شيء وهي تغني بذلك من أعلا غرفات الأرض كلها حتى التي تزينت بالمرايا وتحلت بالذهب. فاذا قطن في إحداها سدرة الحق فجميع ذرات مراياها تغني بهذا القول. كما غنت وتغني ذرات مرايا قصر الصدر لانه كان في أيام الصاد (أصفهان) يقطن فيها. (من البيان الفارسي جزء أول صحيفة 128).

(9) وفي مقالة سائح ان الباب مكث في ذلك المنزل مدة أربعة أشهر (صحيفة 13).

(10) في 4 مارس سنة 1847م كتب المسيو بونيير الى وزير خارجية فرنسا بان معتمد الدولة حاكم أصفهان توفي وترك ثروة تقدر بمبلغ 40 مليون فرنك. (كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 242 مذكرة 192).

(11) وذكر المستر براون في مقالة سائح ص 277 مذكرة (ل) ان وفاته حصلت في شهر ربيع أول سنة 1263 هجرية (فبراير مارس سنة 1847).

(12) وكان ابن خال المعتمد كما ذكر في مقالة سائح صحيفة 13.

(13) وفي مقالة سائح صحيفة 14 ان الحرس كانوا من النصيرية.

(14) شابرشي معناها صاحب البريد.

(15) وصدر منه ذلك الأمر متناسيا انه سبق ان اصدر أمره بقتل ذلك المصلح، ونظراً لتشتت أهوائه ظهرت منه الرغبة في رؤية ذلك الشخص الذي دارت حوله أحاديث كثيرة. ولذلك أمر جرجين خان ان يرسله الى طهران. (من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 242).

الفصل الحادي عشر

إقامة حضرة الباب في كاشان

وفي مساء اليوم الذي وصل فيه حضرة الباب الى كاشان، كان الحاجي ميرزا جاني المشهور بـ (پرپا) وهو من مشاهير سكان تلك المدينة، قد رأى في رؤيا الليل كأنه واقف عصراً في ساعة متأخرة على باب من أبواب المدينة يدعى "باب العطار"، إذ رأى فجأة حضرة الباب راكبا جواده وعلى رأسه كلاه (وهي قلنسوة يلبسها عادة التجار) بدلا مما عهد فيه من لبس العمامة، وكان في حراسته من الأمام والخلف عدد من الخيالة، وإذ اقترب سلّم عليه حضرة الباب قائلا: (سوف نكون ضيوفا عليك مدة ثلاث ليال فاستعد للقائنا).

واذا استيقظ شعر من قوة رؤياه انها حقيقية وانها قد جاءته على غير انتظار بمثابة إنذار، رأى من الواجب الالتفات اليه وملاحظته، فأخذ تواً في إعداد منزله لنزول ضيفه وإحضار كل ما يلزم لراحته. وبعد ان أعدّ الترتيبات للوليمة التي عزم على تقديمها لحضرة الباب في تلك الليلة، ذهب الحاج ميرزا جاني الى باب العطار وانتظر هناك مجيء حضرة الباب، ففي الساعة المعينة بينما كان يمعن النظر في الأفق شاهد على بعد، هيئة خيالة تتقدم نحو باب المدينة، ولما أسرع للقائهم عرف حضرة الباب وهو محاط بحرسه وهم بنفس الملابس والهيئة التي رآهم بها في الرؤيا، فاقترب منه الحاج ميرزا جاني بفرح

وانحنى ليقبل الركاب، فمنعه حضرة الباب وقال (سنكون ضيوفك مدة ثلاث ليال. وغداً هو يوم النيروز فسنحتفل به سوياً في منزلك). وكان محمد بك رئيس الحرس ممتطيا جواده بجانب حضرة الباب، فظن انه صديق حميم له، فالتفت اليه وقال (أنا مستعد لتنفيذ كل ما يأمر به السيد الباب، ولكني أطلب منك ان تطلب من زميلي الذي يشاركني في الحراسة الى طهران الموافقة على ذلك)، فعرض الحاج ميرزا جاني هذا الطلب على زميله، ولكنه قوبل بالرفض التام وقال له الزميل (اني أمرت بكل تأكيد ان لا أدع هذا الشاب يدخل أي مدينة حتى يصل الى تخت المملكة، وقد أمرت خصيصا ان أقضي الليلة خارج المدينة وان أقطع السير عند غروب الشمس وأكمله عند الفجر، ولا أقدر ان أترك الأوامر الصادرة إليّ في هذا الخصوص). وتسبب عن ذلك جدال انتهى لمصلحة محمد بك الذي نجح في إقناع زميله في ترك حضرة الباب لحراسة حاجي ميرزا جاني، وتفاهما على انه في اليوم الثالث صباحا يعيد ضيفه اليهم. وعزم الحاج ميرزا جاني على ضيافة جميع الحرس، ولكن حضرة الباب أمره ان يترك ذلك العزم قائلا (لا يذهب معك أحد خلافي الى المنزل) فطلب الحاج جاني ان يدفع مصاريف بقاء الخيالة مدة هذه الثلاثة أيام في كاشان، ولكن حضرة الباب قال له (هذا غير ضروري ولولا إرادتي ما كان يمكن إقناعهم بان يسلموني اليك، فكل شيء موكول الى قبضة قدرته ولا يستحيل عليه شيء فهو يزيل كل صعوبة ويتغلب على كل الموانع). وذهبت جماعة الخيالة الى خان في جوار باب المدينة، وأما محمد بك فاتباعا لأوامر حضرة الباب رافقه حتى قربوا من منزل حاجي ميرزا جاني، ثم رجع بعد ان علم بمكان المنزل واجتمع

مع أقرانه. وكان وصول حضرة الباب للمنزل المذكور في مساء اليوم السابق للنيروز الثالث من وقت إعلان الدعوة (وهو ويوافق اليوم الثاني من شهر ربيع الثاني سنة 1263 هجرية). وفي تلك الليلة كان السيد حسين يزدي الذي أمره حضرة الباب بالتوجه الى كاشان مدعوا في منزل الحاجي ميرزا جاني وتشرف بمقابلة سيده، وبينما كان حضرة الباب يمليه لوحا تشريفا لمضيفه، إذ وصل شخص من أصحاب الحاج وهو السيد عبد الباقي الذي اشتهر في كاشان بعلمه، فدعاه حضرة الباب للدخول وصرح له بسماع الآيات التي كان يتلوها، ولكنه لم يكشف له عن شخصيته، وفي ختام اللوح الذي نزل باسم الحاج ميرزا جاني دعا له وتضرع الى الله القادر ان ينير قلبه بنور المعرفة الالهية وان يطلق لسانه لخدمة الأمر وإعلاء شأنه. ومع ان ميرزا جاني لم يتعلم في مدرسة ولم يتضلع في العلوم والمعارف فانه تمكن بهذا الدعاء ان يؤثر بأقواله على أعظم علماء كاشان. ووهبت له القوة على إسكات كل مدّع يجادل في أحكام دينه. حتى ان الطاغية العاتي ملاّ جعفر نراقي كان غير قادر ان يقاوم حجته رغم فصاحته التامة، واضطر للاعتراف بمزايا أمر مجادله، ولو انه في قلبه لم يقبل ان يعتقد بصحة الدعوة.

وكان السيد عبد الباقي جالسا يستمع لحضرة الباب ويلاحظ حركاته وينظر الى هيئة وجهه وجريان كلماته بلا انقطاع، ولكنه لم يتحرك بقوتها وعظمتها وبقي محجوبا في حجاب علمه وجموده ولم تكن عنده قدرة على فهم معاني كلمات حضرة الباب، حتى انه لم يشأ ان يسأل عن اسم او صفة الضيف الذي رآه، ولما لم يتحرك مما سمعه ورآه، خرج من عنده وهو غير عالم

بالفرصة النادرة التي أضاعها بسبب جموده. الا انه لما أدرك ذلك بعد بضعة أيام وعلم باسم ذلك الشاب الذي قابله بعدم الاعتناء، امتلأ قلبه حزناً وأسفاً ولم تتح له الفرصة مرة ثانية لمقابلته ليعتذر عن سلوكه، لأن حضرة الباب كان قد سافر من كاشان. ومن شدة حزنه على فوات الفرصة التي لا تعوض اعتزل جميع معارفه ومكث الى آخر أيامه منقطعا عن الجميع حتى توفي.

ومن بين الذين تشرفوا بمقابلة حضرة الباب في منزل حاجي ميرزا جاني، شخص يدعى مهدي وكان نصيبه فيما بعد الاستشهاد في طهران سنة 1268 هجرية (سنة 1851–1852م) وكان معه آخرون في ضيافة ميرزا جاني مدة الثلاث ليالي، وكان الميرزا جاني قد كسب رضاء ومدح مولاه بسبب كرمه وما أظهره من المحبة أيضا الى أفراد حرس حضرة الباب وكانوا جميعا معجبين بكرمه ودماثة أخلاقه. وفي صبيحة اليوم الثاني بعد النيروز سلمهم المسجون الذي كان أمانة في حراسته وبقلب مملوء بالحزن والأسى ودّعه الوداع الأخير المؤثر.

الفصل الثاني عشر

رحلة حضرة الباب من كاشان الى تبريز

وسار حضرة الباب برفقة الحرس في طريق قم[1] وكانت جاذبيته الساحرة الممزوجة بالكمال والوقار واللطف والرزانة قد غيّرت صفات حراسه وجعلتهم منقادين له، وطرحوا كل أفكارهم وآرائهم تسليما لارادته ورضاه. ومن شدة شوقهم لخدمته قالوا له يوما (إننا ولو كنا ممنوعين قطعياً بأمر الحكومة ان نسمح لك في أن تدخل مدينة قم ومأموريتنا ان نسلك بك طريقا غير اعتيادي للوصول الى طهران وان لا نقترب على الخصوص من حرم المعصومة[2] الذي من التجأ اليه يكون آمنا من القبض عليه، حتى ولو كان من أشهر المجرمين، ولكننا مستعدون ان نتجاهل بالكلية لأجلك جميع الأوامر التي وصلتنا، واذا أردت فانا نمر بك من وسط شوارع مدينة قم ونمكنك من زيارة المقام المقدس فيها). فأجاب حضرة الباب بقوله (إن قلب المؤمن عرش الرحمن، والذي هو سفينة للنجاة وحصن القادر الذي لا غالب له، يسافر معكم في هذه البيداء، وإني أفضل السير في طريق الريف عن الدخول الى هذه المدينة الفاسدة، فالمعصومة التي دفنت بقاياها في هذا المقام تندب هي وأخوها وآباؤها عهد هؤلاء الأشرار لأنهم يحترمونها بأفواههم ويهينون حرمتها بأعمالهم وهم يحترمونها ويخدمون ضريحها في الظاهر ولكنهم يهينون شرفها في الباطن).

وكانت هذه الاحساسات الشريفة قد غرست الثقة في قلوب الذين رافقوا حضرة الباب بدرجة انه لو أراد في أي وقت ان يرجع فجأة او يتركهم، فلا يوجس أحد من حراسه في نفسه خيفة ولا يرى ضرورة لمراقبته لشدة اطمئنانهم. وأثناء سيرهم في الطريق المؤدي للناحية الشمالية لمدينة قم، نزلوا للاستراحة عند قرية قمرود التي يملكها أحد أقارب محمد بك، وجميع سكانها من العلي اللّهيين، ومكث فيها ليلة بناء على دعوة رئيس القرية، وانشرح صدراً من طاعة وشوق أهل القرية البسطاء السذج. وقبل مبارحتها طلب من الله القدير ان ينزل البركات عليهم وان يفرح قلوبهم بتأكيدات محبته وتقديره.

وبعد مبارحة تلك البلدة ومسير يومين، وصلوا بعد ظهر اليوم الثامن بعد النيروز الى قلعة كنارجرد[3] التي هي على بعد 6 فراسخ من جنوب طهران. وكانوا يظنون انهم يصلون الى العاصمة في اليوم التالي بعد ان يصرفوا الليل في جوار تلك القلعة، واذا برسول وصل فجأة من طهران ومعه أمر كتابي من حاجي ميرزا أقاسي الى محمد بك بأن يذهبوا تواً بحضرة الباب الى بلدة كليني[4] التي فيها دفن الشيخ كليني محمد بن يعقوب مؤلف كتاب أصول الكافي، وقد ولد في ذلك المحل ودفن فيه مع والده، ويحترم الناس ضريحه في تلك النواحي. وبالنظر الى عدم صلاحية المنازل في تلك القرية، أمر محمد بك ان يضرب خيمة في جوارها لأجل حضرة الباب[5] ويقيم عليها الحرس حتى تصله أوامر جديدة. وفي صباح اليوم التاسع بعد النيروز وهو اليوم الحادي عشر من شهر ربيع الثاني سنة 1263هـ (29 مارس سنة 1847 م)، أقيمت لحضرة الباب الخيمة التي كان الحاج ميرزا أقاسي ينزل بها عند زيارته لتلك

المحلة ونصبت على سفح تل جميل تحيط به الحدائق والمروج من كل الجهات، وسرّ حضرة الباب من هدوء تلك الجهة ونضارة خضرتها وخرير مياه جداولها، ولحق به بعد يومين السيد حسين يزدي وأخوه السيد حسن والملا عبد الكريم والشيخ حسن الزنوزي، ودعى الجميع ليقيموا في المنازل المجاورة لخيمته، ووصل الملاّ مهدي خوئي وملاّ محمد مهدي كندي من طهران في اليوم الرابع عشر من شهر ربيع الثاني (أول أبريل سنة 1847 ميلادية) وهو اليوم الثاني عشر بعد النيروز، وكان الملاّ محمد مهدي من أصحاب حضرة بهاءالله في طهران وهو الذي أرسله ومعه خطاب مختوم وبعض هدايا لحضرة الباب، وبمجرد وصولها ليده شعر بسرور غير عادي وتهلل وجهه فرحا وأغدق على الرسول عبارات الشكر والامتنان.

وأثرت هذه الرسالة التي وصلت في ساعة الحيرة والتوقف وجددت في حضرة الباب نشاطا وسُلوًّا ونفت ذلك الغم الذي كان يساور قلبه ونفثت في روعه تأكيد الفوز والنصر، فتبدد ذلك الحزن الذي كان يزيده متاعب الأسر. ولم يعد يسكب دموع الأسى التي كانت تجري من عينيه بغزارة منذ خرج من شيراز مقبوضا عليه. وبعد ان كان يناجي ربه في حزنه العميق وفي وحدته بقوله (يا محبوبي ويا مقصودي) أصبح ينطق بعبارات الشكر والمدح والأمل والنصر، وبدا على وجهه فرح لم يفارقه حتى وردت عليه أخبار الفاجعة العظيمة بسقوط شجعان قلعة الشيخ طبرسي، فاحتجبت من محياه تلك الابتسامة وزال من قلبه الفرح والابتهاج.

وسمعت الملاّ عبد الكريم يقص الرواية الآتية:- (كنت مع أقراني النائمين معي في جوار خيمة حضرة الباب، إذ تيقظنا على صوت وقع أقدام الخيّالة، وسمعنا ان حضرة الباب غادر خيمته وان الذين ذهبوا وراءه للبحث عنه لم يجدوه. وكان محمد بك يوبخ الحرس ويقول لهم (لماذا تضطربون؟ أليست عظمته وقداسته بكافيين لاقناعكم بأنه لن يرضى ان يوقع غيره في الحيرة والارتباك لأجل نجاة نفسه؟ ولابد وانه قد تنحى ناحية في الليلة المقمرة الى مكان هادئ ليناجي فيه ربه، ولابد وان يعود قريبا الى خيمته لأنه لا يرضى ان يهجرنا مطلقا). وسار محمد بك ماشيا على قدمه في الطريق الذي يؤدي الى طهران لرغبته في إقناع أقرانه بذلك، فسرت خلفه مع باقي الأصحاب ووراءنا الحرس على ظهور الخيل، ولم نقطع الا مسافة ميدان واحد (جزء من فرسخ) حتى نظرنا على بعد من خلال نور الفجر الضئيل، هيكل حضرة الباب آتياً نحونا من طريق طهران، وقال لمحمد بك وهو يقترب منه (هل اعتقدتم أني هربت؟) فارتمى محمد بك على أقدامه يقبلها ويقول (أستغفر الله ان يساورني مثل هذا الفكر) وكان جلال حضرة الباب وهيبته قد روّعت محمد بك كثيراً فلم يقدر على إبداء أي ملحوظة أخرى.

وظهرت على محيّا حضرة الباب الرزانة والجلال والثقة وكانت أقواله متشبعة بقوة فائقة، فلم يقدر أحد ان يسأله عن سبب هذا التغيير العظيم الحاصل في أقواله وأفعاله، وكذلك لم يشأ هو بنفسه ان يخبرنا او يهدئ روعنا وتحيرنا.

وأقام حضرة الباب مدة اسبوعين[6] في هذا المكان يتمتع بجمال الطبيعة، وساد السكون والهدوء الى ان وصل خطاب من محمد شاه[7] نفسه الى حضرة الباب وفيه يقول[8] (ولو اننا كنا نود مقابلتك الا اننا نجد أنفسنا غير قادرين على استقبالك في طهران بما هو لائق لك، لأننا على جناح السفر من العاصمة، وقد أمرنا ان ترسل الى ماكو وأصدرنا التعليمات اللازمة الى علي خان محافظ القلعة ان يعاملك بالإجلال والاعتبار. وأملنا وعزمنا ان نطلب حضورك لدى عودتنا الى سرير السلطنة، وفي ذلك الوقت نقدر ان نحكم في مسألتك ونعتقد اننا لم نسبب لك أي انزعاج وإنك لا تتأخر ان تخبرنا عن أي حيف يصيبك ونتمنى لك ان تستمر على الدعاء والتوفيق لنا والسعادة لمملكتنا (وتاريخه ربيع الثاني سنة 1263هجرية)[9]. ومما لاشك فيه ان الحاجي ميرزا أقاسي[10] كان مسؤولا عن إرسال مثل هذا الخطاب الى حضرة الباب، والحامل على ذلك خوفه[11] لئلا تكون المقابلة مع الشاه سببا في خلعه وسلبه مقامه الذي يتمتع به وسلطته التامة على كافة أمور الحكومة، ولم يكن يقصد الإضرار بحضرة الباب، الا انه رأى ان يحرض مليكه[12] على نقل مثل هذا الخصم القوي الى ركن بعيد من أركان المملكة. وبهذه الوسيلة يتخلص من الهم الذي كان دائما يساوره[13] فما أعظم خطأه وأشد ضلاله، فقليلا ما كان يفقه انه بسبب استمرار دسائسه كان يحجب الملك والمملكة من المنافع التي لا تحصى الناتجة من الأمر الالهي الذي هو وحده يقدر ان يخلص المملكة من حالة الانحطاط المروعة التي وقعت فيها[14] فهذا الوزير القصير النظر لم يتسبب فقط في منع محمد شاه من الوسيلة السامية التي بها يمكنه ان يعيد مجد

المملكة المنحدرة في هاوية السقوط، بل حرمه أيضا من ذلك المركز الروحي الذي يمكنه من التسلط والترؤس على جميع ملل وأمم العالم، وبسبب حماقته وإسرافه وخيانته في النصح، قوض أساس المملكة وأذل كرامتها وسلبها ولاء اتباعها وأسقطهم في هاوية الذلة والتعاسة، ولم يتعظ بسيرة أسلافه متجاهلا حاجات البلاد ومحتقرا مصالح العباد وأمعن في عمل التدبير اللازم لإعلاء شؤونه الخاصة بحماس فائق وفي الانهماك في الفجور والتبذير وإيقاع المملكة في الارتباك والحروب المهلكة مع جيرانها. وقد وصل في الدولة الاسلامية سعد معاذ بسبب استقامته وإخلاصه للإسلام الى المقام الرفيع، وحتى هذا الحين يحترمه حكام وأمراء الاسلام ويشيدون بذكره ويبجلون فضائله مع انه لم يكن من سلالة ملكية ولم تكن له شوكة قاهرة من ذي قبل. وكذلك بزرك مهر كان أقدر وأعقل وزير وأقدر إداري من بين وزراء أنوشروان العادل ورغما عن مقامه وحكمه الرفيع، أصابه أخيرا نكال، وطرح في حفرة واصبح موضع الاحتقار والسخرية من الناس، فكان يندب حظه ويبكي بحرقة حتى فقد بصره. أما الوزير الحاجي أقاسي فلم يعتبر لا بالمثل الأول ولا بالثاني ولم يتعظ بنصيب الأخير ولم ينتبه الى المخاطر التي يتعرض اليها في منصبه، وأصر على أفكاره وآرائه حتى فقد مقامه ورتبته وأضاع ثروته وسقط في خجالته وذلته[15] وضاعت منه أملاكه العديدة التي كان قد استولى عليها بالظلم من الأهالي المساكين، وكذلك الأثاثات الثمينة التي كان يفرشها في تلك المنازل وما صرفه عليها من الأموال والصنائع، ذهب كل ذلك هباء منثورا بعد سنتين من إصداره الأمر بحبس حضرة الباب في جبال آذربايجان الموحشة، وصادرت الحكومة جميع ممتلكاته

وغضب عليه مليكه وطرده من طهران بالذلة والهوان ووقع فريسة للمرض والفقر وضاع منه الأمل وهبط في الذل وخمد ذكره في كربلاء حتى حانت منيته[16].

وقد أُمر حضرة الباب في الذهاب الى تبريز تواً[17] وصحبه الحرس أنفسهم تحت إمرة محمد بك الى إقليم آذربايجان الشمالي الغربي وسمح له ان ينتخب رفيقا واحدا وخادما أيضا من بين أتباعه أثناء إقامته في ذلك الإقليم. فانتخب سيد حسين يزدي وسيد حسن أخاه. وامتنع ان يصرف على نفسه المبالغ التي قدرتها الحكومة لمصاريف الرحلة. وصرف جميع المبالغ التي أعطتها له الحكومة على المساكين والمحتاجين وخصص لنفقاته واحتياجاته الضرورية المبالغ التي ربحها في التجارة في بوشهر وشيراز. ولما كانت الأوامر قد أعطيت لمنعه من الدخول الى البلاد التي يمر بها في طريقه الى تبريز، حضر فوج من أحباء قزوين ممن علموا بقرب مجيء رئيسهم المحبوب عند قرية سياه دهان[18] وتمكنوا من مقابلته هناك.

وكان أحدهم الملا اسكندر الذي انتدبه الحجة لزيارة حضرة الباب في شيراز وفحص أمره، فأوفده حضرة الباب بالرسالة الآتية الى سليمان خان أفشار الذي كان من المعجبين بالمرحوم السيد كاظم (قد ظهر الآن من كان السيد المرحوم يشير اليه ودائما يمتدحه ويفخمه ويشير باستمرار الى قرب ظهور أمره، وأني أنا هو الموعود فقم وأنقذني من يد الظالمين)، ولما سلّم حضرة الباب الرسالة الى الملا اسكندر كان سليمان خان في زنجان وكان مستعدا

للسفر الى طهران ووصلته الرسالة في مدى ثلاثة أيام، ولكنه أبى أن يلبي الدعوة.

وكان أحد أصحاب الملا اسكندر قد أخبر الحجة بعد يومين بأمر حضرة الباب، وكان الحجة قد حبس في العاصمة بتحريض العلماء في زنجان. فأمر الحجة الأحباء في بلدته ان يستعدوا ويجمعوا قوتهم لأجل تخليص سيدهم حضرة الباب وحرضهم ان يقوموا مع الاحتراس ويجتهدوا في انتهاز الفرصة لأخذه وإرساله الى أي جهة يشاء. فاجتمع عدد من المؤمنين في قزوين وطهران وذهب الجميع بناء على أمر الحجة لتنفيذ الخطة، ووصلوا الى مكان الحرس في ساعة متأخرة في نصف الليل ووجدوهم نائمين، فاقتربوا من حضرة الباب ورجوه ان يهرب معهم، فأجابهم برباطة جأش (ان جبال آذربايجان أيضا لها حقوق) ونصحهم بكل محبة ان يعودوا الى منازلهم[19] ويتركوا ما اعتزموا عليه.

ولما اقترب الركب من باب تبريز وشعر محمد بك بان ساعة الفراق من مسجونه قد دنت، حضر أمامه، وبأعين دامعة رجاه ان يغفر له تقصيره وتعدّيه وقال له (ان السفر من أصفهان كان طويلا مملا وقد قصّرت في أداء واجبي في خدمتك كما ينبغي، لذلك استسمحك وأرجوك ان تباركني) فأجابه حضرة الباب قائلا (كن مطمئناً فاني أعدّك أحد شيعتي والذين يتبعون أمري سوف يباركونك الى الأبد ويعظمونك ويمجدون عملك ويرفعون اسمك)[20]، وفعل باقي الحرس كما فعل رئيسهم وتضرعوا الى مسجونهم ان يباركهم وقبّلوا أقدامه وودعوه الوداع الأخير بدموع منهمرة. وأظهر حضرة الباب لكل منهم عناياته

وأكد لهم دعوته لهم في صلواته، وأسلموه بعد التردد الكثير الى يد حاكم تبريز الذي هو ولي عهد محمد شاه. وكان هؤلاء الرفقاء الذين شاهدوا بأعينهم حكمة وقوة حضرة الباب الفائقة عن حدود البشرية قد أخبروا كل من قابلهم بعجائب أحواله التي رأوها وسمعوها وساعدوا بذلك على نشر الأمر الجديد بالطريقة التي اختاروها.

وأهاجت أخبار اقتراب حضرة الباب من تبريز الأحباء فيها وخرجوا جميعاً لمقابلته واشتاقوا ان يظهروا ترحيبهم لرئيسهم المحبوب، ولكن الموظفين الذين تسلموا حضرة الباب أبوا ان يسمحوا لهم بان يقتربوا منه او يلتمسوا بركته، ولكن أحد الشبان لم يقدر ان يمنع نفسه وهجم وهو حافي الأقدام واخترق باب المدينة ولم يستطع تحمل عدم رؤية وجه محبوبه، فجرى مسافة نصف فرسخ حتى وصل الى الخيالة الذين كانوا سائرين في المقدمة أمام حضرة الباب، ورحب بهم بكل فرح، وأمسك بطرف رداء أحدهم وقبّل ركابه، وصاح قائلا وهو يبكي (أنتم رفقاء محبوبي وإني أعزكم لذلك أكثر من حبة عيني) وكان هذا المسلك الغريب والحنين الزائد قد بهرهم، فسمحوا له في الحال بإجابة طلبه في المثول بين يدي سيده، وبمجرد ان وقع نظره عليه صاح بفرح زائد ووقع على وجهه باكياً بحرقة، فنزل حضرة الباب من جواده وعانقه ومسح دموعه وهدأ روع قلبه. ومن بين جميع المؤمنين في تبريز لم يتمكن أحد من تقديم احترامه لحضرة الباب سوى هذا الشاب، فكان هو الوحيد الذي نجح في ذلك الأمر وباركه حضرة الباب بلمس يده. ولم يتمكن الآخرون الا من إلقاء نظرهم على محبوبهم من بعد. واكتفوا بذلك لشفاء عليل فؤادهم.

ولما وصل حضرة الباب الى تبريز أدخلوه أحد المنازل التي أعدت لحبسه[21] في تلك المدينة، وكان يحرسه على مدخل الباب جوقة من النصيرية ولم يتمكن أحد من مقابلته سواء من العامة او من أنصاره، سوى السيد حسين وأخيه، وكانت الفرقة التي انتخبت للحراسة من بين السكان في بلدة "خمسة"، والتي منحت مزايا كثيرة هي نفس الفرقة التي انتخبت لقتل حضرة الباب باطلاق الرصاص عليه. وأثارت حادثة وصوله الى تبريز ضجة كبيرة بين الأهالي واجتمع جم غفير لمشاهدة دخوله في المدينة. وحضر بعضهم لمجرد الرغبة في الاطلاع والبعض الآخر ليتحقق بنفسه من صحة الإشاعات السيئة التي كانت تحوم حوله، وكثير منهم حرّكهم ايمانهم واخلاصهم ليشاهدوه ويؤكدوا له خضوعهم. وبينما كان يسير في الشوارع كان صياح الجماهير يتردد من كل الجهات، وكان أغلب الجمهور الذين رأوا وجهه يحيّونه بصياح (الله أكبر) وكان غيرهم يرحب به ويهلل والبعض يطلب من الله نزول البركات من القدير عليه، وشوهد غيرهم يقبّل التراب الذي تحت أقدامه باحترام. وهكذا اشتدت جلبة وضوضاء الجمهور على أثر وصوله لدرجة انهم أمروا مناديا يحذر الجمهور من الخطر الذي يحدق بهم اذا تجاسروا على الحضور أمامه ويقول (كل من يحاول التقرّب من السيد الباب او يبحث عن لقائه تضبط وتصادر جميع أملاكه ويحكم عليه بالسجن المؤبد)[22].

وفي اليوم التالي لوصول حضرة الباب، تجاسر الحاج محمد تقي الميلاني وهو تاجر مشهور في المدينة أن يقابل حضرة الباب ومعه الحاج علي عسكر وقد حذّرهما الناس بأنهما بعملهما هذا لا يعرضان أملاكهما فقط

للخسارة بل ان حياتهما أيضا تكون معرضة للخطر. الا انهما لم يهتما بهذا التحذير. وبمجرد ان اقتربا الى باب المنزل الذي كان حضرة الباب محبوساً فيه وقع القبض عليهما، ولكن السيد حسن الذي كان في ذلك الوقت خارجا من عند حضرة الباب اعترض حالا واحتج على ذلك قائلا (إني أُمرت من السيد الباب ان أبلغكم هذه الرسالة وهي ان لا تمنعوا الزائرين من الدخول لأني بنفسي طلبتهما لمقابلتي). وسمعت الحاجي علي أصغر يقول (إن هذه الرسالة أسكتت المعارضين وأدخلنا تواً الى حضوره، فحيّانا بهذه الكلمات "إن هؤلاء الأشرار الذي أوجدتهم بأمري للحماية من هجوم الغوغاء الذين يمرحون حول المنزل، ليس لهم قدرة على منع من أريد إدخالهم ليتوصلوا الى مقابلتي". ومكثنا معه نحواً من ساعتين، فلما أذن لنا بالانصراف سلمني فصّين من العقيق وأمرني أن أنقش عليهما الآيتين اللتين أعطاهما لي وأن أركبهما في الخاتمين وأحضرهما له بعد ان يتما. وأكد لنا انه في أي وقت أردنا رؤيته فلا يقدر أحد على منعنا من الدخول في حضرته. وفي كثير من الأحيان تجاسرت على الدخول عليه للسؤال عن بعض تفصيلات خاصة بالمهمة التي أوكلها إليّ، ولم يجرأ أحد من الحراس على منعي ولا تنفس بأي كلمة جارحة ولم ينتظروا مني أية مكافأة على هذا التسامح).

وأتذكر اني أثناء اجتماعي بالملا حسين كنت أعجب من لباقته وقوته الخارقة، وكان لي الحظ أن أرافقه في سياحته من شيراز الى مشهد وزرت معه مدن يزد وطباس وبشروى وتربت، وكنت أتأسف في تلك الأيام حزنا على ما فاتني من رؤية حضرة الباب في شيراز، فأكد لي الملاّ حسين قائلا: (لا تحزن

فان الله القدير سوف يعوضك بلا شك في تبريز ما ضاع عنك في شيراز ويمكّنك من فرح زيارته سبع مرات بدلا من المرة الواحدة التي فاتتك). وكنت أندهش من التأكيدات التي كان يخاطبني بها الملاّ حسين. وقد مرت الأيام الى ان زرت حضرة الباب في تبريز وتشرفت بحضوره جملة مرات رغم الأحوال المعاكسة، وتذكرت إذ ذاك كلمات الملاّ حسين وتعجبت من صدق فراسته وزادت دهشتي عندما سمعت حضرة الباب يقول لي في زيارتي السابعة (الحمد لله الذي مكنك من أن تكمل عدّة زياراتك وشملك بحماية حبّه).

الحواشي

(1) قم هو ثاني الأماكن المقدسة في إيران وفيها مدافن كثيرة لملوكها ومن بينهم فتح علي شاه ومحمد شاه.

(2) ويوجد في مدينة قم جدث أخت الإمام الرضا فاطمة المعصومة وعاشت وتوفيت هناك وكانت قد هربت اليها من بغداد من اضطهاد الخلفاء، ويقول البعض انها مرضت وتوفيت في قم في طريقها لرؤية أخيها في طوس. ويعتقد الصلحاء بانه رد جميلها بان يزورها كل جمعة من قبره في مشهد (كتاب اللورد كرزون إيران والمسألة الإيرانية الجزء الثاني صفحة 8).

(3) محطة على طريق أصفهان القديم يبعد نحو 28 ميلا من طهران (مقالة سائح ص 14 مذكرة 2).

(4) انظر مقالة سائح صحيفة 14 حاشية 3 (ترجمة إنجليزية).

(5) وانتشرت الإشاعة وكان من المستحيل تنفيذ أمر رئيس الوزراء حاجي ميرزا أقاسي، فمن أصفهان الى طهران كان الناس يتكلمون عن ظلم العلماء والحكومة للباب وكانوا يهمسون في كل مكان ويصرخون من الظلم. (الجريدة الآسيوية جزء 7 صحيفة 355).

(6) وفي مقالة سائح (صحيفة 14) مكث الباب في قرية كلين مدة 20 يوما.

(7) وقال جوبينو ان محمد شاه كان حاكما ذا صفات خاصة لم تكن نادرة في آسيا ولكنها على الأقل مما لا يعرفها الأوربي. ولا يمكنه ان يفهمها، فمع كونه كان حاكما في الوقت الذي كانت فيه العوائد السياسية المحلية قاسية فانه كان لطيفا سهلا وصبورا وكان

ينظر بعين هادئة الى الاضطرابات التي تحصل داخل الحريم والتي كانت تغضبه. ووصل تركه الحبل على الغارب واتباع النفس والهوى لدرجة لم يصل اليها أحد حتى ولا فتح علي شاه. وتنطبق عليه تلك العبارة اللائقة للقرن الثامن عشر وهي (يا سيدتي لا تختبئي لأني لا أريد ان أمنعك من الحظوظ والتمتع) وما كان ذلك بسبب عدم الاهتمام بل من الإعياء والملل. لأن صحته كانت دائما في تأخير وتضعضع. فكان مصابا بالنقرس بدرجة كبيرة ويتألم من الأوجاع المستمرة فلم يكن لديه راحة من حيث صحته. وكانت أخلاقه ضعيفة من طبيعتها وذلك مما يجعله دائما حزينا. ولأنه كان يحتاج الى المحبة التي لم يجدها في أسرته ولا في نسائه ولا عند أنجاله لذلك كان يحصر محبته كلها في معلمه العجوز. فكان هو الحبيب الوحيد ورئيس وزارته الأمين. وأخيرا أصبح معبوده بغير مبالغة بل إلهه الأعلى. ومن هذا الصنم استمد أفكارا مضادة ومضرة بالاسلام فكان لا يكتفي بإهمال أحكام النبي بل كان يعتقد انه هو النبي بذاته، فلم يكن عنده اهتمام بالأئمة، واحترامه لعلي لم يكن الا بسبب تلك العقيدة الفارغة التي جعلت الأمة الإيرانية تدمج وطنيتها في ذلك الشخص المحترم، وبالاختصار لم يكن محمد شاه مسلما ولا مسيحيا بل كان يعتقد اعتقادا جازما بأن الحقيقة الالهية تتجسم في الحكماء بكل قوتها. وبما انه يعد الحاج ميرزا أقاسي الحكيم الأول فما كان يشك انه هو الله ذاته، وكثيرا ما كان يطلب منه المعجزات ويقول لضباطه بيقين تام (قد وعدني الحاج بإظهار معجزة في هذا المساء فسوف ترونها) وما كان محمد شاه يهتم بنجاح او تنفيذ أمر ديني ان لم يكن خاصا بالحاجي المذكور بل كان على العكس يسر من تطاحن الآراء التي تكشف له عن جهل وعمى الناس (من كتاب الفلسفة والأديان في أواسط آسيا للكونت جوبينو صحيفة 131–132).

(8) وفي مقالة سائح صحيفة 14 أرسل الباب خطابا يطلب فيه من الحضرة الملكية الاجتماع وإعداد مجلس ليظهر فيه أحقية أمره، وقال انه سيكون لذلك نتائج مفيدة. وقال جوبينو في كتاب الفلسفة والأديان في أواسط آسيا صحيفة 124 ما يأتي:– ان علي محمد كتب بنفسه الى البلاط ووصل خطابه في نفس الوقت الذي وصلت فيه خطابات أعدائه، وبدون ان يتعرض للملك، وبالعكس طلب منه العدل والإنصاف وأظهر ان أخلاق العلماء

تغيرت في فارس من زمن بعيد وفسدت كما هو معلوم للجميع. فلم يقتصر الأمر على فساد الأخلاق بل انه بسبب خطأ الكثيرين من المفسدين أصبح الدين في حالة حرجة وقريبا من التلاشي بالكلية بحيث يترك الناس في ظلمات حالكة... وذكر له ان الله أمره برسالة خاصة لاصلاح هذه المفاسد وانه ابتدأ يوضح لأهالي فارس بأن الدين الحق هو الترقي الظاهر السريع وانه أخمد جميع مقاوميه حتى أصبحوا في عجز تام أمام الجمهور، وهذا لم يكن سوى مقدمة. وطلب من عظمة السلطان الاذن له بالحضور للعاصمة مع تلاميذه المشهورين وان يهيئ له مجلسا للمناظرة مع العلماء ومع جميع الملاوات في المملكة وان يكون ذلك بحضرة السلطان والكبراء والعامة وذكر انه متأكد انه سيغلبهم ويخجلهم ويبرهن له على عدم صدقهم وأمانتهم. وانه سوف يسكتهم كما أسكت الملاوات من الكبير والصغير من الذين قاموا ضده وانه اذا لا سمح الله لم يغلبهم في هذه المعمعة فليحكم السلطان عليه بما يشير به لأنه مستعد ان يقدم رأسه ورأس أتباعه له.

(9) تاريخ ربيع الثاني سنة 1263 هجرية يوافق 19 مارس سنة 1847 – 17 أبريل سنة 1847م.

(10) وقال هدايت في مجمع الفصحاء ان اسم الحاجي ميرزا أقاسي هو عباس علي وكان نجل الميرزا مسلم، أحد مشاهير علماء ايراوان، وكان عباس علي تلميذا لفخر الدين عبد الصمد الهمداني إذ كان في كربلاء. ومن كربلاء سافر الى همدان وزار آذربايجان ومنها حج الى مكة ولما عاد كان في فقر مدقع الا انه تمكن وهو في آذربايجان بعد عودته من تحسين حالته واشتغل بصفة معلم لأنجال ميرزا موسى خان أخ المرحوم ميرزا أبو القاسم القائمقام وبشّر محمد ميرزا باعتلائه عرش المملكة، فأخلص له وعينه رئيس وزارته. ولما توفي الشاه سافر الحاجي الى كربلاء وتوفي هناك في رمضان سنة 1265 هجرية (من مذكرات ميرزا أبو الفضل).

وفي كتاب الحاجي معين السلطنة صحيفة 120 ان الحاج ميرزا أقاسي ولد في باكو حيث كان يقيم والداه بعد سفرهم من ايراوان في القوقاس. وكان الحاج ميرزا أقاسي أحد أهالي ايراوان. وكان له تأثير عظيم على سيده الضعيف العقل حيث كان قبلا معلمه وكان

يتبع الطريقة الصوفية وكان رجلا عجوزاً ذا شكل مضحك وله أنف طويل ويظهر من ملامحه انه فريد في أخلاقه معجب بذاته (نقلا عن كتاب س.ر. ماركهام نظرة عامة في تاريخ إيران صحيفة 473).

وكان الحاجي مثالا فريدا من نوع خاص. ولم يعلم بالضبط ان كان يعتقد في نفسه ما يراه فيه محمد شاه، وعلى العموم كان في اعتقاده موافقا لاعتقاد محمد شاه نفسه الذي طبعه في عقله. ولم يمنعه ذلك من ان يتمسخر، وكانت مسخرته منظمة وجزءاً من أعمال حياته اليومية الاعتيادية. وهو لا ينظر الى أي شيء بعين اليقين او الجد مبتدئا بنفسه. فكان يصف نفسه قائلا (إنني لست رئيسا للوزراء وفقط شخص ملا عجوز لا استحقاق له ولا شهرة في مولده. واذا كنت في المركز الذي أنا فيه فذلك بسبب إرادة الملك فقط) وكان يذكر هذه العبارة ويكررها دائما خصوصاً لمن كان يعاكسه. وكان يخاطب أولاده بأولاد الكلب وأولاد الغجر وبهذه التسمية يسألهم عن أحوالهم او يرسل اليهم أوامره بواسطة ضباطه عندما يكونون غائبين. وكانت مسرته في استعراض الخيالة الذين يجمعهم بملابسهم الفخمة تحت قيادة الخانات الرحل في إيران. وعندما تجتمع هؤلاء القبائل الحربية في الميدان يأتي الحاجي كالشخص الفقير لابساً طرطوراً بسيطا ومعوجا وحاملا سيفا في وسط ردائه وراكبا جحشا صغيراً ثم يجمع أعوانه حوله ويعاملهم كأنهم مغفلين ويضحك على ملابسهم ويفهمهم انهم لا ينفعون لشيء ثم يعيدهم الى أماكنهم بعد ان يعطيهم هدايا، ذلك لأن طبيعته الهزلية كانت مخلوطة بالكرم (من كتاب الفلسفة في أواسط آسيا صحيفة 132–133).

(11) ومن الحكاية الآتية يتبين الإحساس الذي كان يساور رئيس الوزارة عندما يبت في أمر إرادة الشاه وكان الرئيس فرهاد ميرزا وهو صغير تلميذاً للحاجي ميرزا أقاسي وحكى ما يأتي: لمّا استشار الشاه رئيس وزارته وكتب للباب بالمكث في ماكو ذهبنا مع ميرزا أقاسي لتمضية بضعة أيام في الحديقة التي زرعها بنفسه في يفت آباد من ضواحي طهران وكنت أريد ان أسأل معلمي عن الحوادث الواقعية ولكني ما كنت أحب ان أسأله أمام الناس بل على انفراد. وفي ذات يوم بينما كنت أتمشى معه في الحديقة وكان يظهر عليه الانشراح تجاسرت وسألته: (يا حاجي لماذا ترسل الباب الى ماكو؟) فأجابني إنك للآن صغير ولا

تقدر ان تفهم بعض الأمور ولكن أعلم انه لو حضر الى طهران لا نقدر لا أنا ولا أنت ان نتنزه أحراراً وخاليي البال تحت ظلال هذه الأشجار الطيبة. (من كتاب السيد علي محمد الباب 243–244).

وفي تاريخ حاجي معين السلطنة ص 129 ان الباعث الذي أملاه الحاجي ميرزا أقاسي على السلطان لنفي الباب الى آذربايجان هو الخوف من إتمام حصول وعد الباب بشفاء الشاه من مرضه اذا حضر الى طهران. وكان متأكدا انه لو تمكن الباب من شفائه فان رئيس الوزارة يقع في قبضة يد مسجونه فيحرمه من المنافع والامتيازات التي يتمتع بها الآن.

(12) وقال أبو الفضل ان ميرزا أقاسي أقنع الشاه انه نظرا للثورة التي قام بها محمد حسن خان في خراسان وقيام أقا خان إسماعيل في كرمان، يحسن عدم إحضار الباب الى طهران وان يرسل بدلا عن ذلك الى إقليم آذربايجان البعيد.

(13) ومع ذلك فقد جاء حساب رئيس الوزراء مخطئا في خوفه ان حضور الباب الى طهران يحدث اضطرابات جديدة، وهذا ما كان يتوقع حصوله بسبب سوء إدارته وإتباع هواه، فأصدر أمره للحرس وهم على بعد 30 كيلو من طهران ان لا يحضروا اليها وان يسيروا به الى ماكو وهي التي ظن ان الباب لا يقدر فيها على أي عمل لأن أهلها يقاومون أي اضطراب نظراً لما أولاهم من الحماية. (المجلة الآسيوية 1866 جزء 7 صحيفة 356).

(14) ولم تكن حالة إيران مرضية لأن الحاج ميرزا أقاسي الذي كان حاكمها الحقيقي مدة 13 سنة كان جاهلا بالسياسة وبالحرب ولم يرض من تكبره ان يتعلم او ان يتعاون مع مستشار آخر من شدة حسده، وكان وحشيا في لغته وقبيحا في أخلاقه وقذرا في عوائده وجعل المالية تشرف على الخراب والإفلاس واقتربت البلاد جميعها من السقوط في هاوية الثورة، وتأخرت مرتبات الجيش ثلاث او أربع سنوات وانعدم وجود الخيالة في الجيش. وعلى هذه الصفة كانت حالة إيران في وسط القرن التاسع عشر كما ذكرها رولسن في كلماته القيمة. (من كتاب تاريخ إيران للمستر ب.م. سايكس الجزء الثاني صحيفة 439–440).

(15) وكانت جميع السلطة في قبضة يد الحاجي ميرزا أقاسي ذلك الوزير الكسول وكانت له السلطة التامة على الشاه، وازدادت الإدارة سوءا في الممالك حتى جاع الأهالي وأصبحوا يلعنون الدولة القاجارية، وكانت حالة البلاد والأقاليم محزنة للغاية. وكان ينفي كل من عنده قليل من الوطنية او التعقل، وكان يجمع لنفسه الثروة في طهران بكل جد على حساب المملكة التعيسة ويبيع مراكز مديري الأقاليم لأكبر عطاء والذين يتعينون بهذه الطريقة كانوا يظلمون الأهالي بطرق مخيفة. (من كتاب نظرة عامة في تاريخ إيران صحيفة 486-487 لمؤلفه س.ر. ماركهام).

(16) وكتب جوبينو عن كيفية سقوطه قال (ان الحاجي ميرزا أقاسي طرد من سلطة كان قد أمضى بعضا من الوقت في التمسخر بها وعاد الى كربلاء وفيها قضى بقية عمره في عمل الألاعيب مع الملاوات في أيام تذكار سيد الشهداء (كتاب الفلسفة والأديان في أواسط آسيا صحيفة 160). وكان هذا الرجل الماكر قد اغتصب كل سلطة الملك المتوفي حتى قيل انه كان هو السلطان الحقيقي، ولما توفي محمد شاه اختفى واخذ طريقه الى كربلاء التي فيها يحتمي اكبر المجرمين بحمى أكبر الأئمة، الا انه وقع في أرزاء الحزن المتلف فضلا عن توبيخ ضميره وعلى هذا النحو انتهت حياته. (المجلة الآسيوية 1866 صحيفة 367-368 جزء 7).

(17) وتبعا لمقالة سائح (صحيفة 16) من الطبعة الإنجليزية كتب الباب مكتوبا أثناء سفره الى رئيس الوزراء قال له فيه: انك دعوتني من أصفهان لمقابلة العلماء ولإيجاد حل فاصل في هذه المسالة، فماذا حدث بعد هذا العزم العالي حتى تغير الى ماكو وتبريز.

(18) وقال سمندر (في نسخة خطية ص 4-5) ان الباب انتظر في قرية سياه دهان بجوار قزوين في طريقه الى اذربايجان وفي أثناء هذا الطريق كتب جملة خطابات الى مشاهير العلماء في قزوين ومن بينهم الحاجي ملا عبد الوهاب والحاجي ملا صالح والحاجي ملا تقي وحاجي سيد تقي. ووصلت هذه المكاتيب الى المذكورين بواسطة الحاج ملا احمد ابدال. وكثير من المؤمنين ومن بينهم نجلا حاجي ملا عبد الوهاب تمكنوا من

مقابلة الباب أثناء الليلة التي أمضاها في تلك القرية. وفي تلك القرية كتب الباب خطابه الى ميرزا أقاسي.

(19) وفي التاريخ الجديد ان محمد بك حكى ما يأتي للحاج ميرزا جاني (وركبنا سائرين حتى وصلنا الى خان مبني بالطوب على بعد فرسخين من المدينة ومن هناك سرنا الى ميلان حيث جاء كثير من الأهالي لرؤية قداسته. وامتلئوا تعجبا من جلال وجمال رب الإنسانية. وبينما كنا نستعد للرحيل في الصباح من ميلان، جاءت عجوز معها طفل أصلع الرأس ومغطى بالصبان لغاية الرقبة وطلبت منه شفائه، وكان الحراس يريدون منعها، ولكنه دعا بإحضار الطفل ومرر منديلا على رأسه وتلفظ بضع كلمات. وما كاد يتمها حتى شفي الطفل. وكان يوجد في هذا المحل نحو مائتي شخص آمنوا كلهم دفعة واحدة وأصبحوا من الراسخين في اعتقادهم). (صحيفة 220–221).

(20) ويقول ميرزا أبو الفضل في كتاباته انه كان بنفسه في طهران وقابل نجل محمد بك واسمه علي بك واسمعه العجائب التي كان والده يحكيها عن الباب أثناء رحلته معه الى تبريز. وكان علي بك أكبر أبنائه مؤمنا صادقا في أمر بهاءالله ومعروفا بذلك بين أحباء إيران.

(21) وفي مقالة سائح (صحيفة 16) ان الباب مكث 40 يوما في تبريز وقال الحاجي معين السلطنة في تاريخه الخطي (صحيفة 138) ان الباب أمضى اليوم الأول في منزل محمد بك ومن هناك انتقل الى غرفته في القلعة المجاورة لمسجد علي شاه.

(22) وكان نجاح ذلك الرجل النشيط (ملا يوسف الاردبيلي) عظيما جداً وسريعا لدرجة ان سكان قرية مأهولة خرجوا عن بكرة أبيهم وطلبوا اسم الباب، وكذلك على أبواب تبريز. ومما لاشك فيه ان البابيين كانوا في المدينة عديدون فاضطرت هذه الحالة الحكومة الى اتخاذ التدابير اللازمة لاعلام الناس ان الباب رجل مضل وانها عاقبته وذلك لكي تبرر مركزها أمام الجمهور (المجلة الآسيوية سنة 1866 جزء 7 صحيفة 357–358).

الفصل الثالث عشر

حبس حضرة الباب في قلعة ماه كو

ومما رواه السيد حسين يزدي قال (في مدة العشرة أيام الأولى التي تلت حبس حضرة الباب في تبريز، لم يعلم أحد ماذا يكون مصير أمره وكثرت الاشاعات في المدينة، وذات يوم تجاسرت على سؤاله، اذا كان سيستمر على البقاء في الجهة التي وجد فيها او انه ينتقل الى جهة أخرى، فأجابني فورا "هل نسيت ما أجبتك به في أصفهان بأننا سنمكث مدة لا تقل عن تسعة أشهر محبوسين في جبل باسط (ماكو)[1] ثم ننتقل منه الى جبل شديد (جهريق)". وهذان الجبلان هما من سلسلة جبال خوى ويقعان على جانبي المدينة التي تحمل هذا الاسم. وبعد مرور خمسة أيام من هذا التنبؤ صدرت الأوامر لنقله وأنا معه الى قلعة ماكو وان نكون في حراسة علي خان ماكوئي).

والقلعة عبارة عن بناء صخري ذي أربع طوابق ويقع على قمة جبل وفي أسفله مدينة ماكو والطريق الوحيد الذي يوصل اليها يمتد الى المدينة، وفي آخره باب ملاصق لمركز الحكومة وهو مغلق دائماً. وهذا الباب هو خلاف باب القلعة. ويقع على حدود الممالك العثمانية والروسية. وتلك الجهة معدة

للاستكشاف بسبب مركزها المشرف ومزاياها الحربية. ويلاحظ الضابط المنوط بهذه المحطة حركات العدو في وقت الحرب ويراقب الأراضي المجاورة ويرسل التقارير بما يراه للحكومة عند الضرورة عن الأحوال التي تقع تحت إشرافه. وتحد القلعة غرباً بنهر "اراكس" الذي هو الحد الفاصل بين ممالك روسيا وإيران. وفي الجنوب تمتد الأملاك التركية، وتبعد بلدة بايزيد أربعة فراسخ من جبل ماكو. وكان اسم الضابط المنوط بالقلعة، علي خان. وسكان المدينة من الأكراد وهم من أهل السنة في الاسلام[2] وهم ألد أعداء الشيعة الذين يكوّنون غالبية الفرس، وهؤلاء الأكراد يكرهون أشراف الشيعة أي رؤساءها الروحانيين ومن أكبر المهيجين عليهم. وكانت والدة علي خان كردية، ولذلك كان الابن محترماً جداً ومطاعا روحياً من جميع السكان في ماكو، لأنهم يعتبرونه أحد أفراد جماعتهم ويضعون فيه أكبر الثقة. وكان الحاجي ميرزا أقاسي قد دبر مسألة إبعاد حضرة الباب الى تلك الجهة البعيدة في أحد أركان مملكة الشاه، وهي في نظره مكان خطر وخال عن الكرامة، ويقصد من ذلك صد تيار تأثيره ونفوذه المتزايد وقطع كل علاقة تربطه مع جسم أتباعه في المملكة[3] وهو واثق بان الناس لا يرغبون الا قليلا في النزوح الى تلك البلاد الموحشة السحيقة المسكونة بالأهالي الثائرين. ولذلك تهلل فرحاً وظن بأن احتجاب أسيره عن مواصلة مصالح ومقاصد أتباعه يؤول الى خنق الحركة في بدء ولادتها والى إطفائها وزوالها في نهاية الأمر. ولكن سرعان ما علم انه كان خاطئاً وغير ملم بطبيعة أمر حضرة الباب، ولم يقدّر قوة تأثيره وكأنه استخف به وجهل ان آداب حضرة الباب ولطف صفاته أخضعت روح الشغب السائدة بين هؤلاء الناس

المتمردين وألانت بتأثير محبته السامية قلوبهم. فأخضع تكبرهم وصلفهم بدماثة أخلاقه التي لا شبيه لها ولانت غطرستهم وحمقهم من حكمة كلماته. وكان الحماس الذي أوقده حضرة الباب في قلوبهم على شأن كانوا في كل صباح يبدأون أعمالهم بأن يبحثوا عن مكان يقدرون ان يفوزوا فيه بنظرة لوجهه ويناجونه ويطلبون منه البركة في عملهم اليومي. وعند حصول مشاجرة او خصام يسرعون الى ذلك المكان ويولون وجوههم تلقاء السجن ويحلفون باسمه ان يقول كل منهم الصدق. وكان كثيرا ما يمنعهم "علي خان" من هذا العمل، ولكنه وجد نفسه غير قادر على منعهم من ذلك الحماس وكان بنفسه يؤدي أعماله بكل حرص ولا يأذن لأحد من تلاميذ حضرة الباب ان يقطن ولو ليلة واحدة في بلدة ماكو[4].

وحكى السيد حسين يزدي قال (في الاسبوعين الأولين لم يسمح لأحد بزيارة حضرة الباب. وكنت أنا وأخي حسن الوحيدين المسموح لنا بملاقاته، وكان السيد حسن في كل يوم ينزل الى المدينة ومعه أحد الحراس لشراء اللوازم الضرورية، وأما الشيخ حسن الزنوزي الذي وصل الى ماكو فصرف الليالي في مسجد خارج أبواب المدينة، وكان يقوم كواسطة بين المؤمنين الذين كانوا يأتون للزيارة في ماكو وبين السيد حسن أخي، الذي بواسطته كانت توصل العرائض من المؤمنين الى مولاهم وترسل الأجوبة بواسطته أيضاً الى الشيخ حسن الزنوزي. وفي ذات يوم أعلم حضرة الباب أخي انه سيطلب بنفسه "علي خان" ان يغير سلوكه بخصوص الأحباء الذين يزورون ماكو وان يترك استعمال الشدة. وكلفه ان يخبر الشيخ حسن الزنوزي بذلك وانه سيأمر المحافظ باكراً ان

يأتي به الى هذا المحل). فحصلت لي دهشة من هذه الرسالة وفكرت في نفسي قائلا: (كيف يمكن إقناع علي خان المتغطرس المستبد ان يخفف من غلوائه وقسوة أحكامه؟).

وفي اليوم التالي في وقت مبكر دهشنا لطرق الباب فجأة مع علمنا الأكيد بأن الأوامر أعطيت ان لا يسمح لأحد بالدخول قبل طلوع الشمس. وعرفنا صوت "علي خان" وهو يتناقش مع الحرس، وجاء أحدهم وأخبرني بأن محافظ القلعة مصمم على التصريح له بالدخول لمقابلة حضرة الباب في زنزانته. فأوصلت الرسالة الى حضرة الباب. فأمرني أن أدخله حالا. وإذ شرعت بالخروج من الغرفة المجاورة لغرفته، وجدت "علي خان" واقفاً على العتبة بهيئة خضوع تام ويظهر على وجهه علائم الخشوع والتعجب على غير المعتاد. وظهر لي ان كبره وغطرسته قد زالتا بالكلية. وبكل خضوع وبكمال الأدب رد علي السلام ورجاني ان أصرح له بالدخول لمقابلة حضرة الباب. فأخذته الى الغرفة التي يقطنها حضرة الباب وكانت ركبه ترتعش وظهر في باطنه هيجان لم يقدر على إخفائه وظهر جلياً على أسارير وجهه. فقام حضرة الباب من محله ورحب به، فاقترب "علي خان" وانحنى تعظيماً له وارتمى على أقدامه وقال: (خلصني من حيرتي، فإني أستحلفك بالنبي جدك العظيم ان تقشع عني شكوكي لأن ثقلها عليّ يقطّع نياط قلبي، فإني عندما اقتربت من باب المدينة وأنا ممتطي جوادي في وقت الفجر، رأيتك بعيني فجأة بجانب النهر واقفا تصلي. وكانت يداك وعيناك مرتفعتين الى السماء وأنت مشتغل بالمناجاة لله. فوقفت ألاحظك وانتظرت حتى أتممت الصلاة لأقترب منك، وأوبخك على

التجاسر لترك القلعة بدون أذني. وكنت أثناء مناجاتك مع الله منهمكاً في العبادة والابتهال ناسياً نفسك، فاقتربت منك بهدوء وأنت في حالة وله ولم تشعر بوجودي كلية. وفجأة شعرت بخوف شديد ورجعت عن عزمي عن إيقاظك من هيامك، وتركتك وذهبت الى الحرس لأوبخهم على إهمالهم. ولكني دهشت إذ وجدت الباب الخارجي والداخلي مغلقين ولم يفتحا الا بناء على طلبي، فدخلت عندك. والآن وجدتك جالساً أمامي مما أوجب تعجبي وارتبت ان يكون عقلي قد فارقني). فأجابه حضرة الباب قائلا: (ان الذي رأيت هو حق لا ينكر. وإنك تبخس قدر هذا الأمر وتحتقر صاحبه ولم يشأ الله برحمته ان يوقعك في العقاب بل أراد ان يظهر الحق أمام عينيك وبتوسط إلهي أوقع في قلبك محبة وليّه لتعترف بقوة الأمر التي لن تقهر).

وقلبت هذه الحادثة قلب "علي خان" كلية. وهدّأت هذه الكلمات اضطرابه وأخضعت وحشيته وأزالت عداوته. وأراد ان يكفّر عن سابق سلوكه بكل جد واجتهاد، وأسرع بإخبار حضرة الباب قائلا (يوجد رجل شيخ مسكين يحن للقائك وهو قاطن في مسجد خارج باب ماكو. أرجوك ان تأذن لي ان أحضره الى هذا المكان لمقابلتك. وبذلك أرجو ان تغفر لي سيئاتي حتى أكون قادرا على محو شوائب آثار سلوكي السيئ مع أحبائك). فأذن له في ذلك، وذهب تواً وأحضر الشيخ حسن الزنوزي للمثول بين يدي حضرة الباب، ولم يأل "علي خان" جهداً في ضمن الحدود المخولة له في عمل كل ما من شأنه تخفيف وطأة الأسر على حضرة الباب. وكان باب القلعة مغلقا أثناء الليل وأما في النهار فكان كل

من يريد الدخول على حضرة الباب يصرح له ويتمكن من التحدث معه وأخذ التعليمات اللازمة منه.

وأثناء حبسه في القلعة خصص حضرة الباب كل وقته لكتابة البيان الفارسي[5] وهو أهم وأنور وأشهر وأجمع من كل كتبه وفيه شرّع القوانين والقواعد للأمر الجديد، وبيّن وأوضح وبشّر بظهور جديد يأتي بعده، وحرّض أتباعه للبحث عمن يظهره الله[6] وحذرهم من أن يؤولوا الأسرار والإشارات الموجودة في البيان بطريقة تمنع الاعتراف بأمره[7].

وسمعت الشيخ حسن الزنوزي يقول الآتي: (ان صوت حضرة الباب وهو يملي تعاليمه وقواعد إيمانه كان مسموعا بوضوح في سفح الجبل الذي كان يردد هو والوادي صوته، وكانت نغمة ترتيل الآيات تفيض من فمه وهي تشنّف الأسماع وتخترق القلوب والأرواح وتتحرك بندائه قلوبنا من أعماقها[8] وكان لإرخاء حبل القيود التي فرضت على حضرة الباب، الأثر الجميل في تشجيع الكثيرين من أتباع حضرة الباب على الحضور من الأقاليم المختلفة من إيران لزيارته في قلعة ماكو، فكان الزوار يفدون زرافات على أبواب القلعة ويدخلونها بلطف وتساهل علي خان[9]، وبعد إقامة ثلاثة أيام يسمح لهم بالانصراف بأمر حضرة الباب مع التعليمات بالعودة الى خدماتهم وأعمالهم لإعلاء شأن الأمر، ولم يتأخر علي خان نفسه في كل يوم جمعة من أداء واجبات الاحترام لحضرة الباب ليؤكد له إخلاصه وعبوديته، ودائما يقدم له أندر وأحسن الفواكه الموجودة بالقرب من ماكو، ويهديه بكل ما لذَّ وطاب منها ويكون موافقا لرغبته.

وعلى هذا النحو أمضى حضرة الباب الصيف والخريف بين حوائط تلك القلعة، وتلا ذلك شتاء قارس حتى ان الأواني النحاسية تأثرت من شدة البرد. ووافق ابتداء ذلك الفصل أول المحرم سنة 1264هـ[10]، وكان الماء الذي يستعمله حضرة الباب في الوضوء وصل لدرجة من البرودة الثلجية ان قطراته كانت تلمع على وجهه بما فيها من الثلج. وكان عقب كل صلاة يطلب حضور السيد حسين أمامه ويأمره ان يقرأ بصوت مرتفع قطعة من "محرق القلوب" وهو كتاب الشاه المرحوم حاجي ملاّ مهدي، جد الحاج ميرزا كمال الدين نراقي، وفيه يمتدح المؤلف فضائل الإمام الحسين وينـدب وفاته ويذكر أحوال استشهاده، وكانت قراءة ما يحويه من ذكرى الآلام تثير الهياج في قلب حضرة الباب فتستمر دموعه في الجريان وهو يستمع الى الشتائم والإهانات التي وجهت الى الإمام مما لا يصح التفوه به والى الألم المضني الذي قاساه من أيدي طغاة الأعداء.

وبينما كان يستعرض حوادث تلك الحياة المحزنة، كان دائماً يردد في ذهنه صورة تلك الرواية المحزنة التي ستحصل وقت مجيء الحسين الموعود. ولم تكن هذه المفاجع القديمة الا إشارة تنبئ عن الآلام القاسية التي سوف يقاسيها محبوبه الحسين بأيدي مواطنيه، فكان يبكي أثناء تصور هذه المصائب في مخيلته، تلك المصائب التي سوف يتعرض لها "من يظهره الله" وهي مما لم تحصل للإمام الحسين حتى في أشد حالات نكبته[11].

ويقرر حضرة الباب في أحد كتبه المنزلة سنة 1260هـ ما يأتي مترجما: (إن تبتلي وصلواتي ونسكي كانت نتيجة رؤيا رأيتها قبل إعلان أمري بسنة

واحدة. وهي إني رأيت رأس الإمام الحسين سيد الشهداء معلق على شجرة تقطر دماً بغزارة من بلعومه المقطوع فاقتربت من تلك الشجرة وأنا مبتهج اشد الابتهاج وبسطت كلتا يدي وجمعت قليلا من قطرات ذلك الدم المقدس وشربتها بإخلاص. ولما انتبهت شعرت بأن روح الله قد اخترقت جسمي واستولت على نفسي. وابتهج قلبي بفرح الحضرة الالهية وتجلت أسرار وحيه أمام عيني بكل مجده).

وما كاد محمد شاه يحكم على حضرة الباب بالأسر في جبال آذربايجان حتى انتابته مفاجع فجائية وتبدلت راحته بالمتاعب بدرجة لم يعهد لها مثيل من قبل، واشتدت عليه الكوارث من كل الجهات وابتدأت أركان السلطنة تتزلزل، وأخذت الكوارث المفجعة تنتاب القوات التي كانت تحافظ على الأمن في داخلية البلاد[12] وارتفع علم الثورة في خراسان واستولى الذعر والرعب على المملكة بدرجة اضطرت الشاه الى إلغاء سفره الى هرات. وكان إهمال الحاج ميرزا أقاسي سبباً في إشعال نيران الاستياء واندلاع لهيبها وسخط الجمهور، واشتغلوا بالنهب والسلب وأخذ أكثر العناصر مشاغبة في خراسان من السكان في أقاليم كوشان وبوجنورد وشيراوان يتّحدون تحت إمرة السالار ابن آصف الدولة وهو خال الشاه الأكبر والحاكم على الإقليم المذكور، وخلعوا سلطة الحكومة المحلية وثاروا عليها. وكلما أرسلت من جانب العاصمة قوات كان محركو الثورة يهزمونها. وكان جعفر قلي خان نامدار والأمير ارسلان خان ابن سالار، القائدان للثوار المحاربان للشاه قد أظهرا منتهى القسوة في معاملة الأسرى الحكوميين وإعدامهم جميعا.

وكان جناب الملاّ حسين بشروئي في ذلك الوقت مقيماً في مشهد[13] ومشغولا في نشر الأمر الجديد رغما عن الهياج الذي أحدثه حصول الثورة. وما كاد يعلم ان السالار عزم على مقابلته للحصول منه على المعونة والمساعدة ليمد نطاق الثورة، حتى ترك المدينة تواً لئلا يدمج نفسه في الدسائس التي كان يعملها ذلك الرئيس الثائر. وخرج في ظلام الليل من المدينة ومعه "قمبر علي" خادمه، سائرين على الأقدام الى طريق طهران ومنها عزم على زيارة اذربايجان حتى هناك يقابل حضرة الباب. ولما علم الأحباب بسفره، هيأوا له كل أسباب الراحة لذلك السفر الطويل المتعب، وذهبوا بها ليلحقوه. ولكن جناب الملا حسين امتنع عن قبولها قائلا (إني أقسمت ان أسير على قدمي جميع المسافة التي تفصلني عن المحبوب، فلن أنثني عن عزمي حتى أصل الى مرغوبي). واجتهد ان يقنع "قمبر علي" على الرجوع الى مشهد، ولكنه أخيرا اضطر على ان يسمح له بخدمته أثناء الحج الى اذربايجان بناء على توسله.

وكان جناب الملا حسين في طريقه الى طهران يقابل الأحباء بكل ترحاب وحماس في مختلف المدن التي مرّ فيها وهم يقدمون له المعونة في سفره، ولكنه كان يرفض قبولها.

وسمعت الرواية الآتية من فم جناب أقا كليم: (لما وصل الملا حسين الى طهران، ذهبت ومعي نفر كبير من الأحباء لمقابلته، وكان يظهر لنا انه هيكل الرزانة والرحمة والفضيلة. وكان يحرضنا على مكارم الأخلاق والولاء التام للأمر. وهكذا كانت شدة إيمانه ومحاسن أخلاقه على شأن اعتقدنا انه

وحده وبدون أي مساعدة خارجية يقدر أن يتمم النصرة لأمر الله) وقد توصل سراً الى المثول أمام حضرة بهاءالله، وبعد التحدث معه قام الى آذربايجان.

وفي الليلة السابقة على وصوله الى ماكو التي كانت في مساء النوروز الرابع من إعلان دعوة حضرة الباب، ووافق في تلك السنة أي 1264هـ (1848م) اليوم الثالث عشر من شهر ربيع الثاني. رأى "علي خان" رؤيا قال (رأيت كأني أخبرت فجأة بعزم محمد رسول الله على المجيء الى ماكو وانه سوف يحضر الى القلعة ليزور الباب وليهنئه بعيد النوروز. فخرجت جريا لمقابلته وأنا مشتاق لأقدم خضوعي وترحيبي لزائر مقدس مثله. وبفرح لا يوصف أسرعت لناحية النهر، ولما وصلت الى القنطرة التي هي على بعد ميدان (جزء من فرسخ) من بلدة ماكو، رأيت اثنين قادمين نحوي وظننت ان أحدهما رسول الله نفسه والآخر الذي يسير خلفه أحد أصحابه الممتازين. فأسرعت الى الوقوع على أقدامه وانحنيت لأقبّل طرف ردائه، وإذ ذاك استيقظت فجأة. فانغمست في بحر من السرور وشعرت كأن الجنة بنفسها وما فيها من مسرات قد تجمعت في قلبي. وإذ أيقنت بصحة رؤياي، قمت وتوضأت وصليت وارتديت أفخر ملابسي وتعطرت وذهبت الى تلك البقعة التي نظرت فيها في الرؤيا وجه الرسول، وأمرت أحد اتباعي ان يسرج لي ثلاثة جياد من خيارها وأسرعها وان يقودها الى القنطرة. وعند طلوع الشمس خرجت وحدي وبدون حرس ومررت في مدينة ماكو في طريق النهر، وما كدت أصل الى القنطرة حتى عجبت لرؤيتي الرجلين الذين شاهدتهما في الرؤيا يمشيان الواحد خلف الآخر ويسيران نحوي، وبدون أي تفكّر وقعت على قدم الشخص الذي اعتقدت

انه الرسول وقبلته بإخلاص ورجوته هو ورفيقه ان يركبا الجياد. فقال (لا فإني آليت على نفسي أن أتمّم رحلتي ماشيا على قدمي. وسأسير ماشيا الى قمة الجبل وهناك أزور المسجون). وجعلت هذه الحادثة علي خان يشعر باحترام زائد في مسلكه نحو حضرة الباب، واصبح يقينه في صحة الأمر وقوته أعظم من ذي قبل. وبخشوع تام تبع جناب الملا حسين الى ان وصل الى باب القلعة، وما كادت أعين جناب الملاّ حسين تقع على وجه سيده الذي كان واقفاً على العتبة، حتى وقف فجأة وانحنى أمامه ومكث بجانبه بدون حراك، فمدَّ حضرة الباب ذراعه وعانقه بكل شوق، وسار به ويده في يده الى غرفته، ثم دعا أحبابه لمقابلته واحتفل بعيد النوروز. وقدمت أطباق الحلوى والفواكه المنتخبة أمامه، وفرّقها على أحبابه المجتمعين، وإذ ناول جناب الملاّ حسين بعضاً من التفاح والسفرجل، قال له (ان هذه الفواكه اللذيذة قد أتتنا من أرض الجنة وقطفت خصيصاً لهذا العيد بواسطة اسم الله الفاتق محمد تقي). ولهذا لم يسمح لأحد من أتباع حضرة الباب سوى السيد حسين يزدي وأخيه بالمكث داخل القلعة أثناء الليل. ولكن في ذلك اليوم ذهب علي خان الى حضرة الباب وقال له (اذا كنت ترغب في ان يبقى معك الملاّ حسين هذه الليلة، فإني مستعد لتنفيذ رغبتك لأنه ليس لي إرادة من تلقاء نفسي ومهما أردته أن يمكث معك من الوقت فإني لا أمانع بل أكون رهين إشارتك). وكان أتباع حضرة الباب يفدون عليه زرافات في ماكو وكان يسمح لهم بالمثول أمامه تواً بدون أي حائل.

وذات يوم كان حضرة الباب يتأمل في المناظر المجاورة من سطح القلعة ورأى من ناحية الغرب كيف ان نهر اراكس ينحني في تعاريجه تحته في مجراه

على بعد، فالتفت الى جناب ملاّ حسين وقال (هذا هو النهر وهذا هو الشاطئ الذي كتب عنه الشاعر حافظ: يا نسيم اذا مررت بشاطئ نهر اراكس، فقبّل الأرض في ذاك الوادي، وعطّر مشام أنفاسك من عبير طيبها، ويا منازل سلمى إليك ألف تحية وثناء، فما أعز صوت الحادي هناك وما أحلى جلجلة أجراسه[14]. وان أيام إقامتك في هذه البلدة أصبحت معدودة ولولا قصر مدة إقامتك لأريناك منازل سلمى كما أريناك شواطئ نهر اراكس). وكان حضرة الباب يشير بها لمنازل سلمى التي تقع قريبا من جهريق والتي يسميها الأتراك سلماس، وزاد حضرة الباب بقوله (ان روح القدس هي التي تنطق على ألسنة الشعراء وهم في غالب الأحيان لا يقدرون ان يعرفوا المغزى وكذلك الشعر الآتي الذي نطق به الروح الأمين "شيراز في الاضطراب وسيظهر فيها ذلك الفتى الحلو اللمى وأخشى ان تهيج طيب أنفاس فمه وتقلب بغداد" والآن لا يزال السر في هذا البيت مخفياً (وسيعلم نبؤه بعد حين)[15] ثم تلا حضرة الباب الحديث المعروف الذي يفيد ان الكنوز الالهية مخبوءة في عرش الرحمن ومفتاحها ألسنة الشعراء.

ثم تنبأ للميرزا حسين عن جميع الحوادث التي ستحصل في القريب العاجل واحدة بعد أخرى، وأمره ان لا يخبر بها أحداً[16] وقال له حضرة الباب سوف ينقلوننا الى جبل آخر وقبل ان تصل الى مقرك ستصلك أخبار انتقالنا من ماكو. وتم تنبؤ حضرة الباب سريعا. فالأشخاص الذين كانوا يتجسسون على حركات وأعمال علي خان، أرسلوا تقريرا مفصلا الى حاجي ميرزا أقاسي واتهموه فيه بإخلاصه للمسجون، ووصفوا الوقائع التي تثبت أقوالهم، ومما كتبوه

(ان محافظ ماكو يعاشر المسجون ليل نهار بحرية تامة، وان علي خان الذي رفض ان يزوج ابنته الى ولي عهد الشاه بحجة ان هذا العمل يثير ثائرة أقارب والدته الذين هم من أهل السنة ويعرّضونه هو وابنته للقتل يطلب من الباب بالحاح تزويجها له، وقد رفض الباب ذلك، الا ان علي خان يصر على تضرعه، ولولا رفض المسجون لتمت المراسيم الخاصة بالزواج والاحتفال به. وقدم علي خان طلبه وترجى الملا حسين ان يتوسط لدى الباب ولكنه لم يتمكن من الحصول على الإذن منه). فكانت لهذه التقارير السيئة أثر سيئ على الحاجي ميرزا أقاسي. وأثر فيه الخوف واستولى عليه الغضب لدرجة ان هذا الوزير الأحمق أصدر أمرا حتمياً لنقل حضرة الباب الى قلعة جهريق.

وبعد مرور عشرين يوما من النوروز، ودّع حضرة الباب أهالي ماكو الذين عرفوا قوة شخصيته العظيمة وسمو أخلاقه أثناء التسعة أشهر التي قضاها في الحبس، وكان الملا حسين الذي فارق ماكو بأمر حضرة الباب لا يزال في تبريز، إذ سمع بأخبار النقل الى جهريق كما سبق وتنبأ به حضرة الباب. وكان حضرة الباب وقت وداعه قد قال له (قد سرت على قدمك طول الطريق من موطنك الى هذا المكان، فعليك الآن ان تعود أيضا سيراً على القدم الى ان تصل الى المكان الذي تقصده الآن، لأن الأيام التي تمتطي فيها ظهور الجياد سوف تأتي فيما بعد، فعليك ان تظهر منك الشجاعة والمهارة والشهامة التي تقصر عنها أقوى الشجعان من قديم الأزمان، وان جرأتك المشهورة ستستوجب مدح وإعجاب سكان الملكوت الأبدي، وعليك ان تزور في طريقك أحباء خوي وارومية ومراغه وميلان وتبريز وزنجان وقزوين وطهران، وعليك ان

تبلغ محبتي لكل منهم وشوقي الحنون، واجتهد ان تشعل في قلوبهم مرة أخرى نيران محبة الجمال الالهي، وتسعى في تقوية إيمانهم في أمره، وعليك ان تسير من طهران الى مازندران وهناك ينكشف لك الكنز الالهي المستور، فسوف يطلب منك ان تقوم بأعمال عظيمة تقل دونها أعظم الأعمال التي وجدت منذ القدم وسوف تتضح لك طبيعة مأموريتك في ذلك المكان وتعطى القوة والهداية حتى توفق لإسداء خدماتك لأمره).

وفي صبيحة اليوم التاسع بعد النوروز قام الملاّ حسين على السياحة في مازندران كما أمر به مولاه. وقال حضرة الباب لقمبر علي أثناء توديعه، ان قمبر علي القديم كان يفتخر ان اسمه قد بقي حتى يشاهد اليوم الذي كان رب سيده يتأوه ليراه وكان يقول بكل شوق (وا شوقاه لرؤية أحبائي الذين يلقون ذلك اليوم).

الحواشي

(1) جبل باسط يوافق جبل ماكو في العدد الأبجدي وكذلك جبل شديد يوافق جبل جهريق، فعدد كل من الأولين 72 وعدد الآخرين 318.

(2) ويقطن في هذا الجبل أناس لا يقدرون ان ينطقوا بكلمة جنة العربية، فكيف يفهمون معناها. فانظروا ماذا جرى لسيد الكائنات. (البيان الفارسي جزء 4 صحيفة 14).

(3) وهي بلاد رئيس الوزراء على الحدود في آذربايجان وقد برزت تلك المدينة من احتجابها في مدة حكم الوزير. وكثير من أهالي ماكو تبوؤا أعلى الوظائف في الحكومة بفضل انتمائهم الى الرئيس الحاجي ميرزا أقاسي. (من المجلة الآسيوية 1866 جزء 7 صحيفة 356 حاشية رقم 1).

(4) وقد أخبرنا الباب بنفسه عن كيفية حياته في السجن الذي حبس فيه وكان يتألم منه كثيراً وكان ذلك كما هو مذكور في البيان ناتجاً من تشديد النظام اتباعا للأوامر الآتية من وقت لآخر من طهران. وجميع المؤرخين سواء من المسلمين او البابيين متفقون انه رغما عن الأوامر المشددة بعدم السماح للباب بالاتصال بأحد، كانت جموع التلاميذ والاتباع تهرع لمقابلته في سجنه وكذلك كان يفعل غير المؤمنين، وقال مؤلف كتاب المتنبئين (وكان البابيون من كل الجهات يأتون الى اذربايجان للحج عند رئيسهم) وقد ورد في البيان قوله (فما أجهلك يا عبدي فقد فعلت ما فعلت ظناً منك انك ترضيني. فبالرغم عن الآيات التي أظهرتها بنفسي وتلك التي تجري بقدرتي التي مخزنها شخص الباب وبالرغم من ان الآيات لا تخرج منه الا بإذني فانك بلا حق وضعته في رأس جبل لا يستحق سكانه ان يذكروا. ولم

يكن أحد موجوداً بالقرب منه ذلك القرب الذي هو عين القرب مني الا أحد حروف الحيّ من كتابي حتى ولم يكن بين يديه اللتين هما يداي خادم ليسرّج له المصباح ليلا. فهذا كان شأن الذي لولاه لم يخلق كل من على الأرض ومن جوده هم متنعمون فلم يسمحوا له بسراج يوقدونه) (الواحد الثاني من الباب الأول). ومع ان الثمرة من كل ذلك (الاسلام) هو الاعتقاد في هذا الظهور فانهم حبسوه في ماكو (الواحد الثاني، الباب السابع). وكل ما كان متعلقا برجل الجنة كان في الجنة. وتلك الغرفة المنفردة التي لم يكن لها باب إنها اليوم أعظم الجنات لأن سدرة منتهى الحق غرست فيها. وتنادي فيها كل الذرات التي تتكون منها، أن لا اله الا الله وإني أنا الله لا اله الا أنا رب العالمين (الواحد الثاني الباب 16). وثمرة هذا الباب ان الناس لما رأوا ان لهم ان يعملوا كل هذا (صرف النقود) لأجل البيان الذي لم يكن الا أثراً ممن يظهره الله، فانهم يحاسبون عما يعملونه لأجل من يظهره الله في وقت ظهوره حتى لا يجري عليه ما جرى علينا في هذا اليوم. يعني انه توجد عدة قرانات في العالم مما تساوي ألفاً من التومانات في حين ان الذي أنزل الآيات قد وضع في جبل وفي غرفة مبنية باللبن الذي جفف في الشمس، ومع ذلك كانت هذه الغرفة ذاتها هي العرش بنفسه (السماء التاسعة التي استقرت عليها الربوبية) وهذا بمثابة نذير للبيانيين حتى لا يعملوا معه ما عمله معنا أهل القرآن (الواحد الثالث الباب 19). (من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 365-367).

ويعتقد الكل فيه ومع ذلك فقد حبسوه في جبل ومع انهم يفرحون بسببه ولكنهم تركوه وحيدا، والذين فعلوا معه هذه الأعمال كانت نفس أعمالهم جحيماً لهم وكذلك لم تكن للمؤمنين جنة أعلى من إيمانهم نفسه (البيان الفارسي جزء 1 صحيفة 126-127).

(5) وكانت الجموع تهرع لزيارة الباب من كل مكان وكان عدد الكتابات والألواح التي صدرت من قلمه في تلك المدة عديدة بدرجة أنها بلغت نحو ماية ألف آية (كتاب التاريخ الجديد صحيفة 238).

فانظروا انه صدر ما يقرب من ماية ألف سطر من مثل هذه الآيات وانتشرت بين الناس، خلاف الخطب المتوالية وأجوبة المسائل العلمية والفلسفية (من البيان الفارسي جزء

أول صحيفة 43). وانظروا أيضا في مسألة نقطة البيان، ان الذين أوتوا العلم يعرفون رتبته قبل ظهوره ولكنه فيما بعد أظهر للآن ما ينوف عن خمسمائة ألف آية في مختلف المواضيع، ومع ذلك تكلموا عليه بكلمات لا يرضى القلم ان يكررها (البيان الفارسي جزء 3 صحيفة 113). وان الآيات التي تدفقت من غمام الرحمة الالهية عديدة لدرجة انه لم يقدر أحد على إحصائها، ويوجد منها الآن نحو من العشرين مجلد وكم منها ما لم يظهر للآن. وكم منها ما نهب ووقع في يد الأعداء ولم يعلم مآله (من كتاب الإيقان صفحة 182-183).

(6) إشارة الى بهاء الله – وقد كتب الباب لملا باقر أحد حروف الحيّ عليه رحمة الله وبركاته (لعلك في السنة الثامنة تفوز برؤياه في يوم ظهوره). (نقلا عن لوح ابن الذئب صحيفة 129).

(7) وعلى هذا النمط كانت كتابات الباب جميعها بعد حبسه في سجن ماكو، فقد خاطب محمد شاه بخطاب طويل نقوم على تحليله وهو يبتدئ بحمد الله الواحد ثم يستمر في المدح على محمد والأئمة الإثنى عشر الذين هم حجر الزاوية في بناء البيان كما يظهر ذلك من الجزء الثاني من هذا الكتاب. وكتب ما يأتي (أقول بأن كل ما سواهم ممن في الإمكان في هذه الدنيا عندهم عدم صرف، واذا ذكر فإنما يكون الكل بمثابة ظل الظل. واستغفر الله من هذا التحديد الذي أصفهم به. لأن درجة المدح الذي يمدحون به هو عدم إمكان مدحهم... ولهذا خلقني الله من طينة لم يخلق أحد من طينة مثلها. وأعطاني ربي ما لا يفهمه العلماء بكل ما أوتوه من العلم وما لا يعرفه أحد الا الذين انمحوا بالكلية أمام آية من آياتي... وأعلم اني بالحق عمود الكلمة الأولى تلك الكلمة التي من عرفها عرف الله ودخل في كل الخير. والذي ما أراد ان يعرفها فقد جهل الله ودخل في كل الشر. فوربك رب الارضين والسموات ان الذي يعيش هنا بقدر ما تسمح له طبيعته ويمضي حياته يعبد الله، وفي جميع أعمال الخير حسبما يقتضيه علم الله، اذا كان في قلبه عداء لي بأقل مما لا يقدر أحد على معرفته الا الله فجميع أعماله الطيبة والصالحة ليس لها من فائدة ولا منفعة ولا ينظر اليها الله الا للعقاب وكان معدودا من بين الأموات. فقد قدر الله كل الخير كما يعرفه

خيراً في طاعتي وقدر كل الشر في مخالفتي وفي الحقيقة اني اليوم أرى في مرتبتي ان كل ما أريد ان أقوله وجميع أهل محبتي وطاعتي في أعلى غرف الجنان. بينما أعدائي مغموسين في أسفل دركات الجحيم. أما عن وجودي فإني أقسم انه لولا اني أجبرت على ان أقبل ان أكون حجة لله فما كنت أقدم على تحذيرك...) وهنا يستمر الباب بكل وضوح يؤيد أقواله في كتاب بيان الحرمين. ولا يزيد عليها شيئا ولا ينقص منها شيئا. قال:- واني أنا النقطة التي ظهر منها كل الوجود وإني أنا وجه الله الذي لن يفنى ولا يطفى والذي يعرفني يصحبه كل الخير والذي ينكرني يأتي خلفه كل الشر. ولما سأل موسى ربه ما سأل وتجلى ربك للجبل تنور من أحد شيعة علي كما يدل على ذلك الحديث (وأقسم بالله ان ذلك النور هو نوري). ألا ترى ان عدد إسمي يساوي عدد اسم الرب ألم يقل الله في القرآن (فلما تجلى ربك للجبل) واستمر الباب في بحث النبوات المذكورة في القرآن وبعض الأحاديث وذكر حديث المفضل الشهير وهو من أكبر الأدلة على ظهوره وفي القرآن يقول في سورة 32 آية 4 (يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) وقد اختفى آخر أيام سنة 260هـ وفي ذلك الوقت تم تدبير الأمر الالهي وأغلق باب العلم. وقد سأل المفضل الإمام الصادق عن علامات ظهور المهدي فأجابه: انه يظهر في سنة الستين ويرتفع أمره، يعني سنة 260 وهي السنة التي كان فيها ظهور الباب. ويقول الباب (قسماً بالله اني لم أتلق الدرس وكان تعليمي كتعليم التجار. وفي سنة الستين امتلأ قلبي بآيات بينات وعلوم حقة وشهادة لله الحق وقد أظهرت دعوتي في تلك السنة بعينها).

وفي تلك السنة أرسلت لك أيضا رسولا (ملاّ حسين بشروئي) ومعه كتاب يحمله لعل الحكومة تفعل ما تراه بالنسبة للحجة. ولكن الإرادة الالهية أقامت الحروب الأهلية التي أصمت الآذان وأعمت الأعين وأقست القلوب حتى بذلك لم يتمكن رسولي من الوصول اليكم وعارضه الذين ظنوا أنفسهم وطنيين. وللآن بعد مرور أربع سنوات لم يخبركم أحد بحقيقة الأمر. والآن قد أقترب وقتي لأن عملي هو عمل إلهي وليس بشرياً ولذلك كتبت إليك بالاختصار. قسماً بالله لو تعلم ما نزل عليّ في هذه المدة من موظفيك ومن مأموريك فان خوف الله يمنعك من الشهيق الذي تردده الآن على شفتيك الا اذا فكرت ورتبت الدخول في

طاعة الحجة وأصلحت حالاً ما حصل وقد كنت في شيراز ووقع علينا من ذلك الطاغية الشرير وهو حاكمها من الظلم ما لو علمت بأقل قليل منه لعاقبته بالقصاص لأن شره قد جلب غضب السماء الى يوم يبعثون على جميع أنحاء المملكة. فهذا الرجل المتكبر الحسود لم يصدر منه أي أمر ينطبق على العقل فأجبرني على مبارحة شيراز وسرت في طريقي الى طهران لمقابلتك ولكن المرحوم معتمد الدولة كان يعلم بحقيقة الدعوة وعمل كل ما يقتضيه واجب الاحترام نحو آل الله. وابتدأ جهال المدينة يثورون وهذا ما جعلني أختبئ في قصر الصدر حتى توفي المعتمد جزاه الله عنا كل خير ولاشك ان ما عمله معنا كان سبباً في نجاته من نار الجحيم.

ثم جاء من بعده جورجين وجعلني أسافر سبع ليال مع خمسة رجال بغير ان يعطينا ما يلزمنا للسفر ومعه ألف أكذوبة وألف ظلم. فيا أسفاً على ما نابني وما أصابني. وأخيراً أمر السلطان بذهابي الى ماكو بدون ان يعطيني ركوبة للسفر عليها، فيا أسفي فقد أصابني ما أصابني ووصلت أخيرا الى هذه القرية التي سكانها جهلاء غلاظ. قسماً بالله لو تعلم في أي مكان سكنت لكنت أول من يرحمني، انه عبارة عن قلعة على قمة جبل وهذا من رعايتك انني سكنت في هذا المسكن؟. وكان عدد الساكنين فيه رجلين وأربعة كلاب، والآن فكّر كيف كنت أمضي وقتي. الا اني مع ذلك شكرت لربي كما يجب ان يشكر. وأقسم بالله ان الذي حبسني هناك كان مسروراً من فعلته ولو كان يعرف الذي عمل معه ذلك حق المعرفة لزال فرحه. والآن أكشف لك عن سر وهو ان ذلك الرجل قد حبس جميع الأنبياء والأولياء في شخصي، والذي أحاطه علم الله، ولم يبق من تعد لم يصبني منه الأنين ... ولما علمت بالأمر الذي أصدرتم في حقي باعتقالي في ماكو كتبت للصدر الأعظم وقلت له واقتلني وأرسل رأسي لأي مكان شئت ولا ترسلني حياً بدون ذنب الى حيث يرسل المذنبون، ولكنه لم يجبني بشيء. وإني لعلى يقين انه لم يكن عالما بحقيقة الحال لأن إغضاب قلوب المؤمنين بغير سبب أشد وأصعب من هدم بيت الله. قسماً بالله اني أنا الآن بيت الله الحقيقي، وكل خير معلق على ما يعمله كلٌ نحوي من الخير، لأنه يكون كمن يعمل الخير لله وملائكته وأحبائه. ولو ان الله وأحباءه قد عَلو عُلواً كبيرا من أن يصل الى تراب عتبتهم أي خير أو

شر من أي انسان. ولكن كل ما يصل اليّ انه يصل الى الله. قسماً بالله ان الذي أمر بحبسي إنما حبس نفسه ولن يصيبني الا ما أراد الله، فآه آه على من يخرج من يده الشر وطوبى لمن يبذل الخير.

وفي نهاية هذه الرسالة الطويلة يقول (أما الأمر الآخر فعن هذه الدنيا الدنية فإن المرحوم المعتمد صرف أعوانه ذات ليلة وخاصة الحاج الملاّ احمد ثم قال لي: "إني أعلم يقيناً ان كل ما ملكته جمعته بالغصب وهو ملك لصاحب الزمان، ولذلك أسلمك جميع مالي لأنك سيد الحقيقة. وأرجو ان تجعلني في حلٍ من حيازته، ثم خلع خاتماً كان في يده وأعطاه لي، فأخذت الخاتم ثم أعدته اليه وجعلته حايزاً لكل أملاكه. والله شاهد على ما أقول وكفى بالله شهيدا. لم أقبل من جميع أملاكه دينارا ولكن لك ان تأمر فيها بما تشاء وبما ان الله أمر ان يكون لكل نزاع شاهدان فمن بين جميع العلماء أطلب السيد يحيى والآخوند ملاّ عبد الخالق فهما يطلعانك على أمري ويوضحان لك آياتي فلا يبقى بعد هذه المقابلة الا أمر واحد وهو إتمام حجتي. لأن أحد هذين الشاهدين عرفني قبل الظهور وأما الآخر فعرفني بعده. ويعلم الاثنان كلاهما ذلك حق العلم. ولذلك اخترتهما").

وينتهي الخطاب بأحاديث وبراهين عديدة حرفية على هذا النحو وكان الباب محزونا جدا في حبسه ومكث فيه كثيرا لأن الخطاب الموما اليه صدر سنة 1264هـ وكانت شهادته في 27 شعبان 1266هـ (8 يوليو سنة 1850م) انتهى. مقتطفا من تاريخ السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 367-373.

(8) وهذا هو الدعاء الذي كان الباب يدعو به كما يذكره في الدلائل السبع وهو مناجاته أثناء حبسه في قلعة ماكو (ما ترجمته) أي رب أنزل عليه وأهله وذريته وأحبائه وأتباعه وأقربائه وكل من على الأرض نوراً يفتح أبصارهم، وسهل أمورهم ومكنهم من الطيبات في الدنيا والآخرة انك فعال لما تريد. أحي اللهم في قلبه ما يقتدر به على تجديد شريعتك ويحيي به ما تغير في كتابك. واظهر له ما أردت من تعديل أوامرك حتى تتجدد شريعتك. وأمنحه في يده كتاباً جديداً طاهراً نقياً لا ريب فيه فلا يشك فيه أحد ولا يقدر ان يغيره او يعدله. فيا الهي أنر بضيائك كل ما هو مظلم وأمح بقوته الثابتة ما غبر من

الأحكام واهلك باعتلائه الذين لم يتبعوا طريق الحق كما تهلك به الظالمين. فأمح بسيفه أعمالهم المجتثة، وبعدله كل ظلم واجعل كل من عنده مطيعاً لأمره. وأقلب جميع الممالك بسلطنته. فيا الهي أنزل من يريد إنزاله وأهلك عدوه وانكر كل من أنكره وشتت شمل كل من خالف حقه وأنكر أوامره وسعى في إطفاء نوره وأمح اسمه (عدوه).

وأضاف الباب هذه العبارات:- اتلو هذه العبارات والبركات مراراً وان لم يكن عندك وقت لتلاوتها بأجمعها فلا تنس أن تتلو الجزء الأخير منها وانتبه لظهور من يظهره الله لأن هذا الدعاء نزل لأجله من السماء حتى لا يصيبه حزن وعلَّمتُ أتباعي ان لا يحزنوا أحداً وقت الظهور لئلا يصيب شمس الحقيقة أي حزن. (كتاب الدلائل السبعة ترجمة نقولاس صحيفة 64-65).

(9) وقد كتب صاحب كتاب المتنبئين ما يأتي (ان البابيين يأتون من كل جهة الى آذربايجان للحج عند رئيسهم). (من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 365 حاشية 227) نقلا عن كلام البرنس علي قلي ميرزا اعتضاد السلطنة مؤلف كتاب المتنبئين.

(10) 9 ديسمبر سنة 1847م - 8 يناير سنة 1848م.

(11) وكتب الباب أثناء إقامته في ماكو جملة كتب ومن جملتها البيان الفارسي والدلائل السبع وكلها مملوءة بالأدلة الدالة على انها كتبت في ذلك الوقت. واذا صدقنا ما ورد في التاريخ الجديد استناداً على أقوال ميرزا عبد الوهاب كانت كتابات الباب المتداولة في تبريز لا تقل عن مليون آية. (مقالة سائح حاشية ل - صحيفة 200). أما بخصوص كتاب الدلائل السبع فكتب نقولاس ما يأتي:- ان كتاب الدلائل السبع من أعظم الكتب الاستدلالية التي أملاها قلم الباب السيد علي محمد (مقدمة صحيفة 1) وكان مكاتبه قد طلب منه جميع الأدلة على رسالته وكان الجواب الذي وصله فريداً في بابه من جهة الإتقان والدقة وهو مبني على آيتين من القرآن (الأولى) قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا(88 الإسراء). (الثانية) وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم (مقدمة صحيفة 5). فالتدليل الذي أتى به الباب جديد في ذاته ولم يسبق له مثيل ومن هذا نلحظ الفائدة العظمى من قراءة هذا الكتاب. ومن اتساع الكتاب

لم تتح لي الفرصة لاستعراض أصول المسائل التي فيه ولو بالاختصار والتي هي قواعد ثابتة والتي يظهر عليها الجمال ومقترنة بالتصديق. وأتعشم ان أقوم بذلك فيما بعد. والآن عندي ملحوظة أقولها عن كتاب الدلائل السبع، فان الباب تكلم في نهاية الكتاب عن المعجزات التي قارنت دعوته. وهذا ما يدعو الى الدهشة لأن الرسول ينكر بتاتاً المعجزات المادية التي ظنوا ان محمداً أتى بها، ولم يذكر له وللنبي العربي من المعجزات سوى نزول الآيات لا غيرها ولم يكن ذلك بسبب عدم إمكان الإتيان بها، بل لأن العجائب المادية هي أحط من العجائب الغير المادية والله يفعل ما يشاء. (مقدمة صحيفة 12–13) (نقلا عن كتاب الدلائل السبع ترجمة نقولاس).

(12) وكان هذا الإقليم معرضا للقلاقل الخطيرة ففي نهاية سنة 1844م وابتداء سنة 1845م كان حاكم بوجنورد قد ثار على الشاه واتحد مع التركمان على إيران، فاستغاث البرنس آصف الدولة حاكم خراسان بطهران، فصدر الأمر للجنرال بابا خان رئيس الجيش الإيراني بإرسال عشرة آلاف رجل لإخماد الثورة ولكن فراغ الخزينة من المال عطل إرسال القوة فامتنع من إطاعة الأمر. ورتب الشاه مشروعا لإرسال حملة الربيع وهو على رأسها وأخذ في إعداد الأهبة لها وكمل تنظيم عشر فرق عبارة عن ألف رجل لكل فرقة انتظروا وصول البرنس حمزة ميرزا الذي تعين رئيسا للحملة وكان حاكم خراسان آصف الدولة خال الملك أحس بفزع من جراء النميمة التي وشي بها في حقه في طهران فحظر فجأة الى البلاط الملكي ووقع على رجل الملك وأعلن إخلاصه لشخصه وطلب معاقبة متهميه وأعدائه وخاصة ميرزا أقاسي رئيس الوزراء القوي وانتهى النزاع بهزيمة الحاكم حيث استلم الأمر بالسفر الى الحجاز مع والدة الملك الى مكة. وكان ابن آصف الدولة سالار محافظا على جامع مشهد وهو رجل غني بنفسه وقوي بمحالفته مع شيخ الأكراد جعفر قلي خان ايلخاني من قبيلة قاجار قد قام بشق عصا الطاعة واستلزم ذلك إرسال ثلاثة آلاف رجل مع الأسلحة وعشرين مدفعا وأعطى إقليم خراسان لحكم حمزة ميرزا، ولما جاءت الأخبار بأن جعفر قلي خان حضر ومعه خيالة من الكرد والتركمانية وقتل بعض فصائل من الجيش الإيراني استلزم الحال إرسال خمس كتايب من الجيش و 18 مدفع وبذلك تم إخماد الثورة في 28 أكتوبر

سنة 1847م (وتسمى موقعة شاه رود "15 سبتمبر" وفرّ جعفر قلي خان والسالار. (من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 257–258).

(13) ومشهد هي أكبر مدينة يحج اليها في إيران وأما كربلاء فهي في ارض تركية وفيها جدث الإمام الرضا، ولا أذكر المئات من المعجزات التي تنسب الى ذلك القبر المقدس وتحصل في كل يوم ويكفي الإشارة الى انه في كل سنة يحضر للحج آلاف من الحجاج لذلك القبر. ولا يرجعون الى بيوتهم حتى يصرفوا آخر قرش على ما فيها من البضائع والصنائع ويجري فيها من أجل ذلك نهر من ذهب بلا انقطاع ويتناول هذه النقود الموظفون السعداء ولا يفتأون يعملون ألف حيلة ليبقوا زبائنهم في شباكهم. ولذلك وجدت هناك أعظم إدارة منظمة في إيران. فلو فرضنا وكان هناك نصف المدينة من الزوار فان النصف الآخر يقومون على خدمتهم والانتفاع منهم، فيكون منهم أصحاب حانات ونزل وفنادق وسماسرة حتى البنات اللائي لا يجدن أزواجا يلجأن اليها للتزوج. ومع انهم جميعا قاموا ضد الرسول الذي لا يعرفونه ويجهلون أحكامه. فلا يخافون من جانبه على شيء إلا بوار تجارتهم فانهم لا يأذنون بذلك. وإذا كان الرسول يقوم على محاربة الفساد فذلك جايز فيما عدا مدينة مشهد من البلاد. أما عندهم في تلك المدينة فمن فيها من كبار وصغار نشأوا على الفساد ولا يعيشون الا عليه. فللإمام المهدي إذن ان يظهر كيف يشاء الا اذا كان ظهوره يضر بتجارتهم. وفي نظرهم انه يصح له ان يجمع الناس حوله وبهم ينتصر وان في ذلك مشقة عليه لمواجهته ضربات قاسية ولكن الناس في مدينتهم هادئون يكسبون عيشهم وأموالهم بدون أي مخاطرة او تعب. (صحيفة 258–259 من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس).

(14) وقال الحاجي معين السلطنة في تاريخه (صحيفة 67–68) ان ميرزا حبيب شيرازي المعروف باسم القايني وهو أحد مشاهير شعراء الفرس كان أول من أنشأ قصيدة في مدح الباب وإعلاء شأنه ومقامه وكانت النسخة الخطية المتضمنة هذه الأشعار قد اطلع عليها مؤلف التاريخ وقد كتب على رأس المديح (في مدح ظهور السيد الباب).

(15) الـ (حين) يوازي 68 أي سنة 1268هـ وهي سنة ظهور بهاءالله في طهران إذ كان محبوسا في سياه شال.

(16) وفي الدلائل السبع يقول الباب أن حديث اذربايجان خاص بهذا الموضوع وهو (ان كلما يحصل في اذربايجان هو بلا شك لأجلنا ولا يمكن لأي أحد ان يمنع حصوله. فاذهبوا إذاً الى بيوتكم ولكن اذا سمعتم بظهور أحد فاذهبوا اليه) ويستمر الحديث (ويل للعرب من شر قد اقترب) ولو كانت هذه الأقوال الصادرة من الرسول خاصة برسالته لما كان لها أي معنى بل تكون عبثاً. (كتاب الدلائل السبعة ترجمة نقولاس صحيفة 47).

الفصل الرابع عشر

رحلة الملاّ حسين في مازندران

وطلب علي خان من جناب الملاّ حسين ان يتأخر بضعة أيام في منزله قبل سفره من ماكو وأظهر رغبته في عمل كل التسهيلات أثناء سياحته الى مازندران، ولكن جناب الملاّ حسين رفض ان يؤخر سفره او ان يقبل ما عرضه عليه علي خان من التسهيلات.

وكان موفياً بالتعليمات التي أعطيت له ولذلك كان يمكث في كل بلدة وقرية من التي أمره حضرة الباب بزيارتها ويجمع الأحباء فيها ويوصل لهم رسالة المحبة والتحيات وتأكيدات مولاه المحبوب، وكان يحيي فيهم الحماس وينصحهم على ان يظلوا ثابتين على أمره، وتشرف في طهران بمقابلة حضرة بهاءالله وحصل منه على المعونة الروحية التي مكنته ان يواجه المخاطر التي اكتنفته بشدة في أواخر أيام حياته بشجاعة وجرأة.

وواصل جناب الملاّ حسين السير من طهران الى مازندران شوقا لمشاهدة أمر الكنز المكنون الذي وعده مولاه بظهوره له، وكان جناب القدوس في ذلك الوقت قاطنا في بارفروش في المنزل الذي كان أصلاً ملكاً لوالده ويعاشر جميع الناس على اختلاف طبقاتهم وبسبب لطف معاشرته واتساع دائرة معارفه اكتسب محبة وإعجاب سكان تلك المدينة. وذهب جناب الملاّ حسين تواً الى

منزل جناب القدوس الذي استضافه بكل ترحاب. وكان يقوم بنفسه على خدمته وعمل كلما في وسعه لراحة ضيفه. فقام على غسل رجله من أدرانها وإزالة ما علق بها من الأوضار. وكان يشرّف مجلسه في مجمع الأحباء ويقدمه بكل احترام لكل حبيب من الذين حضروا لملاقاته.

وفي ليلة وصوله وبعد رجوع الأحباء الذين حضروا العشاء المعد لاستقبال جناب الملاّ حسين الى منازلهم، التفت المضيف الى ضيفه وسأله ان يزيده معلومات بخصوص مشاهداته الدقيقة مع حضرة الباب في قلعة ماكو. فأجابه قائلا (ان الأمور والأشياء التي سمعتها في مدة التسعة أيام التي اجتمعت فيها معه كثيرة ومتنوعة وهو لم يرشدني بصفة خاصة الى الطريقة التي اتبعها لنشر الأمر. ومحصل ما قاله لي "انك في طريقك الى طهران عليك ان تزور الأحباء في كل مدينة وقرية تمر منها. ومن طهران تسير الى مازندران وسيظهر لك هناك كنز مستور وان الكنز سوف ينير لك طبيعة العمل الذي أنت مكلف به" ومن إشاراته أمكنني أن أفهم ولو سطحياً مجد دينه وعلائم ارتفاع أمره في المستقبل. وفهمت من كلماته اني سوف أدعى لأن أضحي في سبيله نفسي الحقيرة، لأنه كان في كل مرة يودعني يؤكد لي فيها اني سوف أدعى مرة أخرى لمقابلته، أما في هذه الدفعة عندما كان يلفظ كلمات وداعه لم يعدني بمثل ذلك الوعد ولا أشار الى ميعاد مقابلتي له في هذه الدنيا، بل كانت آخر كلماته لي "ان ميدان التضحية سريع الاقتراب، فقم وشمّر عن ساعد الجد ولا تسمح لأي شيء ان يمنعك عن الوصول الى المقام الذي قدر لك، فإذا وصلت اليه فاستعد عند ذلك للقائنا لأننا نحن أيضا سنتبعك". وسأله جناب

القدوس "هل أحضرت معك شيئا من كتابات سيدك؟" فلما أجابه سلباً، أهدى جناب القدوس ضيفه بصحائف من كتاب خطي كان في حوزته وطلب منه ان يقرأ بعض فقرات معينة، وإذ قرأ صحيفة واحدة حصل في وجهه تغيير كلي فجائي. وبدت عليه علائم الدهشة والإعجاب وأثارت في قلبه سمو تلك العبارات وتعمقها وتأثير الكلمات وقوة نفوذها، ولهاً شديداً وابتدأ يذكرها بمدح فائق. وإذ وضع الكتاب من يده قال (اني أرى ان مؤلف هذا الكتاب قد استقى وحيه من المنبع الأصلي الذي هو أعلا وأشرف من جميع المنابع التي يستقي منها العلماء معارفهم. واني أشهد بكل قلبي وجوارحي بعلو كعب هذه الكلمات ورفعتها وقبولي لكل الحق الذي تحتويه) وقد استنتج جناب الملاّ حسين من سكوت جناب القدوس ومن أسارير وجهه ان مضيفه هو الشخص الوحيد الذي يقدر ان يكتب هذه الكلمات، فقام من مكانه تواً ووقف برأس منحن على عتبة الباب وقال باحترام (ان الكنز المستور الذي تكلم عنه حضرة الباب قد انكشف الآن أمامي وبدلت أنواره ظلام الحيرة والشك، ومع ان مولاي الآن مستور في حصون جبال آذربايجان إلا ان آية بهائه ومظهر قوته يقف الآن أمامي وقد وجدت في مازندران مرآة عظمته).

فما أعظم وأشد خطل الحاجي ميرزا أقاسي فقد ظن هذا الوزير الأحمق خطأً انه بالحكم على حضرة الباب بالنفي والإبعاد في أحد أركان آذربايجان المحجوبة ينجح في إطفاء النار الالهية الموقدة المتأججة بين مواطنيه. وغاب عنه انه بعمله قد وضع المصباح الالهي على قمة الجبل فساعد بذلك على انتشار أشعته وإعلاء عظمته، وبسوء تدبيره وخطأ حسابه زاده علوا واشتعالا ولم

يقدر على إطفاء هذه الشعلة الالهية. ومن جهة أخرى كانت حكمة جناب الملاّ حسين ولطفه وشجاعته المدهشة التي لا يشك فيها أحد كافية للحكم بصحة هذه الدعوة، لأنه كان بدرجة لو ادعى بعد وفاة السيد كاظم فرضاً انه هو القائم الموعود فان أشهر تلاميذ السيد كانوا لا يحجمون عن تلبية دعوته، بل كانوا يخضعون لسلطانه، حتى ان الملاّ محمد الماماقاني ذلك العالم الشهير من تلامذة الشيخ احمد الإحسائي كان يقول بعد ان تعرف بالملاّ حسين وبعد ان أبلغه الدعوة للأمر الجديد (أشهد بالله لو كانت هذه الدعوة التي ادعاها السيد الباب صدرت من نفس الملاّ حسين لكنت أول من يصدّقها نظراً لما هو عليه من حسن الأخلاق واتساع العلم وكنت إذ ذاك أنشرها على جميع العالم، ولكن ما دام انه اختار ان يخضع لشخص آخر فقد امتنعت من ان أثق في كلماته ورفضت إجابة طلبه). كذلك السيد محمد باقر الرشتي لما سمع الملاّ حسين يحل له بمقدرة فائقة المعضلات الدينية التي أشكلت عليه شهد له بعلو كعبه قائلا (كنت أظن نفسي قادراً على إسكات وتحيير السيد كاظم الرشتي، فلما قابلت وتكلمت مع من يدعي انه أحقر تلاميذه علمت لأول مرة اني أخطأت خطأً فاحشاً في حكمي. فان حجة هذا الشاب والموهبة التي منحها كانت بدرجة لو يحكم بان النهار ليل لكنت أصدق انه يمكنه تقديم براهين كافية تثبت في أعين علماء الدين صحة أقواله).

ورغما من مقام الملاّ حسين هذا فانه في نفس الليلة التي التقى فيها بحضرة الباب رأى نفسه عاجزاً أمامه ورأى ما انطوت عليه الرسالة الجديدة من المنافع العديدة مع انه كان في ابتداء الأمر يظن انه قادر على جحد الدعوة

التي قدمها له ابن تاجر غير معروف في شيراز ارتكانا على ما يعلمه من تفوقه الذاتي. الا انه اعتنق أمره بكل شوق واحتقر وطرح كل ما يعوقه عن تفهم حقيقة الأمر وإعلاء شأنه، ولما سنحت الفرصة للملاّ حسين ان ينظر في كتابات جناب القدوس الفائقة وأدرك سموها، اعترف حالاً بقيمة المواهب الخاصة التي منحت لجناب القدوس صاحب الكلام، فتضاءل اتساع علمه الذي حصّله أمام قوته وصار كالمعدوم تلقاء الفضائل الالهية المحيطة التي ظهرت من روح ذلك الشاب. ومنذ ذلك الوقت أصبح رهن إشارة جناب القدوس الذي تجلت في مرآة فؤاده أشعة شمس مولاه المحبوب، فشعر بأن أول واجباته ان يخضع كلية الى جناب القدوس ويتبع خطواته ويسير طبق إرادته، ويعمل على راحته وسلامته بكل ما أوتي من قوة، ولآخر لحظة من حياته ونسمة من استشهاده، كان الملاّ حسين وفياً بوعده وكان احترامه الزائد لجناب القدوس مسيراً باعتقاد راسخ متين في تلك المواهب الالهية التي شملته والتي هي خارجة عن حدودات البشرية وهي التي ميزته عن باقي أقرانه. ولم يكن لدى الملاّ حسين أي اعتبار آخر سابقاً يجعله يخضع ويحترم من كان يعتبره أولا قرينه ومساويا له في الرتبة. إلا ان فراسة الملاّ حسين وشرف أرومته دفعته الى الاعتراف بهذه الحقيقة الواضحة فأظهرها بما يليق لمقامها. وهكذا حصل التغيير في سلوك الملاّ حسين نحو جناب القدوس، حتى ان الأحباء الذين اجتمعوا صباح اليوم التالي في منزله دهشوا إذ رأوا ان الضيف الذي كان يحتل المقام الأول والذي كان مشمولا بالعطف والإكرام قد ترك مقامه لمضيفه ووقف في محله على العتبة بخضوع تام. وأول ما تكلم به جناب القدوس للملاّ حسين

ان قال له (عليك الآن ان تقوم في هذه الساعة وتتسلح بعصى الحكمة والقوة وتسكت ملأ المعتدين الذين يجتهدون ان يهينوا دين الله. فعليك ان تواجه هؤلاء الجموع وتكسر قوتهم وتتكل على فضل الله وان تعتبر مكائدهم كمحاولة خاسرة لإطفاء أنوار الحق. وعليك ان تجتمع بسعيد العلماء ذلك الطاغية المشهور ذي الضمير السيئ وتبين له بلا خوف معالم امتياز هذا الأمر. ثم تذهب الى خراسان وفي بلدة مشهد تبني منزلا يكفي ان يكون مسكنا لنا ويكون فيه المعدات الكافية لاستقبال ضيوفنا وسنسافر هناك ونسكن في ذلك البيت وندعو اليه كل محب للاطلاع من طلاب الهداية الى معين الحياة الأبدية وسوف نعدّهم وننصحهم أن يتكاتفوا على خدمة أمر الله).

وقام الملاّ حسين في اليوم التالي عند طلوع الشمس لمقابلة سعيد العلماء ودخل عليه وحيداً وبدون معين، وكما أمره جناب القدوس أبلغه الرسالة عن ظهور اليوم الجديد وبفصاحة تامة وبدون وجل أظهر أمر مولاه المحبوب في وسط الجمع الحاشد من تلاميذه وطلب منه ان يكسر تلك الأصنام التي نحتها له وهمه وان يرفع على أنقاضها علم الهداية الالهية ويخلص فؤاده من قيود التقاليد الماضية ويسرع بعد فكها والخلاص منها الى شاطئ النجاة الأبدي وتمكن من رد كل حجة أراد هذا الساحر المغرور ان يدحض بها أمر الرسالة الالهية، وأظهر بمنطقه الذي لا يغلب كذب كل قضية اجتهد في ان يقيمها، وإذ تسلط على سعيد العلماء خوف انفضاض جميع التلاميذ والمريدين من حوله والتفافهم حول شخص الملاّ حسين، شرع الى أحط الوسائل وتذرع بقبيح الأقوال أملاً في لم شعث مقامه، فكان يقذف بالشتائم في وجه الملاّ حسين، وتجاهل

باحتقار قوة البراهين والأدلة التي كان يحاججه بها خصمه وقرر بلا مبرر عدم صلاحية الأمر الذي دعي لقبوله. وما كاد الملاّ حسين يعلم منه عدم قدرته على تفهم أهمية الرسالة التي جاءه بها حتى قام من مجلسه وقال له (ان حجتي قصرت عن ان توقظك من نوم غفلتك. وان أعمالي في الأيام المستقبلة ستريك وتبرهن لك قوة الرسالة التي رأيت احتقارها). وكان يتكلم بقوة وتأثير جعل سعيد العلماء يرتبك كلية ومن شدة رعبه لم يقدر على الجواب، ثم التفت الملاّ حسين الى بعض الحاضرين في ذلك المجلس ممن ظهر عليهم التأثر من كلماته وطلب منهم ان يخبروا جناب القدوس بما وقع في هذه المقابلة، وقال لهم (قولوا له بما انك لم تأمرني بالمثول أمامك لذلك سأقوم بتنفيذ كل ما أمرتني بعمله).

وقام جناب الملاّ حسين فريداً ومنقطعاً عن كل ما سوى الله وسافر الى مشهد ولم يكن معه أثناء سيره الى خراسان سوى الرغبة في إتمام أوامر جناب القدوس وما يكن في ضميره للوفاء بوعده الثابت، فذهب تواً الى منزل محمد باقر قايني وتمكن من ان يشتري في جوار هذا المنزل في بالاخيابان قطعة أرض وابتدأ بتشييد منزل عليها حسب الأمر وأسماها (البابية) وهو اسم تدعى به الى هذا اليوم. وبعد إتمام بنائها وصل جناب القدوس الى مشهد وسكن في المنزل وجاءت جموع الزوار الذين أعدهم الملاّ حسين بهمة وحماسة الى اعتناق الأمر ورغبوا باختيارهم للانضمام تحت رايته، وكانت يقظة الملاّ حسين وانتباهه للعمل على نشر المعارف التي جاء بها الأمر الجديد والطريقة المثلى التي قام بها جناب القدوس على تهذيب أتباعه قد أحدثت موجة شديدة من الحماس عمّت جميع مدينة مشهد. وسرعان ما انتشر تأثيرها خارج حدود

خراسان واصبح منزل البابية مركزا يلم شعث جميع المخلصين الذين عزموا عزما أكيداً متشبثين بكل ما أوتوا من قوة لاظهار القوى الباطنية العظيمة التي يكنها إيمانهم بالأمر.

الفصل الخامس عشر

رحلة الطاهرة من كربلاء الى خراسان

وإذ اقتربت الساعة التي فيها يأمر الله، أخذت الحجب المانعة من ظهور الدين الالهي في خراسان تتلاشى، واشتعلت النار الالهية في قلوب أهل خراسان، حتى أذابت وأحرقت أعظم الموانع والعقبات في طريق الاعتراف النهائي بالأمر[1]. فزادت النار المشتعلة في القلوب بدرجة أن شعر الجميع حتى في الأقاليم النائية في إيران بقوة إحيائها للنفوس، فانمحى كل أثر للشكوك والهواجس من قلوب الأحباء، تلك التي كانت تمنعهم عن تفهم عظمة الأمر، ودنت الساعة التي فيها زالت جميع الموانع التي حجبت تقدير جمال الأمر حق التقدير. وخاب ظن العدو الذي أمر بإبعاد صاحب الأمر مظهر الجمال الالهي (حضرة الباب) وفصله عن أتباعه رغبة من هذا العدو في أن يتمكن بهذه الوسيلة من إطفاء شعلة محبته الموقدة في القلوب. ولكن يد القدرة كانت تعمل بجد على إخماد مقاصد الأعداء وإحباط أعمالهم، فأوقد الباري بيد جناب القدوس ناراً ربانية مشتعلة في صدور أهل خراسان في أقصى مدن إيران شرقاً. وكذلك في كربلاء خارج الحدود الغربية أشعل نور الطاهرة الذي أضاء جميع إيران. وارتفع النداء الغيبي من شرق وغرب المملكة آمراً هذين النورين ان يسرعا الى أرض الطاء (طهران) فجر المجد وموطن حضرة بهاءالله وان يمتثلا

أمامـه ويطيعـا أمـره ويطوفـا حـول كوكـب هدايتـه ويشـدا أزره ويهيئـا الطريـق لإعلان وحيه.

واتباعا للأمر الالهي نزل لوح من قلم حضرة الباب في تلك الأيام التي كان جناب القدوس لا يزال فيها قاطناً في مشهد. وفي ذلك اللوح يأمر جميع الأحباء في إيران بالإسراع الى ارض الخاء من إقليم خراسان[2] وانتشر هذا الأمر بسرعة البرق وأهاج حماسا عاما ووصل الى سمع الطاهرة التي كانت إذ ذاك مقيمة في كربلاء وتعمل جهدها لاتساع نطاق الأمر الذي اعتنقته. وكانت تركت[3] موطنها قزوين ووصلت بعد وفاة السيد كاظم الى تلك المدينة المقدسة انتظارا لمشاهدة العلائم التي أخبر بها السيد الراحل. وبيّنا في الصحائف السابقة كيف اكتشفت بوجدانها حقيقة الأمر واعترفت بصحته طوعاً، فرأت في نفسها ان فجر يوم الله الموعود قد طلع من مدينة شيراز بدون ان يعلمها أحد ويدعوها. وحررت رسالة لمنبع هذا النور تعرض فيها إخلاصها وخضوعها.

وكان رد حضرة الباب السريع على قبولها اعتناق الأمر بدون مقابلته قد أحيا فيها الحماس، وزاد كثيرا في شجاعتها، فقامت على نشر تعاليمه بكل قوتها وانتقدت بشدة فساد أخلاق جيلها، وعملت بكل شجاعة على أحداث انقلاب فكري بتغيير عادات وأخلاق الأهالي[4] وكانت نار محبة حضرة الباب أشعلت روحها التي لا تقهر وزاد شرف ما كشفته من البركات الفائضة المكنونة في أمره وزادت شجاعتها الباطنية وقوة خلقها أضعافا مضاعفة بسبب اعتقادها اليقيني في نصرة الأمر النهائية، وضاعف مجهودها الذي لا حد له، عرفانها مقدار فضل هذا الأمر الذي قامت على ترويجه فكان كل من يقابلها في

كربلاء ينجذب من فصاحتها وسحر بيانها ويشعر بالخضوع من أثر كلماتها ولا يقدر أحد ان يقاوم تأثير لطفها، او يفلت من الانضمام الى لوائها وكان الكل يشهد بكمال أخلاقها وسموها ويعجبون بشخصيتها المدهشة ويقتنعون بصدق يقينها.

وتمكنت من ان تبلغ أرملة السيد كاظم التي ولدت في شيراز وكانت أولى المؤمنات بين نساء كربلاء اللائي اعتنقن الأمر. وسمعت الشيخ سلطان يصف إخلاصها للطاهرة واعتبارها والدتها الروحية وصديقتها الحميمة. وقد كان من أكبر المعجبين بأخلاق أرملة السيد كاظم، وكثيرا ما كان يشهد بسمو أخلاقها وكثيرا ما كان الشيخ سلطان يقول (ان تعلقها بالطاهرة أشتد لدرجة انها كانت لا تسمح لضيفتها العظيمة ان تغيب عنها ولو ساعة واحدة. فكان عظيم تعلقها بها مما يثير إعجاب صويحباتها ويقوي يقينهن وإيمانهن عرباً كن أم عجماً ممن كن يفدن عليها للزيارة في منزلها. وفي السنة الأولى من اعتناقها للأمر وقعت مريضة. وبعد ثلاثة أيام فارقت الحياة كما حدث للسيد كاظم نفسه).

ومن بين الذين أقبلوا الى الأمر بتبليغ الطاهرة الشيخ صالح الكريمي وهو عربي قاطن في تلك المدينة، فكان أول من استشهد في هذا الأمر في طهران وكان مدحها له عظيماً لدرجة ان البعض ظن انه يكون مساوياً في الرتبة لجناب القدوس. وكان الشيخ سلطان أيضا من الذين آمنوا على يدها ووقعوا في أسر تأثيرها. وإذ رجع من شيراز اعتنق الأمر بكل جسارة وقوة وتأثير، وبذل جهده على إعلاء شأنه، وتنفيذ أوامر الطاهرة ورغباتها.

وكان الشيخ محمد الشبل أيضاً من المعجبين بها وهو والد محمد مصطفى وعربي من سكان بغداد وله مقام كبير بين علماء المدينة. وبمساعدة هذه الفئة المنتخبة من الأتباع القادرين والمخلصين، أشعلت الطاهرة قلوب العديدين من العرب والعجم من سكان العراق وأدخلتهم تحت لوائها، وقادت أغلبهم للانضمام الى إخوانهم في إيران من الذين دعوا لنصرة أمر الله بأعمالهم وما قدر لهم من سفك دمائهم وتضحية حياتهم.

وكان نداء حضرة الباب الموجه أصلا الى أتباعه في إيران، قد وصل أيضا الى المؤمنين في العراق، وأجابت الطاهرة النداء في الحال وبكل فرح وإجلال، واقتفى أثرها جم غفير من المخلصين المعجبين بها من الذين أظهروا رغبتهم واستعدادهم للسفر تواً الى خراسان.

وكان علماء كربلاء قد اجتهدوا في أن يثنوا عزمها عن السفر. وإذ كانت عالمة بالداعي الذي حركهم لنصحها على هذا المنوال ومتيقنة من تدبيرهم السيئ، حررت لكل من هؤلاء السفسطائين رسالة مطولة أظهرت فيها الأسباب التي دعتها الى السفر وأبانت لهم مكرهم[5] ودهاءهم وسوء نياتهم. وسارت من كربلاء الى بغداد[6] وقابلها مندوبون من أقدر الرؤساء لجميع الهيئات الدينية في المدينة من شيعة وأهل سنة ونصارى ويهود، وأرادوا إقناعها بالعدول عن السفر لعدم فائدته، فتمكنت من إسكاتهم ودحض حججهم فتركوها وهم متحيرون مرتبكون عالمون بعجزهم[7]. وفي كرمنشاه قابلها العلماء بالاحترام وأظهروا لها عظيم تقديرهم وإعجابهم[8]. وفي همدان[9] كان الرؤساء الروحانيون في المدينة منقسمين في مسلكهم نحوها، وكان القليل منهم يحرك الناس ضدها لاحتقارها

لهم، وكان البعض الآخر يتغنى علناً بفضائلها ويعجب بشجاعتها. وكان هؤلاء الأصحاب يتكلمون من المنابر قائلين (انه مما يليق بنا ان نتبع مثالها الشريف ونطلب منها ان تكشف لنا عن أسرار القرآن وان تحل لنا مشكلات الكتاب، لأن كل ما وصلنا اليه لم يكن الا كقطرة من بحر بالنسبة الى علمها) وأثناء إقامتها في همدان قابلها الذين أرسلهم لها والدها الحاج ملاّ صالح من قزوين للترحيب بها وتحريضها على زيارة موطنها وإطالة مكثها بينهم[10]. فقبلت ذلك بعد تردد، وقبل ذهابها أمرت الذين رافقوها من العراق ان يذهبوا الى موطنهم، ومن بينهم الشيخ سلطان والشيخ محمد الشبل وابنه الصغير محمد مصطفى عابد، وابنه ناصر الذي تسمى فيما بعد بحاجي عباس. وأما رفقاؤها الذين هم من أهالي إيران مثل السيد محمد گلبايگاني الذي اسمه الكتابي الطائر والذي سمّته الطاهرة "الفتى المليح"، وغيرهم فأمرتهم ان يعودوا الى أوطانهم. ولم تُبْقِ معها سوى الشيخ صالح الكريمي والملا ابراهيم المحلاتي وشرب كلاهما كأس الشهادة، الأول في طهران والثاني في قزوين، ومن أقربائها ميرزا محمد علي، أحد حروف الحيّ زوج أختها، وكذلك نسيبها السيد عبد الهادي الذي تزوج ابنة اختها وكانا مرافقين لها في الطريق من كربلاء الى قزوين.

وإذ وصلت الى منزل والدها أرسل ابن عمها ذلك العاتي الخبيث ملاّ محمد بن الملا تقي الذي ظن نفسه بعد والده وعمه أقدر مجتهدي إيران، أرسل اليها بعض نسوة من منزله لاقناعها لتنقل مسكنها من عند والدها الى منزله، فأجابتهن (قولوا لهذا القريب الأحمق المغرور لو كان قصدك حقاً ان تكون رفيقا لي وزوجا، لكنتَ أسرعت لمقابلتي في كربلاء، ولسرتَ على قدمك

لحراستي وحراسة هودجي طوال الطريق الى قزوين، وإذ ذاك كنت أثناء سفري معه أقدر ان أوقظه من نوم غفلته وأظهر له طريق الحق، ولكن ذلك لم يقدّر له وقد مرّ على فراقنا ثلاث سنوات فلا يمكن له في هذه الحياة ولا في الحياة الآخرة ان أجتمع به، فقد طرحته كلية من حياتي للأبد). وكان الجواب قاسياً شديداً بدرجة أهاج وأغضب الملاّ محمد ووالده وحكما عليها بالكفر، واجتهدا ليل نهار ان ينتقصا من مقامها وان يثلما شرفها[11]. وكانت الطاهرة تدافع عن نفسها بحماس، وأظهرت لهما نقائص صفاتهما. وكان والدها العاقل الساكن يتأسف لهذا النزاع المر واجتهد في عمل الصلح والوفاق بينهما ولكنه خاب في مسعاه.

واستمر هذا النزاع الى ان حضر الملاّ عبد الله من سكان شيراز وهو أخلص أتباع الشيخ أحمد والسيد كاظم، ووصل الى قزوين في أول شهر رمضان سنة 1263هـ[12]. وحكى الملاّ المذكور إذ كان يحاكم في طهران أمام صاحب الديوان قال:- [إني لم أكن يوما ما بابياً، وإذ وصلت الى قزوين في طريقي الى ماكو بقصد زيارة الباب والتحري عن دعوته، علمت ان البلد في هياج شديد. وبينما كنت أمر في المدينة رأيت كثيراً من الغوغاء والأوشاب خلعوا عمامة رجل وحذاءه ولفوا رقبته بالعمامة وسحبوه وسط المدينة وهم يتوعدونه بتهديداتهم ويؤذونه بضرباتهم ولعنتهم. وكانت جريمته التي لا تغتفر كما أخبروني، انه تجاسر على مدح الشيخ أحمد والسيد كاظم وإظهار فضائلهما علناً، ولذلك حكم عليه الملاّ تقي حجة الاسلام بالكفر وأمر بطرده من المدينة، فذعرت من ذلك وقلت في نفسي: كيف يكون مريد الشيخين كافراً

ويعامل بمثل هذه المعاملة القاسية؟ ورغبة في التحقق من صدق هذه الرواية ذهبت الى محل درس الملاّ تقي نفسه وسألته اذا كان أصدر مثل هذا الحكم عليه. فقال (ان المرحوم الشيخ احمد البحرين "الاحسائي" يعبد إلهاً لا يمكن ان أصدقه فيه واني اعتبرته وأتباعه عنوان الخطأ والزلل). قال الملاّ عبد الله: وكنت أريد أن أصفعه على وجهه أمام تلاميذه ولكني تداركت نفسي وحلفت أن أقطع حلقه ولسانه بخنجري حتى لا يقدر مرة أخرى ان يتفوه بمثل هذه الشتائم. فتركته تواً وذهبت الى السوق واشتريت خنجراً ومدية من أحد أنواع السلاح، وخبأته في حجري لأشفي به غليلي منه، وتحينت الفرصة، ودخلت ذات ليلة المسجد الذي كان يؤم الناس فيه للصلاة وانتظرت لغاية الفجر الى ان رأيت عجوزاً دخلت المسجد ومعها سجادة فرشتها على المحراب ووجدت الملاّ تقي دخل وحده وأخذ يصلي، فجئت من خلفه بسكون واحتراس وتبعته ووقفت خلفه، وإذ خرّ على وجهه ساجداً سحبت مديتي وغرزتها في قفاه فصاح صيحة قوية فقلبته على ظهره واستللت خنجري وغرزته عميقاً في حلقه ثم طعنته جملة طعنات في صدره وجوانبه وتركته يدمي في المحراب.

ثم صعدت الى سطح المسجد وراقبت صياح واضطراب الجمهور، فهرع الناس اليه ووضعوه على نقالة ونقلوه الى منزله. ولما لم يُعلم القاتل، انتهز الناس الفرصة للتشفي والانتقام من بعضهم البعض أمام الحاكم. ولما رأيت ان عدداً غفيراً من الناس أوذي أذى بليغاً وطرحوا في السجن، ناداني صوت الضمير أن أعترف بعملي. فطلبت المثول بين يدي الحاكم وقلت له (إذا أتيتك بالقاتل فهل تعدني أن تطلق سراح المظلومين الذين يعذبون مكانه؟) ولما أكد

لي ذلك، اعترفت بما عملته. ولم يكن في بادئ الأمر يميل الى تصديقي، وبناء على اعترافي أحضر العجوز التي فرشت السجادة، ولكن لم يقتنع بالشهادة التي أدتها. وأخذوني الى سرير الملا تقي الذي كان مشرفا على الموت، وبمجرد ان رآني عرفني، وفي اضطرابه أشار بإصبعه عليّ للدلالة على اني أنا القاتل وأظهر رغبته في ان يبعدوني عنه. وبعد برهة توفى، ثم قبضوا عليّ وأودعوني السجن. ولكن الحاكم لم يف بالوعد ولم يقبل إطلاق سراح باقي المتهمين].

وكانت سلامة طوية الملاّ عبد الله وصدقه قد أعجبت صاحب الديوان، فأعطى أوامر سريّة لخدّامه ان يسهلوا له هربه من السجن. وفي نصف الليل التجأ السجين الى منزل رضا خان السردار الذي كان مقترنا بأخت السباه سالار، وبقي مختبئاً في ذلك المنزل الى ان حصلت حادثة المعركة العظيمة عند قلعة الشيخ طبرسي، حيث عزم على الاشتراك مع المدافعين الأبطال في تلك القلعة. وفيها شرب كأس الشهادة مع رضا خان السردار الذي تبعه الى مازندران. وكانت حادثة القتل هذه قد أهاجت غضب ورثة الملا تقي، وعزموا على ان ينزلوا انتقامهم بسببها على الطاهرة. ونجحوا في حبسها في منزل والدها، وجعلوا عليها نسوة حراساً وأمرن ان لا يسمحن لها بمغادرة الغرفة إلا للتوضؤ فقط. واتهموها فعلا بالتحريض على القتل وقالوا (لا نتهم غيرك أحداً بقتل والدنا لأنك أصدرت أمراً بقتله) وأرسل الذين قبض عليهم في هذه الحادثة الى طهران، وفيها حبسوا في منزل الكدخدا في العاصمة. وانتشر أصحاب وورثة الملا تقي في جميع الجهات يتهمون المحبوسين بأنهم انشقوا عن الاسلام وطلبوا إعدامهم حالاً.

وعلم حضرة بهاءالله الذي كان قاطناً إذ ذاك في طهران بحال ومصير هؤلاء المسجونين الذين كانوا مساعدين ومعاونين للطاهرة. وعزم على زيارتهم في منزل الكدخدا الذي كان من أصحابه وأراد ان يتداخل في أمرهم، ولكن هذا الموظف المخاتل الطمّاع كان يعلم حق العلم بجود وكرم حضرة بهاءالله، فأراد ان يتخذ من هذه الحادثة وسيلة للحصول على منافع مالية لنفسه، فأخذ يبالغ في وصف المصائب التي حلت على المحبوسين التعساء ويقول (انهم محرومون من ضروريات الحياة، جياع وملابسهم رثة) فأرسل حضرة بهاءالله مساعدة مالية حالا لإنقاذهم، وطلب من الكدخدا تخفيف وطأة الحبس عليهم. فأطلق المذكور سراح البعض منهم ممن كانوا غير قادرين على تحمل ثقل السلاسل والقيود. وعمل جهده في تخفيف حبس الباقين. وإذ حركته الأطماع، أخبر رؤساءه بالأمر وان حضرة بهاءالله يمد هؤلاء المحبوسين بالمال اللازم وبالطعام.

فابتدأ هؤلاء الموظفون أيضا بدورهم في السعي للحصول على كل ما يمكن الحصول عليه من المنافع من كرم حضرة بهاءالله وجوده. فطلبوه أمامهم واحتجوا على عمله واتهموه بالاشتراك مع هؤلاء المحبوسين في جريمتهم، فأجاب حضرة بهاءالله (ان الكدخدا أظهر لي شدة احتياجهم وآلامهم، وشهد أمامي ببراءتهم وطلب مني مساعدتهم. والآن تتهمونني بجريمة أنا بريء منها جزاء على المساعدة التي أسديتها بناء على طلبه). ولكنهم لم يقبلوا ان يصرحوا لحضرة بهاءالله ان يعود الى منزله مؤملين ان يخيفوه بالعقاب، فكان حبسه أول ضير أصابه في سبيل أمر الله وأول حبس قضاه في سبيل أحبائه. ومكث على

هذه الحالة بضعة أيام الى ان تمكن جعفر قلي خان أخ ميرزا أقا خان النوري الذي تعين فيما بعد رئيس وزراء الشاه وآخرون من إخوانه من إخلاء سبيل حضرة بهاءالله. وكان الذين حبسوه يأملون الحصول على مبلغ ألف تومان مقابل الإفراج عنه، ولكنهم وجدوا أنفسهم مضطرين لإجابة رغبات جعفر قلي خان بدون ان يحصلوا منه او من حضرة بهاءالله على أقل مكافأة. وسلموه المحبوس بعد إبداء اعتذاراتهم المتكررة وتأسفهم العظيم.

وكان ورثة الملا تقي في هذه الأثناء يبذلون جهدهم للانتقام لدم قريبهم الشهير، وإذ لم يقتنعوا بما سبق لهم إنجازه، تقدموا بالطلب الى محمد شاه نفسه وسعوا في ان يكسبوا عطفه على قضيتهم، وقيل ان الشاه أجابهم بالآتي (ان والدكم الملا تقي لا يمكن ان يبلغ رتبة أعلى من رتبة الإمام علي أمير المؤمنين الذي لما علم أتباعه انه وقع ضحية لسيف ابن ملجم لم يعدموا أحدا سواه، فلماذا لا يكون القصاص في قتل أبيكم على هذا النحو، فلا يعدم سوى القاتل وحده، فأحضروا لي القاتل وأنا أصدر الأوامر أن يسلموه لأيديكم لتوقعوا عليه الجزاء الذي ترون انه يستحقه).

ولما كان مسلك الشاه غير مطابق لرغباتهم، تركوا الآمال التي كانوا يتعلقون بها وادعوا ان القاتل لوالدهم هو الشيخ صالح الكريمي. وحصلوا على أمر بالقبض عليه، ورضوا لأنفسهم قتله ظلماً. فكان أول من سفك دمه في ارض إيران في سبيل أمر الله وهو أول الجماعة الذين سجلوا بدمائهم المسفوكة نصرة دين الله المقدس. وبينما كان يقاد الى محل الشهادة كان وجهه يلمع بالفرح والحماس، وأسرع الى مكان التنفيذ وقابل الجلاد كأنه يقابل صاحباً عزيزاً

وصديقاً حميماً، وكانت تتساقط من فمه كلمات الأمل والنصر بدون انقطاع وصاح بفرح عند دنو أجله (إني تركت آمال واعتقاد القوم منذ عرفتك يا من أنت أملي ويقيني). ودفنت بقاياه في حوش ضريح الإمام زاده زيد في طهران.

وأخذ ورثة الملا الذين لم يكتفوا باستشهاد الشيخ صالح يبحثون عن طرق جديدة لإشباع نهمهم بسبب الضغينة الشديدة التي حركتهم، ولكن صاحب الديوان أفلح في إعلام الحاج ميرزا أقاسي بأن ورثة الملا تقي ذووا قصد سيئ، ولذلك لم يلتفت الى طلبهم الا ان ذلك لم يمنعهم من ان يتقدموا بشكواهم الى الصدر الاردبيلي وهو رجل مشهور بين رؤساء إيران الدينيين بالغرور والكبر. فكتبوا اليه قائلين (أنظر الى هذا الازدراء الذي وقع على أرباب الذين وكِّلَ اليهم في مهمتهم الرئيسية حفظ وصيانة أمر الشريعة، فكيف تسمح وأنت رئيسها ومبيّن أحكامها ان تبقى مثل هذه الجريمة والجرأة المتناهية دون عقاب، فهل تعجز عن الانتقام لدم النائب عن رسول الله، وأعلم انك لو سمحت بوقوع أمثال هذه الجريمة الشنيعة فان فيضان التعدي يعم الذين هم مخازن التعاليم والأصول الدينية. وأعلم ان سكوتك يجعل أعداء الاسلام يتجرأون لنقض ذلك البنيان الذي أقمته بيديك وتكون حياتك أنت أيضا آخر الأمر في خطر).

فارتعب الصدر الاردبيلي على شأن اجتهد في ان يحتال على مليكه، وقدّم له الطلب الآتي:- (اني أتضرع لجلالتك ان تسمح للمحبوسين ان يعودوا الى قزوين بصحبة ورثة ذلك الرئيس المقتول حتى يتمكنوا (الورثة) من تلقاء أنفسهم ان يسامحوهم علناً عن أعمالهم ويمكنوهم من استرداد حريتهم، ومثل هذا العمل يرفع شأنهم ويجعلهم محترمين في أعين مواطنيهم). ولما كان الشاه

غافلا عن الترتيبات وحيل ذلك الدّساس المحتال، قبل هذا الرجاء بشرط ان يصله إخطار كتابي عن حالة المحبوسين بمجرد وصولهم الى قزوين، وان لا يصيبهم أذى في المستقبل.

وما كاد هؤلاء الأشرار يستلمون المحبوسين حتى أخذوا يشفون غليلهم ويصبون عليهم جام انتقامهم. وفي أول ليلة تسلموا المحبوسين أعدموا الحاج أسد الله، أخ الحاج الله وردي، عم محمد هادي ومحمد جواد فرهادي، وكان تاجراً في قزوين اشتهر بالصلاح والتقوى بدرجة عظيمة لا تقل عن تقوى أخيه الشهير. ولعلمهم بعدم إمكانهم توقيع العقاب عليه في بلدته كما أرادوا، عزموا على قتله في طهران بطريقة تبعد عنهم شبهة اقتراف جريمة القتل. ففي نصف الليل ارتكبوا فعلهم الشنيع، وفي صباح اليوم التالي ادعوا انه توفي بمرض ألم به. وأما معارفه وأصحابه الذين هم من قزوين فلم يتمكنوا من كشف الجريمة التي قضت على حياة مثل هذا الشخص العظيم، فدفنوه بالاحترام اللائق به.

أما باقي الرفقاء، فقد اعدموا بمجرد وصولهم الى قزوين بحالة وحشية. وكان من بينهم الملاّ طاهر الشيرازي والملا ابراهيم المحلاتي وكلاهما مشهور بعلمه وأخلاقه، فان الأهالي الذين سبق تحريضهم من قبل بخديعة، هاجوا وماجوا وهجموا عليهم لاعدامهم، وحضرت طائفة من الرعاع الأوشاب وتسلحوا بالنشاب والسكاكين والبلط والمطاوي وقطعوهم إرباً إرباً وبدرجة من الوحشية بحيث لم يبق من أشلائهم جزء يصلح للدفن.

فيالله كيف يقع في بلدة مثل قزوين هذه الأفعال بوحشية لا تكاد تصدق، ومع ان هذه البلدة تفخر بانها تجمع داخل أبوابها ما لا يقل عن ماية عالم من

رؤساء الدين في الاسلام، فلم يوجد فيها من يرفع صوته احتجاجا على هؤلاء القتلة السفاكين، ولا من يسألهم كيف جاز لهم اقتراف مثل هذه الأعمال الظالمة المخجلة. ولا من يقدّر مقدار الفرق العظيم بين هذه الأعمال الوحشية التي يقترفها من يدّعون انهم مخازن أسرار الاسلام، وبين أعمال السلف الصالح الذين ظهر نورهم في جميع العالم، فلم يوجد من يصيح ويقول: (أيها الجيل الفاسق الشرير كيف وقعتم في هاوية العار والشنار في أعمالكم المفجعة التي هي أردأ من أخس الأعمال الصادرة من أرذل الناس. ألم تدركوا ان وحوش الفلاة أو أي مخلوق على وجه البسيطة لا ينحط في وحشيته ليرتكب أمثال أعمالكم، فالى متى تتيهون ولا تنتبهون؟ ألم يكن من أساس اعتقادكم ان صلاة الجماعة لا تصح الا بصداقة وأمانة إمامها؟ ألم تقرروا مراراً وتكراراً ان هذه الصلاة لا تقبل أمام الله الا اذا كان قلب الإمام طاهراً من كل أثر من آثار الشرور؟ ومع ذلك تعتبرون القوم الذين حرضوا وساهموا في ارتكاب مثل هذه الفضائع انهم رؤساء حقيقيون جديرون بالرئاسة الدينية وانهم عنوان اللطف والعدل. ألم تسلموهم زمام أمور الدين وتعتبروهم متصرفين في أموركم ومستقبلكم؟).

ووصلت أخبار هذه الفاجعة الى طهران وانتشرت فيها بسرعة البرق. واصبح الحاج ميرزا أقاسي متحيراً واحتج بشدة قائلا (بأي آية في القرآن او بأي حديث من الأحاديث النبوية يصح قتل أشخاص عديدين انتقاما لدم رجل واحد؟). وكذلك غضب محمد شاه من خيانة الصدر الاردبيلي وأعوانه، وسخط عليه من جبنه، ونفاه من العاصمة، وحكم بنفيه الى بلدة قم. وسُرّ الوزير الكبير

من طرده من الوظيفة، وكان دائم السعي في إسقاطه من قبل، ولكن بدون جدوى. فلما نفي الصدر من طهران تخلص الوزير من الأفكار المقلقة التي كانت تساوره بخصوص اتساع سلطة الصدر. ولم يكن سخطه على حادثة القتل التي وقعت في قزوين ناشئاً عن عطفه على الضحايا المظلومين، بل عن الرغبة في التشفّي من الصدر الاردبيلي وسقوطه بما أوجب احتقاره أخيراً في أعين مليكه.

ولما عجز الشاه وحكومته عن إيقاع العقاب على المعتدين، ازدادوا جرأة وأخذوا يبحثون عن وسائل جديدة لصب كأس انتقامهم وإشباع أحقادهم التي لا تتوانى وظمأهم لسفك دماء أخصامهم، فالتفتوا الى الطاهرة نفسها، وعزموا على ان يذيقوها نفس الكأس التي شربها أقرانها. فلما علمت الطاهرة بقصدهم وهي في حبسها، كتبت الرسالة الآتية الى الملا محمد الذي ورث مقام أبيه وأصبح إمام الجمعة المعروف في قزوين، وقالت له (انهم عبثا يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون)(قرآن 9–33). فاذا كان الأمر الذي أتبعه هو الحق وكان الرب الذي أعبده هو الإله الواحد الحق فإنه قبل مرور تسعة أيام يخلصني من ظلمكم وان لم يفعل، تكونوا أحرارا في ان تعملوا فيّ ما تشاؤون وتكونون أثبتم فساد اعتقادي). واختار الملا محمد ان يتجاهل هذه المباهلة لأنه لا يقدر ان يقبلها. وسعى في الاحتيال بكل وسيلة وخداع ان يتمم مقصوده.

وقبل الساعة التي عينتها الطاهرة، رغب حضرة بهاءالله في خلاصها من حبسها وإحضارها الى طهران، وان تظهر لأعدائها صدق كلامها وتهدم بناء

التدبيرات التي أعدها أعداؤها لقتلها. فدعى محمد هادي فرهادي وأوكل اليه أمر نقلها الى منزله في طهران ودفع اليه خطابا مختوما ليسلمه الى الطاهرة بواسطة زوجته خاتون جان. وأمره ان يطلب منها ان ترتدي لباس سائلة لتدخل في المنزل الذي حبست فيه الطاهرة وتدفع لها الخطاب، وان ينتظر هو على باب المنزل حتى تأتي اليه ويحضرها عنده. وقال حضرة بهاءالله للرسول (بمجرد ان تأتي إليك الطاهرة قم تواً الى طهران. وفي نفس الليلة سوف أرسل الى باب قزوين رسولا ومعه ثلاثة جياد، فتستلمها وتودعها مكانا أمينا خارج السور، ثم تأخذ الطاهرة الى هذا المكان، وتركبوا معاً الجياد وتسيروا في طريق غير مطروق، وتجتهدوا ان تصلوا قبل طلوع النهار الى ضواحي العاصمة. وبمجرد فتح الأبواب تدخلون المدينة وتتقدمون الى منزلي. واحترس جداً لئلا ينكشف أمركم. والله يهديكم ويسدد خطاكم ويحفظكم في كنف حفظه وحمايته التي لا تضام).

وقام محمد هادي على تنفيذ تعليمات حضرة بهاءالله مطمئناً بتأكيداته، فلم يعترضه في طريقه أي مانع، وأدى الخدمة المطلوبة على أتم وجه وتمكن من إنقاذ الطاهرة سالمة في الساعة المعينة الى منزل مولاه. وقد أثار نقلها الفجائي الخفي من قزوين دهشة فيما بين الأحباء والأعداء على السواء. وأخذوا يبحثون عنها طوال الليل في جميع المنازل، وخابوا في سعيهم ويئسوا من وجودها. وكان إتمام الوعد الذي نطقت به قد حيّر جميع مقاوميها حتى أشدهم تعصباً. وقليل منهم من أدرك قوة الأمر الخارجة عن الطاقة البشرية. فاعترفوا

حالاً بصحة الدعوى واعتنقوا أمرها، واعترف الميرزا عبد الوهاب أخوها بصدق الرسالة في نفس اليوم، ولكنه فيما بعد لم يظهر منه ما يثبت صدق اعتقاده[13].

وفي الساعة المعينة بمعرفة الطاهرة لخلاصها أصبحت في حفظ حضرة بهاءالله. وقد عرفت يقينا من هو الذي ذهبت لمقابلته. وكانت عالمة بقداسة وفضل الذي أنقذها بعطفه ورحمته[14]. وكما قبلت أمر حضرة الباب من تلقاء نفسها وبدون دعوة من أحد واعترفت بصحته، فكذلك أدركت بفراستها مجد حضرة بهاءالله المقبل. فكانت في سنة 60 موجودة في كربلاء عندما خصصت أشعارها للاعتراف بالحق الذي سوف يظهره. وقرأت بنفسي في طهران في منزل السيد محمد الذي كانت الطاهرة تسميه بالفتى المليح تلك الأشعار التي نظمتها ونسختها بخط يدها. ويشهد كل حرف منها بإيمانها ويقينها بعلو الرسالة التي جاء بها حضرة الباب وحضرة بهاءالله. ومن تلك القصيدة ما يأتي (مترجما من الفارسية الى العربية) "قد خرقت أنوار الجمال الأبهى حجاب الظلام، ورقصت أرواح محبيه في النور المشرق من وجهه، كما ترقص ذرات الهباء في الضياء الخارق للظلام"، وكان يقينها في قوة حضرة بهاء الله التي لا تقهر مما حداها لأن تنطق بنبوتها بكل ثقة واطمئنان، وان تباهل بها أعدائها بكل شجاعة. فكانت الثقة في تلك القوة الثابتة المتينة التي لا تتزعزع توحي اليها في أظلم ساعات حبسها ان تقرر بكل شجاعة ما قررته من تأكيد فوزها وخلاصها القريب.

فلم تمض الا بضعة أيام على وصول الطاهرة الى طهران حتى عزم حضرة بهاءالله على ان يرسلها الى خراسان بصحبة الأحباء الذين استعدوا

للرحيل لتلك المدينة، وكذلك عزم هو أيضا على الرحيل من العاصمة الى تلك الناحية بعد بضعة أيام. ولذلك دعا أخاه أقا كليم وأمره ان يستعد لنقل الطاهرة مع خادمتها "قانتة" الى محل خارج أبواب العاصمة ليرحلوا منه الى خراسان. وأمره ان يحترس لئلا يلحظ الحراس الموجودين على أبواب المدينة والذين لا يصرحون بمرور السيدات بدون رخصة حتى يتعرفوا شخصيتها فيمنعوا سفرها.

وسمعت أقا كليم يقص الآتي (سرنا متكلين على الله أنا و الطاهرة وخادمتها الى مكان في جوار العاصمة ولم يعترض أحد من الحراس الواقفين على باب شميران بأدنى اعتراض ولم يسألونا عن الجهة التي نقصدها. وعلى مسافة فرسخين من العاصمة نزلنا وسط حديقة تنساب فيها مياه غزيرة وواقعة على سفح الجبل وفي وسطها منزل مهجور، ولما دخلت سألت عن صاحبه وقابلت رجلا هرماً كان مشتغلا في ارواء الأشجار، فأجابني قائلا:- حصل نزاع فيما بين المالك والمستأجرين ونتج عن ذلك ان القاطنين في المنزل هجروه، وقد طلب مني المالك حراسة المكان حتى ينتهي النزاع. فسررت جدا من هذه المعلومات وسألته ان يشاركنا تناول الغداء. ولما عزمت على العودة في عصر ذلك اليوم الى طهران وجدته راغبا في المحافظة على الطاهرة وخادمتها، فتركتهما لحراسته وأكدت له اني سأعود بنفسي في المساء او أرسل أميناً، واني سوف أتبعه ثاني يوم بكل معدات السفر الى خراسان.

ولما وصلت الى طهران، أرسلت ملا باقر أحد حروف الحيّ ومعه خادم ليصل الى الطاهرة، وأخبرت حضرة بهاءالله بخروجها سالمة من العاصمة. فسرّ لهذا الخبر، وسمى تلك الحديقة " باغ الجنة " (حديقة الجنة) وتفضل: (ان

هذا المنزل قد أعدّته لكم يد القدرة الالهية لاستقبالكم حتى ترحب فيه بضيافة أحباء الله).

ومكثت الطاهرة في تلك البقعة سبعة أيام، وبعد ذلك سافرت الى جهة خراسان ومعها محمد حسن قزويني المسمى بالفتى وغيره. وأمرني حضرة بهاءالله ان أعد لرحيلها كل ما يلزم لسفرها.

الحواشي

(1) وكتب كليمانت هوارت في كتابه (ديانة الباب صحيفة 18–19): ولا يندهش انسان بان الأمر الجديد انتشر في خراسان أكثر من أي إقليم آخر بسرعة عظيمة. فقد كان لخراسان امتياز، كونها مسرحا للأفكار والآراء الجديدة حيث تجد فيها مرتعاً خصيبا، وخرجت من هذا الإقليم معظم الثورات التي غيرت سير الأمور في الشرق الإسلامي، ويكفي ان فكرة التجديد الإيراني بعد الفتح العربي نشأت في خراسان حيث كان الناس يناقشونها، وفيها تكون الجيش تحت إمرة أبي مسلم حيث قلب الدولة الأموية وأجلس مكانهم العباسيين وقضى على الأرستقراطية المكية. انتهى.

(2) وذكر الليتو كولونيل ب.م. سيكس في كتابه (تاريخ إيران جزء 2 صحيفة 45) ان الشيعة يعتقدون ان الإمام الثاني عشر لم يتوفّ وانه في سنة 260هـ (873م) اختفى في مخبأ سري، وانه سوف يظهر في يوم القيامة في مسجد جوهر شاد في مشهد ويتبعه الناس على انه الإمام المهدي وهو الذي يملأ الأرض عدلاً.

(3) وقرر محمد مصطفى (صحيفة 8) ان الطاهرة وصلت الى كربلاء في سنة 1263هـ وانها زارت الكوفة والجهات المجاورة واشتغلت بنشر تعاليم الباب، وكانت تقرأ مع الذين تقابلهم كتابات الباب وخاصة تفسيره على سورة الكوثر.

(4) وسمعت بنداء الباب ودعوته في شيراز لأول مرة في منزلها بين أسرتها وعلمت القواعد والأحكام التي يبني عليها دعوته، ولم تستقص كل التفاسير، ولكنها أعجبت بها، وأخذت في مكاتبة الباب واعتنقت دعوته، وهي لم تكتف بالميل المجرد ولكنها أعلنت علناً صحة دعوة سيدها وقامت على مكافحة تعدد الزوجات وحاربت عادة الحجاب وكانت تظهر في الأماكن العامة سافرة، وهذا ما أخاف المسلمين عامة لاعتبارهم ذلك من الفسوق على

عكس الذين اعتنقوا الدعوة بحماس، فكانوا مبتهجين واتسعت جمعيتهم يوما فيوم. وكان عمها طبيبا ووالدها مجتهدا واجتهد زوجها بكل ما في وسعه ان يردعها او يلجئها الى سير معتدل وتستّر، فلم تقبل وعارضتهم جميعا وما فتئت تظهر لهم البراهين على صحة دينها. (من كتاب الأديان والفلسفة في أواسط آسيا للكونت جوبينو صحيفة 137–138).

(5) وقال سمندر في كتابه الخطي (ص 9) ان السبب الحقيقي لهيجان أهل كربلاء واتهامهم للطاهرة أمام حاكم بغداد بعدم اعتنائها بمأتم الحسين الذي يعمل كل سنة في أوائل شهر محرم في منزل المرحوم السيد كاظم في كربلاء وإشهارها بدلا عنه يوم ميلاد الباب الذي يقع في أول يوم من ذلك الشهر. ويقال انها طلبت من أختها وأقاربها أن يخلعوا ثوب الحزن ويلبسوا بدلا عنه ثوب الفرح مخالفين في ذلك علناً تقاليد الناس.

(6) وتبعاً لمحمد مصطفى (صحيفة 108–109) كان بصحبة الطاهرة عند ورودها الى بغداد من التلاميذ والأصحاب الملا ابراهيم المحلاتي والشيخ صالح الكريمي والسيد احمد يزدي والد السيد حسين (كاتب الباب) والسيد محمد بايجاني والشيخ سلطان الكربلائي ووالدة ملا حسين وابنتها وزوجة ميرزا هادي النهري ووالدته.

وفي كشف الغطاء (صحيفة 94) ان أخت الملاّ حسين ووالدته كانتا من ضمن التلاميذ والسيدات اللائي صحبن الطاهرة في سفرها من كربلاء الى بغداد حيث أقاموا في منزل الشيخ محمد بن شبل العراقي ثم نقلوا بأمر حاكم بغداد الى منزل المفتي السيد محمود الآلوسي صاحب التفسير المشهور المسمى "روح المعاني" وبقيت فيه انتظاراً لحضور تعليمات من الآستانة.

وزاد في كشف الغطاء بقوله (صحيفة 96) ان في "روح المعاني" إشارات الى المحادثات التي وقعت فيما بين المفتي وبين الطاهرة، ويقال انه قال لها: (يا قرة العين أقسم بالله إني أشاركك في اعتقادك، ولكني أعلم ما هنالك من سيوف آل عثمان). انتهى. وكانت قد ذهبت الى منزل المفتي ودافعت أمامه عن عقيدتها وسلوكها بغاية المقدرة. وأما مسألة تركها تدعو الى الدين، فقد عرض الأمر على الوالي الذي استأذن القسطنطينية التي أمرت انها تترك الأراضي التركية حالا. (من كتاب مقالة سائح حاشية ق صحيفة 214–215).

(7) وقال محمد مصطفى (صحيفة 111) ان الذين رافقوا الطاهرة من خانقين (على الحدود الإيرانية) الى كرمنشاه الشيخ صالح الكريمي والشيخ محمد شبل والشيخ سلطان كربلائي والسيد احمد يزدي وسيد محمد بايگاني وسيد محسن كاظمي وملا ابراهيم محلاتي ونحو ثلاثين عربيا مؤمنا. ومكثوا ثلاثة أيام في بلدة كرند. وكانت الطاهرة تعلّم الدين الجديد فيها بكل شجاعة ونجحت في إيقاظ الهمم من جميع الطبقات لأمر الباب، وقد قبل دعوتها على ما قيل ما يربوا على ألف ومائتي شخص وتتطوعوا لتنفيذ رغباتها.

(8) وقال محمد مصطفى (صحيفة 112) ان الناس قابلوها في كرمنشاه بحماس زائد وأسرع لزيارتها الأمراء والعلماء وموظفو الحكومة وتأثروا من فصاحتها وشجاعتها واتساع علومها ومتانة أخلاقها، وكانت زوجة الأمير حاكم كرمنشاه ممن سمع تفسيرها على التعاليم الدينية المقدسة لأن الطاهرة كانت تقرأ تفسير سورة الكوثر للباب علناً، وتترجمها. وأعتنق الأمير وزوجته أمر الباب وجميع عائلته معه واعترفوا بالأمر وأقروا باعجابهم ومحبتهم للطاهرة. وقال محمد مصطفى أيضا (صحيفة 116) ان الطاهرة مكثت يومين في قرية صحنه في طريقها الى همدان وهناك قابلها الأهالي بحماس لا يقل عن مقابلتها في قرية كرند.

وقد رجاها سكان القرية في ان يضعوا أيديهم في أيدي أتباعها لنشر الأمر الجديد ولكنها أمرتهم ان يبقوا في أماكنهم وباركتهم في مجهوداتهم واستمرت في السفر الى همدان.

(9) وفي تذكرة الأوفياء (صحيفة 275) ان الطاهرة مكثت شهرين في همدان.

(10) وقال محمد مصطفى (صحيفة 117) ان من بين الذين أرسلوا من قزوين كان أخوة الطاهرة.

(11) وكيف تمكنت امرأة ضعيفة مثل الطاهرة ان تجمع حولها نفراً من الأتباع المنظور اليهم بنظر الكفر مع قلة الاستعداد وخاصة في بلدة مثل قزوين التي فيها للعلماء تأثير ونفوذ عظيم. وبسبب كثرة عددهم وأهميتهم كانت الحكومة والأهالي تهتم بهم. وهذا مما استوقف نظر المؤرخ الإيراني "سبهر"، فهذا مما لا نظير له في جميع الأوقات السالفة. (المجلة الآسيوية سنة 1866 الجزء 7 صحيفة 474).

(12) يوافق 13 أغسطس سنة 1847 لغاية 12 سبتمبر سنة 1847م.

(13) وقال في كشف الغطاء (صحيفة 110) ان جعفر واعظ قزوين، قال ان الملا حسين قابل الطاهرة في قزوين في منزل أقا هادي الذي ربما كان محمد هادي فرهادي الذي أرسله بهاءالله الى طهران لنقل الطاهرة. ويقال ان المقابلة كانت قبل قتل الملا تقي.

(14) وحكى عبد البهاء في تذكرة الأوفياء (صحيفة 306) حوادث زيارة وحيد للطاهرة بينما كانت الأخيرة في منزل بهاءالله في طهران قال: كانت الطاهرة تستمع من وراء ستار كلمات وأقوال وحيد حيث كان يتكلم عن آيات وعلامات الظهور بكل فصاحة. وكنت إذ ذاك طفلا وجالساً في حجرها بينما كانت تستمع الى الدلائل التي كانت تتدفق من شفتيه بدون انقطاع. وأتذكر كيف انها قاطعته فجأة ورفعت صوتها قائلة (يا يحيى ان الوقت وقت الأعمال لا الأقوال فأتِ بعمل ان كنت ذا عمل رشيد، فلتجعل الأعمال شاهدة على صحة الأمر واترك الأقوال والأحاديث الماضية، فالآن هو الوقت الذي تظهر فيه آيات الله وتخرق حجبات الأوهام لاعلاء شأن كلمة الله والتضحية في سبيله. فليكن زينتنا وفخرنا في الأعمال لا الأقوال.

الفصل السادس عشر

مؤتمر بدشـت

وبعد قيام الطاهرة لرحلتها، أمر حضرة بهاءالله الأقا كليم ليجهز ما يلزم لسفره الى خراسان، وأوصاه بأسرته وسأله ان يسهل لها كل ما يلزم لراحتها وسلامتها.

ولما وصل الى شاه رود، قابله جناب القدوس الذي ترك مشهد مقر إقامته وحضر للترحيب به لمجرد أن سمع بقدومه. وكان جميع إقليم خراسان في تلك الأيام يتمخض بالاضطراب الشديد، وكانت المساعي التي قام بها جناب جناب الملا حسين وجناب القدوس مع الحماس الذي ظهر منهما وارتفاع ندائهما قد أيقظ الأهالي من نومهم وأشعل في قلوب البعض منهم خالص الايمان والإخلاص، كما أثار في صدور الآخرين غرائز عديدة من التعصب والشرور، وجاء للبحث جمهور كبير من جميع نواحي مشهد الى منزل جناب جناب الملا حسين الذي كان يقدمهم الى جناب القدوس.

وزاد عدد الوافدين الى درجة أزعجت السلطات. وكان رئيس الشرطة ينظر بالاهتمام والقلق الى جموع الناس المتحمسة الذين كانوا يموجون في كل ناحية من نواحي المدينة المقدسة. ولرغبته في تدعيم سلطته وتخويف جناب الملا حسين حتى يضيّق نطاق أعماله، أمر بالقبض على خادمه الخصوصي

وكان اسمه حسن وبمعاملته بالقسوة والسخرية، فخزموا أنفه ومرروا حبلا فيه وسحبوه بهذه الكيفية في شوارع المدينة.

وكان جناب الملا حسين ماثلا بين يدي جناب القدوس إذ أتته أخبار الحادثة المحزنة التي وقعت على خادمه. وخوفاً من ان يحزن هذا الخبر قلب رئيسه المحبوب، قام وتركه مستأذناً واجتمع حوله الأصحاب وأظهروا دهشتهم من حصول هذا التعذيب والهجوم القاسي الذي أصاب هذا المؤمن البريء وألحوا عليه بوجوب الانتقام، فهدّأ جناب الملا حسين روعهم وقال لهم لا تضطربوا من حصول الإهانة لحسن، فإن الحسين لا يزال معكم وسيرجع لكم الحسن سليماً لأيديكم باكراً.

فلم يشأ الأحباب ان يتكلموا بكلمة بعد هذا التأكيد، ولكن قلوبهم كانت تحترق بالرغبة في أخذ ثار هذه الإهانة. واجتمع فريق منهم وساروا في شوارع المدينة هاتفين (يا صاحب الزمان) بأعلا النداء احتجاجاً على التهجم الحاصل. وكان هذا النداء أول نداء من نوعه ارتفع في خراسان باسم أمر الله وتردد صداه في كل جهات المدينة، وترددت الهتافات حتى وصلت الى الأقاليم المجاورة وأهاجت شعوراً عميقاً في القلوب. وكانت إشارة الى وقوع الحوادث العظيمة التي كانت ستظهر في المستقبل.

وفي وسط الاضطراب الذي تلا ذلك، قُتل جميع الذين كانوا يقودون حسن بالحبل في وسط شوارع المدينة وأخذ أصحاب جناب الملا حسين أسيرهم الى حضرة رئيسهم، وأخبروه بما أصاب ظالميه. فأجابهم جناب الملا حسين

(إنكم لم تسمحوا بالامتحان الذي أصاب حسن، فكيف يمكنكم ان ترضوا وتوافقوا على استشهاد الحسين).

وكانت مدينة مشهد التي ابتدأت تهدأ من ثورة السالار قد عادت ثانية الى الاضطراب، واستعد البرنس حمزة ميرزا بعساكره وذخيرته على بعد أربعة فراسخ من المدينة لمواجهة الطوارئ التي تحصل من جراء الاضطرابات الحديثة التي وصلته أخبارها. وأرسل فرقة الى المدينة ومعها تعليمات بالقبض على جناب الملا حسين بمعونة حاكم المدينة وإحضاره عنده، وتداخل عبد العلي خان المراغي رئيس المدفعية عند البرنس قائلا (اني أعتبر نفسي أحد محبي الملا حسين والمعجبين به، فإذا أردتم إيقاع أي ضرر به فأرجوكم ان تعدموني قبل ان تنفذوا غرضكم لأني لا أسمح وأنا على قيد الحياة بتوجيه أي إهانة نحوه).

ودهش البرنس وارتبك من هذا التصريح الصادر من الضابط الذي هو دائما في احتياج لمساعدته. ولكن البرنس اجتهد ان يزيل ما علق بذهنه، فقال له (وأنا أيضا قابلت الملا حسين وأشعر بميل نحوه بالمحبة والإخلاص، وإذا طلبته الى معسكري فاني أريد فقط ان أمحو ذلك الهياج الذي أشتعل في المدينة، ولكني سأحافظ على شخصه).

ثم كتب البرنس خطابا بخط يده الى جناب الملا حسين ألح فيه بالرغبة الشديدة في ان ينقل مسكنه بضعة أيام فقط الى معسكره، وأكد له رغبته في ان يحميه من هجوم أعدائه الهائجين. وأعطى الأوامر ان تخصص خيمته المزركشة لاستقبال ضيفه المنتظر وان تنصب بجوار المعسكر.

وبوصول هذه الرسالة قدّمها جناب الملا حسين الى جناب القدوس الذي أمره ان يجيب طلب البرنس وأكد له جناب القدوس بقوله (لن يصيبك أي ضرر من ذلك، أما أنا فسأسافر هذه الليلة ومعي ميرزا محمد علي قزويني أحد حروف الحيّ الى مازندران وستكون ان شاء الله في المستقبل على رأس جماعة كبيرة من المؤمنين تتقدمكم الرايات السود وتغادر مشهد وتجتمع معي. ويكون اجتماعنا في المكان الذي يعينه لنا القدير).

فأطاع جناب الملا حسين أمره بكل فرح وطرح نفسه على رِجل جناب القدوس وأكد له عزمه على تنفيذ الأوامر والواجبات المفروضة عليه. فأخذه جناب القدوس بكل محبة بين ذراعيه وقبّله في عينيه وجبهته وأسلمه الى حفظ الله القدير. وفي عصر ذلك اليوم ركب جناب الملا حسين وسار بالهدوء والعزة الى معسكر حمزة ميرزا وقابله عبد العلي خان الذي عيّنه البرنس مع جماعة من الضباط للترحيب به وأوصلوه الى الخيمة التي أعدت خصيصاً له.

وفي تلك الليلة أحضر جناب القدوس ميرزا محمد باقر قايني وهو الذي بنى البابية مع جماعة من أشهر أتباعه، وأمرهم ان يظهروا الطاعة التامة لجناب الملا حسين وأن يأتمروا بكل ما يطلب منهم عمله. وقال لهم (سوف تنتابنا قريبا عواصف وزعازع شديدة وتحمل في طياتها امتحانات قوية، فتمسكوا به فان طاعة أوامره تكون سببا لنجاتكم).

وبهذه الكلمات ودّع جناب القدوس أصحابه وارتحل مع ميرزا محمد علي القزويني من مشهد. وبعد مرور بضعة أيام تقابل مع ميرزا سليمان النوري الذي أخبره بخلاص الطاهرة من حبسها في قزوين وبرحلتها الى خراسان وبانتقال

حضرة بهاءالله من العاصمة بعد ذلك. وكان ميرزا سليمان النوري وميرزا محمد علي القزويني في صحبة جناب القدوس حين وصلوا الى بدشت. وكان وصولهم الى تلك القرية في ساعة الفجر، ووجدوا هناك جماعة كثيرة عرفوا انهم من الأحباء. ومع ذلك عزموا على السفر الى شاه رود، فلما اقتربوا من هذه القرية قابل ميرزا سليمان النوري الذي كان سائراً على مسافة خلفهم، محمد حناساب الذي كان حاضراً في طريقه أيضا الى بدشت. فلما سأله جناب القدوس عن القصد من ذلك الاجتماع، أخبره بأن حضرة بهاءالله و الطاهرة قد قاما برحلتهما الى هذا المكان، وانهما تركا فعلا شاه رود منذ بضعة أيام لهذا الغرض. وان جموعا كثيرة حضرت من أصفهان وقزوين وغيرها من بلاد إيران، وهم جميعا منتظرون ورود حضرة بهاءالله في رحلته الى خراسان. فقال له ميرزا سليمان النوري (اخبر ملاّ احمد ابدال الذي هو في بدشت انه في نفس هذا الصباح قد أشرق عليك نور لم تقدر ان تعرفه)[1].

وما كاد حضرة بهاءالله يعلم من محمد حناساب بوصول جناب القدوس الى شاه رود، حتى عزم على اللحاق به، وقام في مساء ذلك اليوم الى تلك القرية ممتطياً جواده ومعه الملا محمد معلم النوري ثم عاد مع جناب القدوس الى بدشت في صبيحة اليوم الثاني في ساعة الشروق.

وكان الصيف قد ابتدأ، وبوصول حضرة بهاءالله، استأجر ثلاث حدايق، واحدة لجناب القدوس وأخرى للطاهرة وأتباعها والثالثة لنفسه، وكان عدد المجتمعين في بدشت 81 نفر، ومن وقت حضورهم الى يوم تفرقهم كانوا ضيوفاً على حضرة بهاءالله. وفي كل يوم يعطي ميرزا سليمان النوري لوحاً يقرأه

بترتيل في مجمع الأحباء الحاضرين. وكان يسمي كل فرد منهم باسم جديد. وتسمّى هو أيضا بالبهاء، وسمّى آخر حروف الحيّ بالقدوس، وسمّى قرة العين بالطاهرة. وصدر لوح من حضرة الباب لكل من اجتمع في بدشت وصدر بالاسم الذي تسمى به أخيراً. وكان بعض أتباع الطاهرة من المحافظين على التقاليد القديمة قد اشتكوها فيما بعد لحضرة الباب مدعين عليها بالخروج على التقاليد القديمة. فأجابهم حضرة الباب على ذلك بقوله (ما الذي أقوله عمن أسماها لسان العظمة بالطاهرة).

وفي كل يوم من أيام ذلك الاجتماع المشهود كان يلغى تقليد من التقاليد المعروفة، وبذلك أخرقت الحجب الناشئة من تقديس الأحكام الشرعية، وأزيلت الأصنام التي كان يعبدها الناس عبادة عمياء. ولم يكن أحد يعرف مصدر هذا التجديد الجريء او يعين الشخص الذي كان يدير دفة الأمور بكل مهارة، ذلك الذي منح كل شخص من المجتمعين في تلك القرية اسماً جديداً. وكان كل فرد يعتقد في واحد حسبما يظن ولم يدرك منهم الا القليل بأن حضرة بهاءالله هو الذي كان مصدر جميع هذه التغييرات ذات الأثر البعيد، وانه هو الذي حددها بدون خوف ولا وجل.

وكان الشيخ أبو تراب ممن اطلع على مجريات الأحوال في بدشت وحكى ذات يوم الرواية الآتية: (كان حضرة بهاءالله قد لزم الفراش ذات يوم لمرض ألمَّ به، فأسرع لزيارته جناب القدوس، فلما أدخل جلس على يمين حضرة بهاءالله وسمح لباقي الأحباب بالحضور تدريجياً، وما كادوا يجتمعون حوله حتى دخل فجأة محمد حسن قزويني رسول الطاهرة وهو الذي تسمي

حديثاً بالفتى القزويني، وأعلم جناب القدوس بضرورة حضوره حالا عند الطاهرة لزيارتها في الحديقة. فأجابه (اني قطعت نفسي منها قطعياً ولا أقبل أن أقابلها)[2]. فعاد الرسول ثم حضر ثانياً وأعاد الرسالة وتضرع اليه أن يلبي نداءها المستعجل وقال (انها مصممة على الزيارة وإذا كنت تصمم على الرفض فانها لابد حاضرة) ولما شاهد امتناعه عن القبول، استل سيفه ووضعه تحت قدم جناب القدوس وقال (أنا لا أرضى أن أذهب بغيرك، فاختر أحد الأمرين، إما ان تصحبني اليها او تقطع رقبتي بهذا السيف). فأجاب جناب القدوس غاضباً (إني قررت أن لا أزور الطاهرة وسأنفذ لك غرضك الآخر لأنك أوكلته إليّ).

وبينما كان محمد حسن القزويني قد ركع أمام جناب القدوس تحت قدمه ماداً رأسه لتنفيذ الضربة فيها، وإذا بالطاهرة حضرت فجأة مزينة وبدون قناع أمام أعين جميع الحاضرين[3]، فأخذت الناس الدهشة ووقف الكل حائرين أمام هذا المنظر الغير منتظر. وكانوا يظنون ان رؤيتها غير محجبة من أكبر المحال، وبأن النظر الى خيالها وظلها غير جائز لأنهم يعتبرونها مظهر فاطمة الزهراء ورمزاً لعصمة الطهارة في نظرهم[4].

فتقدمت الطاهرة بسكون ووقار تام نحو جناب القدوس وجلست عن يمينه. وكان اطمئنانها وسكونها يقابله ما بدا من الخوف على وجوه الذين ينظرون اليها، فاضطربت أركانهم واستولى على أرواحهم الرعب والغضب والدهشة. وهزهم هذا الظهور الفجائي بدرجة ان أحدهم المدعو عبد الخالق الأصفهاني قطع حنجرته بيده وفر هاربا من وجه الطاهرة مغطى بدمه وهو

يصرخ بهيجان. وفعل غيره من أقرانهم مثله وتركوا اعتقادهم ونكصوا على أعقابهم. وبقي عدد كبير واقفا أمامها بدون حراك متحيرين في أمرهم، وبقي جناب القدوس في مكانه قابضاً على سيفه المسلول وعلى وجهه علائم الغضب الشديد وكأنه ينتظر فرصة ليضرب الطاهرة الضربة القاضية.

فلم يحركها منظره المهدد بل كان يعلو وجهها الكرامة والثقة التي ظهرت بها عند ابتداء دخولها أمام الجمع المحتشد من الأحباء، وأضاء وجهها بشعور الفرح والغبطة والنصر ووقفت مكانها وخاطبت الباقين من هذا الجمع غير وجلة ولا مهتمة بما حصل في قلوب أصحابها على البداهة وبدون سابقة تفكير، وبلسان له شبه كبير بلغة القرآن ألقت خطابتها ببلاغة ليس لها مثيل وحماس شديد وختمته بهذه الآية القرآنية (إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر) وكانت أثناء تلاوة هذه الآية تنظر خلسة الى حضرة بهاءالله وجناب القدوس معاً بحيث لا يقدر الحاضرون على تعيين من منهما كانت الطاهرة تعني بهذا القول. ثم قالت (إني أنا الكلمة التي ينطق بها القائم والتي تفر منها نقباء الأرض ونجباؤها).

ثم التفتت الى جناب القدوس ولامته لأنه لم يصنع في خراسان الأمور التي رأت انها أساسية لمصلحة الأمر، فأجابها (اني حرّ أن أتبع ما يمليه عليّ ضميري ولست مقيداً بآراء وإرادة أصحابي) ثم التفتت الطاهرة الى جموع الحاضرين وطلبت منهم ان يحتفلوا بهذه الفرصة السعيدة بما يليق بها، وقالت ان هذا اليوم يوم عيد وسرور عام وهو اليوم الذي فيه تفك قيود الماضي، فليقم كل من يشترك في هذا المجد ويعانق صاحبه. وكان ذلك اليوم التاريخي والأيام

التي تلته قد أثرت في أخلاق وعوائد وحياة المؤمنين المجتمعين أعظم التغييرات الثورية، فتغيرت طريقة العبادة تغييراً فجائياً كلياً وطرحت العبادات القديمة التي كان المتعبدون المخلصون يتبعون نظامها طرحاً أبدياً. وحصل اضطراب عظيم بين الذين قاموا على نشر هذا الإصلاح بكل جهدهم. وكان بعضهم لا يوافق على حصول مثل هذا التغيير الأساسي، وظنوا انه عين الكفر وامتنعوا ان ينسخوا ما يعتبرونه أعظم أحكام الاسلام التي لا تنسخ. وطائفة اعتبرت أن قول الطاهرة هو الفصل في مثل هذه الأحوال، وان طاعتها واجبة على جميع المؤمنين. وتمسك البعض ممن امتعضوا من تصرفها مع جناب القدوس واعتبروه انه هو الممثل والنائب عن حضرة الباب والوحيد الذي يحق له ان يحكم في مثل هذه الأمور الخطيرة. ونظر فريق غير هؤلاء الى الحادثة بأجمعها انها عبارة عن امتحان إلهي لفصل الصادقين من الكاذبين والمؤمنين عن الكافرين.

وكانت الطاهرة في كثير من الأحيان ترفض إطاعة جناب القدوس وتقول (إني أعتبر القدوس تلميذاً أرسله اليّ حضرة الباب لتعليمه وتهذيبه ولا أنظر اليه بنظر آخر) ولم يمتنع جناب القدوس ان يتهم الطاهرة انها صاحبة هذه الفتنة، وادعى ان الذين يدعون الى رأيها وقعوا فريسة للخطأ. واستمرت حالة المشادة بين الاثنين بضعة أيام الى ان توسط حضرة بهاءالله، وبطريقته المثلى وفّق بينهما تماما ولم شعثهما ولأم الجرح الذي سببه هذا الهياج والنزاع الحاد. وبذلك وجه همّة كل منهما الى طريق الخدمة المنتجة[5].

وحصل المقصود من هذا الاجتماع[6] المشهود، لان النداء بالنظام الجديد كان بمثابة النفخ في الصور، فمسحت التقاليد العقيمة المجمع عليها والتي كانت تقيد ضمائر الناس ومحيت بكل جسارة وبغير وجل. فتهيأت الطريق لإعلان الأحكام والقواعد الجديدة التي جاء بها الأمر الجديد، وعزم بقية الجمع المحتشد في بدشت على الرحيل الى مازندران. ورحل جناب القدوس مع الطاهرة في هودج واحد أعدّه لسفرهما حضرة بهاءالله. وفي طريقها كانت الطاهرة تنظم قصيدة وتأمر الأصحاب ان ينشدوها أثناء سيرهم خلف الهودج،، وكانت الجبال والأودية تردد أصوات وأناشيد ذلك الجمع المتحمس أثناء سفرهم إيذانا بمحو القديم وبعث اليوم الجديد.

واستمرت رحلة حضرة بهاءالله في بدشت اثنين وعشرين يوماً، وأثناء سفرهم الى مازندران أراد بعض الاتباع ان يسيئوا استعمال الحرية التي نتجت عن نسخ الشرائع القديمة، وظنوا ان في طرح الطاهرة للحجاب إشارة منها للتجاوز عن حدود الآداب وإشباع الأغراض النفسية. وسبّب هذا التعدي الواقع من هؤلاء البعض غضب المولى وأوجب تفريقهم وتشتيتهم. ففي قرية نيالا امتحنوا امتحانا شديدا وأصيبوا بأضرار جسيمة من يد أعدائهم وكان هذا التشتيت جزاء وفاقا لذلك الإفراط الذي ظهر من هذا النفر القليل من غير المسئولين من بين الاتباع المؤمنين، وحفظ الأمر طاهرا نقياً معززاً في شرفه).

وسمعت حضرة بهاءالله نفسه يصف الموقف قال (كنّا مجتمعين في بلدة نيالا ونزلنا للاستراحة في سفح الجبل، وفي الصباح في الفجر استيقظنا على صوت قذف الأحجار التي رشقنا بها المجاورون، وكانوا يرموننا بها من أعلا

الجبل واشتد هجومهم علينا حتى التجأ أصحابنا الى الهرب مرعوبين مذعورين. فألبست القدوس ملابسي وأرسلته الى محل آمن وعزمت على اللحاق به، ولما وصلت اليه وجدته قد ارتحل منه. ولم يبق أحد في نيالا سوى الطاهرة وشاب من شيراز يدعى ميرزا عبد الله، واشتد الهجوم وخربت الخيام. ولم أجد أحدا أسلم له الطاهرة سوى ذلك الشاب الذي أظهر في ذلك شهامة وعزما يفوق الوصف، إذ أنه أمسك سيفه بيده غير هيّاب ولا وجل من هجوم السكان الوحشي لنهب أمتعتنا ومنعهم من ذلك، ومع انه جرح في مواضع كثيرة من جسمه أبى إلا أن يخاطر بحياته لصيانة أموالنا رغم اني أمرته بالكف عن ذلك. فلما هدأت الحالة تقدمت الى بعض من السكان وأقنعتهم بقسوة وفظاعة عملهم ونجحت في إعادة جزء من الأموال المنهوبة).

وعاد حضرة بهاءالله مصحوباً بالطاهرة وخادمتها الى نور، وعيّن الشيخ أبو تراب لملاحظتها وحراستها وسلامتها، وكان الأعداء في تلك الأثناء يسعون في إشعال غضب محمد شاه ضد حضرة بهاءالله. وادعوا عليه بأنه أكبر مهيّج لجميع الاضطرابات التي وقعت في شاه رود وفي مازندران، ونجحوا أخيراً في حمل الشاه على إصدار الأمر بالقبض عليه. ويحكى ان الشاه قال ذات مرة غاضباً (انني للآن امتنعت ان أصدق ما كان يقال في حقه اعترافا مني بالخدمات التي أسداها والده لمملكتي، ولكن الآن في هذه الدفعة عزمت على إعدامه).

وبناء على ذلك، أمر أحد ضباطه في طهران ان يخبر نجله المقيم في مازندران ان يقبض على حضرة بهاءالله ويرسله الى العاصمة. ووصل هذا

الأمر لنجل هذا الضابط في اليوم السابق على اليوم الذي أعده للاحتفال بحضرة بهاءالله، لأنه كان من أخص محبيه. فاستاء من ذلك ولكنه لم يفض بالسر لأحد. وشاهد حضرة بهاءالله في وجهه آثار الحزن، فنصحه ان يوكل الأمر الى الله. وفي اليوم التالي بينما كان يصحب صديقه الى منزله، وإذا بفارس آت من طهران، وبمجرد أن قابله ذلك النجل صاح بلهجة مازندران قائلا (ان محمد شاه توفى) فتحدث معه هنيهة ثم أظهر له الأمر الملكي. فزال أثر الأمر السالف الذكر وصرف ذلك الحبيب ليلته في صحبة ضيفه في جو من الهدوء والفرح.

ووقع جناب القدوس في هذه الأثناء في يد أعدائه وحبس في ساري موطن ميرزا محمد تقي رئيس المجتهدين في البلدة. أما باقي رفاقه فتفرقوا بعد حادثة نيالا في جميع الجهات ومع كل منهم أخبار الحوادث العظيمة التي وقعت في بدشت ليخبر بها أقرانه من المؤمنين.

الحواشي

(1) إشارة الى القدوس.

(2) وقال في "كشف الغطاء" انه حصل اتفاق بين القدوس والطاهرة على ان الأخيرة تقوم بتفهيم الحاضرين على ان الأمر الجديد مستقل بذاته عن القديم ويتكلم عن نسخ الأحكام في الشريعة القديمة، وان يعارضها القدوس في ادعائها ويرفض ادعاءها، وكان هذا الاتفاق يلزمها لتخفيف وطأة الأمر بالتجديد واتقاء المخاطر التي يتعرضون اليها من جراء مباغتة جماعة المؤمنين واطلاعهم على مقاصد الدين الجديد (صفحة 211).

وكان بهاءالله على ما يظهر متخذا خطة الحياد في هذا النزاع ولو انه كان هو المحرك الأول وصاحب النفوذ الحقيقي في جميع أطوار هذه الحوادث.

(3) وكان التأثير مدهشا مخيفا. فخبأ البعض وجوههم بأيديهم ووضع آخرون رؤوسهم تحت عبائهم حتى لا ينظروا وجه الطاهرة فانه اذا كان النظر الى وجه أجنبية محرماً فكيف النظر الى وجه الطاهرة الصديقة... وانتهى الاحتفال بهياج لا يوصف ووقعت الشتائم على خطابة امرأة لا حياء عندها لتظهر في الجمع عارية الوجه وظن البعض انها جُنّت. وقال آخرون انها لوقاحة ولم يوافق على عملها سوى القليل. (من كتاب السيد علي محمد الباب لنيقولاس صفحة 283–284).

(4) يعني فاطمة بنت الرسول زوجة الإمام علي.

(5) وكانت هذه الجسارة التي وقعت من قرة العين هي التي زعزعت أسس الأحكام الاسلامية في إيران يضاف الى ذلك ان ثمرة تعليم قرة العين الأولى لا تقل عن تعليم القدوس من حيث الشجاعة، وان استنارتها الباطنية ربما أخذتها من بهاءالله وطبعا ان

افتراض غضب أغلب وأكبر أصحابها من عملها وعزمهم على توبيخها إنما كان من قبيل المباسطة اللطيفة. (كتاب اتحاد الأديان والأقوام للدكتور جين صحيفة 103-104).

(6) وقيل ان الغرض من هذا الاجتماع تخليص الباب ونقله الى مكان آمن، ولكن الرأي المعول عليه انه كان لوضع حد بين الاسلام والأمر الجديد وهو ما ينطبق على المعقول (كتاب اتحاد الأديان والأقوام صحيفة 80). وكان الغرض من المؤتمر تصحيح خطأ شائع فكان الكثيرون يعتقدون ان القائم الجديد انما جاء ليتمم الأحكام الاسلامية، فكانوا يظنون ان مهمة محمد(ص) هي لأجل إصلاح العالم بالعدل والأمن وان ذلك لا يتم الا بسفك الدماء والاعتماد على مساعدة الأحكام الالهية. وأما الباب فكان على العكس من ذلك يتحرك مع تلامذته في طريق الإقناع الأدبي، فكان سلاحه سيف الروح وهو كلمة الله. وانه اذا ظهر القائم تتجدد جميع الأشياء. ولكن القائم كان على وشك الظهور وكان لابد من تهيئة الأمور لظهوره ولا يصح ان يكون هناك فارق بين الأجناس والأقوام المختلفة. ولا بين الرجل والمرأة. وان لا يكون الحجاب عنوان انحطاط المرأة. ولقد أوجدت تلك المرأة ذات المواهب الجليلة حلاً لشؤون المرأة.. وقد قيل في إحدى الروايات انها (أي قرة العين) بنفسها حضرت المؤتمر لابسة القناع وإذا كان الأمر كذلك فانها ما لبثت ان صاحت في الجمع الحاشد (إني أنا صوت الصافور والنداء الذي ينفخ في الصور ان انتبهوا أيها النائمون.. الخ) وقيل ان بهاءالله أتبع خطاب هذه المرأة الشجيعة بتلاوة سورة القيامة (75). فلمثل هذه التلاوات تأثير قوي شديد. والمعنى المقصود من كل ذلك ان العالم ابتدأ يدخل في دورة جديدة دنيوية وكان من الضروري لها وجود قوانين وأحكام وقواعد جديدة. (من كتاب اتحاد الأديان والأقوام للدكتور جين صحيفة 101-103).

الفصل السابع عشر

حبس حضرة الباب في قلعة جهريق

وكان وقوع حادثة نيالا في وسط شهر شعبان سنة 1264هجرية[1] ففي نهاية ذلك الشهر نقل حضرة الباب الى تبريز وفيها تحمل من يد ظالميه إهانة وسخرية. وصادف حصول هذا النقل، والمقصود منه الحط من كرامة حضرة الباب، في نفس الوقت الذي حصل فيه هجوم الأهالي في بلدة نيالا على حضرة بهاءالله وأتباعه. ففي الوقت الذي هوجم فيه حضرة بهاءالله وأصحابه من جُهّال الغوغاء، ضرب حضرة الباب جلداً من يد عدو قاس خائن.

ونعود الآن لسرد الحوادث التي أدت للإهانة الشديدة التي اختارها أعداء حضرة الباب ومضطهدوه للإيقاع به. فانه نقل بناء على أمر حاجي ميرزا أقاسي الى قلعة جهريق[2] وسلّم لحراسة يحيى خان الكردي الذي كان محمد شاه متزوجاً بأخته وهي والدة نائب السلطنة. وكان الوزير قد أصدر التعليمات المشددة الصريحة الى يحيى خان يأمره فيها ان لا يصرّح لأحد ان يقابل المسجون، ونبّه عليه خصيصاً ان لا يقتفي أثر علي خان ماه كوئي الذي تدرج في مخالفة الأوامر التي تسلمها.

ورغما عن صرامة الأمر الصادر اليه من حاجي ميرزا أقاسي صاحب النفوذ والسلطان، كان يحيى خان غير قادر على تنفيذه، لأنه سرعان ما شعر بقوة مسجونه السحرية ونسى ما كان عليه من الواجب. فمن مبدأ الأمر نَفَذَت محبة حضرة الباب الى قلبه. وأما الأكراد الذين يقطنون في جهريق فيزيد تعصبهم وبغضهم للشيعة عن أكراد أهل ماكو وجميعهم وقعوا تحت تأثير حضرة الباب. ووصلت المحبة التي أشعلها حضرة الباب في قلوبهم لدرجة انهم كانوا في كل صباح قبل ان يبتدئوا أعمالهم اليومية يولون بوجوههم شطر السجن الذي حبس فيه[3] وينظرون من بعد الى القلعة التي يقطنها، ثم يتضرعون باسمه ويستنزلون البركات منه ويسجدون على التراب طالبين إحياء أرواحهم بنفحاته ويخبرون بعضهم بعضاً بالعجائب التي شاهدوها من قوته ومجده.. ويقصّون رواياتهم التي تشهد بقوة تأثير خلاّقيته. ولم يرفض يحيى خان دخول أي شخص الى القلعة. ولما كانت جهريق تضيق مساكنها عن ان تسع جميع الزوار الذين كانوا يهرعون اليها، لذلك كان الأحباء يستوطنون "اسكي شهر" وهي جهريق القديمة وهي على مسافة ساعة من القلعة، وكانت احتياجات حضرة الباب تشترى من تلك البلدة القديمة وتستحضر لحضرته في سجنه[4].

وذات يوم طلب حضرة الباب شراء عسل له، ولكن الثمن الذي طلب منه كان باهظاً، فلم يقبل مشتراه، وقال (ان العسل الجيّد يمكن شراءه بقيمة أقل من هذه، وأنا الذي أكون الآن مقتداكم كنت تاجراً من قبل. فعليكم ان تقتدوا بي في جميع معاملاتكم فلا تغشوا جيرانكم ولا تسمحوا لهم ان يغشوكم. هذا هو طريق

مولاكم) فلم يتمكن أمهر الناس ولا أمكرهم أن يغشه، وكذلك هو لم يقبل ان يعامل أقل مخلوق وأضعفه معاملة خارجة عن الإنصاف، وأمر أن يعاد العسل الى بائعه، وان يشترى له بدله من صنف أجود وأقل في الثمن.

وحصلت حوادث أقلقت راحة الحكومة أثناء اعتقال حضرة الباب في قلعة جهريق. واتضح ان جماً غفيرا من أشهر علماء وأشراف وموظفي الحكومة في "خوي" اعتنقوا أمر المسجون وأصبحوا من أخص أتباعه، وكان من بينهم ميرزا محمد علي وأخوه (بويوك أقا) وكلاهما من الأشراف الممتازين من الذين قاموا لنصرة الأمر وأبلغوه لمواطنيهم من جميع الأجناس والأشكال. وماجت جموع المؤمنين والطلاب نتيجة لهذه الحركة فيما بين خوي وجهريق.

وحدث ان أحد الموظفين المشهود لهم بالشهرة والقوة الأدبية العالية واسمه ميرزا أسد الله، وسمّاه فيما بعد حضرة الباب (باليديّان) كان في أول الأمر معاندا ومقاوما للأمر، بدرجة ان المؤمنين كانوا يخافون من تبليغه. رأى رؤيا لم يشأ أن يقصّها على أحد، واختار في نفسه آيتين من القرآن، وأرسل لحضرة الباب قائلا (إني قد رتبت في عقلي ثلاثة أمور وأسألك أن تخبرني عنها) وكتب له مكتوبا بهذا المعنى وأرسله مع ميرزا محمد علي. وبعد بضعة أيام جاءه الجواب من قلم حضرة الباب وبخط يده، وكشف له فيه عن الرؤيا وأبان له الآيتين. وتسبب عن صحة الإجابة ودقتها اعتناقه للأمر، ومع انه لم يكن معتادا على المشي أسرع وارتقى هذا الطريق الوعر الحجري الموصل الى القلعة من خوي، وأراد أصحابه إقناعه ان يمتطي جواداً الى جهريق، فلم يقبل

وفضل السير على أقدامه. ولما تقابل مع حضرة الباب ثبت يقينه وأشعلت المقابلة فيه حماساً شديداً استمر الى آخر أيام حياته.

وفي تلك السنة أمر حضرة الباب أربعين من أتباعه أن يكتب كل منهم رسالة يثبت فيها صحة الأمر مستنداً على الآيات والأحاديث. فأطاعوا أمره حالا وعرضوا نتيجة عملهم لأنظاره، فنالت رسالة ميرزا أسد الله إعجاب حضرة الباب وكانت أعلاها جميعاً في تقديره، فأعطاه حضرة الباب لقب ديّان وأنزل له لوح الحروفات الذي قال فيه انه لو لم يكن لدى نقطة البيان[5] دليلا على صحة أمره سوى هذا اللوح الذي لن تقدر كل العلوم أن تظهر مثله لكفى.

ولما لم يفهم أهل البيان الغرض المقصود من هذا اللوح ظنوا انه تفصيل لعلم الجفر. وإذ كان حضرة بهاءالله مسجوناً في سجن عكاء في ابتداء أيام السجن، طلب منه جناب المبلّغ من شيراز ان يظهر أسرار هذا اللوح. فنزل من قلمه تفسير له يحق للذين لم يفهموا كلمات حضرة الباب ان يتدبروه، وقد بيّن حضرة بهاءالله البراهين الساطعة الدالة على ضرورة ظهور من يظهره الله[6] من تفسير كلمات حضرة الباب في ذلك اللوح، وان ظهوره يكون قبل مضي تسعة عشر سنة من إعلان دعوة حضرة الباب. وأظهر حضرة الباب في ذلك اللوح سر المستغاث فلم يكن أحد بقادر على فهم ما كان يقصده في بيانه حتى كشفه حضرة بهاءالله للجميع. وكان قبل ذلك حجر عثرة أمام الباحثين من ملأ البيان ومانعاً لهم عن الاعتراف بالموعود وقبول دعوته الجديدة.

وأظهر ميرزا أسد الله حماساً متواصلاً حمل والده أن يلتجئ الى الحاج ميرزا أقاسي صديقه الحميم ويخطره باعتناق ابنه للأمر الجديد وينبهه الى

إهمال الحكومة في أداء واجباتها، مطنبا في الكلام على المجهودات التي يبذلها مثل هذا الخادم الحكومي لخدمة السيد الجديد وبما تكللت به مجهوداته من النجاح.

وكان أيضا من دواعي إزعاج الحكومة ان درويشاً حضر من الهند الى جهريق، وبمجرد أن قابل حضرة الباب اعترف بصحة رسالته، وجميع الذين قابلوا هذا الدرويش الذي سمّاه حضرة الباب "قهر الله" أثناء سياحته في اسكي شهر، شعروا مثله بحرارة وحماس وتأثروا تأثراً عميقاً من قوة يقينه.. وتحدث جم غفير من الناس بكمال شخصيته واعترفوا بقوة إيمانه القاهرة. وكان تأثيره عليهم لدرجة انهم ظنوا انه مبين للدين الالهي، ولو انه لم يدّع هذا المقام. وكان كثيرا ما يقول (في الأيام التي كنت فيها شاغلا لوظيفة نواب في الهند، ظهر لي حضرة الباب في الرؤيا وحدق فيّ وقال لي بإمعان: "تخلص من ملابسك الفخمة واسرع لمقابلتي في آذربايجان وفي جهريق تصل الى محبوب قلبك". فاتبعت أمره حتى وصلت الى بغيتي). ووصلت الى تبريز أخبار الهياج الذي وقع بين رؤساء الأكراد في جهريق بتأثير هذا الدرويش المسكين. وانتقلت الأخبار منها الى طهران أيضا وما كادت تصل اليها حتى صدر الأمر بنقل حضرة الباب حالا الى تبريز وذلك بأمل تسكين الهياج الذي أثارته إقامته المستمرة في تلك الجهة. وقبل وصول هذا الأمر الجديد كان حضرة الباب قد أمر (عظيم) ان يخبر قهر الله برغبته في ان يعود الى الهند وهناك يخصص حياته لخدمة الأمر، وأمره ان يعود من حيث أتى الى وطنه وحيداً وسائراً على أقدامه بنفس الإخلاص والمحبة التي سافر بها في مجيئه وان لا يألو جهدا في

نشر الأمر، وكذلك أمره ان يخبر الميرزا عبد الوهاب الترشيزي الذي كان قاطنا في خوي أن يذهب تواً الى ارومية ليقابله هناك. وقد أمر عظيم أن يترك تبريز وهناك يخطر السيد ابراهيم الخليل عن قرب مجيئه الى تلك المدينة. وقال له حضرة الباب (اخبره ان نار النمرود سوف تشتعل في تبريز ولكن رغما عن اشتعالها فلا يصيب المؤمنين منها أذى).

وما كاد قهر الله يستلم الأمر من سيده حتى قام لتنفيذ رغباته، فكان يقول لكل شخص يريد مرافقته في الطريق (انك لن تقدر ان تتحمل متاعب السفر وامتحاناته فاترك العزم في التوجه معي لأنك ستهلك حتما في الطريق، كما ان حضرة الباب قد أمرني ان أعود وحدي الى موطني). وكانت قوة إجابته الحازمة قد أسكتت الذين رجوه ان يسمح لهم بالسفر معه. ولم يقبل أن يأخذ أي نقود أو ملابس من أحد. ورجع قافلا الى وطنه فريداً سائراً على الأقدام وعصاه في يده ولم يعلم أحد ماذا أصابه.

وكان محمد علي الزنوزي الملقب بـ "أنيس" ضمن الذين سمعوا برسالة حضرة الباب في تبريز وتأججت فيه نيران الشوق للإسراع الى جهريق للقائه، وأشعلت فيه هذه الكلمات شوقاً لا يقهر لشرب كأس الشهادة في سبيله. وبذل سيد علي الزنوزي صهره، من أعيان تبريز الجهد في منعه عن ترك المدينة. وتمكن في النهاية من حبسه في المنزل وتشديد المراقبة عليه. فمرض في الحبس الى ان حان الوقت الذي فيه وصل محبوبه الى تبريز وأعيد الى سجنه في جهريق.

وسمعت الشيخ حسن الزنوزي يروي ما يأتي (في الوقت الذي أمر فيه حضرة الباب عظيم بالارتحال أمرني ان أجمع جميع الألواح التي نزلت أثناء الحبس في قلعة ماكو وجهريق وأن أسلمها ليد السيد ابراهيم الخليل الذي كان وقتها موجوداً في تبريز وأمره ان يتحفظ عليها ويخفيها بكل مهارة وحرص).

وأثناء إقامتي في تلك المدينة، كنت كثيرا ما أسمع السيد علي الزنوزي يندب حظ ابنه (أنيس) المحزن لي لأني كنت من أقربائه وكثير التردد عليه، فكان يشكو بحرقة قائلا (يظهر عليه انه فقد رشده وانه جلب عليّ العار بسلوكه، فاجتهد في ان تقنعه ان يخفي اعتقاده وتهدي روع قلبه) ولذلك اعتدت زيارته في كل يوم وأرى دموعه تجري دواما من عينيه. ولما رحل حضرة الباب من تبريز ذهبت يوما لرؤيته، فتعجبت من منظره لأني رأيت إمارات الفرح بادية على وجهه وتهلل وجهه اللطيف بشراً عند لقائي وقال لي وهو يعانقني (ان أعين المحبوب قد نظرت هذا الوجه ورأت عيناي وجهه. فدعني أحكي لك سبب سروري، فبعد أن أرجع حضرة الباب الى جهريق وبينما أنا محبوس في غرفتي وجهت قلبي اليه وناجيته قائلا: "ترى يا محبوبي أسري وعجزي وتعلم كم أحن شوقا للنظر الى وجهك. فارفع بأنوار وجهك هذه الظلمة التي تخيم على قلبي".. وغلب عليّ التأثر بدرجة اني فقدت شعوري، وفجأة سمعت صوت حضرة الباب يناديني ويأمرني بالقيام، ورأيت جمال وجهه ظاهرا أمامي. وكان يتبسم وهو ينظر اليّ، فاندفعت نحوه وطرحت نفسي على قدميه. فقال لي "افرح فان الساعة قادمة لأن في هذه المدينة سأعلق أمام أعين الجماهير وأقع فريسة لنار العدو ولن انتخب أحدا خلافك ليشاركني في تجرع كأس الشهادة، وتأكد أن هذا

الوعد الذي أعدك به سيتحقق". وسحرت من جمال هذه الرؤيا. ولما صحوت وجدت نفسي غريقا في بحر من السرور الذي لا تحجبه جميع أحزان العالم). ولا يزال هذا الصوت يرن في أذني. وتتمثل هذه الرؤيا دائما أمامي ليل نهار وان ذكرى تلك الابتسامة الفائقة الوصف أنستني عزلتي في حبسي وأصبح اعتقادي يقينا بان الساعة التي ضمنها لي لتحقق الوعد لا تتأخر بعد ذلك.

فنصحته بالصبر وأن يكتم أمره، فوعدني انه سوف لا يبوح بهذا السر، وتعهد ان يسلك مع والده السيد علي، بالرفق والأناة. وأسرعت الى والده وأخبرته ببرئه ونجحت في فك أسره. واستمر هذا الشاب الى يوم شهادته في حالة فرح وسكون تام مع والديه وأقربائه. واستمر على هذا المنوال في سلوكه نحو الأصحاب والأقارب، حتى انه في اليوم الذي ضحى فيه حياته لأجل محبوبه كان جميع أهل تبريز يندبونه ويبكونه.

الحواشي

(1) 3 يوليو سنة 1848 أول أغسطس سنة 1848.

(2) وفي مقالة سائح (صحيفة 108) ان الباب مكث ثلاثة أشهر في قلعة جهريق قبل نقله الى تبريز لمحاكمته.

(3) وكان الباب قد وضع في حبس جهريق وشدد عليه في هذا الحبس أكثر من ماكو لذلك كان يدعو الأول بجبل شديد (عدد شديد 318 وهو يوافق في العدد جهريق، وسمى ماكو بباسط). (من كتاب مقالة سائح صحيفة 276 حاشية ل).

(4) وهناك كما في كل مكان التف حوله عديديون وكتب مسيو موشين في مذكراته عن الباب (انه في شهر يونيو سنة 1850 او سنة 1849 على الأصح ذهبت الى جهريق لأعمال تخص وظيفتي ورأيت البالاخانة التي كان الباب يتلو آياته على سطحها وأشتد تجمع الناس حولها حتى ملأوا المكان والفناء الذي أمامه وكان أغلب المستمعين الذين لم يجدوا مكانا يقفون في الشوارع ينصتون الى آيات القرآن الجديد. ثم بعد قليل من الزمن نقل الباب الى تبريز لإعدامه). (من المجلة الآسيوية سنة 1866 جزء 7 صحيفة 371).

(5) إشارة الى الباب وهو من ألقابه.

(6) إشارة الى بهاءالله.

الفصل الثامن عشر

التحقيق مع حضرة الباب في تبريز

وكان حضرة الباب عالما بدنو ساعته ولذلك فرّق أتباعه الذين كانوا قد اجتمعوا حوله في جهريق وانتظر الأمر بدعوته الى تبريز بسكون ورضا. ورأى الذين تسلموا حراسته ان لا يمروا به في بلدة خوي التي تقع في طريقهم الى عاصمة آذربايجان وعزموا على الارتحال بطريق اروميه. وبهذه الوسيلة يتجنبون المظاهرات التي كان أهالي خوي مزمعين ان يقوموا بها احتجاجا على ظلم الحكومة. ولما وصل حضرة الباب الى اروميه احتفل به مالك قاسم ميرزا، وأكرم وفادته للغاية وأظهر البرنس له احتراما فائقا. ومنع أي أحد من ان يعامله بغير الاحترام.

وذات يوم بينما كان حضرة الباب ذاهباً الى الحمّام العمومي، أراد البرنس أن يمتحن قوة ضيفه، فأمر السائس أن يسرج له أصعب الجياد مراساً. ولعلم الخادم بالضرر الذي ربما يلحق بحضرة الباب، اقترب منه ونبهه سراً أن لا يقبل امتطاء الجواد لأنه يطرح أقوى وأشجع الفرسان. فكان جوابه له (لا تخف اعمل كما أمرت واتركنا لحفظ الله وحراسة المولى القدير). وعلم أهل اروميه بغرض البرنس فاجتمعوا في الميدان العمومي أمام الحمّام لرؤية ما يحصل

لحضرة الباب، ولما قدم اليه الجواد اقترب منه بهدوء وأخذ اللجام من يد السائس ودلله بلطف، ثم وضع رجله في الركاب فوقف الجواد بدون حراك كأنه شاعر بالقوة التي معه. فأعجب الحاضرون جميعا بمسلك الجواد إذ شاهدوه هادئاً على غير عادته. ولضعف عقولهم ظهرت لهم هذه الحادثة كإحدى المعجزات. فأسرعوا في حماسهم لتقبيل ركاب حضرة الباب، ولكن خدّام البرنس منعوهم من ذلك حرصا على ان مثل هذا الهجوم ربما يحصل منه ضرر له. وكان البرنس الذي رافق حضرة الباب مشياً على قدميه الى قرب الحمّام، قد أمره حضرة الباب قبل الوصول الى المدخل بالعودة، وكان خدّام البرنس يوسعون الطريق أمامه في طول المسافة من كثرة الازدحام الحاصل من الذين حضروا لاختلاس نظرة منه، وعند وصوله صرف الخدم عدا الخادم الخصوصي والسيد حسن الذي مكث في غرفة مجاورة وساعده في خلع الملابس، وعند عودته من الحمّام امتطى نفس الجواد وهللت له الجماهير. وجاء البرنس لمقابلته أيضاً ومشى في معيته الى ان وصل الى مقره.

وما كاد حضرة الباب يتمم استحمامه حتى هجم أهالي ارروميه وتقاسموا الماء الذي استعمله في اغتساله الى آخر قطرة وحصل في المدينة هياج عظيم، فلما شاهد حضرة الباب علائم هذا الحماس تذكّر الحديث المشهور المنسوب للإمام علي أمير المؤمنين الذي أشار الى آذربايجان وورد فيه ان بحيرة ارروميه سوف تغلي ماؤها وتطفو على الشواطئ وتفيض على المدينة. ولما أخبروه بأن غالبية السكان اعتنقوا أمره دفعة واحدة، أجاب بهدوء (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون)(قرآن 29-2). وقد تأيد هذا البيان بمسلك هؤلاء

السكان نحوه حين بلغهم خبر المعاملة المفجعة التي عومل بها في تبريز. فلم يستقم على الأمر منهم الا القليل رغم إجماعهم أولا على الايمان بمحض رغبتهم فكان ذلك امتحانا لهم.

وكان من بين الذين استقاموا على الأمر الملاّ إمام وردي، فلم يوجد أحد هناك أكثر إيمانا منه سوى ملاّ جلال ارومي أحد أهالي اروميه وأحد حروف الحيّ. وزادت شعلة إيمانه بالاضطهاد وتقوّى اعتقاده باستقامته على الأمر الذي اعتنقه. وأخيرا حضي بلقاء حضرة بهاءالله واعترف برسالته فيما بعد. وجاهد في نشر أمره بنفس الأمانة التي قام بها على نشر أمر حضرة الباب. وكلاهما اعترفا بخدماته المتكررة وتشرف هو وأسرته بألواح عديدة من قلم حضرة بهاءالله وفيها امتدح أعماله ودعا له بإنزال البركات عليه من الله القدير وبعزم لا ينثني استمر على العمل لإعلاء شأن الأمر حتى وصل الى سن الثمانين حيث فارق الحياة.

أما روايات صدور العجائب من حضرة الباب فكانت تتناقلها ألسن الذين شاهدوها من المعجبين به الذين لا يدخلون تحت حصر، وأوجدت حماسا انتشر بسرعة مدهشة في جميع أنحاء المملكة. وانتقلت الى طهران وأهاجت هناك رؤساء الدين للقيام بعمل مجهودات أخرى جديدة ضده، لأنهم ارتعبوا من سرعة نفوذ أمره وشعروا انهم لو تركوه وشأنه لآل نصيب الأحكام التي يستندون عليها في رياستهم الى الزوال واندثرت بحكم ظهوره وتمكينه، خصوصا وقد رأوا دلائل الإخلاص لحضرة الباب بادية من كل الجهات وعجزوا عن إيجاد مثلها لأنفسهم، وكان ذلك الايمان الجديد قد نقض ما كانوا يغزلونه بأيديهم وهدم

جميع تأسيساتهم ووجدوا ان جميع قوتهم وأصول أحكامهم عاجزة عن إطفاء نوره.

وكانت تبريز على الخصوص تتمخض بأفجع الاضطرابات. وأهاجت أخبار قرب وصول حضرة الباب مخاوف السكان وأثارت أقسى أنواع العدوان في قلوب علماء آذربايجان الدينيين. وكان هؤلاء العلماء وحدهم من بين جميع سكان تبريز هم الذين لم يشتركوا في المظاهرة الودية التي حيوا بها رجوع حضرة الباب الى مدينتهم. وكان حماس الناس لهذه الأخبار زائدا بدرجة ان الحكومة قررت ان تكون إقامة حضرة الباب خارجا عن أبواب المدينة. ولم يتشرف بلقائه الا الذين أراد هو مقابلتهم وأما غيرهم فمنعوا من الحصول على هذا الشرف.

وفي الليلة الثانية من وصول حضرة الباب، دعا عظيم لمقابلته، وأثناء محادثته معه أكد له ان دعوته إنما هي دعوة القائم الموعود، فوجده مترددا في قبول هذه الدعوة بدون قيد، ولما رأى اضطرابه الباطني قال له (إني باكراً أمام ولي العهد وفي وسط الجمع الحاشد من العلماء والأعيان سوف اظهر دعوتي. وكل من يريد أن يطلب برهانا سوى الآيات التي أتلوها فليطلبها من قائمه الموهوم).

وسمعت عظيما يقرر الآتي (كنت في تلك الليلة في اضطراب كبير وبقيت مستيقظا الى ساعة طلوع الشمس، وبمجرد أن صليت الصبح وجدت تغييرا عظيما في نفسي حتى كأن بابا جديدا فتح أمام وجهي، وجاءتني الفكرة بأني لو كنت أميناً ومطيعاً لدين محمد رسول الله لاعترفت برسالة حضرة الباب

بدون قيد ولخضعت لكل ما يأمر به بدون خوف ولا تردد. ولكانت هذه النتيجة التي وصلت اليها قد أزالت اضطرابي. فأسرعت الى حضرة الباب وطلبت منه العفو والمغفرة. فقال لي: "ان من علائم عظمة الأمر أن أمثال عظيم يضطرب ويهتز من قوته واتساع نطاقه، فثق ان فضل الله يمكنك ان تقوّي كل ضعيف القلب وتثبت كل متزلزل. وستكون ثابتا على شأن لو يقطعك الأعداء إرباً إرباً رجاء ان تنقص محبتك بقدر ذرة فلا يقدرون على ذلك، وستقابل في مستقبل أيامك وجها لوجه مظهر رب العالمين وتفرح بلقائه.." فكانت هذه الكلمات كالمرهم لجرحي وأزالت كل همومي. ومن ذلك التاريخ لم يظهر عليّ أي أثر للاضطراب ولا للخوف).

وكان حجز حضرة الباب خارج أبواب المدينة غير كاف في تهدئة الهيجان الذي ساد فيها، وكل عمل تذرعت به السلطة وكل احتراس صدر منهم لم يزد الموقف الا شدة ولم ينذر الا بسوء العاقبة. وأصدر الحاج ميرزا أقاسي أوامره بدعوة الرؤساء الدينيين في تبريز الى سراي حاكم آذربايجان بقصد محاكمة حضرة الباب وإطفاء أمره وتأثيره. وكان من بين المدعوين لهذا الاجتماع الحاج ملاّ محمود، المسمى نظام العلماء معلم ناصر الدين ميرزا ولي العهد[1] والملاّ محمد المامقاني وميرزا علي أصغر شيخ الاسلام وكثيرون غيرهم من أكابر علماء الشيخية والشيعة[2] وكان ناصر الدين ميرزا حاضرا بنفسه في هذا الاجتماع، وكان نظام العلماء رئيس الاجتماع. ولما تم انتظام عقدهم أمر الرئيس باسم الجميع أحد ضباط العسكرية ان يدخِل حضرة الباب. واكتظ جم غفير بالمدخل منتظرين بفروغ صبر الوقت الذي يمكنهم فيه أن

يفوزوا بنظرة الى حضرة الباب. ومن شدة الزحام اضطر العسكر لتوسيع طريق له من بين الجموع المكتظة. ولما دخل حضرة الباب وجد ان جميع المقاعد مشغولة عدا مقعد واحد كان أعد لولي العهد. فسلّم على الجميع وبدون أي تردد ذهب واحتل المحل الخالي. وكانت مهابة شخصه والجلال الذي علا وجهه وروح القوة التي أشرقت من جميع هيكله قد سحقت أرواح جميع الموجودين، وساد عليهم فجأة صمت عجيب عام، ولم يقدر أحد منهم ان ينطق ببنت شفة. وقطع نظام العلماء الصمت المخيم عليهم إذ سأل حضرة الباب (من تكون وما هو ادعاؤك؟ وما هي الرسالة التي أتيت بها؟) فأجاب حضرة الباب ثلاثاً (إني أنا الموعود، وأنا الذي دعوتموه مدة ألف سنة وتقومون عند سماع اسمه، وكنتم تشتاقون للقائه عند مجيئه وتدعون الله بتعجيل ساعة ظهوره. الحق أقول لكم ان طاعتي واجبة على أهل الشرق والغرب). فلم يجرأ أحد على الكلام سوى الملا محمد المامقاني وهو أحد رؤساء الشيخية الذي كان تلميذا للسيد كاظم والذي كان أستاذه السيد يئن وينوح ويبكي من عدم إيمانه ويأسف لفساد أخلاقه.

وروى الشيخ حسن الزنوزي الذي سمع ذلك من السيد كاظم ما يأتي (كنت أتعجب كثيراً من تعريضه بالملا محمد وكنت أشتاق ان أعرف مستقبل حياته وسلوكه لأرى إن كان حكم السيد كاظم عليه في محله من عدمه، فلما رأيت سلوكه نحو حضرة الباب عرفت صدق ما أخبر به الأستاذ عن غفلته وعماه وكبره وغروره). وكنت واقفا مع أشخاص آخرين خارج بهو القاعة التي كانوا فيها. وتمكنت من سماع المناقشة التي جرت في الداخل. وكان الملا محمد جالسا على يسار ولي العهد. وحضرة الباب جالساً فيما بينهما. ولما

أعلن حضرة الباب انه هو الموعود أخذ الرعب جميع الحاضرين ونكسوا رؤوسهم مرتبكين وهم سكوت، وعلت وجوههم قترة واصفرار دل على غليان قلوبهم.

وكان ملا محمد ذلك الأعور الأبيض الذقن الغادر قد قام على توبيخه بوقاحة قائلا: (إنك أيها الشقي الناقص صبي شيراز قد خربت العراق والآن تريد ان تثير مثل هذا الخراب في آذربايجان).

فأجابه حضرة الباب: (يا فضيلة الشيخ أنا لم أحضر هنا من تلقاء نفسي بل دُعيت الى هذا المكان).

فرد عليه الملا محمد قائلا بحماقة: (أسكت يا أرذل أتباع الشيطان).

فقال له حضرة الباب: (يا فضيلة الشيخ أكرر لك ثانيا ما سبق قلته لك).

ورأى نظام العلماء أن الأحسن هو الاعتراض على رسالته علنا. فقال لحضرة الباب: (ان الدعوة التي تقدمها الآن هي دعوة خطيرة فيجب ان تدعمها بالدليل القاطع).

فأجاب حضرة الباب: (إن أقوى دليل وأقنعه على صحة دعوة رسول الله هو كلامه كما دلل على ذلك بقوله: "ألم يكفهم إنا أنزلنا عليك الكتاب". ولقد آتاني الله هذا البرهان، ففي ظرف يومين وليلتين أقرر أني أقدر أن أظهر آيات توازي في الحجم جميع القرآن).

فقال له نظام العلماء: (ان كنت صادقا صف لنا هذا الاجتماع شفاهيا بلغة تشابه آيات القرآن، حتى ان ولي العهد والعلماء المجتمعين يشهدون بصحة دعوتك).

فوافق حضرة الباب على طلبه وابتدأ ينطق بهذه الكلمات: (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والأرض).

فاعترض عليه الملا محمد المامقاني لافتاً نظره لغلطة نحوية وصاح قائلا باحتقار: (ان هذا القائم أظهر جهله في أول كلامه في أبسط القواعد النحوية).

فأجابه حضرة الباب: (إن القرآن نفسه لا يتفق في كثير من الأحوال مع هذه القواعد السائدة بينكم، فكلمة الله لا تقاس بالحدود التي هي عند خلقه بل ان القواعد التي أوجدها الناس قد استنتجوها من كلام الله. وقد وجد هؤلاء الناس مخالفات نحوية في القرآن في أكثر من ثلثماية موضع مثل الموضع الذي تنتقد عليه، ولكنهم امتثلوا ولم يكن لهم بد من ذلك لأن الكلام إنما هو كلام الله[3].

ثم أعاد الكلمات التي نطق بها وانتقد عليها ثانية الملا محمد. وبعد ذلك تجاسر شخص آخر على إيراد السؤال الآتي لحضرة الباب: (على أي صيغة من صيغ الأفعال تصرف كلمة اشترطن).

وجوابا على هذا السؤال، تلا حضرة الباب الآية القرآنية (سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين). ثم قام بعد ذلك وترك مجمعهم[4].

وغضب نظام العلماء من الطريقة التي سلكها ذلك الجمع وسُمع يقول (وا أسفاً على سفاهة أهل تبريز. فما هي العلاقة بين هذه الأسئلة الباردة وبين النظر في أمثال هذه الدعوة الخطيرة). كذلك كان غيره يسفّه أحلام الذين قاموا على جدال حضرة الباب بهذه الطريقة المعيبة المخجلة. وكان الملا محمد

المامقاني مع ذلك مصراً على رده الفظيع وصاح في الجمع محتداً (اني أحذركم بأنكم لو صرّحتم لهذا الشاب ان يستمر في تنفيذ أعماله بدون إيقافه عند حده، فسيأتي اليوم الذي فيه يدخل كل سكان تبريز في أمره وينضمون الى لوائه. وإذا أراد في ذلك اليوم وأنتم مقبلون اليه ان يظهر رغبته في طرد علماء تبريز حتى ولي العهد نفسه وأن يتولى زمام السلطة الدينية والمدنية وحده فلا يقدر أحد منكم على معارضته فعلا لأن جميع سكان المدينة بل كافة سكان آذربايجان يكونون كلهم قائمين على إعانته).

وكان رد هذا الخائن المحتال قد أثر في أفكار أرباب السلطة في تبريز، وتشاور الذين كانت بيدهم مقاليد الأمور معا في الوسائل التي يقومون على اتخاذها لمقاومة نجاح هذا الأمر، فأشار البعض منهم الى دعوته مرة أخرى لمجمع آخر يوقع عليه فيه عقاب صارم بحكم من الأعضاء لأنه في المجمع الأول جلس في المقعد المخصص لولي العهد وترك المجلس بدون إذن رئيسه. ولكن ناصر الدين ميرزا لم يقبل هذا الحل. وأخيرا اتفقوا على ان يحضروا حضرة الباب الى منزل ميرزا علي أصغر الذي كان شيخ الاسلام في تبريز وسيّداً، ليحكم عليه بالعقاب الذي يستحقه وينفذ الحكم بمعرفة حراس الحاكم. ولكن الحراس أبوا أن يطيعوا هذا الأمر مفضلين عدم التداخل في مثل هذا الموضوع الذي هو خاص بعلماء المدينة وحدهم. فعزم إذ ذاك شيخ الاسلام أن يوقع العقاب بنفسه وطلب حضرة الباب في منزله وبيده ضربه بالعصى على قدميه إحدى عشرة مرة[5].

وفي نفس السنة أصيب ذلك الطاغية بالشلل وبعد ان قاسى آلاما مبرحة مات أشنع ميتة. وكان مشهوراً عند جميع أهالي تبريز بصفات الطمع والخيانة والجشع. ولشهرته بالقسوة والخسة كان مخوفا ومحتقرا في الوقت نفسه من الأهالي الذين كانوا يئنون من ظلمه ويدعون الله للخلاص منه وكانت حادثة وفاته المزرية قد فكّرت الناس من الحبيب والعدو بالعقاب الذي لابد وان يصيب الذين لا يردعهم خوف الله ولا صوت الضمير من معاملة مواطنيهم بالقسوة والغدر. وبعد وفاته ألغيت وظيفة شيخ الاسلام في تبريز.

واشتد الخزي الذي لحق به لدرجة انه الصق العار بالوظيفة حتى مجتها الناس، فتقرر إلغاؤها. فكان مسلكه الشائن الدنيء مثالا لمعاملة علماء الدين لحضرة الباب. فما أبعدهم وأضلهم عن طريق الحق والعدل والإنصاف فكم ازدروا بنصائح رسول الله ومواعظ أئمة الدين الذين ورد عنهم انه اذا ظهر شاب من بني هاشم[6] ودعا الناس الى كتاب جديد وشرع جديد، فعلى الكل أن يسرعوا اليه ويعتنقوا أمره. ومع أن هؤلاء الأئمة قد بينوا أن أكبر أعدائه العلماء فان هؤلاء الهمج الرعاع يتبعونهم ويطيعون أوامرهم ويوافقونهم على باطلهم بل يطبعونه بطابع الحق والعدل ويسيرون على منوالهم ويظنون انهم هم وحدهم الفرقة الناجية وانهم المختارون الذين اختارهم الله وانهم هم الأمناء على الحق.

هذا وقد أعادوا حضرة الباب من تبريز الى جهريق ووكلوا لحراسته يحيى خان وظن أعداؤه انه سوف يترك ادعاءه من جراء تهديده في مجلسهم. الا ان ذلك الاجتماع الذي أعدوه له وأحضروه فيه كان قد مكّنه من ان يبين حقيقة مدعاه علنا وبكل جسارة أمام أكبر هيئة دينية في عاصمة آذربايجان وأن

يتغلب بكلام مختصر مفيد على كل حجج معترضيه. وكان إعلان الدعوة الخطيرة قد انتشر في طول البلاد وعرضها وحرك مرة أخرى احساسات المؤمنين وأهاج فيهم حماسا شديدا وقوّى مركزهم وكان مقدمة للحوادث العظيمة التي سوف تجتاح البلاد.

وما كاد حضرة الباب يعود الى جهريق حتى كتب رداً على مسلك الحاجي ميرزا أقاسي. وفي الفصول الافتتاحية لهذا اللوح الذي سمّاه بالخطبة القهرية يخاطب رئيس وزراء محمد شاه بقوله (يا من كفر بالله وأعرض بوجهه عن آياته) وهذا اللوح المطول قد سّلم للحجة وكان في ذلك الوقت في طهران، وقد أمر أن يسلمه بنفسه الى حاجي ميرزا أقاسي.

وقد سمعت من فم حضرة بهاءالله بينما كان في سجن عكاء انه قال (ان ملا محمد علي الزنجاني بعد أن أعطى اللوح الى حاجي ميرزا أقاسي، حضر وزارني، وكان بصحبتي ميرزا مسيح نوري وعدد من المؤمنين عند حضوره، وحكى كيفية تسليم اللوح وكيف أنه قرأه أمامنا بأكمله وكان نحو ثلاث صحائف وقد حفظه عن ظهر قلبه). وكانت إشارات حضرة بهاءالله الى الحجة تنبئ عن عظيم امتنانه من طهارة ونبل حياته وكم كان يعجب بشهامته وجرأته وارادته التي لا تقهر وزهده في الدنيا واستقامته التي لا تتزعزع.

الحواشي

(1) ولد في 17 يوليو سنة 1831 وابتدأ حكمه في سبتمبر سنة 1848 وقتل سنة 1896، وترك هذا البرنس طهران للانتظام في سلك الحكومة في 23 يناير سنة 1848 لأن والده توفي في 4 سبتمبر من نفس السنة وكانت عودته في 18 منه ليكون شاها. (من تاريخ السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 243 حاشية 195).

(2) وفي مقالة سائح (صحيفة 19 ترجمة انجليزية) زاد عليهم ميرزا احمد إمام الجمعة.

(3) وإذا حصل اعتراض على النحو والصرف الواقع في الآيات فذلك لأن القواعد يجب أن تستمد من الآيات وليست الآيات مرتبة بمقتضاها، فمما لاشك فيه ان رب الآيات قد أنكر هذه القواعد وأنكر معرفتها لأنه قائم بذاته. (البيان الفارسي الجزء الأول صحيفة 45-46).

(4) وأما عن الروايات الاسلامية التي أمامنا فليس عليها مسحة الصدق بل يظهر انها مزورة، وكان العلماء والموظفون الذين حضروا الاجتماع عالمين بما يريدون أن يعملوه مع الباب، ورغما عن انه أظهر لهم أحسن الحجج فانهم كانوا غير راغبين في تدوين انهزامهم وخذلانهم. (من كتاب الدكتور جين اتحاد الأديان والأقوام صحيفة 62).

ومن الصعب الحكم على صحة الرواية الاسلامية عن المحاكمة في تبريز وقد تكون بعض الأسئلة المدونة قد وقعت فعلا على ما فيها من القحة واللف. وقد لا يصدر من الباب جواب عليها، فمن المعقول جدا كما كتب في التاريخ الجديد ان الباب فضل الصمت الوقور

كما ينسبه بعض كتاب المسلمين عن الإجابة عن الخزعبلات. وهذا يناقض ويخالف قضيتهم لأنهم اجتهدوا ان يظهروا الباب بمظهر الرجل الذي لم يكن عنده مواهب خارقة للعادة، فأظهروه بمظهر الرجل الجاهل، فيصعب تصديق ذلك بالكلية، ومما لاشك فيه ان المحاكمة كانت مهزلة والحكم عليه كان متفقا عليه قبل المحاكمة ولم يكن لدى المجتمعين إذ ذاك أي غرض في معرفة طبيعة دعوة الباب او السؤال عنها. وكان جميع المجلس من أوله الى آخره منحصرا في التهكم والسخرية والاستهزاء والمهاترة وهذا ما يظهر لي جليا من التواريخ الاسلامية والبابية. (مقالة سائح حاشية م صحيفة 290 طبعة انجليزية).

(5) وهذه رواية الدكتور كورمك عن نظريته في ميرزا علي محمد الباب مستخرجة من خطابات كتبت الى القس بنيامين لابارى وكان الدكتور كورميك طبيبا إنجليزيا أقام في تبريز مدة طويلة كان فيها موضع الاحترام. وعرضت هذه الكتابات على البروفسور إدوارد براون من كامبردج بواسطة المستر و.ا. شيد الذي حرر خطابا خاصا بها مؤرخا أول مارس سنة 1911م قال فيه:-

عزيزي الأستاذ براون – أثناء البحث في أوراق والدي (القس ج. هـ. شيد) من الإرسالية الأمريكية في اروميه وهي التي كان ملحقا فيها الدكتور بنيامين لابارى، وجدت بعض أشياء ربما كان لها قيمتها من الوجهة التاريخية وليس عندي هنا كتب ولا يمكن الحصول على أي منها حتى يمكن معرفة ان كانت هذه الشهادة قد حصل الانتفاع منها من عدمه وربما ظننت العكس واني متأكد ان أحسن شيء أعمله هو أن أرسلها اليك بأمل الانتفاع بها كما تشاء. أما عن صحة المعلومات التي حوتها الأوراق فليس هناك أي شك فيها. انتهى. وهذا نص الخطاب كما يأتي:-

وإنك تسألني عن تفاصيل مقابلتي لمؤسس هذه الفرقة المعروفة بالبابية فأقول انه لم يحصل في هذه المقابلة أمر مهم لأن الباب كان يعلم أني أرسلت مع اثنين من أطباء الفرس لفحص قواه العقلية حتى يمكن الفصل في إمكان إعدامه من عدمه ولذلك كان يكره الإجابة على أسئلتنا له. وردا على كل استعلام منه كان ينظر الينا نظرة هادئة كريمة وهو يتلو مناجاة بصوت منخفض موسيقي. وكان يوجد معه اثنان من الأشراف من أعز مخلصيه وقد

أعدما أيضا فيما بعد وكذلك كان يوجد عنده الكثيرون من موظفي الحكومة ولم يجبني سوى مرة واحدة عندما قلت له انني لست مسلما وأريد ان أعلم شيئا عن ديانته لأني ربما اعتنقتها. فدقق النظر فيّ إذ ذاك وأجاب انه لاشك عنده أن جميع الأوروبيين سوف يؤمنون به. فقدمنا تقريرنا الى الشاه وقتئذ قائلين ان طبيعته تقتضي عدم إعدامه، ولكنه أعدم بأمر الأمير نظام ميرزا تقي خان بعد وقت قصير. وأما بعد تقديم تقريرنا أوقعوا عليه عقوبة الجلد وفي أثناء الجلد وقعت العصى على وجهه سواء قصدا او بدون قصد، فأحدثت كدما كبيرا، ولما سئل هل يرغب في حضور طبيب فارسي فأبدى أنه يرغب حضوري أنا لمعالجته. فعالجته بضعة أيام ولكنه في هذه المقابلات لم يمكن التكلم معه سراً لأن بعض موظفي الحكومة كانوا دائما حاضرين للمراقبة بما أنه كان مسجونا وكان شاكرا جدا لعنايتي به وكان وسيم الطلعة محبوبا ذا جسم نحيف ولا يعتقد من يراه انه إيراني لأنه ألطف وجها منه وله صوت ناعم موسيقي أثّر فيّ كثيرا. ولما كان سيداً كان يرتدي ملابس الأشراف كعادة هذه الفئة. وعلى وجه العموم كانت هيئته تجذب الإنسان نحوه ولم أسمع منه شيئا خاصا بديانته ولو انه كان معروفا أن في دينه شبها كبيرا بالمسيحية. وقد رآه كثير من النجارين الأرمن الذين أرسلوا لأجل عمل بعض الإصلاحات في السجن وهو يقرأ في التوراة ولم يجتهد في إخفائها بل بالعكس كان يتكلم معهم بخصوصها.

وبكل تأكيد لا يوجد في دينه ذلك التعصب الإسلامي بالنسبة للديانة المسيحية ولا فيه ذلك الحبس النسائي. انتهى. وكتب المستر براون بخصوص هذا الخطاب:- ان أول هذين الخطابين مهم جدا إذ فيه وصف للباب وقت حبسه وآلامه وتأثيره على عقل أوروبي مهذب محايد. وقليل جدا من الأوروبيين تمكن من مقابلة الباب او أتيحت له فرصة التحدث معهم ولا أعلم أحدا خلافه كتب شيئا عن ملحوظاته بالنسبة اليه. (دروس في الديانة البابية للمستر ا.ج. براون صحيفة 260-262-264).

(6) هاشم هو جد النبي محمد(ص).

الفصل التاسع عشر
ملحمة مازندران

وفي شهر شعبان الذي وقعت فيه الإهانة على حضرة الباب في تبريز وهو نفس الشهر الذي وقعت فيه المصائب على حضرة بهاءالله وأصحابه في نيالا، رجع جناب الملاّ حسين من معسكر البرنس حمزة ميرزا الى مشهد، ومنها عزم على السفر الى كربلاء مصحوبا بمن أراد. وقد عرض عليه البرنس مبلغا من المال ليستعين به على مصاريف السفر، ولكنه رفض قبوله وأعاد اليه النقود طالبا منه ان يصرفها على الفقراء والمحتاجين. كذلك تبرع عبد العلي خان بكافة الاحتياجات اللازمة لسفر جناب الملاّ حسين، وأظهر رغبته في دفع مصاريف الذين يختارهم لصحبته، فلم يقبل من جميع ذلك سوى سيفاً وجواداً أعدهما للدفاع بشجاعة ومهارة تامة ضد عدو مهاجم غادر.

وإن قلمي ليعجز عن أن يصف الإخلاص والايمان الذي أوقده جناب الملاّ حسين في قلوب أهل مشهد ولا مقدار مدى تأثيره عليهم فقد كان منزله في تلك الأوقات دائما حافلا بجموع محتشدة بقصد مصاحبته في السفر. وكانت النسوة يحضرن أبناءهن والأخوات إخوانهن ويتضرعن اليه بدموع منهمرة أن يقبلهم فداء على محراب التضحية.

وبينما كان جناب الملاّ حسين في مشهد إذ وصله رسول يحمل عمامة حضرة الباب مع لقب جديد وهو (السيّد عليّ). وقال للرسول (قل له زيّن رأسك بعمامتي الخضراء علامة نسبي وأنشر الراية السوداء أمامك وأسرع الى الجزيرة الخضراء وساعد حبيبي القدوس).

وبمجرد وصول هذه الرسالة قام جناب الملاّ حسين على تنفيذ إرادة مولاه وترك مشهد لمحل يبعد عنها فرسخاً واحداً، ورفع فيه الراية السوداء ووضع عمامة حضرة الباب على رأسه وجمع أصحابه وركب جواده وأمر الجميع أن يسافروا الى الجزيرة الخضراء، وتبعه أصحابه جميعا بحماس، وكانت عدتهم مايتين واثنين، وكان ذلك اليوم التاريخي هو في 19 شعبان سنة 1264 هجرية. وعند نزولهم في كل قرية وناحية يمرون عليها ينادي جناب الملاّ حسين وأصحابه بدون خوف ولا وجل بظهور اليوم الجديد ويدعون الناس لاعتناق أمر الحق، وينضم للسفر معهم نفر قليل من المؤمنين الذين ينتخبونهم من بين الجموع المحتشدة حولهم.

وفي مدينة نيشابور درج اسم الحاجي عبد المجيد والد بديع[1] الذي كان تاجرا مشهورا ضمن أصحاب الملاّ حسين. ومع ان والده كان له احترام لا يدانى لأنه كان صاحب منجم الفيروز المشهور في نيشابور، فانه ترك هذا الجاه وهذه المنافع المادية التي درّتها عليه بلدته وقدّم نفسه للملا حسين بخضوع تام. وفي قرية مياماي اعتنق الأمر من بين الأهالي ثلاثون نفراً وانضموا الى جماعته، وجميعهم استشهدوا في قلعة الشيخ طبرسي ما عدا الملاّ عيسى[2].

ولما وصلوا الى "چشمة علي" وهي محلة في بلدة دامغان وعلى الطريق الموصل الى مازندران، عزم جناب الملاّ حسين أن يقطع سفره وينتظر هناك بضعة أيام، ونصب خيامه تحت ظل شجرة كبيرة بالقرب من نهر جاري، وقال لأصحابه (نحن الآن على ملتقى الطرق وسننتظر الأمر بالرحيل الى الجهة التي سنتوجه اليها). وفي آخر شوال[3] قامت عاصفة شديدة قطعت فرعا من تلك الشجرة، فلاحظ جناب الملاّ حسين قائلا (ان شجرة سلطنة محمد شاه قد اقتلعت ووقعت على الأرض بإرادة الله). وفي اليوم الثالث من تنبئه وصل رسول من طهران الى مشهد معلنا وفاة المليك[4]. وفي اليوم التالي عزم الجماعة على الرحيل الى مازندران. ولما استعد قائدهم لذلك أشار الى جهة مازندران قائلا (هذا هو الطريق الذي يؤدي الى كربلائنا فكل من لم يأنس في نفسه الاستعداد للامتحانات العظيمة المتوقع حصولها لنا فليعد الى منزله ولا يسافر معنا). وكرر هذا الإنذار جملة مرات، ولما اقترب من سواد كوه، صرح لهم قائلا (اني عزمت مع اثنين وسبعين من أصحابي على أن أضحي حياتي لأجل محبوبي فالذي لا قدرة له على رفض الدنيا فليتركنا في هذه اللحظة، لأنه في المستقبل لا يقدر على الفرار). فاختار عشرون من الاتباع العودة لأنهم كانوا غير قادرين على تحمل الامتحانات التي كان رئيسهم دائما يشير اليها.

وأزعجت أخبار اقترابهم لبلدة بارفروش "سعيد العلماء"، وكان قيام جناب الملاّ حسين لرحلته من مشهد ومحبته من جميع الطبقات التي زاد تجمعها حوله والعلم الأسود الذي رفعه أمامه فضلا عن كثرة عدد المؤمنين الذين معه ونظامهم وحماسهم، قد أشعل كل ذلك حقد المجتهد المتكبر الظالم وأثار غيظه

الذي لا يشفى، فأمر المنادي ان ينادي الناس ليجتمعوا في المسجد وأعلن لهم انه سيلقي في الجامع خطبة خطيرة وانه لا يسع أي مسلم حقيقي في تلك الأنحاء ان يتجاهلها. فماج الجامع بالجموع المحتشدة من الرجال والنساء وصعد المنبر وطرح عمامته على الأرض ومزق صدر ردائه وندب الحظ الذي وقع فيه الدين وأرعد وأبرق من المنبر وقال (تيقظوا لأن أعداءنا متربصون ومترصدون لإلغاء ونقض كل ما نعتبره مقدسا وطاهراً في الاسلام. واذا لم نقدر على مقاومتهم فلا يذرون أحداً يفلت من بطشهم او قبضة يدهم وقد جاء رئيسهم الى مجلس درسي ذات يوم فتجاهلني واحتقرني في محضر تلاميذي المجتمعين. فلما لم اعطه الاحترام الذي كان يتوقعه قام غاضبا. وعزم على منازعتي، فهذا الرجل لم يخش ان يهجم علي هجوما عنيفا في الوقت الذي كان فيه محمد شاه متبوءاً سرير السلطنة وفي أوج قوته. فما الذي يا ترى يفعله الآن هذا الثائر الذي يتقدم ومعه طائفة من المتوحشين إذ رأى ان يد محمد شاه التي كانت تحمينا قد اختفت فجأة. فيجب على سكان بارفروش رجالا ونساء وشبانا وشيوخا ان يتسلحوا ضد هؤلاء المحتقرين المخربين للإسلام وان يقاوموا حملتهم بكل ما أوتوا من قوة، وعليكم باكرا في الصباح ان تخرجوا جميعا لاستئصال شأفتهم ومحوهم).

فلبت الجموع المحتشدة نداءه وأثرت على سكان المدينة بلاغته المهيجة وسلطته التي لا ينازعه فيها احد والخوف من ضياع الأموال والأنفس، واستعدوا لعمل كل ما يمكنهم لمقابلة المعركة الآتية. فتسلحوا بكل آلة وجدوها وخرجوا

في الصباح المبكر من مدينة بارفروش عازمين على ذبح أعداء الدين ونهب ممتلكاتهم[5].

وما كاد جناب الملاّ حسين يعزم على السير في الطريق المؤدي الى مازندران، حتى أمر أصحابه بعد صلاة الصبح ان يتركوا كل ما عندهم، وقال لهم (اتركوا ممتلكاتكم واكتفوا كل واحد بجواده وسلاحه واتركوا ما عداها حتى يعلم الكل بان هؤلاء الجماعة من أحباء الله لا يرغبون في حفظ ممتلكاتهم فكيف في الرغبة في أخذ ممتلكات غيرهم). فأطاعوا جميعا الأمر وامتطوا ظهور جيادهم وتبعوه بفرح عظيم. وكان والد بديع أول من طرح خرجه وكان محتوياً على مقدار عظيم من الفيروز الذي أخذه معه من المنجم، مُلك والده. وكانت كلمة واحدة من جناب الملاّ حسين كافية لأن يطرح أعزّ ممتلكاته وكنوز أمواله على جانب الطريق مفضلا عليها إرادة رئيسه.

وتقابل جناب الملا حسين مع أعدائه على مسافة فرسخ من بارفروش واعترض جمهور من الناس مسلحين ومعهم الذخيرة والعدة وسدوا عليه الطريق وكانت تظهر على وجوههم غبرة الافتراس والتوحش وكذلك كانت تصدر من فمهم عظائم الشتائم. وعزم الأحباء على سلِّ سيوفهم إذ رأوا هذا الهجوم الوحشي، فأمرهم رئيسهم قائلا (لم يحن الوقت، لذلك فانتظروا حتى تلجئنا القوات المعادية ان ندافع عن أنفسنا فنستل إذ ذاك سيوفنا من غمدها). وما كاد ينطق بذلك حتى صوبت نيران العدو عليهم. فسقط ستة من الأحباء شهداء وصاح أحدهم قائلا (أيها الرئيس المحبوب نحن قمنا معك وتبعناك بلا قصد سوى تضحية نفوسنا في سبيل الأمر الذي اعتنقناه فاسمح لنا من فضلك ان

ندافع عن أنفسنا ولا تدعنا نقع بهذه الحالة فريسة مُهانة بنيران الأعداء) فأجاب الملاّ حسين (لم يحن الوقت بعد، لأن العدد لم يكمل). وبعد ذلك جاء مقذوف واخترق صدر أحد الأحباء وهو سيد من يزد[6]، جاء ماشيا على قدميه طول الطريق من مشهد الى ذلك المكان وكان من أقوى المساعدين للأحباء. ولما رأى جناب الملاّ حسين صديقه الحميم وقع تحت أقدامه، رفع عينيه الى السماء وناجى ربه قائلا (إلهي إلهي ترى نصيب أحبائك المخلصين وتشهد ما قابل به هؤلاء القوم أحباءك، وانك تعلم إنا ما قصدنا شيئا سوى هدايتهم الى طريق الحق وإعلامهم بظهور أمرك. وانك أمرتنا ان ندافع عن أنفسنا ضد الهاجمين من أعدائنا. واتباعا لأمرك أقوم الآن مع أصحابي لصد اعتدائهم الذي واجهونا به)[7].

واستل سيفه وهمز جواده في وسط الأعداء واقتفى أثر قاتل صاحبه بإقدام مدهش، فخاف ذلك العدو أن يواجهه واحتمى في شجرة ورفع بندقيته للدفاع عن نفسه، فعرفه جناب الملاّ حسين وهجم عليه، وبضربة واحدة قطع كلاً من جذع الشجرة وماسورة البندقية وقطعه معهما الى شطرين[8]. وكانت قوة هذه الضربة المدهشة قد اربكت العدو وشلت حركته، وهرب الجميع مذعورين أمام هذه المهارة والقوة والفتوة. وكانت هذه الحادثة الأولى من نوعها وتشهد بشهامة وبطولة جناب الملاّ حسين واكتسبت مدح حضرة الباب وكذلك أثنى جناب القدوس على الثبات والشجاعة التي أظهرها فيها، وإذ سمع بها تلا الآية القرآنية الآتية **(فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى**

وَلِيُبلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ)(17، 18 الأنفال).

وكنت بنفسي في طهران سنة 1265[9] وسمعت من ميرزا احمد بعد مرور شهر من ملحمة الشيخ طبرسي، وكان يقص هذه الحادثة على مجمع من الأحباء ومن بينهم ميرزا محمد حسن حكيم كرماني وحاجي ملاّ إسماعيل فراهاني وميرزا حبيب الله اصفهاني وسيد محمد اصفهاني. ولما زرت اصفهان فيما بعد وكنت في منزل الملاّ صادق الخراساني في مشهد حيث دعيت لتبليغ الأمر، سألت الملاّ محمد الفروغي في حضور عدد من الأحباء الذين كان النبيل الأكبر ووالد بديع من بينهم، أن يصدقني الخبر عن كيفية حصول هذه الحادثة. فأكد لي ميرزا محمد قائلا (لولا اني شاهدت الواقعة بعيني ما كنت أصدقها أبداً). وبهذه المناسبة حكى الميرزا محمد أيضاً الرواية الآتية (بعد حصول حادثة وسكس التي هزم فيها البرنس مهدي قلي وهرب حافي القدمين من وجه أصحاب حضرة الباب، وبّخه الأمير نظام[10] بشدة قائلا (إني عهدت اليك ان تخضع نفراً من التلاميذ المحتقرين ودفعت ليدك جيش الشاه، ومع ذلك سَمَحتَ بمثل هذه الهزيمة المخجلة، فماذا يا ترى تكون النتيجة لو كنت عهدت اليك أن تحارب حكومات الروس والترك؟). فاستحسن البرنس ان يرسل له مع رسول أجزاء البندقية التي قطعت نصفين بسيف الملاّ حسين، وأمره ان يقدمها أمام الأمير نظام ويقول له (انظر هذه الشجاعة التي تحتقرها وهذا ما حصل من مبارز بابي، فبضربة واحدة من سيفه شطر الشجرة والبندقية وحاملها الى ست قطع). ولقد كانت شهادة العدو صريحة عن حصول هذه الحادثة على هذه

الكيفية، وأصبح الموضوع جديراً باهتمام الأمير نظام الذي عرف انه لا يمكن لرجل في مثل وظيفته أو قوته ان يتجاهل الحادثة او ينقص من قدرها، الا انه عزم على ان يخضع هذه القوة التي قاومت جيشه. فعمد الى الحيلة الدنيئة والغدر لأنه كان غير قادر على إخضاع الملاّ حسين وصحبه رغم وجود العدد الغفير الذي معه. فأمر البرنس ان يضع ختمه على القرآن وان يحلف بشرف عسكره انه سيمتنع عن أي عمل عدائي لسكان القلعة، وبهذه الطريقة تمكن من اقناعهم بترك أسلحتهم. وإذ ذاك أنزل هزيمة ساحقة غير مشرفة بهم وهم عزل من السلاح.

وكان الكثيرون ممن لم تتدنس أفكارهم بالتعصب والشرور دائما متذكرين باعجاب تلك الحادثة، فلم تغب عن أذهانهم تلك المهارة والقوة التي ظهرت من هذا الشجاع والتي أثارت حماس الشعراء في مختلف الجهات في إيران. فنظموا القصائد لإشهار مآثر صاحب هذا العمل الجريء المجيد وساعدت أشعارهم في نشر أخباره وإخلاد ذكره. وكان من يدعى رضا قلي خان لالي باشي مؤلف كتاب "تاريخ الناصري" ممن امتدح شهامة الملاّ حسين وأطرى شجاعته المدهشة ومهارته الفائقة التي بها نفذ ضربته هذه.

وتجاسرت ان أسأل الميرزا محمد فروغي عن رأيه فيما ذكره صاحب "ناسخ التواريخ" من ان الملاّ حسين تعلّم في صغره الفروسية، وانه تدرب في هذه الصناعة مدة مديدة. فأجاب الميرزا محمد فروغي قائلا (ان ذلك محض اختلاق، لأني عرفته منذ صباه وكنت أصاحبه كصديق وزميل مدة طويلة، ولم أعلم مطلقا انه كانت عنده أي قوة. بل كنت أظن نفسي أقوى منه جسماً وكانت

يده ترتعش وهو يكتب، وكثيراً ما كان يظهر منه عدم القدرة على الكتابة بالسرعة والكمال الذي يرغبه، وكانت تعوزه القدرة في ذلك ويتألم من تأثير ذلك فيه الى ان سافر الى مازندران، وفي اللحظة التي استل فيها سيفه للانتقام من تلك الضربة الوحشية، حضرته قوة غيبية وغيرته فجأة، وكذلك في جميع المعارك التالية كان أول من يحرك ركابه ويهجم بجواده وسط الأعداء وبدون أي معين يحارب القوات المجتمعة من أعدائه ويحمل عليهم بنفسه وينتصر عليهم. وكنا نحن نتبعه في المؤخرة ونكتفي ان نضرب الذين عجزوا وضعفوا من أثر ضرباته عليهم، فكان اسمه وحده كافياً لأن يلقي الرعب في قلوب أعدائه، فيهربون عند ذكره ويرتعدون عند لقائه. حتى الذين كانوا من أتباعه التزموا السكوت أمامه لفرط تعجبهم. وكنا مندهشين من ظهور عجائب قوته وارادته التي لا تقهر وبطشه وبسالته، واقتنعنا جميعا انه لم يكن الملاّ حسين الذي نعرفه بل انه سادت على قلبه روح لا يقدر احد ان يهبها له الا الله).

وحكى لي الميرزا محمد فروغي قال (ما كاد الملاّ حسين يضرب خصمه الضربة القاضية حتى اختفى من أمامنا ولم نعلم أين ذهب ولم يتعقبه أحد سوى حارسه قمبر علي، واخبرنا ان سيده هجم على أعدائه وبضربة واحدة رمى كل من حاول ان يعتدي عليه. فشق طريقه وسط صفوف أعدائه وهو غير شاعر بما يطلق عليه من المقذوفات، وذهب تواً الى بارفروش وتوجه الى منزل سعيد العلماء ودار حول منزله ثلاثا، وصاح قائلا:- (فلينزل هذا الجبان الحقير الذي حرّض أهالي هذه المدينة لإشهار حرب دينية علينا وخبأ نفسه بكل جبن ونذالة بين حوائط منزله، فليخرج من مخبئه وليتقدم حتى يكون مثالا لغيره اذا كانت

دعوته صادقة محقة. فهل نسي ان الذي يشهر حربا دينية يجب عليه ان يكون على رأس أتباعه وبأعماله يثير حماسهم وإخلاصهم؟). وكان صوت الملاّ حسين قد أسكت أصوات الجماهير وأخضع أهالي بارفروش فرفعوا أصواتهم منادين (الأمان الأمان) وما كادت أصوات الخضوع والتسليم ترتفع حتى ظهر من كل الجهات صياح أتباع الملاّ حسين الذين هرعوا نحو بارفروش. وكانت صيحة (يا صاحب الزمان) التي صدرت منهم بأعلى صوت قد أحدثت ارتباكا في قلوب الذين سمعوها. وكان اتباع الملاّ حسين الذين يئسوا من العثور عليه حياً، قد دهشوا إذ رأوه ممتطيا جواده ولم يصبه أي ضرر من حملته. واقتربوا جميعهم منه وقبلوا ركابه.

وفي عصر ذلك اليوم منح جناب الملاّ حسين أهالي بارفروش الأمان الذي طلبوه، وفاه بالكلمات الآتية للجموع الملتفة حوله (يا أتباع رسول الله وشيعة أئمة الدين لماذا هجمتم علينا ونحن نعتبر سفك دمنا تضحية تستحق ان نؤجر عليها من الله ولم يصدر منا ما يدل على اننا رفضنا الاعتراف بدينكم، فهل هذه المعاملة هي ما أمركم به الرسول؟ وهل هي التسامح الذي أمركم به في معاملة المؤمنين او الكافرين. فما الذي فعلنا حتى نستحق هذا الاضطهاد؟ تأملوا كيف أني بمفردي قابلت الرصاص الذي صبّه علينا الأهالي ولم يكن معي سوى سيفي. وقد نجوت وسط النيران التي أحاطوني بها وتخلصت أنا وجوادي سالمين من هجومكم العنيف. ولم تقدروا على أحداث أي جرح فيّ سوى خدش بسيط في وجهي وقد حفظني ربي وأراد ان يثبت أمام عيونكم علو أمره).

وذهب الملاّ حسين توا الى "خان سبز ميدان" وترجل واقفا على باب الوكالة وانتظر حتى وصل الاتباع واستضافهم هناك، وأرسل ليحضر لهم خبزا وماء. ولكن الرسل عادوا وأخبروه بعدم امكانهم الحصول على خبز من الفرّان ولا ماء من الميدان، وقالوا (انك وعظتنا أن نتكل على الله وأن نجعل فيه ثقتنا **"قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ")**(قرآن 9-51).

وأمر الملاّ حسين باغلاق الخان وجمع فيه الاتباع ورجاهم أن يستمروا معه الى ساعة الغروب. وإذ اقترب المساء سأل، اذا كان أحد منهم يفدي نفسه ويطلع على سطح الخان ويؤذن[11]. فأجاب طلبه شاب بفرح عظيم. وما كاد هذا الشاب ينطق بالأذان ويقول (الله أكبر) حتى وافاه مقذوف ناري أوقعه قتيلا. فقال الملاّ حسين ليقم أحد منكم خلافه وبنفس التضحية يكمل الأذان الذي لم يقدر الشاب على اكماله، فقام شاب آخر بدله، وما كاد ينطق بكلمة الأذان (أشهد أن محمداً رسول الله) حتى أصابه مقذوف من عدوه، وقام ثالث بناء على طلب الرئيس لاكمال الأذان ولكنه أصابه نفس ما أصاب أخويه، وما كاد يتم الأذان بقوله (لا إله إلا الله) حتى وقع صريعا من مقذوف آخر.

وكان وقوع الثالث سبباً في ان يفتح الملاّ حسين باب الخان وان يقوم مع أصحابه لرد هذا الهجوم الغير المنتظر من العدو الخائن. وإذ امتطى جواده أعطى إشارة لضرب المهاجمين الذين اجتمعوا أمام الباب وملأوا "سبز ميدان" ونجح في تشتيتهم وهو شاهر سيفه بيده. والذين نجوا من سيفه هربوا من أمامه بذعر او عادوا طالبين الأمان متضرعين للرحمة. وعند اقتراب المساء اختفى

الجمع المحتشد واصبح السبز ميدان خاليا بعد ان كان يموج بجماهير الأعداء المتحمسة. وسكنت ضوضاؤهم وانتشرت جثث القتلى في الميدان وما حوله، وكان المنظر مهيبا محزنا يشهد بنصر الله على أعدائه.

وكان النصر شاملا لدرجة[12] ان عددا من أعيان ورؤساء المدينة تداخلوا وطلبوا الرحمة والأمان نيابة عن مواطنيهم، وجاءوا مشياً على الأقدام وقدموا التماسهم قائلين: (يشهد الله اننا لا نكمن أي غرض سوى تأسيس الصلح والسلام بيننا. فلا تنزل من ظهر جوادك حتى نبين لك مقصودنا). فلما شاهد الملاّ حسين صدق نواياهم ترجل ودعاهم إلى الدخول معه في الخان. وقال لهم: (نحن نعرف كيف نضيف الغرباء بيننا ولسنا في هذا الصدد كسكان هذه المدينة). ثم أمر لهم بتناول الشاي. فقالوا له (ان سعيد العلماء هو المسؤول الوحيد عن إشعال نيران هذه الفتنة ولا يصح إدماج أهالي بارفروش في الجريمة التي اقترفها، فلننس الآن الماضي ونقترح لمصلحة الطرفين أن تسافروا مع الأصحاب الى بلدة "آمل" باكرا لأن بارفروش تتمخض الآن بأوجاع عظيمة). فوافق الملاّ حسين على اقتراحهم ولو انه أشار الى عدم وفاء الأهالي. وبناء على ذلك قام عباس قلي خان لاريجاني ومعه حاجي مصطفى خان وحلفا على المصحف الذي أحضراه معهما ان قصدهما لم يكن الا ان يضيفا الأصحاب عندهما تلك الليلة، وانهما في اليوم التالي سيأمران خسرو قادي كالاي[13] ومعهماية من الخيالة ان يرافقوهم في الطريق المؤدي الى شيركاه، وقالا (ان علينا غضب الله وأنبيائه في هذه الدنيا والآخرة اذا كنا نسمح بحصول أي تعد عليك او على صحبك).

وما كادوا يتممون حديثهم حتى حضر أصحابهم الذين ذهبوا لاحضار الطعام للجماعة والعلف للخيول. وأمر الملاّ حسين أصحابه بتناول طعام الافطار لأنه كان في ذلك اليوم وهو الثاني عشر من ذي القعدة[14] لم يتناول أي طعام أو شراب منذ الفجر، لا هو ولا أصحابه، وازدحم الخان بالأعيان والخدم والحشم في ذلك اليوم، حتى انه لم يتمكن هو ولا أصحابه ان يتناولوا شيئاً من الشاي الذي أعده لأضيافه.

وفي تلك الليلة بعد الغروب بنحو أربع ساعات تناول الملاّ حسين مع أحبابه طعام العشاء عند عباس قلي خان وحاجي مصطفى خان. وفي نصف الليل نادى سعيد العلماء، خسرو قادي كالاي وأسرّ اليه رغبته في ان يغدر بالجماعة أثناء سيره معهم ويستولي على ما يملكوه، وأن يقتلهم عن بكرة أبيهم عند سنوح الفرصة حتى لا يفلت منهم احد. فأجاب خسرو قائلا (أليس هؤلاء من أتباع الاسلام؟ ألم يفضلوا استشهاد ثلاثة منهم على قطع الأذان الذي بدءوه؟ فهل يليق بنا ونحن ندعي بهذا الاسم ان نرتكب معهم مثل هذه الأعمال او نفكر في مثل هذه التدابير؟) الا ان ذلك الفاجر أمره في غير خجل أن يتبع أوامره بكل دقة، وقال له وهو يشير بيده الى رقبته (اذبحهم، ولا تخف، فاني مسؤول عن عملك، وأنا أجيب الله عنك اذا سئلت في يوم القيامة، ونحن الذين نسيطر على السلطة الدينية نعلم أكثر منكم كيف نستأصل هذه البدعة).

وبمجرد طلوع الشمس طلب عباس قلي خان أن يحضر خسرو أمامه، وأمره أن يظهر كل احترام للملا حسين وأصحابه، وأن يسهل لهم السفر الى "شيركاه"، وان لا يقبل منه أي مكافأة تعرض عليه. وتظاهر خسرو باطاعة

الأمر وأكد له انه هو وأتباعه لن يألوا جهدا في حراستهم ولا يقصروا في تأدية الواجب نحوهم وقال (عند عودتنا سنريك خطابا منه مكتوبا للتعبير عن رضائه بالخدمات التي سنؤديها اليه).

ولما مثل خسرو ومعه رؤساء وأعيان بارفروش بواسطة عباس قلي خان وحاجي مصطفى خان أمام الملاّ حسين، أشار الأخير اليهم قائلا:- ("**إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا**"(قرآن 7/17) فاذا كان هذا الرجل يحسن معاملتنا فسيكون له أجر عظيم، وأما اذا نوى الغدر بنا فسيكون جزاؤه شديداً، إنا فوضنا أمرنا الى الله ربنا وتوكلنا عليه وعلى الله فليتوكل المؤمنون). وإذ تكلم الملاّ حسين بذلك أذن لأصحابه بالرحيل. وسُمع قنبر علي مرة أخرى ينادي الأصحاب بأمر مولاه بقوله (امتطوا خيولكم يا فرسان الله). وكانت عادته أن ينادي بمثل هذا في هذه المواقف، فأسرع الجميع الى خيلهم عند سماع النداء، وسارت في الأمام بعض خيالة خسرو، وتبعهم خسرو، وركب هو والملاّ حسين جنباً لجنب في الوسط، وركب في المؤخرة باقي الأصحاب وعن يمينهم وشمالهم باقي الخيالة من اتباع خسرو الذين أعدهم وجهزهم بالأسلحة اللازمة ليكونوا آلة تحت أمره لتنفيذ تدابيره. واتفقوا على ان يكون قيامهم من بارفروش مبكراً في الصباح والوصول الى شيركاه في ظهر نفس اليوم. فقاموا من بارفروش بعد ساعتين من طلوع الشمس، واتجه خسرو في رحلته الى طريق الغابة قصداً، وكان ذلك أوفق له لتنفيذ مآربه وأغراضه.

وبمجرد ولوج الجماعة في ذلك الطريق، أعطى خسرو قادي إشارة للهجوم. فوقع رجاله على الجماعة بكل توحش وغدروا بهم واستولوا على

مقتنياتهم وقتلوا منهم عدداً كبيرا. وكان أخ الملاّ صادق من بين القتلى. أما الباقون فأسروهم. ولما سمع الملاّ حسين أصوات التعذيب ترجل واحتج على غدر خسرو بهم قائلا (ان ساعة الظهر قد مضت وللآن لم نصل الى مقرنا فلا أصحبك بعد هذا وأنا غير محتاج لمعونتك ومستغن عنك وعن فرقتك). والتفت الى قنبر علي وطلب منه ان يبسط له الحصير للصلاة. وبينما كان يتوضأ، ترجل خسرو ونادى أحد أتباعه وأمره ان يخبر الملاّ حسين انه اذا أراد ان يصل سالما الى مقره فعليه ان يسلم سيفه وجواده، فرفض الملاّ حسين وأخذ في الصلاة. وبعد ذلك بقليل ذهب ميرزا محمد تقي جويني سبزواري، وهو رجل مثقف وذو شجاعة غير هياب الى الخادم الذي كان مشغولا بتحضير القليان (الشيشة) وطلب اليه ان يستنيبه في توصيلها شخصيا الى خسرو، فأجاب الخادم طلبه. وبينما كان الميرزا محمد تقي منحنيا لإشعال نار القليان، مد يده فجأة الى بطن خسرو واستل خنجره من ملابسه وطعنه به في أحشائه طعنة نجلاء[15].

وبينما كان الملاّ حسين يؤدي الصلاة، ارتفع صياح أصحابه بنداء (يا صاحب الزمان) هاجمين على أعدائهم الذين غدروا بهم وأردوهم جميعا قتلى، ولم ينج منهم أحد سوى الخادم الذي كان يهيئ القليان، وكان قد أخذه الرعب من الحادثة ووقع على أقدام الملاّ حسين وهو أعزل من السلاح وطلب حمايته، فأعطاه القليان المرصع بالجواهر تعلق سيده، وأمره ان يعود الى بارفروش ويحكي تفصيل ما وقع وما شاهده بنفسه الى عباس قلي خان، وقال له (أخبره كيف نفذ خسرو المأمورية بالأمانة، فان هذا الفاجر تصور بحمقه ان رسالتي

قد انتهت وان سيفي وجوادي قد أديا مأموريتهما. ولم يعلم ان عملهما لم يكن للآن قد ابتدأ، وانه لا يقدر هو او خلافه ان ينزعهما مني قبل اتمام مهمتهما).

وإذ اقترب الليل عزم الجماعة على الانتظار في ذلك المكان الى ساعة الفجر. وعند طلوع النهار. وبعد اتمام الصلاة، جمع الملاّ حسين أصحابه وقال لهم (اننا نقترب من كربلائنا التي هي مقرنا الأخير). وشرع في السير منتحيا تلك الجهة وتابعه الأصحاب. الا انه لما رأى ان البعض أراد ان يصحب معه أمتعته من متعلقات خسرو وأصحابه، أمرهم ان يتركوا كل شيء وراءهم عدا سيوفهم وجيادهم وقال (علينا ان نصل الى تلك البقعة المقدسة بحالة تجرد تام مقدسين عن كل ما يتعلق بهذا العالم[16]. ولما ساروا مسافة ميدان (جزء من فرسخ) وصلوا الى ضريح الشيخ طبرسي[17] وكان الشيخ المذكور أحد رواة الحديث عن أئمة الدين، وأما مدفنه فمزار السكان المجاورين. ولما وصل الى هذا المكان تلا الآية القرآنية التالية **(وَقُلْ رَبِّ أَنزِلْنِي مُنْزَلا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ)**[29/23].

وكان حارس ضريح الشيخ طبرسي رأى رؤيا في الليلة التي سبقت وصولهم، ان الإمام الحسين سيد الشهداء وصل الى مقام الشيخ طبرسي مصحوبا بعدد من المحاربين لا يقلون عن اثنين وسبعين مقاتل، وكثير من الأتباع. ورأى أنهم نزلوا في ذلك المكان واشتغلوا فيه بالمحاربة واقتحام غمار الملاحم ببسالة عظيمة، وانهم كانوا منصورين في كل موقعة على الأعداء، وان رسول الله بنفسه حضر ذات ليلة واجتمع بهؤلاء الأبرار. فلما جاء الملاّ حسين في اليوم التالي، عرفه الحارس متولي الضريح تواً بأنه هو البطل الذي رآه في

رؤياه، فارتمى على أقدامه يقبلها بكل إخلاص، فأخذه الملاّ حسين وأجلسه بجانبه وسمع منه حكايته. ثم أكد للحارس قائلا (ان كل ما رأيته سوف يتحقق وتشاهد بعينيك وقوع كل هذه الحوادث الجليلة)، فكان نصيب هذا الحارس انه اندمج في جماعة المدافعين في القلعة ووقع شهيدا بين جدرانها.

وكان يوم وصولهم في الرابع عشر من ذي القعدة، واعطى الملاّ حسين التعليمات الأولية لتخطيط القلعة التي اراد تشييدها للدفاع، الى ميرزا محمد باقر، الذي بنى البابية في مشهد. وعند مساء اليوم نفسه وجدوا أنفسهم محاطين بفرقة من الخيالة خرجوا من الغابة واستعدوا لاطلاق النار عليهم وصاحوا (نحن سكان قادي كالا جئنا لأخذ ثأر خسرو ولا نقنع الا بان نجعلكم جميعا طعمة للسيف). فاضطر الأصحاب لسل السيوف مرة أخرى للدفاع عن أنفسهم أمام هؤلاء الغوغاء المتوحشين الذين شنوا عليهم الغارة، ووثبوا عليهم صائحين (يا صاحب الزمان) وصدوا هجومهم الى ان اضطروهم للفرار. وكان الصياح شديداً حتى ان الخيالة اختفت بعد ظهورها بقليل. وكان الميرزا محمد تقي جويني قد ترأس هذه الملحمة.

وخشية أن يعيد هؤلاء المهاجمين الكرّة عليهم، لجأوا الى الذبح العام، وتتبعوهم حتى وصلوا الى قرية ظنوها انها قرية قادي كالا. فلما رآهم أهلها فروا هاربين مذعورين، وأثناء ذلك قتلت والدة نظر خان، صاحب القرية في ظلام الليل بغير قصد وسط الهرج والاضطراب، وصاحت النسوة بالاحتجاج على هذا التعدي قائلات: ان هذه القرية لا علاقة لها بأهالي قادي كالا. فلما وصل ذلك الى مسامع ميرزا محمد تقي، أمر أصحابه ان يكفوا أيديهم حتى يتبينوا اسم

القرية، وسرعان ما وجدوا ان القرية هي ملك نظر خان، وان المرأة المقتولة هي والدته. واذا اكتشف هذا الخطأ الذي وقع من أصحابه، اضطرب لحصوله، وصاح بحزن قائلا (لم نكن نقصد ايصال الضرر لرجال هذه القرية ولا نسائها، بل كان غرضنا الوحيد منع هجوم أهالي قادي كالا الذين هاجمونا وقصدوا ان يقتلونا جميعا). واعتذر بصدق عن الكارثة التي حصلت عن يد أصحابه بدون قصد.

وعلم نظر خان وهو مختبئ في منزله بصدق تأسفات الميرزا محمد تقي، ومع انه كان متألما من حادثة فقد والدته، الا انه قام للحال ودعاه للحضور في منزله، وطلب اليه ان يقدمه الى الملاّ حسين، وأظهر رغبة شديدة في ان يطّلع على تفاصيل الأمر الذي يشعل في قلوب اتباعه مثل هذا الحماس. وفي الفجر وصل الميرزا محمد تقي مصحوبا بنظر خان الى ضريح الشيخ طبرسي، ووجد الملاّ حسين يؤم الاتباع في الصلاة، وكان السرور باديا على وجهه، بدرجة ان نظر خان شعر بدافع لا يقاوم لأن يجتمع مع المصلين ويكرر نفس الصلوة التي كانت تخرج من أفواههم. وبعد اتمام الصلوة، أخطروا الملاّ حسين بالكارثة التي وقعت على نظر خان. فأظهر عطفه بعبارات بليغة مؤثرة وتكلم عن تأثره وأصحابه جميعا في مصابه الجسيم، وأكد له قائلا (يعلم الله ان قصدنا الوحيد إنما كان حماية أرواحنا لا تعكير صفو الجيران). ثم أخذ الملاّ حسين في سرد الحوادث التي سببت هجوم أهالي بارفروش عليهم. وحكى تفاصيل خيانة خسرو، ثم عاد وأكد له حزنه من وفاة والدته. فأجاب نظر خان فوراً (لا تكدر خاطرك، فلو أن ليماية ولد لفديتهم تحت أقدامك فداء وتضحية لصاحب

الزمان). وأكد للملا حسين في نفس اللحظة خضوعه التام له، واسرع في العودة الى قريته ليجلب لهم ما يقدر عليه من المؤن.

وأمر جناب الملاّ حسين أتباعه بالبدء في بناء القلعة التي اختطها، وشجعهم على اتمامها، وكان يخصص لكل جماعة جزءاً من العمل. وكانوا أثناء الاشتغال بتلك المأمورية كثيراً ما يباغتهم العدو بهجوم من أهالي القرى المجاورة بتحريض من سعيد العلماء. وكان كل هجوم منهم يرد ويهزم شر هزيمة. وكان الأصحاب يقاومون هجومهم ببسالة تامة ولم تكن تلك الكرّات الوحشية توقفهم عن العمل، حتى نجحوا أخيرا في اخضاع جميع القوات التي أحاطتهم من كل الجهات. ولما تم البناء عمل جناب الملاّ حسين الترتيبات للحصار الذي أعدت القلعة لمقاومته. وأعد فيها كل ما يلزم لسلامة سكانها رغم الصعوبات التي اعترضته.

وما كاد يتم البناء، حتى وصل الشيخ أبو تراب ومعه أخبار وصول حضرة بهاءالله لقرية نظر خان، وأخبر جناب الملاّ حسين انه مرسل من قبل حضرة بهاءالله لاعلامهم انهم سيكونون جميعا ضيوفه في تلك الليلة، وانه سوف يجتمع بهم في نفس المساء. وسمعت من الملاّ ميرزا محمد فروغي يحكي الآتي (أن الأخبار التي أتى بها الشيخ أبو تراب أوجبت فرحا لا يقدّر في قلب الملاّ حسين، وأسرع تواً الى أصحابه وأمرهم ان يهيئوا أنفسهم لاستقبال حضرة بهاءالله. وانضم لهم في عملية الكنس والرش حول المقام، وكان بنفسه يلاحظ كل شيء يراه ضروريا لاستقبال ضيفه المحبوب. وبمجرد أن رآه حاضراً مع نظر خان، تقدم نحوه وعانقه بكل لطف وأوصله الى المقام الجليل الذي

أعده لاستقباله. وكنا في تلك الأيام نجهل مجد ذاك الذي كان قائدنا يسدي اليه مثل هذا الاحترام والإجلال، وكنا عاجزين عن إدراك ما شاهده الملاّ حسين فيه. فما كان أعظم شوقه إذ تلقاه بين ذراعيه، وما كان أعظم اغتباطه وفرح قلبه عند لقائه، فكأنه كان غارقا في بحر من الإعجاب به غير شاعر بنا جميعا. وكان يتأمل في وجهه بدرجة أخذت بمجامع لبه، حتى اننا مكثنا واقفين بجانبه مدة منتظرين صدور الاذن لنا بالجلوس، ولكنه كان مشغولا عنا، ولم يصدر لنا إذن بالجلوس أخيرا الا من حضرة بهاءالله نفسه. وكان سحر بيانه قد أثر في نفوسنا رغما عن اننا ما كنا نعرف تلك القوة الفائقة التي كانت مستورة في طي كلماته).

وأثناء زيارة حضرة بهاءالله، طاف بالقلعة وأظهر امتنانه من العمل الذي تم فيها. وأثناء محادثته مع الملاّ حسين، بيّن له بالتفصيل المسائل الحيوية التي تؤدي الى سلامة وصلاح الجماعة، وقال له (ان الشيء الوحيد الذي ينقص هذه القلعة هو حضور القدوس، فاجتماعه بالاصحاب يجعلها تامة كاملة). وأشار على الملا حسين ان يرسل ملا مهدي خوي ومعه ستة أنفار الى ساري، ويسأل الميرزا محمد تقي ان يسلمه جناب القدوس. وأكد للملا حسين قائلا (إن خوف الله واتقاء عقابه سيلجئانه ان يسلم أسيره بدون تردد).

وأمر حضرة بهاء الله الجميع قبل مبارحته للقلعة بالصبر والإنابة الى إرادة القدير، وقال لهم (ان شاء الله سوف نزوركم مرة أخرى في نفس المكان ونسدي إليكم مساعدتنا. فقد انتخبكم الله ان تكونوا طليعة جيشه وجنده ومؤسسي دينه. وان جند الله هم الغالبون، فمهما حدث فالنصر مضمون لكم).

وبهذه الكلمات ودّع هؤلاء الشجعان وأوكلهم لحفظ الله، ورجع الى القرية مع نظر خان والشيخ أبو تراب، ثم عاد من هناك بطريق نور الى طهران.

وكان الملاّ حسين قد بدأ في تنفيذ التعليمات والإرشادات التي أعطيت له، وأمر الملاّ مهدي ان يذهب هو وستة من الرفقاء الى ساري، ليطلبوا من المجتهد ان يطلق سراح سجينه. وبمجرد وصول الرسالة الى الميرزا محمد تقي، سلّم بما جاء فيها، لان قوتها أخذت بمجامع لبه، حتى انه أكد للرسول بقوله (إني اعتبرته ضيفا محترما بل انه قاطن في منزله، ولا يليق ان أدعى لاطلاق سراحه أو فك قيده، لأنه مخيّر في البقاء او الذهاب كما يشاء، واذا فضّل الذهاب، فاني أرغب في مرافقته أيضا الى حيث يذهب).

وفي تلك الأثناء أخبر ملا حسين رفقاءه بقرب حضور جناب القدوس، وأمرهم ان يظهروا له من الاحترام ما لا يقل عن احترام حضرة الباب. وقال لهم (أما أنا فاعتبروني أقل عبيده، فعليكم بالطاعة له بدون تردد. واذا ترددتم او تأخرتم، فانكم تظهرون عدم الطاعة لدينكم. ولا تتجاسروا بالحضور أمامه الا اذا دعاكم، وعليكم بترك جميع رغائبكم والتعلق برغبته ورضائه، وان تمتنعوا عن تقبيل يده وقدمه، لأن قلبه الطاهر يكره مثل هذه العلائم للدلالة على الخلوص والمحبة، وليكن سلوككم نحوه بكيفية تجعلني فخورا بكم. فعلى الجميع حتى أصغر الاتباع ان يعترف بسلطته ومجده الذي اختص به، وأما من يحيد عن نصيحتي ماديا او روحيا، فسيأخذه عذاب عظيم).

وكان حبس جناب القدوس في منزل ميرزا محمد تقي، أعظم مجتهدي ساري، ومن اقربائه، قد استمر 95 يوما، وكان المجتهد يعامله بكل احترام رغم

حبسه، ويسمح له بمقابلة الأصحاب من الذين حضروا اجتماع بدشت. ولكن جناب القدوس لم يأذن لأحد منهم ان يقيم في ساري، وكان يأمر كل من يزوره، بان ينخرط في سلك أصحاب الراية السوداء التي رفعها الملاّ حسين. وكانت هذه الراية هي التي تكلم عنها رسول الله بقوله (اذا رأيتم الرايات السود أقبلت من خراسان فأسرعوا اليها ولو حبواً على الثلج، فانها بشيرة بظهور خليفة الله المهدي).

وكان رفع هذا العلم بأمر من حضرة الباب باسم جناب القدوس وبأيدي الملاّ حسين. ونشر على طول الطريق من مشهد الى ضريح الشيخ طبرسي. ولمدة أحد عشر شهرا، من أول شعبان سنة 1264هـ[18] الى آخر جمادي الثاني سنة 1265هـ[19] كان هذا العلم الذي يشير الى المملكة السماوية، يتموج دائما فوق رؤوس ذلك الجمع من الفرسان، وينادي الذين يشاهدوه ان يرفضوا هذا العالم وينصروا أمر الله.

وكان جناب القدوس أثناء اقامته في ساري، يجتهد ان يقنع ميرزا محمد تقي بحقيقة الأمر الإلهي ويحادثه بكل حرية فيما يختص بالأمور الجوهرية المتعلقة برسالة حضرة الباب. ويصوغ عباراته وكلامه باللطف واللين، وكان كل من يسمعه لا يشعر بأقل تحدي، لأنهم يحملون إشاراته للكتاب على انها ملاحظات يقصد بها تسلية السامعين. وكان الميرزا محمد تقي يشعر بأمر باطني يمنعه من احتقار جناب القدوس أثناء اعتقاله في منزله، بل كان يمنع أهالي ساري من ايذائه، وكثيرا ما كان يوبخهم على رغبتهم في التعدي عليه، وذلك رغم قسوته وشروره الذي كان يخفيه في قلبه والذي ظهر منه أخيرا، حيث

أصر على رغبته في استئصال البقية الباقية من الأبطال المدافعين عن قلعة الشيخ طبرسي.

وكانت أخبار قرب حضور جناب القدوس الى القلعة، قد حركت جميع الأثناء الموجودين، ولما اقترب منها، أرسل رسولا لاعلان مجيئه، فأحدثت هذه الأحباء فيهم حماسا وجددت قواهم، وقام الملاّ حسين بحماس زائد ومعه نحو مائة من الاتباع وأسرع لمقابلة زائره المنتظر، ووضع شمعتين في يدي كل واحد، وأوقدها بنفسه وأمرهم جميعا بالتقدم على هذه الهيئة لملاقاة جناب القدوس. فاستنار الليل بالضياء الذي انبعث في قلوبهم المبتهجة بينما كانوا يسيرون لمقابلة محبوبهم.

وابتهجت قلوبهم من ملاقاته، وفي وسط غابة مازندران، رأوا وجه الذي كانوا مشتاقين لرؤياه، فتقدموا نحوه بشوق زائد، والتفوا حول جواده، وأظهروا له طاعتهم الدائمة بكل خضوع واحترام ومحبة. وتبعوه وهم يحملون الشموع في أيديهم سائرين خلفه على الأقدام، حتى وصلوا الى مقرهم، وكان وجه جناب القدوس وهو يمر في وسطهم، يضيء كالكوكب الدري الذي أحاطته النجوم من كل الجهات. وبينما الجمع المتحمس يسير نحو القلعة، كانوا ينشدون نشيد الترحيب والتمجيد والمديح. وارتفعت أصواتهم بفرح قائلين (سبوح قدوس ربنا رب الملاّئكة والروح). وكان الملاّ حسين يبدأ بالنداء ويردد نداءه جميع الأرض. وكانت غابة مازندران إننا بدورها، تردد صدى ندائهم. وعلى هذا المنوال وصلوا الى ضريح الشيخ طبرسي. وكانت أول الكلمات التي تفوه بها جناب القدوس بعد ان ترجل واستند الى الضريح **(بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ)**(قرآن 11-

[86]. وبهذه العبارة تمت نبوة محمد(ص)، حيث يقول في الحديث الآتي (وعند ظهور المهدي يسند ظهره الى الكعبة ويخاطب أتباعه الثلثماية والثلاثة عشر الذين يلتفون حوله ويقول بقيت الله خير لكم ان كنتم مؤمنين) ولم يقصد جناب القدوس بـ "بقيت الله" أحداً خلاف حضرة بهاءالله. وللدلالة على ذلك، حكى ميرزا محمد فروغي الرواية الآتية (كنت موجودا عندما ترجل جناب القدوس وأسند ظهره الى الضريح، وسمعته يتفوه بهذه الكلمات، وما كاد ينطق بها حتى ذكر اسم حضرة بهاءالله، ثم التفت الى الملا حسين وسأله عنه. فأخبره بأنه عازم على العودة الى هذا المكان قبل أول المحرم "27 نوفمبر سنة 1848 م" الا ان يشاء الله غير ذلك).

وبعد قليل أعطى جناب القدوس للملا حسين عددا من الخطب وأمره ان يقرأها على أصحابه المجتمعين. وكانت الأولى خاصة بحضرة الباب، والثانية بحضرة بهاءالله، والثالثة بجناب الطاهرة. وتجاسرنا بالسؤال من الملاّ حسين، وأظهرنا له شكوكنا من ان تكون الإشارات الواردة في الخطبة الثانية خاصة بحضرة بهاءالله الذي كان يرتدي لباس الأعيان[20]، وأحيلت المسألة على جناب القدوس، فأكد لنا ان سر الأمر سينكشف في الوقت المعلوم. وكنا في ذلك الوقت لا نعلم شيئا عن رسالة حضرة بهاءالله ولا نعرف مغزى تلك الإشارات. وأخذت منا الظنون كل مأخذ بالنسبة لدلالة معانيها وبيان مراميها. وكثيرا ما كنت أسأل جناب القدوس أثناء بحثي عن غوامض الأحاديث الخاصة بالقائم الموعود. ومع انه تردد في بادئ الأمر، الا انه أخيرا أجاب طلبي. وكانت طريقة اجابته وبياناته الشافية المقنعة باعثة على ازدياد الحيثية والاحترام اللائق

لمقامه، فكان يمحو كل شك من أفئدتنا. واقتنعنا انه كانت له قدرة على قراءة ضمائرنا وتهدئة خواطرنا.

وكنت أرى الملاّ حسين كثيرا من الليالي يدور حول الضريح الذي ينام فيه جناب القدوس، فكم كان ينسل في جنح الليالي من غرفته ويتقدم بكل هدوء الى تلك الجهة ويناجي الضيف المحبوب بنفس العبارة التي رحبنا به عند وصوله. ولن أنسى تلك الليالي ولا ما كان يخالجني من الاحساس العميق عندما كان يتقدم اليّ في هدوء ساعات الليل التي كنت أخصصها للصلاة والمناجاة ويهمس في أذني قائلا (أفرغ عقلك يا ميرزا محمد من هذه الأمور المحيرة، وتعال معي مخلصا لوجه الله لنشرب كأس الشهادة، لتقدر إذ ذاك أن تفهم المعنى المقصود من سنة 80[21] التي سوف تظهر فيها للعالم أحب الأمور والأشياء التي هي الآن مستورة عنك).

ولما وصل جناب القدوس الى ضريح الشيخ طبرسي، طلب من الملاّ حسين أن يحصي عدد الأصحاب، فعدّهم فرداً فرداً، فكانوا ثلثماية واثنى عشر، وإذ كان على وشك الدخول الى القلعة لاخبار جناب القدوس بعدتهم، ظهر فجأة شاب مسرع وقادم من جهة بارفروش سائراً على الأقدام وأمسك بطرف ردائه، وطلب منه ان يثبته ضمن الأصحاب وان يسمح له ان يضع حياته في سبيل المحبوب كلما تطلب الأمر ذلك. فأجيب الى ملتمسه في الحال. فلما علم جناب القدوس بعدة المؤمنين قال (قد تم كل ما وعده رسول الله خاصاً بالقائم الموعود[22]، ولكي تكون الحجة كاملة على علماء الدين الذين يظنون أنفسهم

انهم وحدهم المفسرون لشريعة الاسلام وأحاديثه، وبها يعرف الناس مدلول تلك الأحاديث[23]).

وفي تلك الأولى كان جناب القدوس في كل صباح ومساء ينادي الملاّ حسين ونخبة الأصحاب، ويسألهم أن يرتلوا كتابات حضرة الباب. ويجلس في الميدان أمام القلعة يحوطه أخص الأحباب وهو يستمع لأقوال سيده، وكثيرا ما كان يعلق عليها. ولم تكن تهديدات الأعداء ولا وحشية هجومهم بكافية لأن ترجعه عن حماسه او تقطع عليه مداومة مجهوداته واخلاصه. وكان يحتقر كل خطر وشدة ويتناسى احتياجاته وطلباته. واستمر على مناجاته اليومية مع محبوبه حتى في أشد الأحوال وأفجعها، فكان يكتب مدائحه ويقوم على تنشيط المدافعين في القلعة. ولم تمنعه وحشية هجوم الأعداء من ان يثابر على أعماله بسكون وهدوء تام. ورغما عن انه كان هدفا لقنابل الأعداء التي كانت تصب بدون انقطاع، كان دائما يبتهل قائلا (ان روحي مقترنة بذكرك الذي هو سلوان حياتي وسكونها وإني أفتخر بأن أكون أول من اضطهد في سبيلك في شيراز وأرجو ان أكون أول من يفدي روحه فداءً لائقاً لأمرك).

وأحيانا كان يأمر بعض رفاقه العراقيين أن يرتلوا بعض السور من القرآن، وكان ينصت لها بكل التفات ثم يفسر معناها. ومرة أثناء التلاوة وردت الآية (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الثمرات والأنفس وبشّر الصابرين). فقال جناب القدوس (نزلت هذه الآية أصلاً في أيوب وما أصابه. وفي هذه الأولى تنطبق علينا. فسوف تصيبنا كل هذه الآلام. وستعم البلوى بدرجة ان من لم يتعود الصبر والثبات فلن يقدر على تحملها).

وكان علم جناب القدوس وحكمته التي ظهرت في هذه الآتية، واليقين الذي كان يتكلم به، والمراجع التي يبينها في تعليمه للأصحاب، قد زادت في رفعة شأنه ومكنت من سلطته في نظر الذين كانوا يظنون ان احترام الملا حسين له، استوجبته ظروف الأحوال وضرورة الموقف، لا عن احساس اختياري لشخصه، الا ان مقدرته الكتابية واستقامته قد نفتا كل شك في إعلاء شأنه، فأصبح له المقام الأول المحترم في أعين جميع الأصحاب حتى لم يشك فيه احد. وكان في أيام حبسه في بلدة ساري، كتب تفسيرا لسورة " قل هو الله أحد " بناء على طلب الميرزا محمد تقي، وحرر في تفسير "صاد الصمد" وحدها ما يقرب من ثلاثة أمثال حجم القرآن. وكان الميرزا محمد تقي قد انجذب من البيان العالي الشامل الذي ظهر منه في ذلك التفسير، حتى انه أوجب عليه شدة احترامه، رغما عن انه في أواخر أمره انضم الى سعيد العلماء في تنفيذ خطة إعدام شهداء قلعة الشيخ طبرسي. وكان جناب القدوس أثناء حصاره في تلك القلعة دائبا على كتابة باقي تفسيره على تلك السورة. وتمكن بالرغم من اشتداد وطأة هجوم الإعجاب من إكمال تفسير ذلك الحرف، بكتابة ما يوازي مقدار التفسير الأول الذي حرره في ساري. وكانت سرعة إنشائه وغزارة مادته وما تظهره كتاباته من فك الرموز وإظهار الكنوز، قد جعلت الأصحاب يعجبون به ويعتبرونه مستحقا للرياسة. وكانوا يقرءون بشوق تلك الصحائف التي كان الملا حسين يحضرها لهم في كل يوم والتي كان يسدي اليها نصيبا وافرا من الإجلال والاعتبار.

وكان إكمال بناء القلعة وتموينها بكل ما يلزمها للدفاع، قد أحيا حماس أصحاب الملا حسين وأثار اندهاش الأهالي المجاورين. وكان الكثيرون يحضرون الى القلعة[24] ويطلبون السماح لهم بالدخول داخل أسوارها، رغبة منهم اما في الاطلاع او لأي غرض مادي آخر او ادعاء منهم بالخضوع. وكانوا يعجبون بالسرعة الفائقة التي تم بها بناؤها. وإذ تيقن جناب القدوس من اتمام عدد القاطنين فيها، أمر ان لا يدخل فيها غريب. وكان كل من سبق له رؤيتها يمتدحها، وانتقل المدح من فم الى آخر حتى وصل الى آذان سعيد العلماء، فاشتعلت في صدره نيران الحسد والحقد، وأصدر أمره بمنع أي شخص من الاقتراب منها، وتكفير الذين كانوا سبباً في بنائها، وأمر الجميع بمقاطعة الملا حسين. ورغما عن صدور أوامره المشددة، كان البعض لا يعبئون بها ويعملون كل ما في وسعهم لمساعدة الذين اضطهدوا بغير ذنب. وحلت المصاعب والشدائد على المحصورين على شأن انهم ما كانوا يجدون ضروريات الحياة، الا انهم كانوا في أشد أوقات الحاجة، تأتيهم النجدة الإلهية فجأة ويفتح لهم باب الخلاص على غير انتظار. وكانت العناية الإلهية تفتح لهم بابا للخلاص من الضيق والحصار. فانزعج سعيد العلماء من ذلك واشتعل غضب ذلك الطاغية العاتي المتمرد، وكتب الى ناصر الدين شاه الذي تبوأ العرش حديثا، مسوقا بحقده الذي لا يطفئ، وأسهب له في الكلام على الاضرار التي تتهدد المملكة وقال له (ان شيعة البابية الحقيرة قد رفعت علم الثورة وتجاسر هؤلاء التعساء المهيجين الغير المسؤولين على تقويض أساس السلطة التي تتمتع بها جلالتكم، حتى ان كثيرا من القرى المجاورة قد هرع أهلها تحت

لوائها وحلفوا يمين الطاعة لدينهم وبنوا قلعة لأنفسهم وحفروا في هذا المعقل خندقا ليكونوا على استعداد لمقاومتك ومحاربتك، وعزموا بعناد لا يشق له غبار على المناداة بسلطتهم المستقلة تلك السلطة التي تذل التاج الملكي الموروث عن آبائك العظام وترديه الى الحضيض. ولا يوجد نصر مؤكد لتثبيت حكمك غير محو هذا الدين الممقوت الذي تجاسر ان يثور في وجهك، وفي ذلك توطيد الحكم لجلالتك في قلوب أهل المملكة وإعلاء الشأن لعظمتك واحترامك وصيتك وتكليل تاجك بالفخر الأبدي. وأما اذا ترددت في سياستك وأظهرت لهم أقل تسامح، فاني أشعر بواجبي في تحذيرك بأنه سوف يأتي قريبا ذلك اليوم الذي فيه لا يقتصر الأمر على خضوع أهل مازندران وحدهم، بل ان جميع إنما من أقصاها الى أقصاها سوف ترفض سلطتك وتخضع لأمرهم).

ولما كان ناصر الدين شاه غير مدرب على أمور المملكة، أحال الموضوع على الضباط ورؤساء الجيش في مازندران الذين كانوا ماثلين أمامه[25]، وأمرهم ان يتخذوا أي تدبير يرونه صالحا للقضاء على هؤلاء الذين عكروا صفو المملكة. فأبدى الحاجي مصطفى خان التركمان رأيه لمليكه قائلا (اني حضرت بنفسي من مازندران وتمكنت من معرفة عددهم وقوتهم. وان هؤلاء الجماعة الذين يعدون على الأصابع، هم من أهل العلم والدرس الضعفاء من الذين لا قوة لهم على مقاومة قوة جلالتك، ولا لزوم لارسال جيش هناك، بل تكفي كتيبة صغيرة لمحوهم، وهم غير مستحقين لاهتمام مليكي وعنايته. ولو أردتم جلالتكم انفاذ رغبتكم، فاكتب أمرا ملكياً الى أخي عبد الله خان التركماني،

ان تكون له السلطة التامة لاخماد هؤلاء الجماعة، واني متيقن انه في ظرف يومين يمحى أثرهم وتبيد آمالهم وتخمد ثورتهم).

فوافق الشاه وأصدر فرمانا بذلك الى عبد الله خان، وأمره ان يجمع من أي طرف من أطراف المملكة القوة اللازمة لتنفيذ أغراضه. وارسل مع خطابه وساماً ملكيا أنعم به عليه اشارة الى ثقته في المقدرة على اجراء هذا العمل. وكان لوصول هذا الفرمان والوسام أثره في تحريك الخان على تنفيذ ما أمر به على الوجه الكامل. وفي مدة قصيرة جمع جيشا جرارا مكونا من اثني عشر ألف نفر من جماعات الاوسانلو والافغان والقودار. وأعطاهم المؤونة اللازمة، وعسكرهم في قرية "أفرا"، التي هي ملك نظر خان والتي هي مشرفة على قلعة طبرسي. وما كاد المعسكر يستقر، حتى شدد الحصار ومنع ارسال الخبز الذي يورد يوميا الى أصحاب الملا حسين، حتى انه قطع إننا الماء عنهم. وكان من المستحيل على المحصورين ان يخرجوا من القلعة تحت نيران الإعجاب. وأمر الجيش بعمل استحكامات ومتاريس عديدة امام القلعة، وباطلاق النار على كل من يتجرأ من الأصحاب على الخروج خارج القلعة لجلب الماء. فاشتكى رسول بهنميري قائلا (ان الإعجاب منعوا عنا الخبز. وماذا يصيبنا لو منعونا الماء إننا؟) وكان جناب القدوس إذ ذاك عند غروب الشمس ينظر الى جيش الأعداء من شرفة القلعة مع الملا حسين، فالتفت اليه وقال (ان قلة الماء قد أزعجت أصحابنا وان شاء الله ستهطل السماء بوابل منهمر من الأمطار هذه الليلة يحيط بالاعداء ويتبعه سقوط الثلج الشديد ويساعد ذلك في صد هجومهم المدبر). ففي تلك الليلة أحيط جيش عبد الله خان بسيل من المطر جرف

الكتائب التي كانت ملاصقة للقلعة، وأتلف كثيرا من المؤونة اتلافا تاما. واجتمع داخل القلعة ماء يكفي للشرب مدة مستطيلة. وفي الليلة التالية سقط ثلج غزير مما لم يشاهد مثله في تلك البلاد، حتى ولا في أشد ليالي الشتاء برداً، فزاد ذلك في الارتباك الذي أحدثه المطر. وفي الليلة السابقة على الخامس من محرم سنة 1265هـ[26] عزم جناب القدوس على الخروج من القلعة، وقال لرسول بهنميري وهو يتقدم نحو الباب بسكون وهدوء تام (الحمد لله الذي أجاب دعاءنا وسبب سقوط المطر والثلج للايقاع بأعدائنا وتخريب معسكرهم وانعاش قلعتنا).

فلما حانت الساعة المعدة للهجوم من ذلك الجيش الجرار رغما عن الخسائر التي أصابته، كان جناب القدوس قد عزم على شن الغارة على الأعداء وتشتيت قواهم، فامتطى جواده بعد الشروق بساعتين وخرج من باب القلعة ومعه الملا حسين وثلاثة آخرون من المؤمنين راكبين الخيول ويتبعهم باقي الأصحاب مترجلين. وبمجرد خروجهم صاحوا قائلين (يا صاحب الزمان) فأوجبت هذه الصيحة ذعراً في معسكر الأعداء واشتد زئير ضراغمة البابيين وتردد صداه وسط غابة مازندران حتى شتت شمل الأعداء الذين كانوا رابضين في أنحائها من الخوف، فكان بريق الأسلحة يخطف أبصارهم وكان تهديدهم كافياً لهزيمتهم وصرعهم، فهربوا مشتتين على هيئة مزرية وتركوا جميع ممتلكاتهم وراءهم، وفي ظرف 45 دقيقة، ارتفع نداء النصر من جانب الأصحاب. وتمكن الملا حسين وجناب القدوس من أسر بقية الجيش المهزوم. وقتل في هذه الموقعة عبد الله خان التركماني واثنان من ضباطه وحبيب الله خان الأفغاني ونور الله خان الأفغاني، وقتل معهم ما لا يقل عن أربعمائة

وثلاثين من الرجال. فرجع جناب القدوس الى القلعة. وبينما كان الملا حسين مشغولا باتمام العمل الذي ابتدأه بهذه الشهامة، إذ سمع نداء السيد عبد العظيم خوي يطلبه للرجوع فوراً للقلعة بناء على أمر جناب القدوس الذي قال (نحن هزمنا صفوف أعدائنا فلا داعي لأن نتعقبهم لأن غرضنا هو الدفاع عن أنفسنا فقط، وان نواصل السعي في إحياء النفوس ولا غرض لنا مطلقا في الإضرار بأحد وما صدر منا وعملناه يكفي للشهادة على قوة الله التي لا تغلب، فنحن فئة قليلة من أحبائه تمكنّا بلطفه الخفي ان نغلب جيشاً مدرباً من الأعداء).

ولم يفقد أحد من أتباع حضرة الباب حياته في هذه المعركة رغم الانكسار الذي داهم العدو، وفقط جرح رجل اسمه قلي جرحاً بليغا، وكان يحارب أمام جناب القدوس، وصدر الأمر للجميع ان لا يأخذوا شيئا من ممتلكات ومتعلقات الأعداء سوى سيوفهم وخيولهم.

ولما أوشك تجمع القوات التي كان يقودها عبد الله خان وأعادوا الكرّة، أمر جناب القدوس جماعة المؤمنين أن يحفروا خندقاً حول القلعة لحمايتها من هجوم جديد، ومضت مدة 19 يوم، بذل فيها الجماعة جهدهم حتى أتموا الحفر، واشتغلوا ليل نهار بالفرح حتى أتموا ما أمروا بعمله.

ولما تم حفر الخندق، أعلن ان البرنس مهدي قلي ميرزا حضر باتجاه القلعة على رأس جحفل عظيم، وانه عسكر في شير كاه، ثم انتقل بعد بضعة أيام الى وسكس. وعند وصوله أرسل رسولا الى الملا حسين يخطره انه حظر بناء على أمر الشاه، لكي يعلم ما هو المقصود من مجهوداته ويستعلم عن الغرض الذي يتوخاه. فأجاب الملا حسين (اخبر سيدك، اننا لا غرض لنا في

قلب أسس المملكة او في اغتصاب ملك ناصر الدين شاه. وان أمرنا يختص بظهور القائم الموعود، ولا يخص سوى علماء الدين في هذه المملكة، واننا يمكننا ان نثبت حقيقة الرسالة بكل الأدلة الساطعة والبراهين القاطعة). فتأثر الرسول من صدق دفاع الملا حسين عن الأمر ومن البراهين التي دلل بها على صحة ادعائه بدرجة انه بكى، ثم قال له (ما الذي نعمله؟) فأجابه (قل للبرنس، الأفضل أن يأمر علماء ساري وبارفروش ان يحضروا الى هذا المكان، ويطلبوا منّا البراهين على صحة الدعوة التي جاء بها الباب، بحيث يكون القرآن هو الحكم الفصل بيننا، ثم بعد ذلك يحكم البرنس بنفسه ايضا في أمرنا ويأمر بما يراه. فاذا لم نقدر ان نثبت له صحة الأمر من الآيات والأحاديث، فليحكم فينا بما يشاء). فاقتنع الرسول تماما بالجواب ووعد انه في ظرف ثلاثة أيام يستدعي رؤساء الدين بالكيفية المقترحة.

ولكن الوعد الذي ذكره البرنس لم ينفذ. واستعد البرنس مهدي قلي ميرزا في تدبير الهجوم على القلعة بكيفية لم يعهد لها مثيل. وعلى رأس ثلاثة فيالق من البياده (المشاة) وكثير من فيالق الفرسان، وقف بجنوده على أكمة مشرفة على القلعة وأمر باطلاق النيران من تلك الناحية.

وما كاد النهار يطلع حتى صدر الأمر من جناب القدوس للأصحاب (امتطوا خيولكم يا فرسان الله) وأمر بفتح أبواب القلعة، وخرج الى جهة وسكس وتبعه الملا حسين ومعه مايتان واثنان من أبطاله. ولم يمنعهم الثلج ولا الأوحال المتراكمة على طول الطريق ولا هيئة الجيوش المحيطة بهم من الهجوم في ظلام الليل واقتحام الاستحكام الذي جعله العدو قاعدة لمجهوداته. وكان البرنس

يراقب حركات الملا حسين، ولما وجده يقترب من قاعدة استحكاماته، أمر بتصويب النيران عليه ليمنعه من التقدم للامام نحوه، ولكنه رغم ذلك اقتحم أبواب الاستحكام وهجم على غرفة البرنس الخصوصية، فلما رأى البرنس ان حياته في الخطر، رمى بنفسه من نافذة خلفية في الخندق وهرب حافي القدمين[27]، وحصل لعسكره جزع وخوف مما أصاب سيدهم، وهربوا بانكسار تام أمام هؤلاء الجماعة القليلة التي لم تخضعهم الجحافل الكثيرة ولا الأموال الجسيمة التي وضعتها الحكومة تحت تصرفهم[28].

وأثناء جولان المنتصرين خلال مسكن البرنس في المعسكر، حاول اثنان من البرنسات[29] الهجوم على الأصحاب، ولكنهما وقعا قتيلين، واثناء البحث في غرفة البرنس الخاصة، عثر المؤمنون على صناديق مملوءة بالذهب والفضة، ولكنهم لم يمسّوها ولم يأخذوا من كل ما وجدوه سوى صندوق من البارود وسيف للبرنس كعلامة للانتصار، وسلموه للملا حسين، ولم يعبأ الأصحاب بالأثاث الفاخر الذي تركه صاحبه يائساً. ولما أخذوه للملا حسين وجدوه قد استبدل سيفه بسيف جناب القدوس حيث ان سيفه كان قد تعطل من مقذوف أثناء مقاتلته للعدو.

وبينما كانوا يفتحون أبواب السجن الذي كان تحت يد الأعداء، سمعوا صوت الملا يوسف الاردبيلي الذي وقع أسيرا وهو عائد الى القلعة. وكان قد هزل بين المسجونين. وتوسط هو بدوره بطلب الافراج عن أقرانه الذين قاسوا معه ألم السجن، فأطلق سراح الجميع حالاً.

وفي صباح ذلك اليوم الذي تم فيه هذا النصر، جمع الملا حسين أنصاره حول جناب القدوس في نواحي وسكس، وكان ممتطياً جواده ومنتظراً لهجوم جديد من الأعداء، وبينما كان يلاحظ حركاتهم فوجئ بهجوم جديد من جهتين من جيش جرار، فقام جميع الأصحاب وصاحوا (يا صاحب الزمان) وصدوا الهاجمين، وهمز الملا حسين جواده مسرعا من ناحية وكذلك جناب القدوس من ناحية اخرى، وتبعهم الأصحاب، فمالت الكتيبة التي كانت تحارب الملا حسين الى الناحية الأخرى وولت الأدبار منظمة الى باقي الجيش حيث أحاطوا بجناب القدوس وباقي الأصحاب، وأطلقوا عليهم ألف رصاصة، أصابت إحداها جناب القدوس في فمه وكسرت بعض أسنانه وجرحت لسانه وحلقه، وكان الصوت المرتفع الناتج من إطلاق الألف رصاصة قد دوى على بعد 10 فراسخ، فسمعه الملا حسين الذي أسرع لإنقاذ إخوانه. وما كاد يصل الى ناحيتهم حتى ترجل من جواده وسلّمه لخادمه قمبر علي، وأسرع نحو جناب القدوس، فلما شاهد الدماء تقطر من فمه رئيسه المحبوب بغزارة، حصل له فزع كبير ورفع يديه ليضرب بها رأسه، ولكن جناب القدوس منعه، فأطاعه حالا ورجاه ان يستلم منه سيفه، فأخذه واستله للحال، وأخذ يضرب في الأعداء المحيطين به ويتبعه مائة وعشرة من الأصحاب. وكان قابضاً على سيف رئيسه في يد، وسيف عدوه في اليد الأخرى، هاجما على الأعداء. ودارت معركة حامية بينه وبينهم، حتى انه أخيرا وفي ظرف ثلاثين دقيقة، نجح في تشتيت العدو وألجأه الى الهرب بعد أن أظهر بسالة ومقدرة فائقة.

وتمكن الملا حسين بعد انتصاره على عدوه واندحار جيش البرنس مهدي قلي ميرزا بالذلة، أن يعود هو والجماعة الى القلعة لاصلاحها وأعادوا إليها جناب القدوس جريحاً وبحالة يؤسف عليها، ولكنه كتب أمراً الى الأحباب الذين كانوا يبكون، أن يكفوا عن بكائهم، وبتأثير كلماته المفرحة أزال حزنهم وكتب لهم (علينا ان نرضى بإرادة الله وان نكون ثابتين في ساعة الامتحان، فقد كسرت رباعية الرسول من حجر من يد أعدائه، وكذلك وقع لي مثل ذلك من رصاص العدو. ولو ان جسمي يتألم، ولكن روحي مستبشرة متنعمة بالسرور وشكري لله لا حد له. وان كنتم تحبونني فلا تحجبوا عني هذا السرور بمنظر التأوه والحزن).

وكان حصول هذه الحادثة في الخامس والعشرين من شهر المحرم سنة 1265هـ، وفي مستهل ذلك الشهر نفسه، قام حضرة بهاءالله بوفاء ما وعد به للملا حسين وخرج من نور الى قلعة طبرسي مع عدد من أصحابه. وكان بين الذين رافقوه الميرزا جاني الكاشاني والملا باقر التبريزي أحد حروف الحيّ وميرزا يحيى أخوه، وأظهر حضرة بهاءالله رغبته ان يسافروا فوراً الى المقر المذكور وان لا يسمحوا لأنفسهم بالانتظار والاستراحة أثناء السفر. وكان غرضه وعزمه الوصول الى المكان المعهود ليلاً، لأن الأوامر صدرت من عبد الله خان منذ ان استلم القيادة ان تكون القلعة تحت الحصار، فلا يصلها أي مدد ولا تسدى إليها أي معونة، وجعل حرسا شديدا على الطرق الموصلة إليها. ولكن أصحاب حضرة بهاءالله أجبروه على قطع المسافة والاستراحة بضع ساعات. وأخيراً رضخ لإلحاحهم الشديد مع علمه ان التأخير فيه خطر اطلاع

العدو ووقوفه على أمرهم، فنزلوا في منزل منعزل على جانب الطريق. ورقد الأصحاب بعد تناول العشاء وبقى وحده متيقظاً رغم المصاعب التي تحملها وهو عالم بالمخاطر التي يتعرض لها مع أصحابه من ذلك التأخير، وكان يرجو من مواصلة السير الإسراع في الوصول الى القرية مبكراً.

وبينما كان مترقباً بجانبهم، أطلع الجواسيس على أمرهم، وأصدروا للحراس الأمر بالقبض عليهم وضبط جميع ما معهم، وقالوا لحضرة بهاءالله الذي عرفوه بانه رئيس الجماعة (وصلتنا أوامر مشددة للقبض على كل شخص نقابله في هذه الجهة ونرسله الى آمل ونسلمه ليد الحاكم). فأجاب حضرة بهاءالله (ان الأمر اشتبه عليكم لأنكم تجهلون أمرنا واني أنصحكم ان لا تفعلوا ما قد تندمون عليه). وأثرت هذه النصيحة التي أسداها لهم بكل هدوء وسكينة في رئيس الحراس حتى ألجأته ان يعامل بالأدب والاحترام المقبوض عليهم، وأمرهم ان يركبوا خيولهم ويسيروا معه الى آمل. ولما اقتربوا من شواطئ أحد الأنهار، أمر حضرة بهاءالله جماعته باشارة منه ان يقذفوا فيه كل ما معهم من المخطوطات، وكانوا وقتئذ يسيرون بعيدا عن الحراس. ولما اقتربوا في الصباح من المدينة ذهب رسول ممن سبق الحرس في السير وأخبر الحاكم المنتدب بأمر وصول جماعة مقبوض عليهم وجدوا في الطريق الموصل الى قلعة طبرسي. أما الحاكم الأصلي فقد انضم مع حاشيته ورجاله الى جيش البرنس مهدي قلي ميرزا، ولذلك انتدب أحد أقربائه للعمل مكانه مدة غيابه. وما كادت تصل الرسالة لذلك الأخير، حتى ذهب الى مسجد آمل وطلب العلماء والأسياد المشاهير للاجتماع فيه ومقابلة المقبوض عليهم. ولكن لما وقع نظره على

حضرة بهاءالله، حصلت له دهشة وتأسف تأسفاً بالغاً على صدور الأمر منه. وتظاهر انه يوبخه على العمل الذي أتاه آملاً في تهدئة الخواطر وتخفيف الوطأة على الذين حضروا واجتمعوا في المسجد. فقال حضرة بهاءالله (نحن براء من التهم التي تلصقونها بنا وان براءتنا ستتضح أخيراً أمام أعينكم، واني أنصح الحاكم ان لا يعمل ما يجلب له الندم فيما بعد). فطلب الحاكم من العلماء ان يسألوه في أي أمر أرادوا، فكان حضرة بهاءالله يجيبهم بكل وضوح وبيان. وبينما كانوا يستجوبونه عثروا مع أحد الأصحاب على كتاب خطي من كتابات حضرة الباب، فقدموه الى رئيس العلماء، وما كاد يقرأ بعض فقرات منه حتى وضعه جانباً والتفت الى من حوله وصاح قائلا (ان هؤلاء الجماعة الذين يتغالون في دعوتهم قد أبانوا في الفقرة التي قرأتها عن جهلهم بأبسط قواعد الهجاء). فأجاب حضرة بهاءالله (أيها العالم المحترم ان هذه العبارات التي تنتقدها ليست من كلمات الباب بل هي صادرة من الإمام علي أمير المؤمنين في جوابه لكميل ابن زياد الذي اختاره صاحباً له).

وكانت الطريقة التي وضح بها حضرة بهاءالله الموضوع وما لابسها من الظروف قد أقنعت ذلك المجتهد العاتي وعرّفته جهله وحمقه، ولما عجز عن الرد على جوابه السديد ظل ساكتاً. فتداخل سيد من الأشراف غاضباً وقال (ان هذه العبارة تدل دلالة صريحة على ان واضعها بابي لا أقل ولا أكثر، فهي صادرة من مفسري مذهبهم). وألح بلهجة حازمة بإعدام الأصحاب وقال (ان أمثال هؤلاء أعداء الحكومة وأعداء الإسلام وعلينا على أي حال ان نمحوا هذه البدعة) وساعده في حكمه أسياد آخرون. وإذ تشجعوا بما صدر من الشتائم في

هذا الاجتماع، أصروا على ان ينفذ الحاكم بدون توان حكمهم، فحصل ارتباك كبير للحاكم المنتدب، ورأى انه لو أظهر أي تسامح من جانبه، فانه يكون معرضاً لأخطر النتائج فيما يختص بسلامة موقفه، فاجتهد ان يصد النزاعات الثائرة في صدور العلماء، وأمر أتباعه ان يحضروا الجلدة لايقاع عقاب لائق على المقبوض عليهم، وقال (سنحبسهم بعد ذلك حتى يعود الحاكم ليرسلهم الى طهران وهناك يوقع عليهم العقاب اللائق بهم من يد الملك). وكان أول من ضُرب بالجلدة الملا باقر، فصاح قائلا (أنا لم أكن الا سائساً عند بهاءالله، وكنت ذاهبا في طريقي الى مشهد فقبضوا عليّ فجأة وأحضروني هنا) فتداخل حضرة بهاءالله ونجح في منع مضطهديه من ضربه، وكذلك تداخل في مسألة حاجي ميرزا جاني وقال لهم (هو تاجر كان في ضيافتنا)، وكذلك تركوا ميرزا يحيى اذ قال لهم حضرة بهاءالله انه خادمه، ثم أشار الى الحاكم المنتدب قائلا (انه لم يكن أحد من هؤلاء الرجال مقترفاً لأي ذنب واذا صممت على العقاب فإني مستعد لأن أتحمله وحدي وبرضاي). فاضطر الحاكم المنتدب بعد تردد، ان يصدر أمره ان لا يوقع العقاب إلا على حضرة بهاءالله وحده رغم انه كان يقصد ايقاعه في أصحابه دونه[30].

وتحمل حضرة بهاءالله من يد علماء آمل المجتمعين نفس الاضطهاد الذي أصاب حضرة الباب في تبريز منذ خمسة أشهر سابقة، وكما كان أول حبس لحضرة الباب من يد أعدائه في منزل عبد الحميد خان رئيس الشرطة في شيراز، كذلك كان أول حبس لحضرة بهاءالله في منزل كدخدا طهران، وكما كان حبس حضرة الباب الثاني في قلعة ماكو، كذلك كانت اقامة حضرة بهاءالله

الجبرية في منزل حاكم آمل. وكما ضرب حضرة الباب في نماز خانة شيخ الإسلام في تبريز، كذلك ضرب حضرة بهاءالله في نماز خانة مجتهد آمل. وكما كان حبس حضرة الباب الثالث في جهريق، كذلك حبس حضرة بهاءالله في سياه چال[31] من أعمال طهران. وكان حضرة الباب يقصد من سبق تحمل جميع هذه الآلام على الآم حضرة بهاءالله أولا، وفي جميع الأحوال فداء محبوبه من المخاطر التي ربما تودي بحياته الغالية، بينما كان حضرة بهاءالله لا يرضى ان يكون حبيبه الأعظم متحملا وحده الآلام بغير ان يشاركه في كل كأس شربه. فلم تر العيون شبهاً لمثل هذا الحب المتبادل. ولم يشعر قلب بمثل هذا الإخلاص المشترك. ولو ان كل ما في العالم من شجرة أقلام وكل البحور مداد وكل السموات والارضين مطوية في سجل واحد، لن تقدر ان تصف ذلك الحب المزدوج، بل يبقى سراً غير مكشوف ولا يصل أحد الى قرار ذلك الإخلاص المشهود.

وبقي حضرة بهاءالله وأصحابه محبوسين مدة في إحدى الغرف التي يتكون منها المسجد، وأراد الحاكم المنتدب ان يحفظ المسجون من هجوم العدو اللدود، فأمر لذلك أتباعه سراً ان يحدثوا ثغرة في حائط الغرفة التي حبس فيها الاتباع ثم أنتظره عندها وأخرجه منها. وبينما كان يقوده الى منزله، ظهر فجأة سيد من العلماء ووجه له أحط أنواع الطعن ورفع عصاه ليضربه، فتداخل الحاكم المنتدب في الحال، وحال بنفسه دون وقوع الضرب، والتفت الى السيد المهاجم واستحلفه برسول الله ان يقصّر يده، فانبرى له السيّد قائلا (كيف ذلك؟ وهل تجرأ أن تخلص رجلا هو ألد أعداء دين آبائنا؟) وفي الأثناء اجتمع حوله

لفيف من الغوغاء وزادوا صياحاً وضجيجاً وسخرية واستهزاء، فاشتد بذلك الهياج الذي أثاره ذلك السيّد، ورغماً عن ازدياد الهرج والاضطراب، فان أتباع الحاكم المنتدب تمكنوا من إيصال حضرة بهاءالله سالماً الى منزل سيدهم وأظهروا بهذه المناسبة شجاعة ورويّة جديرين بالإعجاب.

ورغماً من احتجاج الغوغاء، أخذ باقي المسجونين الى مقر الحكومة وبذلك نجوا من المهالك التي كانوا معرضين لها. وأظهر الحاكم المنتدب اعتذارات عديدة لحضرة بهاءالله للقسوة التي قابله بها أهالي آمل وقال (لولا تقدير الله ما كان يمكن لأي قوة ان تخلصك من أيدي هؤلاء الطغاة. ولولا اليمين الذي اقسمته لأن أخاطر بحياتي لأجلك ما كنت أنا أيضا أقدر ان أنجو من شرورهم بل كنت أقع فريسة لهم مدوساً تحت الأقدام). وكان يشكو مرّ الشكوى من سلوك أشراف آمل العاتي، وذم انحطاط أخلاقهم، وصرح بأنهم يؤذونه دائماً بتدابيرهم الشريرة. واستمر على خدمة حضرة بهاءالله بالإخلاص والشفقة، وكثيرا ما كان يسمع منه أثناء محادثته مع حضرة بهاءالله (أنا بعيد عن ان أعتبرك مسجونا في منزلي، واني اعتقد ان هذا المنزل لم يبن إلا بقصد إيوائك من تدابير أعدائك).

وسمعت حضرة بهاءالله نفسه يحكي ما يأتي (لم يسمح لأي مسجون غيري بأن يعامل بالمعاملة التي لقيتها من وكيل حاكم آمل، فكان يعاملني بمنتهى اللطف والاحترام وكثيرا ما كان يحادثني ويحرص جدا على ما يضمن راحتي وسلامتي، الا اني كنت غير قادر على مغادرة باب المنزل. وكان شديد الخوف من ايقاع الأذى بي عند عودة الحاكم "الذي هو قريب عباس قلي خان

اللاريجاني" من قلعة طبرسي، فكنت أجتهد ان أنفي عنه هذا الوهم. وأكدت له قائلا "ان نفس القدرة الإلهية التي خلصتني من أيدي أشرار آمل والتي جعلتني أعامل بهذا الكرم في منزلك، هي التي تقلب قلب الحاكم وتجعله يعاملنا بالاحترام والمحبة الشبيهة بها").

وذات ليلة استيقظنا على أصوات الذين اجتمعوا على باب المنزل. وكان أصحابنا ينتظرون هجوما جديدا، فلما فتح الباب وأعلن رجوع الحاكم الى آمل تعجب هؤلاء الأصحاب لأنهم سمعوا الحاكم يوبخ الذين اضطهدونا من أول يوم وصولنا، فكان يقول لهم بصوت عال موبخاً (لأي داع يختار هؤلاء الأشرار ان يعاملوا بالقسوة ضيفاً مغلول الأيدي لم يتمكن من الدفاع عن نفسه. وما هو المبرر الذي جعلهم يحكمون عليه بالإعدام فوراً. فما هو الدليل الذي أتوا به لتثبيت ادعائهم. ولو كانوا صادقين في ادعائهم بأنهم حماة الإسلام والمتمسكين بأحكامه، فليذهبوا الى قلعة الشيخ طبرسي وهناك يظهرون قوتهم في حماية الدين الذي يدّعون الدفاع عنه).

وكان قلب وعقل حاكم آمل قد تغيرا مما شاهده من شجاعة المدافعين في القلعة، ولذلك رجع مملوءاً بالإعجاب للأمر الذي كان يحتقره أولا، والذي كان يمانع ممانعة شديدة في سبيل ترقيه. ولكن ما رآه من الوقائع في القلعة أبدل غضبه وأذل كبرياءه. فذهب الى حضرة بهاءالله بغاية الخشوع والاحترام واعتذر عن القسوة والشدة التي تحملها من سكان هذه البلدة. وكان يخدمه بكل خضوع متجاهلاً مقام نفسه ووظيفته، وكان يمتدح الملا حسين مدحاً فائقاً ويسهب في

ذكر مواهبه ومهارته وبسالته وكرامة نفسه. وبعد بضعة أيام عمل ترتيبا لنقل حضرة بهاءالله وأصحابه لطهران.

وعلى هذا النحو لم تتحقق رغبة حضرة بهاءالله في الانضمام الى المدافعين في قلعة الشيخ طبرسي. فمع انه كان شديد الرغبة في إسداء كل ما يمكن من المساعدة للمحصورين، فانه بتقدير الهي خلص من النصيب المحزن الذي كان قريب الوقوع على المشتركين في هذا النضال التاريخي، ولو تمكن من الوصول الى القلعة وسمح له ان ينضم الى أعضاء هذه الفئة من الأبطال، فما كان يمكن ان يظهر بدوره فيما قدّر له في هذا الأمر العظيم، وما كان يقدر ان يتم ذلك العمل الجليل الذي أنجزه بهذه العظمة وأسسه بهذه المهارة. ولقد كان في ريعان شبابه وربيع حياته إذ وصلته الدعوة من شيراز وفي سن السابعة والعشرين قام وخصص حياته لخدمة الأمر وبدون خوف اشترك في تعاليمه وامتاز بأنه المثل الأعلى في نشره. وقصُرت كل همة عن همته في ذلك وكل تضحية عن الإخلاص الذي أوحي به اليه، فطرح كل اعتبار للشهرة والثروة والمقام لأجل تنفيذ العمل الذي عزم بقلبه على إحيائه. ولم يجد في تعنيف الأصحاب ولا تهديد الأعداء ما يثنيه عن عزمه على الدفاع عن أمر يعتبره الجميع انه خاص بفئة ضالة كافرة.

وكان أول حبس تعرض اليه نتيجة مد يد المساعدة الى أسراء قزوين ثم قدرته على إنقاذ الطاهرة. والطريقة المثلى التي ساس بها الأمور أثناء الشغب الحاصل في أعمال بدشت، والطريقة التي أنقذ بها حياة جناب القدوس في نيالا، والحكمة التي عالج بها المشكلة الدقيقة التي تسببت عن سورة الغضب

ضد الطاهرة، والاحتياط الذي اتخذه في حمايتها، والنصائح التي أسداها للمدافعين في قلعة طبرسي، والخطة التي عزم على تنفيذها في الانضمام الى قوات جناب القدوس والملا حسين ورفاقهما، والتطوع الذي قام به في مساعدة مجهودات هؤلاء المدافعين الأبطال، والعظمة التي جعلته يفدي أصحابه ويقدم نفسه للجلد والإهانات بدلاً عنهم، والسكوت الذي تجمّل به والقسوة التي عومل بها في حادثة الشروع في اغتيال حياة ناصر الدين شاه، والبلايا التي صبت عليه في طريقه من لاواسان الى معسكر الجيش الملكي ومنه الى العاصمة، وثقل الأغلال المروعة التي تحملها بينما كان في ظلمات سجن سياه چال في طهران. كل هذه لم تكن الا بعض أمثلة تشهد بأجلى بيان عن المقام الأوحد الذي تفرد به بصفته المحرك لجميع القوى التي قلبت وجه موطنه، وكان هو المحرك الذي أطلق قيود هذه القوى وأدار دفتها ونظم أحوالها ورفعها الى مكانتها العليا في الأمر الذي كان موكولا اليه ان يكون مظهر وحيه فيما بعد.

الحواشي

(1) بديع هو حامل لوح بهاءالله الى ناصر الدين شاه.

(2) وقد وصل الملا حسين الى مياماي وهناك اجتمع مع ثلاثين بابي وكان رئيسهم ميرزا زين العابدين تلميذ المرحوم الشيخ احمد الاحسائي. وكان شيخا وقورا صالحا. وكان حماسه قويا لدرجة انه كان يستصحب معه نسيبه وهو شاب عمره 18 عاما ولم يكن قد تزوج بابنته الا منذ بضعة أيام فقط. فقال له (احضر معي لنقضي سويا آخر الأسفار. ولأكون لك أباً حقيقيا وتشترك معنا في أفراح السلام). فخرجا مشياً على الأقدام بخطوات قادته الى الشهادة. (من كتاب السيد علي محمد الباب صحيفة 290 لنقولاس).

(3) 31 أغسطس – 29 سبتمبر سنة 1848.

(4) وتوفي محمد شاه في السادس من شوال 4 سبتمبر سنة 1848 ميلادية وكانت هناك فترة حكومية لمدة شهرين وتكونت حكومة موقتة مكونة من أربعة مديرين تحت رياسة أرملة الشاه المتوفي. وأخيرا وبعد اضطرابات عديدة ارتقى الوارث الشرعي البرنس الصغير حاكم اذربايجان ناصر الدين ميرزا الى العرش (المجلة الآسيوية سنة 1866 الجزء السابع صحيفة 367).

(5) وكان الوزير ميرزا تقي خان قد أرسل من تلقاء نفسه تعليمات لتعزير وتعذيب البابيين وانتهز الموظفون والحكام الفرصة لجمع الأموال وجلب المنافع ولم يستأذن الوزير أحداً فيما أصدره من الأوامر بل بمحض استبداد رأيه وكان مشاهير العلماء يحرضون الناس من المنابر على الهجوم على البابيين هجوما عاما فاجتمعت السلطات المدنية والدينية على إهلاك واستئصال البابيين قلبا وقالبا والى ذلك الحين لم تكن هذه الطائفة قد اطلعت على أساس وأسرار تعاليم الباب اطلاعا كافيا ولم يعلموا أحكامه فكانت تصوراتهم وأفكارهم موافقة للمسلك القديم وكان سلوكهم ومشربهم مطابقا للمنهج السابق وانسد طريق الوصول الى الباب واشتعلت ثائرة الفتنة في كل الجهات وبمقتضى فتوى أشهر العلماء شرعت الحكومة فضلا عن عامة الناس في نهب وسلب هذه الطائفة ومعاقبتهم بل وتعذيبهم بالشكنجة بنهاية القسوة وشنوا عليهم الغارة وأخذوا في قتلهم لعل يطفئوا هذه النار ويخمدوا هؤلاء النفوس المشتعلة. ففي المدن التي كان عدد البابيين فيها محدودا، اخذوا جميعا مغلولي الأيدي طعمة للسيف بينما في المدن التي كان عددهم فيها كبيرا قاموا للدفاع عن أنفسهم تبعا لعقائدهم

السابقة حيث انه لم يتيسر لهم السؤال عن أحكام تكاليفهم الجديدة لأن أبواب الوصول إليها كانت مسدودة (مقالة سائح صحيفة 34–35).

(6) وقعت القذيفة في بطنه وخر السيد رضا صريعا. وكان وديع الأخلاق صادق الاعتقاد متحمسا، واحتراما لسيده كان دائما يمشي بجانب جواده مستعدا لخدمته عند أي إشارة. (من كتاب السيد علي محمد الباب تأليف نقولاس صحيفة 294).

(7) لا تقتل النفس من أجل الاعتقاد. لأن قتل النفس محرم في دين الله. ومن يأمر بقتل النفس فما كان ولن يكون من أهل البيان فليس ذنب أكبر منه. (من كتاب البيان. أنظر مجلة الجمعية الآسيوية الملوكية أكتوبر سنة 1889 بند 12 صحيفة 927–928).

(8) وكان الحزن والغضب قد ضاعف قوة الملا حسين حتى ضرب عدوّه ضربة واحدة فقطعه هو والشجرة والبندقية شطرين وزاد الميرزا جاني ان الضربة كانت باليد الشمال ولم ينقض هذه الرواية مؤرخو الإسلام (من كتاب علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 295 حاشية 215).

وفي كتاب التاريخ الجديد صحيفة 49، 107، 108 ان جناب باب الباب قال (الآن هم الذين ألجأونا أن ندافع عن أنفسنا، فاستل سيفه وأخذ يدافع عن نفسه معترفا بما أمر به الله. ورغما عن نحافته وضعف جسمه ويده المرتعشة فقد كانت قوته وبسالته في ذلك بدرجة ان كل منصف يرى ويعلم ان هذه الشجاعة لم تكن الا من الله لأنها فاقت الحدود البشرية. وقد رأيت الملا حسين يستل سيفه ويرفع وجهه نحو السماء ويصيح.. يا إلهي قد أتممت الحجة على هؤلاء القوم ولكنها لم تنفعهم. وابتدأ يهجم من اليمين والشمال واني أقسم بالله انه في ذلك اليوم شهر سيفه بطريقة تفوق القوة البشرية ولم يبق في الميدان أمامه سوى خيالة مازندران الذين أبوا أن يهربوا ولما حمى وطيس القتال لحق عسكريا التجأ الى شجرة واحتمى ببندقيته فضربه الملا حسين وقطعه هو والشجرة والبندقية الى ست قطع.

(9) سنة 1848–1849 ميلادية.

(10) كان ميرزا تقي خان اعتماد الدولة رئيس الوزارة خلفا للحاجي ميرزا أقاسي واليه الإشارة في مقالة سائح صحيفة 32–33 ما يأتي:– أخذ الميرزا تقي خان أمير النظام الوزير الأعظم والاتابك المعظم زمام أمور الجمهور في قبضة يده واقتداره واستقل بها وأطلق العنان لجواد همته في ميدان استبداده وكان هذا الوزير فاقد التجربة غير بصير في عواقب الأمور سفاكا مشهورا في سفك الدماء وظن ان الحكمة في الحكومة هي استعمال الشدة في السياسة وان مدار ترقي السلطنة يدور

على تهديد وتخويف الجمهور والتشديد والتضييق عليه. ولما كان جلالة الملك في عنفوان الشباب، لذلك خاض الوزير غمار الأوهام الغريبة وقرع طبول استبداده وأمر من تلقاء نفسه بدون استئذان الحضور الهمايوني وبدون استشارة الوزراء ذوي الآراء الثاقبة بالتعرض للبابيين وكذلك ظن انه باستعمال القوة الغشومة يقدر على استئصالهم وقمعهم وان الشدة تثمر بهذه الأثمار مع ان التعرض للأمور الوجدانية هو عين تأييدها وترويجها وكلما اجتهدوا في إطفائها تزداد اشتعالا خصوصا في أمور الدين فيظهر سريانه وتجليه في قلوب الناس وقوته بمجرد سفك الدماء بسببه فيؤثر ذلك في القلوب تأثيرا شديدا.

(11) وكان باب الباب كما يقول المؤلف في نفس الوقت الذي يؤدي فيه خدمة دينية أراد أن يعطي مثالا على ثبات الاعتقاد في الاتباع واحتقار الحياة وان يظهر عدم تقوى الأعداء وعدم تديّن الذين يدعون انهم مسلمون لذلك أمر أحد أتباعه أن يصعد على ربوة ويؤذن الأذان (كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 295-296).

وكتبت الليدي شيل (كنا في مارند حيث سمعت الأذان وهو مؤثر جدا وقطعة غنائية بديعة.. وتوجه المؤذن نحو مكة وكان المؤذن قد وضع يده على رأسه وصاح بصوت عال أربع مرات الله أكبر ثم أشهد أن محمدا رسول الله مرتين ثم أشهد أن عليا أمير المؤمنين حبيب الله).

ودق الجرس وقت دفن الجثة ربما يؤثر في النفوس بعض الهيبة كما تؤثر نفخة البوق في الجيش لانزال الجندي الى القبر في الجبال والأودية وهي تنذر بان عسكريا سيلحق آبائه الا ان الأذان له تأثير مختلف فهو يوجب في العقل تأثيرات مختلفة عن المهابة والخضوع وبالنسبة إليها يكون دق الجرس أمرا حقيرا وانه لمن المؤثرات العجيبة ان نسمع في أثناء الليل أصوات المؤذنين بقولهم (الله اكبر وأشهد ان لا اله الا الله) فان القديس بولس والقديس بطرس لا يقدران ان يظهرا شبيها لهذا التأثير (من كتاب لمحات عن الحياة والعوائد في فارس صحيفة 84-85).

(12) وكان سعيد العلماء رغبة منه في إنهاء الموضوع بأي حال وبأي ثمن قد جمع من الناس ما أمكنه جهد الاستطاعة وأعاد الحصار على المخازن واستمرت المعركة نحوا من خمسة او سبعة أيام قبل ان يظهر عباس قلي خان السردار اللارجاني. وفي الأثناء وعند ابتداء العمل كان علماء بارفروش قد غضبوا من تمكن القدوس من تبليغ جموع كثيرة من أهالي المدينة (300 نفر في الأسبوع كما يقولون وهذا القول مما يدل على تخبط المؤرخين) فشكوا الى حاكم الإقليم البرنس خانلار ميرزا وهذا لم يهتم بشكواهم لانه كان مشغولا بأمور اخرى هامة. وكان لموت محمد شاه تأثير

عظيم عليه أكثر من تأثير صياح الملاوات وقام فعلا بالسفر الى طهران للتسليم على الشاه الجديد الذي أمل في ان يشمله بالتعطفات ولكن لما لم ينجح في هذا الموضوع ولوقوع حوادث جديدة كتب العلماء خطابا مشددا الى رئيس العسكر في ذلك الإقليم المدعو عباس قلي لارجاني ولما كان المذكور لا يريد ان يحضر بنفسه او يتورط في الأمر، أرسل 300 رجل وعلى رأسهم محمد بك ياور بقصد إعادة النظام وتسكين الهياج، وعلى هذا النحو حاصر المسلمون الخان وابتدأت المعركة.. وإذا قتل من البابيين عشرة أنفار خرّ ألوف من الهاجمين صرعى وقتلى. ولما طال الأمد فكّر عباس قلي خان في الحضور ليشاهد المسألة بنفسه (من كتاب السيد على محمد الباب صحيفة 296–297 لنقولاس).

(13) رجل من الأشرار ثائر دائما على الحكومة.

(14) موافق 10 أكتوبر سنة 1848 ميلادية.

(15) وفي مقالة سائح (صحيفة 36) كان الميرزا لطف علي السكرتير هو الذي سحب الخنجر وطعن خسرو.

(16) والتفت الى أصحابه وقال لهم (لا يحق لنا ان نجعل الأموال الفانية سببا في انقسامنا في تلك الأيام القليلة التي نقضيها في هذا العالم. فلتكن جميعا شركة بيننا ينتفع منها الجميع. فوافقوا على ذلك بسرور تام. ومن هذه التضحية العجيبة وهذا الانكار الذاتي التام يتضح السبب في اتهام البابيين بانهم اباحيون في الأموال والنساء وانهم أرادوا الاشتراك فيها (من كتاب السيد علي محمد الباب صحيفة 299 لنقولاس).

(17) ويقع ضريح الشيخ احمد بن أبي طالب الطبرسي على بعد خمسة عشر ميلا جنوب شرق بارفروش وزار الضريح البروفسور براون من كلية كامبردج في 26 سبتمبر سنة 1888م ورأى اسم الشيخ المدفون منقوشا على لوحة على شكل كلمات الزيارة. وكانت اللوحة معلقة على السور الحديدي المحيط بالقبر. وهو الآن عبارة عن حظيرة مسوّرة بسور وينبت في أرضها الحشائش وفيها الضريح وبناء آخر عند البوابة في مقابلة المنزل الذي يقيم فيه المتولي الذي يتولى شؤون الضريح ولا يوجد في المكان سوى شجرتين او ثلاث من البرتقال وبعض مقابر عليها ألواح من الحجر يقال انها مقابر بعض البابية.

أما البناء الموجود عند البوابة فهو مكون من طبقتين وفيه المدخل الى الحظيرة ومسقف بالطوب الأحمر. أما البنايات الموجودة في الطرف الآخر من الحظيرة فهي أنظم وأفخم ويبلغ طولها

نحو عشرين خطوة فهي في الشرق والغرب وأما عرضها فنحو عشر خطوات بخلاف البوابة عند المدخل فانها تحوي غرفتين ولها غطاءآت خشبية على الأبواب. أما القبر فيقع في وسط الغرفة الداخلية. وهو محاط بأسوار خشبية ولها باب موصل للغرفة الخارجية وخرائطها ورسومها موجودة في كتاب التاريخ الجديد (كتاب سنة بين الايرانيين للمسيو ا.ج. براون صحيفة 565).

(18) 3 يوليو – أول أغسطس سنة 1848 ميلادية.

(19) 24 أبريل سنة 1849 – 23 مايو سنة 1849 ميلادية.

(20) أي انه لم يكن من طائفة الملاوات الذين لهم لباس خاص بهم.

(21) إشارة الى سنة 1280 (1863–1864) وهي التي أعلن فيها بهاءالله دعوته في بغداد.

(22) واجتماع الثلثماية والثلاثة عشر من الأصحاب في الطالقان من أعمال خراسان هو أحد العلامات التي تسبق ظهور الموعود (من كتاب تاريخ الآداب الفارسية في الأزمان الحديثة للمستر براون 1500–1924 صحيفة 399).

(23) وكان من بينهم رضا خان بن محمد خان التركماني متحفظ الخيل لجلالة محمد شاه وكان شابا وسيما ومتحليا بكل الكمالات والفضائل لطيفا كريما شجاعا ولأجل محبته وتقديسه لجناب الرئيس الأعظم ترك منصبه ومرتبه وأغلق عينيه عن الرتبة والشهرة وتوبيخ الأحباء وشماتة الأعداء وفي أول الأمر ترك الاعتبار والثروة والوظيفة وكل الاحترام والامتيازات التي كان يتمتع بها وصرف مبالغ طائلة على الأمر مما لا يقل عن خمسة آلاف تومان ومرارا أظهر رغبته في تضحية حياته، وذات مرة كان مشرفا عند الحضرة القدسية الجليلة في قرية خانليك، إذ قال له امتحانا (لو انه يوجد بعض خيالة لانقاذي من أسر الأشرار وتخليصي من مكرهم لكان أولى) فلما سمع منه ذلك اجتهد في إنقاذه واستعد ومعه جملة من الخيالة لهذا الغرض وتركوا كل شيء وراءهم مسرعين بالتشرف. وكان معهم ميرزا قربان علي بن استراباد ورضا خان المذكور فلما مثلوا أمامه قال وهو يبتسم (ان جبال آذربايجان أيضا لها نصيب مني ولها حق عليّ) وأمرهم بالرجوع. وبمجرد عودة رضا خان خصص حياته لخدمة الأحباء. وكان منزله محل اجتماعهم وكان جناب القدوس وباب الباب ضمن الذين استضافهم في منزله مدة معينة. ولم يقصر أبدا في هذه الخدمة في تلك الجهة. ورغما عن مركزه العالي اجتهد قلبا وقالبا في تنفيذ رغائب الأحباء. ولما شرع جناب القدوس يدعو للأمر في مازندران وقام عليه سعيد العلماء أسرع رضا خان الى مازندران وأخذ على عاتقه مصاحبة القدوس

وحمايته، فكان كلما خرج القدوس من منزله مشى بجوار جواده كالحارس حاملا سيفه على كتفه رغما عن علو مقامه وشدة احترامه حتى أوجب ذلك ابتعاد الأشرار عنه والخوف منه. ومكث رضا خان، على هذا المنوال مدة في مازندران الى ان رافق جناب القدوس سائرا معه الى مشهد. ولدى عودته من هناك شهد مآسي بدشت، فكان يرسل في المهام العظيمة ويوثق به فيها. ولما تفرق الجمع من بدشت وقع مريضا وعاد الى طهران بصحبته ميرزا سليمان قلي ابن المرحوم شاطرباشي المشهور بعلمه وفضله. ومكث مدة مريضا ولما شفي كانت أحوال قلعة طبرسي قد اشتدت فعزم الى اللحاق بالأصحاب لمساعدتهم. ولما كان من الرجال المشهورين ذوي المكانة لم يقدر على ترك العاصمة بدون إبداء عذر مقبول، فتظاهر بالتوبة من أعماله السابقة وطلب ان يرسل ليشترك في الحرب في مازندران ليتدارك ما فاته. فأجابه الملك الى ذلك وتعين لمرافقة القوة المرسلة تحت إمرة البرنس مهدي قلي ميرزا لمحاربة القلعة. وفي أثناء الطريق كان يقول للبرنس سأعمل كذا وكذا ولذلك كان أمل البرنس فيه عظيما ووعده بالتعيين في وظيفة كبيرة مكافأة له على اهتمامه ولغاية اليوم الذي أخفقت فيه مساعي الصلح كان يبدي اهتماما عظيما في الجيش الا انه في أول يوم من أيام المحاربة أطلق لجواده العنان وابتدأ يقفز به ولم يكن هناك أي ريبة في عمله وبهذه الوسيلة انضم الى إخوان الصفا. ولما اندمج بينهم قبل ركاب جناب القدوس وخضع أمامه شاكرا. ثم عاد الى ميدان القتال وابتدأ بالقول للبرنس وهو يقول: من منكم من يرفض أبهة وفخر هذا العالم ويضعه تحت الأقدام ويتخلص من قيود الشهوات وينضم كما فعلت الى أولياء الله. أما أنا فأكون مسرورا إذ أضع رأسي تسقط في هذا الميدان ملطخة بالدماء والتراب. ثم هجم كالأسد الغضنفر بسيفه وقتل منهم مقتلة عظيمة حتى ان الضباط الملكيين تعجبوا من بسالته وقالوا انه أعطي من العلي بسالة فائقة لم تكن معه من الأول وان روحا أخرى لبسته، فكم مرة قتل أصحاب المدافع في الوقت الذي كانوا يحاولون إطلاقها عليه. وكم من الضباط العظام وقعوا صرعى تحت أقدامه. ولذلك اهتم باقي الضباط للانتقام منه أكثر من البابية. وفي اليوم المعين لتسليم جناب القدوس نفسه علم رضا خان ان الأعداء سوف يذبحونه ويمثلون به نظرا لعدائهم الكامن، فهرب ليلا عند أحد أصحابه من الضباط من كبار السن وكان صاحبه ورفيقه، وبعد ذبح باقي البابيين بحثوا عنه حتى عثروا عليه، فأراد صاحبه ان يفديه بألفي تومان فلم يقبل البرنس ثم أراد زيادة المبلغ فلم يقبل أيضا وأخيرا نظرا للحقد العظيم عليه هجموا عليه وقطعوه إربا إربا (من كتاب التاريخ الجديد صحيفة 96-101).

(24) وذكر الكونت جوبينو (في كتابه الأديان والفلسفة في أواسط آسيا صحيفة 156) وصفا للقلعة التي شيدها الملا حسين قال: كان المقصود من بنائها ان تكون منيعة فكان الحائط الذي تحيط بها بعلو عشرة أمتار وهو مبني من الحجارة السميكة وارتفعت على قواعدها أبنية مصنوعة من الأخشاب المتينة وفي خلالها كوّات للرمي منها، ثم حفر خندقا عميقا حولها. وعلى العموم كانت حصنا حصينا. وكان الأساس من الأحجار الكبيرة والأدوار العلوية من الخشب وذات طبقات ثلاث تتخللها الكوّات لقذف المدافع، وصنع لها جملة أبواب وخوخات للدخول والخروج بسهولة وحفر فيها آبار للماء وجعل فيها مسالك تحت الأرض للالتجاء إليها وقت الخطر ورتبت فيها مخازن لتخزين الأطعمة التي جلبت إليها من القرى المجاورة او اشتريت لأجلها، ثم وضع الحراس على الأبواب من الأحباء المشهود لهم بالإخلاص والحماس.

(25) وهكذا اهتم الأمير نظام استتبابا للأمن ان يلتفت الى أحوال مازندران فلما حضر كبار ذلك الإقليم لمقابلة الملك أمرهم ان يتخذوا عند رجوعهم الى بلادهم كل احتياط لمنع امتداد فتنة البابية. فوعدوه بذلك وبأنهم يقومون بكل جهدهم على هذا الأمر وحصل فعلا انه لدى عودة الرؤساء الى مازندران جمعوا قواتهم وحرر كل منهم مكتوبا لأهله للإسراع بالحضور. وطلب الحاجي مصطفى خان أخاه عبد الله. وكذلك عباس قلي خان لارجاني طلب محمد سلطان وعلي خان من سواد كوه واجتمع الجميع على مهاجمة البابية في قلعتهم قبل ان يقوموا ضدهم بهجوم. ولما رأى الضباط الملكيين حسن استعداد الرؤساء عقدوا اجتماعا عظيما وأرادوا ان يكون لهم فخر الرياسة وكذلك الميرزا أقا مستوفي مازندران او مدير المالية ورئيس العلماء وغيرهم من الأعيان والأكابر (كتاب الأديان والفلسفة في أواسط آسيا صحيفة 160-161 لجوبينو).

(26) أول ديسمبر سنة 1848 ميلادية.

(27) وأخذ مهدي قلي يعدو بعيدا عن مسكنه المحترق وولج الريف تحت الثلوج في ظلام الليل الدامس وعند الفجر أصبح في مضيق غير معروف تائها في الأماكن الموحشة ولم يبعد عن مكان المعركة الا بنحو اثنين كيلو وكان يسمع قصف المدافع من الرياح الهابة. وقابله على هذه الحالة المحزنة مازندراني ممتطياً جوادا شديدا ولم يكن يعلم ماذا يصيبه. فعرفه المازندراني وترجل من جواده وأركبه ودلّه على الطريق وقاده الى منزل أحد المزارعين وأدخله في الاسطبل ولم يكن مثل هذا المنزل بالحقير في بلاد الفرس. وأثناء ما كان البرنس يأكل ويستريح امتطى المازندراني جواده وذهب وأخبر العسكر بأن البرنس حي وفي صحة جيدة ومكان أمين ثم أحضرهم عنده جماعة

جماعة حتى اصبح المازندراني عنده جم غفير منهم. ولو كان البرنس من ذوي النفوس العالية الذين لا تزعزعهم الحوادث، لاستعاد موقفه وعاد الى معسكره ولأعتبر ان انكساره في الليلة الماضية كان نتيجة مباغتة. ومع ذلك فان البابية كانوا قد رجعوا الى قلعتهم ولم يبق منهم أحد خارجها، فكان يمكنه المقاومة ولو ظاهرا، الا انه بسبب ضعف روحه لم يستطع الثبات، واذ رأى ان الأنظار متجهة له خرج من الإسطبل وهرع الى قرية قاضي كالا ومنها أسرع للعودة الى ساري، وفي كل مكان كانت توجد الرؤوس المقطوعة وكان هذا السلوك من ابن الشاه (شاه زاده) قد زاد في مخاوف الأهالي منذ مباغتة وسكس، فارتعب الأهالي وخرجوا من مساكنهم هم وأولادهم وهرعوا زرافات مشتتين وكانوا يسيرون الى البراري في داماوند ومعهم أولادهم ونساؤهم معرضين للأخطار رغما عن رداءة الطقس، ونتج كل ذلك من جراء سلوك البرنس، فمتى دخل الرعب في قلوب أهالي آسيا خسروا كل شيء (من كتاب الكونت جوبينو الأديان والفلسفة في أواسط آسيا صحيفة 169–170).

(28) وحصل الهرج في جيشه وتشتت في برهة قصيرة من هجوم ثلاثماية من البابيين من أصحاب الملا حسين. أفليس هذا من تأثير سيف الله وجدعون. (كتاب الأديان والفلسفة في أواسط آسيا صحيفة 167).

(29) وذكر جوبينو في كتابه السابق صحيفة 167، انهم كانوا سلطان حسين ميرزا ابن فتح علي شاه وداود ميرزا ابن ظل السلطان عم الشاه، وزاد المسيو نقولاس في كتابه (السيد علي محمد الباب صحيفة 308) اسم المستوفي ميرزا عبد الباقي.

(30) (يا شيخ قد ورد على هذا المظلوم ما لم يكن له شبه ولا مثيل وتحملنا كل ذلك بكمال التسليم والرضا لأجل تهذيب النفوس وارتفاع كلمة الله. ولما كنا في السجن في أرض الميم (مازندران) سلمونا ذات يوم ليد العلماء وبعد ذلك فان ما حصل منهم لنا مما لا تقدر ان تتصوره). (بهاءالله – لوح ابن الذئب صحيفة 57).

(31) معناه الحفرة السوداء.

الفصل العشرون

ملحمة مازندران

(تكملة)

وتجمعت قوات البرنس مهدي قلي ميرزا ثانيا بعد الانهزام الذي أصابها والهوة السحيقة التي وقع فيها، وعادوا لتنظيم مجهودهم للهجوم على سكان قلعة طبرسي. فوجد الأحباء أنفسهم مرة أخرى محاصرين بجحفل عظيم وفيالق تحت رياسة عباس قلي خان لاريجاني وسليمان خان أفشار شهرياري اللذان أسرعا وأحضرا فيالق من البيادة (المشاة) والسواري (الخيّالة) لنجدة عسكر البرنس[1] وضربت القوات المجتمعة خيامها في جوار القلعة[2] وابتدأوا بعمل تسعة حواجز ومتاريس كخطوط دفاع حولها وأرادوا إظهار مدى قوتهم بغرور تام، فانهمكوا في إجراء تمرينات يومية بأسلحتهم وعدتهم إظهارا لصلفهم وحميتهم.

وألجأت قلة المياه المحصورين في القلعة لحفر بئر داخلها، وكان إكمال حفرها في الثامن من شهر ربيع الأول[3] فقال الملا حسين لأصحابه وهو يشاهد إتمام عملهم (سيكون اليوم عندنا ماء كاف لاستحمامنا. ونطهَر من كل الأدران الأرضية ونسرع الى مقرنا الأبدي في ساحة القدير، ومن شاء أن يشرب من كأس الشهادة فليستعد وينتظر الساعة التي يقدر أن يختم بها حياته ليسفك دمه لأجل دينه. ففي هذه الليلة قبل الفجر كل من يريد أن ينضم لي

فليستعد للخروج من خلف هذه الجدران لنشتت مرة أخرى جموع الظلام التي اعترضت طريقنا ونصعد الى مكان العز مكرمين).

وفي عصر ذلك اليوم توضأ الملا حسين وارتدى ملابسه الجديدة وزين رأسه بعمامة حضرة الباب واستعد للقتال الآتي، وكان وجهه يضيء بفرح لا مزيد عليه وكأنما يشير الى ساعة فراقه، واستمر لآخر لحظة يحرّض أصحابه ويذكي فيهم الحماس. واختلى مع جناب القدوس الذي ذكّره بمحبوبه وشجّعه وأفضى إليه وهو جالس تحت أقدامه، وفي أواخر ساعات حياته بكل ما أوتيه من كشف روحي، وبعد انقضاء معظم الليل واقتراب ظهور نجمة الصباح التي بشّرته بنور فجر الاجتماع الأبدي بمحبوبه، نشط على قدميه وامتطى جواده وأعطى الإشارة لفتح باب القلعة وركب خارجاً هو وثلاثماية وثلاثة عشر من أصحابه للقاء عدوه، وصاحوا جميعاً (يا صاحب الزمان) فكانت الصيحة شديدة وقوية وسط الغابة والقلعة تردد صداها برنين عظيم. وهجم الملا حسين على الاستحكام الأول الذي كان يدافع عنه زكريا قادي كالاي أحد فرسان الأعداء من الضباط. فاخترقه في وقت قصير وقتل صاحبه وشتت شمل رجاله. وهكذا هجم على الثاني والثالث واخترقهما بسرعة وبسالة، وكلما تقدم وقع الرعب بين صفوف الأعداء وحل فيهم اليأس والذعر وأخذتهم الدهشة، فلم يعقه ما انصب عليه وعلى أصحابه من وابل الرصاص واستمروا حتى اخترقوا باقي الاستحكامات ودمروها. وفي وسط المعمعة التي تلت ذلك تسلق عباس قلي خان لاريجاني شجرة وأخفى نفسه بين أغصانها وانتظر مختبئاً مجيء منازليه. وإذ احتمى في الظلام الذي أحاط به تمكن من مراقبة حركات الملا

حسين وأصحابه الذين كانوا معرضين لضوء المشاعل التي أشعلوها. وكان جواد الملا حسين قد عثر في حبل مربوط في إحدى الخيام المجاورة، وقبل أن يتمكن من تخليصه، أصابته رصاصة في صدره من عدوه الخائن. ومع إن الضربة كانت صائبة إلا أن عباس قلي خان كان غير عالم بالفارس الذي أصابه، وترجل الملا حسين من جواده حيث كانت جراحه تدمي كثيراً، وتقدم بضعة خطوات ثم وقع على الأرض منهوك القوى[4]. وجاء لنجدته اثنان من أصحابه الشبان من أهالي خراسان، وهما قلي وحسن وحملاه الى القلعة.

وسمعت الرواية الآتية من ملا صادق وملا ميرزا محمد فروغي قالا (كنا ضمن الذين بقوا في القلعة مع جناب القدوس، وبمجرد دخول الملا حسين أمرنا بالخروج لأن الملا، كان قد أغمي عليه، وقال جناب القدوس "اتركوني معه وحدي" وأمر ميرزا محمد باقر أن يغلق الباب ولا يسمح بدخول أحد، وقال له "إن هناك أمورا سرية أريد أن أعلمه وحده بها". فدهشنا ومكثنا لحظة قصيرة، ثم سمعنا صوت الملا حسين يجيب على أسئلة جناب القدوس وتحادثا معاً مدة ساعتين. ثم أخذنا العجب إذ رأينا ميرزا محمد باقر متهيجاً. ثم قال لنا فيما بعد: "إني كنت ألاحظ جناب القدوس من ثقب الباب، وبمجرد أن سمع اسمه، رأيت الملا حسين قام وجلس حسب عادته راكعاً بجانبه، وكانت رأسه منحنية وعيناه تتجهان للأسفل، وهو يستمع لكل كلمة تخرج من فم جناب القدوس ويجيب على أسئلته، وسمعت جناب القدوس يقول له: "لقد أسرعت ساعة فراقك وتركتني لرحمة أعدائي فلا يمضي وقت كبير حتى إن شاء الله الحقك وأجتمع بك وأتذوق حلاوة النعم الإلهية التي تفوق الوصف"،

وتمكنت من سماع رد الملا حسين بقوله "أفديك بحياتي هل أنت راضٍ عني").

ومضى وقت غير قصير قبل ان يأمر جناب القدوس ميرزا باقر بأن يفتح الباب ويدخل الأصحاب، فقال جناب القدوس (لقد ودّعته الوداع الأخير وشاركته في الأمور التي لم يكن مصرحاً بالنطق بها من قبل). ووجدنا الملا حسين قد توفي وكانت تبدو على وجهه ابتسامة لطيفة وكان السلام سائداً على وجهه حتى كأنه كان نائماً. وحضر جناب القدوس دفنه ولفّه في قميصه وأمر بوضعه في الجهة الجنوبية الملاصقة لضريح الشيخ طبرسي[5]، وبينما كان يقبّله في وجهه وعينيه قال (طوبى لك بما ثبتَّ على ميثاق الله وعهده لآخر لحظة من حياتك، أرجو الله ان لا يجعل بيني وبينك حائلاً أبداً) وكان يتكلم بحرقة حتى ان السبعة أصحاب الذين كانوا حوله بكوا بكاء مراً وودوا لو كانوا فدوه بأرواحهم بدلا منه. ووضع جناب القدوس الجسد في القبر بيده. وأمر الذين كانوا بالقرب منه ان يكتموا محل دفنه ويخفوه حتى عن الأصحاب. وحذرهم من كشفه ثم أمرهم فيما بعد بدفن الستة وثلاثين شهيدا الذين وقعوا في تلك المعركة في الجهة البحرية (الشمالية) من الضريح في قبر واحد وبينما كان يضع جثثهم في القبر كان يقول (ليعتبر أحباء الله بمثال هؤلاء الشهداء في ديننا فليكونوا في حياتهم متحدين كاتحاد هؤلاء في مماتهم).

وكان عدد الجرحى لا يقل عن تسعين من الأصحاب في تلك الليلة. فمن وقت حضورهم من بارفروش، ومن أول يوم هوجموا فيه في بادئ الأمر، وهو الواقع في 12 ذي القعدة سنة 1264هـ[6] الى يوم وفاة الملا حسين في

التاسع من ربيع الأول سنة 1265هـ ساعة الفجر[7]، كان عدد الشهداء حسب تعداد ميرزا محمد باقر قد بلغ اثنين وسبعين. وكان عدد الأيام من يوم ان هوجم الملا حسين من أعدائه، ليوم استشهاده ماية وستة عشر يوماً، وهي مدة مفعمة بالوقائع والأعمال التي بلغت فيها الشجاعة الى حد ان أعدى الأعداء اضطروا للاعتراف بها وللدهشة من قوتها. وفي أربع مرات بلغ الملا حسين أقصى ذروة الشجاعة والبسالة التي لا يبلغها مثله الا قليل. وكانت أول معركة وقعت في 12 ذي القعدة في جوار بارفروش[8]، والثانية في جوار قلعة الشيخ طبرسي في الخامس من محرم[9] ضد قوات عبد الله خان التركماني، والثالثة في وسكس في الخامس والعشرين من محرم[10]، وكانت ضد جيش البرنس مهدي قلي ميرزا. وآخرها وأهمها كانت ضد قوات عباس قلي خان والبرنس مهدي قلي ميرزا وسليمان خان أفشار مجتمعين ويساعدهم 45 ضابطاً مدربين بمهارة ومقدرة تامة. وكان الملا حسين يخرج من جميع هذه المواقع الحامية الوطيس ظافراً رغم احتشاد القوات والجحافل العظيمة المنظمة ضده. وكان في كل معركة يظهر من الشجاعة والبسالة والمهارة والقوة أنواعا وأشكالا تكفي كل واحدة منها لاثبات طبيعة الدين الفائق الذي قام لحمايته وجاهد لأجله بمثل هذه البسالة، الى ان استشهد في سبيله بعزة تامة. وكانت علائم النجابة وحسن الخلق بادية عليه منذ صباه مع اتساع دائرة علمه وتمسكه بالدين وفروسيته واخلاصه في مقاصده وعلو كعبه في الإنصاف وثباته في يقينه. فهذه الصفات ميزته وجعلت له شخصية بارزة بين الذين شهدوا لعظمة وقوة الدين الجديد بتضحية أرواحهم. وكان عمره ستة وثلاثين عاما وقت ان

شرب كأس الشهادة. وكان له من العمر ثمانية عشر عاما وقت ان تعرف في كربلاء بالسيد كاظم الرشتي وجلس تحت أقدامه مدة تسع سنوات، يتلقى عليه من الدروس ما أهّله للاستعداد لقبول رسالة حضرة الباب وصرف باقي سني حياته التسع وسط معمعان المجهودات الواقعة في الملاحم الحماسية التي أوصلته أخيرا الى ميدان الشهادة بظروف وحوادث لا تبلى بهجتها ولا تنقص أنوار إشراقها على مرور الأيام في تاريخ بلاده[11].

وكان انهزام العدو تاما واندحاره مخجلا بدرجة شلت حركاته ولم يتمكن من جمع قواته المشتتة وتجديد هجومه الا بعد مضي خمسة واربعين يوما. واثناء هذه الفترة التي انتهت بيوم النوروز، كانت شدة البرد قد ألجأتهم الى تأجيل عزمهم على مقاومة خصمٍ ملأهم خجلا ورعبا. ومع ان هجومهم أوقف مدة، الا ان الضباط الذين كانوا محافظين على البقية الباقية من الجيش الملكي، اصدروا الأوامر الشديدة بمنع وصول أي نجدة للقلعة. ولما كادت المؤونة تفرغ من القلعة، أمر جناب القدوس ان يفرق الميرزا محمد باقر جميع الأرز الذي كان الملا حسين خزّنه لوقت الحاجة على الأصحاب، ولما استلم كلٌ حصته منه، طلبهم جناب القدوس وقال لهم (كل من يشعر في نفسه بالقوة على ملاقاة الصعاب التي سوف تنزل علينا فليمكث معنا في القلعة، والذي يجد في نفسه أقل خوف أو تردد، فعليه ان يترك هذا المكان وليتركه سريعاً قبل ان يجمع العدو جموعه ويهجم علينا. فسوف يغلق الطريق امامنا ونلاقي أشد الصعاب ونكون فريسة لآلام مبرحة).

وفي نفس الليلة التي كان جناب القدوس ينذر فيها أصحابه، قام سيّد من قم يدعى ميرزا حسين متولي، وخان بقية الأصحاب في القلعة، وكتب الى عباس قلي خان لاريجاني (لماذا تركتم عملكم الذي ابتدأتموه وقد سبق لكم ان قضيتم على حياة عدو رهيب بموت الملا حسين الذي كان القوة المحركة داخل القلعة، وقد هدمتم العماد الذي ترتكز عليه قوتها. ولو صبرتم يوما واحدا آخر لكنتم أحرزتم النصر التام لأنفسكم. واني أشهدكم انكم لا تحتاجون الآن إلا الى مائة محارب، وهؤلاء يمكنهم في ظرف يومين ان يستولوا على القلعة ويتمكنوا من إخضاع سكانها بلا قيد ولا شرط، فقد ضربت فيهم المجاعة وهم الآن في مشقة عظيمة). ودفع الخطاب المختوم الى سيد علي زارجار الذي هرب من القلعة في نصف الليل وأخذ معه نصيبه من الأرز الذي أخذه من جناب القدوس وأوصل الخطاب الى عباس قلي خان الذي كانت له به سابقة معرفة، ووصلته الرسالة في وقت كان فيه ملتجئ في قرية على بعد 4 فراسخ من القلعة. وكان عباس المذكور، مترددا بين ان يرجع الى العاصمة ويتقدم بنفسه الى مليكه بعد هذه الهزيمة المخجلة او يعود الى موطنه في لاريجان وفيها ينتظر ان يقابله أهله ومعارفه بالتوبيخ.

ولما استيقظ في الصباح، جاءه السيد بالخطاب، ولما علم منه وفاة الملا حسين تحرك بعزم جديد. وخوفا من انتشار الخبر عن وفاة المبارز العظيم من الرسول، قتله فورا وأبعد تهمة القتل عن نفسه بحيلة عجيبة. ورغبة منه في انتهاز الفرصة وللضيق الحاصل للمحصورين في القلعة، وعملا على القضاء على قوتهم، أخذ في اعداد الأهبة للعودة للهجوم، وقبل النوروز بعشرة

أيام عسكر على مسافة نصف فرسخ من القلعة وتحقق من صدق الرسالة التي أرسلها له ذلك السيد الخائن، وأملا في الحصول لنفسه على قصب السبق في إخضاع أخصامه، امتنع من ان يبوح بالمعلومات التي تلقاها حتى لأخص ضباطه.

وما كاد النهار يلوح حتى رفع العلم[12] وتقدم وحاصر القلعة على رأس كتيبتين من البيادة (المشاة) والخيالة، وأمر رجاله ان يطلقوا النار على الحراس الواقفين على منارة البرج. واسرع ميرزا محمد باقر باخبار جناب القدوس بحراجة الموقف، فقال له جناب القدوس (ان الخائن أعلن وفاة الملا حسين، لعباس قلي خان، فلما تشجع بصعوده (وفاته)، عزم على فتح معقلنا ليفوز بشرف النصر علينا دون غيره، فأهجم عليه ومعك ثمانية عشر رجلا بجانبك وأنزل به ورهطه عقابا لائقا. وليعلم انه ولو ان الملا حسين غير موجود، إلا ان قوة الله التي لا تغلب تمد أصحابه على الدوام وتمكنهم من إحراز النصر على أعدائهم).

وبمجرد ان أنتخب الميرزا محمد باقر أصحابه، أمر بفتح باب القلعة وامتطى هو وأصحابه الجياد وصاحوا (يا صاحب الزمان) واخترقوا الصفوف في معسكر العدو. فهرب الجيش بأجمعه بارتباك عظيم أمام هذه الهجمة العنيفة، ولم يبق منهم الا القليل ممن وصل الى بارفروش خائر العزم محملا بالخجل. واشتد ذعر عباس قلي خان حتى انه سقط من جواده وهرب تاركا أحد نعليه معلقا في الركاب، وقصد الى الجهة التي هرب فيها جيشه، وهو منتعل في إحدى قدميه وقدمه الأخرى عارية. واسرع الى البرنس واعترف

بالانكسار الذي وقع وهو ممتلئ رعباً[13]. وعاد ميرزا محمد باقر سالما الى القلعة ومعه أصحابه الثمانية عشر، وفي يده العلم الذي تركه العدو الهارب، ودخل القلعة بفرح عظيم وسلّم الراية لرئيسه الذي حيّا فيه روح الشهامة التي أدت به للانتصار مرة أخرى بقوة الايمان الموهوبة لهم. وكان انهزام العدو التام أحدث فرجا عند الأصحاب وقوّى رابطتهم وذكرهم مرة أخرى بكفاية القوة التي منحها لهم إيمانهم. ولما نفد الطعام من عندهم، أكلوا لحوم الخيل التي غنموها من معسكر العدو، وتحملوا بكل شجاعة وثبات جميع المصاعب التي أحاطتهم. وكانت همتهم متوجهة لتنفيذ رغبات جناب القدوس، فلم يهتموا بما عداها. ولم تثنيهم وطأة الحصار ولا تهديدات الأعداء المتواصلة قيد شعرة عن السبيل الذي سلكه أصحابهم السابقون بكل استقامة وشجاعة. نعم، عثر وأرتد البعض من ضعاف القلوب في أظلم ساعات البلاء، ولكنهم تلاشوا وبقيت عظمة أولئك الأبطال أصحاب القلوب الثابتة القويمة الذين أشرق نورهم وضياؤهم في ساعة القضاء ومحت ظلام غدر هؤلاء الخائنين.

وكان البرنس مهدي قلي الذي عسكر في ساري، قد ابتهج من أخبار الاندحار الذي أصاب جيش زميله عباس قلي خان. ورغما عن رغبته في محو هذه الفئة التي تحصنت داخل القلعة، فرح لعدم نجاح زميله باحراز النصر الذي كان يطمع هو فيه وحده[14] فكتب تواً الى طهران مستنجدا وطالبا ارسال المدافع والهجانة مع جميع المعدات بدون تأخير لحصار القلعة، وعزم في هذه الدفعة على إخضاع القلعة إخضاعا تاماً.

وبينما كان الأعداء يستعدون لهجوم أقوى على القلعة، كان أصحاب جناب القدوس غير مبالين بالمصاعب الطاحنة التي انتابتهم، وكانوا يهيئون ما يلزم من الترتيبات لاستقبال النوروز بالفرح والابتهاج. وفي أثناء الاحتفال بذلك العيد أطلقوا العنان لشعورهم بالشكر والامتنان للبركات العديدة التي أنعم بها القدير عليهم. ومع انهم كانوا في شدة من الجوع، فانهم كانوا يترنمون بالأناشيد والأفراح متناسين بالكلية الأخطار التي تهددهم. فكانت القلعة تدوي بعبارات الثناء التي تتصاعد منها آناء الليل وأطراف النهار سيّما عبارة (سبّوح قدّوس ربنا رب الملائكة والروح) التي كانت تتقاطر من أفواههم بدون انقطاع وكانت تشعل فيهم الحماس وتحيي فيهم روح الشجاعة.

ولم يبق عندهم من المواشي التي أتوا بها من المعركة، سوى بقرة، كان الحاجي ناصر الدين قزويني قد أفردها ليأخذ لبنها ويعمله حساء يقدمه كل يوم لجناب القدوس. وكان جناب القدوس لا يضن على أصحابه الجائعين ان يشاركوه في ذلك الطعام، فكان بعد ان يتناول بضع ملاعق، يوزع الباقي عليهم ويقول (منذ افتراقي من الملا حسين لا أستلذ أي لحم او شراب مما يقدم لي. لأن قلبي يحترق إذ أرى أصحابي يتضورون جوعا وهم منهوكو القوى حولي). ورغما عن هذه الظروف القاسية، استمر على تفسير صاد الصمدية وعلى نصح الأحباب على الثبات للنهاية في جهودهم وشجاعتهم. وكان الميرزا محمد باقر، يقرأ صباحا ومساء في محضر الأحباء المجتمعين بعض قطع من التفسير، وكانت تلاوتها تشعل فيهم الحماس وتنعش فيهم الآمال.

وسمعت الملا ميرزا محمد الفروغي يقرر الآتي (الله يعلم اننا صرنا لا نفكر في الجوع ولم تتجه أفكارنا فيما بعد لأمر طعامنا اليومي. فخلب لبّنا سحر ترتيل الآيات على شأن لو تركنا كذلك سنين عدة، ما كان يظهر علينا آثار الملل او التعب او يؤثر ذلك في إخماد حماسنا او تكدير صفونا. وكلما كانت قلة الطعام تبتدئ ان تعمل في خور عزائمنا واضعاف قوتنا، كان الميرزا محمد باقر يسرع لجناب القدوس ويعلمه بالحالة، فما يكاد يمر في وسطنا حتى تبدل طلعة وجهه وسحر كلماته قنوطنا بالحبور وترحنا بالسرور. فنشعر بقوة وقدرة على شأن نعتقد انه لو ظهرت جموع الأعداء لنا فجأة، لهزمناهم تواً).

وفي يوم النوروز الذي وقع في الرابع والعشرين من ربيع الثاني 1265هجرية[15]، أشار جناب القدوس في رسالة مكتوبة للأصحاب بقرب مجيء امتحانات تجلب في أثرها استشهاد جماعة كثيرة من الأحباب. وبعد مرور بضعة أيام عسكرت بالقرب من القلعة فيالق عظيمة[16] تحت إمرة مهدي قلي ميرزا[17] وأيدهم سليمان خان أفشار وعباس قلي خان لاريجاني وجعفر قلي خان، بجيوشهم وقواتهم وساعدهم أربعون ضابطاً. وابتدأوا في عمل جملة حواجز ومتاريس وخنادق في الأراضي المجاورة[18] وفي اليوم التاسع من شهر البهاء[19] أعطى رئيس الحملة أوامره للطوبجية (المدفعية) باطلاق المدافع على المحصورين. وبينما كان الضرب مستمرا، خرج جناب القدوس من غرفته وتمشى وسط القلعة، وكان يعلو وجهه ابتسامات، ويظهر على هيئته كمال السكون. وبينما كان يخطو، إذ وقعت قنبلة مدفع فجأة

أمامه. فقال بهدوء وهو يدحرج القنبلة بقدمه (ما أجهل هؤلاء الطغاة بقوة غضب الله. ألم يعلموا ان مخلوقا ضعيفا كالبعوضة تمكن من قتل أقوى نمرود. ألم يعلموا ان ريحاً صرصراً أهلكت قوم عاد وثمود وأعدمت قواهم، فكيف يسعون في تخويف جند الله الذين لا يعتبرون أبّهة الملك الا كظل زائل). والتفت الى أصحابه وقال (أنتم هؤلاء الأصحاب الذين تكلم عنهم محمد رسول الله قائلا: "وا شوقاه لرؤية وجوه أحبائي الذين سيظهرون في اليوم الأخير، بارك الله فيهم كما بارك لنا، بل هم أعظم بركة منا". فاحذروا لئلا يفسد مقامكم الجليل باتباع النفس والهوى، فلا تخافوا من تهديد الأشرار ولا تخشوا من سطوة الكفار. ولكل منكم ساعة معلومة وأجل مسمى، فإذا جاء الأجل فلن يؤثر هجوم الأعداء او جهود الأحباء في ان يستقدم الأجل او يستأخر. بل إذا اجتمعت قوات الأرض ضدكم لن يقدروا قبل مجيء الساعة ان ينقصوا من حياتكم دقيقة واحدة، وأما لو سمحتم لأنفسكم ان تضطرب قلوبكم ولو لحظة واحدة من إطلاق هذه المدافع التي ستستمر ان تصب قنابلها بشدة على هذه القلعة، فإنكم تطرحون أنفسكم خارج معقل الحماية الربانية).

وقد نفثت مثل هذه النصيحة روح الاطمئنان والثقة في قلوب الذين سمعوها عدا القليل ممن ظهر على وجوههم التذبذب والخوف فأخذوا يأتمرون مع بعضهم في زاوية مستورة من القلعة ناظرين الى الحماس الذي أنشط إخوانهم بعين الحنق والدهشة[20].

وكان جيش البرنس مهدي قلي قد استمر بضعة أيام يطلق النيران على القلعة. ودهشوا من ان نيران مدافعهم لم تنجح في خفض أصوات الصلاة والابتهاج التي كان المحصورون يرفعونها رداً على تهديداتهم. وبدلا من تسليم القلعة تسليما تاما كما كانوا ينتظرون، فان آذان المؤذن وتلاوة الآيات القرآنية ونغمات الأفراح والمناجاة بالشكر والامتنان كانت تصل الى آذانهم بدون انقطاع.

وكانت شواهد هذا الحماس التي لا تنقطع قد أغضبت جعفر قلي خان الذي كان قلبه يغلي حنقاً ورغبة في محو هذا الحماس الذي اشتعل في قلوب أعدائه. فقام ببناء برج ووضع عليه مدفعاً[21]، ومن ذلك البرج العالي أخذ يقذف نيران المدفع على قلب القلعة. ودعا جناب القدوس ميرزا محمد باقر وأمره أن يخرج مرة أخرى ويوقع العقاب على هذا الدخيل المتكبر واذلاله بشدة لا تقل عما سبق ايقاعها بعباس قلي خان، وقال له (عليك ان تفهمه ان أبطال الله الذين تشجعت قلوبهم، هم كالأسود إذا اضطروا ودفعهم الجوع يظهر منهم من الشجاعة والشهامة ما لا يقوى مخلوق على مثله. وأفهمه انه كلما أشتد جوعهم كلما زادت نخوتهم واتسعت دائرة غضبهم).

فأمر ميرزا محمد باقر ثمانية عشر من أصحابه ان يركبوا الخيل فوراً ويتبعوه، وفتحت أبواب القلعة وارتفع منهم نداء (يا صاحب الزمان) بشدة ورنة أكبر من ذي قبل، فوقع الرعب والوجل في صفوف الأعداء، ووقع جعفر قلي خان وثلاثون من أصحابه صرعى تحت سيوفهم، وكذلك هجموا على البرج واستولوا على المدافع وأسقطوها وطرحوها أرضا وحطموا بعضا من الحواجز

والمتاريس. ولولا دخول ظلام الليل لكانوا أتوا على البقية الباقية من ذلك الجيش.

وعادوا الى القلعة ظافرين غانمين ولم يصابوا بأذى وأخذوا معهم عددا من فحول الجياد التي تركها العدو. ومضت أيام عديدة لم يظهر فيها علامة على عودة الهجوم. وبسبب حصول انفجار فجائي في أحد مستودعات الذخيرة عند العدو، وقتل جملة من ضباط الطوبجية وكثير من العسكر، اضطروا لإيقاف الهجوم على القلعة مدة شهر[22]، وكان هذا السكوت سببا في تمكين الكثيرين من الأحباب من الخروج خارج القلعة أحيانا لجمع الحشائش التي يجدونها في المزارع المجاورة ليسدوا بها رمقهم. وكانت لحوم الخيل قد نفدت واضطروا لأكل الجلود المنزوعة من السروج من شدة الجوع. وكانوا يغلون الحشائش ويلتهمونها بشراهة تستوجب الشفقة[23] ولما خارت قواهم ونحلت أجسامهم داخل القلعة، كان جناب القدوس يزورهم ويجتهد بكلماته ان يبهجهم وينعش آمالهم لتخفيف وطأة ألمهم.

وفي ابتداء شهر الجمادي الثاني[24]، سمعت مدفعية العدو تصوب قذائفها نحو القلعة. وهجمت في الوقت نفسه فيالق متعددة من الفرسان والمشاة مع عدد من الضباط لأجل الاستيلاء عليها عنوة. واضطر جناب القدوس إذ سمع أصوات اقترابهم ان ينادي ميرزا باقر ويأمره ان يخرج مع ستة وثلاثين من الأصحاب ويرد هذا الهجوم. وقال له (منذ أن قطنّا في هذه القلعة، لم نقبل بأي حال أن نسعى في التعدي على أعدائنا، ولم نقم للدفاع عن حياتنا، حتى بدءونا بالهجوم. ولو كان غرضنا الطمع في إعلان حرب دينية عليهم او

كان عندنا أقل قصد في الحصول على السيادة بقوة أسلحتنا على الكفار، ما كنا نبقى محصورين داخل جدران هذه القلعة الى هذا اليوم. ولكانت قوة أسلحتنا قد غلبت الأمم كما كان الحال مع أصحاب محمد في الأيام السالفة، وكنا أجبرناهم على قبول الدعوة. ومنذ التجأنا الى القلعة كان قصدنا الوحيد الذي لم يتغير هو إثبات سمو الدعوة بأعمالنا واستعدادنا للتضحية وسفك دمائنا في سبيل ديننا. وان الساعة لآتية قريبا عندما تكمل أعمالنا).

فامتطى ميرزا باقر مرة أخرى جواده ومعه ستة وثلاثون ممن انتخبهم من الأصحاب وشتت شمل الأعداء، وعاد للقلعة ظافرا ومعه الراية التي تركها العدو مذعورا بمجرد ان رنّ في آذانهم نداء (يا صاحب الزمان). واستشهد في تلك الملحمة خمسة من الأصحاب، فحملوهم في العودة ودفنوهم بجانب إخوانهم.

وكان البرنس مهدي قلي قد أخذته الحيرة مما شاهد من قوة خصومه التي لا حد لها، وعقد مجلس شورى مع رؤساء عسكره وحرضهم على ان يحتالوا بأي وسيلة تمكنهم من إنهاء هذه المأمورية. وأخذ في البحث والمشاورة مدة ثلاثة أيام، وانتهى أخيرا الى ان أحسن وسيلة لذلك هي إيقاف كل أنواع الاعتداء بضعة أيام أملاً في ان المحصورين يسلمون قلعتهم بدون قيد ولا شرط لاشتداد وطأة الجوع فيهم واستيلاء اليأس عليهم. وبينما كان البرنس ينتظر إتمام ما عزم عليه إذ وصله رسول من طهران يحمل فرمانا من مليكه. وكان الرسول من سكان قرية "كند" وهو محل لا يبعد كثيرا عن العاصمة. ونجح في الحصول على إذن من البرنس لدخول القلعة ليجتهد في إقناع اثنين

من سكانها وهما ملا مهدي وأخوه ملا باقر الكندي على ان يهربا من الخطر المحدق بحياتهما. وإذ اقترب من أبواب القلعة أخبر الحراس ان يطلبوا من ملا مهدي الكندي ان صاحباً له حضر ويريد رؤيته. فأعلم الملا مهدي جناب القدوس بالأمر فصرح له بالمقابلة.

وسمعت أقاي كليم يروي الخبر الآتي، كما أخبره به الرسول عندما قابله في طهران وقال له (رأيت الملا مهدي يظهر لي فوق حائط القلعة وكان يلوح على وجهه العبوس تقطيب يفوق الوصف، وكان يحدق بشدة كالأسد وسيفه معلق على قميص أبيض طويل كهيئة العرب وفي يده منديل أبيض. وسألني تواً "ما الذي تطلبه مني تكلم بسرعة لأني أخشى ان يناديني سيدي فيجدني غائباً". وكان العزم الظاهر على محياه والقوة المتلألئة من بين عينيه قد حيرتني، فصعقت من نظراته وهيئته وجال بخاطري فجأة أن أوقظ في قلبه شعوراً خفياً، فذكرته بابنه الطفل "رحمن" الذي تركه في القرية حين اشتاق للانضمام لراية الملا حسين. ومن شدة حبه للطفل كان قد عمل شعراً يترنم به وهو يهز مهده ليحمله على النوم. وقلت له "إن ابنك رحمن الذي كنت تحنو عليه، هو وحيد ومتروك ويحن أن يراك". فكان جوابه حالا "أخبره أن محبة الرحمن الحقيقي التي تفوق جميع المحبات الأرضية قد ملأت قلبي، فلم تجد مكانا لغيرها". وكانت اجابته وكلماته قد أذرفت الدمع من عيني. وصحت في دهشة "ملعون كل من يعتبرك أنت وأصحابك ضالين عن طريق الحق" وسألته: "ما الذي يحصل لو تجاسرت ودخلت القلعة وانضممت إليك؟" فأجابني بهدوء "إذا كان غرضك ان تبحث عن الحق وتجاهد فيه، فبكل سرور

أرشدك الى الطريق، وإذا أردت زيارتي لأنك صاحب قديم عاشرتني طول حياتك، فاني أرحب بك كما قال رسول الله "اكرموا ضيوفكم ولو كانوا كفاراً" واني أقدم لك للضيافة كل ما استطيعه وهو طعام الحشائش المغلية والعظام المطبوخة. ولكن إذا كان قصدك إيذائي، فاني أحذرك بأني سأدافع عن نفسي وارمي بك من أعلا هذه الجدران". وكان ثباته الذي لا يتزعزع أقنعني بضياع مجهودي. وكنت أشعر انه اشتعل بحماس لو اجتمع علماء الأرض ان يحولوه عن طريقه لأمكنه بمفرده ان يمحق مجهوداتهم. واقتنعت انه لو اجتمعت قوات الأرض بأسرها على ان يزحزحوه عن مرغوب قلبه المحبوب، لن يقدروا، فقلت له "هنيئاً لك على الشرب من الكأس التي جلبت عليك بمذاقها كل هذه البركات، وان البرنس قد أقسم ان كل من يخرج من القلعة يكون آمناً من الخطر، ويمكنه ان يمر بسلام بإذنه ويعطيه مصاريف عودته الى مقره". وإذ ذاك وعد ان يوصل خبر البرنس الى أقرانه ثم قال "هل عندك أمر آخر تريد إعلامي به، فاني أريد العودة الى سيدي حالا ولا صبر لي معك أكثر من ذلك". فأجابه قائلا "أيدك الله على إتمام مقصدك". فابتهج قائلا "حقاً قد أيدني الله وإلا فكيف تمكنت من التخلص من سجن منزلي في كند والوصول الى هذا المعقل السامي". وما كاد يتم التفوه بهذه الكلمات حتى اختفى من أمامي).

وبمجرد اجتماع الملا مهدي بأصحابه بلّغهم رسالة البرنس، فخرج السيد ميرزا حسين المتولي مصحوباً بخادمه في عصر ذلك اليوم وترك القلعة وذهب الى معسكر البرنس للانضمام إليه. وفي ثاني يوم خرج "رسول بهنميري" وعدد قليل معه إذ لم يقدروا على تحمل مشقة المجاعة وانفصلوا من

اخوانهم بحزن وتردد متشجعين بوعد البرنس وتأكيداته الصريحة، وما كادوا يخرجون من القلعة حتى ذبحوا فوراً بأمر عباس قلي خان لاريجاني.

وفي الأيام القليلة التالية لهذه الحوادث امتنع العدو المرابط بجوار القلعة عن أعمال الاعتداء على جناب القدوس وأصحابه، وفي صبيحة الأربعاء السادس عشر من جمادي الثاني[25] وصل رسول من البرنس وطلب أن يُنتدب اثنان من طرف المحصورين للمفاوضة السرية معهما، بأمل الوصول الى حل سلمي للمسائل المتعلقة بين الطرفين[26].

فعيّن جناب القدوس الملا يوسف اردبيلي وسيد رضائي خراساني بصفة مندوبين وأمرهما ان يخبرا البرنس انه مستعد لاجابة طلبه. فأحسن مهدي قلي ميرزا استقبالهما وطلب منهما تناول الشاي الذي أعدّه لهما، فلم يقبلا قائلين (اننا نشعر بان ذلك يكون عملا منافيا للطاعة إذا تناولنا طعاما او شرابا بينما رئيسنا المحبوب يتضور جوعا في القلعة) فقال البرنس (ان العداء بيننا قد استمر طويلا بلا موجب. وقد تحارب الطرفان مدة وانهكت قواهما ومن رغبتي الأكيدة الوصول الى حل سلمي لفض الخلافات التي بيننا). ثم تناول المصحف الذي كان بجواره وكتب على هامش الفاتحة الكلمات الآتية لجناب القدوس تأييداً لدعوته (أحلف بهذا الكتاب المقدس وبحق من أنزله وبالرسالة التي جاءت بهذه الآيات، انه لا قصد لي سوى توطيد السلام والمحبة بيننا، فاخرجوا من معقلكم وتأكدوا انه لن تمتد لايذائكم أي يد، وانكم ستكونون أنتم وأصحابكم في حفظ الله ومحمد رسوله وناصر الدين شاه مليكنا. وأقسم لكم بشرفي انه لن يعتدي عليكم أي شخص سواء في الجيش او الجهات المجاورة،

وإذا كان لي غرض آخر أضمره في نفسي خلاف ما بينت، فعليّ غضب الله المنتقم الجبار). ثم ختم الكتابة بختمه وأعطى المصحف وفيه الاقرار الى الملا يوسف وسأله ان يسلمه الى الرئيس مع تحياته. وزاد بقوله (وسأرسل في عصر هذا اليوم تنفيذا لهذا الاقرار بعض الجياد لنقله ونقل أتباعه الى المعسكر في خيمة خاصة أعدت لهذا الغرض وسيكونون في ضيافتي الى حين عمل الترتيب لنقلهم على مصاريفي الى موطنهم).

واستلم جناب القدوس القرآن من يد الرسول وقبّله باحترام وقال (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين)(قرآن 7-89). ثم أمر باقي أتباعه تواً ان يستعدوا لمبارحة القلعة قائلا (اننا باجابتنا لطلبهم نعطيهم الفرصة ان يوفوا بصدق ما عاهدوا الله عليه).

ولما حانت ساعة الرحيل لبس جناب القدوس العمامة الخضراء التي أرسلها له حضرة الباب في الوقت الذي أرسل فيه العمامة الأخرى التي لبسها الملا حسين يوم شهادته. وامتطوا الجياد التي أعدت لهم عند باب القلعة، وامتطى جناب القدوس الجواد المخصوص الذي بعثه البرنس له، وسار خلفه باقي أصحابه وأغلبهم من الأشراف والعلماء. وتبعهم الباقون مترجلين ومعهم كل ما كان عندهم من الأسلحة والمنقولات، وبلغت عدتهم مائتي نفر واثنين. ولما وصلوا الى الخيمة التي أعدها البرنس لجناب القدوس في جوار حمّام عام في قرية "ديزوا" المشرفة على معسكر العدو، نزلوا للاستراحة في أماكنهم المخصصة لهم بجوار هذه الخيمة.

وبعد وصولهم بقليل خرج جناب القدوس من خيمته وجمع حوله الأصحاب ونصحهم قائلا (عليكم ان تظهروا الانقطاع الكلي وتكونوا مثالا لغيركم وبذلك يرتفع صيت الأمر ويعلو مجده، وما يقع مخالفا لهذا الانقطاع انما يساعد على تلويث سمعته ويحجب بهاء دعوته، واني أسأل القدير ان يمنحكم ذلك ويساعدكم الى آخر ساعة من حياتكم على ان تكملوا نصيبكم في ارتفاع أمر دينه).

وبعد مرور بضع ساعات من الغروب أحضروا لهم طعام العشاء من المعسكر وكان الطعام قد أعد في صوان متعددة وخصصت كل واحدة لثلاثين نفر، ولكن الطعام كان نزراً غير كاف لهم. وروى البعض ممن كانوا مع جناب القدوس قال (ان القدوس طلب تسعة أصحاب منا لمشاركته في الطعام المقدم إليه في خيمته، فلما امتنع عن تناول الطعام امتنعنا نحن أيضا مثله، وفرح الخدم بذلك والتهموا الطعام الذي أبينا أن نمسه وأكلوه بشراهة). وسمع بعض الأصحاب ممن كان يتناول الطعام خارج الخيمة يتجادلون مع بعض خدّام البرنس بصدد شراء ما يريدون من الخبز بأي ثمن باهظ. ولكن جناب القدوس تكدّر من سلوكهم بهذه الكيفية ووبخهم على هذا الطلب الذي قدموه. ولولا تداخل ميرزا محمد باقر لأوقع بهم عقابا لعدم اطاعتهم لنصائحه المؤكدة.

وفي الصباح جاء رسول وطلب الميرزا محمد باقر لمقابلة البرنس، فأجاب الطلب بعد استئذان جناب القدوس، وعاد بعد ساعة وأخبر سيده ان البرنس أعاد الكرّة وأكد تعهداته في حضور سليمان خان أفشار وعاملني

بحفاوة واجلال كبيرين، وأكد له قائلا (ان اليمين التي حلفتها مقدسة ولن أحنث فيها). واستشهد بحالة جعفر قلي خان الذي بعد ثورة السالار وقتل الآلاف من عسكر الدولة، سامحه مليكه وأنعم عليه محمد شاه بانعامات جديدة. وزاد محمد باقر بقوله (ينوي البرنس ان يذهب معك باكرا صباحا الى الحمّام العام، ثم يعود الى خيمتك وينقل الجماعة على الخيول الى "سنك سر"، ومن هناك يتفرق الأصحاب ويعود بعضهم الى العراق والبعض الآخر الى خراسان. ولكن بناء على طلب سليمان خان الذي قرر ان وجود مثل هذا العدد الغفير في بلدة حصينة مثل سنك سر، يكون محفوفا بالأخطار، أمر البرنس ان يكون تفرّق الأصحاب في "فيروزكوه" بدلا عنها. واني أظن ان كل ما يقوله البرنس بلسانه لا يصادق عليه بقلبه أبدا). فوافق جناب القدوس على أقوال ميرزا باقر وأمر أصحابه أن يتفرقوا في نفس الليلة، وقال لهم انه بنفسه سيذهب الى بارفروش. فتضرعوا إليه ان لا يفارقهم، وطلبوا إليه ان يسمح لهم ببركة استمرار مرافقته. فنصحهم على السكون والهدوء وان يتجملوا بالصبر والأناة، وأكد لهم انهم سوف يلقونه مرة أخرى مهما خبأ لهم المستقبل من المصائب. وفي كلمات وداعه قال لهم (لا تبكوا فان الاجتماع الذي سوف يعقب هذا الافتراق سيكون اجتماعا أبديا فقد وكّلنا أمرنا لله ومهما كانت ارادته وأمره فاننا نتقبله بكل سرور ورضا).

أما البرنس فلم يوف بوعده وبدلا من الذهاب الى خيمة جناب القدوس دعاه مع الكثيرين من الأصحاب الى الحضور الى المعسكر. وبمجرد وصولهم الى خيمة "الفراش باشي"، أعلمه انه سوف يطلبه عند الظهر. وبعد

برهة ذهب بعض خدّام البرنس وأخبروا باقي الأصحاب، ان جناب القدوس يأذن لهم في الانضمام الى المعسكر. وانخدع الكثيرون من هذا القول ووقعوا أسرى في أيديهم، وفيما بعد باعوهم كعبيد. وكان هؤلاء الأسارى التعساء هم البقية الباقية من المعركة العنيفة التي وقعت في قلعة الشيخ طبرسي، وكانت نجاتهم سببا لأن ينشروا بين مواطنيهم رواية الآلام والامتحانات القاسية التي وقعوا فيها في تلك القلعة.

وبعد مضي قليل من الزمن، أمرت حاشية البرنس الملا يوسف بالحاح أن يخطر زملاؤه بان رغبة جناب القدوس هي ان يتجردوا من السلاح حالا. فغادر المعسكر، وأثناء مسيره لحقوا به وسألوه، ما الذي عزم على اتباعه. فأجابهم بكل جسارة (سوف أحذرهم أن لا يصدقوا أي رسالة تصدر منكم على لسان الرئيس لأنها تكون كاذبة باطلة). وما كادت هذه الكلمات تصدر من فمه حتى قتلوه بلا رحمة.

وبعد هذا العمل الوحشي، قاموا الى القلعة ونهبوا كل ما وجدوه فيها وهدموها نهائيا[27] ثم أحاطوا بباقي الأصحاب وأطلقوا عليهم الرصاص، والذي نجا من المقذوفات قتل بسيوف الضباط وحراب رجالهم. وفي سكرات الموت كان يسمع من أفواههم (سبّوح قدّوس ربنا رب الملائكة والروح). وهو نفس النداء الذي كانوا يذكرونه بحماس وقت أفراحهم وهو الذي رددوه في آخر ساعات حياتهم بحماس لا يقل عنه. وتوج شهادتهم بإكليل فخر أبدي[28].

وبينما كانت هذه الفضائع ترتكب مع الأصحاب، أمر البرنس ان يحضروا أمامه الأسرى واحدا بعد آخر، ومن كان منهم ذا ثروة أمر ان يفدي

نفسه بمبلغ كبير على قدر ثروته بعد عودته الى طهران. فمن هؤلاء الملا ميرزا محمد فروغي ووالد بديع[29] والحاجي ناصر القزويني[30]. وأمر اتباعه وجلاديه بإعدام الباقين فورا. فقطع البعض بالسيوف(31) والبعض ربط في الشجر ومزق بالرصاص والبعض ضرب بالمدافع.

ولما تمت هذه المجزرة الفظيعة[32]، أحضروا أمام البرنس ثلاثة من أصحاب جناب القدوس كانوا قاطنين في سنك سر، وكان أحدهم السيد احمد بن مير محمد علي، أحد تلامذة الشيخ احمد الاحسائي، ومن أشد المنتمين إليه ومن أكابر العلماء البارزين. وسافر والده مير محمد علي الى كربلاء في السنة التي سبقت ظهور حضرة الباب، ومعه إبناه السيد احمد المذكور وأخوه مير أبو القاسم الذي لقي حتفه في نفس الليلة التي استشهد فيها الملا حسين. وقصد المير محمد علي من ذلك السفر تقديمهما الى السيد كاظم، وتصادف ان كان السيد كاظم قد فارق الحياة قبل وصوله، فاستعد ان يذهب تواً الى النجف. وبينما هو في تلك المدينة، رأى النبي محمد(ص) في الرؤيا ذات ليلة وهو يأمر الإمام علي أمير المؤمنين ان يخبره ان نجليه سيد احمد ومير أبو القاسم سيلتقيان بالقائم الموعود ويستشهدان في سبيله. وبمجرد ان استيقظ نادى نجله السيد احمد وأوصاه بما أراد، وفي اليوم السابع من تلك الرؤيا توفى.

وكان يوجد أيضا في سنك سر، أخوان آخران، وهما كربلائي أبو محمد وكربلائي علي، وهما مشهوران بالتقوى والعلم اللدنّي، وكانا يجتهدان في اعداد الناس لقبول أمر الدين الجديد الذي كانا ينتظران قرب ظهروه. ففي سنة

1261 هجرية أعلنا لعموم الناس ان في تلك السنة سيظهر رجل اسمه السيد علي ويسير مع الراية السوداء من خراسان الى مازندران ومعه نخبة من الأصحاب، وحرّضا كل تابع أمين للإسلام ان يقوم ويمد يده بكل ما أمكن من المساعدة. وقررا ان الراية التي يرفعها هي راية القائم الموعود والذي ينشرها هو أكبر أصحابه وأعظم مروج لأمره. وسينجو الذين يتبعونها وسيكون الذين يديرون وجوههم عنها من الهالكين. وكان كربلائي أبو محمد يحرض نجليه أبو القاسم ومحمد، على ان يقوما على نصرة الأمر الجديد وان يضحيا كل مصلحة مادية للوصول الى هذه الغاية. وتوفي كل من كربلائي أبو محمد وكربلائي علي في ربيع السنة ذاتها.

وكان نجلا الكربلائي أبو محمد، هما اللذان أدخلا أمام البرنس مع السيد احمد السابق الذكر، لأن ملا زين العابدين الشاه ميرزادي أحد العلماء واحد مستشاري الحكومة الموثوق بهم، كان قد أعلم البرنس بأمرهما ومساعي وجهود أبيهما. وشرع البرنس يسأل السيد احمد بقوله (لماذا اخترت السير في هذا الطريق الذي جلب عليك وعلى مواطنيك أسوأ العواقب وأشنعها. ألا تكتفي بالعدد الغفير من العلماء والفقهاء المشهورين الموجودين في هذه البلاد وفي العراق؟) فكان جوابه بلا وجل (ان إيماني بهذا الأمر لم يكن موروثا من تقليد أعمى، بل بناء على فحص الأمر واقتناعي بصحته. ولما كنت في النجف تجاسرت على ان أطلب من المجتهد الشهير الموجود في تلك المدينة وهو الشيخ محمد حسن النجفي حل بعض المسائل الثانوية في التعاليم الإسلامية، فامتنع من إجابة الطلب، وأعدت الكرّة عليه، ولكنه وبخني غاضبا واستمر

على امتناعه. فكيف مع ذلك يمكنني ان أستنير بخصوص مسائل الإسلام الغامضة من عالم شهير يرفض ان يجيب على أسئلة بسيطة في الأمور العادية ويظهر تعجبه من اني أضع له هذه الأسئلة؟). فسأله البرنس (وما هو اعتقادك في الحاجي محمد علي؟) فأجابه (نحن نعتقد ان الملا حسين حامل اللواء الذي تكلم عنه محمد(ص) رسول الله بقوله "إذا رأيتم الرايات السود مقبلة من خراسان فاسرعوا إليها ولو حبوا على الثلج". ولذلك تركنا الدنيا وما فيها وأسرعنا إليها وهي لم تكن سوى رمز على ديننا. فإذا أردت ان تعمل معي معروفا فأمر جلادك لينهي حياتي ويمكني من الالتحاق بجماعة الرفقاء الخالدين، لان الدنيا بجميع ملاذّها لا يمكن ان تغرني، واني أود ان أفارق هذه الحياة وأرجع الى ربي). وكان البرنس مترددا ان يقتل سيدا ورفض تنفيذ ذلك. ولكنه أعدم رفقاءه الاثنين في الحال. وسلمه هو وأخوه سيد أبو طالب ليد ملا زين العابدين الذي أمر ان يرسلهما الى سنك سر.

وفي هذه الأثناء، كان الميرزا محمد تقي قد خرج من تلك البلدة مع سبعة من علماء ساري ليشتركوا في إيقاع عقاب الإعدام على أصحاب جناب القدوس لينالوا بذلك أجرا، ولما وجد انهم أعدموا قبل وصوله، ألح على البرنس ان يعيد النظر في حكمه، وان يأمر بإعدام السيد احمد، مدعيا ان وصوله الى ساري سوف يكون سببا في إعادة الاضطراب أكثر من السابق. فرضخ البرنس أخيرا الى طلب الملا واشترط ان يبقي السيد احمد ضيفا عنده لحين وروده في ساري، وهناك يتخذ معه من الإجراءات ما يكون كفيلا في عدم اضطراب الأمن في تلك الجهات. وما كاد الميرزا محمد تقي يسير في طريقه الى

ساري، حتى ابتدأ يسب ويشتم السيد احمد ووالده، فقال له مسجونه (لماذا تسيء الى ضيفك الذي عهد به البرنس إليك؟ ولماذا تتجاهل حكم النبي القائل "أكرموا الضيف ولو كان كافراً؟". فحمى غضب الميرزا محمد تقي هو والسبعة من رفاقه وسحبوا سيوفهم وقطعوه إربا. وكان آخر نفس تلفظ به السيد احمد هو نداؤه لصاحب الزمان. أما أخوه السيد أبو طالب، فرحّلوه الى سنك سر بواسطة الملا زين العابدين، وهو موجود للآن وقاطن مع أخيه السيد محمد رضا في مازندران، ويشتغل الاثنان في خدمة أمر الله وهما معدودان من أكبر دعاته.

ولما أكمل البرنس عمله، رجع الى بارفروش مصحوبا بجناب القدوس، ووصلها يوم الجمعة بعد الظهر في الثامن عشر من جمادي الثاني[33]، وخرج سعيد العلماء مع بقية العلماء في المدينة للترحيب بالبرنس ولإسداء تهانيهم لعودته منصوراً. وهرع الأهالي للاحتفال بالنصر وأشعلوا المشاعل التي أضاءت في الليل لاستقبال البرنس بفرح كعلامة من السكان الأوفياء لتحية قدومه. وبعد مرور ثلاثة أيام من الاحتفال لم تظهر رغبة البرنس فيما يختص بجناب القدوس، بل كان مترددا في سياسته نحوه ويمانع في إيصال أي أذى إليه. فأولاً منع الأهالي من إشباع شهوتهم الجامحة واحساس بغضهم العظيم، فمنعهم من التعدي وإثارة غضبهم. وكان أصلا يؤمل إيفاده الى طهران لتسليمه ليد مليكه ليتخلص من المسئولية الملقاة على عاتقه.

أما عداوة سعيد العلماء التي لا تخبو نارها، فكان لها أثرها في هذا الخصوص وأشعلت نيران حقده لجناب القدوس وأمره، وازداد لهيبها وسعيرها إذ

رأى ميل البرنس متجها نحو إفلات مثل هذا الخصم القوي من قبضة يده، فسعى لديه ليل نهار وبكل حيلة اخترعها عقله الماكر لأن يقنع البرنس للعدول عن رأيه وعن السياسة التي يريد اتباعها في شأنه، واعتبرها مخيفة وصادرة عن جبن. ومن شدة حنقه أهاج إحساس الجمهور وأثار أحط شعور الانتقام في صدورهم وأشعل نيران التعصب في قلوبهم. فهاجت جميع أهالي بارفروش من مقاله وتمكن بمهارته الشيطانية من تأليب الجماهير وإثارتهم لمساعدته. واحتج بكل وقاحة قائلا (قد حلفت ان لا أتناول طعاما ولا أنام حتى أتمكن من إنهاء حياة الحاجي محمد علي). وساعدت تهديدات الغوغاء على تدبيره وإثارة خاطر البرنس. وخوفا على حياته من الخطر، دعا البرنس جميع علماء بارفروش بالحضور للتشاور فيما يتخذ من الإجراءات لتخفيف وطأة الضوضاء الحادثة عن الهياج العام. فأجابوا الدعوة جميعا عدا الملا محمد حمزة الذي اعتذر عن حضور الاجتماع، وكان قبل ذلك في مواقف كثيرة يقنع الأهالي أثناء حصار القلعة بعدم الإقدام على أعمال القسوة. وكان جناب القدوس قبل مبارحته للقلعة، قد سلّم له بواسطة أحد أصحابه من مازندران من الموثوق بهم، خرجه المختوم الذي يحتوي على تفسيره لصاد الصمد وغيرها من الكتابات والأوراق التي كانت تحت يده والتي لم يعلم نصيبها للآن.

وما كاد العلماء يجتمعون، حتى أمر البرنس ان يحضر جناب القدوس، ولم يكن قد حضر أمامه منذ تسليم القلعة إذ كان في عهدة الفراش باشي. وبمجرد وصوله، قام البرنس وطلب منه الجلوس بجانبه. والتفت الى سعيد العلماء وطلب منه مناقشته بهدوء وتعقل. وقال له (ان مباحثاتك يجب ان

تكون مستندة على آيات القرآن وأحاديث الرسول، وبهما وحدهما يمكنك ان تثبت صدق او كذب احتجاجك). فرد سعيد العلماء بوقاحة قائلا (هل بوضعك العمامة الخضراء على رأسك، انتحلت مقاما لا يدعيه الا من كان من سلالة الرسول، ألا تعلم ان من يزدري بهذا الحديث يستحق غضب الله؟). فأجابه جناب القدوس بهدوء (وهل كان السيد المرتضي الذي يحترمه ويجلّه جميع العلماء المشهورين من سلالة الرسول من طريق أبيه او من طريق والدته؟). فأجاب أحد الحاضرين (انه كان سيدا شريفا عن طريق والدته). فرد جناب القدوس قائلا (فلماذا تعترض إذا عليّ، ووالدتي معروفة لجميع سكان هذه المدينة بأنها من نسل الإمام الحسن، ألم تك محترمة من الجميع بسبب شرف هذه النسبة).

فلم يقدر أحد على الاعتراض عليه. وحمي غضب سعيد العلماء[34] وزاد يأسه وقام غاضبا ودفع بعمامته على الأرض وترك المجلس وهو يرعد قائلا (ان هذا الرجل تمكن ان يبرهن لكم انه من سلالة الإمام الحسن، ولن يمضي الا وقت قليل حتى يثبت لكم انه فم الله ومظهر ارادته). فتحرك البرنس وقرر ما يأتي (اني أغسل يديّ من كل مسئولية لايصال الأذى بهذا الرجل، فافعلوا به ما شئتم، وأنتم تكونون مسئولين أمام الله عن ذلك يوم القيامة). وبمجرد ان تكلم بذلك، استدعى جواده وارتحل الى ساري مع خدامه. وإذ خوّفته سطوة العلماء، تناسى يمينه الذي حلفه، وسلّم جناب القدوس بالامتهان الى يد عدوه القاسي. وكانت هؤلاء الذئاب الخاطفة الذين يلهثون

متحفزين للحظة التي ينقضّون فيها على فريستهم بكل وحشية ليشبعوا أشد شهوات انتقامهم وحقدهم.

وما كاد البرنس يرفع يده عن حماية جناب القدوس من أهالي بارفروش وعلمائها، حتى هجموا عليه بأمر سعيد العلماء وأوقعوا على جسده من أنواع التعذيب ما لا يقدر القلم على وصفه. وبشهادة حضرة بهاءالله، تحمّل هذا الشاب الذي كان في مقتبل عمره من الآلام والتعذيب ما لا يوصف، وتجرع الموت بكيفية لم يلاقها أحد في ساعة أجله حتى ولا المسيح في أشد حالات آلامه. ولما رفعت الحكومة حمايتها عن جناب القدوس، تحركت أيدي الطغاة وتجلّت وحشية أشرار بارفروش وساعد على ذلك شدة التعصب المشتعل في صدور أهل الشيعة والتعضيد المعنوي الذي أسداه علماء وأعيان الدولة في العاصمة لهم، فضلا عن الرغبة في الانتقام من أعمال الفروسية والبطولة التي ظهرت من هؤلاء المؤمنين، فاجتمعت كل هذه العوامل لتحريك عصبة الأشرار وزادت في الوحشية الشيطانية التي قضوا بها عليه وقت استشهاده.

وكان وقوع هذه الحادثة من الفظاعة بمكان حتى ان حضرة الباب في حبسه في قلعة جهريق كان غير قادر على الكتابة او الإملاء مدة ستة أشهر، فحزنه العميق الذي شعر به أوقف صوت الوحي وأسكت قلمه طوال هذه المدة. فكم كان يندب هذا الفقدان الجسيم وكم كان ضجيجه عندما كانت تتلى عليه وتتمثل أمام عينيه قصة الحصار وما قاساه الأصحاب من الآلام المبرحة وخداع الأعداء لهم وذبح المؤمنين جملة واحدة في قلعة الشيخ طبرسي. وما كان أشد تفجعه وحزنه عندما علم بالمعاملة الوحشية التي عومل

بها محبوبه جناب القدوس في ساعة الاستشهاد بيد أهالي بارفروش، وكيف جرّدوه من ملابسه وأوقعوا من رأسه عمامته وقت أرسلها له، وكيف ساروا به في الشوارع حافي الأقدام عاري الرأس مكبلا بالحديد ويتبعه جميع أهالي البلدة بالتوبيخ والتأنيب، وكيف كان يشتمه ويبصق عليه الجمهور المتهيج وكيف هجموا عليه بالسنان، حتى نساؤهم بالمغارف والمشاقص، وكيف قطّعوا جسده إربا وكيف أشعلوا النار فيه أخيرا.

وكان جناب القدوس أثناء تألمه وتعذيبه ينطق بمسامحة أعدائه ويقول (إغفر يا الهي لهؤلاء المعتدين وعاملهم برحمتك لأنهم ليس لهم علم بالأمر الذي آمنا به، واني اجتهدت ان أظهر لهم طريق نجاتهم، فانظر كيف قاموا عند ذلك على قتلي واعدامي، فاظهر لهم يا الهي طريق الحق وبدل جهلهم بالعلم والعرفان، وكفرهم بالتصديق والايمان). وأثناء تعذيبه كان السيد قمي الذي خانه وترك القلعة، يمرّ بجانبه، ولما رأى حالة حزنه ووحدته، صفعه على وجهه قائلا بكل استهزاء ووقاحة (انك تزعم ان صوتك هو صوت الله، فإذا كنت صادقا، فاكسر قيودك وخلّص نفسك من أيدي أعدائك). فحدّق جناب القدوس في وجهه، وتأوه بحرقة قائلا (جازاك الله على عملك بقدر ما زدت في آلامي). ولما اقترب من سبز ميدان صاح قائلا (ليت أمي كانت معي لتشهد بعينها بهاء عرسي). وما كاد يتم هذه الكلمات حتى انقض عليه الجمهور وقطعوا جسمه اربا، ورموا أجزاءه وأعضاءه في النار التي أشعلوها لهذا الغرض. وفي منتصف الليل جمع بعض أصحابه ما تبقي من جسده[35] ودفنوه في محل لا يبعد عن مكان استشهاده[36].

وقد رأيت من المستحسن هنا ان أذكر أسماء هؤلاء الشهداء الأولين السابقين الذين اشتركوا في الدفاع عن قلعة طبرسي حتى ان الأجيال الآتية تذكر هؤلاء السابقين الأولين بما يليق لهم من الفخر والاطراء، فقد زينوا بحياتهم ومماتهم تاريخ دين الله الأبدي وساعدوا على توسيعه وإنمائه. وقد جمعت هذه الأسماء من مصادر مختلفة، خصوصا ما تفضل به اسم الله الميم واسم الله الجواد واسم الله الأسد، مما أنا مدين لهم به. والآن أشرع في تعداد أسمائهم لتكون باقية على الألسنة في هذا العالم بمثل ما تكون أرواحهم باقية في العالم الآخر متمتعة بأنوار المجد السرمدي. ولكي تحرك ذكراهم روح الحماس والإخلاص في قلوب الذين تسلموا هذا الميراث المنقطع النظير. ولم أقتصر على ذكر أسماء الذين قتلوا في ذلك الحصار التاريخي، بل حصلت أيضا على قائمة شاملة ولو انها غير كاملة بأسماء الذين استشهدوا وأسلموا حياتهم في سبيل الله منذ سنة 60هـ لغاية الآن، وهو أواخر شهر ربيع الأول سنة 1306 هجرية. ومن عزمي ان أذكر اسم كل واحد منهم بمناسبة ذكر الحادثة الخاصة التي وقعت له.

أما الذين شربوا كأس الشهادة وهم يدافعون عن أنفسهم في قلعة طبرسي، فأسماؤهم كما يأتي:-

(1) أسبقهم وأولهم، جناب القدوس الذي سمّاه حضرة الباب "اسم الله الأكبر" وهو آخر حرف من حروف الحيّ، واختص من بين أصحاب حضرة الباب بمصاحبته في حجه الى مكة والمدينة. وكان أول من قاسى الاضطهاد في أرض العجم لأمر الله مع الملا صادق والملا علي أكبر أردستاني. وكان

عمره ثمانية عشر عاما، إذ ترك مدينة بارفروش لكربلاء. وجلس تحت أقدام السيد كاظم الرشتي يتلقى عنه مدة أربع سنوات. ولما بلغ اثنين وعشرين عاما، قابل وعرف حضرة الباب محبوبه في شيراز. وفي الثالث والعشرين من جمادي الثانية سنة 1265 هجرية، أي بعد مرور خمس سنوات استشهد في سبز ميدان ووقع فريسة لأقسى وأفجر نوع من أنواع الوحشية بيد أعدائه. وكان حضرة الباب ومن بعده حضرة بهاءالله، قد أنزلا ألواحا لا تحصى في ذكرى صعوده والحزن عليه وفي الثناء عليه هو وأصحابه. وكان مدح حضرة بهاءالله وتشريفه له بدرجة انه سمّاه في تفسيره على لوح (كل الطعام) بـ "النقطة الأخرى"، وهو مقام لا يفوقه سوى مقام حضرة الباب نفسه.

(2) الملا حسين، الملقب بباب الباب، أول من آمن واعترف بالأمر الجديد، ولمّا بلغ ثمان عشرة سنة، غادر موطنه في بشروي من أعمال خراسان لكربلاء، ولمدة تسع سنوات كان ملازما للسيد كاظم. وقبل إعلان الدعوة بأربع سنوات، قابل في اصفهان العالم المجتهد السيد باقر الرشتي، وفي مشهد ميرزا عسكري، بناء على أمر السيد كاظم وأوصل اليهما الرسائل التي أوكله السيد بتوصيلها بكل شجاعة وإقدام وتكلم معهما بفصاحة تامة. وحركت أحوال استشهاده حزن السيد الباب حزناً عميقا لا يوصف بالعبارة وأطلق قلمه في مدحه في ألواح ومدائح شتى يزيد حجمها على ثلاثة أضعاف القرآن. وفي أحد هذه الألواح يقرر حضرة الباب ان تراب الأرض التي دفن فيها الملا حسين له خاصية جلب الفرح للحزانى والبرء للمرضى. وفي كتاب

الإيقان يمتدح حضرة بهاءالله خصائل وفضائل الملا حسين ويكتب عنه (لولاه ما استوى الله على عرش رحمانيته وما استقر على كرسي صمدانيته).

(3) الميرزا محمد حسن أخ الملا حسين.

(4) ميرزا محمد باقر ابن عم الملا حسين، وهو كالميرزا محمد حسن، صحب الملا حسين من بارفروش الى كربلاء ومنها الى شيراز، وهناك اعتنقا أمر حضرة الباب وأدرجا ضمن حروف الحيّ، وكان ملازما له في جميع الأوقات لغاية استشهاده معه في قلعة طبرسي، عدا فترة سياحة الملا حسين في قلعة ماكو.

(5) صهر الملا حسين ووالد ميرزا أبو الحسن وميرزا محمد حسين، وكلاهما الآن في بشروي. وكانت أخت الملا حسين "ورقة الفردوس" قد سلِّمت اليهما، وكلاهما من الثابتين المخلصين.

(6) ابن الملا أحمد وأخ الملا ميرزا محمد فروغي الأكبر. وخلافا لعمه الملا ميرزا محمد، وقع شهيدا، وكان كما وصفه هذا الأخير شابا مشهورا بالتقوى والعلم وحسن الأخلاق، وقتل شهيدا.

(7) الميرزا محمد باقر المسمى بالهراتي، ولو ان أصله من سكان قائين فانه كان من أقرب أقرباء والد النبيل الأكبر، وكان أول من آمن في مدينة مشهد، وهو الذي بنى البابية وخدم جناب القدوس بكل اخلاص أثناء سياحته في تلك المدينة. ولما رفع الملا حسين العلم الأسود، انضم تحت لوائه ومعه نجله الصغير ميرزا محمد كاظم وذهبا سويا الى مازندران. وأخيرا نجا نجله وصار من دعاة الأمر الغيورين في مشهد. وكان الميرزا محمد باقر حامل

اللواء للجماعة الذين بنوا القلعة وحوائطها وأبراجها والخندق الذي حولها، وهو الذي خلف الملا حسين في تنظيم قوات أصحابه. وكان يتولى قيادة الهجوم على الأعداء وهو الذي كان موضع ثقة جناب القدوس وصاحبه الأمين لغاية الساعة التي وقع فيها شهيدا في سبيل الأمر.

(8) ميرزا محمد تقي جواييني من سكان سبزوار، اشتهر بتآليفه العلمية وكان الملا حسين كثيرا ما يوكل إليه قيادة الحملة على الأعداء المهاجمين، وقد رفعت رأسه ورأس ميرزا محمد باقر صاحبه على القناة وساروا بهما في شوارع بارفروش بين ضوضاء وصياح الغوغاء من السكان.

(9) قمبر علي، خادم ملا حسين الشجاع الذي رافقه في سفره الى ماكو والذي استشهد من قنابل الأعداء في نفس الليلة التي استشهد فيها سيده.

(10) حسن و (11) قلي، اللذان حملا جسد الملا حسين مع رجل يدعى اسكندر من سكان زنجان الى القلعة ليلة استشهاده ووضعاها تحت أرجل جناب القدوس. وحسن هذا هو الذي قيد بمقود في شوارع مدينة مشهد بأمر رئيس شرطة تلك المدينة.

(12) محمد حسن أخ الملا صادق، وهو الذي ذبحه اتباع خسرو في الطريق بين بارفروش وقلعة طبرسي. وكان ممتازا بثباته الذي لا يتزعزع، وكان أحد خدّام ضريح الإمام الرضا.

(13) السيد رضا الذي أرسله جناب القدوس مع الملا يوسف اردبيلي لمقابلة البرنس، وهو الذي أحضر معه نسخة من القرآن مختومة بختم البرنس

كتب فيها عهده بخط يده وأقسم عليه. وكان السيد من الأشراف والسادات المعروفين في خراسان. واشتهر بعلمه ودماثة أخلاقه.

(14) ملا ماردان علي، أحد مشاهر الاتباع من خراسان ومن سكان قرية مياماي وهي موقع قلعة حصين، كائن بين سبزوار وشاه رود، وكان معه ثلاثة وثلاثون من الأتباع الذين انضموا الى راية الملا حسين يوم دخوله في تلك القرية. وكان في مسجد مياماي الذي لجأ إليه الملا حسين لصلاة الجمعة وخطب الملا خطبته المشهورة المثيرة للأرواح والتي أشار فيها الى الأحاديث الخاصة برفع العلم الأسود في خراسان، وقرر انه هو حامل لوائه وأثر خطابه الفصيح على سامعيه حتى ان أغلب الحاضرين أتبعوه مع ان أغلبهم كان من علية القوم. ولم يبق من الثلاثة والثلاثين حياً، سوى ملا عيسى وأولاده الآن في قرية مياماي وهم يشتغلون في خدمة الأمر.

وأسماء هؤلاء الأصحاب الشهداء هم:-

(15) ملا محمد مهدي (16) ملا محمد جعفر (17) ملا محمد بن ملا محمد (18) ملا رحيم (19) ملا محمد رضا (20) ملا محمد حسين (21) ملا محمد (22) ملا يوسف (23) ملا يعقوب (24) ملا علي (25) ملا زين العابدين (26) ملا محمد بن ملا زين العابدين (27) ملا باقر (28) ملا عبد المحمد (29) ملا عبد الحسن (30) ملا اسماعيل (31) ملا عبد العلي (32) ملا أقا بابا (33) ملا عبد الجواد (34) ملا محمد حسين (35) ملا محمد باقر (36) ملا محمد (37) حاجي حسن (38) كربلائي علي

(39) ملا كربلائي علي (40) كربلائي نور محمد (41) محمد ابراهيم (42) محمد صائم (43) محمد هادي (44) سيد مهدي (45) أبو محمد.

ومن بين الأصحاب الذين هم من سنك سر أصلا وهي من أقليم سمنان كان ثمانية عشر شهيدا، وهم:-

(46) سيد احمد الذي قطّع إربا بواسطة الميرزا محمد تقي وسبعة من العلماء في ساري، وكان عالما مشهورا ومهابا لفصاحته وتقواه (47) مير أبو القاسم وهو أخ سيد احمد ونال فخر الشهادة في الليلة التي استشهد فيها الملا حسين (48) مير مهدي وهو عم السيد احمد (49) مير ابراهيم وهو صهر السيد احمد (50) صفر علي ابن كربلائي علي، الذي جاهد جهاد الأبطال هو وكربلائي محمد في إيقاظ أهالي سنك سر من نوم غفلتهم، وكان كلاهما غير قادر على الانضمام الى قلعة طبرسي بسبب ما عندهما من الأمراض (51) محمد علي ابن كربلائي أبو محمد (52) أبو القاسم أخ محمد علي (53) كربلائي ابراهيم (54) علي محمد (55) ملا علي أكبر (56) ملا حسين علي (57) عباس علي (58) حسين علي (59) ملا علي أصغر (60) كربلائي اسماعيل (61) علي خان (62) محمد ابراهيم (63) عبد العظيم.

ومن قرية شاه ميرزاد وقع اثنان في حماية القلعة، وهما:-

(64) ملا أبو رحيم (65) كربلائي كاظم.

ومن اتباع الأمر في مازندران تدونت أسماء سبعة وعشرين شهيدا، وهم:-

(66) ملا رضاء شاه (67) عظيم (68) كربلائي محمد جعفر (69) سيد حسين (70) محمد باقر (71) سيد رزاق (72) استاد ابراهيم (73) ملا سعيد زيري كناري (74) رضاي عرب (75) رسولي بهنميري (76) محمد حسين أخ رسولي بهنميري (77) طاهر (78) شافعي (79) قاسم (80) ملا محمد جان (81) مسيح أخ ملا محمد جان (82) عطا بابا (83) يوسف (84) فضل الله (85) بابا (86) صافي قلي (87) نظام (88) روح الله (89)علي قلي (90) سلطان (91) جعفر (92) خليل.

ومن بين المؤمنين في سواد كوه، علمت خمسة شهداء وهم:-

(93) كربلائي قمبر كالش (94) ملا نادد على متولي (95) عبد الحق (96) اتابكي شوبان (97) ابن اتابكي شوبان.

ومن بين أهالي اردستان استشهد الآتي:-

(98) ميرزا علي محمد ابن ميرزا محمد سعيد (99) ميرزا عبد الواسع ابن الحاج عبد الوهاب (100) محمد حسين ابن الحاج محمد صادق (101) محمد مهدي ابن الحاج محمد ابراهيم (102) ميرزا احمد بن محسن (103) ميرزا محمد بن مير محمد تقي.

ومن مدينة اصفهان استشهد ثلاثون من المؤمنين وهم:-

(104) ملا جعفر مغربل القمح الذي ذكر حضرة الباب اسمه في البيان الفارسي (105) أستاذ أقا الملقب بزرك بنا (106) استاد حسن بن استاد أقا (107) استاد محمد بن استاد أقا (108) محمد حسين بن استاد أقا الذي بيع أخوه الأصغر أستاد جعفر مرارا بمعرفة الأعداء الى ان وصل الى

بلدته التي هو قاطن فيها الآن (109) استاد قربان علي بنا (110) علي أكبر ابن أستاذ علي بنا (111) عبد الله ابن استاد قربان علي بنا (112) محمد باقر نقش خال السيد يحيى بن ميرزا محمد علي النهري، وكان عمره أربع عشرة سنة واستشهد في الليلة التي صعد فيها الملا حسين (113) ملا محمد تقي (114) ملا محمد رضا وكلاهما أخوا المرحوم عبد الصالح البستاني لحديقة الرضوان في عكا (115) ملا احمد صقار (116) ملا حسين مسكار (117) احمد بيوندي (118) حسن شعربافي يزدي (119) محمد تقي (120) محمد عطار أخ حسن شعربافي (121) ملا عبد الخالق الذي قطع حنجره في بدشت وسمته جناب الطاهرة بالذبيح (122) حسين (123) أبو القاسم أخ حسين (124) ميرزا محمد رضا (125) ملا حيدر أخ ميرزا محمد رضا (126) ميرزا مهدي (127) محمد ابراهيم (128) محمد حسين الملقب دستما لجيرزن (129) محمد حسين شيتساز وهو صانع أقمشة معروف توصل للقاء حضرة الباب (130) محمد حسني عطار (131) استاد حاجي محمد بنا (132) محمد مقارعي وهو بائع قماش معروف، وكان حديث التزوج وقابل حضرة الباب في قلعة جهريق، فأمره حضرة الباب ان يسرع الى الجزيرة الخضراء وان يقدم مساعدته لجناب القدوس. وبينما كان في طهران وصله خطاب من أخيه يعلمه فيه بولادة ابن له ويطلب منه ان يسرع بالرجوع الى اصفهان لرؤيته ثم يذهب الى أي محل شاء فيما بعد، فأجابه اني مشتغل جدا بمحبة هذا الأمر بدرجة اني غير قادر على تخصيص أي اهتمام لنجلي. واني بفارغ الصبر أريد أن أنضم الى جناب القدوس وأسير تحت لوائه (133)

سيد محمد رضاي باقلعي وهو سيد مشهور وعالم من أكبر العلماء المحترمين ولما صرح بأن غرضه الانضمام لراية الملا حسين حصلت ضجة كبيرة بين علماء اصفهان.

ومن بين مؤمني شيراز استشهد الآتي أسماءهم:-

(134) الملا عبد الله المعروف باسم ميرزا صالح (135) الملا زين العابدين (136) الميرزا محمد.

ومن بين المؤمنين من بلدة يزد تدونت للآن أسماء أربعة وهم:-

(137) السيد الذي سافر في جميع الطريق من خراسان الى بارفروش وهو ماشٍ على قدميه، وفي بارفروش وقع فريسة لقنبلة العدو (138) السيد احمد والد السيد حسين عزيز كاتب حضرة الباب (139) ميرزا محمد علي بن السيد احمد الذي طاحت رأسه من مقذوف مدفع بينما كان واقفا على مدخل القلعة والذي كان بسبب صغر سنه محبوبا جدا من جناب القدوس (140) الشيخ علي بن الشيخ عبد الخالق اليزدي وموطنه مشهد وكان شابا ذا حمية ومجهود امتدحهما الملا حسين وجناب القدوس.

ومن أحباء قزوين استشهد التالية أسماؤهم:-

(141) ميرزا محمد علي، عالم شهير كان والده الحاج ملا عبد الوهاب من أنجب المجتهدين في قزوين وقد توصل للقاء حضرة الباب في شيراز، ورسم أحد حروف الحي (142) محمد هادي، تاجر شهير ابن الحاج عبد الكريم الملقب باغبان باشي (143) السيد احمد (144) ميرزا عبد الجليل،

عالم شهير (145) ميرزا مهدي (146) رجل من قرية لاهرد اسمه الحاجي محمد علي اشتد تعذيبه على أثر مقتل الملا تقي القزويني.

ومن أحباء خوي استشهد التالية أسماؤهم:-

(147) الملا مهدي، وهو عالم شهير كان من أخص وأعلى تلاميذ السيد كاظم واشتهر بعلمه وفصاحته وشدة ثباته في الدين (148) الملا محمود خوي أخ الملا مهدي أحد حروف الحيّ وعالم شهير (149) الملا يوسف اردبيلي أحد حروف الحيّ وذو حماس وفصاحة، وكان قد أثار مخاوف الحاجي كريم خان عند وصوله الى كرمان وأوقع الرعب في قلوب أعدائه. وكان الحاجي كريم خان يقول عنه لمريديه (ان هذا الرجل يجب ان يطرد من هذه البلدة لأنه إذا سمح له بالاقامة فيها فانه يثير في كرمان هياجا مؤكدا مثل ما أثاره في شيراز وتكون الخسارة التي تقع لا تعوض، فان سحر بيانه وفصاحته وقوة شخصيته ان لم تزد على قوى الملا حسين فانها لا تقل عنها. وبهذه الوسيلة أمكنه ان يجبره على تقصير مدة اقامته في كرمان ومنعه من القاء الخطبة من المنبر. وكان حضرة الباب قد أعطاه التعليمات الآتية:- (عليك ان تزور بلاد ومدن إيران وتدعوها لاعتناق أمر الله. ففي أول يوم من شهر المحرم سنة 1265 هجرية (27 نوفمبر سنة 1848م) عليك ان تكون في مازندران وتساعد القدوس بكل ما أمكنك من قوة). وكان الملا يوسف أمينا لاتباع نصائح مولاه فلم يقبل ان يطيل اقامته في أي بلد او مدينة أكثر من اسبوع واحد، وعند وصوله الى مازندران أسره عسكر البرنس مهدي قلي ميرزا، الذين عرفوه للحال وأصدروا الأوامر بحبسه، ولكنه أطلق سراحه كما سبق لنا

بيانه بواسطة أتباع الملا حسين يوم ملحمة وسكس (150) ملا جليل أرومي، أحد حروف الحيّ اشتهر بعلمه وفصاحته وثباته في دينه (151) ملا احمد، قاطن في مراغه، أحد حروف الحيّ وأحد تلاميذ السيد كاظم المشهورين (152) الملا مهدي كندي، أحد رفقاء حضرة بهاءالله ومعلم الأطفال في منزله (153) الملا باقر أخ الملا مهدي والاثنان مشهوران بالعلم الغزير، وشهد حضرة بهاءالله في الإيقان بعلو كعبهما في العلم (154) السيد كاظم من سكان زنجان وأحد مشاهير التجار وقد توصل الى لقاء حضرة الباب في شيراز ورافقه الى اصفهان وكان أخوه السيد مرتضى أحد الشهداء السبعة في طهران (155) اسكندر من سكان زنجان الذي مع الحسن والقلي، حملوا جسد الملا حسين الى القلعة (156) اسماعيل (157) كربلاي عبد العلي (158) عبد المحمد (159) حاجي عباس (160) سيد احمد، والجميع سكنوا في زنجان (161) السيد حسين كلاه دوز، أحد سكان بارفروش الذي نصبت رأسه على قناة وداروا بها جميع الشوارع (162) ملا حسن رشتي (163) ملا حسن بياجمندي (164) ملا نعمت الله بارفروش (165) ملا محمد تقي قراخيلي (166) استاد زين العابدين (167) استاد قاسم بن استاد زين العابدين (168) استاد علي أكبر أخ استاد زين العابدين، وكان الثلاثة الأخيرون بنائين ومن أهالي كرمان وقاطنين في قائين من أعمال خراسان (169 – 170) كانا الملا رضا شاه وشاب من بهنمير، وذبح الاثنان بعد ترك جناب القدوس للقلعة بيومين في سوق الخميس في بارفروش ونجح الحاجي ملا محمد حمزة الملقب بشريعة مدار في دفن جثتيهما في جوار مسجد كاظم بك وفي إقناع قاتلهما

بالندم وطلب المغفرة (171) الملا محمد معلم نوري، أحد أصحاب حضرة بهاءالله الشهيرين وكان ملازما له في نور من أعمال طهران وفي مازندران، ومشهور بعلمه وذكائه، وتعرض لأقسى أنواع التعذيب التي لم يلاقيها أحد مثله من المدافعين في قلعة طبرسي عدا جناب القدوس. وكان البرنس قد وعده ان يطلق سراحه على شرط انه يسب جناب القدوس وأقسم بأنه إذا تاب يأخذه معه الى طهران ويجعله معلما لأولاده، فأجابه (أنا لا أرضى أبداً ان أسب محبوب الله بأمر رجل مثلك ولو أعطيتني كل ملك إيران لا ألفت وجهي عن وجه رئيسي المحبوب ولو لحظة واحدة وجسمي تحت رحمتك ولكن روحي لا تقدر على إخضاعها. فعذبني كما تريد لأقدر أن أثبت لك صحة الآية (فتمنوا الموت ان كنتم صادقين)(قرآن 2–94). وقد أغضب جوابه البرنس لدرجة انه أمر أتباعه بتقطيع جسمه إربا وان لا يألوا جهدا في إيقاع أخس أنواع العقاب به. (172) حاجي محمد كرّادي الذي اشتهر منزله في إحدى بساتين النخيل المجاورة لمدينة بغداد، وهو رجل ذو شجاعة عظيمة وحارب وقاد ألف رجل في محاربة ابراهيم باشا والي مصر، وكان من أخص أتباع السيد كاظم، وألّف قصيدة طويلة في مدح خصائل وفضائل السيد. وكان قد بلغ من العمر 75 سنة وقت ان آمن بحضرة الباب ومدحه بقصيدة أخرى مفصلة. وكان ممتازا بأعمال الفروسية أثناء الحصار في القلعة وأخيرا كان فريسة قنابل الأعداء (173) سعيد جبّاوي، أحد أهالي بغداد، أظهر شجاعة باهرة أثناء الحصار وأصيب في بطنه، ومع ان جرحه كان بليغا فانه مشي حتى وصل الى جناب القدوس ووقع بفرح تحت أقدامه وفارق الحياة.

وقد حكى السيد أبو طالب السنكساري أحد الذين نجوا من الحصار التاريخي في رسالة الى حضرة بهاءالله عن أحوال استشهاد هذين الشهيدين، وفيها يروي فصلا عن حكايته وحكاية أخويه سيد احمد ومير أبو القاسم وكلاهما استشهد أثناء الدفاع عن القلعة قال: (في اليوم الذي قتل فيه خسرو كنت ضيفا على شخص يدعى كربلائي علي جان، وهو كدخدا إحدى القرى في جوار القلعة. وقد ذهب لحماية خسرو، ولما عاد حكى لي كيفية موته. وفي ذلك اليوم جاء رسول وأخبرني ان أثنين من العرب حضرا ووصلا الى القرية، وكانا مشتاقين للانضمام لسكانها. وكانا يظهران خوفهما من أهالي قرية قاضي كالا، ووعدا بمكافأة كل من يمكنه توصيلهما الى مقرهما. وكنت في ذلك الوقت قد تذكرت نصائح والدي مير محمد علي، الذي أمرني بأن أقوم على شد أزر أمر حضرة الباب، فعزمت على ان انتهز الفرصة التي أتيحت لي، وبمساعدة الكدخدا أوصلت الاعرابيين الى القلعة وقابلنا الملا حسين وعزمت أنا على أن أخصص باقي أيام حياتي لخدمة الأمر الذي أتبعه).

أما أسماء بعض الضباط الذين قاوموا أصحاب جناب القدوس فهم:-

(1) البرنس مهدي قلي ميرزا أخ المرحوم محمد شاه (2) سليمان خان أفشار (3) حاجي مصطفى خان سورتيج (4) عبد الله خان أخ حاجي مصطفى خان (5) عباس قلي خان لاريجاني الذي أصاب الملا حسين (6) نور الله خان أفغاني (7) حبيب الله خان أفغان (8) ذو الفقار خان قراوولي (9) علي أصغر خان دودنجي (10) خدا مراد خان كرد (11) خليل خان

سواد كوهي (12) جعفر قلي خان سرخ كري (13) سرتيب فوج كالبات (14) زكرياي قاضي كالا ابن عم خسرو وخليفته.

وأما أسماء الأحباء الذين اشتركوا في الدفاع عن القلعة ونجوا من القتل، فلم أتمكن حصر أسمائهم ولا عددهم ولم أتمكن من سرد بقية الأسماء على الكامل على وجه التحقيق، واكتفيت بهذه القائمة ولو انها غير شاملة لجميع أسماء الشهداء. وفي اعتقادي انه في مستقبل الأيام سيقوم من بين المبلغين من يملأ هذا الفراغ ويتمكن بسعيه من الوصول لاصلاح الخلل لهذا الوصف الغير التام لحادثة من الحوادث التي ستستمر على ممر الأحقاب من أكبر الحوادث المؤثرة.

الحواشي

(1) ارتبك الشاهزاده ولم يعرف هذا المسكين ماذا يعمل. وأخيرا أصدر أمره لجمع قوة جديدة وجيش جديد. وكان شعور وأمل الأهالي الذين اندمجوا في الخدمة تحت إمرة ذلك البرنس ضعيفا حيث جربوا شجاعته. أما الملاوات فقاموا على جمع بعض الرماة وأغروهم بمبلغ كبير مقروناً بكثير من الوعود لأن الأمر كان يهمهم من ناحية وجهة نظرهم من هذه الحياة الدنيا. أما الخيالة الموجودون في القبائل فبمجرد ان يروا رؤساءهم يمتطون الخيول فلا يتأخرون ولا يطلبون شيئاً مقدما. وأجاب عباس قلي خان لاريجاني طلب المدد وأرسل قوة ولكن لم يقبل ان يركن في قيادتها للبرنس لعدم ثقته فيه بسبب تهوره الأخير، وخوفا من حصول خطر على والديه، او على الرعية او من الرغبة في الظهور، ولذلك قادها بنفسه ولم يأتمن أحدا في ذلك. بل ذهب وحده مع القوة بدون ان ينضم الى الجيش الملكي وسار لمهاجمة البابيين في معقلهم. وأعلن وصوله للقلعة وانه قام بعمل الحصار اللازم ولا يريد أي مدد لأن ما معه من الرجال فيه الكفاية وأكثر، وأخبر البرنس انه إذا أراد الحضور بنفسه ليرى ما يعمله (عباس قلي لاريجاني) مع الثوار فانه يكون له الشرف بحضوره. (من كتاب الكونت جوبينو الديانات والفلسفة في أواسط آسيا صحيفة 170-171).

(2) ولم يظهر مهدي قلي ميرزا نفسه بأنه البطل الحربي الجسور، وبدلا من إظهار درجة شجاعته، فضل عدم ذكر أكاذيب قواده ورؤساء عسكره ولم يضعها كحاشية في ذيل خطابه وخوفا من ان يصل أي أذى الى ذلك البدوي الغبي أرسل إليه حالا محسن خان سوريتي ومعه خيالته بكل سرعة مع فرقة من الأفغان ومحمد كريم خان أشرفي ومعه الرماة من المدينة وخليل خان من سواد كوه ومعه رجال قاضي كالا بصفة امداد. (من تاريخ جوبينو صحيفة 171).

(3) أول فبراير سنة 1849 ميلادية.

(4) ولما جرح رئيس البابية لم يأل جهدا في إصدار الأوامر للهجوم، حتى إذا علم بأن المقصود تم، أمرهم بالعودة وبقى هو في المؤخرة. (الكونت جوبينو كتاب الأديان والفلسفة في أواسط آسيا صفحة 174).

(5) وكانت رفاة الملا حسين مدفونة في الغرفة الداخلية من ضريح الشيخ طبرسي ووضعت هناك بمعرفة وأمر الملا محمد علي بارفروشي بأيدي أقرانه الحزانى بكل إجلال في مستهل سنة 1849م. (مقالة سائح حاشية ف صحيفة 245).

(6) 10 أكتوبر سنة 1848م.

(7) 2 فبراير 1849م.

(8) 10 أكتوبر سنة 1848م.

(9) أول ديسمبر سنة 1848م.

(10) 21 ديسمبر سنة 1848م.

(11) وكان من بينهم الملا حسين الذي كان محل إشراق شمس الظهور ولولاه ما استوى الله على عرش رحمانيته وما استقر على كرسي صمدانيته (الإيقان صحيفة 188).

وكان نحيفا في الجسم عسكريا باسلا ومحبا لله حبا خالصا جمع بين الصفاة والخصائص التي قلما توجد متحدة في شخص واحد من الارستقراطية الروحانية. (الدكتور شين اتحاد الأمم والأديان صحيفة 83).

وأخيرا توفي وفقدت الديانة الجديدة أول شهدائها، وهو رجل قويم الخلق وكان بأخلاقه الكريمة أكبر مساعد لها لو طال أجله. وكان المسلمون بطبيعة الحال يرتعبون لتذكار حياته، أما البابيون فأسدوا له احتراما فائقا. وكلا الطرفين مصيب في وجهة نظره. فمما لا ريب فيه ان الملا حسين بشروئي كان أول مؤمن في البابية في جميع المملكة الإيرانية. ولا يمكن لأي هيئة دينية او سياسية ان تؤثر في الرأي العام الا بعد ظهور عمل مجيد من أعمال البطولة الحربية (من كتاب الأديان والفلسفة في أواسط آسيا للكونت جوبينو صحيفة 176). وكتب المرحوم حاجي ميرزا جاني:- وقابلته بنفسي (ميرزا محمد حسن الذي هو الأخ الأصغر للملا حسين) في الوقت الذي أحضر فيه والدته وأخته من كربلاء الى قزوين ثم الى طهران. وكانت أخته متزوجة بالشيخ أبو تراب القزويني، وهو فيلسوف وعالم قلَّ ان يوجد مثله، ومؤمن مخلص طاهر محب لسيده الباب (أرواح من سواه فداه) لدرجة انه كان يذرف الدمع مدرارا إذا ذكر أحد اسم سيده ورأيته كثيرا عندما كان يقرأ كتاباته المقدسة وهو ممتلئ بالفرح والغبطة. ومما حكاه عن زوجته قال (تزوجتها منذ ثلاث سنين في كربلاء وكانت أولا تلميذة تتعلم الفارسية لا تهتم بشيء ولكنها الآن قادرة على تفسير الآيات القرآنية وحل معضلات أكبر مسائل التوحيد بدرجة لم أجد مثيلا لها في الرجال. وحصلت لها هذه المواهب ببركة سيدها الباب المقدس ومن المحادثة مع جناب الطاهرة قرة العين. فرأيت منها إخلاصا وصبرا مما يندر وجوده في الرجال حتى الذين ضحوا أنفسهم، ففي مدة الثلاث سنوات لم أرسل لها أية نقود ومع انها كانت تعيش في شدة الضيق والضنك لم تفتح فمها بكلمة واحدة. ولما حضرت لطهران لم تشأ ان تتكلم بكلمة واحدة مطلقا عن الزمن الماضي. ولما أرادت السفر الى خراسان تلبية لطلب جناب باب الباب، لم يكن لديها سوى رداء واحد ولم تطلب ملبوسا خلافه ولا مصاريف السفر. وهي دائما تتذرع بالأسباب التي تجعلني في راحة تامة وحتى لا تكون سببا في خجلتي. أما طهارتها وعفتها وفضائلها فلا توصف. وفي طوال هذه المدة لم يسمع أحد من العامة صوتها، وكانت الوالدة تفوق كريمتها في أخلاقها الفاضلة وكانت لها مواهب نادرة وأنشأت جملة مراثي لأولادها، ومع ان جناب باب الباب أخبرها بقرب استشهاده وبالمصائب اللاحقة

فانها كانت مع ذلك مستبشرة وفرحة بأن الله قد قبل شهادة أولادها ودائما تتضرع الى الله ان لا يحرمها من هذا الشرف العظيم.

ومن موجبات العجب والدهشة التفكر في حالة هذه الأسرة العفيفة المقدسة وفي اخلاص الأنجال وتضحيتهم وفي صبر الوالدة والأخت وتوكلهما على الله. ففي الوقت الذي قابلت فيه (أنا الميرزا جاني) ميرزا محمد حسن، كان يبلغ من العمر سبعة عشر عاما فقط ولاحظت فيه من الوقار والسكون والثبوت ما حيرني، وبعد وفاة جناب باب الباب أعطاه حضرة القدوس سيف الشهيد وعمامته وجعله رئيسا على المحاربين في سبيل الملك الحق. واختلفت الأقوال بالنسبة لاستشهاده هل كان وقت تناوله طعام الإفطار في المعسكر وذبحه إذ ذاك او ان استشهاده كان مع جناب القدوس في ميدان بارفروش (كتاب التاريخ الجديد صحيفة 93–95). وكان لقب أخت الملا حسين "ورقة الفردوس" وكانت مصاحبة وحبيبة لقرة العين في كربلاء (من تذكرة الأوفياء صحيفة 270).

(12) وبلغ الخوف أشده في ذلك الإقليم من هياج الأهالي من جراء الانكسارات المتتالية الواقعة على المسلمين وابتدأوا يميلون الى الدين الجديد. وشعر رؤساء الحربية بتزعزع مركزهم وفقد الرشد وضياع الأمل من الرؤساء الدينيين حيث طفح الكيل، وبحركة قليلة كادت مازندران تقع كلها في قبضة المصلح. (من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 315).

ولما أخبروا سعيد العلماء بذلك، أخذه الرعب والخوف من دخول البابية في بارفروش والاقتصاص منه، وكتب جملة خطابات الى عباس قلي يشجعه ويستحثه ومما قاله له (أهنئكم على شجاعتكم وهمتكم ولكن الذي يؤسف له انكم بعد ان تجشمتم كل هذه المشقات وبعد ان ضاع كل هذا الجم الغفير من الرجال لم تتابعوا العمل بعد ان أخذت الجماهير طعمة للسيف ولم يبق سوى العجائز منكم، وانكم ويا للأسف بعد كل هذه المكافحات لم تستعدوا لاعادة الكرّة لأسر هذه البقية الباقية من هؤلاء المساكين كي تحوزوا قصب السبق والفخر بالانتصار النهائي وحدكم وتستولوا على أموال المغلوبين، فعليك أنت والحالة هذه ان تجعل أقصى همتك الرجوع الى القلعة للحصول بنفسك على النصر النهائي

وتكمل ما ابتدأت به منه لأن حكومة إقليم مثل مازندران ليست بالأمر الهين). ثم كتب بعد ذلك الى علماء آمل ليبذلوا الهمة في قيام عباس قلي خان بلا توان. فكانوا يذكرونه دائما بواجبه في الرحيل بكل سرعة الى القلعة. وكان هذا الحاكم يعلم ان ما كتبه له سعيد العلماء محض اختلاق لا أساس له، الا انه فكّر في إمكان الرجوع للقلعة حتى يخلص من العار الذي لحقه في نظر النساء اللارجانية اللائي فقدن رجالهن في هذه الحرب وكذلك في نظر الحكومة، الا انه كان في باطنه يحترق خوفا ويرتعد فرقا لئلا يفشل كما فشل في المرات الأولى. وكان أغلب رجاله جرحى والكثيرون هربوا مختبئين في القرى المجاورة على بعد أربعة فراسخ او خمسة من المدينة. ولذلك كتب الى علماء آمل قائلا (إذا كانت هذه الحرب دينية، فعليكم ان تتأهبوا انتم إيران للحرب والقيادة لأن الناس ينظرون إليكم بأنكم مثلهم الأعلى المتحمسون للدين فتحركوا أولا حتى تكونوا قدوة لغيركم من الناس أنفسهم). فاضطروا لاعلان الحرب الدينية ولم يعتذروا واجتمع جمهور كبير من الغوغاء والتجار مع التلاميذ والفقهاء متظاهرين لاجراء الحرب وهم في الحقيقة لا يبتغون سوى النهب والسلب، وذهب الكثيرون الى بارفروش وهناك اجتمعوا بمقدمة جيش البرنس مهدي قلي ميرزا الذي بمجرد وصوله الى حصن يبعد فرسخا عن القلعة، ارسل البعض من الجواسيس لاستكشاف حركات الحراس البابيين وجمع الأنصار. (كتاب التاريخ الجديد صحيفة 72–73).

(13) وكان العلماء وتلاميذهم الذين حضروا للاشتراك في الجهاد الديني غير قادرين على النوم خوفا وفرقا مع انهم عسكروا على بعد فرسخين من القلعة. وكانوا دائما في أحاديثهم يسبون البرنس وعباس قلي خان وسعيد العلماء قائلين (انهم أخرجونا من ديارنا وأبعدونا عن دروسنا بلا سبب وأجبرونا على ترك معاشنا وأحضرونا لاقتحام هذا الخطر الداهم لأن الذين نحاربهم نبذوا الدنيا وجعلوا أرواحهم في أيديهم فداء لأمرهم) وكان هؤلاء الجموع يتلون الآية (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة). وقال أحدهم انه توجد جملة أسباب تعفيه من التجنيد، وذكر آخر انه لديه ثلاثين عذرا وانه معاف شرعا وسيعود الى موطنه، وقال ثالث (عندي أطفال لا عائل لهم غيري فماذا أعمل) وقال رابع (اني لم اترك نفقة لزوجتي وسأعود ان اضطر الأمر) وقال خامس (اني أريد ان أصفي حسابي مع شركائي

وإذ وقعت شهيدا تضيع ثروتي وتفتقر عيالي، والدين لا يرضى بهذا الظلم والاجحاف). وقال السادس (اني لم أوف ديون الناس وإذ وقعت شهيدا فلن أجتاز الصراط يوم القيامة) وقال السابع (اني حضرت بدون علم والدتي ورغم ارادتها وكانت قد قالت لي "إذا خرجت يكون اللبن الذي رضعته حراما عليك" وأخاف ان أكون عاقا لوالدتي) وقال الثامن وهو يبكي (اني نذرت أن أزور كربلاء هذه السنة، والطواف حول قبر سيد الشهداء يوازي أجر ألف شهيد وألف حج حول مكة، وأخاف ان لا أوفي بهذا النذر فيحصل لي من هذا ضرر بليغ). وقال غيرهم (اننا لم نر في هؤلاء القوم ما يدل على انهم كفار لأنهم إيران يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله وعليّ حبيب الله، وفقط يدّعون ان المهدي ظهر، فليكن ذلك، فهم لا يكونون ألعن من أهل السنة الذين رفضوا الاعتراف بالأئمة الأثنى عشر والأربعة عشر المعصومين ويعتبرون شخصا مثل عمر خليفة الرسول. ويفضلون عثمان على عليّ بن أبي طالب، ويعتبرون أبا بكر خليفة إيران، فلماذا يتركهم علماؤنا ويحاربون الذين لا يعلمون صدقهم من كذبهم على وجه اليقين). وارتفعت الشكوى من صفوفهم واحتج كل شخص بحجة وانتظر الجميع فرصة ليولوا الأدبار ويهربوا من ميدان القتال. ولما رأى عباس قلي هذه الروح متفشية فيهم خاف من سريانها في معسكره، فقبل أعذارهم وخرجوا من الميدان متهللين فرحين بعودتهم الى وطنهم داعين للرئيس بالنصر (من التاريخ الجديد صحيفة 74–76).

(14) وفوجئ مهدي قلي ميرزا بما لم يكن ينتظره. وعلى وجه العموم أدرك ان السردار قد هرب مثل ما هرب هو من قبل، لذلك انشرحت نفسه وزادته هذه الفكرة تعزية نفسية فلن يفتخر أحد من الرؤساء انه انفرد بالاستيلاء على قلعة البابية، وكذلك لم يعد هو المنهزم وحده بل أصبح له شريك وتعشم ان يتحمل نتيجة الانهزامين. فلما ابتهج من هذا الخبر جمع الرؤساء كبارا وصغارا واعلمهم به وأظهر التأسف على ما أصاب السردار. وأقسم ان ذلك الجندي الباسل سوف ينجح مرة أخرى. (كتاب الكونت جوبينو الأديان والفلسفة في أنواع آسيا صحيفة 179 طبعة فرنساوية).

(15) سنة 1849 ميلادية.

(16) ووزع البرنس المراكز التي يحرسها كل واحد في المحاصرة وأدّخر عسكر الحاجي خان نوري وميرزا عبد الله النوى وعين رؤساء العسكر السردار عباس قلي خان لاريجاني الذي تحمس منذ انكساره الأول، ثم عين نصر الله خان بنديبي رئيس القبيلة ومصطفى خان الأشرف الذي جعله رئيسا على جماعة التفنجشية (الرماة) الشجعان من هذه المدينة وكذلك السورتيس وعين رؤساء آخرين أقل من هؤلاء على الدودنكه والبالارستق وبعض الرحل من الترك والكرد الذين لم يحسبوا في فرق الرؤساء العظام. وكان هؤلاء الرحل من الترك والاكراد مكلفين بمراقبة العدو وابتدأوا بعد التجارب العديدة في تنظيم الجيوش أحسن من المرات الأولى. وكان الترك والكرد مكلفين بالمراقبة والحراسة ليل نهار ويخبرون عن كل مفاجأة من ناحية العدو. (كتاب الكونت جوبينو الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى صحيفة 180-181).

(17) وكان مهدي قلي ميرزا أراد ان يضيف على الوسائط القديمة بعض الاختراعات الحديثة حتى لا يفوته شيء، فأخذ من طهران مدفعين وقطعتين من الطوبجية (المدفعية) مع المؤن اللازمة واستمد المعونة إيران من شخص من هرات كان يعرف سر مادة مفرقعة إذا قذفت تلتهب على بعد سبعمائة متر بعد اشتعالها وتحرق كل ما تصادفه، فعمل التجارب بها وأدت الى نتائج طيبة فقذفت هذه المادة على القلعة فأحرقت المساكن الخشبية والقصب والتبن. وهي المساكن التي بناها البابيون من الداخل سواء في الحوش او على السور. وبينما كانت هذه المساكن تحترق كانت قذائف المدافع قد أثرت في التخريب الكثير الحاصل في بناء عال بناه الذين لم يكونوا مهندسين ولا معماريين وما كانوا يظنون ان قوة المدافع تقدر ان تخربه. وفي قليل من الزمن أصبحت قوة الدفاع في القلعة مزعزعة من وقوع الأخشاب والبراطيم من فعل النار ومن دخان احتراق الأخشاب وتكديس الأحجار المنقلبة (كتاب جوبينو صحيفة 181-182).

(18) وحفروا خنادق ووضعوا فيها تفنجشية (رماة) تصلهم أوامر بالتنشين (بالتصويب) على من يظهر من البابيين، وكذلك أقاموا قلاعا كبيرة بارتفاع أعلا من البنايات الموجودة داخل القلعة. وتوالي قذف النيران، عطّل الشاغلين للقلعة من التجول في

أنحائها وهذا احتياط نافع. الا ان البابيين في دجى الليل رفعوا استحكاماتهم بطريقة جعلت الضرب من الخارج عديم الجدوى (نفس الكتاب صحيفة 181).

(19) اليوم التاسع بعد النيروز.

(20) وذات مرة خرج بعضهم طالبا لقليل من الشاي والسكر لجناب القدوس. وكان أعظمهم الملا سعيد من زركناد وكان رجلا متضلعا من العلوم والمعارف حتى ان بعض العلماء من أسرة الملا محمد تقي من نور سأل جناب القدوس كتابة بعض أسئلة خاصة بعلوم الجفر والتنجيم فأحال الخطاب على سعيد هذا وطلب منه ان يكتب له عجالة مختصرة في الجواب حتى لا ينتظر الرسول طويلا وفيما بعد يكتب له بنفسه جوابا مفصلا، فرغما عن اشتداد الحصار وقلق الرسول كتب الملا سعيد جوابا بليغا أورد في ضمنه مائة حديث صحيح للدلالة على الظهور الجديد وهي تدل على ملحمة طبرسي واستشهاد الذين آمنوا بالرب، فدهش علماء نور من هذه المهارة الفائقة التي كتبت بها العجالة وقالوا (ان من الإنصاف الاعتراف ان مثل هذه الأمور معجزة كبيرة وان ما ثبت في العجالة من المهارة والبلاغة فوق مقدرة الملا سعيد التي نعرفها فلابد إذا انه صدر بوحي الهي وكان هو واسطة لالقائه إلينا). وحدث ان الملا سعيد كان وقتئذ خارج القلعة، فأسره العسكر الملكي وأحضروه هو ومن كان معه أمام البرنس الذي اجتهد ان يستقي المعلومات منهم عن حالة الحرس البابيين وعددهم وما عندهم من الذخيرة، ولكنهم امتنعوا عن الإدلاء بأي معلومات، ولما عرف ان الملا سعيد من رجال العلم قال له (تب وأنا أعفيك من الذبح) فأجابه الملا سعيد (لا يمكن لأي إنسان أن يتوب عن الطاعة لأوامر الله، فلماذا اذن تأمرني أن أتوب، والأولى لك أن تتوب أنت لأنك تعمل على خلاف رضاه وشرٌ مما عمله السابقون للآن) وتكلم كثيرا بهذه الكيفية، ولذلك أرسلوه الى ساري مقيداً بالسلاسل وهناك ذبحوه بحالة وحشية وبأقسى ما يمكن هو وأقرانه الذين كانوا على ما يظهر خمسة أشخاص (كتاب التاريخ الجديد صحيفة 79–80).

(21) وكان هذا الأخير قد شيّد أربعة أبراج على جوانب القلعة الأربعة على ارتفاع عظيم يمكنه من السيطرة على ما بداخل الحصن وامكان ضربه بالمدافع وجعل الحراس

هدفا لمقذوفاتها. ولما رأى المؤمنون ذلك حفروا خنادق للالتجاء إليه. ولما كانت أرض مازندران قريبة من المياه كانت الخنادق مرطوبة وزادت على رطوبتها الأمطار الغزيرة التي هطلت على الدوام فزادت في الأضرار حتى ان هؤلاء المنكوبين المساكين كانوا يعيشون في الأوحال والمياه حتى بليت ملابسهم ورثت من الرطوبة. وكلما شرب أحدهم كأس الشهادة أمام أعينهم كان باقي الأصحاب يبتهجون بدلا من ان يحزنوا. فمثلا وقعت قنبلة على سقف عشة (كوخ) واحترقت منها فلما ذهب الشيخ صالح الشيرازي لاطفائها، أصابه مقذوف في رأسه ومزق جمجمته إربا وإذ كان الأصحاب ينقلون جثته أصيبت من مقذوف آخر يد الأقا ميرزا محمد علي بن السيد احمد الذي هو والد أقا سيد حسين "المحبوب" وكذلك قتل أقا سيد حسين "المحبوب" وعمره عشر سنوات أمام أعين والده، وتدحرجت جثته في الأوحال وأعضاؤه ترتجف وتهتز كما يرقص الطير المذبوح (التاريخ الجديد 81–83).

(22) ومضى على هذه الحالة أربعة أشهر حتى قلق الشاه. وكان نجاح البابيين يشعل غضب الشاه، فكان يقول كما رواه المؤرخ الفارسي (كنا نظن ان جيشنا يقتحم النيران كما يدخل في الماء وانه يناضل السباع بلا وجل كأن يداعب الحسان. وأرسلناه ليحارب جماعة قليلة من الناس الضعفاء الذين لا حول لهم ولا قوة. ورغما عن ذلك لم يعمل شيئا. فهل يظن عظماء مازندران ان هذا يرضينا. وهل يصح لكم ان تتركوهم ليزيدوا النار اشتعالا ويزدادوا نجاحا. ولكني سوف أعمل على إبادة أهل مازندران قاطبة حتى يصبحوا كأن الله لم يخلقهم (من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 322).

واستمر الحصار مدة أربعة أشهر ومع ذلك لم يحصل فوز ولا انتصار يذكر ولم ينجحوا الا في هدم الاستحكامات القديمة، ولكن البابيين اشتغلوا ليل نهار في إصلاحها وترميمها وزادوا عليها استحكامات جديدة عوض السابقة. ولم يعلم المآل، ولم تكن مازندران هي البقعة الوحيدة التي أظهر فيها البابيون مهارتهم وشجاعتهم وشدة إخلاصهم وإيمانهم، بل انه في جميع أنحاء إيذائي ظهر منهم مثل ذلك كما سنبينه. وقلق الشاه ورئيس وزرائه من هذه الحالة وصبوا جام غضبهم على الرؤساء الذين أرسلوهم ولم يكتفوا بتوبيخهم بالعبارات القارصة فقط بل هددوهم هم وجميع أهالي الإقليم بان يعاملوهم معاملة البابيين إذا

لم ينته الحصار في أقرب فرصة. وفي هذه الأثناء رفعت القيادة من مهدي قلي ميرزا وأعطيت الى أفشار سليمان خان وهو رجل ذو ثبات مشهور وتأثير عظيم ليس فقط على قبيلته التي هي إحدى القبائل الشريفة في إيذائي، بل هو إيران صاحب نفوذ على جميع المحاربين وله احترام عظيم بينهم، فأصدر التعليمات المشددة لهم. (كتاب الكونت جوبينو الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى صحيفة 183-184).

(23) وأشار عبد البهاء في تذكرة الأوفياء صحيفة (16-17) الى المصائب والآلام التي تحملها المدافعون الأبطال في قلعة الشيخ طبرسي وأطرى فيهم الثبات والحمية والشجاعة ومدحهم عليها مدحاً فائقا وخاصة الملا صادق المقدس فقال (انه لمدة ثمانية عشر يوما مكثوا بدون طعام فعاشوا على جلود النعال. ولما نفدت ولم يبق عندهم الا الماء كانوا يشربون في كل صباح حفنة ماء. ومكثوا في القلعة منهوكين حائرين اما إذا هوجموا قاموا على أرجلهم حالا وأظهروا في وجه عدوهم شجاعة باهرة ومقاومة مدهشة وفي مثل هذه الظروف يكون الثبات على الايمان الذي لا يتزعزع والصبر على غاية من المضض وتحمل هذه الآلام من الظواهر النادرة.

وكان الذين ثبتوا في القلعة قد التهموا آخر ما عندهم من الزاد ثم أخذوا يأكلون بعض الحشائش التي يجمعونها من داخل الحصن وكذلك قشور الأشجار ولم يبق عندهم سوى أحذيتهم الجلدية وأغمدة سيوفهم، وعمدوا بعد ذلك الى الطريقة التي اتبعها سفير اسبانيا مع المتعصبين المحصورين في باريس، فانهم سحقوا عظام الموتى وعملوا منها نوعا من الدقيق وأخيرا إذ طفح الكيل عمدوا الى الرفات. وكان جواد الملا حسين قتل من الجراح أثناء المعركة التي وقعت بالليل والتي قتل فيها سيده. واحتراما للسيد دفنوا جواده تذكارا لمقدسهم وافتخارا به ولشيء من الاحترام العميق الذي يوجبه، ولكنهم حاموا حول قبر الجواد واجتمع مجلس حربي للبحث فيما إذا كانت الضرورة الملحة تسمح لهم باستخراج الجواد واعداده بصفة طعام، فقرروا مع الحزن الشديد بأن الضرورة تبيح هذا المحظور فاستخرجوه من مقبرته واقتسموا أعضاءه وطبخوه مع دقيق العظام وأكلوه ثم عمدوا الى أسلحتهم (كتاب الكونت جوبينو صحيفة 186-187 الأديان والفلسفة في أنواع آسيا).

(24) 24 أبريل سنة 1849م.

(25) 9 مايو سنة 1849 ميلادية.

(26) وكانت هذه الشجاعة الفائقة والحماس الذي لا مثيل له والهمة التي لا تقاوم قد جعلت رؤساء الجيش الملكي كثيري التفكير. ولما يأسوا من فتح المعاقل التي كانت تصدهم عمدوا الى طريق الحيلة. واستبدل الشاه، البرنس بسليمان خان أفشار فقبض على ناصية الحالة وشدد الحصار بكل قوته ظنا منه انه كلما طال الأمد فان حياته وأمواله تكون جميعها معرضة للخطر. (كتاب السيد علي محمد الباب صحيفة 325).

(27) وهدموا جميع الأبنية التي أقامها البابيون وسووا بها الأرض حتى لا يكون لها أي أثر وتنمحي كل علامة للدفاع المجيد الباسل الذي فدى فيه الأبطال البواسل حياتهم لأجل الدين. وظنوا انهم بعملهم هذا يطمسون معالم التاريخ المجيد (من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 327).

(28) وقد جعلوهم صفوفا وابتدأوا يتفكهون ببقر بطونهم وكلما أخرجوا الأمعاء من أحدهم بهذه الكيفية كانوا يضحكون وخاصة عند بروز الحشائش والأعشاب من أمعائهم بدون هضم وفي ذلك بلاء كبير يدل على مقدار ما تحملوه وعلى درجة رفعة وعظمة الايمان الذي جعلهم يتحملون مثل ذلك التعذيب، ولم يفلت منهم الا القليل ممن هرب الى الغابة.

(29) الحاجي عبد المجيد النيسابوري الذي استشهد أخيرا في خراسان.

(30) وقال ميرزا جاني بأن علماء الإسلام قد أعطوا العالم منظرا مخجلا. فأراد المنتصرون الافتخار بسكر انتصارهم، فوضعوا القدوس في السلاسل وميرزا محمد حسن خان أخ باب الباب والآخوند الملا محمد صادق خراساني وميرزا محمد صادق خراساني وحاجي ميرزا حسن خراساني وشيخ نعمت الله الآملي والحاجي ناصر القزويني والملا يوسف الاردبيلي والآقا سيد عبد العظيم خوئي وكثيرين غيرهم في وسط موكب مع دق الطمبور والموسيقى وفي كل جهة يمرون فيها في مكان مأهول بالسكان يقومون على ايذائهم وضربهم (من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 327–328).

ولم تنته الوحشية الى هذا الحد فقط بالأناشيد سلم أحد من الموت بطريق الفداء، بيع كالعبيد، وسيق غيرهم الى ميدان الشهادة. ومن الذين وجدوا من يفديهم من الأصحاب الآخوند ملا محمد صادق الخراساني وملا محمد محولاتي دوغ أبادي والآقا سيد عظيم الخوئي والحاجي ناصر قزويني والحاجي عبد المجيد النيسابوري وميرزا حسين متولي القمي، واستشهد أربعة من البابين في بارفروش وأرسل اثنان الى آمل وكان أحدهما ملا نعمت الله الآملي والثاني ميرزا محمد باقر خراساني قايني ابن عم المصنف البابي، وكان القايني يعيش قبل ذلك في مشهد في شارع خيابان بالا، وكان منزله المسمى بالبابية محل اجتماع الاتباع وكذلك محل نزول سواح الأحباء. وهناك كان نزول القدوس وباب الباب أثناء رحلتهم في خراسان. وكان القايني فضلا عن علومه الدينية ماهرا في الصناعة اليدوية واليه تعزى اقامة التحصينات في قلعة الشيخ طبرسي (كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 329).

(31) واما الباقون فطرحوهم أرضا جنبا لجنب وبقروا بطونهم واحدا بعد الآخر، ووجدت أمعاء الكثيرين ممتلئة من الأعشاب النيئة، ولما انتهوا منهم لم يبق عليهم غير إعدام باقي الملتجئين من النساء والأطفال بعد ان صدر أمر العفو عنهم، فقتلوهم جميعا ذبحا ولم يتركوا منهم احدا. (الكونت جوبينو الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى صحيفة 189).

ولما وصل الملا نعمت الله الى آمل عذبوه بقسوة زائدة وأهاج هذا المنظر غضب القايني للغاية وعندما اقترب منه السيّاف ليضربه قطع رباطه وهجم عليه وأخذ السيف من يده وضربه على أم ناصيته بشدة حتى ان رأسه طاحت ودارت خمسة عشر دورة فاكتظ الناس عليه ولكنه كان يرمي تحت أرجله كل من يقترب منه فاضطروا إذ ذاك الى قتله بالأعيرة النارية على بعد، وبعد قتله وجدوا في جيبه قطعة من لحوم الخيل مشوية تذكارا للحوادث والمصائب التي تحملوها لأجل الدين. (نفس الكتاب 329–330).

(32) وتحير جميع العالم من فداء أنفسهم وأرواحهم.. على شأن تاهت العقول من أفعالهم وتحيرت النفوس من اصطبارهم وما حملت أجسادهم... ولمدة ثماني عشرة سنة

نزلت على هؤلاء الأنوار المقدسة جميع البلايا من كل الجهات كالمطر. فما أعظم المحبة والود والعشق والذوق الذي به انفقوا أرواحهم في سبيل السبحان كما هو مبرهن وواضح للجميع. فكيف مع ذلك يقللون من أهمية هذا الأمر؟. فلم يظهر في أي عصر مثل هذا الأمر الخطير وإذ لم يكونوا هؤلاء هم المجاهدون في الله فمن يمكن اعتباره غيرهم مجاهدا فهل كانوا ينشدون العزة والثروة والجاه أم كان لهم قصد خلاف رضا الحق ولو فرض وكان جميع هؤلاء الأصحاب كاذبين رغما عن هذه الآثار العجيبة والاطوار الغريبة التي ظهرت منهم فمن ذا الذي يليق إذا ان يكون من دعاة الحق؟ تالله ان أفعالهم حجة كافية ودليل مقنع على جميع أهل الأرض لو كان الناس في أسرار الأمر يتفكرون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. (من كتاب الإيرانية صحيفة 189–191 طبعة انجليزية).

(33) 11 مايو سنة 1849 ميلادية.

(34) وشاهد البابيون أمرا عجيبا وهو ان سعيد العلماء بعد مرور بعض الزمن أصيب بمرض غريب، فانه رغما عن كساء الفرو الذي كان ملتفا به والنار الموقدة على الدوام في غرفته. كان يرتعد من شدة إحساسه بالبرودة فضلا عن ان النار الباطنية التي كانت تلتهم جسمه كانت على شأن لم تمكنه من إطفاء ظمأه المتواصل، حتى توفي وترك منزله الجميل وهجره الناس فيما بعد حتى تهدم تدريجيا واصبح محل طرح القمامة والأقذار. وبقيت هذه الحقائق ماثلة في أفئدة أهل مازندران حتى انهم إذا تشاتموا كانوا يقولون (ان شاء الله يخرب بيتك مثل ما خرب بيت سعيد العلماء ويلقي مثل ما لاقاه). (من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 330).

(35) وعلى كل حال، يظهر ان أحد العلماء وهو الحاجي محمد علي حمزة الذي كان متبحرا في المواهب الروحانية والتأويل ورجلا تقيا، أرسل بعد استشهاد القدوس سرا أشخاصا عديدين لدفن رفات وبقايا الجسد الممزق في المدرسة السالفة الذكر. ولم يكن هذا العالم فقط يخالف سعيد العلماء في أعماله بل كان إيران يلعنه ولم يقبل في حياته ان يمضي حكم إعدام على بابي، وبالعكس كان دائما يبذل جهده في دفن الذين يذبحهم سعيد العلماء. وإذ سأله أحد بخصوص أهل القلعة يقول: اني لا أحكم عليهم ولا أتكلم بشيء

ضدهم. ولهذا السبب كان نصف أهالي بارفروش على الحياد. لأنه كان في بدء الأمر يمنع الناس من شتمهم وايذائهم ولكنه فيما بعد عند تفاقم الشر، رأى الافضل له ان يبقى ساكتا وان يغلق باب بيته عليه. وكانت تقواه وزهده وعلمه وفضائله معروفة عند أهل مازندران، كما كان سعيد العلماء موصوفا بالفسق والخيانة وطلب الدنيا (من كتاب التاريخ الجديد صحيفة 92).

(36) والقدوس هو الشخص عرفه ورافقه في الحج ومرت عليه ثمان سنين وشرفه الله عند ملائكته في السماوات العلا بسبب الكيفية التي انفصل بها عن الجميع وبسبب أعماله التي لم توجد فيها أي عيب لدى الرضاء الإلهي. (البيان الفارسي جزء 2 صحيفة 164).

وأعجب من كل ذلك الوصف الذي قرره عباس قلي خان للبرنس احمد ميرزا، ذلك الوصف المقرون بعلامات الاعجاب. فقد كتب المرحوم حاجي ميرزا جاني قال (بعد مرور سنتين على حادثة الشيخ طبرسي سمعت شخصا يروي الرواية الآتية، وكان صادقا بالرغم من انه لم يكن بابيا: "كنا جلوسا إذ جاءت ذكرى الحرب التي أثارها بعض الحاقدين على القدوس وباب الباب. وكان ضمن الحاضرين البرنس احمد ميرزا وعباس قلي خان، فسأل البرنس عن الموضوع من عباس قلي، فأجابه بقوله: ان حقيقة الموضوع هو ان الذي لم يشاهد ما حدث في كربلاء ويريد رؤية ما كان فيها، فلا يمكنه ذلك الا إذا شاهد ما وقع في طبرسي. وإذ ذاك لا يعجب من وقوع أمثال وقائع كربلاء. بالأناشيد رأى الملا حسين البشروئي اقتنع تماما انه انما شاهد سيد الشهداء، وان هذا الأخير قد جاء وظهر في الأرض. أما من يرى أعمالي فيقول حقا ان "الشمر" قد رجع الى العالم ومعه سيفه وحربته، واني أحلف بشرف جلالة سيد الكائنات المقدس ان ملا حسين لبس على رأسه عمامة خضراء والتحف بشال على كتفه وخرج من القلعة الى العراء مرتكزا على رمحه في يده وقال (أيها الناس لماذا تعاملوننا بهذه القسوة بدون بحث او تحري بل لمجرد الهوى النفساني والتعصب الأعمى، ولماذا تجتهدون في سفك الدم الطاهر البريء. ألا تخجلون أمام خالق الكائنات وتعطونا على الأقل طريقا لنخرج به من أرضكم). ولما رأيت العسكر قد تأثروا من

كلامه أمرت باطلاق النار وبان يصيحوا حتى يحتجب صوته فلا يسمع بعد. ولكني رأيته مرة أخرى يرتكز على رمحه ويصيح قائلا (أليس فيكم من ناصر ينصرني) ثلاث مرات، حتى سمعه كل العسكر فصمتوا جميعا وابتدأ البعض ينتحب وكثير من الخيالة تأثروا. وخوفا من خروج الجيش عن الطاعة، أمرت مرة أخرى باطلاق النار وبالصياح. وبعد ذلك رأيت الملا حسين جرد سيفه ورفع رأسه الى السماء وهو يصيح قائلا: (يا الهي قد أتممت الحجة على هؤلاء الخلق ونصحتهم فلم ينفعهم نصحي). وابتدأ يضرب فينا باليمين والشمال، وأقسم بالله انه استعمل سيفه بطريقة تفوق قوة البشر ولم يبق في الميدان من لم يفر من أمامه سوى خيالة مازندران الذين لم يقبلوا على أنفسهم الهرب، ولما حمي الوطيس رأيت الملا حسين لحق عسكريا هاربا احتمى خلف شجرة واضعا بندقيته أمامه، فضربه الملا حسين ضربة قاضية قطعته هو والشجرة والبندقية الى ست قطع ولم ينبو سيفه في جميع مدة الحرب، فكل ضربة به كانت صائبة ومن شكل الجرحى علمت كل من طعنهم الملا حسين بسيفه، لأني أعلم انه لن يقدر أحد ان يستعمل سيفه بهذه الكيفية سوى أمير المؤمنين (علي) ومن المحال على أي سيف آخر ان يقطع بهذه الكيفية وعلى هذا النحو. ولذلك منعت كل من يعلم هذا الأمر ان لا يفشي هذا السر في المعسكر حتى لا يحصل فتور بينهم. وحقا اني لم أدرك ما الذي كان يظهر لهؤلاء القوم وماذا كانوا يشاهدونه، فانهم كانوا يقتحمون الميدان بفرح لا مزيد عليه ونشاط متواصل، ولم يظهر على وجوههم أي أثر للخوف او الفكر. ومن يشاهدهم يعتقد انهم ينظرون الى السيف والخنجر كواسطة للحياة الأبدية. فكانت أعناقهم وبطونهم تشتاق الرماح وكانوا يكتظون حول الطلق الناري لتحيته. ومن الغريب ان أغلبهم كان من التلاميذ او العلماء ومن المحجبين خلف جدران المدارس، وضعفاء في أجسادهم وغير معتادين على تحمل المشاق ولأصوات المدمرات (المدافع) وميادين القتال. وفي الثلاثة أشهر الأخيرة من أشهر الحصار كانوا بلا خبز ولا ماء ونحلت أجسامهم من انعدام القوت الضروري للحياة. ومع ذلك كانوا في ميادين القتال كأن روحا جديدة نفخت فيهم، لدرجة لا يقدر معها الفكر البشري ان يفهم شدة بأسهم وشجاعتهم. فكانوا يعرضون أجسامهم الى المدفع والنيران المتدفقة منه ليس فقط بشجاعة وبسالة، بل

إيران بشوق وفرح وهم يعدون ميدان القتال كوليمة طالبين نثر أرواحهم فيها. (كتاب التاريخ الجديد صحيفة 106-109).

الفصل الحادي والعشرون

شهداء طهران السبعة

ان أخبار الحوادث المفجعة التي انتابت أبطال الطبرسي قد جلبت الحزن والأسى لقلب حضرة الباب. وإذ كان محبوسا في سجنه في قلعة جهريق منفصلا عن أصحابه القليلين المحاربين، كان يراقب نجاح أعمالهم ولا يألو جهدا في الدعاء لهم بالنصر، فما كان أعظم حزنه عندما علم في أوائل شعبان سنة 1265 هجرية[1] ما اعترض طريقهم من الامتحانات وما أصابهم من مصائب وآلام ومن الخداع الذي لجأ إليه أعداؤهم الحانقون، والذي به انتهى دورهم الى المجزرة الفظيعة، وكما قال السيد حسين عزيز:- (وكان حضرة الباب قد احترق قلبه عند وصول هذه الأخبار الغير المنتظرة وأخذه الحزن على شأن أوقف قلمه وأسكت صوته. ولمدة تسعة أيام رفض أن يقابل أحداً من أصحابه، وما كان يسمح لي بالمقابلة أنا كاتبه وأخص الموجودين في خدمته، وكان يرفض ما يقدم له من الطعام والشراب ولا يمسه، وكانت الدموع تنهمر

من عينيه باستمرار وتخرج من فمه عبارات الحزن والأسى بدون انقطاع. وكنت أسمعه من خلف الستار وهو يناجي محبوبه في غرفته الخصوصية ويبث أحزانه له. واجتهدت أن أدوّن عبارات أحزانه وهي خارجة من قلبه المجروح. وإذ ارتاب في اني مجد في حفظ المراثي التي نطق بها، أمرني أن أمزق كل ما كتبته. فلم يبق لديّ شيء من المراثي التي سمح لقلبه أن ينفس بها عن كروبه التي استولت عليه. ومكث مدة خمسة أشهر وهو مضنى من الحزن وغرق في بحر من القنوط. ولما حان وقت المحرم سنة 1266 هجرية[2]، عاد حضرة الباب الى عمله الذي اضطر لتعطيله. وأول صحيفة كتبها بعد ذلك خصصها للملا حسين. ففي لوح الزيارة الذي خصصه له امتدح بعبارات مؤثرة أمانته ووفاءه لجناب القدوس في جميع أدوار الحصار في قلعة الطبرسي، وأطرى أخلاقه الحميدة وعدّد مآثره وأكد له عودة اجتماعه في العالم الآتي برئيسه الذي أحبه واحترمه، وكتب عن نفسه أيضا انه سوف يلحق هذين التوأمين الأبديين اللذين زينا دين الله ببهجة أبدية سواء في محياهما أو مماتهما، واستمر يكتب مدة اسبوع عن فضائل جناب القدوس والملا حسين وأصحابه الذين تتوجوا بتاج الشهادة في طبرسي. وما كاد يتمم نشر فضائل وتأبين الشهداء الذين خلّدوا اسمهم في الدفاع عن القلعة، حتى نادى في يوم عاشوراء[3] الملا عدي الغزال[4] أحد أحباء مراغه الذي كان يشتغل في خدمته مدة شهرين بدلا من السيد حسن أخ سيد حسين عزيز. وقابله بكل لطف ولقّبه بـ "السيّاح" وسلم إليه ألواح الزيارة التي دونها في ذكرى شهداء طبرسي وأمره ان يزور تلك البقعة وحرضه قائلا (قم وسر بانقطاع تام وفي لباس السائح الى مازندران وهناك زُرْ

بالنيابة عني المكان الذي يحوي أجساد هؤلاء الأحباء الذين طبعوا بخاتم دمائهم لوح منيتهم لأجل أمري، وإذ تقترب من نواحي تلك الأرض المقدسة اخلع نعليك واركع احتراما لذكراهم ونادهم بأسمائهم ودُرْ حول مقامهم بخضوع. ثم أرجِع لي قبضة من تلك الأرض المقدسة التي تغطي بقايا أجساد أحبائي القدوس والملا حسين لتكون تذكارا لزيارتك. واجتهد ان ترجع في يوم عيد النوروز حتى نحتفل سويا بهذا العيد وهو العيد الوحيد الذي ربما لا أحضر خلافه في هذا العالم). وقام السيّاح للزيارة في مازندران ونفذ تعليماته بالدقة. ووصل الى المقر المعهود في أول يوم من ربيع الأول سنة 1266 هجرية[5] وفي اليوم التاسع من ذلك الشهر وهو يوم استشهاد الملا حسين[6] قام بعمل الزيارة وأتم المأمورية التي عهد له بها ثم سافر تواً الى طهران.

وسمعت من أقاي كليم الذي قابل السيّاح في منزل حضرة بهاءالله في طهران يحكي الرواية الآتية: (كان الشتاء أتى بقضّه وقضيضه حين عاد السيّاح من حجّه ليقابل حضرة بهاءالله. ورغما عن نزول الثلج واشتداد البرد في شتاء قارص كان يرتدي عباء كالدراويش وثيابه رثّة وحافي القدمين أشعث الشعر، واشتعل قلبه من حرارة الزيارة، وما كاد السيد يحيى الدارابي الملقب بالوحيد الذي كان ضيفاً عند حضرة بهاءالله يعلم بمجيء السيّاح من قلعة طبرسي حتى تناسى العظمة والمركز الذي يشغله رجل مثله، وأسرع إليه وارتمى تحت أقدامه وأمسك بقدميه اللتين كانتا ملوثتين بالطين للركبة وحضنهما بين ذراعيه وأخذ يقبلهما بكل شوق. وكنت أندهش في ذلك اليوم من العناية التي كان حضرة بهاءالله يظهرها لوحيد. وكانت طريقة محادثتي معه لم تدع شكاً انه

في يوم من الأيام سيمتاز وحيد بأعمال لا تقل عظمة وإجلالا عن أعمال الشهداء الخالدة في قلعة طبرسي. وكان السيّاح قد استراح بضعة أيام في ذلك المنزل، ولم يكن يشاهد تلك القوة التي كانت مخبوءة في مضيفه كما شاهدها وحيد. ومع انه كان موضع عناية حضرة بهاءالله عناية فائقة، ولكن لم يفقه معنى لهذه البركات التي كانت تنزل عليه. وكنت سمعت منه عن أعماله وسياحته في فماغوستا، ومما قاله سياح "ان حضرة بهاءالله أغدقني بكرمه، أما وحيد فمع علو مقامه كان يفضلني على نفسه أمام مضيفه. وفي يوم حضوري، جاء وقبّل قدمي، ودهشت من تلك المقابلة التي أسداها إليّ. ولو اني كنت غريقا في بحر الكرم واللطف الا اني في تلك الأيام ما كنت أقدّر ذلك المقام الذي كان حضرة بهاءالله يتمتع به ولم أتمكن من الاطلاع ولو جزئيا على طبيعة الرسالة التي كان سيضطلع بها").

وقبل مبارحة السيّاح من طهران، سلّمه حضرة بهاءالله رسالة كتبها لميرزا يحيى باسمه. وبعد ذلك بقليل جاء خطاب من حضرة الباب بخط يده وفيه يأمر الميرزا يحيى[7] أن يكون في حفظ وصيانة حضرة بهاءالله ويأمره الالتفات لتعليمه وتثقيفه. وهذا اللوح صحّفه أهل البيان[8] لإثبات دعاويهم المبالغ فيها التي قدّموها في صالح رئيسهم[9].

ومع ان نص الخطاب خلو من كل هذه الادعاءات ومن أي إشارة الى المقام المزعوم، ولم يكن فيه الا مدح حضرة بهاءالله، فقد ظن اتباعه انه يحتوي على تأكيد السلطة التي منحوها لميرزا يحيى[10].

وإذ وصل الكلام الى هذا المقام من تدوين أهم الحوادث السابقة التي حصلت سنة 1265هـ[11]، فإني أذكر أعظم واقعة في تاريخ حياتي وهي حادثة ولادتي ولادة روحانية وخلاصي من تقاليد الماضي وقبولي رسالة الأمر الجديد. وإني استسمح لطف القارئ إذا أطلت الكلام على تاريخ حياتي من ابتداء نشأتي وحكيت بالتفصيل الحوادث التي أدت الى إيماني. فقد كان أبي من قبيلة طاهري، وكان يعيش عيشة البدو في خراسان، وكان اسمه غلام علي ابن حسين العربي، وتزوج بابنة "كلب علي" وكان له منها ثلاثة أولاد وثلاث بنات، وكنت ثاني أولاده، وسميت "يار محمد"، وكانت ولادتي في 18 صفر سنة 1247هـ[12] في بلدة زرند، وكانت مهنتي راعياً، وتعلمت تعليما سطحيا. وكنت أشتاق أن أخصص وقتا أكبر للمذاكرة والدرس، ولكني لم أتمكن من ذلك تبعا لمقتضيات عملي. وكنت أقرأ القرآن بشوق واحفظ منه الكثير وأرتله بينما أسير مع الأغنام في الحقول. وكنت أحب الوحدة وانظر الى النجوم ليلا بفرح وتعجب. وفي ظلام الليل كنت أتلو بعض المناجاة من أقوال الإمام علي أمير المؤمنين. وبينما كنت أتوجه للقبلة كنت أطلب من الله أن يسدد خطواتي ويمكني من معرفة الحق.

وكثيرا ما كان والدي يأخذني معه الى قم، وكنت هناك أتعلم طرق الإسلام ومذاهب رؤسائه. وكان من المؤمنين الصادقين المصاحبين لرؤساء الدين الذين يجتمعون في تلك المدينة، وكنت ألاحظه وهو يصلي في مسجد الإمام الحسن، ويلتزم جميع الفرائض بالتقوى الزائدة والدقة المتناهية. وكنت أسمع خطب الكثيرين من الأئمة المجتهدين الذين وصلوا من النجف واحضر

دروسهم واستمع لمجادلاتهم. وابتدأت أعرف بالتدريج كذب ادعاءاتهم وألومهم على انحطاط أخلاقهم. وكنت مشتاقا للتثبت من صحة العقائد والأصول التي كانوا يرومون فرضها عليّ. وكنت لا أرى عندي سعة من الوقت تكفي للتثبت منها ولا ما يسهّل لي أمرها. وكان دائما والدي يوبّخني على تهوري واضطرابي ويقول (أخاف ان تجلب عداوتك للمجتهدين عليك يوما مصاعب جمة أو تجلب عليك العار والشنار).

وتصادف اني كنت في قرية "رباط كريم" لزيارة عمي، إذ سمعت مصادفة في مسجد تلك القرية في الثاني عشر من نوروز سنة 1263هـ[13]، حديثا دار بين اثنين وهو ما جعلني أعرف أمر حضرة الباب. وكان أحدهما يقول لصاحبه (هل سمعت ان السيد الباب قد أخذ الى قرية كنار كرد وانه الآن في طريقه الى طهران؟). وإذ وجد صاحبه جاهلا هذا الموضوع، أخذ في سرد جميع حكاية حضرة الباب، وذكر له تفاصيل دعوته والقبض عليه في شيراز وخروجه الى اصفهان واستقباله بمعرفة إمام الجمعة ومنوجهرخان. وذكر له العجائب التي عملها والمعجزات وما حكم به علماء اصفهان. وكانت تفاصيل جميع هذه الحوادث قد أثارت تعجبي وحركت فيّ إعجابا كبيرا بالرجل الذي تمكن من بسط نفوذ كبير على مواطنيه. وظهر لي ان نوره قد أفاض على روحي وشعرت كأني صرت من أتباع أمره.

ورجعت الى زرند من رباط كريم، وكان والدي يلاحظ عليّ اضطرابي ويظهر تعجبه من سلوكي. وقد فقدت شهيتي للطعام والنوم، وكنت أسعى في إخفاء سرّ اضطرابي من والدي لئلا يتداخل لمنعي عن بلوغ أمنيتي. وبقيت

على هذه الحال الى ان وصل السيد حسين زواري الى زرند، وتمكنت أن أقف منه على حقيقة الموضوع الذي كان متسلطا على حياتي. وانقلبت معرفتي به الى صحبة شجعتني على ان أساهم معه مرغوب قلبي. ولفرط دهشتي وجدته واقعا في شرك الأمر الذي أردت أن أفاتحه فيه. وحكى لي قائلا: (ان أحد أبناء عمي المدعو السيد إسماعيل الزواري أقنعني بصحة الرسالة التي أتى بها حضرة الباب، وأخبرني انه قابل السيّد الباب مراراً في منزل إمام الجمعة، ورآه ينزل تفسيراً على سورة والعصر (قرآن 103) أمام مضيفه إذ كانت سرعة إنشائه وقوة بيانه وأصالة اسلوبه قد أثارت إعجابه ودهشته. وكانت أكثر دهشته ناشئة من انه كان أثناء نزول تفسيره يقدر ان يجاوب عن جميع الأسئلة التي يسأله عنها الحاضرون وبدون إنقاص لسرعة تحريره). ولما قام ابن عمي على الدعوة للأمر بدون وجل، ثارت عليه عداوة الكدخداوات وأسياد "زواره" الذين أجبروه على العودة الى اصفهان التي توطنها أخيرا. ورحلت أنا أيضا الى كاشان لأني لم يتيسر لي البقاء في زواره. وصرفت الشتاء في كاشان وقابلت حاجي ميرزا جاني الذي تكلم عنه ابن عمي والذي أعطاني رسالة كتبها حضرة الباب تسمى "الرسالة العدلية" وألح عليّ في قراءتها وإعادتها إليه بعد بضعة أيام. وكنت قد أعجبت بالطريقة واللغة التي كتبت بها هذه الرسالة، حتى إني اشتغلت تواً في نسخها بأكملها. ولما أعدتها لصاحبها، أخبرني أنه قد فاتتني وللأسف العظيم فرصة لقائي مع مؤلفها الذي كان موجودا عنده، وأخبرني قائلا (ان السيد الباب نفسه وصل في مساء يوم النيروز وصرف ثلاث ليال كضيف في منزلي، وهو الآن في طريقه الى طهران، وانك لو استعجلت تلحقه في سفره). فقمت توا

وسافرت ماشيا كل الطريق من كاشان الى قلعة في جوار كناركرد، وكنت جالسا تحت حوائطها إذ شاهدت رجلا وسيم الطلعة يخرج من القلعة وسألني عن اسمي وعن الجهة التي أقصدها، فقلت له (إني سيد مسكين وغريب وعابر سبيل) فأخذني الى منزله واستضافني ليلة. وفي أثناء المحادثة معي قال (إني أظن أنك من أتباع السيد الباب الذي مكث في هذه القلعة بضعة أيام ونقل منها الى قرية كلين وتركها منذ ثلاثة أيام الى اذربايجان، وإني أعتبر نفسي أحد أتباعه واسمي حاجي زين العابدين وكنت عزمت على مرافقته، ولكنه أمرني أن أبقى في هذا المكان وأن أوصل تحياته وأشواقه لأي شخص من أصحابه، وأن أقنعه بعدم المسير خلفه، وقال لي أيضا "أخبرهم أن يخصصوا حياتهم لخدمة أمري لعل تزول العوائق التي تحجب ترقي هذا الدين، ويتمكنوا ان يعبدوا الله بكل حرية واطمئنان وأن يسيروا طبقا لتعاليمه").

وتركت توا الرغبة في تتبعه، وبدلا من العودة الى قم، عزمت على الحضور الى هذا المكان. وكانت هذه الرواية التي رواها لي السيد حسين زواري قد خففت من اضطرابي. وقرأنا سوياً "رسالة العدلية" التي أحضرها معه، وقد سببت لي قراءتها قوة ونشاطا روحيا. وكنت في تلك الأيام تلميذا لسيّد علّمني القرآن، وكان عجزه عن تفسير بعض المواضع يزداد وضوحا يوما فيوما. ولما سألت السيد حسين عن بعض المعلومات، نصحني أن أقابل السيد إسماعيل الزواري الذي كانت عادته التي لا تنقطع زيارة ضريح الإمام زاده في قم كل ربيع. فطلبت من والدي الذي كان لا يرغب في مفارقتي ان يرسلني الى تلك المدينة لأجل تكميل تحصيل اللغة العربية. وكنت أخفي عنه غرضي

الحقيقي خوفا من اني إذا فاتحته به، ربما تحصل له ارتباكات من قاضي وعلماء زرند ويمنعوني من الحصول على بغيتي. وأثناء إقامتي في قم، جاءت أمي وأختي وأخي لزيارتي بمناسبة الاحتفال بالنيروز، ومكثوا معي نحو شهر. وأثناء هذه الزيارة أفهمت والدتي وأختي الأمر الجديد ونجحت في إشعال محبة صاحبه في قلوبهم. وبعد مرور بضعة أيام من رجوعهم الى زرند، كان السيد إسماعيل الذي كنت انتظره بفروغ صبر قد وصل وتمكن ان يذكر لي كل ما أمكنه من التفصيل ليجذبني الى الأمر أثناء بحثي معه، ونوّه بصفة خاصة الى أبدية الوحي الإلهي وان أمر الأنبياء جميعهم واحد، وبيّن ارتباط ذلك برسالة حضرة الباب. وكذلك بيّن لي طبيعة أعمال الشيخ احمد الاحسائي والسيد كاظم الرشتي اللذين لم أكن قد سمعت بهما من قبل. وسألته عن الواجب الذي هو مفروض على كل تابع أمين للدين. فقال لي (ان حضرة الباب أمر بأن الواجب على كل من يقبل أمره أن يقوم حالا الى مازندران ويساعد القدوس الذي هو الآن محصور بقوات العدو الذي لا يرحم). فأظهرت رغبتي في اللحاق به، وكانت رغبتي كذلك السفر إليها، ولكنه نصحني ان أبقى في قم مع الميرزا فتح الله الحكاك، وهو صبي من سنّي لأرشده للأمر، وذلك حتى تأتيه أخبار من طهران. فلم يحضر أي خبر، وانتظرت بدون جدوى وعزمت على السفر إذ ذاك للعاصمة. وتبعني أخيرا ميرزا فتح الله، ولكنهم قبضوا عليه وكان نصيبه نصيب الذين قتلوا سنة 1268هـ[14] في حادثة الاعتداء على الشاه. وإذ وصلت الى طهران توجهت رأسا الى مسجد الشاه الذي هو مقابل للمدرسة، والذي قابلت

على بابه فيما بعد سيّد إسماعيل الزواري فجأة، واخبرني بأنه أعدّ الخطاب وكان على وشك إرساله الى قم.

وكنا نتهيأ للرحيل الى مازندران، إذ وردت الأخبار بأن المدافعين في قلعة طبرسي ذبحوا غدرا، وأن القلعة هدمت وسويت بالأرض. فامتلأنا أسى وحزنا عند وصول هذه الأخبار المفجعة ورثينا الذين قاموا على الدفاع عن الأمر المحبوب بمثل هذه الشجاعة. وذات يوم تصادف أن قابلت عمي نوروز علي الذي جاء خصيصا ليبحث عني. فأخبرت السيد إسماعيل، فنصحني أن أعود الى زرند وأن لا أثير ضجة حول الرغبة في عودتي، لئلا يستوجب ذلك عداوتهم، وبمجرد وصولي الى موطني تمكنت من جذب أخي الى الأمر بعد والدتي وأختي، وتمكنت من التأثير على والدي ليأذن لي في الرحيل الى طهران. وذهبت وسكنت في المدرسة التي كنت قطنت فيها في زيارتي الأولى. وهناك قابلت الملا عبد الكريم الذي علمت فيما بعد أن حضرة بهاءالله سمّاه ميرزا أحمد، فقابلني بكل محبة وأخبرني أن السيد إسماعيل أوصاه بي ورغب إلي أن أبقى في صحبته لحين رجوع الأول الى طهران، ولن أنسى أيام صحبتي مع ميرزا أحمد لأني وجدته مثال المحبة والإخلاص. وقد نقشت محبته على صفحات قلبي الى الأبد من تأثيراته التي نفثها في روعي والتي ساعدت على تثبيتي في يقيني. وبواسطته تعرفت بتلاميذ حضرة الباب، وكنت أعاشرهم وحصلت منهم على معلومات تامة خاصة بالتعاليم الأمرية. وكان الميرزا أحمد يعيش من الكتابة، في كل مساء يشتغل في نسخ البيان الفارسي وغيره من كتب حضرة الباب ويهديها لأصحابه. وكنت كثيرا ما أحمل مثل هذه

الهدايا الى زوجة الملا مهدي كندي الذي ترك طفله الرضيع وأسرع للانضمام الى سكان قلعة طبرسي.

وفي تلك الأيام علمت أن الطاهرة بعد انفضاض الجمع في بدشت، قطنت في جهة نور ثم وصلت الى طهران وحبست في منزل محمود خان كلانتر، ومع أنها كانت مسجونة وأسيرة الا أنها كانت تعامل بالاحترام والاعتبار.

وذات مرة أوصلني الميرزا أحمد الى منزل حضرة بهاءالله، وكانت حضرة الورقة العليا زوجته والدة الغصن الأعظم[15] قد أبرأت عيني بدهن أعدته بنفسها وأرسلته لميرزا أحمد، وكان أبنها المحبوب أول شخص قابلته في المنزل وعمره إذ ذاك ست سنوات، وتبسم مرحبا بي وهو واقف على باب الغرفة التي يقطنها حضرة بهاءالله، فمررت بجانبه ودخلت الغرفة المجاورة وكان فيها ميرزا يحيى، الذي حينما قابلته وجها لوجه دهشت إذ لاحظت هيئته وعلمت من محادثته أنه غير جدير بالمركز الذي يسند إليه.

وفي فرصة أخرى إذ كنت أروم دخول غرفة الميرزا يحيى، اقترب مني أقاي كليم الذي سبق لي لقاؤه قبل ذلك، وطلب مني أن أرشد "الآقا"[16] الى مدرسة ميرزا صالح، لأن اسفنديار خادمهم توجه الى السوق ولم يعد، وطلب مني أن أنوب عنه في هذه المأمورية. فقبلت ذلك بكل سرور، ولما تهيأت للذهاب، رأيت "الغصن الأعظم" وهو شاب ذو جمال فائق يلبس الكلاه والجبة الهزاري يخرج من الغرفة التي كان والده فيها وينزل على السلم الموصل الى باب المنزل. فتقدمت ومددت إليه يدي لحمله، فقال لي (نمشي سويا) وأخذ يدي

وخرجنا من المنزل. وكنا نتحادث أثناء السير الى جهة المدرسة التي كانت تعرف إذ ذاك باسم "پامنار". ولما وصلنا الى فصله، التفت إليها وقال (احضر عصراً وخذني للمنزل، لأن اسفنديار لا يتمكن من الحضور، لأن والدي يريده). فقبلت ذلك بفرح ورجعت تواً الى منزل حضرة بهاءالله. وهناك قابلت ميرزا يحيى الذي أعطاني خطابا وسألني أن آخذه لمدرسة الصدر وأسلمه لحضرة بهاءالله الذي يقطن في غرفة الملا باقر البسطامي وطلب مني أن أحضر له الرد حالا. فأتممت المأمورية وعدت الى المدرسة في الوقت المحدد لإحضار الغصن الأعظم الى منزله.

وذات يوم، طلب إليها الميرزا أحمد أن أقابل حاجي ميرزا سيد علي، خال حضرة الباب الذي رجع حديثا من جهريق، وكان يمكث في منزل محمد بك الجبارجي بالقرب من باب شمران، وبمجرد أن رأيته سحرني كمال هيئته وصفاء وجهه. وفي زيارتي له فيما بعد ازددت إعجابا بلطف طبعه وشدة تقواه وحسن أخلاقه. وأتذكر جيداً كيف ان أقا كليم ذات مرة ألح عليه في مجلس أن يترك طهران التي كانت إذ ذاك في غليان شديد وأن يهرب من جوّها الموبوء، فأجاب بكل هدوء (ولماذا أهرب أو أخاف على نفسي فلعل نصيبي أن أشترك في المأدبة التي بسطتها يد القدرة للمخلصين). وكان محركوا الفتن والقلاقل قد سعوا جهدهم في إثارة الاضطرابات في تلك المدينة، وكان سببها عمل أحد أسياد كاشان، وكان قاطنا في مدرسة دار الشفا، وكان السيد محمد المشهور قد ظنّه أهلا لأن يوصل إليه الرسالة ويبلّغه أمر حضرة الباب. وكان الميرزا محمد حسين الكرماني يقطن في نفس المدرسة، وكان عالما في المسائل الفلسفية

والباطنية في الإسلام، وكثيرا ما اجتهد في أن يقنع السيد محمد الذي هو أحد تلاميذه في أن يقطع علاقاته مع ذلك السيد الذي اعتقد أنه غير أهل للثقة، بمنعه عن الحضور في مجمع الأحباء، ولكن السيد محمد لم يشأ أن يستمع الى هذا التحذير واستمر في صحبته معه الى ابتداء شهر ربيع الثاني سنة 1266هـ[17] وفيها ذهب ذلك السيد الخائن الى سيّد حسين أحد علماء كاشان وسلّمه في يده أسماء وعناوين نحو خمسين من الأحباء القاطنين في طهران، وهذه القائمة سلمها السيد حسين الى محمود خان كلانتر الذي أمر بالقبض عليهم جميعا. فقبض على أربعة عشر منهم وأحضروا أمام أرباب السلطة.

وتصادف يوم القبض عليهم اني كنت مع أخي وعمي الذي حضر من زرند ونزل في خان خارج باب نوّ، وفي ثاني يوم انتقلت الى زرند وعدت الى مدرسة دار الشفا. ووجدت في غرفتي ربطة أوراق وعليها خطاب باسمي من ميرزا أحمد. وفهمت منه أن ذلك السيد الخائن قد وشى بنا وأثار ضجة في العاصمة. وكتب ميرزا أحمد قائلا (أن الربطة التي تركتها في هذه الغرفة تحوي جميع الكتابات المقدسة التي أمتلكها، فإذا وصلت الى هذا المكان فخذها الى خان الحاجي ناد علي، فتجد في إحدى غرفها شخصا بهذا الاسم من أهالي قزوين فسلمها إليه ومعها الخطاب المرفق بها، ثم تقوم مباشرة الى مسجد الشاه وهناك يمكنني مقابلتك). واتباعا لأمره سلمت الربطة الى الحاجي، ووصلت المسجد وهناك قابلت الميرزا أحمد، وسمعته يحكي كيف هوجم والتجأ الى المسجد، وكان آمنا في حرمه من كل هجوم آخر.

وفي تلك الأثناء أرسل حضرة بهاءالله من مدرسة الصدر رسالة الى ميرزا أحمد يعلمه فيها بتدبير الأمير نظام الذي طلب إلقاء القبض عليه من إمام الجمعة ثلاث مرات. وكذلك أعلمه أن الأمير إذ تجاهل حرم المسجد عزم على إلقاء القبض على كل الملتجئين فيه وحرض ميرزا أحمد أن يتركه متخفياً ويذهب الى قمّ، وطلب منه أيضا أن يأمرني بالرجوع الى منزلي في زرند.

وفي تلك الأثناء ألحّ عليّ أقربائي الذين عرفوني في مسجد الشاه بالرجوع الى زرند، وقالوا ان أبي قد بلغه كذبا أمر القبض عليّ وأصبح في حزن شديد، وأن واجبي هو الإسراع إليه وتخليصه من آلامه. وعملا بنصيحة الميرزا أحمد الذي عرّفني بانتهاز هذه الفرصة التي أرسلتها إليها يد القدرة، سافرت الى زرند واحتفلت بعيد النوروز مع أسرتي، وكان هذا العيد قد طابق اليوم الخامس من جمادي الأول سنة 1266 هجرية[18] وهو يوم عيد دعوة حضرة الباب. وذكر حضرة الباب هذا العيد في كتاب (بنج شان) أحد كتبه. وكتب فيه (ان النوروز السادس بعد إعلان الدعوة من نقطة البيان[19] طابق اليوم الخامس من جمادي الأول في السنة القمرية السابعة بعد ذلك الإعلان) وفي نفس العبارة أشار حضرة الباب الى أن نوروز تلك السنة هو آخر نوروز يشهده على الأرض.

وفي وسط الاحتفالات التي أقيمت في زرند، كان قلبي متوجها الى طهران وحامت أفكاري حول النصيب الذي ناله أصحابي في تلك المدينة المضطربة. وكنت أشتاق أن أسمع عن سلامتهم. ومع إني كنت في منزل والدي ومحاطا بعناية آبائي، الا إني شعرت بتعب فكري لأني انفصلت من الجماعة الصغيرة التي أعلم متاعبها والمخاطر التي يتعرضون إليها والتي كنت

أود أن أشاركهم فيها. وفجأة حضر صادق التبريزي من طهران ونزل في منزل والدي، فقطع بحضوره حبسي المخيف هناك، ومع أنه خلّصني من آلام الانتظار التي كانت تثقل على قلبي لعدم وقوفي على مصير إخواني، فان أخبار الفاجعة والقسوة الوحشية التي عوملوا بها قد فطرت قلبي حزنا، ورأيت أن آلام الانتظار كانت كالعدم بالنسبة الى ما انتابني من روعة الأسى عند سماعها.

وسأسرد الآن ظروف استشهاد أقراني المقبوض عليهم في طهران، فان الأربعة عشر تلميذا من تلامذة حضرة الباب الذين قبض عليهم، استمروا محبوسين في منزل محمود خان كلانتر من اليوم الأول الى اليوم الثاني والعشرين من شهر ربيع الثاني[20] وكانت الطاهرة أيضا محبوسة في الدور الأعلى من نفس المنزل. وكان مضطهدوهم يطلبون منهم الاعتراف الذي يرغبونه، وعملوا كل حيلة لتنفيذ مطلوبهم، ولكنهم لم ينجحوا. وكان بين الأسرى من يدعى محمد حسين مراغي الذي امتنع أن يتفوه بأي كلمة رغم التشديد عليه. فعذبوه وعملوا جهدهم أن يحصلوا على أي اعتراف منه لخدمة مآربهم، ولكن سعيهم خاب في النهاية. ولم يفلح إصرار المضطهدين، واستمر على الصمت حتى أنهم ظنوه أخرس. وسألوا الحاجي ملا إسماعيل الذي بلغه الأمر عن خرسه. فقال لهم أنه صامت وليس أخرس وهو ينطق بلا عائق، وما كاد يناديه باسمه حتى أجابه وأكد له أنه لا يخالف له أمراً.

ولما تأكدوا من عجزهم عن ردهم عن إيمانهم، وكلّوا الأمر الى محمود خان الذي وكّل الموضوع الى أمير نظام ميرزا تقي خان[21] رئيس وزراء ناصر

الدين شاه، وكان الملك في تلك الأيام لا يتداخل في أمور الدولة الخاصة بالفئة المعذبة ولا يعلم بالأحكام الصادرة على أفرادها. وكان لرئيس الوزراء سلطة تامة لينفذ فيهم ما شاء، ولا يقدر أحد أن يراجعه في أحكامه أو يعترض على طريقة حكمه وسلطته. فأصدر أمره مهددا الأربعة عشر مسجونا بإعدامهم إذا لم يرجعوا عن معتقدهم.

ورضخ سبعة منهم للتهديد الذي أنزل بهم وأفرج عنهم حالا، واستشهد الباقون وهم شهداء طهران السبعة.

(فأولهم) الحاجي ميرزا سيد علي، والملقب بـ "الخال الأعظم"، وهو خال حضرة الباب وأحد مشاهير التجار في شيراز وهو نفس الخال الذي كفل حضرة الباب بتعهد كتابي عند عودته من الحج للحجاز والقبض عليه بمعرفة حسين خان، وهو الذي كان يعتني به اعتناءً تاماً بعد وفاة والده ومنذ كان في وصايته، وخدمه بإخلاص، وكان الوسيط بينه وبين جموع الأتباع الذين جاءوا لشيراز لرؤيته. وتوفي نجله الوحيد السيد جواد وهو صغير. وفي أواسط سنة 1265 هجرية[22] كان الحاج ميرزا سيد علي، قد ترك شيراز وزار حضرة الباب في قلعة جهريق. ومنها توجه رأسا الى طهران وبقي هناك غير مشتغل بعمل لغاية ظهور تلك الخيانة التي أدت أخيرا الى استشهاده.

ومع أن أصحابه طلبوا منه أن يهرب من الاضطراب القادم، فانه امتنع أن يصغي الى نصحهم وثبت أيام الاضطهاد بإنابة تامة وسكون الى آخر ساعة من حياته، وقدّم له الكثير من التجار ذوي الثروة من معارفه مبلغا كفداء لخلاصه، ولكنه رفض قبوله. وأخيرا أحضروه أمام الأمير نظام، فقال له ذلك

الوزير الكبير (ان قاضي قضاة هذه البلدة يكره أن يوقع أقل ضرر على سلالة الرسول. ومشاهير التجار في طهران وشيراز يريدون بل يودون من صميم فؤادهم أن يدفعوا لك فداء. وتداخل كبير التجار وتوسط لأجلك. وتكفي كلمة منك بالارتداد لأن تجعلك حراً طليقا وترجع الى مدينتك محفوفا بالإجلال. وإذا قبلت فإني أطلب إليك أن تصرف باقي أيام حياتك بالشرف والفخر في ظل مليكك).

فأجاب الحاجي سيد علي بكل جسارة (يا صاحب السعادة، إذا كان غيري ممن شرب كأس الشهادة قبلي بفرح قد رفض قبول مثل هذا العرض، فأعلم بأني لست بأقل منهم رغبة في رفضه، لأني إذا ارتددت عن الحق الصريح في هذا الدين، لكان ذلك بمثابة الارتداد عن جميع الأديان التي سبقته، وإنكاري لرسالة السيد الباب هو بعينه جحود لإيمان آبائي وإنكار لرسالة محمد الدينية ورسالة عيسى وموسى وجميع الأنبياء السابقين، والله يعلم ان كل ما علمته وسمعته وقرأته من أقوال وأعمال الرسل السابقين، كان لي الشرف بأن أشاهده بنفسي من ذلك الشاب المحبوب – الذي هو من ذوي قرابتي – منذ حداثته لغاية بلوغه سن الثلاثين من عمره. وتذكّرني صفاته بجده العظيم وبأئمة الدين الذين تدونت تواريخ حياتهم عندنا في الأحاديث المكتوبة، ولا أطلب منك الا أن أكون أول من يضع حياته فداء في سبيل قريبي المحبوب).

وذهل الأمير من هذا الجواب وحصل له يأس، وبدون أن يتكلم كلمة، أشار بأن يؤخذ ويقتل. وإذ أخذوا فريستهم للقتل، سمع وهو يتلو كلمات حافظ (لك الشكر يا الهي على ما أعطيتني بجودك ما طلبت منك) ونادى الجمهور

الذين هجموا حوله قائلا (اسمعوا مني أيها الناس اني قد أسلمت نفسي كفداء في سبيل أمر الله. وان جميع أهالي فارس والعراق فيما وراء حدود إيران، يشهدون باستقامتي وتقواي وشرف أرومتي وانتسابي للرسول. ولمدة ألف سنة دعوتم وكررتم الدعاء أن يظهر القائم الموعود. وعند ذكر اسمه تصيحون من أعماق قلوبكم وتقولون "عجّل اللّهم فرجه وأزل كل عائق في سبيل ظهوره". والآن إذ أتى الموعود أبعدتموه في المنفى بلا معين في أقصى وأبعد ركن من أركان آذربايجان محبوسا، وقمتم على قتل ومحو أصحابه. وإني إذا دعوت الله عليكم لأجاب دعوتي وبغضبه ينتقم منكم ويوقع بكم العذاب، ولكني لا أفضل ذلك بل الى آخر نفس من حياتي أدعوه أن يمحو وصمة جريمتكم ويرشدكم أن تنتبهوا من رقاد غفلتكم[23]).

وقد مسّت هذه الكلمات أعماق قلب الجلاد، حتى انه ادّعى أن السيف الذي في يده يحتاج الى الشحذ، وهرب وعزم على ان لا يعود ثانيا. وكان يُسمع منه وهو يشكو ويبكي مُرّ البكاء ويقول (اني عندما تعينت لهذه المهمة، كنت أظن أنهم لا يسلمون لي للقتل سوى مجرم قاتل أو قاطع طريق. والآن يأمرونني بسفك دم رجل لا يقل قداسة عن الإمام موسى الكاظم نفسه[24]). وسافر بعد ذلك بقليل الى خراسان وهناك اشتغل بصفة شيال. وكان يقص رواية هذه الحادثة المحزنة للأحباء في ذلك الإقليم ويظهر ندمه على العمل الذي اضطر على إجرائه، وكلما تذكر هذه الحادثة أو جاء ذكر الحاجي ميرزا سيّد علي، كانت دموعه تجري من عينيه كشاهد للمحبة التي أوقدها هذا الرجل المقدس في قلبه.

(وثانيهم) ميرزا قربان علي، من أهالي بارفروش من إقليم مازندران، وشخصيته بارزة في قبيلة النعمت اللهية. وكان ذا تقوى صادقة ونبالة أصيلة. وكانت طهارة حياته على شأن ان عددا كبيرا من بين أعيان مازندران وخراسان اعترفوا له وأذعنوا له بالطاعة واعتبروه عنوان الفضيلة. وكان اعتباره بين أهل وطنه عظيما لدرجة انه لما عزم على الحج الى كربلاء احتشد الناس من المخلصين له والمعجبين به على جانبي الطريق ليؤدوا له التحية اللازمة. وفي همدان كما في كرمنشاه أعجب عدد كبير من الأهالي من شخصيته وانضموا الى جماعة أتباعه. وأينما حل كان الناس يحيّونه بالتهليل وكانت مظاهرات الحماس العامة غير مرغوبة عنده فكان يتحاشى الزحام ويتجنب أبهة الرئاسة واحتفالاتها. وفي طريقه الى كربلاء بينما كان يمر وسط "مندليج" انجذب إليه شيخ ذو اعتبار عظيم لدرجة انه ترك ميوله السابقة وترك أصحابه وتبعه لغاية اليعقوبية. ولكن الميرزا قربان علي اجتهد في أن يقنعه بالرجوع الى مندليج وان يعود الى العمل الذي تركه، وقابل ميرزا قربان علي عند عودته من الحج، الملا حسين بشروئي[25]، واعتنق الأمر بواسطته. ولمرضه لم يتمكن من الانضمام الى المدافعين في قلعة طبرسي ولولا عدم تمكنه من السفر لمازندران لأسرع في الانضمام إليهم. وتعلق من بين أحباب حضرة الباب بالوحيد بعد الملا حسين. وأثناء زيارتي لطهران سمعت انه خصص حياته لخدمة الأمر وقام بمنتهى الإخلاص لنشره في جميع الجهات. وكان يشكو من مرضه وهو في العاصمة، وسمعته مراراً يقول (كم تأسفت على حرماني من نصيبي في الكأس التي شربها

الملا حسين وأصحابه. وكم اشتقت للانضمام الى الوحيد والى الدخول تحت رايته، والآن اجتهد أن أصلح سابق تقصيري).

وبينما كان يريد مبارحة طهران قبض عليه فجأة. وكان لباسه البسيط يدل على مقدار زهده، فكان يلبس قفطانا أبيض كهيئة العرب وفوقه عباء من الصوف الخشن وفوق رأسه لباس أهل العراق، ويظهر إذ يمشي في الأسواق كأنه عنوان الانقطاع ويحافظ على التمسك بفرائض الدين بتقوى زائدة. وكان يقول (ان حضرة الباب نفسه يلاحظ ويعمل فرائض دينه بكل دقة، فكيف أهمل الأمور التي يقوم رئيسي بعملها). ولما قبض على "ميرزا قربان علي" وأحضر أمام الأمير نظام، قامت ضجة كبيرة في طهران لم تر المدينة مثلها، وازدحمت الجماهير بالقرب من مقر الحكومة الرئيسي لمشاهدة ما يقع عليه. وقال له الأمير (منذ الليلة الماضية يجتمع بي ضباط الحكومة للتوسط في مسألتك[26] ومما علمته ان المقام الذي تشغله أنت ليس أقل بكثير من مقام السيد الباب نفسه، وكذلك تأثير كلماتك. فإذا ادعيت لنفسك مقام الرئاسة لكان أحسن لك من ان تصرح بتبعيتك لمن هو أقل منك علما). فأجابه بكل جسارة (إن العلم الذي تحصلت عليه هو الذي جعلني أنحني طاعة أمام من عرفت انه ربي ومولاي. ومنذ أن بلغت سن الرجال كان العدل والإنصاف رائد حياتي، وقد حكمت بالإنصاف في أمره ووصلت الى النتيجة الآتية، وهي انه إذا كان أمر هذا الشاب الذي يشهد بتأثيره الأعداء قبل الأحباء باطلا، فان كل نبي من الأول الذي لا أول له الى هذا اليوم يكون عنوان الباطل أيضا. وان لي زهاء ألف من الاتباع جميعهم يخلصون لي إخلاصا لا شك فيه، وإني عاجز أن

أغير قلب واحد فيهم، ولكن هذا الشاب أثبت انه قادر على تغيير أرواح أتباعه بإكسير محبته. وله تأثير على ألوف مثلي ممن لم يروه ولم يحضوا بلقائه، وهو وحيد لا معين له، وجميعهم تركوا أهواءهم وتعلقوا به وأطاعوه، وهم عالمون تماما بعدم كفاية ما قاموا به من جلائل الأعمال. ويحبون ان يضحوا حياتهم لأجله أملا في ان تكون شهادة على إخلاصهم، ومستحقة لأن تذكر أمام ساحة عظمته).

فقال الأمير نظام (إني متردد في الحكم بالإعدام على صاحب مثل هذا المقام الرفيع سواء كان كلامه من الله أم لا). فأجابه الأسير بحرقة (ولماذا تتردد؟ ألا تعلم ان الأسماء تنزل من السماء ومن كان اسمه عليّ[27] وهو الذي أضع حياتي في سبيله من أزل الآزال سمّاني "قربان علي" ضمن لوح الشهداء المنتخبين، فهذا هو اليوم الذي احتفل فيه بالقربان وفيه أطبع إيماني بأمره بدم حياتي. فلا تتوان إذا في أمري وتأكد اني لا ألومك، فكلما أسرعت في قطع رأسي كلما ازددت لك ممنونية) فصاح الأمير (خذوه بعيدا عني، فإذا مرت لحظة أخرى فان هذا الدرويش يؤثر عليّ بسحره) فأجاب قربان علي (إنك محجوب ممنوع من نفوذ السحر الذي لا يؤثر الا على أطهار القلوب. أما أنت وأمثالك فلا يمكن ان يفهموا القوة السحرية للإكسير الإلهي الذي في أقل من لمح البصر يقلب قلوب الرجال). فاهتز الأمير نظام غضبا من الجواب وقال (لا شيء يسكت هؤلاء الا السيف) والتفت الى الجلادين الذين حوله وقال (لا داعي أن تحضروا أمامي أحدا من هذه الطائفة الممقوتة، فان الكلام يعجز عن

إقناعهم في عنادهم المتواصل. وكل من تمكنتم من إقناعه ان يعدل عن دينه، أطلقوا سراحه وإلا فاقطعوا عنقه).

ولما اقترب قربان علي من مكان استشهاده وهو ثمل من نشوة الأمل بالاجتماع القريب بمحبوبه، صاح بنبرات الفرح والسرور، وقال بفرح لا مزيد عليه (اسرعوا بذبحي لأنكم بذلك تقدمون لي كأس الحياة الأبدية. ولو إنكم الآن تطفئون هذا النفس الضئيل فان محبوبي سيكافئني بآلاف عديدة من حياة غيرها مما لا يقدر أحد على تصورها) والتفت الى الجمهور الملتفين حوله وقال:- (استمعوا لكلماتي أنتم الذين تدّعون انكم أتباع رسول الله فان محمدا شمس الهداية الذي قام في سابق العصر في أفق الحجاز قد قام ثانية اليوم في شخص علي محمد من أفق ربيع شيراز ومنه أشرقت نفس الأنوار وأضاء بذات الضياء والوردة هي وردة في أي حديقة أزهرت وفي أي وقت ظهرت وتفتحت). ولما رأى الجموع حوله صماً بكماً تلقاء ندائه، صاح بأعلا صوته (أيها الجيل الفاسق، ما أغفلكم عن رائحة ذلك الورد التي انتشرت ولو أن روحي قد امتلأت منها بالفرح والسرور، ألا اني لا أجد وللأسف قلباً يشاركني في الابتهاج بها ولا عقلا يدرك مجدها). وإذ رأى جثة الحاجي ميرزا سيد علي مقطوعة الرأس وتنزف الدم تحت أقدامه، أخذ هياجه وهو منفعل يرتفع الى أقصى حد، وصاح إذ رمى نفسه على الجثة وقال (حيّ على يوم لقائنا معاً بالفرح والسرور، حيّ على يوم اجتماعنا بالمحبوب) وقال للجلاد وهو يحتضن الجثة بين ذراعيه (اقترب وعجّل بضربتك لأن زميلي لا يريد أن يتركني من حضنه ويدعوني أن أعجل معه الى ساحة قرب المحبوب) فوقعت الضربة حالا على عنقه من

الجلاد، وبعد برهة فاضت روح هذا الرجل العظيم. وكانت تلك الضربة القاسية قد حركت في الحاضرين شعور الدهشة الممزوجة بالعطف، وعلت أصوات النحيب والبكاء من قلوب الجماهير، وزاد في الأنين والحنين الذي ذكّر الناس بأحزان يوم العاشوراء الذي ينتحب فيه الأهالي كل سنة[28].

(الثالث) ثم جاء دور الحاجي ملا إسماعيل القمي، الذي كان أحد سكان فاراهان، ففي صباه سافر الى كربلاء للبحث عن الحق الذي كان يجتهد في كشفه ويعاشر جميع علماء النجف وكربلاء وجلس تحت أقدام السيد كاظم وسمع منه العلوم التي مكنته من الاعتراف بأمر حضرة الباب في شيراز بعد بضع سنوات. وامتاز بقوة إيمانه وسمو أخلاقه. وبمجرد أن سمع أمر حضرة الباب بأن يسرع أحباؤه الى خراسان، أجاب بكل نشاط وانضم الى الأصحاب الذين اسرعوا الى بدشت وتسمى بسر الوجود. وبينما كان في جماعتهم زادت معرفته بالأمر وزادت عنده الرغبة في ترويجه. وأصبح عنوان الانقطاع وزاد شعوره يوما فيوما في الرغبة في إظهار الروح التي تجلت عليه بصورة فائقة. وكان يظهر براعة وفراسة لا يقدر على مثلها الا القليل في تفسير معاني الآيات القرآنية والأحاديث الإسلامية. وكانت الفصاحة التي يظهرها أثناء ذلك مما تستوجب إعجاب زملائه. وفي الأيام التي كانت فيها قلعة طبرسي تموج بجموع المؤمنين، كان راقدا على فراش المرض وغير قادر على إسداء المعونة في الدفاع معهم، وما كاد يشفى من مرضه حتى وجد ان الحصار التاريخي الشهير قد انتهى بقتل الاتباع، فقام بعزم لتدارك ما فاته من التضحية لهذا الأمر وساقه ذلك العزم أخيرا الى ميدان الشهادة ونال تاج فخرها.

وإذ سيق الى التنفيذ وانتظار اللحظة الأخيرة التفت الى زميليه اللذين تقدماه واللذين بقيا في حالة احتضان وصاح وهو يحدق بنظره الى رأسيهما المضرجتين بالدماء (نِعْم ما فعلتما أيها الأخوين الحبيبين، فإنكما قلبتما طهران الى جنة، فوا شوقي الى اللحاق بكما) ووضع يده في جيبه وأعطى الجلاد قطعة من النقود ورجاه أن يشتري له شيئا يحلي فمه، فتناول بعضها وأعطى الباقي للجلاد وقال (اني قد سامحتك لفعلتك فاقترب مني واضربني لأني منذ ثلاثين سنة كنت أتمنى وأحن الى ان أشاهد مثل هذا اليوم، وكنت أخشى أن أنزل القبر ولا تتحقق رغبتي) ثم صاح وهو رافع رأسه الى السماء (اقبلني يا الهي، ولو اني غير مستحق، وأكتب اسمي ضمن كتاب الأبرار الذين ضحوا حياتهم في مذبح الاستشهاد) وكان يتلو المناجاة حتى ضربه الجلاد كطلبه وقطعها عليه[29].

(الرابع) السيد حسين الترشيزي. وما كادت روح الملا إسماعيل القمي تفيض، حتى ساقوا السيد حسين الترشيزي المجتهد الى المذبح. كان من أهالي ترشيز قرية في خراسان وكان مشهورا بالتقوى واستقامة الخلق. وتلقى الدرس سنين عديدة في النجف وأرسله إخوانه المجتهدين الى خراسان لنشر التعاليم التي تلقاها. ولما وصل الى الكاظمين، قابل الحاجي محمد تقي الكرماني أحد معارفه القدماء ومن أكابر التجار في كرمان، وكان قد فتح فرعا لتجارته في خراسان. وعزم على صحبته إذ كان في طريقه الى إيران. وكان هذا الحاجي محمد تقي صاحبا للحاجي ميرزا سيد علي خال حضرة الباب، وبواسطته اعتنق الأمر سنة 1264هـ[30] بينما كان يستعد للذهاب من شيراز للزيارة الى كربلاء.

وإذ سمع بعزم الحاجي ميرزا سيد علي بالرحيل الى جهريق لأجل زيارة حضرة الباب، أظهر رغبة أكيدة في مرافقته. فنصحه الحاجي ميرزا سيد علي ان يواصل سعيه الأصلي ويسير الى كربلاء. وهناك ينتظر منه الخطاب ليعلمه فيه ان كان من الحكمة الحضور من عدمه. ومن جهريق صدر الأمر للحاجي ميرزا سيد علي ان يرحل الى طهران بأمل انه بعد المكث فيها برهة قصيرة، يتمكن من تجديد زيارة ابن أخته. وبينما كان في جهريق أظهر عدم ميله الى العودة لشيراز نظرا لصلف أهلها المتزايد الذي لا يقدر على تحمله. وبمجرد ان وصل الى طهران أمر الحاجي محمد تقي ان يلحقه. ورافقه السيد حسين من بغداد الى العاصمة وبواسطته اعتنق الأمر.

ولما واجه الجمهور المحتشد حوله ليروا استشهاده قال (اسمعوا إليها يا أتباع الإسلام، ان اسمي حسين، وأنا من نسل سيد الشهداء الذي كان سميّ، وجميع مجتهدي المدن المقدسة في النجف وكربلاء يشهدون بالإجماع اني حجة في التفسير وشرائع الدين. ولم أسمع باسم السيد الباب الا حديثاً، وكانت الدرجة السامية التي حصلت عليها في تفسير مشكلات التعاليم الإسلامية قد مكنتني ان أقدر الرسالة التي جاء بها السيد الباب. وإني مقتنع اني لو أنكرت الحق الذي جاء به، فاني بنفس العمل أكون قد رفضت الاعتراف بكل دين سبقه. وأريد من كل واحد منكم ان يطلب من علماء ومجتهدي هذه البلدة ان يعقدوا اجتماعا وأنا أتعهد أمامهم ان أثبت لهم حقيقة هذا الأمر. ثم بعد ذلك فليحكموا ان كنت قادرا على إثبات صحة دعوى الباب أم لا. وإذا اقتنعوا بالحجج والبراهين التي أدلي لهم بها، فليمتنعوا عن سفك دم الأبرياء. وإذا

عجزت عن ذلك فليوقعوا عليّ من العقاب ما يشاؤون). وما كاد يتم هذه الأقوال حتى تداخل الضابط المعين من قبل الأمير نظام وقال متكبرا (اني أحمل معي حكم الإعدام عليك وهو ممضي من سبعة من كبار المجتهدين في طهران وقرروا فيه بخطوطهم بأنك كافر. وإذا سئلنا عن دمك أمام الله يوم القيامة، فإنا نضع المسئولية على أكتاف هؤلاء الرؤساء الذين وثقنا فيهم وطلبنا منهم الحكم والذين نضطر لإجراء حكمهم) وبهذه الكلمات استل خنجره وطعنه بقوة فوقع ميتاً تحت قدمه.

(الخامس) وبعده اقتيد الحاج محمد تقي الكرماني الى مكان التنفيذ. فراعه فظاعة المنظر الذي كان أمامه وصاح بفزع عظيم وهو ينظر الى الجلاد (تقدم أيها السفاح الطاغي السافل وأسرع في ذبحي لأني ليس لي صبر على ان لا أنضم الى الحسين المحبوب. فان الحياة بعده عذاب لا أقدر أن أتحمله).

(السادس) السيد مرتضى الزنجاني. وما كاد الحاج محمد تقي يتلفظ بذلك، حتى أسرع السيد مرتضى الذي كان أحد مشاهير التجار في زنجان ليحوز قصب السبق في ميدان الاستشهاد، وارتمى على الحاجي محمد تقي وقرر انه سيد من الأشراف، وان قتله (السيد مرتضى) يكون في نظر الله أوفق من قتل الحاجي محمد تقي. وبينما الجلاد يستل سيفه، إذ تذكر السيد مرتضى أخاه الشهيد الذي دافع جنبا لجنب مع الملا حسين. وهكذا كانت إشارته إليه حتى ان المجتمعين والمشاهدين أعجبوا بقوة إيمانه التي لا تقهر.

(السابع) محمد حسين المراغي. وفي وسط هذه الضجة التي أثارتها أقوال السيد مرتضى، هجم محمد حسين المراغي، ورجا ان يكون هو شهيدا قبل

زملائه. وما كادت عينه تقع على جسد إسماعيل القمي الذي كان يحبه محبة فائقة، حتى ارتمى عليه بدون تمهل واحتضنه قائلا (لا أسمح أبداً ان أفترق عن محبوبي العزيز الذي وضعت فيه كل ثقتي والذي طالما أغدقني بشواهد عديدة دلالة على حبه العميق وصداقته). وكان شوق الجميع في التسابق الى ميدان الشهادة قد أدهش الجماهير الحاضرة وكانوا يتعجبون ويتساءلون من ستكون له الحظوة من الثلاثة في الشهادة قبل غيره. فكانوا جميعا يطلبون ذلك حتى انهم قتلوا دفعة واحدة وفي لحظة واحدة.

ولم تشهد عين الا نادراً مثل هذه القسوة الجامحة في معاملة أهل هذا الدين العظيم. ومع ان الشهداء كانوا قليلين، الا ان حوادث استشهادهم تجبرنا على الاعتراف بالقوة القاهرة التي أوجبت مثل هذه التضحية النادرة، فإذا تذكرنا المقام الرفيع الذي كان هؤلاء الشهداء يتمتعون به، ولاحظنا درجة انقطاعهم وقوة إيمانهم والجهد الذي بذله أصحاب المقامات الرئيسية والمتسلطة لافلاتهم من الخطر الذي يهدد حياتهم، وفوق ذلك إذا تصورنا تلك الروح العالية التي ازدرت بالفظائع الصادرة من أعداء لا قلب لهم ينحطون لتوقيعها عليهم، فاننا نرى في هذه الحوادث أعظم مأساة في تاريخ هذا الأمر[31].

وفي هذه المرحلة من تاريخي، كان لي الشرف أن أقدم لحضرة بهاءالله بعض قطع مما راجعت وأتممت. فكم كانت مكافأتي لأتعابي من ذلكم الذي كنت دائما أتطلع لرضاه والذي أتعبت نفسي له. فبكل لطف طلبني للقائه وأولاني بركاته، وكنت في منزلي في مدينة السجن في عكاء، قد قطنت في جوار منزل أقاي كليم حينما طلبني المحبوب. وكان ذلك يوم السابع من شهر

ربيع الثاني سنة 1306 هجرية[32] وهو ما لا أنساه أبدا، وأذكر هنا خلاصة كلماته لي في تلك الفرصة الفريدة قال:-

في لوح أنزلناه البارحة فسّرنا المعنى من (غضوا أبصاركم)[33] أثناء إشارتنا للأحوال الحاصلة في بدشت. وقد كنا نحتفل في جملة الأصحاب من الأعيان والعظماء بعرس أحد البرنسات من العائلة المالكة في طهران، إذ ظهر فجأة على باب المنزل السيد أحمد يزدي والد سيد حسين كاتب وحي الباب، وأشار الينا مظهراً انه يحمل رسالة مهمة يريد تبليغها حالا. وكنا غير قادرين مع ذلك على ترك الاحتفال في تلك اللحظة وأخبرناه بالانتظار. ولما انتهى الجمع أخبرنا ان الطاهرة قد حبست في قزوين وان حياتها أصبحت في خطر عظيم. فنادينا محمد هادي فرهادي تواً وأعطيناه التعليمات الخاصة بانقاذها من حبسها وحراستها لغاية العاصمة. ولما استولى الأعداء على منزلنا، لم نقدر على ضيافتها عندنا في مسكننا. فبناء على ذلك عملنا ترتيبنا لنقلها من منزلنا الى منزل وزير الحربية[34] الذي غضب عليه مليكه ونفاه الى كاشان. وطلبنا من أخته التي كانت من ضمن أحبائنا أن تعتني بالطاهرة وتكون مضيفتها. وبقيت في صحبتها الى ان جاء أمر الباب لنا بالرحيل الى خراسان، فرأينا أن تقوم الطاهرة حالا بالرحيل الى ذلك الإقليم وأمرنا ميرزا (أقا كليم[35]) ان يوصلها الى محل خارج باب المدينة ومنه الى أي جهة يراها مناسبة لها في الأماكن المجاورة. فأخذت الى حديقة وفيها منزل مهجور وبستاني عجوز حارس له، ورجع ميرزا موسى وأخبرنا بانتقالها الى المحل الذي تهيأ لها ومدح المناظر المحيطة به، وعملنا بعد ذلك على ترحيلها الى خراسان ووعدنا باللحاق

بها في ظرف بضعة أيام ولم تمض مدة حتى لحقنا بها في (بدشت) وفيها أجّرنا لها بستانا خاصا. وعيّنا نفس محمد هادي فرهادي الذي تمكن من تخليصها ليكون بصفة بواب لها، وكان معنا نحو سبعين من الاتباع سكنوا في محل قريب من تلك الحديقة.

ومرضنا ذات يوم ولازمنا الفراش. وكانت الطاهرة قد أرسلت طلبا لتحضر عندنا ودهشنا لطلبها وتحيرنا كيف نجاوبها. وفجأة وجدناها على الباب ووجهها مكشوف أمامنا، ونوّه عن هذه الحادثة ميرزا أقا جان[36] ببيان حسن، إذ قال (ان وجه فاطمة يجب ان ينكشف يوم القيامة وتظهر أمام أعين الناس سافرة، وفي تلك اللحظة ينادي منادي الغيب ويقول "غضوا أبصاركم عما رأيتم"). وقد أخذت الدهشة والاضطراب يتغلبان على جميع الأصحاب في ذلك اليوم، وامتلأ قلبهم من الخوف والوجل، ولما لم يتحمل البعض من الأصحاب ان يرى مثل هذه المخالفة الصريحة للعوائد الإسلامية المقررة، هربوا في انزعاج من أمام وجهها والتجئوا في ذهولهم الى قصر مهجور في جوار ذلك المكان، ومن الذين تزلزلوا من عملها وسلوكها وقاطعوها كلية السيد النهري[37] وأخوه ميرزا هادي. وأرسلنا لهما كلمة بأنه لم يكن من الضروري لهما هجر إخوانهما والالتجاء الى القصر. وتفرق أخيرا الأصحاب وتركونا تحت رحمة أعدائنا.

ولما ذهبنا فيما بعد لآمل، كان ضجيج الناس قد ارتفع لدرجة ان أربعة آلاف نفر اجتمعوا في المسجد وتزاحموا على سقف المنازل وقام علينا رئيس الملاوات في البلدة وقاومنا بشدة وصاح قائلا بلهجة المازندراني (انكم أفسدتم دين الإسلام وثلمتم صيته. ففي الليلة السابقة رأيتكم في الرؤيا دخلتم المسجد

الذي كان يموج بالجماهير المنتظرة والمجتمعة لمشاهدة وصولكم، وإذ أشتد الزحام حولكم، شاهدت القائم واقفا في ركن ووجهه في وجهكم وهيئته تدل على فرط التعجب. وإني أعتبر الرؤيا دليلا على انكم انحرفتم عن سبيل الحق). فأكدنا له ان علامة التعجب التي شاهدها على وجهه إنما تدل على عدم موافقته على معاملة أبناء بلدته لنا. فسألنا بعد ذلك عن رسالة الباب، فأخبرناه بأننا وان لم نقابله وجها لوجه، الا اننا نكنّ له المحبة العظيمة وأكدنا له اعتقادنا الجازم بأنه بأي حال لا يعمل على خلاف مقتضى دين الإسلام. ولكن الملا وأتباعه أبوا أن يصدقونا ورفضوا قبول شهادتنا واعتبروها تلفيقا. وبناء على ذلك حبسونا أخيرا ومنعوا أصحابنا من لقائنا، وكان حاكم آمل المنتدب قد نجح في إطلاق سراحنا من الحبس. وأمر أتباعه أن ينقبوا الحائط، ومنه تمكنا أن نترك الغرفة وأخذنا الى منزله. وما كاد الأهالي يعلمون بذلك حتى تجمهروا وحاصروا منزل الحاكم وقذفوا علينا الأحجار وصاحوا علينا بكل طعن قبيح.

وفي الوقت الذي أرسلنا فيه الملا هادي فرهادي الى قزوين لتخليص الطاهرة الى طهران، كتب الينا الشيخ أبو تراب يقول:- بأن مثل هذا العمل محفوف بأعظم الأخطار وربما يسبب هياجا غير منتظر، ولكنا لم نرجع عن عزمنا. وكان ذلك الشيخ رقيق القلب وبسيطا ومتواضع الخلق ذا سيرة شريفة. وتنقصه الشجاعة والحزم وأظهر ضعفاً في مواطن كثيرة).

ولنذكر الآن كلمة ختامية لفصول هذه المأساة التي شوهدت فيها شهامة الشهداء السبعة في طهران. فان جثثهم تركت في "سبز ميدان" المجاور للقصر الملكي لمدة ثلاثة أيام وثلاث ليال، معرضة لجميع الفظائع التي أوقعها عليهم

عدوّ طاغي وآلاف من الشيعة المتحمسين تجتمع حول الجثث، يركلونها بأرجلهم ويبصقون على وجوهها. وكان الجمهور يرجمها ويلعنها ويسخر منها ويلقي عليها المتفرجون الأقذار ويمثل بها بأقصى أنواع التمثيل. ولم يرتفع أي صوت للاحتجاج، ولم تمتد أي يد لمنع الظالمين المتوحشين. وبعد ان شفوا غليلهم دفنوهم خارج باب العاصمة في محل يقع خارج حدود الجبانة العمومية الملاصقة للخندق بين أبواب نو وشاه عبد العظيم، ووضعوا جميعا في قبر واحد وبقوا متحدين في أجسادهم كما كانوا متحدين في الروح أيام حياتهم الدنيوية[38].

وقد زادت أخبار شهادتهم في آلام حضرة الباب الذي كان غارقا في حزنه على نصيب أبطال طبرسي. ففي اللوح المفصل الذي نزل في حقهم والذي تشهد كل كلمة منه على المقام الرفيع الذي كان لهم في نظره، وأشار إليهم بأنهم الأغنام السبعة الذين يمشون أمام القائم الموعود في يوم القيامة، كما ورد في الأحاديث الإسلامية، فهم يمثلون بحياتهم أعلى درجة للبطولة وأشرف مقام للشهامة، ويثبتون بتضحية حياتهم رضاهم التام بأمره واستسلامهم لارادته. والمعنى في تقدمهم عن القائم كما فسّر حضرة الباب، انهم يستشهدون قبل القائم نفسه الذي هو راعيهم. فوقع فعلا ما تنبأ به حضرة الباب، لأن استشهاده وقع في تبريز بعد ذلك بأربعة أشهر. ووقعت حوادث نيريز التي انتهت بقتل وحيد في تلك السنة الشهيرة، التي وقع فيها استشهاد حضرة الباب واستشهاد سبعة من أصحابه في طهران. وفي نهاية السنة نفسها كانت زنجان مركز زوبعة اضطربت فيها جميع البلاد المجاورة، وهبت بقسوة زائدة خارجة

عن الوصف وانتهت بذبح عدد غفير من أخلص وأشجع أتباع حضرة الباب. واشتهرت هذه السنة بالشهامة الفذة التي ظهرت من هؤلاء المؤمنين الأبطال، فضلا عن الأحوال العجيبة التي شوهدت في حادثة استشهاد حضرة الباب. وبجملتها كوّنت أبهى صحائف تاريخية خالدة في تاريخ ذلك الدين الذي أحاطت به الدماء من كل الجهات. واسود وجه الأرض بالفظائع التي ارتكبها ذلك العدو الطاغي القاسي الذي لم يكن له من رادع. وكانت المملكة من خراسان على حدود إيران الغربية لغاية تبريز مكان استشهاد حضرة الباب، ومن المدن الشمالية في زنجان وطهران الى المدن الجنوبية التي امتدت لغاية نيريز في إقليم فارس، في اضطراب وظلام حالك مما ينبئ بطلوع أنوار الأمر الذي سيعلنه الحسين المنتظر، وهو أقوى وأبهى مما أعلنه حضرة الباب نفسه[39].

الحواشي

(1) 22 يونيو – 21 يوليو سنة 1849 ميلادية.

(2) 17 نوفمبر سنة 1849 ميلادية – 17 ديسمبر سنة 1849 ميلادية.

(3) هو اليوم العاشر من محرم، وهو يوم ذكرى استشهاد الإمام الحسين. الذي وقع في تلك السنة في 26 نوفمبر سنة 1849 ميلادية.

(4) وقال في كشف الغطاء (صحيفة 241) ان اسمه الكامل ميرزا علي سياح مراغي، وكان يشتغل خادما للباب في ماكو، وكان معدودا من كبار أصحابه وفيما بعد آمن بدعوة بهاءالله.

(5) 15 يناير سنة 1850 ميلادية.

(6) 23 يناير سنة 1850 ميلادية.

(7) ولقبه صبح أزل.

(8) أتباع صبح أزل.

(9) وكانت دعاوى هذا الشاب تنحصر في خطاب تعيين وجد في حيازة البروفسور براون وتعزز بخطاب توجد صورته باللغة الفرنسية مع المسيو نقولاس. وكان التزوير يلعب دورا مهما في الوثائق المكتوبة في الشرق، حتى اني أتردد في ان أعترف بصحة هذه الوثيقة. ويشك كثيرا في ان مثل هذه الوثيقة تقبل من أي جماعة من الأحباء الثابتين لأنه لا يمكنهم أن يتجاهلوا ما علموه شخصيا من قلة مواهب صبح أزل... ومن الجائز ان يكون الاتفاق قد تم على ان بهاءالله يكتف بالأعمال الخاصة ويستعمل مواهبه كمعلم، بينما صبح

أزل "وهو شاب مغرور" يشهر اسمه كرئيس ظاهر وخاصة بالنسبة للأجانب ولاعضاء الحكومة (الدكتور جين اتحاد الأقوام والأديان صحيفة 118–119).

(10) يقول بهاءالله:– أقسمك بالله الفرد الواحد المقتدر القدير أن تنظر في المكاتيب التي أرسلت باسمه للنقطة الأولى حتى تشاهد وتميز آثار الحق كالشمس في رابعة النهار. (لوح ابن الذئب صحيفة 125) انتهى مترجما.

(11) 1848 – 1849 ميلادية.

(12) 29 يوليو سنة 1831 ميلادية.

(13) 1847 ميلادية.

(14) 1851 – 1852 ميلادية.

(15) لقب عبد البهاء.

(16) لقب عبد البهاء ومعناه السيد.

(17) 14 فبراير – 15 مارس سنة 1850 ميلادية.

(18) 1850 ميلادية.

(19) أحد ألقاب حضرة الباب.

(20) 14 فبراير – 15 مارس سنة 1850 ميلادية.

(21) هو ابن قربان رئيس طباخين القائم مقام سلف الحاجي ميرزا أقاسي.

(22) 1848 – 1849 ميلادية.

(23) وخلع عمامته وتوجه بوجهه الى السماء صائحا: يا الهي أنت ترى وتشاهد كيف أنهم يذبحون ابن رسولك الكريم بدون ذنب جناه. ثم اتجه الى السياف وتلى قول المولوي: "الى كم أذبح من ألم الانفصال فاقطع رأسي حتى يعطيني الحب رأسا" من كتاب المثنوي "مقالة سائح حاشية ب صحيفة 174 انجليزية".

(24) الإمام السابع.

(25) وقال الحاج معين السلطنة في تاريخه (صحيفة 131) أن ميرزا قربان علي الدرويش قابل الباب في قرية خانلق.

(26) كان ميرزا قربان علي، من مشاهير الدراويش والمتصوفين، وله أصدقاء كثيرون وتلاميذ في طهران. كما كان معروفا لجميع الأعيان والكبراء حتى لوالدة الشاه. وبسبب صحبتها له والرحمة التي شعرت بها في مسألته، قالت لجلالة الملك (انه لم يكن بابيا ولكنهم اتهموه كذبا بذلك) فأرسلوا وأحضروه وقالوا له (انك درويش ومتعلم وانك لا تمت الى هذه الفئة الضالة بصلة وقد وصلتنا ادعاءات باطلة عليك) فأجاب (أنني أعد نفسي أحد أتباع وخدام حضرته القدسية، ولا أعرف ان كان قد قبلني بهذه الصفة من عدمه). ولما أرادوا إقناعه، وبعد وعده براتب مغرٍ. قال (ان حياة هذه القطرات من الدماء هي تافهة، ولو كانت الدنيا جميعها ملكي، فان تضحية رأسي لمحبوبي في نظري أمر بسيط، ولو كانت لي ألف حياة لفديتها تحت أقدام أحبائه. فاقفلوا فمكم ولا تتكلموا هذا الكلام وامتنعوا عن العذل لأن العذل لا يقبله المحبون). وأخيرا رجعوا عنه يائسين وأمروا بقتله. (التاريخ الجديد صحيفة 254).

(27) إشارة الى الباب.

(28) لما أحضر عند مقعد التنفيذ، وضع السيّاف سيفه وضربه على قفاه من الخلف، ولكن الضربة أمالت رأسه فقط وأوقعت عمامة الدرويش ودارت أمامه بضعة خطوات على الأرض. وفي آخر نسمة من حياته أثار شعور جميع الحاضرين بتلاوة الشعر الآتي (حقا انه لسعيد من أسكره الحب حتى لم يعلم ان كانت العمامة أم رأسه هي التي وقعت تحت أقدام المحبوب). (التاريخ الجديد صحيفة 254–255).

(29) والآن ابتدأوا في المذبحة وقطع الرؤوس. فلما جاء دور الحاجي ملا إسماعيل لاعدامه، جاءه رجل وقال له (ان بعض أصحابك يريد ان يفديك بمبلغ من المال على شرط توبتك ليوقفوا التنفيذ عليك. وإذا كان الأمر للضرورة ولإنقاذ حياتك، فما هو الضرر في انك تذكر باللسان فقط وتقول (لست بابياً) حتى يوجد أمامهم سببا لتركك. فأجابه (إذا كنت أريد الرجوع فلا يقدر أحد ان يمسني حتى مع عدم دفع أي نقود) ولما ألحوا عليه بشدة، قام وصاح وسط الجمع المحتشد حتى يسمعوا وقال (أيها النسيم احمل عني رسالة الى إسماعيل

الذي لم يذبح وقل له: الحب لا يسمح بالتراجع من طريق المحبوب). (التاريخ الجديد صحيفة 253-254).

(30) 1847-1848 ميلادية.

(31) وبعد ذكر الحوادث السابقة، أراد المؤرخ البابي ان يذكر أهمية شهادة الشهداء السبعة الفريدة في بابها. فانهم كانوا أشخاصا يمثلون طبقات مهمة في إيران، أي من العلماء والدراويش والتجار والبدالين وموظفي الحكومة، فكانوا رجالا محترمين ذوي مكانة عند العموم وماتوا بلا خوف ولا وجل بل بشوق زايد رافضين ان يشتروا هذه الحياة بمجرد الإنكار الشفوي تحت اسم الكتمان أو التقية التي يعترف بها الشيعة انها جائزة في أحوال الخطر. فلم يكونوا يائسين من أمل الرحمة كما كان الذين توفوا في الشيخ طبرسي وزنجان، وقد ختموا حياتهم بدمائهم في الميدان العام في عاصمة إيران التي هي مقر سفراء الدول الأجنبية المرسلين الى بلاط الشاه. وهنا صدق المؤرخ البابي، حتى الذين يعيبون البابية بانها اشتراكية تهدم كل نظام وآداب، يظهرون الرحمة والشفقة لهؤلاء الشهداء الذين لا ذنب لهم. ويمكننا ان نطبق قول جوبينو الفصيح وفكره الصائب على مأساة مماثلة حصلت بعد عامين قال: (وكانت هذه الحادثة قد جعلت للباب أنصارا لبثوا غير مكشوفين، وكانت الدعوة ذاتها تتمكن من ارشادهم. وقد كان ذلك من التأثير الشديد الذي أحدثه على الجمهور بسالة الشهداء وثباتهم. وكثيرا ما سمعت البعض يحكي حوادث ذلك اليوم، وكانوا شهود رؤيا ورجال من الحكومة والبعض في مراكز عالية. وبسماعها كان الاعتقاد السائد بين الجميع انهم كلهم بابيون حيث انهم كانوا يظهرون إعجابهم الشديد بتذكارهم الذي لم يظهر مثله في الإسلام. وكانوا يتكلمون بالثناء الكبير على معارف وموارد وآمال وسبل نجاح هذه الطائفة. (من مقالة سائح حاشية صحيفة 175-176).

(32) 11 ديسمبر سنة 1888 ميلادية.

(33) ورد في الأحاديث الإسلامية ان فاطمة بنت الرسول ستظهر وهي تمر على الصراط في يوم القيامة مكشوفة الوجه، وعند ظهورها ينادي مناد من السماء (غضوا أبصاركم أيها الملأ).

(34) ميرزا أقا خان النوري الذي خلف الأمير نظام رئيس الوزراء لناصر الدين شاه.

(35) أقا كليم أخ بهاءالله.

(36) كاتب وحي بهاءالله.

(37) ميرزا محمد علي النهري.

(38) ولما أتم السيافون عملهم الدموي ارتاع المتفرجون من شجاعة وصبر هؤلاء الشهداء، ثم بعد برهة سمحوا لأنفسهم بتعصبهم الوحشي أن ينزلوا على بقايا الضحايا اللعن والشتم رغما عن ان أرواح هؤلاء قد صعدت وعلت عن ان يلحقوها بأذى. فكانوا يرمون الأحجار والأقذار على الجثث الهامدة وهم يصيحون (هذا جزاء أهل العشق والذين يسيرون في طريق الحكمة والحق) ولم يقبلوا أن يدفنوا هذه الجثث، بل قذفوا بها في حفرة خارج بوابة شاه عبد العظيم ثم ردموها. (من مقالة سائح حاشية ب صحيفة 174–175).

(39) وبينما كانت هذه الحوادث تجري في شمال إيران، كانت الأقاليم الوسطى والأقاليم الجنوبية مضطربة من آثار تبليغ المبلغين للدين الجديد. وكان الناس على ما هم عليه من البساطة والجهل والسذاجة والطيش والوهم يقفون حائرين من سماع المعجزات المستمرة التي كانت تتلى عليهم. وزاد الملاوات المتحيرون في السب والشتم إذ رأوا اتباعهم ابتدأوا يميلون عنهم ويتركونهم. وأخذوا زيادة عن الشتم يروجون الأكاذيب الفظيعة عنهم. فانتشرت الأخبار السيئة في جميع أنحاء البلاد وبين الأهالي المتحيرين، وزادت الأراجيف عن توحشهم الدموي وذاعت هذه الأنباء بين عاملي الارتياع والإعجاب. (من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 387).

الفصل الثاني والعشرون

ملحمة نيريز

كان وحيد مشغولا في الأيام الأولى من حصار قلعة طبرسي في نشر التعاليم الأمرية في بروجرد وفي إقليم كردستان أيضا. وعزم ان يجذب أغلبية سكان تلك الجهات الى أمر حضرة الباب. ومن ثم يسافر الى فارس ويستمر في عمله. وبمجرد أن علم برحلة الملا حسين لمازندران أسرع الى العاصمة وأخذ في عمل الترتيبات اللازمة للسفر الى قلعة طبرسي. وبينما كان يستعد للرحيل، إذ وصل حضرة بهاءالله من مازندران وأخبره بعدم إمكانه الانضمام الى إخوانه. فأحزنته هذه الأخبار جدا، وكانت سلوته الوحيدة في تلك الأيام ان يكثر من زيارة حضرة بهاءالله ويحصل منه على نصائحه الثمينة الحكيمة[1].

وعزم وحيد أخيرا على ان يذهب الى قزوين ويستمر في العمل الذي كان مشغولا به، ثم سافر الى قم وكاشان، وفيها قابل تلاميذه وتمكن من شد أزرهم وتقوية عزائمهم. واستمر في رحلته الى اصفهان وأردستان وأردكان، وفي كل هذه المدن أعلن التعاليم الأساسية التي أتى بها معلمه بدون خوف ولا وجل،

ونجح في تبليغ عدد غفير من الأتباع القادرين. ووصل الى يزد في وقت الاحتفال بالنيروز مع إخوانه الذين أظهروا سرورهم من حضوره وتشجعوا بوجوده بينهم. وكان رجلا ذا شهرة واسعة ونفوذ ويملك منزلا في يزد تسكن فيه عائلته المكونة من زوجته وأولاده الأربعة، عدا منزل في داراب كان مسكنا لأجداده وآخر في نيريز كان مؤثثاً أثاثاً فاخراً. ووصل الى يزد في اليوم الأول من شهر جمادي الأول سنة 1266هـ (1850م) وهو اليوم الخامس من إعلان دعوة حضرة الباب الذي وافق الاحتفال بالنوروز. وجاء العلماء المشهورون والأعيان في المدينة لاستقباله وتحيته. وكان نواب رضوي، أرذل وأشهر معانديه حاضرا في ذلك الوقت واعترض على الإسراف والأبهة التي عمل بها الاحتفال باستقباله. ومما قاله: (ان وليمة الشاه الملكية لا تضارع المائدة التي بسطت أمامنا، واني أشك في أنكم تحتفلون اليوم بعيد آخر خلاف العيد الرسمي الذي نحتفل به عادة). فردّ عليه وحيد رداً تهكميا قاسيا أوجب ضحك جميع الحاضرين. وأشار الجميع الى خسّة وشرور نواب وموافقة الرد للصواب. ولم يكن نواب يتوقع مثل هذه السخرية الإجماعية من عليّة القوم، بسبب الرد الذي وخزه، فاشتعلت في نفسه نار الحقد على خصمه والتهب أجيجها وعزم على ان يشفي غليله بالانتقام.

وانتهز وحيد الفرصة وأبلغ الجمع الحاضر التعاليم الأساسية للأمر وبرهن على صحتها، وكان معظم الذين سمعوها لم يسبق لهم تعرّف أحوالها إلا جزئياً وكانوا يجهلون أهمية الأمر ودلالته الكلية. وانجذب البعض انجذابا كليا واعتنقوا الأمر حالا ولم يقدر الباقون على مقاومته علنا بل أبغضوه في قلوبهم

وأخذوا على أنفسهم ان يستأصلوه بكل قوتهم. وكانت فصاحته وقوة بيانه وعدم خوفه في إظهار أمر الحق قد أشعلت نيران حقدهم وقوّت عزمهم على المبادرة بهدم سلطته وفي نفس اليوم وطّدوا عزمهم على مقاومته وبذلك ابتدأت المأساة التي حوت في طيها أنواع التعذيب والبلاء[2].

وكان مقصدهم الأول من عملهم هو إعدام حياة وحيد. وأشاعوا في يوم النوروز بين أعيان وأعلام المدينة سواء كانوا من العلماء الدينيين أو الحكام الإداريين بان السيد يحيى الدارابي تهور وكشف الحجاب عن جميع أحكام الباب وعزّز حججه بشواهد من القران والأحاديث الإسلامية. ومع ان المستمعين إليه كانوا من أكابر مجتهدي المدينة فلم يوجد بينهم من يجرأ على ردّ ادعاءاته في ايمانه، وكانت نتيجة سكوتهم ان انتشرت شعلة الحماس في جميع أنحاء المدينة لمصلحته وجعلت نصف سكان المدينة في طاعته والباقين على وشك الانضمام.

فانتشر هذا التقرير بسرعة البرق في أنحاء يزد والجهات المحيطة بها، وكان انتشاره قد أشعل من جهة نيران الحقد والغل في بعض النفوس، كما زاد من جهة أخرى عدد المؤمنين بانضمام عدد كبير الى السابقين. وكانت جموع القاصدين الذين هرعوا لمنزل وحيد ليسمعوا عن الدين الجديد تتوافد من أردكان ومنشاد وغيرها من البلاد البعيدة ومن القرى، وكانوا يسألون: (ما الذي نعمله وما هي الطريقة التي تنصحنا ان نسلك فيها لإظهار إيماننا بهذا الأمر وإخلاصنا له؟). وكان وحيد من الصباح الى المساء يحل لهم مشكلاتهم ويعلمهم ويرشدهم الى سبيل الخدمة.

واستمر هذا النشاط والانجذاب مدة أربعين يوما بين المؤمنين الغيورين نساءً ورجالاً، وكان منزل وحيد هو المركز الأمري لجموع المؤمنين الذين كانوا يحنّون لإظهار ما تكنه نفوسهم من الروح الأمرية المشتعلة فيهم. وكان الهياج الحاصل في المدينة قد جعل في يد نوّاب رضوي ذريعة يحتج بها عند الحاكم[3] الذي كان شابا قليل الخبرة في أمور الدولة بشكاية خصمه، فكانت نتيجة الوشاية والنميمة من هذا الدسّاس أن وقع وحيد فريسة له، إذ نجح في إقناعه ان يرسل قوة مسلحة لحصار منزل وحيد. وبينما كانت فرقة مسلحة من الجيش متوجهة الى ذلك المكان صحبها فريق من الغوغاء من السفلة والرعاع بتحريض من نوّاب وذهبوا الى نفس الجهة مهددين سكانها بقوتهم. ورغما من ان وحيد كان محاطا بالقوات المعادية من كل الجهات فانه من نافذة إحدى غرف الطابق العلوي من منزله كان يحيي نشاط وحماس أصحابه ويفسر لهم كل ما أستغلق فهمه عليهم. ولما رأى أصحابه ان كتيبة الجيش ومعها جحفل من الغوغاء المهرجين مستعدون للهجوم عليهم، التفتوا الى وحيد وفي جزعهم طلبوا منه ان يرشدهم الى ما يعملونه. فقال لهم وهو جالس في النافذة: (ان السيف الذي أمامي قد أعطاه لي القائم بنفسه، والله يعلم أنه لو أمرني بإشهار حرب دينية على هؤلاء الناس لكنت قد شتّت شملهم بمفردي وبدون معين، ولكني مع ذلك أمرت ان أمتنع من مثل هذا العمل). وقال وهو ينظر الى الجواد الذي كان خادمه حسن قد أعده له وجلبه أمام باب المنزل: (ان هذا الجواد سلمني إياه المرحوم محمد شاه لأقوم بالرسالة التي عهد بها إليّ لفحص أمر السيد الباب فحصاً خالياً من الغرض. وأمرني ان أوافيه شخصياً بالنتيجة

لأني كنت الوحيد من بين رؤساء طهران الدينيين الذي يعتمد عليه. فشرعت في المأمورية وعزمت عزما أكيداً على دحض حجج وبراهين ذلك السيد وحمله على ان يترك مثل هذه الأفكار ويعترف برئاستي وأكون إذ ذاك مقتدراً على ترحليه معي الى طهران كشاهد عيان للنصر الذي أحوزه. فلما حضرت تلقاء وجهه وسمعت كلماته، حصل لي عكس ما كنت انتظره. ففي أول مقابلة معه حصل لي ارتباك وخجل، وفي آخر المقابلة الثانية شعرت بأني أمامه عاجز وأجهل من صبي، وفي المقابلة الثالثة كنت أحط من التراب تحت قدميه. فلم يكن بعد ذلك في نظري ذلك السيد الذي كنت أظنه حقيراً، بل تجلى لي كمظهر الله نفسه وعنوان روح القدس الحيّ، ومنذ ذلك اليوم اشتقت أن أضحي حياتي لأجله واني أبتهج لأني عرفت ان ذلك اليوم الذي كنت انتظره بفارغ الصبر يأتي سريعاً).

ولما رأى الاضطراب واقعا بين الأصحاب نصحهم بالهدوء والسكينة وان يتأكدوا ان يد الغيب المنتقم القدير سوف توقع هزيمة ساحقة على القوات التي تصطف ضد أحبائه. وما كاد ينطق بذلك حتى وصلت الأخبار بأن شخصا يدعى محمد عبد الله، الذي ما كان أحد يظن انه لا يزال حياً، خرج فجأة مع عدد من الأصحاب الذين اختفوا مثله عن الأنظار، وإذ صاحوا بصيحة (يا صاحب الزمان) شنوا الغارة على مهاجميهم وشتتوا قواتهم. وأظهر من الشجاعة ما جعل الفرقة المحاصرة تترك أسلحتها وتلوذ بالفرار مع الحاكم الى قلعة نارين. وفي تلك الليلة طلب محمد عبد الله ان يحظى بلقاء وحيد، وأكد له اعتناقه للأمر وبيّن له الطريقة التي دبرها لإخضاع العدو. فقال له وحيد (ولو

ان تداخلك قد دفع عن هذا المنزل أخطر مداهمة منظورة، ولكن عليك ان تعلم ان عداءنا مع هؤلاء القوم لغاية الآن لم يتجاوز المجادلة حول أمر صاحب الزمان. وسوف يهيّج نوّاب ضدنا الناس مدعيا اني قمت لتثبيت دعائم سلطنتي على المقاطعة بأجمعها واني عازم على تعميمها في جميع إيران). ونصحه وحيد ان يترك المدينة حالا ووكل أمره لحفظ الله القدير. وأكد له قائلا (ان العدو لا يقدر على إيصال أقل أذى إلينا حتى يأتي الوقت المعلوم). ولكن محمد عبد الله فضّل مع ذلك ان يتجاهل نصيحة وحيد. وسمع يقول وهو خارج من عنده (اني أكون جبانا إذا تركت أصحابي لرحمة عدوّ سفّاك معتد، وإلا فما يكون الفرق بيني وبين الذين تركوا سيد الشهداء[4] في يوم عاشوراء[5] وحيداً في ميدان كربلاء، والله رحيم وهو يغفر لي ويسامحني في عملي). وبهذه الكلمات تقدم نحو قلعة نارين واضطرت القوات التي تجمعت في الجهات المجاورة ان يلتجئوا داخل حوائط القلعة ونجح في جعل الحاكم محصورا مع أتباعه وصار يراقبهم واستعد لمنع أي مدد يأتي لهم من الخارج.

ونجح نوّاب في إثارة الغوغاء وأخذوا يستعدون للهجوم على منزل وحيد. وفي هذه الأثناء نادى السيد وحيد من يدعى سيد عبد العظيم خوئي، الملقب سيّد خال الدار، الذي كان قد اشترك بضعة أيام في الدفاع عن قلعة طبرسي والذي ذاعت جاذبية طلعته البهية في أنحاء البلاد، وأمره ان يمتطي جواده ويخطب في الناس علنا في الشوارع والأسواق ويحرض جميع السكان والأهالي على اعتناق أمر صاحب الزمان، وزاد بقوله (عرّفهم اني لا أنوي أن أثير حرباً دينية عليهم فليحذروا انهم إذا أصروا على حصار منزلي واستمروا في أعمال

الهجوم عليه منكرين حرمة مقامي وشرفي، فاني أكون مضطرا للدفاع وان أقاومهم وأشتت شملهم، وإذا لم يسمعوا لنصحي وأرادوا ان يستمعوا لدسائس نوّاب الماكر، فاني آمر سبعة من أتباعي صد هجماتهم وسحق آمالهم وإرجاعهم خائبين).

فقام السيد خال الدار، وامتطى الجواد وسار محروسا بأربعة من إخوانه المنتخبين ومشى وسط السوق وتفوه بالإنذار الذي كلف به بجلال وعظمة، ولم يقتنع بذلك بل زاد عليه من عنده بما رأى انه يزيد في قوة الدعوة التي وجهها. فكان ينادي ويقول (الويل لكم إذا احتقرتم حجتنا، فأحذركم ان ارتفاع صوتي وحده كاف لأن يجعل أسوار قلاعكم تهتز وأما قوة ساعدي فتقدر أن تسقط أبوابها). وكان صوته الجهوري يدوي كالرعد وأوقع الرعب في قلوب الذين سمعوه. وعزم الأهالي الخائفون بالاتفاق على ترك أسلحتهم والامتناع عن إيذاء وحيد، وقالوا انهم سيعترفون له بنسبه واحترامه.

ولما رأى نوّاب امتناع الأهالي امتناعا صريحا عن محاربة وحيد، أقنعهم أن يهاجموا محمد عبد الله وأصحابه الذين كانوا قد أقاموا بجوار القلعة. ولما اصطدم الجمعان خرج الحاكم من المكان الذي كان محتميا فيه وأمر أتباعه المحصورين بالانضمام الى القوات التي جمعها، وكان محمد عبد الله قد ابتدأ في تشتيت الغوغاء الذين جاءوا من المدينة لمحاربته، إذ رأى النيران تطلق عليه من قوات الحاكم. وجاء مقذوف أصابه في قدمه وطرحه أرضا، وجرح عددا من أصحابه، فأسرع أخوه ونقله الى مكان أمين، ثم نقله من هناك الى منزل وحيد وتبعه العدو الى ذلك المنزل وهو عازم على أخذه وذبحه. وكان

ضجيج الغوغاء حول المنزل قد أجبر وحيد ان يأمر ملا محمد رضاي منشادي من أكابر علماء منشاد والذي خلع العمامة وقدم نفسه بصفة بواب للمنزل، ان يقوم هو وستة من أصحابه من الذين يختارهم ويشتت القوات المهاجمة وأمرهم قائلا (على كل واحد منكم أن يرفع صوته "الله أكبر" سبعاً وفي السابعة يتقدم مع إخوانه ويصدّوا المهاجمين).

وكان الملا محمد رضا الذي سماه حضرة بهاءالله، رضا الروح، قد قام هو وأصحابه لتنفيذ الأوامر التي أمر بها وحيد. ومع ان أصحابه كانوا ضعفاء جسماً ولا خبرة لهم بصناعة الحرب والطعن، إلا ان أرواحهم كانت مشتعلة بإيمان جعلهم رعباً لأعدائهم. وقتل في ذلك اليوم سبعة من أشد الأعداء، وهو اليوم السابع والعشرين من شهر جمادي الثاني[6] ومما رواه الملا محمد رضا (ما كدنا نشتت شمل الأعداء ونرجع الى منزل وحيد حتى وجدنا محمد عبد الله مطروحا أمامنا وهو جريح، فحملناه الى رئيسنا وتناول معه الطعام. وأخيرا أخذناه الى مخبأ في الدار مكث فيه حتى التأم جرحه ثم أخذه العدو وذبحه. وفي تلك الليلة أمر وحيد أتباعه ان يتفرقوا ويبذلوا الجهد في الحصول على الظفر بالسلامة، ونصح زوجته ان تنتقل بأولادها وجميع متعلقاتها الى منزل والدها وان تترك متعلقاته. وقال لها "ان هذا المنزل السلطاني قد بنيته ليهدم أخيرا في سبيل الله، والأثاث الفاخر الذي اشتريته كان بأمل اني أضحيه لأجل المحبوب. وإذ ذاك يعلم الحبيب والعدو ان الذي يملك هذا المنزل ذو موهبة عظيمة مما لا عدل لها وان ليس لأي منزل أرضي مهما كان مزينا أو مفروشا بحالة فخمة أي قيمة في نظره وانه لم يكن إلا ككومة من العظام البالية التي لا

تلتفت إليها سوى كلاب الأرض، ولعل هذه الدلائل القاطعة على روح التضحية تمكن هؤلاء القوم الأشرار من ان يفتحوا أعينهم وتوحي في ضمائرهم الرغبة في تتبع خطوات من ظهرت فيه هذه الروح").

وفي جنح الليلة ذاتها قام وحيد وجمع كتابات حضرة الباب التي كانت تحت يده والكتابات التي حررها وأنشأها بنفسه ووكل بها خادمه حسن وأمره ان يأخذها الى محل أمين خارج باب البلدة عند مفترق الطريق الى جهة مهريز وأمره ان ينتظر وصوله، وحذّره من ان يخالف تعليماته لأنه لن يقدر إذ ذاك ان يقابله مرة أخرى.

وما كاد حسن يمتطي الجواد مستعدا للرحيل حتى سمع أصوات الحرس الذين كانوا واقفين على أبواب القلعة. وخوفا من ان يقبضوا عليه ويضعوا يدهم على الكنوز الثمينة التي في حيازته، عزم على ان يتجه اتجاها آخر في طريق خلاف الذي أمره سيده بالسير فيه، وبينما يسير بجوار القلعة عرفه الحراس وضربوا جواده وقبضوا عليه.

وفي الأثناء استعد وحيد لمبارحة يزد. وترك ابنيه سيد إسماعيل وسيد علي محمد، في حراسة والدتهم وأخذ معه نجليه الآخرين وهما سيد احمد وسيد مهدي واثنين من أصحابه كانا قاطنين في يزد، وكانا قد سألاه الإذن في مرافقته في سفره، وكان الأول اسمه غلام رضا وهو رجل شجاع مقدام والآخر غلام رضا كوجك، كان ماهرا في الرماية. واختار وحيد نفس الطريق الذي أخبر خادمه ان ينتظره فيه. ولما وصل الى المكان المعهود تعجب حيث لم يجده، فعلم وحيد انه لم يتخذ الطريق المذكور وان العدو قبض عليه، فتحسر

على نصيبه وتذكر أيضا عمل محمد عبد الله ومخالفته أمره والنتيجة التي حصلت له. وسمعوا في صباح اليوم ان حسن قتل من فوهة مدفع[7] وان شخصا اسمه ميرزا حسن كان إماما تقيا في إحدى جهات يزد قبض عليه أيضا بعد ساعة وعومل بنفس المعاملة كرفيقه.

وأهاج رحيل وحيد من يزد حماس الأعداء للقيام بتعديات جديدة، فهجموا على المنزل ونهبوا ما فيه ودمروه تدميراً تاما[8] وكان قد سار في تلك الأثناء في الطريق المؤدي الى نيريز، ومع انه كان غير معتاد على المشي فانه قطع في تلك الليلة سبعة فراسخ، وكان صاحباه يحملان أولاده في بعض الطريق. وفي اليوم الثاني خبأ نفسه في تجاويف الجبل المجاور، ولما علم بمجيئه أخوه الذي كان قاطنا في تلك الجهة والذي يكنّ له محبة أكيدة، أرسل إليه ما يحتاج من المؤونة سراً. وفي نفس اليوم وصلت الى القرية بعض خيالة من الحكومة كانت في أثر وحيد وفتشوا منزل أخيه الذي كان يظن انه مختبئ فيه وان معه مبلغا كبيرا من المال. ولما لم يجدوه هناك عادوا الى يزد.

واستمر وحيد سائرا بين الجبال حتى وصل الى بوانات فارس. وأكثر أهاليها من أتباعه المعجبين به واعتنقوا الأمر، وكان من بينهم الحاجي سيد إسماعيل المعروف وهو شيخ إسلام بوانات. وكثير من هؤلاء الأتباع رافقوه في سفره الى قرية افسا التي امتنع أهلها أن يعتنقوا الأمر الذي دعاهم إليه، وكان في طول الطريق كلما استراح ينزل من جواده ويذهب الى المسجد المجاور وهناك يدعو الناس الى الأمر الجديد. ويطلع فوق المنبر متناسيا مشاق الطريق وبلا وجل ولا خوف يذكّر الناس بطبيعة الأمر الذي قام على ترويجه. وكان إذا

نجح في محل في جذب بعض النفوس إليه ممن يركن إليهم في ترويج الأمر، يمكث معهم ليلة واحدة ثم يفارقهم، وإلا فانه يستمر على سيره ولا يعاشرهم بعدها. وكان كثيرا ما يقول (إذا مررت بقرية ولم أجد من نفوس أهلها نفحات الايمان فلا أقدر أن أتناول من طعامها ولا أشرب من مائها).

ولما وصل الى قرية رونيز في أواسط إقليم افسا، رأى وحيد ان يستريح بضعة أيام. واجتهد في ان يشعل نار محبة الله في قلوب الذين وجد فيهم استعدادا لسماع النداء. ولما وصلت أخبار مجيئه الى نيريز خرج جميع الأهالي من سكان شنارسوخته مسرعين للقائه. وكذلك خرج غيرهم من الأهالي من أقسام أخرى، وكان خروج أغلب الأهالي من نيريز ليلا خوفا من ان حاكمها يمنعهم، ومن قسم شنارسوخته وحده خرج أكثر من مائة طالب وعلى رأسهم رئيسهم الحاجي شيخ عبد العلي، نسيب وحيد وقاض مشهور في الإقليم كله، وانضم هؤلاء جميعا الى أعيان نيريز لتحية الزائر المنتظر قبل وصوله الى بلدتهم. وكان من بينهم الملا عبد الحسين وهو رجل مشهور بالعلم والتقوى وعمره ثمانون عاما، والملا باقر إمام شنارسوخته وميرزا حسين قطب الكدخدا من قسم بازار مع أقاربه وميرزا أبو القاسم أحد أقارب الحاكم والحاجي محمد تقي الذي ذكره حضرة بهاءالله في سورة أيوب ومعه نسيبه الميرزا نور وميرزا علي رضا وكلاهما من قسم السادات[9].

وذهب جميع هؤلاء، البعض ليلا والبعض نهارا لغاية قرية رونيز ليرحبوا بزائرهم ويؤكدوا له إخلاصهم الذي لا يتزعزع. ورغما من ان حضرة الباب كتب لوحا للذين اعتنقوا الأمر في نيريز، إلا انهم بقوا غير عالمين بأحكامه وأصوله،

وكانت مأمورية وحيد ان ينيرهم فيما يختص بأحكام الأمر الجديد ويفسر لهم مدى تعاليمه الممتازة.

وما كاد زين العابدين خان الحاكم، يعلم بخروج الأهالي للترحيب بوحيد، حتى أرسل رسولا خاصا ليخبر كل الذين رحلوا، بعزمه على قتل كل من يصر على الطاعة له وبأنه سوف يسبي نساءه ويصادر أملاكه. فلم يعبأ أحد بإنذاره، وبالعكس اشتد تمسكهم بوحيد وولائهم لرئيسهم. وكان احتقارهم للرسول وعزمهم الذي لا ينثني قد ملأ الحاكم رعبا وتحيرا. وخوفا من ان يثور عليه الناس نقل مسكنه الى قرية قطره، وهي التي كان فيها سكنه الأصلي وتبعد عن نيريز مسافة 8 فراسخ. واختار هذه القرية لأن في جانبها قلعة كبيرة يمكنه ان يلجأ إليها في حالة الخطر. ولأنه كان متأكدا بان الأهالي يجيدون الرماية ويصح التعويل عليهم وقت الحاجة للدفاع عنه.

وكان وحيد قد ترك رونيز الى ضريح بير مراد الذي يقع خارج مدينة اصطهبنات. ورغما عن الأمر الذي أصدره علماء تلك المدينة بمنعه من الدخول فيها، فان نحو عشرين نفر من السكان خرجوا جميعا لمقابلته والترحيب به ورافقوه لغاية نيريز. ولما وصلوا بعد عصر يوم الخامس عشر من رجب[10] كان أول شيء عمله وحيد بمجرد وصوله الى قسم شنارسوخته، ان ذهب الى المسجد قبل دخوله منزله وخطب هناك في الجموع وطلب منهم ان يعترفوا برسالة حضرة الباب، ولم يصبر ليقابل الجموع بل صعد المنبر وهو بوعثاء السفر وغبار التراب، وتكلم بفصاحة وبلاغة جعلت الحاضرين متكهربين من ندائه[11].

وكانوا لا يقلون عن ألف نسمة وجميعهم من أهالي قسم شنارسوخته ونحو خمسمائة من باقي أقسام نيريز وجميعهم اكتظوا في المسجد وأجابوا بصوت واحد (سمعنا وأطعنا) بحماس شديد وجاءوا إليه زرافات يؤكدون له ولاءهم وشكرهم وهم فرحون مستبشرون. وكانت الخطابة قد أثرت في الناس تأثيرا سحريا لم يعهد مثله أهالي نيريز من قبل.

وبعد أن هدأت أصوات الحاضرين وسكنت ضوضاؤهم، قال لهم وحيد (ان غرضي من المجيء لنيريز هو إعلان أمر الله واني أشكره تعالى وأمجده لأنه مكنني أن أنفث في قلوبكم رسالته. فلا داعي لي ان أطيل سكني بعد ذلك بينكم لأني أخشى ان الحاكم يسيء معاملتكم من أجلي وربما طلب المدد من شيراز ويخرب بيوتكم ويسومكم سوء العذاب). فأجابوه بنفس واحد (اننا مستعدون وجعلنا توكلنا على الله وهو يرحمنا إذا نزلت بنا النوائب ولا نرغب في ان نفترق منك بهذه السرعة ولما نمض معك زمنا طويلا).

وما كادوا ينطقون بهذه الأقوال حتى تكاتف الرجال والنساء وساروا جميعا بوحيد الى منزله منتصرين وأخذ منهم الانجذاب كل مأخذ وساد بينهم الوله والسرور واكتظوا حوله بالتهليل والتكبير وحرسوه لغاية مدخل منزله. ومضى وحيد الأيام القلائل بينهم، ووافق ان يصرفها معهم في المسجد حيث كان يعلّم الجموع كل القواعد الأصلية التي تلقاها من معلمه بكل فصاحة وبدون أي تحفظ. وفي كل يوم يزيد عدد المقبلين وينمو تأثيره العجيب ويزداد قوة وظهورا.

وما كان قبول الدعوة من الجمهور والتأثير السحري الذي وقعوا فيه بمانع من إثارة عداوة زين العابدين الكامنة، فكان يلجأ الى تدابير جديدة وأمر بجمع

جيش بقصد محو الأمر الذي يرى انه يقوض مركزه، فنجح في تجنيد ألف رجل من الخيالة والبيادة (المشاة) وكلهم متدربون على فن الحرب، وكان عنده مخزن كبير من المؤن. وأراد من تدبيره الهجوم الفجائي واخذ وحيد أسيراً. ولما علم وحيد بتدابير الحاكم أمر عشرين من الأصحاب من الذين غادروا اسطهبنات للترحيب به والذين رافقوه لغاية نيريز ان يحتلوا قلعة خاجه التي كانت تقع بجوار شنارسوخته. وعيّن الشيخ هادي ابن الشيخ محسن كقائد للفرقة. وحرّض أتباعه القاطنين في القسم ان يحصّنوا الأبواب والأبراج وحوائط القلعة.

وكان الحاكم قد نقل مقره الى قسم بازار مصحوبا بالقوة التي جندها وقطن في القلعة المجاورة. وكانت أبراجها وحوائطها التي حصّنها مشرفة على المدينة بأكملها. وأجبر الحاكم سيد أبو طالب الكدخدا (المختار) لذلك القسم وأحد أصحاب وحيد ان يخلي منزله، وحصّن سقفه وجعل عليه عددا من رجاله تحت إمرة محمد علي خان، وأمرهم ان يطلقوا النيران على خصمه. وكان أول من أصيب من ذلك هو الملا عبد الله حسين الذي رغما عن كبر سنه جاء ماشيا للترحيب بوحيد. وكان يصلي على سقف منزله إذ أصابته في قدمه اليمنى، فنزفت دما كثيرا. وكانت هذه الضربة القاسية قد أثارت شعور وحيد الذي تعجل بكتابة رسالة يظهر له فيها حزنه من وقوع هذه الضربة ويبشره بأنه مع كبر سنه كان أول من اختاره الله شهيدا في سبيله.

وكانت مفاجأة الصدمة قد هالت فريقا من الأصحاب الذين كانوا قد أسرعوا في اعتناق الأمر بدون ان يطلعوا عليه الاطلاع الكافي. فتزلزلوا وافترق البعض من الأحباء عن باقي الأخوان وخرجوا في جنح الليل وانضموا للأعداء.

وما كاد يعلم وحيد بحركتهم حتى قام في الفجر وركب جواده ومعه عدد من الأصحاب وخرج الى قلعة خاجه وجعلها مقره. وكان وصوله إليها إيذانا بهجوم جديد عليه، فأرسل زين العابدين خان أخاه الأكبر المدعو علي أصغر خان ومعه ألف رجل مسلحين ومتدربين على القتال وطلب إليه أن يحاصر تلك القلعة التي التجأ إليها اثنان وسبعون نفرا. وعند طلوع الشمس خرج جماعة منهم بأمر من وحيد وبسرعة فائقة شتتوا شمل المحاصرين، ولم يلق حتفه في تلك الموقعة من الأحباء سوى ثلاثة، أولهم تاج الدين، رجل مشهور بالشهامة يشتغل بتجارة الكلاة الصوف، والثاني اسمه زاينيل ابن اسكندر وكان مزارعا، والثالث ميرزا أبو القاسم وكان من الأعيان.

وهذه الهزيمة التامة الفجائية أثارت أوهام ومخاوف البرنس فيروز ميرزا، نصرت الدولة، حاكم شيراز، الذي أعطى أوامره المشددة لاستئصال شأفة الذين احتلوا القلعة، فأرسل زين العابدين خان، أحد أتباع البرنس الى وحيد وطلب منه بإلحاح ان يترك نيريز لتوتر العلاقات بينهما، أملاً في إطفاء نيران الهياج الذي اشتعل. وكان جواب وحيد للرسول (أخبره بأن نجليَّ ومعهما اثنين من أتباعي هم كل من معي، فإذا كان وجودي في هذه المدينة هو سبب الهياج فاني مستعد للرحيل. وأسأله لماذا يقوم على منع الماء عنا ومحاصرتنا والهجوم علينا بدلا من الترحيب اللايق بأحد من سلالة الرسول؟ فإذا أصر على إنكار حقنا في ضروريات الحياة، فاني أحذره بأن سبعة من أصحابي ممن يعدهم أحقر الرجال سوف يوقعون بقواته المجتمعة شر هزيمة).

ولما رأى وحيد ان زين العابدين خان تجاهل هذا التحذير، أمر أتباعه ان يخرجوا من القلعة وان يعاقبوا المهاجمين. ومع انهم كانوا شبانا فقد نجحوا بشجاعتهم المدهشة وإيمانهم الثابت في هزيمة الجيش المدرب مع انهم لم يكونوا معتادين على الحرب والقتال. وتوفي في المعركة علي أصغر خان وأسر إبناه وتقهقر زين العابدين خان بكل امتهان. والذين نجوا من قواته المشتتة في مدينة قطره، أخبروا البرنس بخطورة الموقف وطلبوا منه ان يرسل نجدة لهم في الحال. وأكدوا عليه في طلب المدفعية الثقيلة وفيلق كبير من البيادة والخيالة. ولما رأى وحيد عزم الأعداء على إبادتهم أمر بتقوية الدفاع في القلعة وبإنشاء مستودع للماء داخلها، وان تنصب الخيام التي غنموها خارج الأبواب. وفي ذلك اليوم توزعت الواجبات والوظائف على بعض الأصحاب. فعيّن كربلائي ميرزا محمد بواباً للقلعة والشيخ يوسف حارس الأموال وكربلائي محمد بن شمس الدين رئيس الحدائق الملاصقة للقلعة وحصونها، والميرزا احمد خال علي سردار ضابط برج الطاحون المعروف باسم شنار الموجود بجوار القلعة، والشيخ شيوكش جلاّدا والميرزا محمد جعفر ابن عم زين العابدين خان منشئاً وكاتب التواريخ، وميرزا فضل الله مقرئا للمدونات ومشهدي بقال سجاناً وحاجي محمد تقي صاحب السجل، وغلام رضا يزدي رئيس القوات. وزيادة عن الاثنين وسبعين من الأصحاب الذين كانوا داخل القلعة والذين رافقوه من اصطهبنات الى نيريز، أضاف وحيد إليهم عددا من سكان بازار مع فريق من أقاربهم بناء على طلب السيد جعفر يزدي العالم الشهير والشيخ عبد العلي نسيبه.

وجدد زين العابدين خان طلبه من البرنس لارسال نجدة كافية على عجل، وأرسل مع الطلب مبلغ خمسة آلاف تومان هدية منه إليه. وأعطى الخطاب لأحد أصحابه الموثوق بهم وهو الملا باقر، وأمره ان يمتطي جواده الخاص ويعطي الخطاب بشخصه الى البرنس، وأتمنه لصداقته وطلاقة لسانه وفصاحته. فذهب الملا باقر من طريق غير مطروق وبعد يوم من رحيله وصل الى محل يدعى هداشتاك وفي جواره قلعة ينزل فيها القبائل الرحل وينصبون فيها خيامهم.

فنزل الملا باقر عند إحدى هذه الخيام. وبينما كان يتكلم مع سكانها، وصل الحاجي سيد إسماعيل شيخ إسلام بوانات، وكان قد استأذن من وحيد ليصل الى قريته لشغل هام والعودة تواً الى نيريز. وبعد تناول العشاء، وجد جواداً مطّهما مربوطا بإحدى الخيام، ولما علم انه مملوك لأحد أصحاب زين العابدين خان الذي حضر من نيريز وهو في طريقه الى شيراز. ذهب الحاج سيد إسماعيل الذي كان معروفا بالشجاعة الفذّة وامتطى الجواد وسل سيفه وتكلم مع صاحب الخيمة الذي كان يحادثه الملا باقر، قائلا (اقبض على هذا النذل الذي هرب من وجه صاحب الزمان. واربط يديه وسلمه لي). وإذ خاف أصحاب الخيمة من كلام الحاجي ملا إسماعيل وهيئته، أطاعوا الأمر حالا وقيدوا يديه وسلموه الحبل الذي أوثقوه به، فأخذه وهمز ركابه الى ناحية نيريز يتبعه أسيره، وعلى مسافة فرسخين من تلك المدينة، وصل الى قرية رستاق، فسلّم الأسير الى الكدخدا والذي اسمه "حاجي أكبر" وألح عليه ان يحضره أمام وحيد. ولما جيء به أمامه، سأله عن قصده في السفر الى شيراز، فصرّح له

عن خبره تفصيليا، ومع ان وحيد كان يميل الى العفو عنه، إلا ان أصحابه قتلوه نظراً لسوء مسلكه.

ولم يكل عزم زين العابدين في طلب النجدة من شيراز، والتجأ هذه المرة الى البرنس وشدد عليه في الطلب ورجاه ان يضاعف مجهوداته لإبادة ما يعتبره أعظم خطر على سلامة ذلك الإقليم. ولما كان غير قانع بالتماسه الملح، أرسل الى شيراز عددا من رجاله الموثوق بهم وحمّلهم بهدايا للبرنس أملا في إقناعه بالإسراع في العمل. وزيادة في التأكد من نجاح مجهوداته، أرسل خطابات الى أشهر علماء وأسياد شيراز، وفيها شوّه مقاصد وحيد وأسهب في الكلام على أعماله الثورية وحرضهم على التوسط لدى البرنس والتوسل إليه للإسراع بإرسال النجدة.

فأجاب البرنس طلبهم حالا وأعطى التنبيهات لعبد الله خان شجاع الملك، ان يقوم توا الى نيريز ويصحب معه فيالق الهمداني وسيلا خوري ومعه الضباط رؤسائهم وما يلزم من المدفعية. وأرسل التعليمات الى نائبه في نيريز بان يجند كل الرجال القادرين من الجهات المجاورة بما فيها قرى اصطهبنات وأبراج وينج معادن وقطره وبشنه ودي شاه ومشكان ورستاق، وأضاف الى هؤلاء قبيلة وسبكلاريّه الذين أمرهم ان ينضموا الى جيش زين العابدين خان.

وفجأة حاصر القلعة جموع لا عدد لها وفيها وحيد وأصحابه محاصرين. وابتدأ في حفر خنادق حولها وأقام المتاريس عليها. وما كاد هذا العمل يتم، حتى أطلقت النيران نحوهم وجاءت طلقة نارية أصابت الجواد الذي كان أحد أتباع وحيد يركبه وهو يحرس باب القلعة، وتبعتها أخرى اخترقت البرج الموجود

فوق الباب. وأثناء التدمير أطلق أحد الأحباء طلقا ناريا على الضابط المكلف بالمدفعية، فأصابه وأرداه قتيلا. وبذلك وقف إطلاق المدافع حالا ورجع المهاجمون واختبأوا داخل خنادقهم. وفي هذه الليلة لم يخرج أحد لا المحاصرون ولا المهاجمون من مخابئهم.

وفي الليلة الثانية نادى وحيد من يدعى غلام رضا يزدي وأمره مع أربعة عشر من الأصحاب ان يخرجوا من القلعة ويطردوا العدو. وكان أكثر المأمورين بذلك من المتقدمين في السن، ولم يكن أحد منهم يظن انه يقدر على مثل هذه المحاربة الشديدة. وكان منهم صانع أحذية لا يقل عمره عن تسعين عاما، ويظهر منه قوة وحماس لا تظهر عادة من الشبان، وباقي الأربعة عشر كانوا شبانا لم يتعودوا مخاطر الطعان ولم يتحملوا مثل هذا الهجوم. فلم يكن العمر بالأمر المهم عند هؤلاء الأبطال الذي وطّدوا العزم بإيمان لا يتزعزع على إعلاء شأن الأمر. وأمرهم الرئيس ان ينتشروا بمجرد تركهم جناح القلعة ويهجموا وسط الأعداء وهم يصيحون بنفس واحد (الله اكبر). وما كادت الإشارة تعطى إليهم حتى قاموا وامتطوا جيادهم وتسلحوا ببنادقهم وخرجوا من باب القلعة وهجموا وسط أعدائهم غير مبالين بقنابل المدافع ولا رصاص البنادق الذي أمطر فوق رؤوسهم. ودامت هذه المعركة الفجائية نحوا من ثمان ساعات وكان يظهر من هذه الفئة الباسلة شهامة ومهارة أدهشت رؤساء الجند في صفوف الأعداء.

وكانت النجدات تأتي من نيريز تباعا ومن القلاع المحيطة، هاجمين على العدو لمساعدة الفئة القليلة التي قاومت قوات الأعداء وجيوشهم هذه المدة

بكل شهامة. وإذ امتد نطاق الحرب والقتال، ارتفعت من جميع الجهات أصوات نساء نيريز من أعالي المنازل مهللات بالشجاعة والإقدام الذي ظهر بكل جلاء من الأحباء، واختلطت هذه الأصوات المرتفعة من النسوة بزمجرة المدافع وأصوات (الله أكبر) المرتفعة من الأصحاب وسط الهياج والضجيج، وزادت ولولة النسوة وصلابة الأصحاب وشدة إيمانهم في وهن عزائم الأعداء وشلت حركاتهم حتى خلا معسكرهم، وكان منظره موحشا عندما رجع المنصورون الى القلعة ظافرين حاملين معهم الجرحى وما يربو على الستين شهيداً، كان من بينهم:-

1 – غلام رضا يزدي (وهو شخص خلاف رئيس القواد الذي اسمه كاسمه) 2 – أخ غلام رضا يزدي 3 – علي بن خير الله 4 – خاجه حسين قناد ابن خاجه غاني 5 – أصغر بن ملا مهدي 6 – كربلائي عبد الكريم 7 – حسين بن مشهدي محمد 8 – زين العابدين بن مشهدي باقر الصباغ 9 – ملا جعفر المذهب 10 – عبد الله بن ملا موسى 11 – محمد بن مشهدي رجب الحداد 12 – كربلاي حسن بن كربلاي شمس الدين ملكي دوز 13 – كربلاي ميرزا محمد زارع 14 – كربلاي باقر كفش دوز 15 – ميرزا احمد بن ميرزا حسين كاشي ساز 16 – ملا حسن بن ملا عبد الله 17 – مشهدي حاجي محمد 18 – أبو طالب بن مير احمد نخود بريز 19 – أكبر بن محمد عاشور 20 – تقي يزدي 21 – ملا علي بن ملا جعفر 22 – كربلاي ميرزا حسين 23 – حسين خان بن شريف 24 – كربلاي قربان 25 – خاجه كاظم بن خاجه علي 26 – أقا بن حاجي علي 27 – ميرزا نورا بن ميرزا معينا.

وكانت تلك الهزيمة التامة قد أقنعت زين العابدين خان وأصحابه بعدم فائدة أي مجهود يبذل لإخضاع أعدائه بطريق المحاربة[12] فالتجأوا أخيرا الى طرق أخرى، كما حصل لجيش البرنس مهدي قلي ميرزا الذي عجز عن إخضاع محاربيه في الميدان. فلجأ الى الخداع والغش وهي أسلحة الجبناء التي بها غلبوا عدوهم الذي لا يقهر. ومع ان جميع موارد البلاد كانت تحت يد زين العابدين خان فضلا عن مساعدة وإمداد حاكم فارس وأهالي البلاد جميعهم، فقد عجز عن قهر الأحباء الذين كانوا في نظره فئة ضئيلة غير متدربة على القتال ومحتقرة. وقد علم وتأكد هو وجميع المحاربين ان وراء الأكمة وخلف حوائط القلعة رجالا أبسالا أشداء لا يمكن لأي قوة إخضاعهم ولا محاربتهم.

فلم يروا بداً من رفع صوت السلام ويقصدون من ذلك المكر السيئ ان يخدعوا هذه القلوب الطاهرة الشريفة. فأوقفوا الهجوم والقتال بضعة أيام وأرسلوا رسالة خطيرة مكتوبة الى المحصورين ملخصها كما يأتي (اننا كنا لغاية الآن جاهلين حقيقة إيمانكم، ولذلك سمحنا للأشرار ليحملونا على ان نعتقد ان كل واحد منكم قد خرق حرمة القواعد الإسلامية. فقمنا ضدكم وأردنا إبادة دينكم. وفي الأيام الأخيرة علمنا ان حركاتكم لم يقصد بها أي غرض سياسي وانه لا يوجد بينكم من يرغب في قلب قواعد الدولة. وقد اقتنعنا بأن تعاليمكم لا تحوي خلافا كبيرا لتعاليم الإسلام. وان كل ما تريدون إعلانه على ما يظهر هو ان شخصا ظهر وان كلماته موحى بها وان أقواله صادقة وانه يجب على جميع أتباع الإسلام ان يعترفوا به ويعضدوه. ونحن لا يمكننا ان نقتنع بصدق هذه المزاعم إلا إذا ركنتم الى وضع ثقتكم فينا وان تقبلوا ان يخرج إلينا بعض

مندوبين منكم خارج القلعة ويقابلونا في هذا المعسكر حيث يمكنا في ظرف بضعة أيام ان نتحقق من صدق دعواكم. ونحن أيضا مستعدون ان نقبلها لأننا لم نكن أعداء الحق ولا يريد أحد منا ان يرفض الحق. ونحن كنا دائما نعترف لرئيسكم انه من أكبر وأقدر أعلام الإسلام وننظر إليه كمثال وعلم للهداية. وهذا القرآن الذي نختم عليه بأختامنا هو أكبر شاهد على صدق مرادنا. فليحكم ذلك الكتاب المقدس إذا كانت دعواكم صادقة أم باطلة وان غضب الله ورسوله علينا إذا كنا نقصد ان نخدعكم. وان قبولكم لدعوتنا يخلص جيشنا بأجمعه من التشتيت والدمار. وأما رفضكم فيجعله في موقف الشك والتربص. ونحن نقسم لكم انه بمجرد ان نقتنع بصدق دعوتكم فاننا سنظهر من الحماس والإخلاص ما ظهر مثله منكم بهذه الكيفية العجيبة. فيكون إذ ذاك أحباؤكم أحباءنا وأعداؤكم أعداءنا، ونقسم لكم ان الذي يأمر به رئيسكم فاننا نطيعه. وبالعكس إذا لم نقتنع بصحة دعوتكم فاننا نعدكم اننا لا نتداخل في رجوعكم سالمين الى القلعة ونعيد الكرّة معكم. ونحن ندعوكم ان لا تسفكوا دما بعد ذلك قبل ان تجتهدوا في إثبات صحة أمركم).

فاستلم وحيد القرآن بكل احترام وقبّله مليّا. وقال (ان الساعة الموعودة لنا قد دقت وقبولنا لدعوتهم يجعلهم يشعرون بسفالة خدعتهم) وزاد على ذلك وهو يخاطب أصحابه (ومع اني عالم تماما بخداعهم ولكني أرى من واجبي ان أجيب طلبهم وانتهز الفرصة في ان أكشف مرة أخرى عن حقائق الأمر المحبوب أمامهم) وأمرهم ان يستمروا في أداء واجباتهم وان لا يثقوا مطلقا بأيمان أعدائهم. وفضلا عن ذلك أمرهم ان يوقفوا القتال الى ان يخطرهم.

وبهذه الكلمات ودّع أصحابه وخرج مع خمسة من اتباعه، منهم ملا علي المذهّب والخائن حاجي سيد عابد الى معسكر العدو. وخرج زين العابدين خان مصحوبا بشجاع الملك وكل حاشيته لمقابلته والترحيب به، وقابلوه بالإكرام وأوصلوه الى خيمة أعدت خصيصا له وقدموه لباقي الضباط، وجلس على كرسي وباقي الجماعة واقفون أمامه عدا زين العابدين خان وشجاع الملك وضابط آخر وهم الذين أمرهم بالجلوس. وكانت العبارة التي خاطبهم بها قد أثرت في جميع القلوب وهي تلين الصخور، وأشار إليها حضرة بهاءالله بنطقه السامي في تفسير سورة الصبر وبيّن مقاصدها بما جعل ذكرها خالداً، وكان مما قاله وحيد (اني حضرت لكم مسلحا بالشهادة التي عهد بها اليّ ربي، ألست من سلالة رسول الله؟ فلماذا تقومون إذا لذبحي ولأي سبب حكمتم عليّ بالقتل ورفضتم الاعتراف بالحقوق التي يقتضيها شرف انتسابي؟).

وكانت فصاحة عباراته المؤثرة وكمال هيئته قد أدهشت سامعيه. وبقي ضيفا عندهم ثلاثة أيام وثلاث ليال، استضافوه بكل إكرام واظهروا له فيها منتهى الاحترام. وكانوا يأتمون به في صلاتهم ويستمعون لنصائحه. ومع انهم كانوا يتظاهرون بإطاعتهم له، فانهم كانوا سراً يتآمرون على قتله ويتشاورون في إبادة باقي أصحابه. وهم كانوا يعلمون انهم لو أرادوا ان يوقعوا عليه أقل ضرر بينما أصحابه موجودون داخل القلعة، فانهم يعرضون أنفسهم لخطر أكبر من الخطر الذي يواجهونه به. وكانوا يرتعدون من هياج وانتقام نسائهم كخوفهم من شجاعة ومهارة رجالهم. وقد علموا ان جميع موارد وقوات الجيوش عاجزة عن إخضاع فئة من الشبان القاصرين والشيوخ المسنين. بحيث لا يمكن إحراز

النصر عليهم نصرا مؤكدا بغير تدبير الحيلة. وكان الخوف الذي ملأ القلوب منهم ناتجا من ان زين العابدين خان كان دائما يحرّض أتباعه حتى لا تخبو نيران حقدهم التي اشتعلت في صدورهم. واعتقد ان نصائح وحيد المتكررة ربما أثرت فيهم بسحرها المعهود وحوّلتهم لطاعة مثل هذا الخصم البليغ. وكان زين العابدين خان وأصحابه قد عوّلوا أخيرا على ان يطلبوا من وحيد ان يرسل بخط يده رسالة لأصحابه المقيمين في القلعة يخبرهم فيها بحصول الصلح على الخلاف القائم بين الفريقين وانهم مخيرون إما ان ينضموا إليه في المعسكر أو يرجعوا الى منازلهم. ومع ان وحيد كان مترددا في قبول مثل هذا الطلب، إلا انه اضطر أخيرا على الموافقة. وفي رسالة أخرى أرسلها سراً أخبر أصحابه ان لا ينخدعوا بتدابير الأعداء، وحذّرهم من انطلاء الخدعة عليهم. وأعطى الخطابين الى الحاجي سيد عابد وأمره ان يمزق الخطاب الأول ويرسل الثاني الى أصحابه. وأمره ان يطلب من الشجعان منهم ان يخرجوا في جنح الليل ويشتتوا شمل العدو.

وما كاد الحاجي السيد عابد يستلم هذه التعليمات حتى سلّمها الى زين العابدين خان، فحرضه ان يسرع بتسليم الخطاب الأول الى المقيمين في القلعة وان يأمرهم بالتفرق ووعده بالمكافأة العظيمة. فسلّم الرسول الخائن الخطاب الأول الى أصحاب وحيد وأخبرهم ان الرئيس قد استطاع ان يجذب الى الأمر جميع الجيش، وانه بناء على ذلك ينصحهم ان يتوجهوا الى منازلهم. ومع انهم انزعجوا من مثل هذه الرسالة، إلا انهم لم يتمكنوا ان يخالفوا أمر وحيد الذي

كان واضحا للغاية. فتفرقوا مترددين وتركوا كل الحامية بدون حراسة. وإطاعة لأمر رئيسهم الكتابي طرح الكثيرون أسلحتهم وعادوا الى نيريز.

ولما كان زين العابدين خان واثقا من قرب إخلاء القلعة، أرسل كتيبة من جنده ليمنعوا الأصحاب من دخول المدينة. وحاصرهم الجند الذين أتوا من جهة المعسكر. وإذ رأوا أنفسهم محصورين جاهدوا بكل قواهم ان يصدوا الهجوم وان يدخلوا المسجد بسرعة، وبما كان مع البعض منهم من الأسلحة والبنادق وبالعصي التي كانت مع البعض الآخر وبرشق الأحجار اجتهدوا في دخول المدينة، وارتفع النداء ثانيا بقولهم (الله أكبر) وكانت هذه الدفعة أقوى وأشد من المرات السابقة. وكانت النتيجة ان استشهد البعض وتمكن الباقون من الالتجاء الى الجامع، ولو انهم كانوا مجروحين مغلوبين من جراء الهجوم عليهم من النجدات التي وصلت الى أعدائهم.

وفي هذه الأثناء كان الملا حسن المشهور وهو ابن الملا محمد علي، أحد ضباط جيش زين العابدين قد سبق أخصامه وكمن لهم مختبئا في إحدى منارات الجامع، منتظراً ورودهم. فلما اقترب الأصحاب المشتتين الى الجامع أطلق عليهم الرصاص، فعرفه أحد الأصحاب وهو الملا حسين، وصاح (الله أكبر) وطلع الى أعلا المنارة وصوب بندقيته على ذلك الضابط الخائن، فجرح وتجندل في الأرض. وأخذه ذووه الى مكان آمن ليتمكن فيه من تضميد جروحه.

ولما لم يجد الأصحاب فائدة من الاحتماء في الجامع اضطروا الى الاختفاء في أي مكان حصلوا عليه حتى يتحققوا من مصير رئيسهم. وخطر

لهم بعد خدعتهم هذه ان يبحثوا عنه وينفذوا ما يأمرهم به. وكانوا غير ملمين بما أصابه وخشوا ان يكون الأعداء قد قتلوه.

وبعد ان تشجع زين العابدين ورهطه بسبب تشتت أصحاب وحيد، أخذوا يفكرون في الطريقة التي تخلصهم من اليمين التي حلفوها وان يشرعوا في ذبح وحيد خصمهم اللدود، وأرادوا ان يصلوا الى غرضهم الذي طالما كانوا يتمنونه. وأثناء مداولاتهم، قام رجل اسمه عباس قلي خان وهو مشهور بالقسوة والغلظة وأكد للجماعة انه إذا كان اليمين الذي حلفوه يزعجهم، فانه مستعد لتنفيذ ما لا يقدرون عليه، لأنه لم يشترك معهم في هذا الحلف. وقال وهو محتد بسورة الغضب (اني أقدر ان أقبض على أي شخص يخالف شريعة البلاد وأن أقتله). ونادى في الحال جميع الذين قُتل أقاربهم لتنفيذ حكم القتل الذي صدر على وحيد. فكان أول من تقدم الملا رضا، الذي قبض شيخ الإسلام في بوانات على أخيه الملا باقر، وتقدم آخر اسمه صفر كان أخوه المدعو شعبان قد قتل. وثالث يدعى أقا خان كان قد هلك أبوه علي أصغر خان في المعركة وهو أخ زين العابدين خان الأكبر.

ورغبة في تنفيذ الحكم الذي صدر من عباس قلي خان، جاء هؤلاء الثلاثة وطرحوا العمامة من رأس وحيد ولفوها على رقبته وأوثقوه بجواده وسحبوه بهذه الكيفية في جميع الشوارع[13]. وتذكّر الناس إذ رأوا وقوع هذه الإهانات على وحيد، ما حصل من المأساة للإمام الحسين الذي ترك جسده للعدو الطاغي حتى ديس بجمهور من الخيالة بدون رحمة. وكانت النسوة في نيريز قد اجتمعن حول جسم وحيد وأخذ منهن التعصب كل مأخذ وتهيجن للنهاية من

أصوات الانتصار التي كان ينادي بها العدو السفاك. وأخذن في الرقص والفرح وسط دق الطبول والدفوف وهن يهزأن بالكلمات التي كان يتفوه بها وحيد في شدة حزنه، وهي الكلمات التي كان الإمام الحسين ينطق بها في الظروف المماثلة (أنت تعلم يا محبوبي اني تركت العالم لأجلك واتكلت عليك ولا صبر لي إلا ان التحق بك لأني رأيت وشاهدت جمال وجهك وانك ترى وتشاهد ما عاملني به ذلك الشرير. واني لن أخضع لرغبته ولن أبايعه).

وبهذه الكيفية أنهى وحيد حياته الشريفة الباسلة. وكانت حياته الساطعة المفعمة بالحوادث والتي امتازت بسعة العلم[14] والشهامة الفائقة وروح التضحية النادرة المثال جديرة ان تتوج بمثل هذا القتل الذي أتم به شهادته[15]. وكانت ختام حياته مبدأ للهجوم العام والفتك الذريع الذي وقع على كل من تعلق به واعتقد في دينه، وتخصص لهذا العمل الفظيع زيادة عن خمسة آلاف نفر، كانوا يقبضون على الناس ويضعون في أيديهم الأغلال ويعذبونهم ثم أخيرا يذبحونهم. وكذلك يقبضون على النساء والأطفال ويعاملونهم بتوحش يقصر القلم عن وصفه. ويصادرون أملاكهم وينهبون بيوتهم ويخربونها. وأحرقت قلعة خاجه وسويت بالأرض وكان أغلب الرجال يرسل الى شيراز مكبلين بالحديد، وهناك يقتلونهم أشنع قتل[16]. وأما الذين كان زين العابدين خان يرجو الانتفاع ماديا منهم، يطرحهم في سراديب مظلمة تحت الأرض وبعد الحصول منهم على المبالغ اللازمة يسلمهم لأيدي الجلادين الذين يرتكبون معهم أقسى أنواع التعذيب[17] وكانوا يعرضونهم في شوارع نيريز على هيئة موكب ثم يعذبونهم بكل ما في الاستطاعة ليسلبوا منهم كل ما لم يمكن سلبه أولا، حتى إذا أشبعوا

مطامعهم يقتلونهم أشنع قتل. فكانوا يكوونهم بالنار ويقلعون أظافرهم ويجلدونهم ويخزمون أنوفهم ويدخلون فيها حبالا يجرونهم منها ويدقون المسامير في أيديهم وأرجلهم بهذه الكيفية الشنيعة وسط الأسواق ليستهزئ بهم ويسخر منهم الجمهور.

وكان من بين هؤلاء السيد جعفر اليزدي الذي كان في الأيام السابقة ذا نفوذ كبير محترما من الجميع. وكان احترامه بالغاً الحد الذي جعل زين العابدين خان يفضله على نفسه ويعامله بالاحترام الزائد. ولكنه أمر بأن تداس عمامته وتلقى في النار. وإذ تجرد من سيماء الشرف سيّروه في الطريق أمام أعين الجمهور الذي مشى أمامه وانهالت عليه الشتائم والإهانة والسخرية[18]. وكان الحاجي محمد تقي الذي اشتهر في السابق بأمانته وعدله، فريسة أخرى لتعذيبهم حتى ان أحكامه كانت تعتبر في نظر كافة قضاة المحكمة بمثابة الكلمة النهائية والقول الفصل. وقد جردوا مثل هذا الرجل العظيم المحترم من ثيابه في الشتاء القارس ورموه في البركة وجلدوه بقسوة. وكذلك كان نصيب كل من السيد جعفر والشيخ عبد العلي، وهو صهر وحيد واكبر علماء نيريز وقاض من أشهر القضاة، وكذلك السيد حسين أحد أعيان المدينة. وبينما كانوا يرتعدون من شدة البرد، كان رعاع الناس قد استؤجروا ليسلطوا على أجسادهم المرتجفة أنواع العذاب. وكثير من الفقراء من الذين ذهبوا ليحصلوا على أجر لمثل هذا العمل، رفضوا تنفيذه لما علموا بكيفيته ورفضوا ان يستولوا على الأجر وعادوا بالسب واللعن[19] على الآخرين. وكانت شهادة وحيد في الثامن عشر من شهر

شعبان سنة 1266 هجرية[20] وبعدها بعشرة أيام أطلق الرصاص على حضرة الباب في تبريز.

الحواشي

(1) وكتب الميرزا جاني (انه بعد مرور بعض الوقت تشرفت ثانيا بمقابلة الأقا سيد يحيى في طهران، فرأيت في وجهه العظيم علامات القوة والمجد مما لم ألاحظه عليه وقت سفري الأول معه الى العاصمة ولا في أي وقت آخر، وعلمت ان هذه العلامات تدل على قرب مفارقته لهذا العالم. وكان يقول فيما بعد مرارا في أثناء حديثه "هذا هو آخر سفري ولن تروني بعد ذلك" وكان كثيرا ما يبدي هذه الفكرة إما صراحة أو بالإشارة، وأحيانا إذ نكون مع بعضنا ويتغلغل بنا الحديث، يقول (ان أولياء الله يقدرون على التنبؤ بمستقبل الحوادث، واني أقسم بذلك المحبوب الذي روحي في قبضته، اني أقدر ان أقول وأعرف المكان والكيفية التي بها أذبح، ومن الذي يذبحني. وما أكبر وأعظم هذه التضحية أن أذبح ويسفك دمي في سبيل ارتفاع كلمة الحق). (التاريخ الجديد صحيفة 115).

(2) وكان حماسه بالغا حد النهاية وممتلئا بمحبة الله، وأراد ان يعرف جميع إيران المجد الفريد والفرح بالحقيقة الأبدية. ويقول الشاعر (الحب والكتمان أمران لا يجتمعان) فكذلك كان هذا السيد يدعو الناس علنا في الجوامع والشوارع والأسواق وفي المحلات العمومية وكذلك في كل جهة يلقى فيها مستمعين. وكان لهذا الحماس ثمرته وكانت الناس تدخل أفواجا في الدين الجديد، وكان الملاوات يضطربون ويشكون الى حاكم المدينة تعديه على الدين. (من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 390).

(3) كان اسمه أقا خان.

(4) الإمام الحسين.

(5) عاشر محرم الذي قتل فيه الإمام الحسين.

(6) 10 مايو سنة 1850م.

(7) ولما ربطوه هو وجواده وظهره مقابل للمدفع، قال لهم (أرجوكم أن تربطوني ووجهي الى المدفع حتى أراه يطلق أمامي). فدهش لذلك جميع الواقفين الذين كانوا ينظرونه وتعجبوا من ثباته وفرحه. والحق يقال ان شخصا يكون مبتهجا في ظروف مثل هذه يكون شديد الايمان والثبات. (التاريخ الجديد صحيفة 117).

(8) ولما رأى أقا خان هروب الثائر، تنفس الصعداء وقال ان تتبع الهاربين ربما يؤدي الى بعض الصعوبات وان الأوفق والأسلم والأنفع والأقل خطرا هو تعذيب البابيين، على ان يكونوا من الأغنياء الذين يبقون في هذه المدينة، فهجم على أغناهم وقتلهم ونهب أموالهم انتقاما للدين الذي نازعوه والذي ما كان يعنيه كثيرا لولا ان ذلك الفعل قد ملأ خزائنه بالأموال. (من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 391).

(9) وقابل أهل نيريز السيد يحيى بكل حماس ولم يمض يومان على وصوله حتى جاءت جموع كثيرة من الناس لرؤيته ليلا خوفا من الحكومة (كما ذكر في كتاب فارس نامه) وقابلوه رغما عنها، وكان كثيرون ممن يقطنون في القرى المجاورة في شنارسوخته قد آمنوا زرافات وهؤلاء جلبوا آخرين حتى عد طلاب شنارسوخته من البابيين فكانوا نحو مائة، وكان شيخهم حاج شيخ عبد العلي صهر السيد يحيى والمرحوم اخوند ملا عبد الحسين رجل متقدم في العمر ومتفقه في الدين والاخوند ملا باقر بيش نماز محلة ملا علي كاتب وملا علي آخر مع اخوته الأربعة والكدخدا وريش سفيد وآخرون من محلة بازار مثل المرحوم مشهدي ميرزا حسين الملقب بالقطب مع جميع أسرته ووالديه والمرحوم أبو القاسم ابن عم الحاكم والمرحوم حاج محمد تقي الملقب بأيوب وميرزا علي رضا بن ميرزا حسين وابن الحاج علي وغير هؤلاء. وكلهم آمنوا، البعض وهم خائفون في الظلام والآخرون بدون أي خوف وفي وضح النهار. (كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 293).

(10) 27 مايو سنة 1850 ميلادية.

(11) وكان يعتلي الكرسي ويصيح قائلا (ألست أنا دائما صاحبكم الذي تعدونه حافظكم وراعيكم؟ أليس بنصحي ورأيي كنتم دائما تسيرون في طريق السلام؟ ألست أنا الذي كنتم دائما تصغون لنصائحي وكلماتي؟ فماذا جرى الآن حتى اعتبرتموني عدوا لدينكم ولأنفسكم؟ فهل حرمت عليكم شيئا مباحا أو حللت لكم حراما؟ فما هو الكفر الذي أتيته؟ وأي خطأ وجدتم في؟ والآن لأني أقول لكم الحق ولأني أردت أن أعلمكم، لذلك يظلمونني ويعذبونني. وان قلبي يحترق حبا لكم، وها أنتم تريدون قتلي. ألا فاعلموا ان كل من يحزنني فانه يحزن جدي محمد رسول الله الباهر وكل من يأتي لمساعدتي يساعده، فباسم كل ما هو مقدس عندكم كل من يحب الرسول يتبعني). (السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 395).

(12) ومع ان الخسائر في هذه المرة كانت متكافئة تقريبا، فان العساكر الشاهانية كانت تتوجس خيفة. فان الأمر طال وربما عاد بالفشل على المسلمين، فاضطر هؤلاء الى الركون للحيلة. (من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 403).

(13) وأخذ من يحيى حزامه الأخضر الذي هو علامة الشرف ولفه على عنقه وعقده ثم جره به على الأرض. ثم جاء صفر أخ شعبان الذي قتل في المحاربة ثم أقا خان ابن علي أصغر خان أخ زين العابدين خان. وكان المسلمون قد أهاجهم المنظر فرجموا المساكين بالأحجار وضربوهم بالعصي. ثم قطعوا رأسه وسلخوا الجلد وحشوه تبنا، ثم أرسلوا هذه الرفات الى شيراز. (السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 406).

(14) وتبعا لشهادة عبد البهاء، كان يحفظ غيبا ما لا يقل عن ثلاثين ألف حديث. (من نسخة خطية في شهداء البهائية).

(15) يشير إليه بهاءالله في الإيقان صحيفة 188 بقوله (كان وحيد عصره وفريد زمانه) وقال الباب في الدلائل السبع عنه (وانظر أيضا عدد اسم الله سيد يحيى فهذا الرجل كان يعيش ساكنا طاهرا على شأن لم ينكر أحد علمه ومعرفته وتقواه من الأحباب أو الأعداء وكان الكل يجلونه ويعظمونه لعلومه وعلو كعبه في الفلسفة، فانظر في تفسير سورة الكوثر

وغيرها من الكتب التي حررت من أجله التي تشهد بارتفاع درجته وقرب منزلته عند الله. (كتاب الدلائل السبع ترجمة نقولاس صحيفة 54-55).

(16) وقد خنقوا السيد يحيى بشاله. وكان الذي خنقه أخ لرجلين توفيا في الحصار، وأما باقي البابيين فقتلوا بيد الجلاد. وقد ملئت رؤوس الضحايا بالتبن ونقلوا هذه العلامات معهم للدلالة على شجاعتهم وغلظتهم ومعهم نحوا من أربعين أو خمسين امرأة بابية وشاب كأسرى، وبهذه الكيفية رجع الجيش المنصور الى شيراز. وكان يوم دخولهم في تلك المدينة يوم فرح عام واصطف الأسرى في الشوارع والأسواق ثم أحضروا أمام البرنس فيروز ميرزا الذي كان يتناول الطعام في منزل صيفي يسمى كلاي فرنجي وكان معه مهر علي خان وميرزا نعيم، وتلا الضباط تفاصيل نصرتهم وهنأهم الحاضرون وأمتدحوهم لأجل ذلك. وأما النسوة الأسارى فوضعوهن في خان خارج باب اصفهان وحبسوهن فيه. وأما كيفية معاملتهن بمعرفة من قبض عليهن فتترك للتخمين. (من كتاب مقالة سائح حاشية هـ صحيفة 190 طبعة انجليزية). وحكى شاهد عيان قال: ان ذلك اليوم كان يوم فرح عام وسرور، وكان الأهالي قد انتشروا في المزارع المجاورة ومعهم غذاؤهم وكثير من السكارى شربوا زجاجات عديدة من الخمر سراً. وكان الجو يدوي بأصوات الموسيقى والأغاني من الموسيقيين وعلت أصوات الضحك من بنات الهوى، وكان السوق مزينا بالأعلام والفرح في كل جهة. وحدث فجأة سكوت عام. ورأى الناس 32 جملا محملة كل واحد بمسجونة امرأة أو طفل مربوطين ومطروحين على الملح كالربطة، وحولهم عساكر يحملون حرابا طويلة على كل منها رأس من رؤوس البابية المقتولين في نيريز. وكانت بشاعة المنظر قد هالت أهالي شيراز بشدة وعاد كل منهم حزينا الى منزله. ومر الموكب البشع مخترقا الأسواق لغاية سراي الحاكم. وكان المذكور جالسا في حديقته وقد اجتمع في كشكه المسمى كلاى فرنجي كل من كان في شيراز من الرجال الأغنياء والمشاهير. وقد سكتت الموسيقى وتوقفت الراقصات عن رقصهن. ثم ابتدأ محمد علي خان وميرزا نعيم من أصاغر رؤساء قبيلة اشتركت في الميدان يشرحان تفاصيل أعمالهم العلية وهم يسمون المساجين واحدا بعد الآخر. (من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 407).

(17) ويظهر ويا للأسف ان هذا السفك للدماء لم يكن كافيا لإشباع ضغينة الأعداء وشرهم. ولأن ميرزا زين العابدين خان كان يظن انه مهدد بانتقام الذين قهروا، فلم يترك البقية الباقية من الطائفة على راحة. وتأصل حقده الذي لا ينتهي إلا بموته. ولم يرسل الى شيراز سوى الفقراء من الطائفة، أما الأغنياء فقد حبسهم عنده وأعطاهم زين العابدين لشخص مكلف بتسييرهم في شوارع المدينة وهو يضربهم. وكانوا يتسلون في نيريز بذلك ويصلبون البابيين بأربع مسامير، وكل شخص يأتي بدوره ويشاهد أنواع تعذيب المحكوم عليهم. ويضعون الغاب المحروق تحت الأظافر ويحمون الحديد حتى يكون أحمرا كالنار ويكوونهم أو يمنعونهم من الأكل والشرب ويخزمونهم في أنوفهم ويجرونهم بالحبال كما تجر الدب. (صحيفة 408 من نفس الكتاب).

(18) وقد رآى أقا السيد جعفر يزدي على ان الجلادين أحرقوا عمامته ثم أداروه على الأبواب يطلبون نقودا إحسانا من كل بيت من الملاك. (كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 408).

(19) وكان أقا السيد أبو طالب الذي كان غنيا – قد أتى به مكبلا بالسلاسل – وأرسله حاكم نيريز الى معدن، ودس له السم بمعرفة حاجي ميرزا ناصر وهو الذي في شيراز أمر الباب بتقبيل يد الشيخ أبو تراب. وحبس اثنتان من نساء البابية ثم ذبحتا على بئر. وكان بعض البابية أرادوا الانتقام من ميرزا زين العابدين خان. وذهبوا الى طهران وشكوا الى جلالة السلطان عن الفضائع التي ارتكبها. ولما كانوا على مقربة من طهران وعلى بعد محطتين أو ثلاث، نزلوا للاستراحة إذ قابلتهم قافلة شيرازي قبضت عليهم وأوقفتهم جميعا عدا شخص يدعى زين العابدين الذي وصل الى طهران. وبعثوا بهم الى شيراز وقتلهم البرنس هناك. وقتل من ضمنهم كربلائي أبو الحسن الفاخوري وأقا شيخ هادي عم امرأة وحيد، وميرزا علي وأبو القاسم بن حاج زينا وأكبر بن عابد وميرزا حسن وأخوه ميرزا بابا. (نفس الكتاب صحيفة 408–409).

(20) 29 يونيو سنة 1850 ميلادية.

الفصل الثالث والعشرون

استشهاد حضرة الباب

وانتشرت أخبار المأساة التي بها ختمت حادثة حصار النيريز في طول البلاد وعرضها وأشعلت حماسا مريعا في قلوب الذين سمعوها. وأوقعت جميع أرباب الحل والعقد في حيرة وارتباك وحركت فيهم عِرق اليأس. وكان الأمير نظام، رئيس وزراء ناصر الدين شاه مرعوبا من مظاهر الحماس المتكررة ومن قوة الايمان الشديدة التي لا تتزعزع. ومع ان الجيوش الملوكية انتصرت في كل مكان وأفنت أتباع الملا حسين ووحيد وقضت عليهم قتلا وذبحا على يد الضباط. ولكن مع ذلك، في نظر حكام طهران الماكرين كانت اليد المحركة لهذه البسالة النادرة غير مقهورة وشوكتها لم تكسر بعد، وكانت تلك الطاعة التي يسديها الأحباء المتفرقون لقائدهم المحبوس لا تزال باقية على حالها لم تمس بأذى ولم ينجح أي علاج في تقويض تلك الطاعة أو إبادة الأمر رغما عن الخسائر الفادحة التي تحملوها. وعلى العكس بدلا من إخمادها زادت تلك

الروح اشتعالا ونفوذا أكثر من ذي قبل، وزاد تعلق هذه الطائفة برئيسها[1] وفضلا عن ذلك كان الذي أشعل هذه الروح وغذّاها لا يزال حياً، ورغما عن وحدته كان قادرا على نشر نفوذه لأقصى حد. وكانت الرقابة المستمرة غير قادرة على صد التيار الذي طغى على وجه البلاد، وكان تفكير رئيس وزراء ناصر الدين شاه ان استمرار وجود حضرة الباب بمثابة القوة المحركة له، فإذا أطفئ هذا النور ومنع فيضان ذلك الينبوع فان الزوبعة التي جلبت هذا الخراب والدمار تخمد في ابانها. هكذا كان تفكير الوزير الأكبر لناصر الدين شاه. ولذلك رأى هذا الوزير الأحمق ان أحسن وسيلة لتخليص مملكته من العار الذي لحقها هو قتل حضرة الباب[2].

ولما عزم على إجراء ذلك، دعا مستشاريه وأظهر لهم تخوفه وقلقه وأبان لهم عن وجه الخطة التي اعتمد عليها وقال لهم: (انظروا الى تلك الزوبعة التي أثارها السيد علي محمد الباب في قلوب أهالي البلاد فلا يمكن في نظري إعادة الاطمئنان والسلام الى هذه البلاد إلا بقتله. فمن الذي يقدر ان يحصر عدد الجيوش التي هلكت في سبيل مناوشات الشيخ طبرسي، ومن الذي يقدر ان يحصر المجهودات التي بذلت في سبيل الحصول على النصر، فما كادت تخمد الفتنة التي اشتعلت في مازندران حتى اندلعت نيران فتنة أخرى في إقليم فارس حصل من جرائها عذاب كبير للناس. وما كدنا ننجح في إخماد الثورة التي اجتاحت الجنوب حتى اشتعلت أخرى في الشمال وعمت ورطتها زنجان وما حولها. فإذا كان لديكم علاج لهذا الداء عرفوني به لأن غرضي الوحيد عودة السلام والشرف لأهل بلادي).

فلم ينبس الحاضرون ببنت شفة، سوى ميرزا أقا خان النوري وزير الحربية الذي قال: (بان قتل سيد منفي لأجل أعمال ارتكبها بعض الثائرين عمل بادي الظلم. وذكّر المجلس بمثال المرحوم محمد شاه الذي كان لا يعبأ بالوشايات التي كان يهديها أعداء هذا السيد باستمرار). فغضب من ذلك الأمير نظام واحتج قائلا: (ان مثل هذه الاعتبارات لا تتفق مع الحالة التي نواجهها فان مصالح الحكومة في خطر ولا نقدر ان نسمح بمثل هذه الانقلابات المستمرة. ألم تلجئ الضرورة القصوى والحرص على وحدة المملكة الى قتل الإمام الحسين بيد الذين رأوه مرارا وتكرارا انه موضع محبة جدّه العظيم بدرجة فائقة وكذلك ألجأتهم الى رفض الاعتراف بالحقوق التي كانت سلالته وعزته تتمتع بها، فلا يوجد أي علاج خلاف ما اقترحته لقلع هذا الفساد وإعادة السلام الذي ننتظره).

وإذ لم يعبأ بنصيحة مستشاره، أرسل الأمير نظام الأوامر لنواب حمزة ميرزا حاكم اذربايجان بأن يرسل ويحضر حضرة الباب الى تبريز[3] وكان نواب حمزة مشهورا بين برنسات العائلة المالكة برقة قلبه ودماثة أخلاقه، إلا ان الأمير نظام كان حريصا في كتم غرضه الحقيقي في ذلك الطلب عن البرنس. ولما كان نواب قد ظن ان الغرض هو تمكين حضرة الباب من العودة الى منزله، أرسل أحد ضباطه الموثوق بهم ومعه الحرس الكافي لإحضار حضرة الباب من مقر حبسه في جهريق الى تبريز. وأسلمه الى حراستهم ونبههم الى إسداء أقصى حد من الاحترام إليه.

وكان حضرة الباب قبل وصول الضابط بأربعين يوما الى جهريق قد جمع أوراقه والألواح التي معه ووضعها مع قلمه ودواته وأختامه وخواتيمه العقيقية في صندوق وسلمها للملا باقر أحد حروف الحيّ وأعطاه أيضا خطابا يسلمه للميرزا احمد كاتب وحيه، وفيه وضع مفتاح الصندوق وأوصاه بان يتحفظ على الوديعة، وأكد له قداسة محتوياتها وان يخفي الوديعة عن أي شخص خلاف ميرزا احمد. ورحل ملا باقر تواً الى قزوين ووصل تلك المدينة بعد ثمانية عشر يوما، وعلم ان ميرزا احمد رحل منها الى قم، فتبعه إليها حالا ووصلها في أواسط شهر شعبان[4].

وكنت في قم مع شخص يدعى صادق التبريزي الذي أرسل إليه ميرزا احمد وطلب منه ان يحضرني من زرند. وكنت أقطن في منزل واحد مع ميرزا احمد الذي أجّره في قسم باغ بنبه. وكان يقطن معنا في تلك الأيام الشيخ عظيم وسيد إسماعيل وكثير من الأصحاب. فأعطى ملا باقر الأمانة الى ميرزا احمد، وهذا فتحها بناء على طلب الشيخ عظيم أمامنا، وقد عجبنا إذ رأينا من بين الأشياء التي في الصندوق، ملف ورق أزرق من أغلى أنواع النسيج وأرقها، وفيه دبّج حضرة الباب بخط يده البديع من نوع الشكسته وعلى هيئة مثمن نحوا من خمسماية آية جميعها عبارة عن اشتقاقات من كلمة بهاء[5] وكان الملف بحالة صيانة تامة ونظافة فائقة يظهر عليه من أول نظرة انه مطبوع لا مخطوط. وكانت الكتابة بغاية الدقة. وإذا نظرت من بعد يظهر عليها كأنها قطعة من الحبر على الورق. وقد أخذنا العجب من هذه القطعة المكتوبة التي لا يقدر أي كاتب ان يأتي بمثلها. فأعيد هذا الملف الى مكانه وأعطي للميرزا

احمد وتوجه به في نفس اليوم الى طهران. وقبل ارتحاله أخبرنا ان كل ما يمكنه ان يبوح به، هو ان الرسالة تأمر بتوصيل الأمانة الى يد جناب البهاء في طهران[6]. أما أنا فأمرني ميرزا احمد أن أعود الى زرند وأقابل والدي الذي كان ينتظرني بشوق.

ونفذ ذلك الضابط الأوامر التي وصلته من نواب حمزة ميرزا، وأوصل حضرة الباب الى تبريز وعامله بمنتهى درجة الاحترام.

وأمر البرنس أحد أصحابه في إعداد منزله لحضرة الباب وأمره أن يعامله بغاية الإجلال. وبعد مرور ثلاثة أيام من وصول حضرة الباب، جاء أمر جديد من الوزير الكبير للبرنس ان ينفذ حكم الإعدام على المسجون يوم وصول الفرمان إليه، وكذلك على أي شخص يعلن اعتقاده فيه، وأصدر أمره الى القوة التي كانت تحت رياسة سام خان الأرمني، رئيس فرقة الأرامنة ان تطلق عليه الرصاص في ساحة العسكرية في تبريز وهي الكائنة وسط المدينة.

وكان البرنس قد أظهر دهشته لحامل الفرمان ميرزا حسن خان وزير النظام وأخ الوزير الأكبر وقال له (كان الأجدر بالأمير ان يأمرني بإجراء أعمال أهم من التي يطلبها. فالعمل الذي أوكله اليّ عمل لا يجريه إلا الأنذال. فلست أنا ابن زياد ولا ابن سعد[7] حتى يأمرني أن أذبح شخصاً بريئاً من سلالة رسول الله). فأبلغ الميرزا حسن خان أخاه برفض البرنس، فأمره أخوه أن يجري بنفسه الفرمان بتمامه حالا وبدون توان، وقال له (خلصنا من هذا الانتظار الذي ثقل على قلوبنا وانْهِ هذه المسألة قبل حلول شهر رمضان حتى نستعد للصيام بهدوء البال وبغير اضطراب). وأراد ميرزا حسن خان ان يوصل هذه

التعليمات الجديدة الى البرنس ويعلمه بها، ولكنه خاب في مسعاه لأن البرنس رفض مقابلته بالكلية مدعيا المرض. فلم يعبأ برفض البرنس وأصدر أوامره ان ينقل حضرة الباب مع حاشيته من المنزل الذي يقطنه الى إحدى غرف المعسكر. وأمر سام خان ان يرسل عشرة من رجاله ليحرسوا مدخل الغرفة التي حبس فيها، ونزعت من حضرة الباب عمامته والحزام وهما علامتا الشرف والنسبة. وأخذوه مع سيد حسين كاتب وحيه الى غرفة أخرى أعدت لحبسه. وكانت هي نذير الساعة الأخيرة التي كان دائما يتمناها. وقد ظهر في مدينة تبريز في ذلك اليوم هياج واضطراب شديد وجاءت الطامة الكبرى التي تظهر يوم القيامة حسب اعتقاد الناس، فلم تشهد تلك المدينة مطلقا يوما عبوسا قمطريرا أخذ فيه الاضطراب جميع الأهالي مثل ذلك اليوم الذي أحضر فيه حضرة الباب الى مكان استشهاده. وإذ اقترب حضرة الباب من ساحة المعسكر، ظهر فجأة شاب اخترق الزحام مقتحما كل الصعاب والمخاطر التي تواجه مثل هذا العمل، وكان وجهه شاحبا وهو حافي القدمين وأشعث الشعر، وإذ كان ينهج من التعب وهو منتهك القوى، رمى نفسه على أقدام حضرة الباب وأمسك بطرف ردائه وتضرع إليه بحرقة قائلا: (لا تبعدني عنك يا سيدي أينما ذهبت فاجعلني أتبعك). فقال له حضرة الباب (يا محمد علي، قم وتأكد انك ستكون معي، وغدا ستشاهد ما يقضي به الله). وكذلك هجم اثنان من الاتباع وأكدا إليه طاعتهما وتعلقهما به، فقبض على هذين الشخصين ومعهما محمد علي الزنوزي ووضع الجميع في غرفة واحدة مع حضرة الباب والسيد حسين.

وسمعت السيد حسين يقرر الآتي (في تلك الليلة أضاء وجه حضرة الباب فرحاً وتهلل سروراً لم يشاهد عليه من قبل. وكان يتكلم معنا بالفرح والانبساط غير مبال بالعاصفة التي أثيرت حوله. واختفى الحزن الذي كان يثقل عليه، ويظهر أن أثقاله قد ذابت أمام اليقين بالنصر الآتي. وقال لنا "باكر سيكون يوم استشهادي، فمن منكم يقوم الآن وبيديه ينهي حياتي، فإني أفضل أن أذبح بيد حبيب بدلا من العدو". فانهمرت الدموع من أعيننا عندما سمعنا ذلك الطلب وكنا نجفل من فكرة إنهاء حياة ثمينة مثل حياته بأيدينا. وامتنعنا وبقينا ساكتين. ولكن ميرزا محمد علي قام فجأة وأعلن استعداده بإطاعة كل ما يأمر به حضرة الباب. فقمنا وأجبرناه على الامتناع من تنفيذ ذلك، فقال حضرة الباب (ان هذا الشاب الذي قام لينفذ مشيئتي سوف يحصل معي على الشهادة وهو الذي أختاره ليشاركني في فخر لبس تاج الشهادة).

وفي الصباح المبكر، أمر ميرزا حسن خان أن يأتي الفراش باشي بحضرة الباب ويحضره أمام كبار مجتهدي المدينة ويحصل منهم على الحكم بالإعدام[8]. ولما شرع حضرة الباب في مغادرة المعسكر، سأله السيد حسين ماذا يعمل. فنصحه قائلا (لا تظهر إيمانك حتى يمكنك في الوقت المعلوم أن تخبر الذين خصصوا لسماع الأمور التي لا يعرفها أحد سواك). وكان السيد حسين مشتغلا بمحادثة سرية معه، إذ جاء (الفراش باشي) لأخذه، وقطع عليهما الحديث وأمسك السيد حسين من يده وسحبه جانبا وأخذ في توبيخه، فأشار حضرة الباب الى (الفراش باشي) وحذره قائلا (الى أن أكون قد أتممت كل ما أريد أن أقوله للسيد حسين لآخر كلمة، لا تقدر أي قوة أرضية ان

تمنعني من ذلك، ولو اجتمع العالم كله كجيش واحد حولي لن يقدر أن يمنعني من إتمام ما أقصده من الأقوال الى آخر كلمة). فدهش الفراش باشي من مثل هذا التحدي الجريء ولم يرد الجواب، بل أمر السيد حسين ان يقوم ويتبعه منصرفا. ولما أدخل الميرزا محمد علي أمام مجمع المجتهدين، ألحوا عليه بالنسبة لمقام نسبه للسيد علي الزنوزي صهره أن يرتد عن إيمانه. فصاح قائلا (لا يمكن أبداً أن أرفض سيدي. فهو جوهر إيماني وهو مقصود عبادتي الحقة وفيه وجدت جنتي وفي اتباع شريعته استدللت على سفينة نجاتي). فأرعد الملا محمد مامقاني قائلا له (اسكت، ان مثل هذه الكلمات تدل على جنونك، واني أغفر لك هذه الكلمات التي لست مسئولا عنها). فأجابه قائلا (لست مجنونا، ان مثل هذه التهمة أولى بها من حَكم بالقتل على من لا يقل قداسة عن القائم الموعود. فليس مجنونا من يتبع دينه ويشتاق ان يسفك دمه في طريقه). ثم أحضر حضرة الباب أمام الملا محمد المامقاني. وما كاد يعرف انه هو حضرة الباب، حتى أعطى حكم الإعدام الذي سبق ان كتبه، وسلمه لخادمه ليعطيه للفراش باشي. وصاح قائلا (لا حاجة لإحضار السيد الباب أمامي. فان حكم الإعدام كتبته بيدي منذ أول يوم قابلته في الاجتماع الذي كان تحت رياسة ولي العهد. فهو بكل تأكيد نفس الرجل الذي رأيته هناك ولم يتنازل منذ ذلك الوقت عن أي شيء من ادعاءاته).

ومن هناك ساروا بحضرة الباب الى منزل ميرزا باقر بن ميرزا احمد الذي خلفه. ولما وصلوا، وجدوا خادمه واقفا على الباب ومعه في يده حكم

الإعدام، وقال لهم: لا داعي للدخول، فان سيدي قد اقتنع بالحكم الذي أصدره والده بالإعدام وهو لا يقدر ان يعمل شيئا أحسن من الموافقة عليه.

واقتفى الملا قلي مرتضى، أثر المجتهدين الآخرين وسبق ان كتب موافقته، ولم يقبل ان يقابل حضرة الباب مواجهة. وما كاد الفراش باشي يحصل على الأحكام المذكورة، حتى أسلم المسجون الى يد سام خان وأمره ان يتقدم للتنفيذ، حيث تحصّل على حكم السلطات المدنية والدينية في المملكة.

وكان السيد حسين قد مكث محبوسا في نفس الغرفة التي صرف فيها الليلة السابقة مع حضرة الباب، وكانوا قد رأوا وضع ميرزا محمد علي في نفس الغرفة، فانهمرت عيونه بالبكاء وطلب ان يبقى مع سيده، فسلّموه الى سام خان وأمروه أن ينفذ فيه الحكم أيضا، إذا أصر على عدم ارتداده عن دينه.

وكان سام خان في الأثناء قد تأثر جدا من حسن سلوك المسجون ومن المعاملة التي عومل بها. وإذ خشي ان يكون عمله جالبا لغضب الله، قال لحضرة الباب (اني أعتنق الديانة المسيحية ولا أحمل لك أي ضغينة، فإذا كان أمرك الحق، فمكنّي من عدم سفك دمك وتخليص نفسي). فقال له حضرة الباب (اتبع التعليمات التي أعطيت لك، وإذا كان مقصدك صادقا فان القدير يمكّنك أن تتخلص من اضطرابك).

وكان سام خان قد أمر أن يدق مسمار في العمود الذي يفصل باب الغرفة التي يشغلها سيد حسين عن مدخل الغرفة المجاورة، وان يربط حبلان في هذا المسمار ويعلق حضرة الباب وصاحبه، كل واحد في حبل مفترقين[9]. فرجا ميرزا محمد علي من سام خان، ان يوضع بطريقة يكون جسمه درعا لجسم

حضرة الباب[10]. فعلق أخيرا على هذه الكيفية، بحيث كانت رأسه على صدر سيده. وبمجرد ربطهما اصطف الفيلق ثلاثة صفوف، وكل صف عبارة عن مائتين وخمسين رجلا، وأمر كل صف ان يطلق الرصاص بدوره، الى ان يتم إطلاق جميع رصاص الفيلق[11]. فارتفع دخان الرصاص من سبعمائة وخمسين بندقية وامتلأ الجو بالدخان حتى أظلمت الظهيرة. وكان الناس قد اجتمعوا في كل مكان حتى على أسقف المعسكر والمنازل المجاورة. وشهد هذا الحادث المحزن المؤثر ما يقرب من عشرة آلاف نفس.

وما كاد الدخان ينقشع، حتى دهش الجمهور إذ رأى لفرط تعجبه ان صاحب ورفيق الباب كان واقفا حياً أمامهم ولم يصب بأي ضرر، وأما حضرة الباب فاختفى من أمامهم بغير ان يصاب بأذى. ومع ان الحبال التي ربطا بها تقطعت إرباً، فانهما لم يصابا بأي ضرر، وكانت نجاتهما من المقذوفات إحدى المعجزات[12]، وحتى الرداء الذي كان يلبسه ميرزا محمد علي، لم يصبه أي ضرر ولم يتسخ رغم تكاثف الدخان. وصاحت الجماهير المحتشدة بانزعاج (ان السيد علي محمد الباب اختفى). وجعلوا يبحثون عنه وهم في ذعر وكرب. وأخيراً وجدوه جالساً في نفس الغرفة التي كان فيها الليلة الماضية مشغولا بإكمال الحديث الذي كان يريد إكماله والإفاضة به للسيد حسين حينما قطعه عليهما الفراش باشي. وكانت تظهر على وجهه إمارات الهدوء والسكينة وكان جسمه قد بقي سليما من الرصاص الذي قذفته صفوف الفيلق. وقال حضرة الباب إذ ذاك للفراش باشي (ان حديثي مع السيد حسين قد انتهى، فتقدم الآن وكمّل مقصدك). فتردد الرجل في تنفيذ ما سبق له الاجتهاد في عمله ورفض

ان يؤدي واجبه. وفي تلك اللحظة ترك المكان واستعفى من عمله وأخبر بكل ما رآه أحد جيرانه المدعو ميرزا سيد محسن من أعيان تبريز الذي بمجرد سماعه للرواية آمن بالأمر.

وكان لي الحظ أن أقابل فيما بعد الميرزا سيد محسن هذا، وقد أرشدني الى مكان استشهاد حضرة الباب ودلني على الحائط التي علق عليها. وأخذني الى الغرفة التي كان يتحدث فيها مع السيد حسين وأراني المكان الذي كان جالسا فيه. ورأيت المسمار نفسه الذي ربط به الحبل الذي أوثق به بيد الأعداء.

وكان سام خان أيضا قد صعق من حصول الحادثة على هذه الكيفية ومن قوة الأمر المخيفة. فأمر رجاله أن يتركوا المعسكر في الحال وامتنع ان يتداخل هو أو فيلقه في أي عمل يحصل منه أي ضرر لحضرة الباب. وحلف وهو يترك الساحة انه لا يعود مرة أخرى لهذا العمل ولو حكموا عليه بالإعدام.

وما كاد سام خان يمتنع عن العمل، حتى تقدم أقا جان خان خمسه ضابط الحرس الذي يسمى بالخمسه والناصري وتطوع لتنفيذ الأمر. فعلق حضرة الباب وصاحبه مرة أخرى بنفس الكيفية السابقة وعلى نفس الحائط، وأصطف الفيلق صفوفا واستعدوا لإطلاق النار عليهما. وعلى العكس من المرة الأولى التي قطعت فيها الحبال فقط، فقد تمزق الجسدان إرباً واختلطا كتلة واحدة لحماً وعظماً[13]. وكانت آخر كلمات حضرة الباب للجماهير المحتشدة حينما كان الجيش على شفا إطلاق الرصاص (أيها الجيل الملتو، لو آمنتم بي لأصبح كل واحد منكم مثل هذا الشاب الذي هو في درجة أعلى منكم يضحي

بنفسه في سبيلي. وسيأتي اليوم الذي سوف تعترفون بي فيه وفي ذلك اليوم لا أكون معكم[14]).

وفي نفس اللحظة التي أطلق فيها الرصاص، جاءت زوبعة شديدة غير عادية وانتشرت في كل أنحاء المدينة. وهبت زعازع ترابية كثيفة مخيفة حجبت نور الشمس وحجبت عيون الناس حتى لم تر شيئا. وبقيت المدينة في ظلام حالك من الظهر الى الليل. وكان هذا الحادث العجيب الذي أعقب حادثة عجز كتيبة سام خان عن إيصال الضرر بحضرة الباب، لم يحرك قلوب أهالي تبريز ليجعلهم ينتبهون أو يعتبرون لما شاهدوه بأعينهم من تلك المعجزة العجيبة، وما شاهدوه من التأثير العظيم الذي حصل لسام خان من جرائه وما رأوه من انصعاق الفراش باشي وتصميمه النهائي الذي لا رجوع فيه. وكان يمكنهم أيضا ان يفحصوا ذلك الرداء الذي بقي سليما رغم إطلاق مئات الرصاص عليه ولم يتلوث بأي غبار، وكانوا يقدرون ان يقرءوا في وجه حضرة الباب الذي خرج من هذه العاصفة سليما لم يصب بأقل ضرر، ذلك الاطمئنان الكلي والهدوء والسكينة التي أكمل بها حديثه مع السيد حسين، وبالعكس من ذلك لم يعبأ أحد منهم ان يبحث في دلالة كل هذه العلامات والإشارات.

وقد وقع استشهاد حضرة الباب في يوم الأحد ظهراً في الثامن والعشرين من شهر شعبان سنة 1266 هجرية[15]، وكان عمره إذ ذاك إحدى وثلاثين سنة قمرية وسبعة أشهر وسبعة وعشرين يوما من يوم ميلاده في شيراز.

وفي مساء اليوم نفسه كانت جثتا حضرة الباب وصاحبه المختلطتان قد نقلتا من ساحة المعسكر الى حرف الخندق خارج باب المدينة، وكان يحرسهما

أربعة فصائل، كل واحد مكون من عشرة حراس بالتناوب. وفي صبيحة اليوم التالي للاستشهاد، ذهب قنصل روسيا في تبريز ومعه رسّام ورسم صورة لبقايا الجسدين الموجودة في الخندق[16] بوضعها الطبيعي.

وسمعت الحاج علي عسكر يحكي الآتي (ان موظفا في السفارة الروسية أطلعني على الصورة في ذات اليوم الذي رسمت فيه، وكانت صورة حقيقية لحضرة الباب تمثل هيئته تماما كما كنا ننظر إليها. ولم يصب الوجه بأي رصاصة ولا الجبهة ولا الخد ولا الشفتان. وشاهدت ابتسامة كانت لا تزال باقية على وجهه. أما جسمه فقد تقطع إرباً، وشاهدت ذراعَي ورأس صاحبه ويظهر انه كان يحتضنه. ولما نظرت الى هذه الصورة المشوهة ورأيت كيف ان هذه الملامح الشريفة قد تغيرت، انقطع نياط قلبي داخلي من شدة انزعاجي ولم أتمالك النظر من شدة الحزن. وعدت الى منزلي وأغلقت على نفسي باب الغرفة ومكثت ثلاثة أيام لا أشتهي الأكل ولا النوم وصرت مستغرقا في حزني وبلائي، ومكثت أتفكر في حياته القصيرة الممتلئة بالأوجاع والمتاعب والأحزان والنفي، والتي انتهت أخيرا بذلك الاستشهاد المخيف الذي تتوج به، وكانت هذه المناظر تتردد في خيالي وأمام عيني إذ كنت منطرحا على الفراش أئن من الآلام والأوجاع).

وفي عصر اليوم التالي بعد استشهاد حضرة الباب، وصل الحاجي سليمان خان بن يحيى خان، الى باغ ميشي، وهي ضاحية من ضواحي تبريز، ونزل ضيفاً على كلانتر أحد أصدقائه وموضع ثقته، وكان درويشا متعلقا بالطائفة الصوفية. وما كاد يعلم بالخطر المحدق بحياة حضرة الباب حتى ترك

طهران بقصد تخليصه. ولما أخبره مضيفه بالأحوال والحوادث التي وقعت على حضرة الباب والحكم عليه واستشهاده، عزم حالا ان يحمل الجثتين ولو كلفه ذلك ضياع حياته. فنصحه الكلانتر ان ينتظر ويعمل برأيه بدلا من تعريض نفسه الى قتل محقق. وطلب منه ان ينقل إقامته الى منزل آخر وينتظر هذا المساء وصول الحاجي الله يار، وهو يقبل ان ينفذ كل ما يطلب منه. وفي الساعة المعينة حضر الحاجي الله يار، وقابله الحاجي سليمان خان ونجح الأول في منتصف الليلة نفسها في نقل الجثتين من طرف الخندق الى معمل حرير، ملك أحد أحباء ميلان، ووضعهما ثاني يوم في صندوق خشبي عمل خصيصا لهذا الغرض، ثم نقله بناء على طلب الحاجي سليمان خان الى محل آمن. وفي الأثناء أشاع الحراس ان الوحوش أكلت الجثتين وهم نيام، تبريراً لموقفهم[17]، وكذلك رؤساؤهم أخفوا الحقيقة ليحافظوا على شرفهم ولم يقبلوا أن يظهروا الحقيقة لأرباب السلطة[18].

وكتب الحاجي سليمان خان بالموضوع الى حضرة بهاءالله، الذي كان إذ ذاك في طهران، والذي أمر أقاي كليم ان يوفد رسولا خاصا الى تبريز لحمل الجثتين الى العاصمة. وكان ذلك الأمر بناء على رغبة حضرة الباب نفسه، كما في زيارة شاه عبد العظيم، وهو لوح نزل بينما كان في جوار ذلك الضريح، وسلّمه حضرة الباب الى الميرزا سليمان الكاتب الذي أمره فيه ان يتوجه الى ذلك المكان مع بعض الأحباء ويرتله داخل الضريح. وخاطب حضرة الباب ذلك الصديق المدفون هناك في الفقرات الأخيرة من اللوح بقوله (طوبى لك بما

وجدت في مستقرك ومرقدك في الري تحت ظلال المحبوب. فوا شوقي ان أدفن في هذه الأرض المقدسة)[19].

وكنت في طهران في صحبة ميرزا احمد إذ وصلت الجثتان، وكان حضرة بهاءالله في هذه الأثناء قد سافر الى كربلاء حسب تعليمات الأمير نظام. وكان الأقاي كليم وميرزا احمد قد نقلا الجثتين من إمام زاده حسن[20]، وهو المكان الذي كانتا فيه الى مكان لم يكن معلوما لأي شخص غيرهما. وبقي هذا المكان مجهولا مختفيا الى ان انتقل حضرة بهاءالله الى ادرنة، وهناك أمر الأقا كليم أن يخبر "منير" أحد الأحباء بالمحل الحقيقي الذي فيه الجثتان. فبحث هذا الأخير عنهما كثيرا ولم يجدهما، وأخيرا عثر عليهما أحد قدماء الأحباء، وهو المدعو "جمال" الذي كان قد كشف له عن مكانهما المستور إذ كان حضرة بهاءالله في ادرنة. وهذه البقعة هي للآن مختفية وغير معروفة للأحباء ولا يعلم المحل الذي سوف تنتقلان إليه.

وكان الميرزا أقا خان النوري أول من سمع في طهران بأحوال الاستشهاد القاسي بعد الوزير الأكبر، وكان محمد شاه قد نفاه الى كاشان حينما كان حضرة الباب ماراً في تلك المدينة. وكان الميرزا أقا خان النوري قد أكد للحاجي ميرزا جاني الذي بلّغه الأمر، انه لو كانت المحبة التي يكنها لهذا الأمر تكون سببا في عودته الى وظيفته، فانه يبذل جهده في الحصول على سلامة ورفاهية الفئة المظلومة. فأخبر حاجي ميرزا جاني مولاه بالأمر، فأمره ان يؤكد للوزير المعزول انه سوف يدعى في القريب العاجل الى طهران، وينعم عليه الملك بالرتبة والمقام الذي لا يعلوه مقام سوى الملك نفسه، وحذره من ان ينسى وعده

وان يجتهد في تنفيذ عهده. ففرح بالرسالة وجدد العهد الذي أخذه على نفسه. فلما جاءته أخبار استشهاد حضرة الباب كان قد ترقى وتلقب بلقب "اعتماد الدولة" وكان يطمح في الترقي الى رتبة رياسة الوزراء، فأسرع لإخبار حضرة بهاءالله الذي توثقت عرى المودة بينهما بالأخبار التي وصلته وأظهر اغتباطه بأن النار التي كان يخشى ان تنزل المصائب المفجعة عليه بسببها قد خمدت أخيرا. فأجابه حضرة بهاءالله (ليس الأمر كما تظن، بل تأكد ان الشعلة التي أوقدت سوف يزداد لهيبها ويذكو أوارها واصطلاؤها بدرجة ان جميع ساسة هذه البلاد لن يقدروا على إخمادها ولا إطفائها). وكان الميرزا أقا خان قد أدرك فيما بعد صدق هذه العبارات. وما كان يظن وقت النطق بها ان الدين الذي ابتلى بمثل هذه الطعنة النجلاء سوف يبقى بعد موت رئيسه. وذات مرة أبرأه حضرة بهاءالله من مرض أعجز نطس الأطباء، حتى انهم قطعوا كل أمل في الشفاء.

وسأله ابنه نظام الملك ذات يوم، هل يظن ان حضرة بهاءالله الذي هو من أبناء الوزير المرحوم والذي اظهر كفاءة ممتازة، يقبل ان يقتفي أثر والده في تقلد وظيفته، أو انه أضاع كل الآمال التي كانت متوجهة إليه من هذه الناحية، فأجابه أبوه قائلا (يا بني هل تظنه ابناً غير لائق بأبيه؟ ألا فاعلم ان كل الأماني إنما هي مؤقتة زائلة تنمحي بانتهاء هذه الحياة التي لا تخلو من موانع وعقبات تحول دون تحقيق هذه الأطماع الأرضية. فلو قدر لنا النجاح في هذه الحياة الدنيا فما يدرينا لعل أسماءنا وذكرانا تتدنس باللعنة وتنمحي أعمالنا وتصبح كأنها لم تكن، وكأنها لم تغن بالأمس، حتى ان الذين يكرموننا بألسنتهم وأفواههم ونحن أحياء يلعنوننا في قلوبهم لو اننا أهملنا مصلحتهم

لحظة واحدة. وليس الحال كذلك مع بهاءالله، فهو ليس كباقي العظماء في الأرض من أي جنس أو ملة، وإنما هو محبوب محترم من الجميع بما لا يقدر الوقت أن يمحوه ولا العدو أن يزيله ولا تحجب سلطته وسطوته ظلال الموت ولا يقوض أركانها لسان الحسود. وأما قوة نفوذه فبدرجة لا تدع أحدا من أحبابه يفكر لحظة واحدة حتى في أظلم ساعات الليل بأقل رغبة في مخالفة مراده وأمره ولو بإشارة بعيدة. وأحباؤه دائما في ازدياد. والمحبة التي يسدونها إليه لا تنقص بل تنتقل من جيل الى جيل الى أن ينتشر صيتها في جميع العالم).

والتدبير السيئ الذي قام به العدو المتوحش للإضرار بحضرة الباب والذي أخيرا آل لإنهاء حياته، قد جلب في دوره مصاعب لا تحصى على إيران وأهلها وفي وقت قصير أفجعهم بها. فالذين اقترفوا هذه المظالم وقعوا فريسة للفواجع المبرحة والذين لم يرفعوا إصبعا واحداً في الاحتجاج على الفظاعة والقسوة وقعوا في أحن ومحن لم تقدر جميع موارد البلاد وقوة ساستها ان تخفف من ورطتها. وهبت عليهم زعازع المصائب حتى اهتزت أسس السعادة المادية. فمنذ الوقت الذي امتدت فيه يد الجور على حضرة الباب لتضرب أمره الضربة القاضية، توالت على ظالميه الآفات ومحقت أرواحهم الشريرة وجعلتهم على شفا الإفلاس العام. وانتابتهم الطواعين بشدة وسحقتهم ونشرت فيهم الخراب أينما حلت، مع إنها ما كانت في القديم تعرف بينهم إلا في غابر الأزمان، ولم تذكر في الأسفار إلا نادراً. وأحس بضربتها الأمير قبل الحقير وذّل الجميع لقهرها وسطوتها. فأخذت عموم الناس في قبضتها ولم تزل متفشية فيهم ولم ترفع يدها

عن وثاقهم. واستمرت هذه الآفات المفاجئة تجتاح البلاد، كما انتابت أرض جيلان آفة الحمى التي ضربتها. ولم يقف الغضب الإلهي على الفتك بالآدميين بهذه الآفات، بل تعدى الى المزارع والحيوانات وجعل الناس يشعرون بثقل الوطأة، فشعر بها كل ما يتنفس في تلك الأرض المضروبة. وزادت المجاعة بحيث أصبحت شاملة لجميع طبقاتهم وأزعجت أنظارهم بمناظر الموت البطيء المؤلم. فشربوا كأس العذاب الى نهايته بدون أن يشعروا باليد التي حركته لتعذيبهم ولا بالشخص الذي من أجله جاءتهم هذه النكبات.

حتى ان حسين خان حاكم شيراز الذي كان أول من آذى حضرة الباب وعامله معاملة قاسية تسبب عنها فقد حياة آلاف من الذين كانوا تحت رعايته والذين غضوا النظر عن مساوئه، أصابته مصائب جمّة، فاجتاح اقليمه الطاعون الذي خربها وأهلك في إقليم فارس الحرث والنسل وأقفره وجعله يبابا صفصفاً فجعله يئن من شدة وطأته وهو يستجدي الجيران ويستدعي منهم المساعدة في هذا الخطب الجلل. وشاهد حسين خان نفسه وهو بحالة حزن عميق ان جميع أعماله قد ذهبت هباءً منثوراً وأصبح منبوذا في أواخر أيامه وذهب الى قبره مدحورا منسيا من الأحباب والأعداء على السواء.

وأما الشخص الثاني الذي قام على مقاومة حضرة الباب ووقف في سبيل تقدمه، فكان الحاجي ميرزا أقاسي الذي لأغراض سافلة ولكي يحوز رضا علماء الوقت الأدنياء، حال بين حضرة الباب وبين محمد شاه واجتهد في منع حصول المقابلة بينهما، وهو الذي أمر بنفيه المحزن الى أحد أركان اذربايجان المحصورة وأمعن في إبعاده بمراقبة كلية، وهو الذي نزّل له لوح من المسجون

تنبأ له فيه بمصيره وهلاكه وتعريضه للعار والخزي، ولم تمض إلا سنة ونصف على وصول حضرة الباب الى جوار طهران حتى انتاب الوزير الغضب الإلهي ونزل من سلطانه وجبروته وطرد من عزته والتجأ الى ضريح شاه عبد العظيم طريدا من غضب الناس عليه، ومن هناك طرد منفيا الى خارج حدود وطنه انتقاما بيد القهار وانغمس في بحر من المصائب والآلام الى ان لقى حتفه بغاية الذلة والفقر المدقع.

أما الفرقة التي تطوعت لاعادة رمي حضرة الباب بالرصاص – رغم امتناع سام خان من ذلك لما رآه في الحادثة من العجائب – والتي أطلقت أخيرا على جسمه الرصاص، فان مائتين وخمسين منهم لقوا حتفهم في نفس السنة ومعهم ضباطهم في زلزلة، بينما كانوا يستريحون في يوم قيض تحت ظل حائط في طريقهم بين أردبيل وتبريز، وهم يمرحون ويلعبون، حيث وقعت تلك الحائط عليهم فجأة، ولم تترك فيهم أحدا حياً. أما الخمسمائة الباقون، فقد لقوا حتفهم بنفس الطريقة التي اتبعوها مع حضرة الباب، فانهم بعد استشهاد حضرة الباب بثلاث سنوات، ثاروا وضربوا جميعا بالرصاص بأمر من ميرزا صادق خان النوري. ولم يكتف بالطلقة الأولى بل أمر بإطلاق طلقة أخرى حتى يضمن ان لا يبقى منهم بقية، ومزقت بعد ذلك أجسادهم بالحراب والسنان وتركت معرضة لنظر أهالي تبريز. وفي ذلك اليوم تعجب أهالي تلك المدينة من ان يكون نصيب الذين قتلوا حضرة الباب نفس ما عملوه فيه، وكانوا يتساءلون قائلين (هل يمكن ان يكون الانتقام الإلهي هو الذي أودى بحياة الفرقة بأكملها وأطاح بهم الى هذه النهاية المفجعة، أو ان ذلك قد حصل بطريق الصدفة؟ فإذا كان

هذا الشاب كاذبا، فلماذا انتقم الله من قاتليه انتقاما شديداً). وقد وصلت هذه الأقاويل المريبة الى آذان وأسماع المجتهدين الذين أخذ الخوف منهم كل مأخذ، وأمروا ان كل من يكون عنده هذه الهواجس يعاقب مشددا، فكان البعض يضربون والآخرون يغرمون والجميع يحذرون ان يمتنعوا من الهمس بهذه الأقاويل التي تحيي ذكرى خصم لدود وتعيد اشتعال الحماس لأمره.

أما رئيس الوزراء الأمير نظام الذي دبر جريمة قتل حضرة الباب، وأخوه وزير النظام شريكه في الجريمة، فوقع عليهما في ظرف سنتين عقاب صارم انتهى بموتهما أشنع ميتة. وتلطخ حائط حمّام فين[21] بدم الأمير نظام. والى اليوم يشاهد ذلك دليلا على المظالم التي كانت يده تقترفها[22].

الحواشي

(1) وكان البابيون موجودين في كل مكان وظاهرين، وكانت إيران مملوءة منهم، وكانت النفوس المضطربة من انتقال الأحوال والفلسفة التي تقتضي تغيرا والنفوس المضطربة من الظلم ومتاعب الأوقات الحالية، كل ذلك يرحب بالفكرة والوعود لظهور نظام جديد أرقى وأوفى. ولذلك يظن بحق ان النفوس المضطربة كانت تميل الى العمل ولو حصلت أي فاجعة. وكذلك كان الذين تحملهم شجاعتهم لخوض غمار الحروب والرجال الجسورون الطماعون، انضموا جميعا للصفوف وتمكنوا من تعبئة الجيوش والعسكر. وكان ميرزا تقي خان يلعن ذلك اللين الذي كان سلفه الحاجي ميرزا أقاسي سائرا عليه حتى تفاقم الخطر وظن انه لا يصح بحال استمرار هذه الخطة الخاطئة، وأراد ان يقطع الضرر من جذوره. واقتنع ان المنبع هو نفس الباب المحرك الأول لجميع القوانين التي أتعبت البلاد وأراد ان يقضي على هذا الأساس. (كتاب جوبينو الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى صحيفة 210–211).

(2) ومع ذلك فقد عزم حاجي ميرزا تقي ان يقطع رأس شبح البابية واقتنع انه إذا ضرب هذه الضربة القاضية وأصبح المحرك للاضطراب بعيدا من الميدان ولا يعمل شيئا، فان الأحوال تهدأ وتعود المياه لمجاريها وتسير في سيرها الطبيعي. وفي الحال أمر ذلك الوزير بقتل المجدد وليس ذلك بغريب في مثل تلك الحكومة الآسيوية، وخصوصا من رجل مثل تقي خان الذي لا يهتم باستعمال أقصى ما يمكنه من القسوة، فظن ان أحسن طريق لموته هو القضاء عليه أدبيا. فأحضره من سجنه في جهريق التي كانت آلامه فيها وقداسته وعلومه وفصاحته قد أحاطته كالهالة وجعلته يشرق منها كالشمس المضيئة. وأراد ان يحط

من شأنه أمام الجمهور ورأى ان ذلك أحسن طريق لهدم احترامه، وأراد ان يظهره بمظهر الدجال العادي أو المتنبي الضال الذي لم يكن له من الشجاعة ما يكفي لأن يتعقل، فضلا عن ان يقود الأعمال الجريئة التي صدرت من دعاته الثلاثة أو يشترك فيها. وظن انه إذا أحضر رجلا مثل هذا الى طهران ليواجه أعلم علماء الإسلام، فانه يتعثر في خجله ويتلاشى صيته بدلا من حبس جسمه، بينما شبح رياسته يهيمن على الأرواح تلك الرئاسة الروحية التي لا تمحى بموته. فرتب بذلك طريقة لإحضاره لطهران مكبلا بالحديد وذليلا معرضا للعموم، ويسمح بمناقشته مع جميع الملاوات في كل مكان، ويُلزم بالسكوت عندما يتجرأ بالكلام، وتتألب عليه جملة محاكمات ظالمة تقهره بعد ان يكون قد انتهكت قواه. فيكون كالأسد الذي يراد إضعافه فيسلسل وتكسر أنيابه وأسنانه ليرمى الى الكلاب وهو ينظر كيف يغلبونه، ومتى غلب مرة فلا يهم بعد ذلك أمره. وهذا التدبير غير معقول ولكنه مبني على مقدمات لا يمكن تحقيقها لأنه لا يكفي افتراض كون الباب يعد كرجل مضطرب، بل يجب ان يكون فعلا كذلك. فاما مكثه في جهريق، فلا يدل على ذلك، فقد كان دائم العمل لا تنقصه الشجاعة ولا الثبات. وكان لطفه لا يتغير، وكان الذين يقابلونه يخضعون لتأثير وجهه الساحر وطرائفه ولغته وألفاظه، حتى العسكر الذين كان في حراستهم لم يفهموا هذا الخضوع. أما وفاته فكانت قد حانت لأنه كان يتكلم عن موته تكرارا ليس كفكرة عادية فقط بل كأمر مرغوب فيه. فإذا كان الأمر كذلك، فتسييره في جميع أنحاء إيران على هذا الحال لا يؤول الى انكساره، لأنه ان لم يظهر عليه الغرور أو الخوف فان ذلك يزيد في نصيبه الحاضر، وإذا جيء من المعارف بالمعجزات والخطابات والفصاحة، وإذا استمر الباب ملازما لأنصاره الأولين ورآه المحايدون وحتى الأعداء، فذلك العمل يكون من الخطر العظيم المشفوع بالخسارة. ولهذه الأسباب وبعد التأمل الكبير عدل عن اتباع هذه الطريقة. (الكونت جوبينو الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى صحيفة 211–213).

(3) وكان الوزير الرئيس قد أرسل الى سليمان خان الافشار ان يأمر البرنس حمزة ميرزا الذي كان حاكما في اذربايجان ان ينقل الباب من جهريق الى قلعة تبريز وهناك ينتظر ما يتم عليه. (الكونت جوبينو الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى صحيفة 213).

(4) 12 يونيو – 11 يوليو سنة 1850 ميلادية.

(5) وتبعا لمقالة سائح (صحيفة 42) ذكر الباب ما لا يقل عن ثلثماية وستين اشتقاقا من كلمة بهاء.

(6) وكانت أواخر أيام الباب على الأرض قد اقتربت، وكان يعلم بحصولها من قبل ولم يحزن لهذا الشعور. وكان قد رتب أحوال منزله. أما الأمور الروحانية للطائفة البابية، فقد أوكلها على غالب الظن الى حكمة بهاءالله. وهذا هو الأقرب للصواب من الفكرة القائلة بأن صبح أزل هو الذي جعل حارسا للكتابات المقدسة ومنظما لمرقد الجدث المطهر. ولعل الأزليين على غالب الظن قد جمعوا ما يؤيد ظنونهم. (من كتاب الدكتور جين اتحاد الأقوام والأديان صحيفة 65–66).

(7) وانه من المصادفات العجيبة ان يذكر كلا الاثنين علي محمد والمسيح لتلميذيهما نفس العبارة الآتية (انك ستكون معي اليوم في الفردوس). (من كتاب الدكتور جين اتحاد الأقوام والأديان صحيفة 185).

(8) وفي الصباح وفي وضح النهار، فتح رجال حمزة ميرزا أبواب السجن وأخرجوا الباب ومعه تلميذاه، وتأكدوا من ان السلاسل التي كانت على رقبته وأيديه سليمة، وزادوا عليها طوقا حديديا لكل واحد، وربطوا فيه حبلا طويلا يمسك طرفه أحد الفراشين، لكي يتسنى لكل شخص رؤيتهم. وساروا بهم في المدينة وهم يؤذونهم. فامتلأت الشوارع بالناس وأخذوا يزحمون أكتاف بعضهم البعض لرؤية الرجل الذي كثر حوله الكلام. وانتشرت البابية وأنصاف البابية من كل الجهات وأفرغوا الجهد في إظهار شعور الإخلاص لسيدهم. وكان المحايدون والفلاسفة والشيخية والصوفية تسللوا من الموكب مشمئزين ورجعوا الى منازلهم أو وقفوا على أركان الشوارع يتأملون بتعجب وسكون. وأما الغوغاء من العامة فكانوا يصيحون ويضجون ويعاملون الشهداء الثلاثة بغاية الغلظة، ولكنهم كانوا مستعدين لتغيير رأيهم عند سنوح الفرصة إذا سمعوا إحساسا مخالفا من بعض الناس. وأخيرا كان المسلمون رؤساء ذلك اليوم اجترءوا على تعذيب المسجونين وكانوا يخوضون غمار نطاق الحراس ليضربوهم على وجوههم وعلى رؤوسهم. وإذا رمى طفل قطعة زجاج فأصابت الباب أو أحد أصحابه في

وجهه، كان الحراس والغوغاء يضحكون ويقهقهون. (كتاب الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى الكونت جوبينو صحيفة 220).

(9) وكان الباب ملازما للسكوت وكان وجهه الجميل يعلوه لحية سوداء وشاربا صغيرا، وهيئته وأحواله الممتازة ويداه البيضاوان الرقيقتان وملابسه البسيطة البالغة في النظافة الغاية القصوى، جميع ذلك أوجب في قلوب الناظرين الرحمة والشفقة. (من المجلة الآسيوية سنة 1866 جزء 7 صحيفة 378).

(10) والبرهان على صدق وثبات هذا الرجل الشريف، ظاهر من خطاب أرسله بخط يده الشريفة الى أخيه قبل شهادته بثلاثة أيام أو يومين من السجن. والخطاب في حوزة أخ المذكور المدعو ملا عبد الله من أهالي تبريز. وكان ذلك ردا على خطاب الأخ المذكور الذي طلب منه فيه الرجوع عن الإخلاص لهذا الأمر الذي سبب له السجن الذي هو فيه. وفي هذا الخطاب يبسط الشهيد أوجه عذره. ولما كان هو الأخ الأصغر، لذلك حرر الخطاب بالاحترام اللازم. وكان مضمون الخطاب كالآتي: (هو الرحيم) يا من هو قبلتي، أحمد الله اني لم أجد خطأً في أموري، ولكل مجتهد نصيب. أما ما كتبت لي بأن هذا الأمر ليس له آخر، فأي أمر إذا يكون له آخر؟ وإنّا لم نأسف لوقوعه بل حقا انا عاجزون عن شكر هذه النعمة. وأقصى ما في الأمر هو ان أذبح في سبيل الله. فوا فرحي لذلك، وان إرادة الله نافذة في عبيده ولن تقدر التدابير ان تمنع المقدور. فما أراده الله يكون ولا حول ولا قوة إلا بالله. فيا عزيزي ان نهاية هذه الحياة الموت. كل نفس ذائقة الموت. فإذا شاء الله ونفذ المقدور الذي أراده جل وعلا لأجلي، فالله خليفتي على أسرتي وانك تكون وصيا عليهم وتعمل معهم بما يرضي الله. فسامحني إذا قصرت في واجب الاحترام أو الحقوق نحو أخ أكبر، واطلب لي الغفران من جميع أهل المنزل واتركني لحراسة الله، فهو نصيبي وهو خير الحافظين. (من التاريخ الجديد صحيفة 301–303).

(11) وفي إيران عندما ينفذ حكم الإعدام بإطلاق الرصاص على شخص، يربطونه في وتد ويجعلون ظهره نحو جهة إطلاق الرصاص حتى لا يرى علامة الأمر بإطلاق الرصاص. (المجلة الآسيوية سنة 1866 الجزء 7 صحيفة 377).

(12) فارتفعت ضوضاء كبيرة من الجموع المحتشدة في تلك اللحظة. ذلك لأنهم رأوا الباب بعد ان خلص من الوثاق تقدم نحوهم وهو طليق، فأخذ القوم دهشة عميقة لأنهم علموا انه لم يصب ولا برصاصة واحدة، مع ان الحبال التي ربط بها قد تقطعت. فكانت هذه الحادثة معجزة حقيقية، والله يعلم ماذا حصل في نفس العسكر من الفرقة المسيحية من التأثر والدهشة. وكان العسكر لأجل إخماد ثورة الجمهور وضوضائهم قد استعدوا للاعتقاد في صحة الدين الذي يظهر منه مثل هذه الآيات، فأظهروا لهم الحبال المتقطعة للدلالة على عدم صحة المعجزة. وفي الوقت نفسه قبضوا على الباب وربطوه مرة أخرى في الوثاق. وفي هذه المرة حصل الإعدام واستعادوا للعدالة الإسلامية والقانون الديني حقوقهما. ولكن العوام الذين شاهدوا هذا المنظر بأعينهم رجعوا الى بيوتهم يبكون وهم معتقدون ان الباب غير مذنب. ولم يكن خطؤه في نظر العموم إلا بالنسبة لرجال الدين، وان العالم منغمس في جرائم لا يفهمها. (من كتاب المستر هوارت المسمى ديانة الباب صحيفة 3–4). ووقعت حادثة من الغرابة بمكان وهي فريدة في تاريخ الحوادث. وهي ان الرصاص قطع الحبال الموثق بها ووقع الباب على قدميه بدون أن يصاب بأي خدش. (من كتاب نقولاس السيد علي محمد الباب صحيفة 375). وباعجوبة خارقة للعادة لم تمس الرصاص سوى الحبال والتي كان الباب موثقا بها، فتفتت وأصبح طليقا. وكانت ضجة كبيرة وصياح من جميع الجهات وما كان يعلم أولا سببها. (نفس الكتاب صحيفة 379).

(13) ورد في مقالة سائح (صحيفة 45) ان صدري الشهيدين تمزقتا وتقطعت أعضاؤهما تماما عدا وجهيهما لم يتأثرا إلا قليلا.

(14) الحمد لله الذي أظهر النقطة (الباب) وأنشأ منها علم ما كان وما يكون... وخلق منها بحور النور لعباده المخلصين وكرة النار للكافرين من عباده والفاسقين من خلقه. (إشراقات – لبهاءالله – مترجما صحيفة 3). وفي تفسير الهاء، تمنى الشهادة لنفسه قائلا (كأنما سمعت منادي ينادي في سري أفدي أحب الأشياء اليك كما فدى الحسين عليه السلام نفسه في سبيلي ولولا كنت ناظراً بذلك السر الواقع فو الذي نفسي بيده لو اجتمع ملوك الأرض لن يقدروا ان يأخذوا مني حرفا فكيف العبيد الذين ليس لهم شأن بذلك وانهم

مطرودون... ليعلم الكل مقام صبري ورضائي وفدائي في سبيل الله). (كتاب الإيقان صحيفة 195 طبعة انجليزية مترجما). وقد صدر من الباب الرب الأعلى روح ما سواه فداه توقيع خاص بالعلماء في كل مدينة ذكر فيه مراتب إعراض وإغماض كل منهم مفصلا فاعتبروا يا أولي الأبصار (نفس الكتاب صحيفة 193). وكان هذا الجناب المحترم قد قام بقوة زلزلت أركان وشرائع وآداب وأحوال وأخلاق ورسوم إيران ومهد للشريعة والدين والدعوة الجديدة. ومع ان جميع أرباب الدولة وعموم الملة ورؤساء الدين قاموا على محوه وإعدامه، فانه قام فريدا وحرك إيران بأجمعها... وأثر تأثيرا عجيبا في أفكار وأخلاق وأطوار وأحوال الإيرانيين. (مفاوضات عبد البهاء صحيفة 20 طبعة فارسية). وكان المسيحيون يعتقدون انه لو أراد ان ينزل السيد المسيح حياً من الصليب لفعل وان موته كان برضائه وليتم النبوات. وكذلك كان الحال للباب، كما يقول البابيون. فقد توفي برضائه لأن بموته نجاة الإنسانية. فمن ذا الذي يحكي لنا الكلمات التي قالها الباب وسط الضوضاء ومن يعرف ذلك التذكار الذي حرك روحه الطيبة ومن الذي يعرف أسرار وفاته... وكانت الشناعة والقباحة والشرور والأكاذيب الصادرة من علماء الدين قد أثارت روحه الطاهرة النقية فشعر بضرورة إصلاح عميق في الأخلاق العامة. وكم من مرة أستوقفه الأمل في تلك الثورة التي حركته لإنقاذ الأحباء من نير التوحش والمشاق التي أثقلت كاهل جميع أهالي إيران لمنفعة طائفة من المترفين... والمتمتعين مع ما وصموا به دين الرسول من العار والخزي فزاد تحيره واشتد كربه. وكان يلزمه الثلاثة معادن التي تكلم عنها هوريس لأجل ان يغمس رأسه في بحر من الأوهام والضغائن التي كان عليه ان يتحملها حتى الموت. وهذا مثال من أمثلة الشجاعة المجيدة الذي أعطاها للإنسانية ليتأملوها وهذا برهان عظيم على المحبة التي جلبها هؤلاء الأبطال الى مواطنيهم. فانهم ضحوا بأنفسهم لأجل الإنسانية. ولها أسلموا أجسامهم وأرواحهم وتحملوا الآلام والتعذيب والحرمان والاستشهاد. وختموا على معاهدة الاخوة العامة بدمائهم كعيسى، وفدوا حياتهم لإعلان حكم الصلح والسلام والعدالة ومحبة الجميع، وكانوا يعرفون أكثر من غيرهم تلك الأخطار التي هددتهم والتي تتابعت على رؤوسهم. ويعلمون يقينا بذلك الغيظ والحنق الذي يستوجبه التعصب كما هو منتظر. ولكن جميع هذه الأمور المنتظرة لم تثنهم

عن السير في الطريق الذي اعتزموا السير فيه رغما عن ذلك ولم يكن للخوف أي تأثير على قلوبهم ودخلوا في ذلك الأتون المتقد وهم على غاية من السكون وبدون ان يلتفتوا الى الوراء وهم متمالكون لأنفسهم. (من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 203-204-376). وإذ توفي رئيس الديانة الجديدة. وتبعا لحساب الميرزا تقي خان الرئيس الوزير استتب الأمن في الأرواح المنزعجة على الأقل، ولكن الحكمة السياسية كانت في هذه الدفعة مخطئة، فبدلا من إطفاء النيران زاد اشتعالها بشدة. فإذا رجعنا الى الأحكام التي أتى بها الباب نرى ان دوام الطائفة واستمرار وجودها لا يتوقف على وجوده، بل العكس ما زالت مستمرة في طريقها وآخذة في الزيادة. ولو كان الوزير الرئيس يعلم هذه النقطة الأساسية في دين عدوه، كان من الجائز انه لا يتعجل في إهلاك الرجل الذي لا يهم وجوده من عدمه. (كتاب الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى للكونت جوبينو صحيفة 224-225). وكان النبي المذكور هو الباب، ونحن نسميه نبياً لأننا لا نجد كلمة أصلح. لعمر الحق أقول لكم انه نبي وأكبر من نبي. فجمعه بين الحلم والقوة والقدرة أمر نادر بين البشر، فلذلك كان علينا ان نضعه في صف الذين هم فوق البشر العادي، فقد عرفنا أنه في كثير من أوقات حياته وبينما هو في شدة الغضب والتأثر، كان يلمع من وجهه شعاع القوة والجلالة حتى انه لا يقدر أحد ان ينظر الى وجهه والى لمحات الجلال والضياء الساطع منه. وحتى انه لم يكن من الحوادث النادرة ان كثيرا من الذين لم يكونوا مصدقين كانوا ينحنون أمامه عندما يرونه بينما الساكنون في القلعة كانوا يركعون أمامه كلما رأوا وجه قداسته. ومثل هذا التغيير في الصورة معروف عند الأولياء، فكان ذلك بمثابة وضع الختم الإلهي على حقيقة وطهارة وانقطاع الباب. (اتحاد الأديان والأقوام للدكتور جين صحيفة 908). فمن ذا الذي لم يكن لينجذب من لطف وظرف روح الميرزا علي محمد. فكانت حياته المملوءة بالأحزان وطهارة خلقه وشبابه الغض وشجاعته وصبره المتناهي في المصائب والآلام وإنكاره للذات إنكارا باتا واعتقاده بإمكان تحقق نظام جديد تبعا للأقوال والأحكام التي تنبأ بها في البيان، كل ذلك يجعلنا نسجل عطفنا على نبي شيراز خصوصا مأساة وفاته أكثر من كل شيء، واستمرار تأثير سحر بيانه على العقول بعد وفاته. (من مقالة للبرفسور براون عنوانها البابيون في

إيران. منشورة في المجلة الآسيوية الملوكية سنة 1889 صحيفة 933). وكان القليل يعتقد ان الأحكام البابية تتعطل من أثر هذه الإجراءات الدموية، فهناك في إيران حركة تجديد تحفظ طريقته فضلا عن ان أحكامه جاذبة للطبائع الإيرانية وموافقة لها. وانهم ولو كانوا قد غلبوا ومكثوا في البلاد مختفين فانه من الموثوق به ان أحكام دين الباب فضلا عن عدم إمكان محوها فإنها أخذت في الزيادة يوما فيوم. (كتاب لمحات عن الحياة والأخلاق في إيران لليدي شيل صحيفة 181).

ان حكاية الباب كما يسمي نفسه الميرزا علي محمد، هي حكاية الشجاعة الروحية التي لا يصل إليها سوابهوا وروحه المفعمة بالحوادث قد اشتعلت بها. فان شابا ليس من هيئة اجتماعية كبرى ولا هو متعلم وتنوره الباطني يخترق حقائق الأمور ويتعرف الحق ويتمسك به بثبات ويقين ثم يظهره للناس باقناع تام وبواسطته يقنع الناس انه هو المسيح ويجعلهم يتبعونه حتى ساعة الموت، ان ذلك من أعجب الوقائع في تاريخ البشرية حتى ان (سوابهوا) كان يجب ان يتأمل فيها. فكانت مصداقية الباب لا يتطرق إليها الشك لأنه سلم بروحه لأجل معتقده. ولابد وان يكون في دعوة أمره قد أقنع أرواح أتباعه حتى ضحى آلاف من الناس أرواحهم لأجله وتبعه الآن في دينه الملايين منهم. وإذا كان شاب تمكن في أثناء ست سنوات بنبالة مقصده وجاذبية شخصيته ان يوحي الى الناس من مختلف الأوساط من فقراء وأغنياء ومتعلمين وغير متعلمين على السواء بالاعتقاد في نفسه وفي أحكامه، حتى انهم يكونون ثابتين في دينهم رغما عن انهم مضطهدون ويحكم عليهم بالإعدام دون أي تحقيق أو إجراءات ويخنقون وينشرون ويطلق عليهم الرصاص ويضربون بالمدافع. وإذا كان يتبعه عدد غفير من أرباب المناصب العالية في إيران وتركيا ومصر وهم ثابتون على عقيدتهم، فان حياته تعد من الوقائع العجيبة التي حصلت في المائة سنة الفارطة والتي تستحق النظر والدراسة. (كتاب اللمحة للسير فرانسيس يونج هاسباند صحيفة 183–184). وهكذا لما بلغ الثلاثين من العمر أي سنة 1850 أتم رجل الله دوره الباسل. وأما صدق اعتقاده بأنه معيّن من الله فان طريقة موته أعظم برهان على ذلك، فانه ضحى بحياته في سبيل الاعتقاد بأنه بذلك يخلص الكثيرين من خطأ اعتقادهم الحالي. وأما قوة انجذاب الناس

لدعوته وإخلاص المئات بل الآلاف من الرجال الذين فدوا حياتهم لأجل أمره، فأكبر برهان مقنع عليه. (نفس الكتاب صحيفة 210).

وقد توفي الباب لا البابية. فلم يكن هو الأول ولا الآخر في سلسلة شهداء أثبتوا انه في مملكة كإيران التي استولت عليها غرغرينة الفساد وانهزلت بداء عدم المبالاة والاكتراث، ان دم الحياة لا يزال نباضا بالحياة فيها ولو انها لا يساعدها شيء من الأشياء. (المسألة الشرقية الوسطى لفالنتين شيرول صحيفة 120).

(15) 9 يوليو سنة 1850 ميلادية.

(16) يقول الحاجي ميرزا جاني، ان إمبراطور روسيا، أرسل الى قنصله في تبريز يأمره فيه بان يتحرى الأمر ويرسل بيانا عن أحوال قداسة الباب. وبمجرد وصول هذه الأخبار، أمرت السلطة الإيرانية بقتل الباب. فدعا قنصل الروس الأقا السيد محمد حسين كاتب وحي الباب الذي كان مسجونا في تبريز الى حضوره وسأله عن علامات وأحوال جناب الباب. ولأنه كان يوجد مسلمون في المجلس لم يتمكن الأقا سيد حسين ان يتكلم بالصراحة التامة بخصوص مولاه، ولكنه لمح بإشارات عن بعض المسائل وأعطاه كتابا من كتب الباب. وقد روى هذه الرواية المدعو (دورن) في وصف كتاب من كتب الباب وهو أحد تفاسيره على الأسماء الحسنى، ويسميه (قرآن البابية) وذلك مما يعزز تلك الرواية. فهو يقول في صحيفة 248 من الجزء الثامن من مجلة الأكاديمية الملكية للعلوم في سان بطرسبرج، ان ذلك الكتاب أخذ من يد سكرتير الباب الخاص الذي سلمه الى أيدي الأوروبيين. (من كتاب التاريخ الجديد صحيفة 395–396).

(17) انه تبعا للعادة المتبعة من قديم الأزمان في الشرق كما حصل في بيت هولي، كما في قبر سيدنا، وضع حارس ينام نوما عميقا قريبا من المكان الذي يحرسه. (من كتاب الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى للكونت جوبينو صحيفة 166). ويمكننا ان نعرف أثناء هذا التاريخ من هم الحراس الإيرانيون. فينحصر عملهم في النوم قريبا جدا من المكان الذي يقومون على حراسته. (من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 378).

(18) ويوافق الكونت جوبينو ان مؤلفي كتاب "ناسخ التواريخ" وكتاب "روضة الصفا" و "مرآة البلدان" وكذلك جميع المؤرخين الرسميين، قرروا انه بعد تنفيذ الإعدام طرحت جثة الباب في خندق المدينة وأكلتها الكلاب. والحقيقة هي بخلاف ذلك، وسنرى لماذا ذاعت هذه الإشاعة بمعرفة الموظفين في تبريز الذين كانوا غير مبالين بتوبيخ الحكومة لهم من مشايعة الفكرة التي دُفع ثمنها غاليا. وكذلك بمعرفة البابيين أنفسهم الذين أرادوا منع الحكومة عن عمل الأبحاث بخصوص مكان الجثة. وقد ثبت من الشهادات التي صدرت من نفس ممثلي الرواية، حتى لم يبق هناك أي شك في ان جسد السيد علي محمد الباب قد حفظ بالأيدي التقية، وبحسب الأحوال التي سأحكي عنها، وصل الى مقبرة أمينة لائقة به. (نفس الكتاب 377).

(19) وكانت طهران قد تزينت بقبر ومشهد شاه عبد العظيم. ويسكن الجدث المطهر تحت قبة مطلية بالذهب. وقد رأيت لمعانها على بعد عندما اقتربت الى المدينة. ويزور القبر كل سنة ما ينوف عن 300 ألف زائر. وقد وجدت أغلب الكتاب يتوهمون بان القبر هو لولي مسلم وان أتقياء أهل طهران يزورونه. ولكن يظهر ان هذا المكان قبل ظهور الإسلام كان مقدسا ومعروفا بأنه قبر امرأة صالحة ذات قداسة عظيمة. ولذلك يؤمه للآن أغلب النساء، وبعد الإسلام دفن فيه إمام زاده حمزة ابن الإمام السابع موسى الكاظم. وفيه هرب شخص ولي اسمه أبو القاسم عبد العظيم من الخليفة المتوكل ومكث مختفيا في الري الى ان حانت وفاته في سنة 861 ميلادية. (وهذه هي الرواية التي رواها مجلسي مستندا فيه الى الشيخ النجاشي والبرقي). ومع مرور الأزمان زاد صيته على اسم سلفه. وكان الملوك وخاصة الدولة الحاكمة قد زادوا في عمارته ووسعوها وزينوها. ومن اتساع شهرته بنيت قرية حول القبر المقدس. ومكان المسجد على بعد 6 أميال الى الجنوب الشرقي قريبا من خرائب الري وعلى نهاية قمة الجبل الذي يحيط بسهل طهران في الجهة الجنوبية الشرقية.

(20) هو ضريح محلي في طهران.

(21) وكتب اللورد كرزون، ان حكم ناصر الدين شاه قد تشوه بعملين وحشيين وكان أفضعهما هو إعدام رئيس وزرائه ميرزا تقي خان أمير النظام.. فانه صهر الشاه وأخ زوجته

وأول تابع مخلص في المملكة، وللوشاية التي سببت ضغينة البلاط وحسد المليك الصغير السن أصبح مرذولا في عين الأعداء الذين لم يقنعوا حتى أوقعوا عدوهم فريسة وأردوه قتيلا. (كتاب إيران والمسألة الإيرانية الجزء الأول صحيفة 402).

(22) وجميع الناس كانوا يعلمون من البابيين الذين أنبؤوهم بقرب مصرع الوزير الرئيس. وقد حصل ذلك فعلا كما يقولون طبقا لما تنبأ به الشهداء في زنجان وهم ميرزا رضا وحاجي محمد علي وحاج محسن، وقد أصبح الوزير مبغوضا ومغضوبا عليه من الشاه وقطعت عروقه في بلدة فين بالقرب من كاشان، كما كان يعامل المحكوم عليهم بالإعدام. وكان خلفه ميرزا أقا خان النوري من قبيلة شريفة من مازندران. وكان في ذلك الوقت وزير الحربية. وتسمى هذا الوزير الجديد بالصدر الأعظم وهو لقب رئيس وزراء الترك. وكان ذلك سنة 1852. (كتاب الكونت جوبينو الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى صحيفة 230).

الفصل الرابع والعشرون

ملحمة زنجان

ان العوامل التي سببت اشتعال الاضطرابات في مازندران ونيريز هي بعينها التي أشعلت زنجان أيضا[1] وما حولها في وقت استشهاد حضرة الباب في تبريز. ولم تكن أخبار وحيد وأصحابه بأقل إزعاجا له من حزنه على نصيب أبطال الشيخ طبرسي المفعم بالمصائب، فأضافت تلك الحوادث ضربة جديدة على قلبه المثقل بالأوصاب المختلفة، ولم تكن المتاعب التي انتابته في أواخر أيام حياته بقاصرة على المخاطر التي أحاطته ولا على الإهانة التي تحملها عند نقله الى تبريز ولا على اشتداد وطأة الحبس الشديد المتطاول بين جبال اذربايجان المحصورة، ولا على المذابح الوحشية التي ختمت بها حوادث ملاحم مازندران ونيريز، ولا على وحشية الذين ارتكبوا المظالم والقبائح على الشهداء السبعة في طهران. بل كانت أخبار حوادث زنجان وما آل إليه أمرها المحزن قد زادته حزنا على حزنه وكذلك الفواجع التي أنهكت قواه في أواخر حياته بكروب متنوعة، فكم غصّة تجرعها في الوقت الذي كانت مخالب الموت تريد أن تنشب أظفارها فيه. ومع ما انتاب أنصار دينه في كل ساحة، سواء في الشمال أو الجنوب من الاضطهادات بلا ذنب، وما خدعوا به من مكر وخيانة

حتى ذبحوا وسلبت منهم ممتلكاتهم. فطفحت كأس الآلام والمصائب بهبوب عاصفة زنجان التي هي أشنع وأفظع من جميع ما سبقتها من النكبات[2].

والآن أبتدئ في سرد أحوال تلك المأساة التي هي أشنع المآسي في تاريخ هذا الأمر. وكان بطلها الحجة الزنجاني، واسمه الملا محمد علي[3] وهو من أقدر علماء عصره، وبلا ريب من أكبر ناصري الأمر. وكان والده الملا رحيم الزنجاني من رؤساء المجتهدين في زنجان ومحترم لتقواه وعلمه ومتانة أخلاقه. ولد الملا محمد علي في سنة 1227 هجرية[4]، ومنذ صباه أظهر كفاءة جعلت والده يعتني بتهذيبه اعتناءً شديدا، وأرسله الى النجف وبرز فيها بفراسته ومقدرته[5] وتفوقه. وكان أصحابه قد أعجبوا أيما إعجاب من ذكائه وحسن تدريسه، بينما كانت قوة تعبيره وسمو أخلاقه جعلته مهددا من أعدائه. ونصحه والده أن لا يعود الى زنجان لأن أعداءه يتآمرون عليه. ولذلك صمم على أن يجعل إقامته في همدان[6]. وفيها تزوج إحدى قريباته وعاش هناك سنتين ونصف حتى وافته أخبار وفاة والده، فصمم على ترك المدينة والعودة الى وطنه. وكان الاحتفاء به عند وصوله قد أشعل العداء في صدور العلماء الذين أظهروا له كل رعاية واحترام رغم ما صمموا عليه من مقاومته[7].

ولما اجتمع الناس في المسجد خصيصا لتشريفه، خطب في الجماهير المحتشدة ناصحا لهم بترك النفس والهوى وأن يكون الاعتدال رائدهم في كل الأعمال[8]. وحثهم على ترك جميع أنواع المفاسد، وشجع الناس بسلوكه ومثاله على أن يتبعوا الأحكام المنصوص عليها في القرآن بكل دقة. وعلّم تلاميذه بكل عناية ومقدرة حتى أنهم فاقوا علماء زنجان المعروفين في الفهم والمعرفة.

واستمر على عمله المبرور سبع عشرة سنة، وتمكن في تخليص عقول وقلوب مواطنيه من كل ما يكون مخالفا لتعاليم وروح الدين[9].

ولما وصلته الدعوة من شيراز، أرسل الملا اسكندر أحد تلاميذه الموثوق بهم لأجل فحص موضوع الدعوة الجديدة، وكان الطريق الذي اختاره في بحث الأمر قد أهاج أعداءه وضاعف مجهوداتهم. وإذا كانوا عاجزين عن توهينه في أعين الحكومة وأعين الناس، عزموا على مهاجمته على اعتبار أنه مروج للبدعة الجديدة ورافض لكل ما هو مقدس في الإسلام، وهمسوا لبعضهم البعض قائلين: "أما شهرته بالعدل والتقوى والعلم فمما تجعلنا عاجزين عن أن نزعزع مقامه، فانه لما طلبه محمد شاه الى طهران تمكن بفصاحته السحرية أن يؤثر عليه ويجعله ضمن المعجبين به والمخلصين له. والآن ما دام أنه قد اعتنق أمر السيد الباب بهذه الطريقة المكشوفة، فيمكننا أن نحصل من الحكومة على أمر بالقبض عليه ونفيه من مدينتنا".

وبناء على ذلك حرروا عريضة لمحمد شاه وكتبوا فيها كل ما أملاه عليهم حقدهم وحسدهم لتلويث سمعته، وشكوه قائلين (انه في الوقت الذي يزعم فيه انه أحد اتباع الإسلام، استهان بسلطتنا بمساعدة تلاميذه. والآن اعتنق أمر الباب وجعل ثلثي أهالي زنجان ينتمون الى هذا الدين البغيض، فما أقسى الإهانة التي يوقعها بنا. وترى الجماهير المحتشدة على بابه أكبر عددا مما يضمّه المسجد. وبلغ تأثيره على الناس، ان مسجد والده الذي بني لتشريفه جعل خصيصا لمريديه المتزايدين ويحضرون فيه ليأتمون به في الصلاة. ولا يمضي وقت كبير حتى لا تكون زنجان فقط بل جميع القرى المجاورة من أنصاره).

فتعجب الشاه من لهجة ولغة الخطاب الذي قصدوا به النيل من مقام الحجة وشاركه في تعجبه الميرزا نزر علي الحاكم باشي، وتذكر أقوال كثيرين من زائري الحجة الذين كانوا يتغنون بمقدرته واستقامته. وصمم الشاه على ان يطلبه هو وخصومه الى طهران. فاجتمعوا في مجلس أعده لذلك الحاجي ميرزا أقاسي وموظفوا الحكومة المشهورون ومشاهير علماء طهران، وأحضروا رؤساء زنجان الدينيين وطلبوا منهم ان يدعموا ادعاءاتهم بالبراهين، فأخذوا يستجوبون الحجة. وما من سؤال سألوه إلا أجاب عليه بكيفية تخلب أسماع المستمعين وتثبت للمليك يقينه في براءته. فقرر الشاه رضاءه عن الحجة وكافأه للطريقة المجيدة التي نجح بها في دحض مفتريات أعدائه، وأمره بالرجوع الى زنجان والعودة للقيام بالخدمات الجليلة التي يؤديها للشعب. وأكد له انه سيساعده في كل الأحوال، وسأله ان يخطره عند كل حادث[10] بما يلاقيه من أعدائه. وبمجرد وصوله وعودته الى زنجان، ابتدأ هياج جديد قاس من جانب خصومه المغلوبين. وكلما زادت عداوتهم ازدادت درجة إخلاص أصحابه وأتباعه[11] واستمر في عمله بحماس لا يتوانى غاضا طرفه بالكلية عن تدابيرهم[12] وكانت قواعد التسامح التي كان يعلمها وينشرها بغير انقطاع وبلا وجل، قد هدمت أساس البناء الذي اجتهد أعداؤه في تشييده، وزاد غضبهم إذ رأوا زوال سلطتهم وانهيار صرح تعاليمهم. وحدث في تلك الأيام ان رسوله الخاص مشهدي احمد الذي كان قد بعثه برسالة سرية الى شيراز مع عريضته وهداياه الى حضرة الباب، قد عاد الى زنجان وسلّمه خطابا مختوما من محبوبه، بينما هو يخطب في تلاميذه. وفي اللوح الذي استلمه لقّبه حضرة الباب بلقب "الحجة". وحرّضه

على ان يعلن من المنبر بدون تردد تعاليمه الأساسية. وما كاد يطّلع على رغبة مولاه، حتى أعلن عزمه على تنفيذ كل ما أمره في هذا اللوح. وصرف في الحال تلاميذه وأمرهم ان يتركوا كتبهم وأعلمهم بعزمه على عدم متابعة الدرس، وقال (ما الفائدة في الدرس والبحث للذين وجدوا الحق؟ ولماذا الجهد في طلب العلم بعد ان ظهر المعلوم الذي هو المقصود من جميع العلوم؟).

وما كاد يؤم جماعة المصلين في يوم الجمعة كما أمره بذلك حضرة الباب[13] حتى اعترض عليه بشدة إمام الجمعة الذي كان يؤدي هذه الوظيفة حتى الوقت والساعة، وقال له ان هذا الحق هو امتياز مطلق له ولآبائه من قبل، وانه أخذ الولاية بذلك من السلطان، ولا يمكن لأحد مهما علت منزلته ان يغتصبه منه. فأجابه الحجة: (ان هذا الحق قد استبدل الآن بالولاية التي منحت لي من القائم نفسه، وقد أمرني أن أؤدي هذه الوظيفة علنا ولا أسمح لأي شخص ان يعتدي على هذا الحق. وإذا صودرت فيه، فاني آخذ العدة للدفاع عن نفسي وعن حياة أصحابي. وكان إصراره على إتمام المأمورية التي وكّله بها حضرة الباب بدون وجل، قد ألجأ علماء زنجان ان يتفقوا مع إمام الجمعة[14] ويعرضوا شكواهم للحاجي ميرزا أقاسي قائلين: (بأن الحجة قد قاوم التقاليد المعروفة وتعدى على حقوقنا، فأما ان نهرب بأسرنا وأملاكنا ونتركه وشأنه مع الأهالي، أو نحصل من محمد شاه على أمر بطرده حالا من هذه المملكة، لأننا نعتقد ان في تركه والسماح له بالبقاء في أرضها خطر داهم). وأخيرا اضطر الحاج ميرزا أقاسي نظرا لإلحاحهم ان يعرض الأمر على محمد شاه، ولو انه كان في قلبه لا يميل الى اعتقاداتهم وتقاليدهم ولا يوافق على

النظام الديني السائد في المملكة. فأمر محمد شاه بنقل الحجة من زنجان الى العاصمة.

وأرسل الشاه رسولا كرديا اسمه "قليج خان" بهذا المعنى الى الحجة. وفي الأثناء كان حضرة الباب قد وصل الى قرب طهران في طريقه الى تبريز. وقبل وصول الرسول الملكي الى زنجان، كان الحجة قد أرسل أحد أحبائه المدعو خان محمد توبجي الى مولاه (حضرة الباب) مع عريضة يطلب فيها أن يسمح له بتخليصه من يد الأعداء. فرد عليه حضرة الباب قائلا: (ان تخليصي لا يقدر عليه سوى القدير وحده وان الانسان لا يمكنه ان يفر من المكتوب أو يهرب من المقدور). وزاد بقوله (أما عن اجتماعك بي فسوف يحصل قريبا في العالم الآخر مقام العزة الأبدية).

وفي اليوم الذي استلم فيه هذه الرسالة، وصله أمر السلطان مع قليج خان، وسافر معه فعلا الى العاصمة. وكان وصولهما هناك في الوقت الذي رحل فيه حضرة الباب من قرية كولين التي مكث فيها بضعة أيام وكانت السلطات المحلية قد عملت ترتيبها لضمان غياب الحجة عن زنجان في الوقت الذي يمر فيه حضرة الباب في تلك المدينة خوفا من حصول ما لا تحمد عقباه، إذا اجتمع الحجة مع حضرة الباب. أما الأصحاب الذين تبعوا الحجة في طريقه الى العاصمة، فقد أمرهم ان يعودوا الى المدينة لمقابلة مولاهم وان يؤكدوا له استعدادهم لإنقاذه. وإذ كانوا قافلين الى المدينة تقابلوا مع حضرة الباب الذي أكد لهم رغبته في ان لا يسعى أحد منهم في إنقاذه من حبسه، بل

أمرهم ان يخبروا أتباعه من أهالي بلدتهم ان لا يزدحموا حوله وان يمتنعوا عن تعقبه أينما ذهب.

وما كادت تصل هذه الأوامر الى آذان الأهالي الذين خرجوا للترحيب به، حتى ابتدءوا يندبون حظهم ويحزنون، ولكنهم لم يقدروا على الامتناع عن مقابلته متناسين الرغبة التي أبداها.

وما كادوا يتقابلون مع الركب، حتى فرّقهم الحرس الذين كانوا يسيرون في المقدمة بلا شفقة. ولما وصلوا الى إحدى شعب الطريق، حصلت مشادة ما بين محمد بك جبارجي وبين زميله الذي أرسل من طهران ليساعده في توصيل حضرة الباب الى تبريز، وكان محمد بك مصمما ان يأخذ المسجون الى المدينة ويسمح له قبل مواصلة الرحيل الى اذربايجان، بالمبيت تلك الليلة في خان ميرزا معصومي طبيب، والد ميرزا محمد علي طبيب، أحد شهداء الأمر. وقال بأنه لو أمضى الليلة خارج المدينة فانه يعرض نفسه للخطر ويشجع أخصامه على الفتك به.

وأخيرا نجح في إقناع زميله بترحيل حضرة الباب الى ذلك الخان، وإذ كانوا يمرون في شوارع المدينة، دهشوا إذ رأوا الجماهير محتشدة على أسطح المنازل بشوق زائد لرؤية وجه المسجون.

وكان ميرزا معصوم مالك الخان الأصلي قد توفى حديثا، وجاء نجله الأكبر ميرزا محمد علي الذي كان رئيس أطباء همدان بزنجان لإقامة مأتم والده. ومع انه لم يكن من الأحباء، إلا انه كان محبا لحضرة الباب. فأعدَّ

الخان لاستقباله بكل حفاوة. وفي تلك الليلة بقي مع حضرة الباب الى ساعة متأخرة وآمن به.

وكان يقول فيما بعد: (في الليلة التي اعتنقت فيها الأمر قمت مبكرا في الفجر، وأوقدت المصباح وأخذت الخادم وتوجهت الى الخان. وقد عرفني الحراس الذين كانوا على الأبواب وصرحوا لي بالدخول. وكان حضرة الباب يؤدي فرائض الوضوء عندما دخلت عنده. وتأثرت تأثرا عميقا إذ رأيته منهمكا في أداء تلك الفرائض. وإذ وقفت أصلي خلفه، ملأ الفرح جوانحي وقمت وأصلحت الشاي بنفسي وقدمته له، فالتفت اليّ وأمرني ان أرحل الى همدان قائلا "ان هذه المدينة سوف تقع في اضطراب عظيم وتمتلئ شوارعها بالدماء". فأظهرت رغبة في الاستشهداء في سبيل دعوته، فأكد لي ان ساعة شهادتي لم تأت بعد وأمرني أن أتكل على الله في كل ما يأمر به. وفي ساعة الشروق إذ كان يمتطي جواده استعدادا للرحيل، رجوته ان يسمح لي بمرافقته، ولكنه نصحني بالبقاء ودعا لي دعواته الحارة. فرضخت لأمره ورمقته حتى غاب عن عيني وأنا متأسف لفراقه).

ولما وصل الحجة الى طهران، أحضروه أمام حاجي ميرزا أقاسي، وأظهر له عن نفسه وبالنيابة عن الشاه اشمئزازه من العداء الكبير الذي أثاره سلوكه بين علماء زنجان، وقال له: (ان العلماء أقلقونا بالاحتجاجات المستمرة التحريرية والشفهية ضدك، واني شخصيا لا اصدق ادعاءهم بانك قد تركت دين آبائك، ولا يميل الشاه الى تصديق ذلك. وقد أمرني ان أدعوك الى العاصمة لدحض هذه الافتراءات، فانه ليحزنني ان اسمع ان رجلا في اعتقادي أسمى في

المعرفة والمكانة من السيد الباب، قد اختار ان ينضم إليه). فأجابه الحجة بقوله: (ليس كذلك، ويعلم الله، انه لو أوكلني السيد الباب الى أحط عمل في منزله، كنت أعتبر ذلك انه الشرف الذي لا يبلغ مكانه أسمى وأعلى الانعامات الملكية). فصاح الحاجي ميرزا أقاسي غاضبا (ذلك لن يكون أبدا). فأكد له الحجة بقوله: (ان ذلك السيد من شيراز هو نفس الذي تنتظره أنت وجميع من على الأرض بشوق، فهو مولانا وهو المخلص الموعود).

فنقل الحاجي ميرزا أقاسي ذلك الأمر الى محمد شاه، وأظهر له خوفه من ان يسمح المليك لهذا المعاند القوي والذي يعتقد فيه المليك انه أكفأ علماء المملكة، بالاستمرار على مواصلة مساعيه بغير إعاقة، لأن في ذلك خطرا مدلهماً على سياسة الدولة. ولما كان الشاه غير ميال لتصديق هذه الادعاءات التي يظن انها مسببة عن الحسد والغيرة الصادرة من أعداء الحجة، أمر بعقد اجتماع خاص يسأله فيه ان يدعم رأيه بالبرهان التام أمام علماء العاصمة، فالتأمت لذلك جملة اجتماعات كان الحجة يظهر فيها صحة الدعوة بكل فصاحة مبطلاً احتجاجاتهم. وقال لهم (أليس من الحديث المتفق عليه بين أهل السنة والشيعة. تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي. وما دام أحد الشاهدين قد غاب وتولى حسب اعتقادكم، فان الشاهد الآخر وهو الكتاب موجود وهو الواسطة الوحيدة بيننا للهداية. فأطلب إليكم ان تجعلوا الكتاب رائدكم وان نعتبره المثل الأعلى، وبالميزان المذكور نقيس أي دعوى من دعاوينا). فلما عجزوا عن الدفاع لم يجدوا مخرجا الا ان يتجاسروا على طلب معجزة ليثبت بها

مدعاه. فصاح فيهم قائلا (أي معجزة أكبر من انه مكنني بدون مساعدة بقوة حجتي ان أنتصر وحدي عليكم وعلى جميع المجتهدين والعلماء في طهران).

وكانت الطريقة الفائقة التي دحض بها الحجة مزاعم خصومه قد أكسبته ثقة مليكه الذي لم يعبأ فيما بعد بتمويهات أعدائه. ورغما ان جماعة علماء زنجان وعددا كبيرا من علماء طهران حكموا بكفره وأمروا باعدامه، فان محمد شاه استمر في منحه الانعامات وأكد له القول بأنه يكون دائما واثقا من مساعدته.

ولما عجز الحاجي ميرزا أقاسي عن أن يخالف الرغبة الملكية الواضحة وعن أن يقاوم علنا تأثيره، اجتهد ان يخفي حسده وحقده بزياراته المتكررة لمنزله وبالهدايا التي كان يقدمها إليه ذلك الوزير الخادع.

وكان الحجة في الواقع سجينا في طهران، فلم يكن يقدر على مغادرة أبواب العاصمة، ولم يكن يسمح له بمحادثة من يريد من أصحابه. أما المؤمنون من بين مواطنيه في بلدته، فعزموا على ان يرسلوا له رسالة ويطلبوا منه ان يصدر اليهم الأوامر فيما يختص بالتعاليم الأمرية. فأمرهم ان يتبعوا النصائح التي وصلتهم من حضرة الباب بواسطة الرسل الذين أرسلهم لفحص الأمر. وعدد لهم سلسلة أوامر كان بعضها يخالف التقاليد الإسلامية، وأكد لهم قائلا (ان السيد كاظم الزنجاني كانت له علاقة متينة بمولاي في شيراز وفي اصفهان. وكان هو والملا اسكندر ومشهدي احمد اللذان ارسلتهما لمقابلة حضرة الباب يقولون، بأن حضرة الباب نفسه أول من يقوم على أداء الفرائض التي تقررت على المؤمنين، فعلينا نحن الأنصار ان نتبع مثاله الحميد).

وما كادت الرسائل تقرأ على الأصحاب، حتى بدت منهم جميعا الرغبة الشديدة في إجراء أوامره، وابتدأوا بتنفيذ الأحكام الجديدة بكل حماس تاركين التقاليد والعوائد القديمة، حتى الأطفال كانوا يتعلمون ان يتبعوا نصائح حضرة الباب. وكانوا يعلمونهم ان يقولوا (ان مولانا المحبوب كان نفسه أول من يتبعها، فلماذا نحن الاتباع الممتازون نتردد في ان نجعل هذه القواعد نبراس حياتنا؟).

وبينما كان الحجة مسجونا في طهران، إذ وردت الأخبار بحصار قلعة طبرسي، وكان يتمنى ان يكون نصيبه مع الأقران الذين كانوا يحاربون لأجل تحرير دينهم بشهامة فائقة، وكان يأسف على عجزه عن ذلك. وكانت تعزيته الوحيدة في تلك الأيام، الاتصال الدائم بحضرة بهاءالله مستمدا منه القوة التي مكنته في مستقبل الأيام ان يمتاز بأعماله التي لم تقل شهامة عن أعمال هؤلاء الأصحاب في أظلم ساعات ذلك النزاع الخطير. وكان مقيما في طهران حينما وافت محمد شاه منيته تاركا عرشه لابنه ناصر الدين شاه[15]. وكان الأمير نظام، رئيس الوزراء الجديد، قد وطّد العزم على أن يشدد في حبس الحجة والبحث عن طريقة لإعدامه. ولما أخطر بالخطر الذي يهدد حياته، عزم على مغادرة طهران والاجتماع بأقرانه الذين كانوا يشتاقون لرجوعه.

ولما وصل الحجة الى موطنه، أعلن من يدعى – كربلائي ولي عطار – الى أصحابه خبر وصوله، وأحدث في جموع المحبين والمعجبين مظاهر الطاعة والإخلاص[16]، فهرعوا رجالاً ونساءً وأطفالا للترحيب به وإظهار ولائهم ومحبتهم التي لا تخبو، وكان حاكم زنجان مجد الدولة[17] عم ناصر الدين شاه، قد أزعجه تطوّع الجماهير لمظاهر الحفاوة. ومن شدة غضبه، أمر ان

يقطع لسان الكربلائي عطار في الحال، ومع انه كان في الباطن يكره الحجة، الا انه تظاهر بصحبته مدعيا انه من محبيه. فكان كثيرا ما يزوره ويظهر له الاحترام الزائد، ومع ذلك يتآمر سراً على إعدامه وينتهز الفرصة ليضربه الضربة القاضية.

واشتد اشتعال نار العداء الكامن من حادثة صغيرة، وهي مشاجرة بين طفلين من زنجان، أحدهما ابن أحد أنصار الحجة. فأمر الحاكم حالا ان يقبض على الطفل ويوضع في الحبس. فتقدم الأحباء للحاكم راجين ان يفرج عن المسجون الصغير بمقابل دفع مبلغ من المال جمعوه فيما بينهم. فرفض. فشكوا للحجة الذي كتب للحاكم يقول (ان الطفل صغير لا يدرك وليس مسؤولا عن عمله، وإذا كان ولابد من العقاب، فليعاقب والده بدلا عنه).

لكن الحاكم تجاهل الطلب، وجدد الحجة احتجاجه وأعطاه لأحد أصحابه من ذوي النفوذ، هو مير جليل والد سيد أشرف وأحد شهداء الأمر، وأمره ان يقدمه بنفسه للحاكم. وكان الحراس الموكلون بالبوابة، قد امتنعوا أولا عن الأذن له، ولكنه في سورة غضبه، هددهم بأن يدخل بالقوة، وتمكن بسل سيفه من التغلب على مقاوميه وأن يخطر الحاكم الغاضب بطلب الافراج عن الطفل.

وأثارت موافقة الحاكم لطلبات مير جليل بدون قيد ولا شرط غضب العلماء. فاحتجوا بشدة وتأوهوا آسفين على خضوعه للتهديدات التي أراد خصومه ان يخيفوه بها. وأظهروا له ان خوفه منهم يشجعهم على المطالب الأخرى التي يفرضونها عليه، ويمكنهم بذلك قبل مرور وقت طويل من الاستيلاء على زمام السلطة وحرمانه من مشاركتهم في إدارة الحكومة. وأخيرا

تمكنوا ان يقنعوه بأن يقبض على الحجة، قولا منهم ان ذلك العمل ينفع في صد تيار تأثيره.

ولكن الحاكم لم يقبل ذلك لأول وهلة. وأكد العلماء ان ليس في عمله أي خطر على الأمن والسلام في المدينة بأي حال من الأحوال، وتطوع اثنان من أنصارهم وهما، بهلوان أسد الله وبهلوان صفر علي، وهما مشهوران بقوتهما الغشومة وتوحشهما، بأن يقبضا على الحجة ويسلماه له مغلول الأيدي. فوعد كلا منهما بمكافأة لعملهما. وقاما متأهبين والخوذ على رأسيهما واتبعتهما فرقة من الأوشاب من أحط طبقات الأهالي لتنفيذ غرضهما. وكان العلماء في تلك الأثناء يحرضون الناس على مواصلة مجهوداتهم.

وما كاد الرسولان يصلان الى القسم الذي يقيم فيه الحجة، حتى قابلهما مير صلاح، أحد الأنصار الأقوياء مع سبعة من الأنصار المسلحين، فقاوم هجومهما، وسأل أسد الله الى أين يريد التوجه، فلما سمع منه شتما للحجة، استل سيفه وصاح بقوله (يا صاحب الزمان) وضربه ضربة جرحته في جبهته. وكانت جسارة المير صلاح بالرغم من تسلح العدو وارتدائه لباس الحرب الثقيلة قد أخافت الجماعة المتجمهرة وألجأتهم الى الهرب في جهات مختلفة[18].

وكانت صيحة (يا صاحب الزمان) التي صدرت من صاحب هذا القلب القوي المدافع عن الدين قد سمعت لأول مرة في مدينة زنجان وأحدثت رعبا انتشر في أنحائها وارتعب الحاكم من قوتها وشدتها. وسأل عن هذه الصيحة ومعناها ومن الذي اقتدر عليها، وارتعد رعباً عندما علم ان هذه الكلمة هي التي يطلب بواسطتها الأصحاب مساعدة القائم في ساعة الخطر.

أما باقي الجماعة الخائفين، فقابلوا الشيخ محمد توبجي، ولما عرفوا انه من خصومهم القادرين، وإذ وجدوه غير مسلح، ضربوه بالبلطة على رأسه وكسروها ونقلوه الى الحاكم، وما كادوا يضعون الجريح أمامه حتى قفز أحد مجتهدي زنجان الذي كان حاضرا واسمه السيد أبو القاسم وطعنه بمطواة كانت معه في صدره. وكذلك الحاكم استل سيفه وضربه في فمه، واقتفى أثره الحاضرون وضربوه بالأسلحة التي كانت معهم وأجهزوا على فريستهم الذي لم يتمكن من الدفاع عن نفسه. وكان يسمع منه وهو يتلقى الضربات غير مكترث بآلامه (لك الحمد يا الهي بما أنعمت علي بتاج الشهادة). فكان أول من أسلم حياته في سبيل الأمر من المؤمنين في زنجان. وكانت وفاته يوم الجمعة الرابع من رجب سنة 1266 هجرية[19]، قبل شهادة وحيد بمدة 45 يوما، وقبل شهادة حضرة الباب بمدة 55 يوما.

وكان الدم الذي سفك في ذلك اليوم قد أشعل نار الانتقام في قلوب الأعداء بدلا من إطفائها وجعلهم يوالون الجهد في ايقاع نفس العقاب على باقي الأصحاب. وإذ تشجعوا بموافقة الحاكم الضمنية على أعمالهم، عزموا على قتل كل من يمكنهم ان يقبضوا عليه بدون ان يستأذنوا الحكومة في ذلك، وأتفقوا فيما بينهم ان لا يستريحوا حتى يطفئوا تلك النار الموقدة التي يعتبرونها كفرا شنيعا[20] وأجبروا الحاكم على ان يطلق مناديا ينادي في زنجان، بأن كل من يريد ان ينضم الى الحجة وأصحابه فانه يجعل حياته في خطر ويفقد أملاكه ويعرض زوجته وأولاده للذل والإهانة. ومن يحب ان يضمن الراحة والشرف

لنفسه ولعائلته فليتبرأ من هؤلاء الجماعة ويهجر جيرتهم ويطلب حماية السلطان.

وكان من جراء هذا الإنذار، ان انقسم الأهالي الى فريقين ومعسكرين متحاربين، وكان بمثابة امتحان شديد للذين كانوا مترددين في قبول الأمر، وأحدث أعظم الحوادث المؤثرة، وأوجب تفريق الأبناء والأخوة والأقارب عن بعضهم البعض، وانفصمت عرى الاتصال والمحبة الدنيوية في ذلك اليوم ونسيت العهود والطاعات الأرضية لطاعة أقوى وأقدس. ووقعت زنجان فريسة لأعظم وأقسى هياج، وارتفع الضجيج من أفراد الأسر المنقسمة الى عنان السماء من شدة اليأس الممزوج بصيحات الشتائم والسباب التي يقذف بها العدو في تهديداته، وتقابلها صيحات الفرح الصادرة من الذين افترقوا عن ذويهم وأقربائهم وعشائرهم وانضموا لنصرة أمر الحجة. وكان معسكر العدو يدوي بالاستعدادات الحامية للمعركة القادمة التي عزموا على خوض غمارها، واتفقوا سراً على اقتحامها، وجاءتهم النجدات من القرى المجاورة بأمر الحاكم وتحريض المجتهدين والأشراف والعلماء[21].

ولم يعق الحجة ما شاهده من الهياج المتواصل، بل صعد المنبر وبصوت جهوري خطب في الجموع المحتشدة قائلا (ان يد القدرة قد فصلت في هذا اليوم، الحق من الباطل، وفرّقت بين نور الهداية وظلمة الضلالة، ولا أريد ان تتحملوا ضررا بسببي، وان غرض الحاكم الوحيد وغرض العلماء الذين يساعدونه هو القبض علي وإعدامي، وليس لهم مطمع في شيء آخر، فليس لهم ظمأ الا لشرب دمي ولا يقصدون شيئا وراءه، فكل من يبغي منكم ان يحفظ

نفسه من الأخطار التي نحن معرضون لها والذي يتردد في ان يضحي حياته لأجل الأمر، فليرجع من هذا المكان الى حيث أتى قبل ان تفوته الفرصة[22]).

وفي ذلك اليوم جند الحاكم أكثر من ثلاثة آلاف رجل من القرى المجاورة لزنجان، وفي أثناء هذا شاهد المير صلاح ومعه بعض أقرانه قلق الأعداء المتزايد، فطلبوا مقابلة الحجة وحرّضوه على ان ينقل مقره الى قلعة "علي مردان خان"[23] في جوار القسم الذي يقطنه، وذلك بصفة عمل احتياطي. فوافق الحجة على ذلك وأمر بنقل النساء والأطفال والمؤونة الى القلعة. ولما وجدوا القلعة مسكونة، رجوا أصحابها بالانسحاب منها وأعطوهم بدلها منازلهم التي أخلوها والتي كانوا يقطنون فيها.

وكان العدو في تلك الأثناء يستعد لهجوم عنيف. ولم تكد فرقة من القوات تطلق النيران على الاستحكامات حتى سأل المير رضا – وهو سيد من الشجعان الأفذاذ – الحجة ان يسمح له بان يقبض على الحاكم ويأتي به سجينا في القلعة. فلم يوافق الحجة على هذا الطلب ونصحه ان لا يضحي بنفسه في هذا السبيل.

ولكن إذ سمع الحاكم بعزم ذلك الشريف، أخذ منه الخوف كل مأخذ وعزم على ترك زنجان في الحال، ولكن شريفاً آخر أقنعه بالعدول عن هذا المسلك خوفا من حدوث اضطرابات جسيمة على أثر ذلك تستوجب احتقاره في نظر رؤسائه، وقرر الشريف انه سوف يهجم بنفسه على القاطنين في القلعة كشهادة منه على انه جاد في قوله. وما كاد يهجم ومعه ثلاثون من أقرانه، حتى قابل فجأة اثنين من خصومه شاهرين سيفيهما، فظن انهما يريدان الهجوم عليه

وعلى أقرانه، وأخذه الخوف ورجع توا الى منزله ونسى العهود التي قدمها للحاكم وبقى في منزله وأغلق عليه الغرفة بقية ذلك النهار. وأما الذين كانوا معه، فتفرقوا وتركوا العزم على متابعة الهجوم وفهموا فيما بعد ان الاثنين اللذين قابلوهما لم يكونا يقصدان أي هجوم عليهم. بل كانا في طريقهما لاتمام مأمورية كلفا بها.

ووقعت بعد تلك الحادثة المخجلة جملة مناوشات من أصحاب الحاكم، انتهت كلها بالخيبة والارتداد. وكلما هجموا على القلعة، يأمر الحجة بعضا من أصحابه الذين كان مجموع عددهم ثلاثمائة ان يخرجوا من مكمنهم ويشتتوا شملهم. ولكنه لم يفته ان ينبههم في كل مرة ان لا يسفكوا دماء أعدائهم بدون مبرر، وان تكون مهمتهم الوحيدة قاصرة على الدفاع والمحافظة على عدم خرق حرمة الأطفال والنساء. فكان يقول لهم (إننا مأمورون ان لا نثير حربا دينية بأي حال من الأحوال على غير المؤمنين مهما كانت نياتهم نحونا).

واستمر الحال على هذا المنوال[24] الى ان صدرت الأوامر كتابة من الأمير نظام الى أحد قواد الجيش الملكي المدعو صدر الدولة الأصفهاني[25] الذي خرج على رأس فيلقين قاصدا اذربايجان، ان يلغي سفره الذي كان مزمعا ان يقوم به وينضم في زنجان لمساعدة القوات التي جمعتها الحكومة هناك. ووصلته هذه الأوامر الكتابية من الوزير الكبير في بلدة خمسة وكان مما كتبه له الأمير نظام (انك مأمور من مليكك ان تخضع فئة المفسدين التي اجتمعت في زنجان وما حولها. ومن موجبات الشرف لكم ان تسحق آمالهم وتمحو

قواتهم، ومثل هذه الخدمة الفريدة تستوجب لك أكبر كرامة في نظر الشاه وأعظم احترام وإجلال في نظر الناس).

وكان هذا الفرمان المشجع قد أثار أطماع صدر الدولة، فقام للحال الى زنجان على رأس الفيلقين ورتب القوات التي وضعها الحاكم تحت إمرته وعمل على هجوم مشترك على القلعة ومن فيها من المدافعين[26].

ودامت المعركة في جوار القلعة ثلاثة أيام وثلاث ليال، وفيها كان المحاصرون يدافعون ويقاومون هجوم أعدائهم الشديد ببسالة طبقا لأوامر الحجة. فلم تفلح كثرة عدد القوات ولا أسلحتهم المتفوقة ولا تدريبهم الكامل في إخضاع هؤلاء الأصحاب الأبطال ولا في تسليمهم بدون قيد ولا شرط[27] ولم يثنهم الجوع أو السهر ولا نيران الأعداء التي غمرتهم عن ان يخرجوا من القلعة ويهجموا وسط الأعداء غير مبالين بالخطر الذي ينجم عن هذا الإقدام. وفي هجومهم يردون على استهزاء الأعداء بصيحة (يا صاحب الزمان) ويتغلغلون في قلب جموعهم بذلك التأثير السحري الذي تلقيه فيهم تلك الصيحة، ويتمكنون بذلك من تشتيتهم. وكان تعدد حصول هذه الهجمات ونجاحها قد أوهن قلوب الأعداء وأقنعهم بعبث مجهوداتهم حتى أقروا بعجزهم عن نيل النصر النهائي. واعترف صدر الدولة أخيرا بأنه بعد مرور تسعة اشهر في المحاربات المستمرة لم يبق معه من رجال الفرقتين اللتين كانتا معه سوى ثلاثين رجلا من العاطلين. وقرر في ضعة بأنه غير قادر على إخضاع هذه الروح التي يحاربه أخصامه بها. فأنزل من رتبته وحصل له توبيخ شديد من مليكه. وضاعت بسبب هزيمته منه نهائيا تلك الآمال التي كان يؤملها بفروغ صبر.

ووقع الرعب في قلوب أهالي زنجان بسبب هزيمته المخجلة ولم يقبل أي أحد من الأهالي ان يخاطر بحياته في المعارك لما حصل لهم جميعا من اليأس. ولم يتجدد الهجوم الا ممن أجبروا على المحاربة. ولم يرض أحد بالدخول في معمعان القتال سوى الفرق التي ترسل تباعا من طهران لهذا الغرض. وبينما أهالي المدينة وخاصة التجار قد انتفعوا من ورود قوات كثيرة بجوارها، فان أصحاب الحجة كان ينقصهم الزاد وأعوزتهم المؤونة أثناء الحصار. فنقصت مواردهم بسرعة ولم يبق لهم أمل في الحصول على القوت الا من بعض النسوة اللائي يقتربن من القلعة بحجج مختلفة لبيع ما معهن بأثمان باهضة، وكن في غالب الأحوال لا يتمكن من ذلك.

ومع ان المحصورين كانوا في شدة الجوع ومعرضين دائما لهجوم فجائي قاسي، فانهم ثبتوا في الدفاع عن القلعة بعزم لا ينثني، وليقينهم بأن قوات العدو لا تقدر ان تغلبهم، نجحوا في إقامة متاريس لا يقل عددها عن ثمانية وعشرين ووضعوا في كل استحكام تسعة عشر محاربا وكذلك وضعوا تسعة عشر حارسا في كل منها وكانت وظيفتهم مراقبة حركات العدو والإخبار عنها.

وكانوا كثيرا ما يدهشون من صوت المنادي الذي يرسله العدو في جوار القلعة لاقناع سكانها بان يهجروا الحجة وأمره. وهو يقول (ان حاكم الاقليم ورئيس الجيش مستعدان للصفح عن كل من يعزم منكم على ترك القلعة والارتداد عن دينه ويسهل له المرور والرجوع. والرجل الذي يفعل ذلك يكافئه الملك وينعم عليه برتبة شريفة فضلا عن العطايا التي يهديها له. وحلف الشاه

ونائبه على ذلك بشرفهما ان لا يحنثا في يمينهما). فكان المحصورون يقابلون بالإجماع هذا النداء بالرفض والاستهزاء والاحتقار.

ومن أعظم الدلائل على روح التضحية العالية التي حركت هؤلاء الأبطال، قيام قروية اختارت ان تكون بين النساء والأطفال الذين انضموا الى المدافعين في القلعة، واسمها "زينب" وكانت تقطن في مزرعة صغيرة في جوار زنجان. وكانت صبيحة الوجه متأججة بنار الايمان العالي وذات شجاعة وهيبة حقيقية. وأثر فيها منظر المتاعب والآلام التي قاساها أصحابها الرجال وأثار حماسا لا تنطفي نيرانه. فلبست لباس الرجال وشاركتهم في دفع الهجمات المتوالية من الأعداء، وارتدت جبّة ووضعت على رأسها قلنسوة كالرجال وقصت شعرها وتقلدت سيفا وأمسكت بندقية ودرعا ودخلت في صفوف الأحباء. ولم يشك أحد في رجولتها وهي تقفز لتأخذ محلها في المتاريس، وبمجرد ان تسمع اطلاق الرصاص من الأعداء، تستل سيفها بجسارة لا تكاد تصدق وتهجم وسط الأعداء وهي تصيح (يا صاحب الزمان) غير مبالية بما أمامها من الصفوف. واندهش الحبيب والعدو كلاهما من جرأتها وبسالتها وسرعة حركتها مما لم يشاهدوا له مثيلا. وكان أعداؤها يقولون انها اللعنة التي ارسلها عليهم الغضب الإلهي، فكانوا يهربون من أمام وجهها وهم مرعوبون قانطون تاركوا استحكاماتهم ومتاريسهم بانهزام مخجل أمامها.

وكان الحجة يراقب حركات العدو من أحد البروج، إذ رأى هذه القروية وهي تهاجم الأعداء وعرفها وأعجب ببسالتها وكانت قد تتبعت الأعداء وهم هاربون، فأمر رجاله ان يأمروها بالرجوع الى القلعة وان لا تتبع الأعداء. وإذ

رآها لا تبالي بالنيران التي أطلقت عليها قال (لم يظهر مثل هذا الاقدام ولا الشهامة من أحد حتى ولا من الرجال). ولما سألها عن بغيتها في هذا المسلك اندفعت في البكاء وقالت (ان قلبي مجروح من الأسى والحزن عندما شاهدت آلام ومشاق أقراني، فتقدمت بقوة باطنية حرضتني على هذا العمل ولا أقدر على منعها، وكنت أخشى انك لا توافق ان تهبني هذا الامتياز في ان يكون نصيبي مع أقراني الرجال). فقال الحجة (لا شك إنكِ نفس زينب التي تطوعت في الانضمام الى سكان القلعة). فأجابت قائلة (نعم أنا هي، وإني أؤكد لك انه لم يطلع أحد على حقيقتي سواك، وأنا استحلفك بحضرة الباب ان لا تحرمني من هذا الفخر الذي لا يدانيه فخر، فإن تاج الشهادة هو مرغوب حياتي). وكان الحجة قد تأثر شديد التأثر من كيفية طلبها ولهجة كلامها وأراد تهدئة خاطرها، وأكد لها انه دائم الدعوات لها، وسمّاها "رستم علي" للدلالة على شجاعتها وبطولتها، وقال لها (ان هذا اليوم هو يوم القيامة ويوم تنكشف الأسرار "انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر" فالله يحكم بين عباده بما كسبت قلوبهم من الاعتقادات وليس بما هم عليه من الصورة، سواء كانوا رجالا أو نساء. ومع انك شابة صغيرة السن ذات تجارب قليلة، ولكنك قد أظهرت من البسالة والنشاط ما لا يقدر عليه الا قليل من الرجال) وأجابها للحال لطلبها وحذرها أن تتعدى الحدود التي فرضها عليها دينها، وأشار اليها قائلا (علينا ان ندافع عن حياتنا ضد المهاجمين الخائنين وليس لنا ان نثير حربا دينية ضدهم).

واستمرت هذه القروية مدة لا تقل عن خمسة أشهر وهي تقاوم العدو بشجاعة نادرة لا مثيل لها. وكانت تعمل بجد ونشاط للأمر الذي كانت تحبه

ولا تبالي بالطعام أو الراحة أو النوم. فجسارتها العجيبة أحيت الشجاعة في قلوب البعض ممن كانوا مترددين، وذكّرتهم بالواجب الذي كان مفروضا على كل منهم. وكان الحسام الذي تشهره معلقا دائما بجانبها، تتوسده في الفترات القصيرة التي تنام فيها وتغطي جسمها بالدرع. وكان كل واحد من الأصحاب موكلا بنقطة يحرسها ويدافع عنها، بينما تلك السيدة الجريئة كانت حرّة تتنقل حيث تشاء، وكانت دائما في المقدمة وفي قلب المعمعة تهجم لحماية أي نقطة تكون مهددة من العدو المهاجم وتحضر تواً الى الأصحاب الذين يطلبون مساعدتها. ولما قاربت حياتها على الانتهاء عرف أعداؤها أمرها واستمرت ترهبهم بتأثيرها وترعبهم بقوة هجومها رغم اطلاعهم على السر بأنها فتاة لا غلام. وكان صوتها الجهوري كافيا أن يوقع الرعب في قلوب الأعداء ويملأهم يأساً.

وذات يوم، إذ رأت زينب إن أصحابها قد أحاط بهم الأعداء، أسرعت للحجة وهي في حزن، ورمت نفسها تحت أقدامه وتضرعت له وهي تبكي أن يسمح لها ان تذهب لانقاذهم، وزادت قائلة (ان حياتي قد قاربت الانتهاء وربما وقعت بنفسي تحت سيف المهاجم، فأتضرع اليك ان تغفر لي ما يكون قد فرط مني وتتوسط لي عند مولاي الذي لأجله أحنُّ أن أفدي حياتي).

فلم يقدر الحجة على الجواب من شدة تأثره. وإذ تشجعت بسكوته الذي أخذته انه علامة الرضا، وثبتْ خارجة من بوابة القلعة، وصاحت سبع مرات (يا صاحب الزمان) وهجمت لقطع يد الرجل الذي قتل وذبح بعضا من الأصحاب، وصاحت وهي ثائرة تقول (كيف دنّستم اسم الإسلام بأعمالكم ولماذا

تهربون من أمامي بهذه الذلة ان كنتم صادقين؟) وجرت على المتاريس التي أقامها العدو وقتلت الحراس وهدمت ثلاثة متاريس. وكانت تقاتل في الرابع إذ سقطت تحت وابل من الرصاص على الأرض وفارقت الحياة. فلم ينبس أحد من الأعداء ببنت شفة فيما يتعلق بطهارتها أو يتجاهل سمو اعتقادها وشدة بأسها، ولم تكن هي التي عرفوها من قبل في نظرهم تلك القروية، بل كانت عنوان كل الفضائل الإنسانية ومثال الأخلاق ومظهرا ناطقا للروح التي لا يقدر على خلقها سوى الدين الذي اعتنقته.

وأمر الحجة الرسل الذين يتوسطون بينه وبين الأصحاب، أن يخطروا حراس الاستحكامات أن يتبعوا أمر حضرة الباب ويكرروا تسع عشرة مرة كل ليلة (الله أكبر. الله أعظم. الله أجمل. الله أبهى. الله أطهر). وفي نفس الليلة التي وصل لهم فيها الأمر، اجتمع المدافعون عن الاستحكامات وكرروا هذه الجملة بصوت واحد. وكانت الصيحة شديدة ومرتفعة لدرجة أن الأعداء استيقظوا من نومهم وهربوا من المعسكر مرعوبين. وإذ أسرعوا الى جوار مسكن الحاكم طلبوا الالتجاء والاحتماء في المنازل المجاورة. وسقط بعضهم من شدة رعبه واستولى الخوف على كثير من سكان زنجان، حتى ألجأهم الى الهرب الى القرى المجاورة، وظن الكثيرون بأن هذه الصيحة إن هي إلا علامة على ظهور يوم القيامة، وآخرون ظنوا أنها إشارة من الحجة بالهجوم الجديد العام بطور أشد مما كان يفعله الى الحين.

ولما سمع الحجة بالاضطراب الذي وقع على الأعداء من جراء هذا النداء قال (فكيف يكون الحال لو كان سيدي قد صرح لي أن أشهر جهادا على

هؤلاء الكفار الجبناء، فقد أمرت أن أثبت في قلوب الناس أصول المحبة والإحسان السامية وأن يمتنعوا عن كل عنف لا توجبه الضرورة. فغرضي وغرض أصحابي أن نطيع رئيسنا ومليكنا ونكون على صفاء ومودة مع عامة الشعب. ولو اتبعت مثال علماء زنجان لكنت طيلة أيام حياتي معبودا من هؤلاء العامة، عبادة العبيد لأسيادهم، ولكني لن أقبل أبداً أن أبدل طاعتي الدائمية لأمره بكنوز الأرض كلها ولا بجميع أبهة الدنيا وزخارفها).

ولم يزل الذين أصيبوا بالفزع والاضطراب تلك الليلة يتذكرونها، فحوادثها دائما عالقة في أذهانهم. وسمعت من شاهد عيان يبين بكلام فصيح الفرق بين الجلبة والاضطراب الحاصل في معسكر العدو وبين حالة الخشوع والمناجاة التي كان عليها أهل القلعة. فبينما كان الذين في القلعة يذكرون اسم الله ويطلبون هدايته ورحمته، كان خصومهم من الضباط والرجال منغمسين في أعمال الشهوات السافلة. أما سكان القلعة فمع ضمور أجسامهم ونضوب مواردهم، كانوا ملازمين للمناجاة يرتلون الآيات التي كان يأمرهم بتلاوتها حضرة الباب. وكان معسكر العدو إذ ذاك يدوي بأصوات الضحك الممزوج بألفاظ الشتم والسباب واللعن. وفي تلك الليلة على الخصوص حينما صعد صوت الترتيل قام الضباط الفجرة وهم قابضون على كؤوس الخمر في أيديهم وهربوا حفاة حتى وقعت منهم تلك الكؤوس كأنهم صعقوا من الصيحة الجهورية التي وقعت أثناء التفافهم حول مائدة المقامرة، وأصابهم الهلع وهرب بعضهم الى البرية عاريّ الرأس، وانقلبت موائد المقامرة أثناء هروبهم حفاة، ولم يرتدوا

ملابسهم بأكملها، وأسرع البعض الآخر الى منازل العلماء وأيقضوهم من النوم. وأخذوا وهم في سكرتهم يلعنونهم لأنهم تسببوا في اشعال هذه الفتنة.

وبمجرد أن علم العدو بالغرض المقصود من الصيحة، عادوا الى مراكزهم بعد الاطمئنان مع الخجل الكبير. وأمر الضباط عددا من الرجال أن يكمنوا ويطلقوا النار على الجهة التي يسمع منها الصوت مرة أخرى. وفي كل ليلة يقتلون جملة من الأصحاب على هذه الصورة ولم تعق تلك الخسائر المستمرة أصحاب الحجة على أن يستمروا ويرفعوا أصواتهم بحماس لا ينقطع بالتهليل والتكبير محتقرين جميع الأخطار التي تنتابهم بسبب تلاوة هذه المناجاة. وكلما نقص عددهم زاد ارتفاع أصواتهم وتجلجلت صيحاتهم. حتى أن خطر الموت لم يعق هؤلاء الأبطال المدافعين ولم يمنعهم من تأدية ما اعتقدوه أعظم وأشرف ذكرى لمحبوبهم.

وبينما كانت رحى الملاحم دائرة، أرسل الحجة خطابا الى ناصر الدين شاه يقول فيه: (ان اتباع جلالتك الشاهانية يعتبرونك الحاكم الدنيوي والمحافظ الأعظم على الدين. وهم يلجئون لعدالتك وينظرون اليك بأنك الحامي الأكبر لحقوقهم. ومسألتنا أولا تخص علماء زنجان فقط ولا تتعلق مطلقا بحكومتكم ولا بالأهالي. وقد دعاني سلفكم الى طهران وأمرني أن أظهر دعوة ديني، وأقتنع المرحوم الشاه وامتدحني وعمدت الى ترك موطني والإقامة في طهران، ولم يكن لي من قصد سوى إخماد تلك الضجة التي أثاروها حول شخصي وإطفاء النيران التي أشعلها أهل السوء. ومع اني كنت في حِل من العودة الى موطني، فضلت أن أبقى في العاصمة متكلا على عدل مليكي. وفي ابتداء حكمكم

اتهمني الأمير نظام بالخيانة أثناء ملحمة مازندران وعزم على قتلي، ولما لم أجد أحدا في طهران يحميني، هربت لزنجان فرارا حيث عدت الى بذل مجهوداتي لرفعة واعلاء شأن صالح الإسلام الحق. وأثناء اشتغالي بذلك قام عليّ "مجد الدولة" وكثيرا ما طلبت منه العدل والإنصاف في أمري، فلم يقبل، وحرّضه علماء زنجان، وبسبب تملقهم إليه عزم على القبض عليّ. فتداخل أصحابي واجتهدوا أن يمنعوه من ذلك ولكنه استمر على تحريك الناس ضدي، حتى أدّى الحال الى ما نحن فيه. وللآن سكتّم جلالتكم عن مساعداتكم الكريمة لصالحنا نحن الأبرياء الذين وقعوا فريسة لظلم فادح. واجتهد أعداؤنا أن يصوروا الأمر في أعين جلالتكم بأنه خيانة ضد سلطتكم. مع إننا لا نضمر في قلوبنا سوءً أو خيانة كما يعرف ذلك كل منصف بصير. ولا غرض لنا الا تقدم مصالح حكومتكم ومصالح العباد. واني وأصحابي مستعدون أن نحضر في طهران أمامكم ونجتمع مع خصومنا ونثبت صحة أمرنا). ولم يكتف بخطابه هذا بل طلب أيضا من رؤساء أصحابه أن يحرروا مثل هذا الخطاب الى الشاه وأن يلحوا عليه في طلب العدل والانصاف.

وما كاد الرسول الذي حمل هذه الرسائل الى طهران أن يقوم في طريقه، حتى قبض عليه وأحضر أمام الحاكم. وإذ غضب من عمل خصومه، أمر باعدام الرسول ومزق العرائض وكتب بدلا عنها عرائض أخرى شحنها بالشتم والسب وأمضاها بامضاءات مزورة للحجة وأصحابه وأرسلها الى طهران.

وغضب الشاه من تلاوة تلك العرائض، وأمر في الحال بارسال فرقتين مجهزتين بالمدافع والمؤن الى زنجان، وأمر أن لا يسمح لأي صاحب من

أصحاب الحجة أن يبقى على قيد الحياة. وكانت أخبار استشهاد حضرة الباب قد وصلت الى مسامع الساكنين في القلعة من السيد حسن أخ السيد حسين، كاتب وحي حضرة الباب، الذي وصل الى اذربايجان في طريقه الى قزوين. وزاد ذلك في غمهم وانتشر الخبر بين الأعداء وقابلوه بالترحيب وارتفعت أصواتهم بالفرح والانبساط وأخذوا في الاستهزاء بأتباعه والطعن على مجهوداتهم، وصاحوا بغطرسة وتكبر قائلين (لماذا تريدون أن تضحوا أنفسكم فان الذي تريدون أن تضحوا أنفسكم لأجله قد وقع فريسة لقذائف عدوّه المنتصر. وفقد جسده من بين أعدائه وأحبائه. فلماذا تصرون على العناد في حين أن كلمة واحدة منكم تكفي لخلاصكم من جميع الآلام). ولكنهم عجزوا في النهاية أن يقنعوا أضعف شخص منهم أن يهجر القلعة أو يرتد عن دينه. وضاعت جهودهم في زعزعة المؤمنين عن ايمانهم هباءً منثورا.

وكان الأمير نظام في الأثناء يحرض مليكه على أن يرسل النجدة الى زنجان. فأرسل محمد خان، الأمير تومان على رأس خمس فرق معدة بكافة أنواع الأسلحة والمؤن لتدمير القلعة واهلاك سكانها. وفي أثناء العشرين يوما التي أوقفت فيها الأعمال العدائية، وصل عزيز خان مكري، المسمى "صدر الكل" الى زنجان أثناء سيره في مهمة حربية الى ايراوان[28] ونجح في مقابلة الحجة بواسطة مضيفه السيد علي خان. وحكى الأخير لعزيز خان أحوال مقابلته المؤثرة مع الحجة. وبعد ان حصل على جميع المعلومات، سأل الحجة عن مقاصد وأغراض المحصورين، فأخبره الحجة (انه لو امتنعت الحكومة عن إجابة طلبي فأريد أن تسمح لي بأن أرحل أنا وعائلتي الى مكان خارج حدود

هذه البلاد. فإذا لم تقبل حتى هذا الطلب فنحن مضطرون لأن ندافع عن أنفسنا). فأكد عزيز خان للسيد علي خان، أنه سيعمل جهده لاقناع أرباب السلطة لإيجاد حل سريع لهذه المسألة. وما كاد السيد علي خان يعود الى منزله حتى جاء فجأة فراش (مأمور) من الأمير نظام الى عزيز خان، خصيصا للقبض على سيد علي خان وإرساله الى العاصمة. ولشدة خوفه ولابعاد كل تهمة عن نفسه شرع في سّب الحجة وإنكاره أمام الفراش. وبهذه الوسيلة تمكن من أن يمنع عن نفسه الخطر الذي كان يهدد حياته.

وكان وصول الأمير تومان، سببا لعودة المعارك بكيفية لم تشهد زنجان مثلها مطلقا. فكان يقود سبع عشرة فرقة من السواري والبيادة تحت امرته[29] ومعه ما لا يقل عن أربعة عشر مدفعا، أمر بتصويبها جميعا على القلعة.

وكان يمرن أيضا خمس فرق أخرى جنّدها الأمير من الجهات المجاورة. وفي نفس الليلة التي وصل فيها، أمر ان تضرب الأبواق دلالة على الهجوم. وأمر الضباط الطوبجية (المدفعية) ان يطلقوا المدافع على القلعة في الحال. وما كاد صوت المدافع الذي يسمع على بعد أربعة عشر فرسخا يدوي، حتى أمر الحجة أصحابه ان يطلقوا مدفعين صنعوهما بأنفسهم، وكان أحدهما قد نقل الى مكان عال يشرف على معسكر الأمير. فأصابت قنبلة خيمة الأمير وجرحت جواده جرحا مميتا. وكان العدو قد صوب نيرانه على القلعة بحنق زائد، ونجح في قتل عدد كبير من السكان. وبمرور الأيام اتضح وضوحا زائدا بأن القوات التي تحت إمرة الأمير تومان عجزت عن إحراز النصر الذي كانوا ينتظرونه بفارغ الصبر وبشوق زائد رغما عن ازدياد قوتهم وتفوقهم في العدة

والتمرين والعدد. وكانت وفاة فروخ خان بن يحيى خان وأخ حاجي سليمان خان، أحد قواد جيش الأعداء، قد أثار دهشة الأمير نظام الذي أرسل خطابا شديدا الى القائد العام يوبخه فيه على عجزه عن اجبار المحصورين على التسليم بلا قيد ولا شرط. وكتب إليه قائلا (انك قد أثلمت اسم وصيت مملكتنا وأوهنت الجيش حتى ضاعت قوته المعنوية وضيعت حياة أعظم وأقدر الضباط). وأمره ان يشدد على إتّباع النظام بين مرؤوسيه ويطهر المعسكر من كل رذيلة وفجور. وحرضه على ان يتشاور مع رؤساء مدينة زنجان، وحذره إذا لم ينجح في ذلك كله، فانه سوف يعزله من وظيفته. وزاد على ذلك بقوله (وإذا كانت جميع القوى المجتمعة تحت أمرك عاجزة عن اخضاعهم، فاني سأضطر للقيام بنفسي الى زنجان، وآمر بذبح جميع الأهالي بغض النظر عن مراكزهم واعتقادهم. فان مدينة تجلب كل هذا العار على الشاه والأسى لأهل مملكته غير جديرة برحمة مليكنا).

وفي سورة اليأس وحمو الغضب، دعا الأمير تومان جميع الكدخداوات ورؤساء الناس وأظهر لهم نص الخطاب. وبتحريضه الجاد تمكن من اثارتهم للعمل في الحال. وفي اليوم الثاني، تجنّد في جيش الأمير تومان، كل رجل قادر في زنجان، وسار الى طريق القلعة جحفل عظيم، منهم تحت رئاسة الكدخداوات تتقدمهم أربع فرق من الجنود النظامية تصحبهم أصوات الأبواق ودق الطبول. وصاح أصحاب الحجة دفعة واحدة بصيحة (يا صاحب الزمان) غير مبالين بضجيج الجيوش، وهجموا عليهم خارج الأبواب. وكانت هذه الملحمة أشد وأقسى محاربة وقعت بين الفريقين. وقد وقع زهرة أحباء الحجة في

هذا اليوم فريسة لمذابح وحشية. فكم من ابن ذبح بقسوة مطلقة تحت نظر والدته، بينما الأخوات ينظرن بالهلع والحزن رؤوس إخوانهن مرفوعة على الرماح ومشوهة بأسلحة أعدائهم. وفي وسط معمعان الحماس الهائج من أصحاب الحجة لمقابلة وحشية الأعداء وهياجهم، ارتفعت أصوات النسوة اللائي كن يحاربن جنبا لجنب مع رجالهن وهن يشجعنهم ويحمسنهم. وساعد على النصرة التي حازها الأصحاب باعجوبة، ذلك التهليل والابتهاج الذي ارتفع من أصوات النسوة في وجه العدو القوي، وزادت أصواتهن المرتفعة في شجاعة رجالهن، وكن يختفين بملابس الرجال هاجمات للحلول محل الأخوة الذين قتلوا، بينما الكثيرات يحملن قرب الماء يسقين العطشى من المحاربين ويعدن القوة للجرحى. أما معسكر العدو فدب فيه الارتباك واختلت صفوفه وكانوا يحاربون حرب المغلوبين نظرا لقلة الماء عندهم وارتباكهم وأصبحوا عاجزين عن احراز النصر، وفي الوقت نفسه غير قادرين على التقهقر. وفي ذلك اليوم شرب كأس الشهادة ما لا يقل عن ثلاثمائة من الأصحاب.

وكان أحد أصحاب الحجة واسمه محسن، ووظيفته أداء الآذان، ولصوته طلاوة ورنين ليس لغيره مثله. وكان يسمع رنينه وهو يدعو الناس للصلاة من القرى المجاورة ويخترق قلوب سامعيه. وكان كثيرا ما يندهش المصلون الذين يطرق صوته أسماعهم من إلصاق تهمة الكفر الى الحجة وأصحابه. وعلا احتجاجهم حتى وصل في زنجان الى أسماع المجتهد الأكبر، ولما لم يقدر ان يسكتهم، تضرع الى الأمير تومان ان يتذرع بأي وسيلة ليمحو من قلوب الناس اعتقادهم في تقوى واستقامة الحجة وأصحابه. وكان يشكو إليه قائلا (انني ليل

نهار اجتهدت في ان أثبت في عقول الناس في محادثاتي معهم بان هذه الطائفة أعداء الرسول وأعداء دينه، ولكن صوت هذا المؤذن محسن الشرير، يضيع تأثير كلماتي ويفسد مجهوداتي. فإهلاك هذا النذل هو أول واجباتك).

وكان الأمير قد امتنع أولا من إجابة طلبه، وأجابه على ذلك بقوله (انكم أنتم وأمثالكم مسؤولون عن إثارة حرب دينية عليهم. ونحن لسنا سوى خدام الحكومة، وواجباتنا إطاعة الأوامر التي تصلنا. فإذا رغبتم في إنهاء حياته، فاستعدوا للتضحية إذن). ففهم السيد للحال مقصود الأمير. وما كاد يعود الى منزله، حتى أرسل الى الأمير مع رسول مائة تومان بصفة هدية. فأمر الأمير في الحال عددا من رجاله المشهورين بالرماية ان يكمنوا لمحسن ويطلقوا عليه النار وهو يؤذن. وفي وقت الفجر بينما كان يصيح قائلا (لا اله الا الله) إذ أصابته رصاصة في فمه وقتلته للحال. ولما سمع الحجة بذلك العمل الوحشي أمر ان يصعد خلافه على البرج ويكمل الآذان الذي ابتدأه محسن. ومع انه لم يصب في هذه الدفعة فانه مع كثيرين من إخوانه قتلوا أخيرا بكيفية لا تقل شناعة عن قتل زميلهم.

وإذ اقتربت ساعة انتهاء الحصار، أمر الحجة، أن جميع الخاطبين يقومون لاشهار زفافهم، واختار لكل شاب أعزب زوجة، وأنفق من جيبه الخاص على قدر استطاعته ما يزيد في رفاهية وفرح المتزوجين. وباع جميع الجواهر التي كانت تملكها زوجته واشترى لكل عروسين ما يجلب لهما الراحة والسعادة في زواجهما. واستمرت الأفراح مدة ثلاثة أشهر بهذه الكيفية، وكانت ممزوجة بالمصاعب والمتاعب الناتجة عن الحصار الطويل. فكم من مرة هدد

ضجيج العدو القادم أفراح العروسين في وقت مقابلتهما. ولما كان صوت (يا صاحب الزمان) يرتفع إذ ذاك لمناداة الأصحاب لرد العدو الهاجم. وإذ كانت العروس تطلب من زوجها برفق ان يطيل مكثه معها قليلا، كان يتركها ويهجم على العدو طلبا لتاج الشهادة ويقول لها (ليس عندي وقت، بل يجب علي ان أحصل على تاج هذا الفخر، فسنلتقي مرة أخرى على شواطئ الأبدية مكان النعيم وموطن الحياة الأزلية).

وتم عقد زواج نحو مائتي شاب أثناء هذه الأيام الصاخبة. وتمكن البعض من ان يمكثوا مع أزواجهم في أمان مدة شهر، وآخرون بضعة أيام، والبعض لحظات قصيرة. ولم يتأخر أي أحد منهم عند سماع دق الطبول عن الفراق ليجيب الداعي بفرح، ويتقدم كل واحد بنفسه فداء لمحبوبه بدون تذمر. وأخيرا شربوا جميعا كأس الشهادة. فلا عجب ان المكان الذي كان مشهدا لأعظم الآلام والذي كان ميدانا لمثل هذه الفروسية سمّاه حضرة الباب (أرض أعلى)[30]، وهو لقب يبقى دائما كل الوقت مقترنا باسمه الشريف.

وكان من بين الأصحاب شخص يدعى كربلائي عبد الباقي، والد لسبعة أبناء، زوّج منهم الحجة خمسة. وما كادت حفلة الزفاف تتم حتى علت صيحة الفزع فجأة للدلالة على هجوم جديد عليهم. فقاموا عن بكرة أبيهم وتركوا زوجاتهم وهجموا للحال لرد العدو المهاجم. وتوفي الخمسة جميعهم في تلك المعركة، وكان أكبرهم سناً شاب مشهور بالذكاء والشجاعة النادرة، أخذوه أسيرا، وأدخل أمام الأمير تومان، فصاح عليه ذلك الأمير الغاضب قائلا (اطرحوه أرضا واحرقوا صدره الذي ضم حبا عظيما مثل هذا للحجة). فاندفع الشاب

قائلا (أيها الرجل النذل لا تقدر أي نار تشعلها يد رجالك ان تحرق الحب الذي يتجلى في قلبي). وكان مدح محبوبه قد بقي على لسانه لآخر لحظة من حياته.

وكانت أم أشرف من بين النساء اللائي امتزن بقوة ايمانهن وتزوجت حديثا إذ وقعت عاصفة زنجان. وكانت داخل القلعة إذ ولدت أشرف. وكانت هي وأشرف ولدها من البقية الباقية من القلعة بعد ختام تلك المأساة. ولما ترعرع ابنها بعد مرور جملة سنوات، صار شابا ذا مواهب طبيعية عظيمة، ولما عجز أعداؤه عن اقناعه في الارتداد عن دينه، اجتهدوا ان يؤثروا على والدته ويقنعوها بضرورة إنقاذه قبل فوات الوقت. فلما أحضروها وجها لوجه أمامه، صاحت الأم قائلة (اني أبرأ الى الله ان تكون ولدي إذا كنت تميل قلبك الى مثل هذه الوساوس الشريرة وتمكنهم ان يصدوك عن الحق). وقابل أشرف موته بكل سكون واطمئنان باتباعه لنصيحة والدته. ومع مشاهدتها آلام واعمال القسوة التي تقع على ابنها، فانها لم تجزع ولم تدمع عينها. وأظهرت هذه الأم العجيبة، شجاعة وثباتا أدهش نفس الذين كانوا يعذبون ابنها بهذا العذاب القاسي. وحين نظرت الى جثة ابنها لآخر مرة صاحت قائلة (لم يزل يتغلغل في قلبي ذلك القسم الذي أقسمته يوم ولادتك، إذ كنت محصورة في قلعة علي مردان خان، واني أبتهج الآن ان الولد الوحيد الذي أعطاني الله قد حقق آمالي بالوفاء بالنذر).

وان قلمي ليعجز عن ان يصف أو يذكر بالاحترام اللائق ذلك الحماس الملتهب الذي تجلى في تلك القلوب الباسلة. فكانت أرياح البغضاء على

اشتدادها غير قادرة على إطفاء لهيبها. وكان الرجال والنساء يشتغلون بحماس لا مزيد عليه لتقوية استحكامات القلعة وبناء كل ما يدمره العدو منها. ويصرفون أوقات الفراغ في الصلاة وانحصر كل فكرهم وهمهم في ضرورة حراسة معقلهم ضد هجوم عدوهم. ولم يكن حماس النساء في ذلك الحصار بأقل من حماس وحرارة الرجال. واشترك كل النسوة بغض النظر عن سنهن ومقامهن في الهمة المشتركة التي بذلنها. فكن يخطن الثياب ويخبزن الخبز ويعنين بالمرضى والجرحى ويذهبن للاستحكامات لازالة ما وقع في الساحات والشرفات من القنابل والرصاص والسهام التي كان الأعداء يقذفون بها، وكن يرممن الاستحكامات، وفضلا عن ذلك يبعثن في قلوب الرجال الهمة والنشاط ويحثن المترددين على التجلد[31] والصبر على القتال. وحتى الأطفال كانوا يساعدون بكل ما فيهم من قوة للأمر المشترك، وكان يظهر فيهم حماس لا يقل عن حماس الأمهات والآباء. فهكذا كانت روح التضامن التي امتازت بها أعمالهم، وهكذا كانت أعمال الفروسية التي جعلت الأعداء يعتقدون ان عددهم لا يقل عن عشرة آلاف شخص. وكان من الأمور المسلم بها ان المؤونة ترد للقلعة باستمرار بطريقة غير معلومة، وان النجدات كانت تصلهم من كل مكان، من نيريز وخراسان وتبريز، فكانت قوة المحصورين تظهر كأنها لا يمكن ان تتزعزع الى الأبد وان مواردهم لا تفنى. واشتد حنق الأمير تومان لتوبيخ الرؤساء له واحتجاجاتهم الواردة من طهران. فعزم ان يلجأ الى اخضاع المحصورين اخضاعا كليا بوسائل الخداع الدنيئة[32] ومع اعتقاده اعتقادا يقينا بعبث المجهودات التي يقوم بها في محاربة خصومه، عمد الى طريق الخداع

وأوقف القتال وأشاع ان الشاه عزم على ترك المحاربة كلية. وأظهر مليكه بمظهر الشخص الذي كان غير ميال منذ الابتداء لمساعدة القوات التي حاربت في مازندران ونيريز، وانه تأسف كثيرا على سفك هذه الدماء لسبب تافه مثل هذا. فاعتقد أهالي زنجان والقرى المجاورة ان ناصر الدين شاه قد أمر الأمير تومان بالمفاوضة للصلح بينه وبين الحجة، وانه عزم على انهاء الأمر والحالة الراهنة التعيسة بأسرع ما يمكن.

ولما تأكد ان الناس قد خدعوا بخطته الماكرة، كتب خطابا يدعو فيه المحصورين للصلح، وأكد للحجة صدق نيته للحصول على وفاق بينه وبين أصحابه، وأرفق بالكتاب نسخة مختومة من القرآن كشهادة على صدق نيته وقسمه. وقال (ان مليكي سامحك، واني أقسم بهذا انك وأصحابك في حفظ وحماية المليك. وهذا كتاب الله شاهدي على انه إذا أراد أي أحد الخروج من القلعة، فانه يكون آمنا من أي خطر).

فاستلم الحجة القرآن بالاحترام من يد الرسول، وبمجرد ان قرأ الخطاب، أمر الرسول ان يخبر سيده بأنه سيرد الجواب باكرا. وفي تلك الليلة جمع أصحابه وخاطبهم بالشكوك التي يعتقدها في صدق نوايا الأعداء وقال (ان خيانات مازندران ونيريز لا تزال عالقة في الأذهان. فما فعلوه معهم يريدون ان يفعلوا مثله معنا. ولكن مع ذلك نجيبهم الى طلبهم احتراما للقرآن ونرسل الى معسكرهم عددا من الأصحاب حتى يظهر غدرهم وخيانتهم).

وقد سمعت من الاستاد مهر علاي حداد، الذي نجى من مذابح زنجان ما يأتي (كنت أحد السبعة من الغلمان الذين لم يزد عمر كل منهم على عشر

سنوات، ورافقنا البعثة التي أرسلها الحجة الى الأمير تومان، وكان الباقون يزيد عمر كل منهم على ثمانين. ومنهم كربلائي مولاقلي أقا داداش، ودرويش صلاح ومحمد رحيم ومحمد. وكان درويش صلاح ذا هيبة ووقار، طويل القامة أبيض الذقن وذا جمال بديع، ومحترما للغاية لأخلاقه وتقواه. وكان توسطه في أمر هؤلاء الأصحاب المحصورين قد أكسبه احترام وعطف أصحاب السلطان. وبمجرد ان اعتنق الأمر رفض قبول جميع الانعامات التي انعموا بها عليه، ومع انه متقدم في السن انضم مع جماعة المدافعين في القلعة، وسار أمامنا وهو حامل القرآن المختوم، حينما أدخلونا أمام الأمير تومان.

وإذ وصلنا الى الخيمة، وقفنا في داخلها منتظرين الأمر. ولم يرد على تحيتنا له بشيء، وعاملنا باحتقار زائد، وجعلنا ننتظره واقفين نصف ساعة قبل ان يعتني بمخاطبتنا بلهجة التأنيب الشديد. وصاح باحتقار وصلف (اني لم أر طائفة أرذل ولا أحقر منكم). وبينما هو يكيل لنا الشتائم، إذ تقدم أكبرنا سناً وأضعفنا، وطلب ان يسمح له ببعض كلمات. وإذ أذن له، تكلم بطريقة أثارت إعجاب الجميع، ولو انه كان أمياً، ومما قاله (الله يعلم اننا أناس مسالمون لمليكنا وسنبقى كذلك طائعين ومخلصين له ولا غاية لنا سوى صلاح الدولة والملة، ولكن أولي البغضاء قاموا علينا وأظهرونا بمظهر غير مظهرنا، ولم نجد أحدا من أعوان الشاه يميل الى مساعدتنا أو يحامي عنا عنده، وقد شكونا له مرارا ولكنه تجاهل شكوانا وصم آذانه عن ندائنا، وتشجع أعداؤنا إذ رأوا عدم الاهتمام من جانب السلطة الحاكمة، فهجموا علينا من جميع الجهات ونهبوا

أملاكنا وهتكوا حرمة نسائنا وبناتنا وقبضوا على أطفالنا، وإذ رأينا أنفسنا غير محميين من حكومتنا ومحاطين بأعدائنا، شعرنا بضرورة قيامنا للدفاع عن حياتنا). فالتفت الأمير تومان الى ياوره وسأله عما يراه في هذه المسألة، وهو يقول (اني لا أقدر ان أجيب هذا الرجل ولو كنت في قلبي متدينا فلن أتوانى في اعتناق دينه) فأجاب الياور (ليس لنا الا السيف، فهو الذي يخلصنا من سفاهة هذه الضلالة). فأجاب درويش صلاح (اني أحمل القرآن في يدي وفيه الاقرار الذي اخترتم بأنفسكم كتابته. فهل ما نسمعه الآن هو مكافأتنا على اجابتكم لطلبكم). وإذ حمى غضب الأمير تومان، أمر بنتف لحية درويش صلاح، وأن يطرح هو ومن معه في سرداب، وفزعت أنا وباقي الغلمان الذين كانوا معي وعزمنا على الهرب وصحنا (يا صاحب الزمان) وجرينا الى ناحية استحكاماتنا. وبينما نحن نجري أمسك الرجل الذي يتبعني بطرف ردائي فخلعت نفسي منه ووصلت الى الباب الذي يصل الى مدخل القلعة وأنا في حالة الضنا الكلي. فما كانت أكبر دهشتي عندما رأيت أحد الأصحاب واسمه إمام قلي يقطعه الأعداء بوحشية زائدة، وحصل لي رعب شديد إذ نظرت إليه مع علمي بانه في ذلك اليوم أعلنت الهدنة بين الطرفين بيمين مغلّظة مبنية على عدم اقتراف أي عمل من أعمال القسوة. وعلمت فيما بعد ان القتيل خدعه أخوه الذي احتج بانه يريد مقابلته للتكلم معه، وأسلمه بهذه الطريقة ليد الأعداء. فاسرعت توا الى الحجة الذي قابلني بالمحبة وأزال الغبار عن وجهي وملابسي وأعطاني ملابس جديدة وأجلسني بجانبه وأمرني ان أخبره بنصيب إخوانه. فوصفت له كل ما رأيته. ففسر لي قائلا (انها صيحة يوم القيامة تلك الصيحة التي ما

شاهد العالم مثلها أبدا، فهذا هو اليوم الذي يفر المرء فيه من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه"قرآن 80-34"، وهذا هو اليوم الذي لا يقتنع الانسان فيه ان يترك أخاه فحسب، بل يضحي ماله ليسفك دم أقرب أقربائه، وهذا هو اليوم الذي فيه تذهل كل مرضعة عن راضعها ويوم تضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد "قرآن 22-2").

وكان الحجة جالسا وسط الميدان. إذ دعا أصحابه وقام في وسطهم وقال لهم (اني مسرور من عزائمكم التي لا تثبط أيها الاخوان، فان أعداءنا صمموا على إبادتنا. فليس لهم قصد خلاف ذلك. وكان غرضهم ان يخرجوكم بالحيلة خارج القلعة، وهناك يذبحونكم حسب مرغوب قلوبهم. وإذ علموا ان عنتهم ظهر وان خديعتهم انكشفت لذلك قاموا على حبس أكبركم سناً وحبس الصغار. والظاهر انهم لن يتركوا أسلحتهم ولا ينتهوا من سفك دمائكم حتى يستولوا على هذه القلعة ويشتتوكم. وان استمرار وجودكم في هذه القلعة سيؤول حتما في النهاية الى ان العدو يأخذكم أسرى. وإذن يذبحون أبناءكم ويهتكون حرمة نسائكم. فالأحسن لكم اذن ان تهربوا في جنح الليل وان تأخذوا نساءكم وأطفالكم معكم، وليبحث كل منكم عن محل آمن الى ان يحين الوقت الذي فيه تأمنوا هذه المظالم. وسأبقى وحدي لمجابهة العدو، وحبذا لو كان قتلي يشفي غليلهم بدلا عن هلاككم بأجمعكم). فتأثر الأصحاب من هذا الخطاب من أعماق قلوبهم وقرروا عزمهم على البقاء بجانبه الى النهاية، وهم يذرفون الدموع صائحين (لا نقبل أبدا ان نتركك لقسوة العدو القاتل. وحياتنا ليست أثمن من حياتك، ولا عائلاتنا أشرف سلالة من أقربائك. وإنا نرحب بكل مصيبة تصيبنا

معك). فبقي الجميع عدا البعض الذين لم يتحملوا ضيق الحصار المتواصل. وإذ تشجعوا بنصيحة الحجة، سحبوا أنفسهم الى محل آمن خارج القلعة، وبذلك انفصلوا عن بقية الأصحاب. وكان الأمير تومان من شدة يأسه قد أمر جميع الرجال الأشداء الذين في زنجان ان يجتمعوا في جوار معسكره لتنفيذ خطته، فنظم قوات فرقه وعيّن ضباطها وزاد عليهم الجماهير الذين تجندوا حديثا في تلك المدينة، وأمر ان تهجم على القلعة ست عشرة فرقة مزودة بعشرة مدافع، منها ثمان فرق تهجم قبل الظهر ثم يستبدلون بالثمان الباقية الى الليل. وحضر الأمير بنفسه الى الميدان وكان يقود الفرق قبل ظهر كل يوم ويوعدهم بالمكافأة المنتظرة إذا انتصروا ويتوعدهم بالعقاب الذي يوقعه عليهم مليكهم إذا خذلوا.

واستمر الحصار والقتال بهذه الكيفية مدة شهر، ولم يكتف العدو بالقتال نهارا، بل كان يهجم في كثير من الأحيان ليلا، وكان اشتداد هجومهم ووفرة عددهم قد أضعفت صفوف الأصحاب وزادت في ضيقهم. وكانت النجدات تتوالى للعدو من كل الجهات، بينما المحصورون يتضورون جوعا وتزداد آلامهم[33]. وفي هذه الأثناء، عزم الأمير نظام ان يقوي جيش الأمير تومان بارسال حسن علي خان كروسي، على رأس فرقتين من أهل السنة الى زنجان. وعلى أثر وصولهما تصوبت مدفعية العدو على القلعة، وابتدأ ضرب البناء باطلاق المدافع اطلاقا شديدا حتى تهددت القلعة بالتخريب. ولكنها مكثت بضعة أيام تقاوم رغم اشتداد إطلاق النار عليها. وظهر في تلك الأيام من أصحاب الحجة من البسالة والمهارة ما اضطر أكبر أعدائهم على الإعجاب بها. وفي ذات يوم بينما كان ضرب النار مستمرا، إذ أصابت طلقة ذراع الحجة

اليمين، وهو يؤدي فريضة الوضوء. ومع انه أخبر خادمه ان لا يخطر زوجته بالجرح الذي أصابه، ولكن جزع الرجل كان شديدا حتى انه لم يتمكن من إخفاء عواطفه، وكانت دموعه المنهمرة قد أظهرت جزعه. وما كاد الخبر يصل الى زوجته، حتى جرت إليه حزينة ووجدته منهمكا في صلواته بكل سكون. ومع ان جرحه كان ينزف دماً غزيرا، الا ان وجهه كان يظهر عليه اطمئناناً كلياً وهو يقول (اغفر يا الهي لهؤلاء القوم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون وارحمهم يا الهي لأن الذين أضلوهم هم وحدهم المسؤولون عن هذه الأعمال التي ارتكبتها أيدي هؤلاء).

وكان الحجة يجتهد في ان يسكّن الهياج الذي أصاب الزوجة والأقارب إذ نظروا الدماء تغطي كل جسمه، فأخبرهم قائلا (افرحوا لأنني لا أزال معكم وأطلب منكم ان تتكلوا كلية على إرادة الله. فالذي ترونه الآن لم يكن الا كنقطة بالنسبة لمحيط الآلام التي سوف تنسكب علي في ساعة وفاتي، فعلينا ان نرضخ لحكم الله ونرضى بما قسم لنا).

وما كاد خبر جرحه يصل الى اسماع الأصحاب، حتى تركوا أسلحتهم واسرعوا إليه. وانتهز العدو إذ ذاك فرصة تغيب مقاوميهم واشتد هجومهم على القلعة وتمكنوا من الدخول فيها[34] وأسروا في ذلك اليوم من النساء والإخلاص ما لا يقل عن مائة ونهبوا كل ممتلكاتهم. ورغما عن اشتداد برد الشتاء، كان هؤلاء الأسرى متروكين بدون وقاية مدة لا تقل عن خمسة عشر يوما معرضين في الليل للبرد القارص الذي لم تشهد زنجان مثله الا نادرا، وكانوا مرتدين ملابس رقيقة ومتروكين بدون غطاء لوقايتهم وبدون طعام ولا مأوى في العراء،

ولم يكن عندهم للوقاية سوى قطع من الشاش الذي يغطي رؤوسهم والذي به كانوا يجتهدون عبثا ان يتقوا نفحة البرد القارس الثلجي الذي كان يهب عليهم بلا شفقة. وتجمع في مكان التعذيب حولهن نسوة كثيرة من أوساط أدنى من أوساطهن في المجتمع من جهات متعددة من زنجان، وأخذن في صب كؤوس الازدراء والسخرية عليهن. وإذ كن يرقصن حولهن على هيئة جنونية، كن يوبخنهن صائحات (لقد وجدتن الآن ربكنَّ الذي كافأكنَّ مكافأة عظيمة) وبصقن على وجوههن وأوسعنهن سبا وشتما.

وكان الاستيلاء على القلعة لم يثن مع ذلك عزم أصحاب الحجة على متابعة مجهوداتهم، ولو انه اقتلع منهم أكبر وسائل الدفاع، وقد نهب العدو كل ما طالته يده من الممتلكات، وأخذوا أغلب النساء والإخلاص أسرى. وأما باقي الأصحاب ومعهم النسوة والإخلاص الباقون اجتمعوا جميعا في المنازل التي هي قريبة من مسكن الحجة، وقسّموا أنفسهم الى خمس فرق كل فريق تسعة عشر نفساً، ومن بين هؤلاء الفرق يقوم تسعة عشر من كل فرقة ويهجموا هجمة رجل واحد صائحين (يا صاحب الزمان) ويتوسطون العدو وينجحون في تشتيت صفوفه. وكانت أصوات هؤلاء الخمسة والتسعين نفر الهاجمين كافية في توهين فيالق العدو وسحق أرواحهم. واستمر الحال على هذا المنوال بضعة أيام جلبت عارا وخسارة لعدو كان يظن انه قادر على نصر مؤكد فوري. وقتل الكثيرون أثناء هذه الملاحم. وهجر كثير من الضباط عملهم وترك الطوبجية مدافعهم وساءت الحال في صفوف الجيش وأنتهكت قواهم. وكان الأمير تومان قد أنهكته الوسائل التي التجأ اليها لحفظ رجاله وللمحافظة على نشاطهم ومقدرتهم.

واضطر مرة أخرى ان يستشير في الأمر بقية ضباطه للبحث عن علاج حاسم لمسألة محاطة بأكبر الأخطار على حياته أولا، وعلى حياة أهالي زنجان ثانيا. وقال (اني متعب من المقاومة الشنيعة من هذه الطائفة. وهم بلا شك مسوقون بروح لا يقدر ملكنا ان يبث مثلها في رجال جيشه ولا يوجد عند أي رجل في جيشنا روح التضحية والأخبار الموجودة عندهم. ولا تقدر أي قوة ان تخلص رجال جيشنا من خيبة الأمل التي وقعوا فيها. فهم يعتقدون بأنه حكم عليهم بالهلاك الأبدي سواء انتصروا أو خابوا).

واستقر رأيهم بعد المشاورة ان يحفروا سراديب موصلة من المعسكر الى المكان الذي يوجد به مسكن الحجة، وعزموا على نسف هذه المنازل. وبهذه الواسطة يلجئونهم الى التسليم بلا قيد ولا شرط. واستمروا على العمل مدة شهر، واجتهدوا ان يملأوا السراديب المذكورة بالمفرقعات ويهدموا بقسوة شيطانية ما تبقى من المنازل التي لم تزل قائمة. ورغبة في الإسراع بالهدم، أمر الأمير تومان الضباط الموكلين بالمدفعية ان يصوبوا نيرانهم على مسكن الحجة، لأن المنازل التي كانت حائلة بين مسكنه وبين المعسكر قد سويت بالتراب بحيث لم يبق أي عائق في طريق الهدم النهائي.

وكان جزء من منزل الحجة قد هدم أثناء محادثته مع زوجته خديجة التي كانت تحمل طفلها هادي على ذراعيها، وكان يحذرها بأن اليوم سوف يأتي قريبا حينما تؤخذ هي وطفلها أسيرة، وأمرها أن تستعد لذلك الوقت. وبينما كانت تظهر جزعها، إذ أصابتها قنبلة من مدفع قتلتها للحال، ووقع طفلها في الموقد وتوفي بعدها بقليل من جروحه في منزل ميرزا أبو القاسم مجتهد زنجان.

ومع ان الحجة قد فجع بذلك، إلا انه لم يسلم نفسه للجزع. وصاح قائلا (يا الهي منذ اليوم الذي فيه وجدت محبوبي وعرفت فيه مظهر روحك الأبدية، كنت أدرك الآلام التي سوف تنتابني. ومع ان أحزاني للآن عظيمة، فانها لا يمكن مقارنتها بالآلام التي أنا مستعد لتلقيها لأجل اسمك. فلن تقاس حياتي الباطلة ولا فقد زوجتي وابني ولا تضحية أصحابي وأقربائي بنعمة معرفة مظهرك الذي أنعمت بها عليّ. ولو ان عندي آلافا من النفوس وملء الأرض ذهبا وما في العالم من فخر، لفديت الجميع في سبيلك بكل فرح). وكان لفقد زوجة الرئيس وابنه وجرحه البليغ الذي أصابه أكبر أسى في نفوس أصحابه الذين احترقت قلوبهم، وعزموا على بذل أقصى الجهد والقيام بآخر مجهود في الانتقام لاخوانهم المذبوحين. ولكن الحجة نصحهم بعدم الإقدام على مثل هذا العمل وان لا يسرعوا في اشعال نار الحرب. وأمرهم ان يوكلوا الأمر لارادة الله وان يستمروا على السكون والثبات للنهاية مهما طالت.

وكان عددهم يقل كل يوم وزادت مصائبهم ونقصت مساحة الأرض التي كانوا يشعرون انهم في مأمن فيها. وفي صباح اليوم الخامس من شهر ربيع الأول سنة 1267 هجرية[35]، توفي الحجة فجأة وهو ساجد على وجهه في الصلاة بعد ان قاسى آلاما شديدة من جرحه مدة تسعة عشر يوما.

وكانت وفاته الفجائية صدمة قوية لأقربائه وأصحابه. وكان الأسى على فراق مثل هذا الرئيس القدير المستنير عميقا والخسارة، فادحة لا تعوض. وعزم اثنان من أصحابه وهما دين محمد وزير ومير رضاي سردار، ان يسرعا بدفن الجثة في مكان لا يعلمه أحد من الأقرباء ولا من الأصحاب قبل ان يعلم

الأعداء بوفاته. فأخذا الجثة في جنح الليل الى غرفة دين محمد وزير، وهناك دفناها. وهدما الغرفة حتى يضمنا سلامة البقايا من التمثيل بها، وبذلا الجهد في كتم سر الموضع. واجتمع ما ينوف على خمسمائة امرأة في منزل الحجة بعد وفاته للعزاء في هذه المصيبة العظمى. واما أصحابه بالرغم من وفاة قائدهم استمروا على مواجهة قوات الأعداء بكل حماس. ولم يبق من الجمع العظيم الذي انضم الى راية الحجة سوى مائتين من الرجال الأشداء. والباقي أما توفوا أو عجزوا من الجروح التي أصابتهم.

ولما علم الأعداء بوفاة القائد العظيم، تحركوا للهجوم والمقاومة وعزموا على ان يبيدوا البقية الباقية من هذه الفئة الراسخة التي لم يتمكنوا من اخضاعها. فدبروا هجوما عاما أقوى وأشد من كل هجوم سابق، متشجعين بدق الطبول ونفخ الأبواق ومتشددين بصيحات الفرح الصادرة من الأهالي. وهجموا وسط الأصحاب بوحشية زائدة عازمين على ان لا يستريحوا حتى يقضوا على باقي الجماعة. وتلقاء هذا الهجوم العنيف، صاح الأصحاب بصيحة (يا صاحب الزمان) واشتبكوا معهم في القتال مستميتين غير وجلين، واستمروا في معمعتهم حتى غلبت عليهم الجموع فوقعوا قتلى وأسرى.

وأعطى الأعداء إشارة النهب، وابتدأت المذبحة على شكل لم يسبق له مثيل لا في اتساع نطاقها ولا في قسوتها ووحشيتها. ولولا ان الأمير تومان أعطى الأوامر ان يتركوا ما بقي في منزل الحجة وممتلكاته وان يمتنعوا عن استعمال القسوة مع أقربائه لكان هذا الجيش السفاك قد ارتكب فظائع أشد وأنكى. وكان مقصده ان يخطر السلطة في طهران وينتظر منها الأوامر، ولكنه

عجز عن منع رجاله من القسوة التي سادت عليهم. وفرح علماء زنجان بالنصر الذي كلفهم هذا المجهود العظيم وفقد حياة العديدين الذين أثروا على شهرتهم وكرامتهم، بدرجة ليس لها في السابق مثيل، وحرضوا الأهالي على ارتكاب كل فظاعة والتمثيل بأسراهم وانتهاك حرمة نسائهم. وابتدأ النهب والسلب حتى ان العامة في هجومهم زحزحوا الحراس الذين كانوا واقفين على منزل الحجة، وشاركوا الجند في القضاء على الرجال الذين بقوا بعد ذلك القتال العنيف. ولم يقدر الأمير تومان ولا الحاكم على اسكاتهم وابعادهم عن وحشيتهم وعن النهب والسلب الذي تملّك مشاعر جميع أهالي المدينة. ولم يمكن حفظ النظام من الاضطراب الذي لحق بالواقعة، بل عملوا كل ما في وسعهم ليشفوا غليل انتقامهم. وتمكن الحاكم ان يقنع الضباط ان يجمعوا الأسرى في منزل الحاجي غلام، وان يحافظوا عليهم الى ان تصل تعليمات جديدة بخصوصهم من طهران. وكان الجماعة الذين جمعوهم معا كالغنم في ذلك المحل الحقير معرضين للشتاء القارس. وكانت الحظيرة التي ادخلوا فيها غير مسقوفة وبدون أي فرش ولا أثاث. ومكثوا بضعة أيام بدون طعام. ومن هناك نقلوا النسوة الى منزل مجتهد اسمه ميرزا أبو القاسم، أملاً في ان يتمكن من أن يردهن عن دينهن، وفي مقابل ذلك تطلق لهن الحرية. فهذا المجتهد الطمّاع تمكن بواسطة نسائه وإخوانه وبناته من سلبهن كل ما معهن من حلي ومنقولات وأشياء ثمينة وخلافه، وجردوهن من ملابسهن وألبسهن أحقر لبس، وبعد تحمل المشاق والصعاب، سمح لهاتيك النسوة ان يلحقن بأقربائهن على شرط ان يتعهد هؤلاء بحسن سيرهن في المستقبل، ووزع الباقيات على القرى المجاورة، وقابلهن

الأهالي بالاحترام والتعظيم على خلاف أهالي زنجان. أما أسرة الحجة، فحجزت في زنجان حتى تصل أوامر من طهران بخصوصها. أما الجرحى فبقوا مخفورين الى ان تأتي التعليمات من العاصمة عن كيفية التصرف فيهم. وفي الأثناء كانت شدة البرد الذي كانوا متعرضين له قد أودت بحياتهم جميعا في ظرف بضعة أيام، وخاصة مع القسوة التي كانت تستعمل معهم.

وأما باقي الأسرى، فسلموا من الأمير تومان الى كروس الخمسي والفرق العراقية. وساروا بهم في موكب مصحوبين بالطبول والزمور الى المكان الذي كان الجيش معسكرا فيه[36] واجتمعت كل هذه الفرق لايقاع الأعمال الوحشية بهؤلاء المظلومين. فقاموا بالسيوف والسنان على الستة والسبعين رجل الباقين من الأصحاب، وقطّعوا أجسادهم إربا بوحشية قاسية فاقت أظلم أعمال الجلادين والمعذبين. وكانت روح الانتقام من هؤلاء المتوحشين قد فاقت كل حد. وكل فرقة تتسابق مع الأخرى في عمل اكبر القبائح والتوحش التي اخترعتها عقولهم. وأثناء انقضاضهم على فريستهم وثب الحاجي محمد حسين والد أبا بصير على قدميه وصاح بالآذان، فأرعب الجموع التي التفت حوله. ومع انه كان قريبا من ساعة الوفاة، فاه بالآذان بقوله، "الله أكبر" بحماس وعظمة جعلت جميع الفرقة العراقية تمتنع عن أعمال القسوة المخجلة. فتركوا أمكنتهم وصاحوا (يا علي) وجروا وهم في فزع وهلع كبير. وكانوا يصيحون وهم يولون أدبارهم من مناظر الفضاعة وسفك الدماء ويقولون (ملعون الأمير تومان الذي خدعنا وكان قد اجتهد بشيطنته ان يقنعنا بان هذه الفئة هم أعداء الإمام

علي وأهله. فلن نقبل بعد الآن أبدا ان نشترك في هذه الأعمال الاجرامية ولو كنا نذبح عن آخرنا).

وكان عدد من الأسرى قد أطلق عليهم المدافع والبعض تجردوا عرايا وصب على أجسادهم المياه المثلجة ثم جلدوا. وآخرون لطخوا بالعسل وتركوا ليهلكوا في الثلج، ورغما عن كل هذه الإهانات والقسوة والتعذيب، لم يسمع ان أحدا منهم رجع عن دينه أو تكلم بكلمة واحدة ضد معذبيه، ولم يخرج من شفاههم كلمة استياء ولم يظهر على وجوههم أي أثر للأسف والأسى. فلم تفلح أي مقاومة للأعداء في إطفاء تلك الشعلة التي أضاءت أنوارها في وجوههم ولم تؤثر أي كلمة مهما كانت قبيحة في تحريك السكون البادي على هيئتهم[37].

ولما انتهى هؤلاء الطغاة من عملهم، ابتدأوا يبحثون عن جثة الحجة وكشف المحل الذي أخفاها فيه الأصحاب. فلم ينجح أعظم أنواع التعذيب والوحشية التي أوقعوها بأصحابه باظهار ذلك المحل. وعجز الحاكم في البحث والتنقيب. وأخيرا أحضر ابن الحجة وعمره لا يزيد عن سبع سنوات واسمه "حسين" واجتهد ان يقنعه ليبوح بالسر[38] وقال له وهو يلاطفه (يا بني انني مملتئ حزنا لعلمي بالمصائب التي وقعت على والديك، ولست أنا المسؤول، بل مجتهدوا زنجان هم المسؤولون عن القبائح التي ارتكبت. والأطفال أريد ان أدفن بقايا جسد والدك في مدفن لائق به. وبذلك أكفر عن الأعمال المخجلة التي ارتكبت معه). وبهذه الطريقة سلب عقله ونجح في كشف السر من الغلام وارسل رجاله معه لجلب الجثة. وما كادوا يحضرونها له ويتم له مرغوب فؤاده، حتى أمر بربطها بحبل وسحبها مع دق الطبول وزمر الزمور في داخل شوارع

مدينة زنجان. ولمدة ثلاثة أيام وثلاث ليال وقع على جسده من التمثيل والإهانة ما لا يقدر الوصف عليه، وكان متروكا في الميدان معرضا لأنظار العامة. ويروى انه في الليلة الثالثة، جاء عدد من الخيالة ونجحوا في نقل الجسد الى محل آمن في قزوين. وأما أقارب الحجة فقد جاءت التعليمات من طهران ان يرسلوا الى شيراز ويسلموهم لأيدي الحاكم. وهناك ابتلوا بالفقر والامتهان. وأخذ الحاكم ما بقى معهم من الممتلكات وحكم على أسراهم ان يسكنوا في منزل خرب. وتوفي نجل الحجة الأصغر المدعو "مهدي" من الآلام والمصائب التي انتابته وانتابت أسرته. ودفن في وسط تلك الخرائب التي كان يأوي اليها.

وكان لي الشرف بعد مضي تسع سنين على حوادث هذا الكفاح الشهير، ان ذهبت الى زنجان وشاهدت مكان هذه المجازر الفظيعة. وشاهدت بملء الأسى والحزن أطلال قلعة "علي مردان خان" ووطأت الأرض المشبعة بدماء المدافعين الأحياء الى الأبد، وشاهدت على أبوابها وأبراجها آثار المذابح التي أقترفت عندما استلمها العدو، وعلى نفس الأحجار التي استعملت كمتاريس بقع الدماء التي سفكت بغزارة في تلك الأنحاء.

أما عدد الذين سقطوا في هذه المعارك فلا يوجد إحصاء مضبوط عنهم للآن. وكان عدد الذين اشتركوا في هذه الملحمة كثيرا جدا، واستمر الحصار زمانا طويلا. حتى انني لا أقدر على إحصاء أسمائهم جميعا. وقد اجتهد اسم الله الميم واسم الله الأسد في جمع ما تيسر من أسمائهم في قائمة يحسن بالقارئ الرجوع اليها. واختلفت الروايات وتضاربت في عدد الشهداء الذين وقعوا تحت راية الحجة في زنجان، وقدرهم البعض ببضعة آلاف شهيد، والبعض الآخر

بأكثر من ذلك. وسمعت ان أحد أصحاب الحجة أخذ في تدوين أسماء الشهداء وترك قائمة مكتوب فيها عدد ألف وخمسمائة وثمانية وتسعون شخصا قبل وفاة الحجة، بينما الذين استشهدوا بعد ذلك مائتان واثنان.

واني مدين أولا للميرزا محمد علي الطبيب الزنجاني، وأبا بصير وسيد أشرف على المعلومات الخاصة بحوادث زنجان، وجميعهم من شهداء الأمر. وكنت تعرفت بكل منهم معرفة أكيدة. أما باقي المعلومات فقد استقيتها من خطاب كتبه الملا حسين الزنجاني وأرسله لحضرة بهاءالله، وفيه دون كافة المعلومات التي أمكنه العثور عليها من مصادر مختلفة خاصة بهذه المأساة.

أما ما حكيته خاصا بحوادث مازندران، فمبني على ما رواه السيد أبو طالب الشاه مير زاده في كتاب أرسله للأرض المقدسة، ومن مختصر كتبه أحد الأحباء المدعو ميرزا حيدر علي الاردستاني. وقد علمت كثيرا من الحقائق المتعلقة بتلك الملحمة من أشخاص اشتركوا في حوادثها، كالملا محمد صادق المقدس والملا ميرزا محمد فروغي والحاجي عبد المجيد والد بديع وأحد شهداء الأمر.

أما الحوادث المتعلقة بحياة وأعمال وحيد، فقد تحصلت على الأخبار الخاصة بها بما حصل في يزد، من "رضا الروح" الذي كان من أخص أصحابه. وأما فيما يختص بباقي التفاصيل وحوادث نيريز الأخيرة، فارتكنت في أخبارها على ما أمكنني جمعه من الرسالة المفصلة المرسلة الى الأرض المقدسة من أحد الأحباء في تلك المدينة، واسمه الملا شفيع. وقد بحث مليا في الموضوع وأرسل تقريره بمعلوماته الى حضرة بهاءالله. وأما ما قصّر قلمي في

تدوينه سوف تكتبه الأجيال القادمة وتجمعه ويكون محفوظا لأجل الخلف. وأرجو السماح لوجود كثير من النقص في هذا التاريخ، وان شاء الله سوف تكمله الأجيال القادمة الذين سوف يقومون ويجمعون تاريخا مفصلا لائقا لهذه الحوادث المؤثرة التي لا نقدر على تفهم إشاراتها وأهميتها الا على قدر مقدور.

الحواشي

(1) هي عاصمة إقليم خمسة، والخمسة إقليم صغير شرقي كفلان كوه أو جبل النمر بين العراق واندنايجان. وعاصمة زنجان وهي ذات منظر بديع ومحاطة بسور دائر مزين بالقلاع كأغلب المدن الفارسية. وأما السكان فأصلهم من الترك. ولولا وجود الموظفين الفرس، كانت اللغة الفارسية تكون قليلة الانتشار هناك. وتوجد قرى كثيرة في ضواحي المدينة وأهلها ليسوا فقراء. وتأتيهم قبائل كثيرة أشداء في زمن الربيع والصيف. (كتاب الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى صحيفة 191).

(2) والخلاصة أنه في سنة ألف ومائتين وست وستين وسبع وستين، أحرقوا مساكن البابيين في جميع أنحاء إيران. وبأدنى شبهة كان يقطع رأس أي شخص في أي بلدة أو قصر. فقتل وتشتت وهلك من البابيين نحو من أربعة آلاف نفر وجم غفير من النسوة اللائي لا معين لهن وكذلك من الأطفال. (مقالة سائح صحيفة 47-48).

(3) وكان في تلك المدينة مجتهد يدعى ملا محمد علي الزنجاني، وهو من أهالي مازندران وتلقى دروسه على عالم شهير يدعى شريف العلماء، واشتهر محمد علي، على الخصوص في الشريعة وفي التوحيد. وكان المسلمون يدّعون أنه في عمله كمجتهد، لم يكن يستعص عليه أي سؤال لم يمحصه التمحيص الكافي ولم يحله حلا نهائيا. وكان كثير الخبرة وكانت فتاويه العديدة، قد أزعجت نفوس الأصدقاء. وفي اشتياقه للتجديد لم يكن متسامحا في مجادلاته ولا لينا في جداله. فكان تارة يزيد في صوم رمضان لأسباب لم يذكرها أي إنسان قبله. وطورا يرتب الصلاة بترتيب لم يكن مستعملا من قبل. فكان غير موافق للناس البسطاء وممقوتا من الخبيرين. ولكن والحق يقال، كان له مريدون عديدون ممن كانوا يعدونه من الأولياء، وكانوا يوافقونه على حماسته ويحلفون باسمه. وإذا حكمنا عليه حكما محايدا، نرى فيه رجلا من هؤلاء الرجال المسلمين العديدين الذين يظهرون حماسا عظيما للدين وايمانا

حيا ويجتهدون في طلبه بكل شوق. ومن سوء حظّه أنه كان مجتهدا يرى أنه يستعمل كل قواه في تقليب الأفكار والأمور التي لا توافق مشربه. (من كتاب الكونت جوبينو الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى صحيفة 191–192).

(4) 1812–1813 ميلادية.

(5) وكان من بين علماء تلك المدينة عالم يسمى آخوند ملا عبد الرحيم، اشتهر بتقواه وكان له ابن في النجف وكربلاء يدرس على شريف العلماء المازندراني. وكانت نفس هذا الابن غير ساكنة ويشعر بأنه في حرج من تحديدات الشيعة. (من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 332).

(6) ولما رجع من الزيارة في الأماكن المقدسة، مرّ بهمدان، وهناك احتشدت للقائه الجماهير وطلبوا منه أن يستريح في مدينتهم. (السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 336).

(7) وجاء جميع علماء المدينة لزيارته ورجعوا وهم مهتمون ببعض الأقوال التي قالها لهم والتي تدل على تغيير في النفس لم يكن معهودا من قبل. وفي الحقيقة أن سلوك ذلك الواصل الحديث كان يشعر هؤلاء الصلحاء بأنهم لم يكونوا مخطئين في تخميناتهم. (نفس الكتاب والصحيفة).

(8) وكان يوجد خان، من زمن شاه عباس تحول بالتدريج الى صيغة خانه (محل المأذون). ولأجل عدم مخالفة الشريعة الشيعية، اتخذه الملا دست محمد سكنا، وكان فيه يبارك الزواج المؤقت بين الرجال الذين كانوا يحضرون من الخارج وبين المقيمات في الخان المذكور. ولكن حجة الإسلام – وهذا هو اللقب الذي اتخذه بطلنا – أغلق المنزل وزوج أغلب النساء وأرسل البقية الى الأسر الشريفة. وجلد أيضا شخصا يدعى مراد، بائع خمور وهدم منزله. (نفس الكتاب صحيفة 332–333).

(9) ولكن لم ينته الى هذا الحد فقط. بل كان دائما مشغولا بالمسائل الدينية التي بنيت على أحاديث متناقضة. وبذلك تحيرت أفئدة مريديه بالفتاوى التي كان يصدرها والتي كانت تقلب الآراء المتبعة والمسلم بها رأسا على عقب. فأيد الحديث القائل بأن شهور

رمضان كاملة. فأمر بإتباعه حرفيا، بدون مناقشة رواة الحديث ان كانوا من الموثوق بهم أم لا. وحض جميع الذين سمعوه بإتباعه وصوم يوم الفطر الذي هو ذنب عظيم. وأجاز الركوع باسناد الرأس على القطعة من البلور. وجميع هذه الأمور الجديدة جلبت إليه الأنصار العديدين الذين اعجبوا بعلمه ونشاطه، ولكنها أغضبت باقي العلماء الرسميين الذين لم يكن حقدهم عليه بسبب هذه المسائل التي أثارها. (نفس الكتاب صحيفة 333).

(10) وهذا الشخص أمكنه بواسطة آدابه وأخلاقه وجاذبية هيئته من إقناع كل شخص يتصل به حتى انه أثر على الشاه نفسه. ويحكون انه كان موجودا عند الشاه مع نفر من أقرانه وأخرج أحدهم ورقة من جيبه وعرضها على الشاه ليمضيها. وكان مضمونها فرمانا ببعض التعيينات. فقام الحجة وطعن على العلماء الذين يتمسكون بطرف الحكومة بكل شدة وفضحهم. وأظهر من الأحاديث والقرآن ما يرذل مثل هذا النظام الذي أخذ أساسه من بني أمية. فاستشاط الأقران غيضا منه، ولكن الشاه الذي أعجبته هذه الصراحة التفت الى بطلنا وأعطاه عصا وخاتما، وأذنه في الرجوع الى زنجان. (السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 333–334).

(11) وقد أتى لمقابلته من أهالي زنجان جماهير وهم يقدمون القرابين من البقر والخرفان والدجاج. وقد لف اثنى عشر شابا مناديل حمراء على رقابهم للدلالة على انهم مستعدون للفداء في سبيله، وكان سن كل منهم لا يزيد على اثني عشر عاما، وظهروا في الموكب المعد لاستقباله. وكان دخوله في المدينة دخول المنتصرين. (نفس الكتاب صحيفة 334).

(12) وكان يتخذ من تلاميذه أمثلة للتقى والقناعة. واصبح الناس منذ ذلك الحين يرتوون من كأس المعاني الدينية، وكانوا يصومون ثلاثة أشهر ويزيدون في صلاتهم باضافة صلاة الإمام جعفر الطيار في كل مكان، ويتوضؤون في كل يوم بماء القرء (الطاهر) مرة واحدة ثم في يوم الجمعة يلتزم الناس المساجد. (نفس الكتاب صحيفة 334).

(13) وأخيرا كان يقرأ صلاة الجمعة بصوت عال. وعندما يظهر الإمام يكون ذلك اليوم بدلا عن جميع الأيام. ثم فسر بعضا من كلمات الباب وختم الكلام بقوله (ان الغاية

التي يسعى اليها العالم هي الآن بين أيدينا بدون حجاب ولا عائق. وشمس الحقيقة قد ارتفعت وانطفأت مصابيح الأوهام والتقاليد. فلتجعلوا أعينكم موجهة بالنظر الى الباب وليس اليّ، لأني من أقل عبيده الخاضعين. وعلمي بالنسبة الى علمه كالشمعة المطفأة أمام شمس الضحى. فاعرفوا الله بالله والشمس بأشعتها. ففي هذا اليوم ظهر صاحب الزمان وحي سلطان الامكان). وأترك للمفكرين وصف التأثير العميق لمثل هذه المحاضرة على عقول المستمعين. وعلى وجه التقريب كان الجميع مقتنعين ولم يتجادلوا مع بعضهم الا في خصوص صفة الباب الحقيقية. (نفس الكتاب صحيفة 335).

(14) وكان إيمان الملا محمد علي، وأنصاره العديدين قد أفقد صبر إمام الجمعة وشيخ الإسلام، فكتبا خطابات جنونية الى الملك الذي أجابهما بالقبض على المجرم. (نفس الكتاب صحيفة 336).

(15) وكان في طهران عندما توفي محمد شاه وتولى مكانه ناصر الدين شاه، الذي عيّن أحد أعمامه حاكما في زنجان وهو الأمير ارسلان خان مجد الدولة، وقد كان إشق اغاسي في السراي. (كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 337).

(16) ودخل المدينة بهيئة مجللة منصورة أكثر من المرة التي سبقتها بنحو بضعة أشهر. وفي الحقيقة بعد ان أصبح بابيا أضاف الى أنصاره القدماء كل من اعتنق الأمر الجديد. فحضر لملاقاته جم غفير من الناس من الأغنياء والعظماء والحربيين والتجار والملاوات، وقابلوه على بعد محطة أو محطتين من البلدة، وأوصلوه الى منزله لا كلاجئ ولا متوسل يريد الراحة ولا كخصم قوي يخشى منه، بل كسيد محترم. (كتاب جوبينو الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى صحيفة 193). وكتب صاحب ناسخ التواريخ ان كثيرا من أهالي زنجان وبينهم كبار موظفي المدينة جاءوا لمقابلة الهارب خارج المدينة بمسافة محطة، واستقبلوه كفاتح منتصر، وذبحوا أمامه كثيرا من الخراف تشريفا له. ولم يجسر أحد من أعدائه ان يسأله عن هربه من طهران وعودته الى زنجان. ولكن الإسلام كان ينظر شزراً، لأن الزنجاني كان يدعو الناس في كل جهة الى الدين الجديد. وقرر المؤلف المذكور ان جميع أهالي زنجان حمقى ودخلوا في الشرك، ولكنه ناقض نفسه إذ قرر ان الذين التفوا حوله

لم يكونوا سوى الصعاليك الذين يحسدون أغنياء هذا العالم. وكذلك الأشخاص الذين لا دين لهم وكانوا كثيرين وعددهم بنحو 15 ألف شخص إذا صدقناه، والظاهر انه مبالغ في ذلك. (من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 337–338).

(17) وكان مجد الدولة حاكم المدينة رجلا قاسيا وغضب إذ رأى استقبال رجل غير مهم كالحجة. فجلد محمد بك وقطع لسان كربلائي ولي. (نفس الكتاب صحيفة 337).

(18) أما المسلمون فهربوا من ذلك المنظر واما الجرحى فكانوا يواسون بمعرفة عمه المير صلاح في منزله. (من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 341).

(19) 16 مايو سنة 1850 ميلادية.

(20) وكان الحاكم والعلماء قد كتبوا الى جلالته تقاريرا أظهروا فيها تخوفهم وحيرتهم. وما كاد الشاه ينتهي من حرب مازندران، حتى اشتعل غضبه من مشاهدة ثورة أخرى على نقطة جديدة في امبراطوريته. وإذ حرضه الصدر الأعظم والعلماء الذين أعلنوا الجهاد، أصدر أمره بقتل البابيين ونهب ممتلكاتهم. وكان وصول الأمر في زنجان في 3 رجب. (نفس الكتاب صحيفة 341–342).

(21) وقامت ضجة شديدة سحرت المسلمين فهربوا من جميع الجهات وحضروا ومعهم نساؤهم وأولادهم وجزء من أمتعتهم، فكانوا يروحون ويغدون كالمجانين والضائعين وهم يبكون على ترك ما لم يقدروا على حمله. وترى العائلات تفترق والآباء يدفعون أبناءهم والزوجات أزواجهن والأبناء أمهاتهم. وتركت منازل مقفرة. فالضغينة هاجت واشتعلت وكان الحاكم يرسل الى القرى المجاورة ليجمع الرجال بالقوة للحرب المقدسة. (من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 342).

(22) والبابيون من جهة أخرى لم يقفوا مكتوفين، فرتبوا أنفسهم واستعدوا للدفاع. وكان الحجة ينصحهم ان لا يتعدوا على أحد وفقط يدافعون عن أنفسهم. وقال لهم (يا أخواني لا تخجلوا ولا تظنوا بسبب كونكم أصحاب صاحب الزمان انكم تفتحون العالم بحد السيف، فلا والله الحق انهم يقتلونكم ويحرقونكم ويحملون رؤوسكم الى البلدان، والنصرة الحقيقية لكم ان تبقوا دائما مستعدين للتضحية انتم ونساؤكم وأمتعتكم. فان الله يريد في كل

زمان ان يجعل دم المخلصين دهنا لمصباح دينه وقد سمعتم التعذيب الذي وقع على شهداء مازندران والذبح الذي توفي به هؤلاء الأولياء. فهم يقتلونهم لأنهم يؤكدون ان المهدي الموعود قد ظهر. واني أحذركم بأن من لم يكن منكم مستعدا للعذاب ولا يتحمله فليذهب الى الجانب الآخر لأننا كلنا سنستشهد. أليس سيدنا ومولانا في قبضة يدهم). (نفس الكتاب صحيفة 342-343).

(23) ويجب علينا ان نتصور حالة القرية الإيرانية، فالشوارع ضيقة لا تزيد عادة على أربعة أو خمسة أو ثمانية أقدام على الأكثر. واما الأرض التي لم تكن مبلطة فهي ممتلئة بالثقوب العميقة على شأن لا يمكن السير فيها بدون احتراس شديد لئلا تتكسر الأقدام. أما المنازل فهي بدون منافذ على الشوارع وعلى الجانبين حوائط متصلة ببعضها وتعلو خمسة عشر قدم، وفوقها بلكون (شرفة) بدون حاجز أحيانا تشرف من هنا وهناك ويسمى بالاخانة، وتدل على منزل أحد الأغنياء. وكل ذلك مبني من الطين أو اللبن المسوّى في الشمس وقوائمها (أساساتها) فقط مبنية بالطوب الأحمر. وهذا النوع من البناء قديم ومعروف في مدن بين النهرين وله امتيازات عظيمة، فهو صحي من جهة ورخيص في التكاليف، ويمكن عمل كوخ منه مبيض بالجير، ويبنى منه القصور ويطلى فوقه بالموزائيك وبالقيشاني ويطلى بالألوان الفاخرة ويذهَّب. ولكن مقابل هذه الامتيازات فان المنازل المذكورة سريعة العطب تحت أقل تأثير. فلا تحتاج الى مدفع بل ان مطرا بسيطا يكفي لهدمها ان لم يؤخذ الاحتياط اللازم. ومن هذا يفهم كيف ان المدن العظيمة التي كانت مشيدة على هذا الطراز، لم يبق منها سوى بعض بقايا من الهياكل والقصور وأكوام من التراب في السهول. ففي بضع سنين تختفي أقسام بالكلية بدون ترك أي أثر إذا كانت المنازل فيها لا ترمّم. ولما كانت جميع مدن إيران مبنية على هذا الطراز، يمكنا ان نتصور زنجان بشوارعها الضيقة وسورها المحيط بها وفيه القلاع. وفي وسطها قلعة كبيرة تدعى قصر علي مردان خان. (الكونت جوبينو الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى صحيفة 197-198).

(24) وكان حاكم زنجان خوفا على نفسه قد أخذ الأهبة للمحافظة على سلطته وقدم لميرزا محمد تقي خان الأمير الكبير تقريرا كاذبا عن سير الحوادث، لأنه خشى ان يأتي آخر

أقوى منه وينتزع السلطة من يده ويضيع احترامه ويضعف. وبناء على تقريراته أصدر الأمر الى سيد علي خان رئيس الجندية في فيروز كوه بأن يتقدم مع بعض الخيالة والمشاة الى زنجان ويقبض على ملا محمد علي الذي كان قد خرج مع اتباعه (نحو خمسة آلاف) الى القلعة. وبمجرد وصوله حاصر القلعة، وبهذه الكيفية اشتعلت نيران الحرب، ويوما فيوما كان يزداد عدد القتلى من الجانبين الى ان انهزم هزيمة مخجلة. واضطر لطلب الامداد من طهران. فارادت الدولة ان ترسل جعفر قلي خان أخ اعتماد الدولة، ولكنه اعتذر وقال لميرزا تقي خان الأمير الكبير (اني لست ابن زياد لاشهر الحرب على طائفة من الأشراف ورجال العلم الذين لا أعلم عنهم شيئا. ولو اني أكون مستعدا لمقاتلة الروس واليهود أو غيرهم من المشركين). وكذلك امتنع غيره من الضباط ان يدخلوا في هذه الحرب ومنهم المير سيد حسين خان من فيروز كوه الذي طرده الأمير إذ علم بميوله. وكذلك عسكر "العلي اللهين" الذين ولو انهم ذهبوا للحرب، لكنهم امتنعوا عندما علموا بالموضوع لأن رئيسهم أمرهم بالامتناع عن المحاربة، ولذلك هربوا لأنه مكتوب في كتبهم انه عند حضور عسكر جوران الى العاصمة، يظهر رب العصر ويدعونه (الله) وقد تمت هذه النبوة. وكذلك لديهم من الأشعار التي تدل على تاريخ الظهور، وهذه أيضا انطبقت على ذلك الزمن. فكانوا لذلك مقتنعين بان ذلك هو الحق وطلبوا ان يعفوا من الانضمام الى الحرب لأنهم غير قادرين عليه. وقد قالوا للبابيين (انه عندما تتم أوضاع الديانة وتتقوى سوف نساعدكم في الحروب المقبلة). وبالاختصار عندما شاهد رؤساء العسكر في أعدائهم الاخلاص والتقوى والشفقة، ترددوا سرا ولم يستعملوا كل قوتهم في الحرب. (من التاريخ الجديد صحيفة 138–143).

(25) وقال جوبينو صحيفة 198 انه كان حفيد الحاج محمد حسين خان اصفهاني.

(26) وفي اليوم الرابع رأى المسلمون لفرط فرحهم ان صدر الدولة حفيد الحاج محمد حسين خان الأصفهاني، دخل المدينة التي كانوا يقطنونها على رأس خيالة من قبيلة الخمسة، وهو حاضر من السلطانية. وجاءت الامدادات في الأيام التالية. فجاء أولا السيد علي خان وشاه بار خان، واحدهما من فيروز كوه والآخر من المراغة ومعهم مائتان من الخيالة من قبائلهم، ثم محمد علي خان شاه سون ومعه مائتان من الخيالة الأفشار ثم

خمسون من المدفعية ومعهم مدفعان ومدفعيتان. واصبح الحاكم محاطا بجميع القوى المرغوبة وبرؤساء من مشاهير العسكرية. (كتاب الكونت جوبينو الأديان والفلسفة في أواسط آسيا صحيفة 198–199).

وكان يوم 5 رمضان من أشد أيام الحصار التي وردت في يوميات الحصار. فان مصطفى خان القاجار ومعه الأورطة الخامسة عشر من شكاغي وكذلك صدر الدولة ومعه خيالة الخمسة وسيد علي خان من فيروز كوه ومعه أورطته ومحمد أقا ومعه فرقة الناصر وهي اورطة الشاه كما قيل سابقا ومحمد علي خان ومعه خيالة الافشار ونابي بك ومعه خيالة قبيلته وفرقة من أهالي زنجان، وكل هؤلاء تجمعوا وهاجموا البابيين وكان الدفاع مستميتا. وكان رؤساء الطائفة يقعون في الميدان وهؤلاء ممن لا يمكن تعويضهم. فمنهم نور علي القناص وبخش علي النجار وخدا داد وفتح الله بك وجميعهم من رؤساء البابية. فكان البعض يقع صباحا والآخر مساء. (كتاب الأديان والفلسفة للكونت جوبينو صحيفة 200).

(27) وقد رأيت في زنجان خرائب ذلك اليوم المفجع، وكانت أقسام بحالها قد هدمت مما لا يمكن إعادة بناؤه أبدا. وكان من أصحاب هذه المأساة من أخبرني بأن البابيين كانوا يصعدون ويهبطون من البلكونات والشرفات حاملين المدافع بأذرعهم، وكانت الأرضية أحيانا غير قوية لأنها من الطين المضروب فتنهدم، ثم يعودون يقومونها بالبراطيم. فإذا حضر العدو أداروا المدفعية بكل حماس وتمتد جميع الأيدي لرفعها، وعندما يقع الحاملون تحت رشاش المدافع يتبارى المئات منهم لنيل شرف رفعها، ويقينا ان ذلك من قوة الايمان. (نفس الكتاب صحيفة 200–201).

(28) وقال جوبينو (صحيفة 202) ان عزيز خان كان قائد الجيوش في اذربايجان وأول أركان حرب للملك. ومر بزنجان وهو مسافر الى تفليس لأجل تهنئة ولي عهد روسيا، الدوق الكبير بمناسبة وصوله الى القوقاس.

(29) وانضم محمد خان الذي كان في ذلك الوقت بيجليربيجي أو ميربنج أو قائد الفرقة واصبح الآن أمير تومان الى العسكر الموجودين ومقيمين بالمدينة. ومعه ثلاثة آلاف رجل من فرق شيكاكي وفرق الحرس ومعهم ستة مدافع ومدفعيتين. وفي نفس الوقت دخل

المدينة من جانب آخر قاسم خان آتيا من حدود كاراباغ، وارسلان خان المأجور ومعهم الخيالة من خيرغان وعلي أكبر كابتن خوي ومعه البيادة. وكان كل منهم قد وصله في اقليمه الخاص أمر من الملك بالحضور. (الكونت جوبينو الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى صحيفة 201).

(30) لقب أعطاه الباب لزنجان.

(31) وكان الدفاع المستميت الذي قام به البابيون يرجع الى شجاعتهم وبسالتهم أكثر من متانة معقلهم. وحتى النساء اشتركن في الدفاع. وسمعت من ثقة إنهن كن كنساء القرطاجيين يقطعن شعورهن الطويلة ويربطن بها البنادق المحطمة. (كتاب سنة بين الفرس للمستر ا.ج. براون صحيفة 74).

(32) ومن المحقق ان الأحوال اضطربت بين صفوف المسلمين وظهر انهم لا يمكنهم التغلب. وان المقاومة لا حد لها، وفضلا عن ذلك لم يكن هناك من فائدة في ازدياد الاضرار وتضحية الضباط والرؤساء، فضلا عن العسكر، ولماذا يتعرضون اذن الى هذه الانكسارات المتوالية؟ أليس امام الجميع مثال حادثة الشيخ الطبرسي. فقالوا ان علينا ان نعمل الحيلة ونحلف لهم بجميع الايمان المغلظة ثم نذبح هؤلاء الحمقى الذين يثقون بنا. (كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 350).

(33) وكانت تهديدات البلاط وتعزيز القوات بالامدادات بسرعة عظيمة، رجحت كفة المحاصرين بالنسبة لعددهم وعدتهم عن البابيين، وان النتيجة حتمية ومقضية. (الكونت جوبينو الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى صحيفة 203).

(34) وكانت فرقة الكروس تحت قيادة رئيس القبيلة حسن علي خان (وهو الآن وزير مفوض في باريس) هدمت قلعة علي مردان خان، والفرقة الرابعة تغلبت على منزل أقا عزيز، وهو أحصن مكان في المدينة، وجعلته هباء منبثا. وفرقة الحرس نسفت الخان الموجود قريبا من باب همدان. وفقد ضابط وكثير من العسكر أثناء الانفجار، ولكنهم تغلبوا على الموقع في النهاية. (كتاب الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى صحيفة 203).

(35) 8 يناير سنة 1851 ميلادية.

(36) وكان محمد خان بجلير بيجي امير ارسلان خان الحاكم والآخرون من الضباط قد ضمنوا الحياة للبابيين، ولكنهم جمعوهم أمام العسكر وضربوا الطبول والأبواق واعطوا الأوامر ان مائة من العسكر المنتخبين من كل فرقة يحضرون الأسرى ويضعونهم صفا أمامهم ويقتلونهم بحد الحراب. وقد فعلوا ما أمروا به ثم أخذوا الرئيس سليمان الجزمجي وحاجي كاظم الجلتوغي ونسفوهما أمام فوهة المدفع. وهذه العادة الآسيوية التي استعملها الانجليز أيضا في الهند بهذه السياسة التي جلبتها النباهة والعلوم الأوربية تنحصر في ربط المحكوم عليه في فم المدفع واطلاقه، فتندفع أعضاء القتيل وتتبعثر شذر مذر. ولما تمت العملية يطلق أيضا على باقي الأسرى، واستاقوا ميرزا رضا أحد قواد الملا محمد علي، وغيره من بعض المشاهير ووضعوا الأغلال في رقابهم وأيديهم وقادوهم الى طهران العاصمة علامة على الانتصار رغما عن منع البلاط لذلك. وأما بالنسبة للباقين الذين لا يهم موتهم أو حياتهم فتركوهم، ورجع الجيش المنصور الى العاصمة مع هؤلاء الأسرى الذين كانوا يسيرون أمام الخيل الخاصة بالقواد المنصورين.

وإذا وصلوا الى طهران أراد الأمير نظام ان يزيد في العقاب فأمر بقطع عروق ميرزا رضا وحاجي محمد علي وحاجي محسن. فاستقبل الثلاثة هذا الخبر برباطة جأش. وفقط قرروا ان الخيانة التي استعملت ضدهم وضد أصحابهم ليست من الجرائم التي يرضى الله العلي ان يعاقب صاحبها بها بالطريق العادي، ولابد وانه أفرد عذابا أشد لقتله هؤلاء الأولياء. وتنبأوا على الوزير الكبير قائلين: انه سوف يهلك بنفس الطريقة التي عاقبهم بها. وقد سمعت هذه النبوة ممن لم يتأخروا لحظة عن اعتقادها. الا انه منذ حكيت لي الرواية الى الوقت الذي أمر الشاه بقطع شرايين الأمير نظام، كان قد مر نحو أربع سنوات. ولا يمكني ان أقرر شيئا آخر الا ما أكدوا لي بأن الحادثة قد سبق وان تنبأ بها شهداء زنجان. (الكونت جوبينو الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى صحيفة 207–209).

(37) وما كاد التنفيذ يتم، حتى اقتحم الجمهور ميدان الاستشهاد، بعضهم ليبحث عن جثة صاحب، والبعض الآخر أملاه الحقد للتمثيل بالجثث. ومما يروى ان مسلما اسمه ولي محمد، جاء الى جثة جار له يدعى أقا رضا، ورأى انه لم يمت. فقال له إذا أردت أي

شيء قل لي لأني أنا جارك ولي محمد، فأشار له بأنه عطشان، فذهب المسلم وأحضر حجرا كبيرا ثم جاءه وقال له: افتح فمك قد أحضرت لك الماء. ولما أطاعه المسكين رماه بالحجر وسحق به رأسه. ثم في النهاية قاد بيجلير بيجي في طريقه الى طهران 44 مسجونا كان من بينهم ميرزا رضا وحاجي محمد علي وحاجي محسن الجراح، وهؤلاء استشهدوا بمجرد وصولهم، وعفنت أجساد الباقين في السجن. (كتاب علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 363).

(38) ولم يكفهم انهم انتصروا، بل أرادوا التمثيل بالجثث، وكانوا يفكرون في استجواب البابيين، ولكن ما الحيلة إذا التزموا السكوت. فكان الأقا محمد دين يرش الزيت الساخن على الرؤوس ثم يعدمهم، وأخيرا أحضر السردار ابن الرئيس المتوفي وعمره سبع سنين ويسمى أقا حسين وهدده ووعده وأخذه بالحيلة حتى أخبرهم. (نفس المصدر السابق صحيفة 361).

الفصل الخامس والعشرون
رحلة حضرة بهاءالله الى كربلاء ونتائجها

منذ بدأتُ بكتابة هذا التاريخ كان من عزمي الأكيد ان أضم على الأخبار التي أرويها عن بدء هذا الأمر تلك الجواهر الغالية القيمة التي كان لي الشرف أن أسمعها من آن لآخر من فم حضرة بهاءالله والتي فاقت ما عداها. وكنت أسمع تلك العبارات أحيانا منفرداً وأخرى كنت أسمعها مع أخواني، بينما نحن جلوس عنده، وهي تشير الى العبر التي اجتهدت في سردها. وكانت تعليقات حضرة بهاءالله على حوادث مؤتمر بدشت واشاراته للهياج الذي ختم به كما ذكرته سابقا، هي من الفصول التي يتزين ويتشرف بها تاريخي.

ولما أكملت وصف حوادث ملحمة زنجان، أذن لي حضرة بهاءالله بالدخول لمقابلته وحظيت مع غيري من الأحباء في الحصول على البركات التي أسداها اليّ على دفعتين أثناء زيارتي له في الأيام الأربعة الأخيرة التي اختار ان يمكثها في منزل أقاي كليم. ففي الليلة الثانية والرابعة من وصوله الى منزل أخيه الذي وافق اليوم السابع من شهر جمادي الأول سنة 1306 هجرية[1] تشرفنا بلقائه مع عدد من الزائرين من ساروستان وفاران ومعنا بعض المؤمنين المقيمين هناك، وبقيت الكلمات التي تكلم بها لنا منقوشة على صفحات قلوبنا، وأشعر ان من واجبي أن أجعل القراء يشاركونني في الاغتباط بحديثه.

تفضل قائلاً:- (الحمد لله الذي أنزل ما هو لازم للمؤمنين في هذا الأمر. فتحددت الواجبات بكل وضوح وسطّر في الكتاب بيان ما يجب عليهم عمله. وقد آن الوقت للكل ان يقوم ويفي بواجباته. فليظهروا في أعمالهم ما نصحناهم به. وليحذروا من ان محبتهم لله التي سطعت في قلوبهم بأشد إشراق، تجعلهم يتعدون حدود الاعتدال أو يتخطون ما رسمناه لهم منها. وكتبنا في هذا المعنى للحاجي ميرزا موسى القمي، وقلنا "ينبغي أن يكون سكونك بحيث لو نهلت من ينابيع الايمان والإيقان جميع أبحر العلم والعرفان، لا تسمح لشفتك ان تنبس سواء للحبيب أو الغريب ببنت شفة عن غرائب المنهل الذي ارتويت منه، وإذا اشتعل قلبك بنار محبته، فاحذر أن تطلع عين على ما يكنه فؤادك من الهيمان ولو ان روحك تموج كالبحر العباب فلا تجعل ملامح وجهك تنم عن أي اضطراب أو تفتضح أسرار وجدك من مظهرك وسلوكك. ويعلم الله اننا ما اجتهدنا أن نخفي أنفسنا في أقل من آن أو نخفي الأمر الذي وجب علينا إعلانه. ومع اننا ما ارتدينا لباس أهل العلم، فاننا قابلنا مرارا أكابر العلماء في النور وفي مازندران وتباحثنا معهم وأقنعناهم بصحة الأمر. وما توانينا في عزمنا ولا وهنّا وما ترددنا في تلبية أي طلب أتى من أي جهة، ولم يتردد أحد ممن كلمناه في تلك الأيام في قبول النداء والانضمام لنا. ولولا مسلك أهل البيان الذين نقضوا بأعمالهم ما أتممنا عمله، لكانت مازندران ونور قد انضمتا للأمر ولكانتا اليوم تعدان ضمن المراكز الأمرية الرئيسية. ففي الوقت الذي كانت قوات البرنس مهدي قلي ميرزا تحاصر قلعة طبرسي، عزمنا على الخروج من نور لمساعدة المدافعين الأبطال، وارسلنا عبد الوهاب أحد أصحابنا ليتقدمنا

ويعلن قرب مجيئنا للمحصورين، ورغما عن محاصرتنا من الأعداء فاننا عزمنا أن نجعل نصيبنا مع نصيب هؤلاء الأصحاب الأبطال وان لا نبالي بالمخاطر التي دهمتنا. ولكن يد القدرة لم تشأ ذلك وأخرجتنا من النصيب الذي لاقوه وأبقت لنا العمل الذي قدر لنا ان نقوم به. ولحكمة إلهية مكنونة أبلغ أهالي نور عزمنا على الالتحاق بالمحصورين الى الميرزا تقي حاكم آمل قبل وصولنا الى القلعة، فأرسل رجاله ليحولوا دون ذلك. وبينما كنا نستريح ونتناول الشاي، أحاطتنا فجأة قوة من الخيالة وقبضوا على امتعتنا وأمسكوا بخيولنا. وسلموني بدلا من الجواد المعد لركوبي جوادا آخر ضعيفا ذا ركاب حقير غير مريح، أما باقي الجماعة فأخذوهم مغلولي الأيدي الى حاكم آمل. وتمكن الميرزا تقي من تخليصنا من قبضة يد العلماء رغم معارضتهم، ونجح في اسكاننا في منزله واستضافنا فيه بكل ترحاب وكرم. وأحيانا كان ينطوي تحت تهديد وضغط العلماء الذين كانوا يشددون عليه النكير، فيشعر انه غير قادر على منعهم عن الاضرار بنا. وكنا في منزله إذ رجع الى آمل السردار الذي أنضم الى جيش مازندران. فلما أخبروه بالإهانات التي ارتكبت معنا، أخذ يوبخ الميرزا تقي للضعف الذي أظهره في حمايتنا من أعدائنا. وكان يقول له "ما أهمية تهديدات هؤلاء القوم الجهلاء؟ ولماذا سمحت لنفسك ان تخضع لهياجهم؟ فكان من الواجب ان تكتفي بمنع الجماعة من الوصول الى المقر الذي كانوا يقصدونه وتعمل على اعادتهم محفوظين بالسرعة الى طهران".

وبينما كنا في ساري، تعرضنا مرة أخرى لسب وشتم الأهالي. ومع ان اكثر أعيان تلك المدينة كانوا من أصحابنا وكثيرا ما قابلناهم في طهران، الا ان

الأهالي ما كادوا ينظروننا مارين في الشوارع مع القدوس، حتى انهالوا علينا طعنا أينما ذهبنا وهم يصيحون بقولهم (بابي.. بابي..) وكنا غير قادرين على الهرب من شتائمهم المرّة.

وفي طهران، حبسنا مرتين لأننا قمنا للدفاع عن الأبرياء ضد ظالم طاغ. وكان أول حبس قضيناه بعد ذبح الملا تقي القزويني بسبب المساعدة التي أسديناها للذين عوقبوا عقابا شديدا بغير ذنب. وكان حبسنا الثاني أشد وأنكى وتسبب عن حادثة الشروع في الاعتداء على حياة الشاه من بعض الاتباع الغير المسؤولين. وكانت هذه الحادثة سببا لنفينا الى بغداد. وبعد وصولنا بقليل انقطعنا الى جبال كردستان وصرفنا فيها وقتا في عزلة تامة. والتجأنا الى قمة جبل يبعد ثلاثة أيام عن أقرب مسكن للناس. ولم يكن فيه شيء من معدات الراحة. وكنا منقطعين عن جميع الأصحاب وأهالي البلاد حتى عثر علينا الشيخ إسماعيل واحضر لنا الطعام الذي احتجنا إليه.

ولدى عودتنا الى بغداد وجدنا لفرط دهشتنا ان أمر الباب قد أهمل إهمالا كلياً وان تأثيره قد تلاشى وان اسمه قد نسي بالكلية. فقمنا على إحياء أمره ونجاته من العطب والفساد. ففي الوقت الذي أخذ فيه الخوف والاضطراب جميع الأصحاب، أظهرنا حقائقه بعزم وثبات وناديا أهل الفتور ان يقوموا بحماس على نصرة الدين الذي أهملوه إهمالا كليا، ودعونا جميع من على الأرض لأن ينظروا الى النور المشرق من أفقه. وبعد رحيلنا من ادرنة، قامت ضجة في استنبول بين مستخدمي الحكومة، وتشاوروا فيما إذا كان الأوفق إغراقنا نحن وأصحابنا في البحر. فوصلت أخبار ذلك الى طهران وشاع هناك

اننا فعلا أصبنا بهذا الخطر. فاضطرب أصحابنا في خراسان، ولما بلغ ميرزا أحمد أزغندي ذلك، قال، انه لا يمكنه بأي حال ان يصدق مثل هذا الخبر. لأنه لو صح، لكان دين السيد الباب بعيدا عن الصحة. ولكن أخبار وصولنا سالمين الى عكاء مدينة السجن أبهجت قلوب أحبائنا وأعجب أحباء خراسان أيما اعجاب بايمان الميرزا احمد، وازدادت ثقتهم فيه.

ومن سجننا الأعظم قمنا على مخاطبة الحكام العديدين وملوك العالم وأرسلنا لهم رسائل طلبنا منهم فيها ان يقوموا على نصرة أمر الله. وأرسلنا الى شاه ايران رسولنا "بديع" وسلمناه اللوح في يده، فرفعه بيده عاليا أمام جمهور الناس وطلب من مليكه ان يقرأ العبارات التي يحويها. كذلك وصلت باقي الرسائل الى مقرها. وفي اللوح الذي أرسلناه الى امبراطور فرنسا، جاءنا الرد من سفيره، وأصله محفوظ عند الغصن الأعظم[2] وقلنا له فيه: "يا ملك باريس نبئ القسيس ان لا يدق النواقيس تالله الحق قد ظهر الناقوس الأفخم على هيكل الاسم الأعظم وتدقه أصابع مشيئة ربك العليّ الأعلى في جبروت البقاء باسمه الأبهى" وأما اللوح الذي أرسلناه الى قيصر الروس فهو الوحيد الذي لم يصل الى مقره. ولكنه وصلته ألواح أخرى وهذا اللوح سوف يصله أيضا.

فاشكر الله الذي مكنك من معرفة أمره. فكل من وصل الى نعمة الايمان لابد وانه قبل إيمانه قد عمل أعمالا طيبة، ولو انه بنفسه ربما كان غير عالم بها، لأنها كانت الواسطة والوسيلة التي بسببها أراد الله ان يهتدي للحق ويقبل أمره. أما الذين منعوا من هذه النعمة فان عملهم وحده هو الذي أبعدهم عن معرفة الحق. نرجو ان شاء الله انك باتباعك لهذا النور تقوم وتعمل كل ما في

وسعك لمحو ظلمة التقليد والكفر من بين الناس، ولتكن أعمالك تشهد على إيمانك وتمكنك من ارشاد الضالين الى طريق النجاة الأبدية. فلن تنسى هذه الليلة أبدا وأرجو ان شاء الله ان يبقى ذكرها للأبد على ألسنة الجميع وان لا تمحى على كرّ الدهور).

وكان النوروز السابع بعد اعلان دعوة حضرة الباب، قد وقع في اليوم السادس عشر من شهر جمادي الأول سنة 1267 هجرية[3] بعد انتهاء معركة زنجان بشهر ونصف. وفي تلك السنة في أواخر الربيع وفي أوائل أيام شهر شعبان[4] ترك حضرة بهاءالله العاصمة طهران الى كربلاء، وكنت في ذلك الوقت قاطنا في كرمنشاه في صحبة ميرزا احمد كاتب حضرة الباب، وكان حضرة بهاءالله قد أمره ان يجمع الكتابات المقدسة وينسخها، وكانت أغلب أصولها تحت يده. وكنت في زرند في منزل والدي عندما لاقى الشهداء السبعة نصيبهم القاسي في طهران. وقد نجحت أخيرا في الارتحال الى قم متحججاً بالرغبة في زيارة المقامات. ولما لم أتمكن من مقابلة الميرزا احمد، تركت كاشان بناء على نصيحة الحاجي ميرزا موسى القمي، الذي أخبرني بان "عظيم" هو الشخص الوحيد الذي يمكنه ان يرشدني عن مكان ميرزا احمد، لأنه كان قاطنا معه في كاشان. فرجعت معه الى قم، وهناك تعرفت بالسيد أبو القاسم علاقي بند اصفهاني الذي صحب ميرزا احمد سابقا في سياحته في كرمنشاه. وطلب منه عظيم ان يوصلني الى باب المدينة، وهناك يرشدني الى المكان الذي يقطنه الميرزا احمد ويعمل الترتيب لأجل ترحيلي الى همدان. وأحالني سيد أبو القاسم بدوره على الميرزا محمد علي طبيب الزنجاني، الذي

قال عنه انه يمكنه العثور عليه في همدان وانه هو الذي يوصلني الى المكان الذي أقابل فيه ميرزا احمد. فاتبعت أمره ووجهني ميرزا محمد لأن أقابل في كرمنشاه تاجرا معروفا اسمه غلام حسين ششتري وهو يوصلني الى منزل الميرزا احمد.

وبعد مرور بضعة أيام من وصولي، أخبرني الميرزا احمد انه تمكن وهو في قم من تبليغ الأمر الى ايلدرم ميرزا أخ خانلار ميرزا، الذي أراد إهداءه بنسخة من كتاب الدلائل السبع[5] وطلب مني توصيلها إليه. وكان ايلدرم ميرزا في تلك الأخبار حاكم خرم آباد في إقليم لورستان، ويعسكر مع جيشه في جبال خاوي والشتر. وكنت مسرورا من اجابة طلبه وأظهرت الاستعداد ان أقوم حالا بالرحلة. واجتزت الجبال مع مرشد كردي واخترقت الغابات، ومرت ستة أيام بلياليها الى ان وصلت الى معسكر الحاكم وسلمته الأمانة، واحضرت معي لميرزا احمد الجواب، حيث اظهر له فيه ممنونيته من الهدية وأكد له اخلاصه لأمر صاحبه.

ولدى عودتي، علمت من ميرزا احمد الخبر السار بوصول حضرة بهاءالله الى كرمنشاه، وإذ حضرنا أمامه وجدناه في شهر رمضان مشتغلا بقراءة القرآن، واسبغت علينا نعمة الاستماع إليه وهو يتلو آيات الكتاب الحكيم. فأظهرت له رسالة ايلدرم ميرزا للميرزا احمد، وبعد قراءتها تفضل قائلاً: (ان الايمان الذي يظهره أحد أعضاء عائلة القاجار، لا يعول عليه، وان اقراره غير صادق. فهو ينتظر يوما من الأخبار ان البابيين يقتلون المليك، وهو في قلبه يبطن الرغبة والأمل في ان يكون خليفته. واما الحب الذي يظهره للباب فلم يكن

الا من هذه الجهة). ففي ظرف بضعة أشهر علمنا صدق هذه الكلمات، فان ايلدرم ميرزا هذا، أعطى أوامره بقتل السيد بصير الهندي[6] الذي كان من أكبر أنصار الأمر.

وقد يجمل بي في هذا الموقع ان أذكر في سياق الحديث بالاختصار حوادث ايمان هذا الشهيد ووفاته. ففي الأخبار الأولى من رسالة حضرة الباب كان الشيخ سعيد الهندي ضمن تلاميذ حضرة الباب الذين أمرهم ان يتفرقوا في البلاد ويعلموا أمره، وهو أحد حروف الحيّ، وأمره مولاه بالسفر في أنحاء الهند لدعوة الناس الى الأمر الجديد، وأثناء رحلته في مدينة مولتان، قابل السيد بصير هذا الذي عرف للحال بفطرته أهمية الرسالة التي أتاه بها الشيخ سعيد ولو انه كان ضريرا. وكانت العلوم الواسعة التي حصل عليها قد ساعدته على تفهم عظمة الأمر بدلا من ان تبعده عنه. وإذ طرح خلفه زينة الرياسة وانقطع عن الأصحاب، قام بعزم ثابت ليحرز نصيبا في خدمة الأمر الذي اعتنقه. وكان أول عمل له ان حج الى شيراز بقصد ملاقاة المحبوب، ولما وصل الى تلك المدينة، علم مع الأسف ان حضرة الباب نقل الى جبال اذربايجان وانه يعيش هناك عيشة العزلة. فسافر في الحال الى طهران ومنها الى نور وفيها قابل حضرة بهاءالله. وكانت هذه المقابلة قد شفت غليل قلبه وخلصته من الأسى الذي تسبب له عن عدم امكانه مقابلة مولاه. وكان يفيض على كل من قابله بعد ذلك من أي دين كان مما كسبه من المسرات والبركات من أيدي حضرة بهاءالله، ويشعرهم بشيء من القوة التي نفثتها تلك المقابلة في روعه.

وسمعت الشيخ شهيد مازكان يروي الآتي: (تشرفت بمقابلة السيد بصير في أحر أوقات الصيف أثناء مروره في قمسر، وهي التي يلجأ اليها أعيان كاشان للتخلص من حر تلك المدينة. فكنت أراه ليل نهار يحاجّ العلماء الاعلام الذين اجتمعوا في تلك الجهة هربا من حر المدينة، وكان يتناقش معهم في معضلات الدين بقوة وتفقّه، وكان يبين بدون خوف ولا وجل ولا تحفظ قواعد دينه الأساسية ويدحض اعتراضاتهم كلية. ولم يكن أحد منهم مهما كان عالما، بقادر ان يقاوم الدلائل التي كان يبسطها لتدعيم دعوته. وقد بلغ في علمه بقواعد الإسلام وتفقهه في الدين وأحكامه، شأوا بليغا ظنه أعداؤه انه من قبيل السحر وخشوا ان يضر تأثيره بسلطتهم ويسلبهم مقامهم).

وسمعت أيضا من الملا إبراهيم، الملقب بملا باشي، الذي استشهد في سلطان آباد، يحكي مشاهداته بالنسبة للسيد بصير. قال: (كان السيد بصير يمر في أواخر حياته في سلطان آباد حينما سنحت لي الفرصة بمقابلته. وكان دائما يجتمع بأكابر العلماء، ولا يقدر أحد ان يفوقه في معرفة القرآن وفي إلمامه بالأحاديث النبوية. وقد أظهر من العلم والمعرفة ما أخاف أعداءه منه. وكثيرا ما كان المجادلون معه يشكّون في صحة الأسانيد التي يرويها، وكانوا ينكرون وجود الأحاديث التي يستند عليها في تدعيم حجته. فكان يثبت لهم صحتها بدقة تامة ويحيلهم على النصوص الواردة في كتاب "أصول الكافي" وكتاب "بحار الأنوار"[7] ويستخرج لهم النص المعين الذي يثبت صحة مدعاه. وكان لا يشق له غبار في سلاسة عباراته وقوة بيانه الذي كان يدلي به في استخراج البراهين والأدلة التي تثبت وتؤيد طريقته).

وارتحل السيد بصير من سلطان آباد الى لورستان وزار معسكر ايلدرم ميرزا، وقابله هناك بالاحترام اللائق. واثناء محادثته معه يوما، أشار السيد، وكان معروفا بشجاعته، الى محمد شاه بعبارات أثارت غضب ايلدرم ميرزا الشديد. فأمر ان يستل لسانه من قفاه. فتحمل السيد هذا التعذيب الوحشي بجلد مدهش. ولكنه توفي متأثرا من هذا التعذيب الوحشي الذي أوقعه عليه ذلك الطاغية. وفي نفس الاسبوع عثر خانلار ميرزا على خطاب لأخيه ايلدرم ميرزا، يوجه فيه له قبائح. فشكاه لمليكه، وهذا أمره ان يعمل في شأنه ما يريد. ولما كان خان لار ميرزا يغلي صدره بالعداء لأخيه ايلدرم ميرزا، أمر ان يجرد من ثيابه وان يسحب عريانا مغلولا بالسلاسل الى اردبيل، وهناك سجن حتى قضى نحبه.

وصرف حضرة بهاءالله معظم شهر رمضان في كرمنشاه، ولم يصحب معه الى كربلاء سوى شكر الله النوري أحد أقربائه وميرزا محمد المازندراني الذي نجى من حادثة طبرسي.

وسمعت حضرة بهاءالله نفسه يحكي اسباب ارتحاله من طهران، تفضل قائلا: (ان الأمير نظام طلب منا ذات يوم ان نقابله. وتلقانا بالاحترام واخبرنا عن الغرض من الاستدعاء. وقال في لطف "اني عالم تمام العلم بعظم مجهوداتكم ومتيقن انه لولا المساعدة والموازرة التي عضّدتم بها الملا حسين وأصحابه، ما كان لا هو ولا أصحابه من العلماء الغير المدربين بقادرين ان يقاوموا قوات الحكومة الإمبراطورية مدة سبعة أشهر. والمهارة والمقدرة التي شددتم بها أزورهم، تفوق اعجابي. ولكني لم أقدر ان أحصل على أي دليل

مقنع لاثبات اشتراككم معه. وأشعر انه مما يوجب الأسف ترك رجل مثقف مثلك عاطلا لا نعطي له فرصة لخدمة وطنه ومليكه. وقد حضرتني الفكرة ان تذهب لزيارة كربلاء في هذه الأخبار التي عزم فيها الشاه على عمل سياحة في اصفهان. وفي غرضي ان أقدر عند عودته ان أمنحك وظيفة الامير ديوان، وهي وظيفة تقوم بأعبائها بكل جدارة". فاحتججنا على هذه الادعاءات بكل قوة، ورفضنا ان نقبل الوظيفة التي كان يؤمل في تقديمها الينا. وبعد مضي بضعة أيام من هذه المقابلة رحلنا من طهران الى كربلاء).

وقبل ارتحال حضرة بهاءالله الى كرمنشاه، دعى ميرزا احمد ودعاني لمقابلته، وأمرنا بالارتحال الى طهران. وأمرني ان أقابل ميرزا يحيى بمجرد وصولي، وان أصحبه الى قلعة ذي الفقار خان، وهي في جوار شاه رود، وان نبقى هناك سوية الى ان يرجع حضرة بهاءالله الى العاصمة. وامر الميرزا احمد ان يبقى في طهران الى وقت وصوله، وسلمه صندوقا فيه بعض الحلوى، وخطابا للأقا كليم الذي أمره ان يوصل الهدية الى مازندران حيث يقطن الغصن الأعظم ووالدته.

ولكن الميرزا يحيى، الذي سلمت له الرسالة، أبى ان يرحل من طهران، وسألني على العكس من ذلك ان أرحل الى قزوين. وأجبرني على اطاعة أمره وان أحمل بعض الرسائل الى أحبائه في تلك المدينة. وعند عودتي الى طهران أجبرت بناء على إلحاح أقاربي ان أرحل الى زرند. وكان الميرزا احمد قد وعدني بانه سوف يعمل الترتيب لرجوعي الى العاصمة، وقد وفى بوعده. ولم يمض شهران حتى كنت مقيما معه في الخان الموجود خارج باب نو، ومكثت

الشتاء بأكمله في معيته. وكان يمضي أوقاته في نسخ البيان الفارسي والدلائل السبع وأتم هذه الاعمال باتقان زايد وحماس. وسلمني نسختين من الكتاب الأخير، وسألني ان أقدمهما نيابة عنه الى مستوفي الممالك الاشتياني وميرزا سيد علي التفريشي، الملقب مجد الأشراف. وقد انجذب الأول من قراءته بدرجة انه آمن بالأمر. اما الميرزا سيد علي، فكان في رأيه على عكس الأول. وأشار في مجلس حضره الأقا كليم الى مجهودات الأحباء المستمرة بلهجة عدم الاستحسان. وقال علنا: (ان هذه الطائفة لا تزال قائمة للآن ورسلها مجدون في العمل وينشرون تعاليم مولاهم، ومنهم شاب جاء لزيارتي في يوم سابق وأهداني نسخة من كتاب أعتبره كبير الخطر، فان أي رجل من عوام الناس يقرأه لاشك ان ينخدع من عباراته). وقد فهم الأقا كليم من اشاراته ان الميرزا احمد ارسل إليه الكتاب واني كنت رسوله إليه. وفي نفس اليوم طلب مني الأقا كليم ان أزوره، ونصحني ان أعود الى موطني في زرند وان أطلب من ميرزا احمد ان يقوم الى قم لأننا نحن الاثنين معرضان لخطر كبير. واتباعا لتعليمات الميرزا احمد، نجحت في اقناع السيد (مجد الأشراف) ان يرجع الكتاب الذي سلمته إليه. وبعد زمن قصير رافقت الميرزا احمد لغاية شاه عبد العظيم ومنها سافر الى قم ورجعت أنا الى زرند.

ووصل حضرة بهاءالله الى كربلاء في شهر شوال سنة 1267 هجرية[8] وفي طريقه الى تلك المدينة المقدسة مكث بضعة أيام في بغداد وهي المدينة المعدة لاستقباله مرة أخرى والتي فيها نشأ أمره وانكشف للعالم أجمع. وإذ وصل الى كربلاء وجد ان بعضا من مشاهيرها ومنهم الشيخ سلطان وحاجي سيد جواد

وقعوا فريسة لضلال السيد علوّ، الذي ناصروه وتخبطوا في الأوهام واعتقدوه انه تجسد من الروح القدس. وكان الشيخ سلطان يعد نفسه انه أكبر تلاميذه حماسة وانه بعد سيده سيكون أكبر رئيس بين مواطنيه. فقابله حضرة بهاءالله بالملاطفة والنصائح ونجح في اقناعه في جملة مقابلات بان يطهّر عقله من تلك الخزعبلات، وان يتخلص من ربقة العبودية التي وقع فيها. واستماله لأمر حضرة الباب واشعل في قلبه نار الحماس لنشر دعوته. وإذ رأى تلاميذه تغييره العجيب الفجائي، رفضوا طاعتهم القديمة، واخذوا واحدا بعد الآخر يقبلون دعوة حضرة الباب التي مال اليها زميلهم. وأخيرا أذعن السيد علوّ الى سلطة وقوة حضرة بهاءالله واعترف بسموه ورفعة مقامه، بعد ان وجد نفسه منبوذا ومتروكا من أتباعه الأولين. وزاد على اعترافه انه ندم على عمله الأول وأقسم ان لا يعود لنشر الآراء والمسائل التي كان يحبذها ويطبقها على نفسه.

وكان حضرة بهاءالله في زيارته لكربلاء قد تقابل وهو يسير في شوارعها مع الشيخ حسن الزنوزي، الذي أوكل إليه الاطلاع على السر الذي سيذيعه فيما بعد في بغداد. ووجده جادا في البحث عن "الحسين الموعود" الذي كان حضرة الباب يشير إليه بمحبة زائدة، والذي وعده بمقابلته في كربلاء. وفي فصل سابق، حكينا الأحوال التي أدت الى تلك المقابلة مع حضرة بهاءالله. ومنذ ذلك التاريخ كان الشيخ حسن قد انجذب من حلاوة اكتشافه لمولاه الجديد، ولولا منعه لأفشى السر الى أهالي كربلاء وأظهر دعوة رجعة الحسين الموعود الذي ينتظرون ظهوره.

وممن اعترف بتلك القوة ميرزا علي طبيب الزنجاني، الذي غرس حضرة بهاءالله في قلبه حبةً أينعت وأزهرت بيقين وايمان لم تقدر نيران الاضطهادات على قمعه. وكان حضرة بهاءالله نفسه قد شهد له باخلاصه وعلو مداركه وسمو مبدئه. وقد جرّه ذلك الايمان الى ميدان الشهادة اخيرا. وساهم في هذا النصيب ميرزا عبد الوهاب الشيرازي ابن الحاج عبد المجيد الذي كان يمتلك حانوتا في كربلاء، والذي ارتأى ان يترك كل ماله وممتلكاته ويتبع مولاه. ولكنه نصحه ان لا يترك أعماله وان يستمر على كسب معاشه الى ان يحين الوقت لطلبه في طهران. وحرضه على ان يتجمل بالصبر وأعطاه مبلغا يستعين به على توسعة تجارته. ولما كان غير قادر على ان يبذل جهده ويصرف عنايته الى تجارته، اسرع الميرزا عبد الوهاب الى طهران وبقي هناك حتى طرح في السرداب الذي حبس فيه مع مولاه وتجرع كأس الشهادة لأجله.

وكذلك انجذب الشيخ علي ميرازي شيرازي وبقى لآخر نفس من حياته من أكبر أنصار الأمر الذي أعتنقه وخدمه بكل نزاهة واخلاص بما يفوق كل مدح. وكان يقص على جميع الناس من الأصحاب والأغيار ما كان يشاهده من التأثير المدهش الذي كان لحضرة بهاءالله عليه وكان يصف بحماس تلك العجائب والآيات التي شاهدها أثناء اعتناقه للأمر وبعده.

الحواشي

(1) 19 يناير سنة 1889 ميلادية.

(2) لقب عبد البهاء.

(3) 1851 ميلادية.

(4) أول يونيو – 30 يونيو 1851 ميلادية.

(5) أحد كتب الباب القيمة المعروفة.

(6) وكان السيد بصير قد أظهر من صغره علائم النجابة والتقوى التي ظهرت منه فيما بعد. وكان يتمتع بنعمة البصر مدة سبع سنوات. ومع انفتاح عين قلبه كف بصره. وكان من صغره طيب الاعمال حسن اللفظ والقول. ثم زاد بعد ذلك تقوى وهدوءً جدا في الحياة. ولما وصل الى سن الواحد والعشرين قام للحج بأبهة عظيمة لأنه كان من الاغنياء , ولما وصل الى ايران ابتدأ يخالط ويعاشر كل الطوائف، لأنه كان مطلعا على قواعد وأصول كل منها، وكان يعطي الفقراء كثيرا من الصدقة. وكان يقوم بنفسه باداء الفرائض الدينية ويلتزمها بأوسع معانيها. ولما كان آباؤه قد أخبروه من قبل بأن الرجل الكامل سيظهر في هذا الزمان، كان دائم البحث في هذا الخصوص. وزار مكة، وبعد اداء الحج عاد الى زيارة المقامات المقدسة في كربلاء والنجف، وهناك قابل المرحوم الحاج السيد كاظم وكانت له صحبة وثيقة معه. ثم عاد الى الهند، وإذ وصل الى بومباي سمع ان شخصا يدعى الباب ظهر في ايران، وبناء عليه عاد توا الى هذا الاقليم. (كتاب التاريخ الجديد صحيفة 245–246).

(7) مجموعات من الأحاديث الإسلامية.

(8) 30 يوليو الى 28 أغسطس سنة 1851 ميلادية.

الفصل السادس والعشرون

الشروع في قتل الشاه ونتائجه

في النوروز الثامن من دعوة حضرة الباب الذي وقع في اليوم السابع والعشرين من شهر جمادي الأول سنة 1268 هجرية[1] كان حضرة بهاءالله في العراق مشغولا بنشر التعاليم، وأظهر حماسا ومقدرة تذكرنا بالأيام الأولى للأمر في نور ومازندران. واستمر مشتغلا بموالاة المجهودات وترتيب الأمور وإنهاض الهمم من أصحاب حضرة الباب المتفرقين. فكان هو الضياء الذي انبثق في الظلام المحيط بالأصحاب لخوفهم مما شاهدوه من واقعة الاستشهاد القاسي الذي حصل لرئيسهم المحبوب من جهة ومن جهة أخرى من نصيب أصحابه المفجع. وكان حضرة بهاءالله وحده ينفث فيهم روح الشجاعة اللازمة والقوة لتحمل الآلام العديدة التي غمرتهم، وتمكن من إعدادهم لتحمل المشاق التي كانت وستكون من نصيبهم، وتدريبهم على مقاومة العاصفة التي تهددهم.

وفي ربيع تلك السنة، كان الأمير نظام ميرزا تقي خان[2]، رئيس وزراء ناصر الدين شاه الذي ارتكب الفضائع المنكرة ضد حضرة الباب وضد أصحابه، قد لقي حتفه في الحمام العمومي في "فين" قريبا من كاشان، وذلك بعد ان عجز عن إيقاف تيار تقدم الدين الذي بذل الجهد في سحقه بكل تهور

واعتساف، فخابت آماله وزالت دولته وبقيت معالم الحياة التي أراد إطفاء أنوارها سالمة. وأثناء الثلاث سنوات التي تعين فيها وزيرا، تلوث حكمه بأقسى أنواع المظالم وأفجعها. وإذ تقدم ليمزق بيده النسيج الذي هيأه حضرة الباب، أرخى ليده العنان في ارتكاب كل موبقة وظلم واضطهاد. فما أقسى الأوامر والتدابير التي اتخذها في سَورة غضبه وهو يمحو كل أثر لحياة الأمر الذي كان يكرهه ويخشاه. وفي أول سنة من حكمه وجّه جيش ناصر الدين شاه للهجوم على المحصورين في قلعة طبرسي. وأضرم أوار الحرب بقسوة لقهر هؤلاء الأبرياء أنصار دين الله. وما فتئ يتذرع بكل وسيلة، واحتدم وتلهب لإهلاك جناب القدوس والملا حسين والثلاثمائة والثلاثة عشر نفر، الذين هم من أشرف وأشجع أبناء وطنه. وقام بوحشية في السنة الثانية من حكمه لمحو الأمر في العاصمة بغيظ محتدم، فأمر بالقبض على المؤمنين القاطنين في تلك المدينة ونفذ في السبعة الشهداء في طهران حكم الإعدام، وذلك ما سهل أمر الهجوم والاعتداء على وحيد وأصحابه. وأذكى نار حرب الانتقام التي شجعت الظَلَمة السفاكين وجعلتهم في حل من ارتكاب الفضائع واستباحة الدماء، كما وقع في تلك المأساة التي ستبقى للأبد عنوانا على تلك القسوة الجامحة. وفي تلك السنة وقع اصطلام أشد وأنكى من كل سابقة فتكٍ على الفئة المظلومة، فاجتاح جائحة أودت بحياة ذلكم الذي كان مصدرا لجميع القوى التي حاول محقها عبثا. وكانت أواخر أيام حياة ذلك الوزير مفعمة بحوادث سطوته الجامحة التي دبرها بعقله لإهلاك حياة الحجة وإعدام ما لا يقل عن ألف وثمانمائة من أصحابه. وهي أبرز أعمال ذلك الوزير الذي انتهى حكمه كما ابتدأ بالبغي

والظلم الذي لم تر عين إيران مثله في غابر الأزمان. وخلفه ميرزا أقا خان النوري[3] الذي رأى في افتتاح حكمه ان يصلح بين حكومة إيران وبين حضرة بهاءالله الذي اعتبره أكفأ وزراء حضرة الباب. فارسل له خطابا مصحوبا بدعوة حارة للرجوع الى طهران وأظهر له فيه شوقه للغاية. وقبل وصول ذلك الخطاب كان حضرة بهاءالله قد صمم على الرجوع من العراق الى إيران. فوصل الى العاصمة في شهر رجب[4] ورحب به جعفر قلي خان أخ رئيس الوزراء، الذي أوفده هذا الأخير خصيصا للترحيب به. ولمدة شهر كامل نزل ضيفا على رئيس الوزراء الذي عين أخاه كمضيف له بدلا عنه. فكان الذين هرعوا لمقابلته عددا كبيرا من أعيان العاصمة ومن مشاهير رجالها، حتى انه لم يتمكن من الرجوع الى منزله، وبقي في ذلك المنزل الى ان رحل الى شمران[5].

وسمعت من أقا كليم، انه أثناء تلك الرحلة تمكن حضرة بهاءالله من مقابلة عظيم الذي كان مجدا في طلب لقائه ورؤيته منذ أمد بعيد. وفي تلك المقابلة نصحه مشددا ان يترك التدبير الذي رتبه في فكره والذي أسخط حضرة بهاءالله. فأظهر له عدم رضائه عن العمل الذي نواه، وحذّره ان مثل هذا التدبير يأتي بمصائب جمة جديدة مما لم يكن لها مثيل في شدتها.

وواصل حضرة بهاءالله السير الى لواسان وأقام في قرية أفشه من أملاك رئيس الوزراء، إذ أتت الأخبار بالشروع في اغتيال ناصر الدين شاه. وكان جعفر قلي خان لا يزال يقوم بمهمة مضيفه نيابة عن رئيس الوزراء، وارتكبت هذه الجريمة في نهاية شهر شوال سنة 1268 هجرية[6] من ثلاثة شبان طائشين اسم الأول، صادق تبريزي. واسم الثاني فتح الله حكاك القمي. واسم

الثالث الحاجي قاسم النيريزي، وكانوا يكسبون عيشهم في طهران. ففي الوقت الذي كان الجيش الملكي تحت رئاسة الشاه معسكرا في شمران، قام هؤلاء الشبان الجهلة في سورة قنوطهم لينتقموا لدماء إخوانهم المذبوحين[7]. ومما دل على حماقتهم وطيشهم، انهم بدلا من استعمال الأسلحة التي تضمن نجاح قصدهم، عمّروا مسدساتهم بالرش الذي لا يستعمله أي عاقل لإجراء مثل ذلك العمل. فلو كان عملهم ناشئا عن تدبير شخص عاقل، لما صرّح لهم بأن ينفذوا أغراضهم بمثل تلك الآلات الناقصة المعطلة.

وهذا العمل الذي لا يصدر إلا عن متعصب شرير ضعيف العقل، والذي كان محل سخط حضرة بهاءالله وغضبه، كان بمثابة الإشارة والإيماء لانفجار أنواع جديدة من الاضطهادات والتعذيب والمظالم مما لم يسبق له نظير سوى ما وقع منها في زنجان ومازندران. أما العاصفة التي نتجت عن هذا العمل، فأوقعت الرعب والفزع في طهران، وأتت على البقية الباقية من الأحباء الذين نجوا من المصائب والمفاجع التي طالما تعرضوا إليها بسبب إيمانهم. وكانت العاصفة على أشدها وسببت سجن حضرة بهاءالله وبعض كبار أصحابه في سراديب مظلمة قذرة ملوثة بالحمى، ووضعت في عنقه من السلاسل الغليظة ما لا يوضع عادة إلا في أعناق أخطر المجرمين. وتحمل ثقلها مدة لا تقل عن أربعة أشهر، وكانت من الشدة بحيث بقيت أثارها في جسده الى آخر أيام حياته.

وأثار التهديد الموجه للملك وأرباب مملكته دهشة جميع الرؤساء الدينيين في إيران، واقتضى مثل هذا الفعل الجريء عقابا عاجلا وقصاصا صادقا.

فصاحوا وطلبوا ضرورة اتخاذ إجراءات استثنائية قاسية لصد هذا التيار الذي يهدد كيان الحكومة ودين الإسلام كليهما. ورغما عن القيود التي أمر أصحابه باتباعها منذ بداية إيمانهم في كل بقعة، ورغما عن التنبيهات المشددة التي كان مشاهير الأحباء يوصون بها إخوانهم من الامتناع عن أعمال القوة ومن التزام الطاعة لأوامر الحكومة المحلية، وتجنب فكرة الجهاد، فان أعداءهم ما فتئوا يبذلون الجهد في تشويه سمعة الأمر ومقاصده عند أرباب السلطة. فلما وقعت حادثة الشروع في اغتيال الشاه بما لها من النتائج الخطيرة، اتخذها الأعداء ذريعة للتدليل على ما يلصقونه من أنواع التهم للأمر الذي يتبعه هؤلاء الذين اقترفوا هذا الجرم، وتهيأت لهم الفرص ان ينبهوا الحكام في جميع المملكة الى ضرورة القضاء بأسرع ما يمكن على هذه البدعة التي يرون انها تهدد أركان المملكة[8].

وبمجرد ارتكاب هذه الجريمة بالاعتداء على حياة الشاه، كتب جعفر قلي خان الذي كان في شميران خطابا الى حضرة بهاءالله يعلمه بما وقع. وقال ضمن خطابه: (ان والدة الشاه قد اشتعلت بالغضب واتهمتك علنا أمام الحاشية والناس بأنك أنت ربما تكون القاتل لابنها. وهي تريد أيضا ان تتهم ميرزا أقا خان في هذا الصدد، وتدعي عليه بأنه شريكك). وطلب من حضرة بهاءالله ان يبقى مختفيا في تلك الجهة المجاورة الى ان يهدأ هياج الناس، وأرسل الى أفشه رسولا طاعنا في السن وماهرا وأمره ان يكون تحت أمر ضيفه ومستعدا لمرافقته الى أي مأمن يريد ان يلتجئ إليه.

فلم يقبل حضرة بهاءالله ان ينتهز الفرصة التي هيأها له جعفر قلي خان وتجاهل رسالته رافضا اقتراحه. وركب في صباح اليوم الثاني بكل هدوء واطمئنان من لاواسان محل اقامته الى معسكر الجيش الملكي الذي كان مرابطا في نياواران في إقليم شمران. وإذ وصل الى قرية زركنده مقر المفوضية الروسية التي تقع على بعد ميدان واحد من نياواران، تقابل مع نسيبه ميرزا مجيد الذي كان يشتغل سكرتيرا للوزير الروسي[9]، وهذا استضافه عنده في منزله الذي كان يلاصق منزل رئيسه. وقد عرفه خدّام حاجي علي خان حاجب الدولة، واخبروا بذلك سيدهم توا وهذا أخبر الشاه.

وكانت أخبار وصول حضرة بهاءالله قد أدهشت ضباط الجيش الملكي. واندهش ناصر الدين شاه نفسه من الخطوة الجريئة والغير المنتظرة التي حصلت من شخص متهم بأنه المحرض الأكبر للتعدي على حياة الشاه. فارسل في الحال أحد ضباطه الموثوق بهم الى السفارة لطلب تسليم المتهم ليدهم. فامتنع السفير الروسي، وطلب من حضرة بهاءالله ان يذهب الى منزل ميرزا أقا خان رئيس الوزارة، لأنه أليق محل في الحالة الراهنة لنزوله. فقبل حضرة بهاءالله ذلك وكتب السفير الروسي رسميا الى رئيس الوزارة برغبته في ان يبذل منتهى عنايته في ان تكون الوديعة التي سلمتها له حكومته في حفظ وحماية تامة، وحذره فيها انه سيكون مسؤولا شخصيا إذا لم يعتن بهذه الرغبات[10].

ومع ان ميرزا أقا خان، أكد ذلك بنفسه واظهر لحضرة بهاءالله في منزله كل إجلال وتعظيم، ولكنه خوفا على وظيفته ومركزه كان يسمح بكل المعاملة التي ما كانت منتظرة منه.

وفي الوقت الذي غادر فيه حضرة بهاءالله قرية زركنده، شعرت ابنة السفير الروسي بأسى وحزن من المخاطر التي تهدد حياته وتغلب عليها الحزن بدرجة انها لم تتمالك من ذرف دموعها عليه، وسمعت وهي تتحاور مع والدها وتقول: (ما الفائدة في السلطة المخولة لك إذا كنت لا تقدر ان تحمي ضيفا استقبلته في منزلك؟). وتأثر السفير من منظر ابنته وهي تبكي، وكان يحبها محبة شديدة، فسكّن خاطرها وأكد لها انه سيعمل كل ما في وسعه لدرء الخطر الذي يتهدد حياة حضرة بهاءالله. وفي ذلك اليوم حصلت ضجة كبيرة في جيش ناصر الدين شاه. فان أوامر الملك الحتمية التي تبعت الشروع في قتله قد أحدثت إشاعات شنيعة وهيجت أقسى أنواع المشاعر في قلوب أهالي الجهات المجاورة. وزاد الهياج في طهران واشتعلت في قلوب أعداء الأمر آثار الحقد الذي يكمنونه له واندلعت نيرانه بلهيب غضب متفاقم. واشتد الاضطراب والارتباك في كل أنحاء العاصمة. وكانت أقل إشارة أو إيماء أو كلمة اتهام تكفي لإيقاع البريء في اضطهاد وعذاب لا يقدر القلم على وصفه. ولم يعد في المدينة أمن على الحياة ولا على الأملاك، وانمحى ذلك كلية، واتحد كبار الرؤساء الدينيين في العاصمة مع أرباب السلطة في الحكومة وتكاتفوا على عمل ما يأملون ان يكون ضربة قاضية على عدوّ زعزع أمن البلاد مدة ثمان سنوات، بحيث لم تتمكن أي سلطة أو قوة أو حيلة في إسكاته.

ولم يكن هناك في نظرهم عدوّ أكبر من حضرة بهاءالله، إذ كان حضرة الباب قد قضي عليه، ورأوا من أول واجباتهم القبض عليه وسجنه، واعتقدوا ان روح حضرة الباب دخلت فيه وهي تلك الروح التي تمكنت من أحداث تغيير تام

في عوائد وأخلاق مواطنيه. ولم تنجح احتياطات السفير الروسي التي عملها في إيقاف اليد المحركة التي امتدت بعزم أكيد للقضاء على حياته الثمينة ولا أفاد تحذيره في ذلك. وفي الطريق من شمران الى طهران، جرد حضرة بهاءالله من ملابسه جملة مرات وانهالت عليه الإهانات والسخرية. واضطر ان يسير تلك المسافة عاري الرأس حافي القدمين معرضا لأشعة الشمس الصيفية المحرقة الى ان أدخلوه السرداب. وكان الأهالي يرجمونه طول الطريق ويسبونه لأن الأعداء أقنعوهم بأنه هو العدوّ اللدود للملك والهادم لملكه. وتقصر العبارات عن وصف فضاعة المعاملة التي قاساها أثناء أخذه الى سياه چال[11] في طهران. وإذ اقترب الى السرداب خرجت من وسط الزحام عجوز شمطاء وبيدها حجر تريد قذفه في وجهه، وكانت عيناها تتقد بغضب قلَّ ان يظهر من امرأة في سنها، وكان كل جسمها يرتعش أثناء تقدمها ورفعها يدها لترمي سهمها عليه. وقالت وهي تتقدم نحو الحراس (أستحلفكم بسيد الشهداء[12] ان تعطوني الفرصة لأرمي حجري في وجهه) فقال حضرة بهاءالله للحراس وهو يراها تسرع نحوه: (لا تمنعوها عما تعتقد انه عمل مجيد عند الله).

وكان السياه چال الذي حبس فيه حضرة بهاءالله أصلاً عبارة عن خزان مياه لأحد الحمّامات العمومية في طهران، وهو عبارة عن سرداب تحت الأرض يحبس فيه أدنى أنواع المجرمين، وكانت قذارته وظلمته وطبيعة المسجونين فيه قد جعلت المكان أوبأ مكان يمكن ان يحكم على إنسان بالسجن فيه، فكانت قدماه موضوعتان في المقطرة وعنقه في سلسلة "قرة جوهر"، وهي مشهورة في عموم بلاد إيران بأنها أثقل أنواع الأغلال وزناً وعقراً[13] ولم يعط لحضرة

بهاءالله أي أنواع الطعام أو الشراب مدة ثلاثة أيام وثلاث ليال. وكان النوم والراحة معدومين عنده والمحل مملوءا بالحشرات، وقذارة المسكن القاتم كافية لسحق أرواح المحكوم عليهم من شدة نتانته. فهذه هي الأحوال التي قاساها حضرة بهاءالله، حتى ان أحد الحراس كان يرمقه في شدته ويترأف عليه ويجتهد ان يحضر بعض الشاي ويخفيه تحت ردائه ويقدمه له في ذلك السرداب. ولكن حضرة بهاءالله كان يرفض تناوله. وكانت أسرته تجتهد ان تقنع الحراس بالسماح لهم بنقل الطعام الذي هيأوه له في سجنه، ولو ان الحراس في ابتداء الأمر لم يتساهلوا، إلا انهم أخيرا نظرا لإلحاح أصدقائه، أخذوا في التساهل قليلا. وما كان أحد يتأكد من وصول الطعام إليه أو انه يسمح لنفسه بتناوله، بينما يرى أصحابه المحبوسين معه يتضورون جوعا. حقا لا يمكن تصور أي نكبة أشد مما قاساه هؤلاء الضحايا الأبرياء بسبب تأثير سخط الملك[14].

وأما الشاب صادق التبريزي، فقد كان نصيبه قاسيا ومهينا، فانه قبض عليه في حالة هجومه على الشاه وجذْبه له من جواده بأمل ضربه بالسيف الذي كان يشهره عليه. فان شاطر باشي مع خدم مستوفي الممالك، هجموا عليه وبدون ان يجتهدوا في معرفته، ذبحوه فورا في المكان، ولتسكين هياج الأهالي، شطروه نصفين ووضعوا كل نصف على مدخل باب شمران وشاه عبد العظيم[15]. أما رفيقاه الآخران فتح الله حكاك القمي وحاجي قاسم النيريزي اللذان نجحا في جرح الشاه، فقد أخذا وعذبا الى ان توفيا أخيرا. ولم يقبل فتح الله عنادا ان يجيب على الأسئلة التي وجهت له رغم التعذيب الشديد القاسي، وكان السكوت الذي التزمه رغم العذاب المتعدد الذي تحمله، قد جعل المحققين

يظنون انه أخرس. وإذ غضبوا من عجزهم في ذلك صبوا في حلقه الرصاص المذاب وبهذه الطريقة انتهت حياته. أما شريكه الحاجي قاسم فقد عومل بوحشية أفظع. ففي اليوم الذي كان فيه الحاجي سليمان خان يقاسي محنته، كان هذا الشاب يعذب في شمران بالمثل. فخلعوا عنه ثيابه، ووضعت شموع متقدة في ثقوب عملت في جسده. وبهذه الكيفية ساروا به في الشوارع أمام الجمهور الذي كان يصيح عليه ويلعنه، وعذبوه بروح انتقام مما لا شبيه لها. وفي كل يوم كانوا يأتون بأبرياء جدد يسفكون دماءهم باتهامهم زورا بذنوب لم يقترفوها ولأحوال لم يعلموا عنها شيئا. وكانوا يعذبونهم بكل وسيلة جهنمية وآلات يعدونها لمعاقبة هؤلاء البؤساء الذين لم يحاكموا ولم يسألوا ولم يسمح لهم باستعمال حقهم الطبيعي في الدفاع عن أنفسهم واثبات براءتهم.

واستشهد في أيام هذا الفزع اثنان من أصحاب حضرة الباب، ذبح أحدهما في طهران والآخر لقي حتفه في شميران، وعذب الاثنان بطريقة واحدة، وسلم كلاهما للعامة لإفراغ جام انتقامهم فيهما. أما الذين كان يقبض عليهم، فكانوا يسلمون لفئات مختلفة من الناس كيفما شاءوا، الذين كانت رسلهم يأتون الى السرداب في كل يوم ويأخذون منه من يشاءون باعتباره فريستهم[16]. وعندما يؤخذ الى مكان التنفيذ، تعطى الإشارة للهجوم عليه هجوما عاما، فتقع الرجال والنساء على فريستهم ويمزقون جسده إربا إربا ويقطعونها بحيث لا يبقى منه شكل أي عضو من أعضائه ولا بقية منه. ومثل هذه الوحشية كانت تدهش أغلظ الجلادين الذين مع كونهم تعودوا سفك الدماء بأيديهم، لم يرتكبوا أبدا مثل هذه الوحشية التي كان الناس يقترفونها[17].

ومن بين جميع أنواع التعذيب الذي أوقعه الأعداء على فرائسهم لم يكن أقسى ولا أفظع ولا أشنع مما ارتكب على الحاجي سليمان خان، وهو ابن يحيى خان، أحد الضباط في جيش نائب السلطنة والد محمد شاه. وكانت له هذه الرتبة في أيام حكم محمد شاه. وكان حاجي سليمان خان يظهر من صغره عدم الميل الى الرتب والوظائف. ومنذ ان اعتنق أمر حضرة الباب، احتقر سلوك الناس حوله في معاملاتهم الدنيوية، وطال تأسفه عليهم لما رأى من أطماعهم، وكان يود منذ صباه ان يهرب من ضجة المدينة. والتجأ فعلا الى مدينة كربلاء المقدسة. وهناك قابل السيد كاظم وأصبح من تلاميذه المعدودين الغيورين. ومن أشهر خصاله، التقوى والاعتدال والرغبة في الوحدة والعزلة. ومكث في كربلاء الى اليوم الذي وصله النداء من شيراز بواسطة الملا يوسف الاردبيلي والملا مهدي خوي، وكلاهما من أخص أصحابه. فاعتنق أمر حضرة الباب بكل حماس[18]، وعزم ان ينضم الى جماعة المدافعين في قلعة طبرسي عند رجوعه من كربلاء الى طهران. ولكنه وصل متأخرا فلم يتمكن من ذلك وبقي في العاصمة واستمر يلبس اللباس الذي كان يرتديه في كربلاء. وهي عمامة صغيرة وعباءة سوداء تغطي تحتها قفطانا أبيضا. وكان الأمير نظام لم يعجبه لبسه هذا وأقنعه ان يلبس بدلة عسكرية بدلا عنها. فكان لذلك يلبس الكلاة (القلنسوة) وهي ما كان والده يلبسها. ومع ان الأمير صمم ان يسند إليه وظيفة في خدمة الحكومة، إلا انه رفض بتاتا قبول ذلك، وكان يصرف أغلب أوقاته مع أصحاب حضرة الباب وخاصة مع البقية الباقية من ملاحم قلعة طبرسي، وكان يمدهم بعناية وشفقة زائدة، وكانت له ولوالده مكانة عظيمة، حتى ان

الأمير نظام أراد ان يبقي عليه وان لا يتعرض له أحد بأي أذى أو تعذيب. ومع انه كان موجودا في طهران أيام الشهداء السبعة، لم يتجاسر الناس ولا موظفو الحكومة على القبض عليه. وحتى في تبريز عندما رحل لانقاذ حياة حضرة الباب، لم يتجاسر أحد من سكان تلك المدينة ان يرفع اصبعه عليه. وكان الأمير نظام يعلم بالخدمات التي كان مشغولا بها في أمر حضرة الباب، ولكنه فضل ان يتجاهلها بدلا من الاصطدام معه أو مع والده.

وبعد شهادة ملا زين العابدين اليزدي بقليل، راجت إشاعة بان الحكومة تنوي إطلاق سراح الطاهرة والسيد حسين، كاتب وحي حضرة الباب بعد ان قررت إعدامهما، وكذلك عولت على عدم اضطهاد أصحابهما نهائيا. وأشيع في طول البلاد وعرضها ان الأمير نظام ظنا من ان ساعة وفاته قد دنت، أخذه فجأة خوف عظيم، وفي اضطراب توبته زجر نفسه وصاح قائلا: (إني تطيّرت بخيال السيد الباب الذي تسببت في استشهاده، والآن أشاهد الذنب المخيف الجسيم الذي اقترفته. وكنت أقدر ان أدفع عنه عادية الناس وضغطهم عليّ في سفك دمه ودم أصحابه. والآن قد عرفت ان مصلحة الحكومة كانت في حاجة الى تلك الحماية). أما خلفه الميرزا أقا خان، فكان في ابتداء حكمه يرغب في المصالحة بينه وبين أتباع حضرة الباب لتثبيت رئاسته، وكان يهيئ الأسباب لذلك، حتى وقعت حادثة الاعتداء على الشاه فبددّت آماله وأوقعت العاصمة في فتنة عمياء.

وقد سمعت الغصن الأعظم (حضرة عبد البهاء) الذي كان طفلا في ذلك الوقت وعمره ثمان سنوات، يحكي عن إحدى مشاهداته قال: (كنا التجأنا الى

منزل عمنا ميرزا إسماعيل، وكنت تجاسرت في بعض الأيام ان أخرج من المنزل وأعبر الطريق لغاية السوق. وما كدت أخرج من العتبة، حتى ازدحم حولي أطفال من سنّي يصيحون (بابي.. بابي..) ولعلمي بالذعر الذي أصاب الناس من الكبير والصغير من سكان العاصمة، كنت أمرّ الى منزلي بهدوء وسكون متجاهلا نداءاتهم عمداً. وذات يوم كنت أمر وحدي في السوق أثناء عودتي الى منزل عمي. وإذ نظرت خلفي، وجدت فئة من الأولاد الرعاع يجرون بسرعة ليلحقوني وكانوا يقذفونني بالطوب ويصيحون مهددين (بابي.. بابي..). ورأيت ان أحسن طريقة للخلاص من الخطر الذي يهددني هو تخويفهم، فعدت إليهم وهجمت عليهم بعزم أوجبهم على الهرب وهم خائفون وجلون ولم يبق منهم أحد. وكنت أسمعهم يقولون على بعد (ان البابي الصغير تتبعنا وسوف يلحقنا ويذبحنا). وإذ كنت أسير عائدا الى المنزل، سمعت رجلا يصيح بأعلى صوته "نِعم ما فعلت أيها الغلام الشجاع، فما قدر أحد من سنك أبداً ان يقاوم وحده هجومهم". ومنذ ذلك التاريخ لم يتجاسر أحد من أولاد الشوارع ان يعاكسني ولم أسمع أي كلمة جارحة تسقط من أفواههم).

نعود مرة أخرى الى قصة إلقاء القبض على الحاجي سليمان خان وكيفية طرحه في السجن وسط الاضطراب العام. وأسرد كيفية استشهاده التي تحققت من جميع وقائعها بنفسي. واني مدين لروايتها للأقا كليم الذي كان في ذلك الوقت في طهران، وكان يشارك آلام وتعذيب إخوانه. فأخبرني قال: (في يوم استشهاد حاجي سليمان خان كنت موجودا مع ميرزا عبد المجيد في مجمع في طهران، اجتمع فيه عظماء وأعيان العاصمة ومن بينهم الحاجي ملا محمود

نظام العلماء، الذي أمر الكلانتر ان يصف أحوال وفاة الحاجي سليمان خان بالدقة. فأشار الكلانتر باصبعه الى الميرزا تقي الكدخدا الذي قال عنه انه هو الذي قاد الأسير من قرب السراي الملكية الى مكان التنفيذ خارج باب نوّ. فطلب الحاضرون من ميرزا تقي ان يقص عليهم الكيفية كما رآها وسمعها. قال: [صدرت لي ولمساعدي الأوامر ان أشتري تسعة شموع وان أثبتها في تسعة ثقوب عميقة تحز في جسمه، وان توقد هذه الشموع وان نسير به في السوق مصحوبا بأصوات المزامير ودق الطبول لغاية مكان التنفيذ. وهناك أمرنا ان نقسم جسمه شطرين ونعلق على كل ناحية من باب نوّ شطراً. وكان هو بنفسه قد أختار الطريقة التي استشهد بها. وكان حاجب الدولة[19] قد أمره ناصر الدين شاه ان يفحص أمر اشتراك المتهم في حادثة الاعتداء على حياته. وإذا تحقق من براءته يطلب منه الارتداد عن دينه، فإذا قبل، يعفى عن قتله ويحجز لحين الفصل في أمره نهائياً. وإذا امتنع، يعدم حالا بالطريقة التي يختارها.

وتحقق حاجب الدولة من براءة الحاجي سليمان خان بعد الفحص. وما كاد المتهم يعلم بالأوامر الصادرة في شأنه من مليكه بشأن الارتداد، حتى صاح بكل فرح قائلا: (هذا لا يمكن أبدا، فما دام فيّ عرق ينبض بالحياة، لا أقبل ان أنكر دين محبوبي. فهذه الدنيا التي شبهها أمير المؤمنين "الإمام علي"، بالجيفة القذرة، لا يمكن ان تغرني أو تصدني عن محبوب قلبي). فسئل أي ميتة يريد ان يموتها؟ فقال لهم: (اثقبوا جسدي تسعة ثقوب، وضعوا في كل ثقب شمعة، ولتوقد جميع الشموع حول بدني. وعلى هذه الحالة اسحبوني في

شوارع طهران وادعوا الجماهير ان تحضر وتشاهد فخر شهادتي حتى تنقش حوادث مماتي على صفحات قلوبهم وتساعدهم وهم يذكرون شدة معاناتي على ان يعترفوا بالنور الذي أعتنقه. وبعد ان أصل الى مكان التنفيذ وأكون قد نطقت بآخر مناجاتي في هذه الحياة الدنيا، اشطروا جسمي شطرين وعلقوا كل شطر على جهة من جهتي باب طهران حتى ان الذين يمرون من تحته يشاهدون المحبة التي أوقدها دين الباب في قلوب أصحابه وينظرون الى درجة إخلاصهم).

فأمر حاجب الدولة رجاله ان ينفذوا رغبات الحاجي سليمان خان، وأمروني ان أسير به في السوق لمكان التنفيذ. ولما سلّموا الشموع التي اشتروها للمسجون، وكانوا يستعدون لتثقيب صدره، وثب وأخذ السكين من يد الجلاد المرتعشة ليغرزها بنفسه في لحمه، وصاح وهو يخطف السكين قائلا: (لماذا تخاف وتتردد؟ أنا أعمل ذلك وأوقد الشموع بنفسي). وخوفا من ان يهجم علينا، أمرت رجالي ان يقاوموه ويربطوا يديه خلف ظهره. ثم قال: (اسمحوا لي ان أشير باصبعي الى المواضع التي أريد ان تغرزوا فيها السكين، فليس لي مطلب خلاف ذلك).

فسألهم ان يغرزوا اثنتين في صدره، واثنتين على أكتافه، وواحدة في منجع الرقبة، والأربع الباقية في ظهره. وكان يتحمل هذا التعذيب بغاية التؤدة والهدوء، ونور الثبات يشرق من عينيه وهو يسير بخشوع مدهش تام. ولم يضطره للهياج صياح الجماهير ولا منظر الدم الذي كان يجري ويغطي بدنه.

واستمر على هذه الحالة في الرزانة وعدم المبالاة حتى وضعت الشموع التسع في أمكنتها وأوقدت.

عندها استعد للسير للموت، وتقدم وهو منتصب القامة كالرمح بعزم مشرق من وجهه وثبات لا ينثني، يسير أمام الجمع المحتشد الذي اكتظ حوله لمشاهدة استشهاده. وكلما خطى بضع خطوات وقف في سيره ونظر الى المشاهدين الوجلين وصاح قائلا: (ما أعظم الزينة والجلال في هذا اليوم الذي تم فيه نجاحي في الحصول على فخر تاج الشهادة. والمجد والعظمة للباب الذي أشعل مثل هذا الإخلاص في صدور أحبائه، والذي منحهم قوة أكبر وأعظم من سطوة الملوك). وأحيانا كان يصيح كأنه ثمل من حماس هذا الإخلاص ويقول: (ان إبراهيم في الأيام الخالية كان يدعو الله في ساعة الحزن والأسى ان يرسل عليه ما يخفف آلام روحه وينعشها، فسمع من مكمن الغيب نداء "يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم"(قرآن 21-69)، ولكن سليمان هذا، يصيح الآن من أعماق قلبه المحترق ويقول: (إلهي إلهي لتشتعل نارك باستمرار في باطني ولتحرق شعلتها وجودي). ولما شاهدت عيناه الشمع قد قارب الانتهاء في داخل الجرح، صاح بفزع جنوني وقال للجموع الذين ينظرونه بذعر: (ليت الذي أشعلت يده روحي كان حاضراً ليراني، فلا تظنوني سكراناً بحميا هذا العالم، فقد امتلأت روحي بحب محبوبي الذي وهبني قوةً وسلطاناً يحسدني عليه الملوك).

ولا أقدر ان أصف أو أتذكر جميع عبارات الفرح التي خرجت من فمه إذ كان يقترب من نهاية أجله. وكل ما أتذكره هو بعض كلمات مؤثرة كان يصيح

بها في أوقات حماسه للجماهير المحتشدة. ولا تقدر العبارة ان تصف هيئة وجهه أو تعبر عن مقدار تأثير كلماته على الجموع. وكان لا يزال في السوق إذ زاد هبوب النسيم في إشعال الشموع الموضوعة على صدره. وإذ أسرعت في الذوبان وصلت الشعلة الى حافة الجروح المغروزة فيها، وسمع الذين كانوا على مقربة منه أزيز لحمه الآخذ في الاحتراق، وكانت بقع الدماء على جسمه والنيران المشتعلة قد زادت في إشعال حماسه الذي لا ينطفئ بدلا من إخماد صوته، وكان يخاطب الشعلات النارية وهي تأكل جسده ويقول: (أيها اللهب قد فقدت قوة اللسع والتلظي، فليس لك تأثير على ايذائي. فاسرع لأني أسمع من ألسنة شعلة نيرانك ذلك الصوت الذي يدعوني لمحبوبي).

ويظهر ان الألم قد ذاب أمام اشتعال ذلك الحماس. وإذ اكتنفته النيران بشعلاتها، كان يمشي كفاتح يسير في ميدان نصره ويتحرك وسط الزحام على هيئة شعلة متوهجة وسط الظلام الذي أحاطه. وإذ وصل الى مكان التنفيذ، رفع صوته لجموع الناظرين أخيرا وقال: (ألم يكن سليمان هذا الذي ترونه الآن طعمة للنيران والدماء، هو الذي كان منذ أمد قريب يتمتع بكل غنى وثروة في هذه الدنيا؟ فما الذي جعله يترك كل هذا الفخر الدنيوي ويقبل هذه الآلام والبلايا بدلا عنها؟ وإذ كان في مقام إمام زاده حسن نطق ببضع كلمات باللغة العربية لم أفهمها، ثم قال للجلاد: (ان عملي قد تم، فاسرع وأتمم عملك). وكان حياً عندما شطر جسده قسمين ببلطة وبقيت على شفتيه كلمة تمجيد محبوبه رغما عن آلامه المبرحة الى آخر رمق من حياته[20]].

وقد أثّرت هذه القصة المحزنة في المستمعين ونفذت الى أعماق قلوبهم. وكان نظام العلماء ضمن المستمعين لجميع هذه التفاصيل، فأسقط في يده من الذعر واليأس وصاح قائلا (ما أعجب هذا الأمر؟ ما أعجب هذا الأمر؟) وبدون ان يزيد حرفا واحدا قام وخرج[21].

وفي تلك الأيام أثناء الهياج المتواصل، حصل استشهاد تلميذ آخر من أشهر تلاميذ حضرة الباب، وهي امرأة لم تكن أقل شجاعة ولا عظمة من السابقين واسمها الطاهرة، واندمجت في سلسلة الحوادث التي حصلت أثناء العاصفة التي ماجت بها العاصمة والتي هبت عليها بشدة وقسوة مستحكمة. والذي أحكيه الآن عن أحوال شهادتها راجع الى أخبار موثوق بها ممن شاهدوا الحادثة عيانا، فقد كان مكثها في طهران محفوفا بعلائم المحبة والاعتبار الزائد من رؤساء النسوة في العاصمة. فوصلت في تلك الأيام الى ذروة العلا والحظوة[22].

وكان المنزل الذي حبست فيه يموج بالنسوة المعجبات بها اللاتي كن يتوافدن بكثرة على أبوابها ويشتقن ان يحضرن في مجلسها وينتفعن بعلمها[23] ومن بين هؤلاء النسوة زوجة الكلانتر[24] التي امتازت بما أظهرته من الاحترام الزائد للطاهرة، ولأنها كانت مضيفتها، كانت تعرض عليها خيرة النسوة في طهران، وكانت تخدمها بكل حماس وتشاركها في عملها بتوثيق عرى ألفتها مع باقي النسوة. وقد سمع منها بعض صديقاتها ما يأتي: [ذات ليلة بينما كانت الطاهرة في منزلي طلبتني للحضور أمامها، فوجدتها مزينة للغاية ومرتدية رداءً من الحرير الأبيض. وكانت الغرفة معطّرة بأحسن الأطياب. فأظهرت دهشتي

من مثل هذا المنظر الغير العادي. فقالت: "اني استعد للقاء المحبوب وأريد ان أخلصك من المتاعب التي تلاقينها في سبيل سجني". فذهلت في ابتداء الأمر، ثم بكيت من فكرة الافتراق عنها. فقالت لي لتطمئنّي: "لا تبكِ، لأن ساعة الحزن لم تأت بعد. وأريد ان أبث إليك آخر رغباتي. لأن الساعة التي سيقبض عليّ فيها والتي سوف أتجرع فيها كأس الشهادة قد أسرعت في الاقتراب. وأطلب منك ان تسمحي لنجلك ان يرافقني الى مكان إعدامي، وليؤكد على الحراس والجلادين الذين سوف أسلم لأيديهم ان لا يجبروني على خلع هذه الثياب. ومن رغبتي ان يطرح جسدي في بئر، وان تملأ بعد ذلك بالتراب والأحجار. وبعد مرور ثلاثة أيام على وفاتي، ستأتي إليك امرأة تزورك، فعليك ان تسلمي لها هذا الملف الذي أسلمه الآن لكِ. وآخر طلباتي ان لا تسمحي لأحد بأن يدخل غرفتي، فمن الآن الى الوقت الذي يأتي لخروجي من هذا المنزل، أريد ان لا يقطع أحد صلاتي. ففي هذا اليوم اعتزمت الصوم، ولا أقطع هذا الصوم حتى أقابل محبوبي". وأمرتني مع هذه الكلمات ان أغلق الغرفة ولا أفتحها حتى تدق ساعة الفراق. وطلبت اليّ ان لا أفشي سر شهادتها حتى يعرفه أعداؤها بأنفسهم.

وأوجبت عليّ محبتها العظيمة طاعتها. ولولا رغبتي في تنفيذ رغباتها، ما كنت أسمح لنفسي ان أبتعد عنها ولو لحظة واحدة. فأغلقت باب الغرفة وعدت الى مخدعي في حالة جزع وحزن عميق، ومكثت بلا نوم مكتئبة على فراشي. وأفجع قلبي علمي بدنو ساعة شهادتها، وكنت أناجي ربي في يأسي وأقول: ربِّ إذا شئت امنع عنها الكأس الذي ترغب في تجرّعه. ففي تلك الليلة كنت من

شدة قلقي أقوم وأذهب الى عتبة غرفتها وأبقى هناك صامتة استمع لما يخرج من فمها من المناجاة ونغمات المدائح في محبوبها، ولم أتمكن من الاستمرار على هذه الكيفية إلا قليلا، لما كان يساورني من الاضطراب والأسى. وإذ مضت أربع ساعات من الليل، سمعت دق الباب. وأسرعت الى نجلي وأخبرته برغبات الطاهرة. فأقسم ان ينفذ كل ما تأمر به. وتصادف في تلك الليلة غياب زوجي. ولما فتح نجلي الباب، أخبرني ان الفراشين "المأمورين" المرسلين من عزيز خان السردار، كانوا واقفين على الباب الخارجي يطلبون تسليم الطاهرة لأيديهم. فانزعجت من الخبر وذهبت الى بابها وفتحته بيد مرتعشة ووجدتها مقنّعة ومستعدة لترك الغرفة. وعندما دخلت الغرفة كانت تتمشى وترتل مناجاة جامعة بين الحزن والنصر. وبمجرد ان رأتني، اقتربت مني وقبلتني ووضعت في يدي مفتاح صندوقها الذي تركته لي وبه بعض الأشياء الصغيرة كتذكار لبقائها في منزلي. وقالت لي (كلما فتحت الصندوق وشاهدتِ الأشياء التي فيه، فانك تذكريني وتفرحي لفرحي).

وبهذه الكلمات ودّعتني، ورافقها نجلي وغابت عن أنظاري. فكم شعرت في وقتها وساعتها بضربات الحزن والأسى وأنا أشاهد جمال هيكلها يبتعد تدريجيا من أمامي. وامتطت الجواد الذي أرسله لها السردار، وحرسها نجلي وجملة من الخدام الذين مشوا على جانبيها. وذهبت الى الحديقة التي كانت محل استشهادها.

وبعد مرور ثلاث ساعات، عاد نجلي ووجهه مغطى بالدموع وهو ينزل اللعنات على السردار وعلى ضباطه الفسقة. واردت تهدئة خاطره، وإذ جلس

بجانبي، سألته ان يحكي كيفية استشهادها. فأجاب وهو يبكي: (والدتي.. أنا لا أقدر ان أوف وصف ما شاهدته بعين رأسي حق الوصف، فاننا ذهبنا الى حديقة الايلخانة[25] تواً، وتقع خارج باب المدينة، وهناك شاهدت لذعري السردار وضباطه غارقين في أعمال الخنا المخجلة، وقد لعبت الخمرة بعقولهم وعلت أصواتهم بالقهقهة والضحك. وإذ وصلنا الى الباب، ترجلت الطاهرة ونادتني وطلبت مني ان أكون وسيطا بينها وبين السردار، لأنها تشعر بعدم الميل لمخاطبته وهو في نشوته ومرحه. وقالت: (انهم على ما يظهر يريدون خنقي، وقد أعددت منذ زمن منديلا حريريا ليستعمل في هذا الغرض. وأنا أعطيه لك وأريد ان تقنع هذا السكير ان يستعمله في أخذ روحي).

ولما ذهبت الى السردار وجدته في حالة سكر عميق. وإذ اقتربت إليه، صاح قائلا (لا تكدر علينا صفو مرحنا، فلتؤخذ هذه الشقية التعسة وتخنق وتطرح في البئر). وقد دهشت من صدور مثل هذا الأمر، واعتقدت ان لا حاجة لاعادة السؤال، وذهبت الى اثنين من الخدام الذين سبقت لي معرفتهما وأعطيتهما المنديل الذي سلمته لي الطاهرة. فعملا على إجابة طلبها ولفّا المنديل حول رقبتها حتى أسلمت الروح. وأسرعت الى البستاني لأسأله عن محل يصلح لمواراة جسدها فيه. فأرشدني لفرط استغرابي لبئر حفرت حديثا وتركت بدون إكمال. وبمساعدة آخرين أنزلنا الجسد في قبره وملأنا البئر بالتراب والأحجار كما أرادت هي بنفسها. ثم تفرق القوم وهم في حزن وسكون تاركين تحت الأنقاض تلك الفريسة التي أنارت مملكتهم بضياء لن يزول أبداً).

وقد بكيت بدموع حرّا على تلك الفاجعة التي رواها لي نجلي. وغلب عليّ التأثر حتى وقعت على الأرض مغشياً عليّ، ولما أفقت من غشيتي وجدت ان نجلي قد وقع مثلي من شدة الألم وأصابه مثل ما أصابني، وكان مطروحا في فراشه تنهمر منه دموع الحزن والأسى. وإذ شاهد حالي وما أصابني واساني بقوله: (إن دموعك ستكشفك أمام عينيّ والدي وقد يحمله مركزه ومقامه ان يتركنا ويقطع كل علاقة بينه وبين أسرته. وإذا لم نحبس دموعنا فانه يتهمنا أمام ناصر الدين شاه ويجعلنا فريسة لعدو لدود. ويحصل من ناصر الدين شاه على أمر بإعدامنا وربما نفذ حكمه بأن يذبحنا بيده. فلماذا نرضى بمثل هذا النصيب من يده ما دمنا لم نعتنق هذا الأمر. وكل ما علينا هو ان ندافع عن الطاهرة ونكذب أقوال كل من يتهمها في عرضها وشرفها. ولنجعل حبها مكنونا في أفئدتنا للأبد، ونؤكد للجميع نبالة وشرف حياتها أمام كل عدوّ حانق شانئ).

وكانت كلماته قد خففت هيجان قلبي، وذهبت وأحضرت الحقيبة التي تركتها لي وفتحتها، ووجدت فيها قنينة من ألطف الطيب وبجانبها مسبحة وقلادة من المرجان وثلاثة خواتم عليها فصوص ياقوت وعقيق وفيروز. وبينما أنا أنظر الى ممتلكاتها الأرضية، تأملت في أحوال حياتها وحوادثها، وتذكرت شجاعتها وصدقها وحماسها وعلوّ نفسها في أداء الواجب وإخلاصها اللامتناهي. وأخذتني رجفة من التعجب، وجال في خاطري ذكرى قصائدها وذكرى سجنها وبلائها والسخرية التي قابلتها بكل ثبات لا يظهر من أي امرأة في تلك الديار. وتفكرت ملياً في ملاحة ذلك الوجه الذي بقي للأسف مدفونا

تحت ردم من التراب والأحجار. وكم كانت ذكرى فصاحتها المؤثرة تثير شعور قلبي كلما رددت تلك الدرر التي كانت كثيرا ما تخرج من فمها. وكانت سعة علمها وتبحرها في العلوم الشرعية والكتب المقدسة الإسلامية، تمر على خاطري بسرعة البرق، فيساورني القلق حتى يكاد يأخذ بلبي. وتذكرت وأنا واقفة بجانب حقيبتها ما صدر منها من الولوع المفرط والخشوع والخضوع للدين الذي اعتنقته وحماسها أثناء دفاعها عنه، والخدمات التي أسدتها إليه والمتاعب والصعوبات التي تحملتها في سبيله، والمثل الأعلى الذي ضربته لأتباعه، والقوة التي أظهرتها في رقي أمره، والاسم الذي نقشته لنفسها في قلوب أبناء وطنها. وصرت أتعجب عن الباعث الذي جعل مثل هذه المرأة العظيمة تترك الثروة والكرامة التي تحوطها وتتبع أمر غلام غير معروف في شيراز. وجعلت أفكر في نفسي في الداعي الذي دفعها والسر في تلك القوة التي ألجأتها الى الانفصال والابتعاد عن منزلها وعن ذوي قرابتها، وشددت قواها في كل أدوار حياتها المفعمة بأرياح التقلبات والاضطهادات التي جرّتها أخيرها الى قبرها. وتساءلت في نفسي، هل كانت مثل هذه القوة صادرة من الله؟ وهل كانت يد الله هي التي ترشدها وتوجهها وتمخر بها في عباب مخاطر حياتها؟ وفي اليوم الثالث من شهادتها[26]، جاءت المرأة التي أخبرتني مقدما بمجيئها، وسألتها عن اسمها. ولما علمت انه مطابق للذي أخبرتني به الطاهرة، سلّمتها الملف الذي أمّنتني عليه، ولم أكن قد رأيت هذه المرأة من قبل، ولم أرها بعد ذلك[27]].

وكان اسم تلك السيدة الخالدة، "فاطمة" وهو الاسم الذي سمّاها به والدها. وكانت كنيتها "أم سَلَمَه"، كما سمّاها بذلك أهلها ومعارفها، وكذلك دعوها بـ

"الزكية". وكانت ولادتها سنة 1233 هجرية[28] وهي نفس السنة التي ولد فيها حضرة بهاءالله. وبلغت وقت شهادتها سن السادسة والثلاثين من عمرها. ولعل الأجيال القادمة تجمع سيرة مستوفية من تواريخ حياتها بما خفي عن معاصريها. ولعل المؤرخين فيما بعد يقدّرون قوة تأثيرها ويدونون بتوسع تام تلك الخدمات الجليلة التي أدتها للوطن ولأبنائه. ولعل المؤمنين بالدين الذي خدمته يبذلون الجهد في اتباع مثلها الأعلى ويعددون أعمالها ويجمعون كتاباتها ويبسطون أسرار أفكارها ويجددون ذكراها على ممر الأيام ومحبتها في قلوب أهالي وشعوب الأرض[29].

ومن الشخصيات البارزة من بين تلاميذ حضرة الباب الذي لقي منيّته في أيام الاضطراب الذي حصل إذ ذاك في طهران، السيد حسين يزدي، الذي كان كاتبا لوحي حضرة الباب في قلعة ماكو وجهريق. وكانت اطلاعاته في التعاليم الأمرية بدرجة ان حضرة الباب أشار في لوح الى ميرزا يحيى، بان يرجع الى السيد حسين المذكور للاسترشاد في كل ما يتعلق بالكتابات المقدسة. وكان ذلك الرجل معتمد حضرة الباب في كل أعماله وموضع ثقته التي لا نهاية لها، وذا خبرة واسعة وعلاقة وثيقة مع حضرة الباب. وبعد استشهاد مولاه في تبريز تحمل الآم السجن الطويل في سرداب تحت الأرض في طهران وانتهى حبسه باستشهاده. وكان حضرة بهاءالله قد ساعده كثيرا في تخفيف وطأة الآلام والمتاعب التي كان يرزح تحتها. وكان يرسل له في كل شهر ما يحتاجه من المصاريف. وكان كل من يراه يعجب به ويمدحه، حتى السجانون الموكلون به. وطوال معاشرته مع حضرة الباب في أروع أيامه، جعل تفكيره عميقا، ووهب

روحه قوة ازدادت ظهورا واتساعاً على ممر الأيام، إذ كانت حياته الأرضية تقترب على الانتهاء. وكان وهو في السجن مشتاقا لأن تكون منيّته على مثال منية سيده، وإذ لم يمنح شرف الاستشهاد في نفس اليوم الذي استشهد فيه حضرة الباب كما كان يتمنى، اصبح ينتظر بفروغ صبر مجيء الساعة التي فيها يرتشف تلك الكأس حتى ثمالتها. وكثيرا ما حاول عظماء الموظفين في طهران ان يقنعوه بقبول طلبهم الخاص بإنقاذه من مشاق السجن إذا رجع عن دينه، ومما هو مزمع ان يصيبه من إعدام قاس. ولكنه رفض بإباء ما عرض عليه. وكانت الدموع تنهمر من عينيه بدون انقطاع، تلك الدموع التي كان يذرفها لاشتياقه لرؤية ذلك الوجه الذي اشتد إشراقه في ظلمات الحبس القاسي في اذربايجان، والذي كانت أشعته بمثابة الدفء للذع برد لياليه القارس. وأثناء تفكره وهو في ظلمات حجرة سجنه وتذكره تلك الأيام المباركة التي صرفها في حضور مولاه، رأى بجانبه ذلكم الذي بسناء طلعته البهية، أذهب وأزال الغم الذي تملك مشاعره، ولم يكن يواسيه سوى حضرة بهاءالله نفسه. فكان للسيد حسين شرف البقاء بصحبته لحين استشهاده. وكانت يد عزيز خان السردار التي امتدت للقضاء على الطاهرة، هي نفس اليد التي أودت بحياة كاتب الوحي وقرين حضرة الباب في سجنه في اذربايجان. ولا داع لذكر تفاصيل الكيفية التي أعدمه بها ذلك السردار الطاغية. ويكفي ان نقول انه شرب الكأس التي كان يتمناها ويشتد حنينه لارتشافها بنفس القسوة المخجلة التي عومل بها سلفه من الشهداء.

وأحكي الآن عما أصاب باقي أصحاب حضرة الباب الذين كان لهم حظ مشاركتهم السجن مع حضرة بهاءالله. فكثيرا ما سمعت حضرة بهاءالله يتفضل: (ان جميع الذين قضوا نحبهم أثناء تلك العاصفة التي هبت في طهران في ذلك اليوم التاريخي، كانوا مسجونين معي في "سياه چال"، وزج الجميع في حجرة واحدة، وكانت أرجلنا مقيدة بالسلاسل، ووضعت حول رقابنا أثقل الأغلال، وكان الهواء الذي نستنشقه ملوثا بأبشع رائحة، بينما الأرض التي جلسنا عليها مكسوة بالأوساخ وموبوءة بالحشرات، ولم يسمح لشعاع من النور ان يخترق ذلك البئر الموبوء أو بتدفئة برده القارس الثلجي، وكنا مزجوجين صفين وأوجهنا متقابلة، وقد علمناهم قراءة بعض آيات كانوا كل ليلة يرتلونها بحماس زائد، وكان أحد الصفّين يرتل: (قل ان الله هو الكافي وهو الذي يكفي من كل شيء). ويجيب الصف الثاني: (وعلى الله فليتوكل المتوكلون). وكان ترتيل هؤلاء المسجونين وارتفاع أصواتهم المفرحة تخترق الجوّ في ساعات الفجر ويمتلئ السرداب من ترديد الصوت الذي كان يخترق حوائطه فيصل الى آذان ناصر الدين شاه، ولما كان قصره قريبا من محل سجننا، كان دائما يصيح قائلا: (ما هذه الأصوات التي أسمعها؟) فيجيبونه: (هذه أصوات البابيين ومناجاتهم في سجنهم؟) ولم يزد الشاه على ذلك ولم يجتهد ان يمنع الحماس الذي استمر المسجونون على إظهاره رغم فظائع سجنهم.

وذات يوم وصل الى سجننا مائدة عليها لحم مشوي، وأخبرونا ان الشاه أرسلها وأمر بتفريقها بين المسجونين. وانه وفاء لنذر نذره أختار ذلك اليوم وذبح شاة. فساد على الأصحاب صمت رهيب، وكانوا منتظرين ردّ الجواب منّا،

فأخبرناهم (اننا نرد هذه الهبة لكم لأننا نستغني عنها). وكان هذا الجواب كافيا لإهاجة غضب الحراس، لولا انهم كانوا مشتاقين لالتهام اللحم الذي امتنعنا عن الاقتراب منه. ورغما عن اشتداد الجوع على الأصحاب، لم يقبل أحد منهم أن يمسه سوى ميرزا حسين متولي قمّي، الذي تناول منه البعض. واختار هؤلاء المسجونون بكل شجاعة وثبات ان يتحملوا ما تعاهدوا عليه بدون صدور أي تذمر. وبدلا من شكواهم من معاملة ناصر الدين، كانت والحمد لله، ألسنتهم تلهج بالشكر الذي كانوا به يواسون اشتداد وطأة سجنهم. وفي كل يوم كان يدخل السجانون وينادون أحد الأصحاب باسمه ويأمرونه بالوقوف والسير خلفهم الى مكان الإعدام. فكان صاحب ذلك الاسم يجيب ذلك النداء الخطير بكل اشتياق. وإذا تخلص من قيوده، يقوم ويقترب منا بكل فرح ويعانقنا، وكنا نجتهد ان نسليه بتأكيد الحياة الأبدية فيما وراء العالم، ونملأ قلبه فرحاً وأملاً ونرسله ليحوز تاج فخر الشهادة. فكان يعانق باقي المسجونين بدورهم ثم يتقدم لمواجهة الموت بلا خوف ولا وجل، كما كان في حال حياته. وبعد استشهاد كل واحد من الأصحاب، كان يخبرنا الجلاد بأحوال وفاة مسجونه وبالفرح الذي كان يتقبل به آلامه الى النهاية.

وفي ذات ليلة، أيقظنا قبل طلوع الفجر ميرزا عبد الوهاب الشيرازي الذي كان مقيدا معنا في سلسلة واحدة، وكان قد ترك الكاظمين وتبعنا الى طهران، وهناك قبض عليه وأودع السجن. فسألني إذا كنت يقظاً، وقصّ علينا رؤياه، قال (كنت في هذه الليلة كأني أطير في فضاء لا نهاية لجماله وسعته. ورأيت كأني ارتفع على أجنحة تطير بي حيث أشاء. فامتلأت روحي بسرور يخلب

الألباب. وكنت أطير وسط هذا الفضاء اللامتناهي بكل سرعة وراحة لا أقدر ان أصفها). فأجبناه: (ستكون في هذا اليوم دورتك وتستشهد في سبيل الأمر. فعليك بالثبات والاستقامة للنهاية فستجد نفسك مرتفعا في ذلك الفضاء اللامتناهي الذي رأيته في رؤياك، وتخترق عوالم السلطنة الأبدية بنفس الراحة والسرور والسرعة، وترى الأفق الأبدي بنفس الفرح).

وفي صبيحة ذلك اليوم، دخل السجّان ونادي باسم عبد الوهاب. فقام ورمى قيوده وعانق كل واحد من الأصحاب وأخذنا في أحضانه وضمنا بكل محبة لقلبه. وفي ذلك الوقت شعرنا انه لم يكن في قدمه حذاء، فأعطيناه حذاءنا وتكلمنا معه بكلمة التشجيع والفرح، وودعناه وأرسلناه الى مكان الاستشهاد. وجاءنا فيما بعد الجلاد وهو يمتدح بعبارة فصيحة تلك الروح التي أظهرها ذلك الشاب. فكم كان شكرنا لله على هذه الشهادة التي شهد بها الجلاد نفسه).

وكانت كل هذه الآلام والانتقام القاسي الذي أوقعته الحكومة على الذين اعتدوا على حياة الشاه، لم ترض والدته ولم تسكن غضبها. فكانت تصرّ ليل نهار في صخبها وحقدها على إعدام حضرة بهاءالله، الذي اعتبرته انه هو المدبر الحقيقي لهذه الجريمة. وكانت تصيح في وجه أرباب السلطة وتقول (سلّموه الى الجلاد، فما أتعسني، فاني وأنا والدة الشاه لا أستطيع أن أعاقب ذلك المجرم العقاب الذي يستحقه على عمل فظيع مثل هذا). وكان صياحها للانتقام مصحوبا بحنق زائد، إلا انه أصيب بالفشل. ورغما عن تدابيرها السيئة، حفظ حضرة بهاءالله من النصيب الذي بذلت جهدها في التعجيل به، ولكنه تخلص أخيرا من سجنه وتمكن من تأسيس سلطته خارجا عن حدود مملكة

نجلها على شأن لم تكن تحلم به. فكان الدم الذي أريق أثناء تلك السنة المفعمة بالحوادث في طهران من هؤلاء الأبطال الذين كانوا مسجونين مع حضرة بهاءالله، بمثابة الفداء لخلاصه من يد عدو أراد ان يمنعه عن تنفيذ ما أراد الله قضاءه على يده. فمنذ الوقت الذي اعترف فيه بأمر حضرة الباب، لم تفته فرصة ولا برهة لم ينصر فيها الأمر الذي أتبعه. فعرّض نفسه لجميع المخاطر في ابتداء أيامه، وكان من بين وزراء حضرة الباب، وأول من أظهر المثل الأعلى لهم بانقطاعه وخدمته للأمر. ومع ذلك فقد نجت حياته المعرضة للأخطار والمتاعب التي كان لابد له من ملاقاتها في مثل هذه الحركات بيد القدرة الإلهية التي انتخبته لعمل مستقبل لم يحن وقت إعلانه. وكانت إحدى المخاطر التي واجهت حضرة بهاءالله في حياته قد استوجبت ذعرا في طهران. فكان الرجال والنسوة والأطفال ترتعد عند ذكر الوحشية والقسوة التي كان العدو يعامل بها سجناءه. وكان للحاج سليمان خان، خادم شاب يدعى "عباس"، مطّلع تماما على أسماء وعدد ومساكن أصحاب حضرة الباب، نظراً لاتساع دائرة الأحباء الذين تلقوا الأمر عن سيده. فاستعملته الحكومة كآلة للإرشاد عنهم وتنفيذ مآربها فيهم. وكان هذا الشاب قد اعتنق الأمر واعتبر نفسه أحد أنصاره المتحمسين. وأثناء الاضطراب، قبض عليه واضطر الى إفشاء أسماء جميع الأحباء. واستمالته الحكومة بوعد المكافأة ان يكشف عن أسماء أصحاب سيده، وخوّفه أرباب السلطة وأفهموه انه لو امتنع من ذلك، فانهم يعذبونه أشد التعذيب. فتعهد لهم بإجابة رغبتهم وبإخبار مساعدي الحاجي علي خان حاجب الدولة الفراش باشي بالأسماء والمساكن. فكانوا يطوفون به في شوارع طهران

ويأمرونه بالإشارة الى كل من يعرف انه من اتباع حضرة الباب. وبهذه الوسيلة قبضوا على أشخاص عديدين ممن لم يكن يعرفهم ولا قابلهم، وسلموهم لأتباع حاجي علي خان، وهؤلاء الأشخاص لم يكن لهم أي علاقة بحضرة الباب ولا بأمره، وتمكن هؤلاء من استرداد حريتهم بعد دفع رشوة كبيرة للذين قبضوا عليهم. وكانت أطماع أتباع حاجب الدولة بدرجة انهم كانوا يأمرون عباس بأن يشير الى كل شخص يظنونه قادرا على دفع مبلغ من المال بصفة فدية لاطلاق سبيله. وكانوا يجبرونه على الإشارة إليه ويهددونه انه في حالة الامتناع فان حياته تكون في خطر عظيم. وكانوا في كثير من الأحوال يعدونه بأن يدفعوا له جزءً من المبلغ الذي يستولون عليه من غرمائهم.

وقد أخذوا عباس هذا الى سياه چال، وعرضوه على حضرة بهاءالله، الذي قابله جملة مرات في صحبة سيده، بأمل ان يرشد عنه. ووعدوه بأن والدة الشاه سوف تكافؤه مكافأة عظيمة على هذا العمل. فكان في كل مرة يؤخذ لحضور حضرة بهاءالله، يمكث هنيهة ينظر في وجهه، ثم يترك المكان وينكر سبق معرفته به أو رؤيته له. ولما خاب مسعاهم من هذا الطريق، لجأوا الى وضع السم في الطعام بأمل الحصول على رضا والدة الشاه. فكانوا يأخذون الطعام المرسل من أسرته إليه، ويدسون فيه سماً لإعدامه، ولم يأت هذا التدبير بالفائدة المطلوبة، ولو انه أنهك جسم حضرة بهاءالله وصحته.

وأخيرا سكتوا عن اتهامه بأنه هو المدبر الأول للجريمة، واجتهدوا في ان يحوّلوا هذه التهمة الى (عظيم) الذي اتهموه بأنه هو المدبر الحقيقي لها. وبهذه الوسيلة أرادوا ان يحصلوا على رضا والدة الشاه، وهو ما كانوا يتمنونه

ويطمحون لبلوغه. وكان الحاجي علي خان، مسرورا من تأييدهم في ذلك. وإذ لم يكن له يد في سجن حضرة بهاءالله، انتهز هذه الفرصة التي سنحت له لاتهام عظيم، ونجح في القبض عليه بتهمة انه الرئيس المحرض.

وكان السفير الروسي يلاحظ عن كثب تطورات الحادثة بواسطة أحد أتباعه وخاصة في التنقيب عن حالة حضرة بهاءالله، وأرسل بواسطة ترجمانه رسالة شديدة اللهجة الى الوزير الأكبر (رئيس الوزراء)، احتج فيها على عمله واقترح ان يذهب رسول بصحبة أحد الاتباع الموثوق بهم من الحكومة ومن حاجب الدولة الى سياه چال، وهناك يسألون رئيس العصابة المعروف ان يعلن علنا رأيه في موقف حضرة بهاءالله. وكتب (وكلما يذكره ذلك الرئيس، سواء في المدح أو القدح، يجب ان يدوّن حالا. ويكون حسبما أرى أساسا يبنى عليه الحكم النهائي الذي يجب ان يصدر عليه في مثل هذه الحالة).

فوعد الوزير الأكبر المترجم انه سوف يتبع نصيحة السفير، وعيّن فعلا الوقت الذي يصحب فيه ذلك الرسول "مندوب الحكومة" وحاجب الدولة الى سياه چال. ولما سئل عظيم، إذا كان يظن ان حضرة بهاءالله هو الرئيس المدبر للعصابة التي اعتدت على الشاه، أجاب بقوله: (ان رئيس هذه الفئة لم يكن سوى السيد الباب، الذي قتل في تبريز والذي كان استشهاده قد حرّضني على القيام لأخذ ثأره. وإني أنا وحدي الذي فكّرت في هذا الموضوع واجتهدت في تنفيذه. أما الشاب الذي أوقع الشاه من الجواد، فلم يكن سوى صادق التبريزي، وهو عامل في محل حلواني في طهران، وكان في خدمتي مدة سنتين. وكان

قلبه يحترق أكثر مني في الرغبة في الانتقام لاستشهاد رئيسه، ولكنه تسرّع وخاب في تحقيق أمنيته).

فتدونت هذه الإقرارات من كلا المترجم ومندوب الوزير الأكبر، الذي أعلم الميرزا أقا خان بها. وبسبب ذلك التقرير المرفوع إليه، تخلّص حضرة بهاءالله من سجنه.

وسُلّم عظيم ليد العلماء الذين ولو انهم كانوا راغبين في سرعة إعدامه، ولكنهم منعوا بسبب تردد ميرزا أبو القاسم إمام الجمعة في طهران. أما حاجب الدولة فبسبب قرب شهر المحرم، أمر العلماء ان يجتمعوا في الطابق العلوي من المعسكر. وهناك نجح في إحضار إمام الجمعة الذي كان لا يزال مترددا في الإفتاء بإعدام عظيم. وأمر بإحضار المتهم الى ذلك المكان لينتظر الحكم الذي يصدر عليه. وكان يساق في أسواق المدينة بحالة مزرية، وتنهال عليه اللعنات والسخرية من الناس. وبواسطة تدبير الحيلة، تمكن الأعداء من الحصول على حكم بإعدامه، وهجم عليه سيد بهراوة كانت في يده وضربه على أم رأسه. وتبعه جمهور الناس الذين رجموه بالطوب والأحجار وطعنوه بالخناجر حتى قطّعوا جسمه إرباً إرباً.

وكان الحاجي ميرزا جاني ضمن الشهداء الذين استشهدوا أثناء هذه الاضطرابات التي تلت الاعتداء على حياة الشاه، ولأن الوزير لم يكن راغبا في التمثيل به أعدموه سراً.

واشتعلت نيران الهياج في العاصمة وامتدت أيضا الى البلاد المجاورة وسببت الخراب والدمار للعديدين من الأبرياء من بين الرعية. وعمّت الفتن

جميع أنحاء مازندران موطن حضرة بهاءالله، وتمكنوا بهذه الوسيلة من الاستيلاء على جميع ممتلكات حضرة بهاءالله. وكان من جراء ذلك الاضطراب استشهاد اثنين من اتباع حضرة الباب، وهما محمد تقي خان وعبد الوهاب من سكان نور.

ولما رأى أعداء الأمر ان خلاص حضرة بهاءالله من السجن أصبح أمراً مؤكداً، عملوا على تحريض مليكهم ان يحدث له مشكلة بقصد إعدامه، وساعد على ذلك حمق الميرزا يحيى، الذي أراد ان يجعل لنفسه مقاما هو ومن معه من مساعديه، فانساق بآمال كاذبة على تحقيق أغراضه، ووجد العدوّ بذلك ذريعة أخرى لاتخاذ تدابير قاسية لتدمير كل سلطة باقية للمسجون في مازندران. وكانت التقارير المخيفة التي تصل ليد الشاه قد حركت في قلبه ظمأ الانتقام، بينما كان على وشك الشفاء من جروحه. فطلب الوزير الأكبر وأنّبه كثيرا على عدم استتباب النظام والأمن بين أهالي إقليمه الذين تربطه وإياهم رابطة القرابة. ولاستياء الوزير من توبيخ مليكه أظهر استعداده لإجراء كل ما يأمره به. فأمره ان يرسل حالا الى ذلك الإقليم بعض فرق من الجيش مزودين بالأوامر، وان يقمعوا بيد من حديد كل من يقلق الراحة العمومية. وقد وجد الوزير الأكبر نفسه مضطراً لإجراء الأمر، ولو انه يعلم بان التقارير التي وصلته مبالغ فيها. وأرسل فرقة شاه سون، ويرأسها علي خان شاه سون الى قرية تاكور في إقليم النور موطن حضرة بهاءالله ومحل سكنه، وسلم القيادة العليا الى أيدي ابن عمه ميرزا أبو طالب خان، نسيب ميرزا حسن، الذي كان أخ غير شقيق لحضرة بهاءالله. وحذره ميرزا أقا خان ان يستعمل كل حذق

واحتراس أثناء نزوله بتلك القرية. وحذّره قائلا: (ان كل عمل خارج عن الحد يقوم به رجالك يؤثر على كرامة ميرزا حسن ويكون سبب الآلام لأختك). وأمره ان يفحص أمر هذه التقارير ويحققها، وان لا يعسكر أكثر من ثلاثة أيام في تلك القرية.

ثم طلب الوزير الأكبر حسين علي خان ونصحه بان يسير تبعاً للحكمة والحيطة، وقال له: (ان ميرزا أبو طالب صغير السن وغير متدرب، وقد اخترته لقرابته مع ميرزا حسن. واعتقد انه لأجل أخته، يمتنع عن إجراء ما لا يلزم من الأضرار لسكان تاكور. وبما انك أكبر منه سناً وحنكة فعليك ان تكون نبراساً ليقتدي بك وان تعلمه بضرورة الالتفات وخدمة مصالح الحكومة والأهالي معا. ولا تسمح له بان يتخذ أي إجراء بدون ان يتشاور معك مقدما). وأكد لحسين علي خان انه أصدر التعليمات الكتابية الى رؤساء تلك الجهات لمعاونتهما في أداء مهمتهما كلما اقتضى الحال.

وإذ امتلأ ميرزا أبو طالب خان كبرا وغرورا، نسى نصائح الاعتدال التي أسداها إليه الوزير الأكبر وامتنع ان يرضخ لأوامر حسين علي خان المتكررة بوجوب الامتناع عن أي اصطدام غير ضروري مع الأهالي. وما كاد يصل الى الممر الذي يفصل منطقة النور عن الإقليم المجاور الذي لم يبعد كثيرا عن تاكور، حتى أمر رجاله ان يستعدوا لهجوم عام على هذه المدينة. فأسرع إليه حسين علي خان وهو في حالة يأس وقنوط ورجاه ان يمتنع من مثل هذا العمل، فأجابه بصلف (ان هذا من شأني، وأنا رئيسك ولي ان أعمل كل تدبير أخدم به مليكي).

فحصل هجوم فجائي على السكان العزّل من السلاح من أهالي تاكور، وإذ دهشوا من مفاجأتهم بمثل هذا الهجوم القاسي، التجأوا الى ميرزا حسن الذي طلب مقابلة ميرزا أبو طالب، ولكنه لم يجب الى طلبه. وكانت إجابة هذا الرئيس: (اخبروه اني مكلف من مليكي ان أذبح جميع سكان هذه القرية، وأن أقبض على نسائها وأصادر أملاكها. ولكن إرضاء لخاطرك لا نمس أي امرأة التجأت الى منزلك).

ولشدة دهشة ميرزا حسن من هذا الرفض، وبّخه على عمله بشدة ورجع الى منزله ساخطا على عمل الشاه. وهرب سكان المدينة الى الجبال المجاورة وتركوا مساكنهم، أما نساؤهم اللائي تركن ونصيبهن، فالتجأن الى منزل الميرزا حسن، وتضرعن إليه ان يحميهن من عدوهن.

وكان أول عمل قام به ميرزا أبو طالب، هدم منزل حضرة بهاءالله الذي ورثه عن والده الوزير، والذي كان هو المالك الوحيد له. وكان هذا المنزل مفروشا بأفخم رياش ومزينا بأواني لا نظير لها. وأمر رجاله ان يفتحوا كل خزائنه، واستولى على جميع محتوياتها. وأما الأشياء التي لم يقدر على سلبها، فانه أمر بإتلافها، فكسر البعض وأحرق البعض الآخر، وحتى الغرف التي كانت مزينة بزينة أفخر من جميع قصور طهران، شوّهت بطريقة لا يستطاع إصلاحها وأحرقت أسقفها وخربت زينتها تماماً.

ثم تحول بعد ذلك الى منازل الأهالي وهدمها وسوّى بها الأرض، بعد أن نهبوا هو ورجاله ما فيها من أشياء ثمينة، ثم أشعل النار في جميع القرية بعد نهبها وبعد ان هجرها سكانها. وإذ لم يجد أمامه رجالا أقوياء، أخذ يبحث عنهم

في الجبال المجاورة، وكان كل من يوجد يضرب بالرصاص أو يؤخذ أسيرا، ولم يتمكنوا من أسر أحد سوى البعض من رعاة الأغنام والشيوخ الذين لم يتمكنوا من الهرب من وجه العدو. وكان رجلان راقدين على بعد على سفح الجبل بجوار غدير ماء، وكان سلاحهما الذي يضيء في أشعة الشمس قد كشفهما، وإذ وجدوهما نائمين، أطلقوا عليهما الرصاص من الشاطئ الآخر من الغدير الذي كان يفصلهما عنهم. وعرفوهما فيما بعد بأنهما عبد الوهاب ومحمد تقي خان، فقضى الأول نحبه وأما الثاني فأثخن بالجراح، فحملوهما أمام ميرزا أبو طالب الذي عمل جهده في تضميد جراحه وابقائه حياً حتى يعود الى طهران كعلامة على انتصاره. لأن محمد تقي كان مشهورا بالفروسية في جميع الجهات. ولكنه خاب أمله، لأن محمد تقي خان توفي بعد يومين من جروحه. وأما الرجال القليلون الذين تمكن من أسرهم، فوضعهم في القيود والأغلال وطرحهم في نفس السرداب الذي كان حضرة بهاءالله محبوسا فيه. وكان من بينهم الملا علي بابا الذي هلك في ذلك السرداب مع كثير من المسجونين معه بسبب المشاق التي تحملوها.

وفي السنة التالية أصيب الميرزا أبو طالب بالطاعون، وأخذ الى شمران بحالة مزرية وبقي طريحا على فراش المرض وتجنبه كل أقاربه، ولم يعتن به أحد سوى الميرزا حسن، وهو من كان قد تكبر عليه وسبقت له إهانته، فعالج قروحه ورافقه أيام وحدته وذلته. ولما حضرته المنية، زاره الوزير الأكبر ولم يجد بجانبه أحدا سوى ذلك الذي عامله بأقسى معاملة. وفي ذلك الوقت قضى ذلك الطاغية التعيس نحبه وهو مغموم من عجزه عن بلوغ آماله التي كان يعمل

لنيلها. وكانت تلك الفتنة التي عمّت طهران والتي قاسى بسببها أهالي نور والبلاد المجاورة، قد انتشرت وامتدت حتى وصلت الى يزد ونيريز، حيث قبض على الكثيرين من أتباع حضرة الباب واستشهدوا بطريقة وحشية. وقد أحست جميع البلاد في إيران بزلزلة هذه الفتنة التي جرف تيارها القوي جميع القرى حتى في الأقاليم المتباعدة، وجلبت على البقية الباقية من الفئة المظلومة آلاما مبرحة. وكان الحكام فضلا عن سائر العامة مسوقين بالأطماع وحب الانتقام، فانتهزوا الفرصة ليحصلوا على الغنى والثروة وليرضوا مليكهم، فكانوا يستعملون أي واسطة مهما كانت دنيئة وغير شرعية في سبيل الحصول على المنافع التي كانوا يطمحون في استنزافها من جماعة الأبرياء الذين كانوا يحسدونهم. فكانوا يلقون القبض على كل من يتهمونه بأنه بابي ويحبسونه ويعذبونه متناسين كل عدل وإنصاف، ويسرعون بإخبار ناصر الدين شاه في طهران بالنصر الذي أحرزوه على خصمهم اللدود.

أما في نيريز، فقد بلغ الهياج ضد البابيين أشدّه، سواء من الحكام أم من الأهالي الآخرين. وكان يقطن في نيريز شاب يدعى ميرزا علي، وكانت شجاعته الاستثنائية قد أعطته لقب "علي سردار"، وبعد مرور شهرين من الاعتداء على الشاه، اشتهر وامتاز بما يسديه من المواساة والاعتناء التام لعوائل البقية الباقية من حادثة نيريز التي انتهت بشهادة وحيد وأصحابه. وكان كثيرا ما يرى في غسق الليل يخرج من منزله ويحمل ما يستطيع حمله للأرامل والأيتام الذين كانوا يقاسون الشدائد من جراء تلك المأساة، وكان يوزع عليهم الطعام والملابس بكرم زائد، ويواسي آلامهم ويساعدهم في أحزانهم.

وكان منظر الآلام التي يعانيها هؤلاء الأبرياء قد حركت عواطف بعض أصحاب ميرزا علي، وأخذوا على أنفسهم مهمة الانتقام من زين العابدين خان، الذي كان لم يزل قاطنا في نيريز والذين اعتقدوا انه السبب في شقائهم. ولظنهم بأنه لا يزال في قلبه رغبة في إذلالهم أكثر من ذي قبل، عزموا على قطع دابره. فهجموا عليه في الحمّام ونجحوا في مقصدهم وتسبب عن ذلك حصول انقلاب جديد، أعاد فيها ذكرى فظائع المذابح في زنجان. وحرضت أرملة زين العابدين خان، الحاكم الجديد ميرزا نعيم الذي استلم زمام السلطة، وكان قاطنا في شيراز، على ان ينتقم لدم زوجها ووعدته بأنها في مقابل ذلك تعطيه كل جواهرها وان تهبه ما شاء من أملاكها. وبطريق الخيانة، أمكن القبض على جم غفير من أتباع حضرة الباب، وضرب الكثيرون منهم بطريقة وحشية، وزج الجميع في السجون لحين وصول تعليمات من طهران. وكان الوزير الأكبر قد عرض قائمة الأسماء التي وردت له مع التقرير المرفق بها للشاه الذي أظهر رضاءه التام من النجاح الذي لقيه نائبه في شيراز، ومن الخدمة الجليلة التي كافأه عليها للغاية. وأمر بإرسال جميع المقبوض عليهم الى العاصمة.

ولن أحاول أن أدون التفاصيل المتعددة التي أدت الى المذبحة التي تمت بها هذه المأساة، بل أحيل القارئ الى الرسالة المفصلة التي نمّقها يراع ميرزا شافع النيريزي، التي يشير فيها بالتفصيل والدقة والقوة الى كل دقائق هذه الحادثة المؤثرة. ويكفي ان نقول ان الذين استشهدوا فيها لا يقلون عن مائة وثمانية من أشجع تلاميذ حضرة الباب، ومثلهم من الجرحى، ولم يصل منهم الى العاصمة حياً سوى ثمانية وعشرون نفرا، وهم الذين أمكنهم ان يتحملوا

مشاق السفر. ومن بين هؤلاء الثمانية والعشرون، أخذ خمسة عشر تواً الى مكان الإعدام بمجرد وصولهم. وطرح الباقون في السجن، ومكثوا فيه مدة سنتين يعانون من الآلام أشقها ومن العذاب أقساه، ورغما عن الإفراج عنهم أخيرا، قضى أغلبهم نحبه أثناء الرجوع الى موطنه، نظرا لانتهاك قواهم من آلام السجن الطويل والأسر القاسي.

وذبح الكثيرون من أقرانهم في شيراز بأمر طهماسب ميرزا، ووضعت رؤوس مائتين من هؤلاء على الأسنة، وحملها الأعداء على هيئة موكب الانتصار الى قرية آباده في فارس، وكانوا يرومون حملها الى طهران، ولكن أحد رسل الملك أمرهم بترك هذا الأمر، ومن ثم عزموا على دفن الرؤوس في تلك القرية.

أما النسوة اللائي بلغ عددهن ستمائة، فأفرج عن نصفهن في نيريز وأخذ النصف الآخر على ظهور الخيول كل اثنتين على جواد بغير سرج الى شيراز، وبعد ان أوسعوهن أشد أنواع العذاب، تركوهن وشأنهن. وهلك أغلبهن في الطريق الى تلك المدينة وغيرهن أسلمن الروح من اشتداد العذاب الذي كنّ يتحملنه قبل الإفراج عنهن. وان القلم ليجمد ويضج ذعراً في محاولة وصف ما أصاب هؤلاء الأبطال وتلك النسوة في سبيل تمسكهم بالإيمان، وان تلك الوحشية الفاجرة التي اقترنت بالمظالم التي ارتكبت فيهن، وصلت الى أحط درجات الخسّة والسفالة[30] في الأدوار الختامية لتلك المأساة المأسوف عليها. وما سبق لي ان وصفته من فظائع حصار زنجان والإهانات التي حلت بالحجة وأصحابه، يتضاءل أمام القسوة التي ارتكبت بها الفظائع فيما بعد أثناء السنوات

القليلة التالية في نيريز وشيراز. وربما يوجد قلم أقوى وأقدر من قلمي، يمكنه وصف الأعمال الوحشية التي لا يمكن ان يعبر عنها بالعبارة، ويتمكن من وصف تفاصيلها المحزنة المبكية، وتدوين تلك الرواية التي رغما عن روعة فصولها، ستبقى الى الأبد أعظم البراهين على صحة أمر حضرة الباب والايمان الذي تمكن من غرسه في قلوب أصحابه.

وكان لاعتراف "عظيم" أثره في خلاص حضرة بهاءالله من الخطر الذي كان معرضاً له. وكان لوفاة ذلك الرئيس الذي اعترف بأنه المحرض الحقيقي على هذا الإجرام ما هبّط غضب العامة الهائج وطلبهم معاقبة هذا المحرض الجريء.

وابتعدت وتحولت عن حضرة بهاءالله صيحات الغضب وطلب الانتقام التي كانت مصوبة نحوه. وابتدأت حدّة هذه الاتهامات الادّعائية تهبط بالتدريج، وازداد يقين أرباب السلطة في طهران، بأن حضرة بهاءالله الذي كان معدودا بأنه العدو اللدود لناصر الدين شاه، لم يكن له أي يد في المؤامرة على حياته. وبهذه الوسيلة تشجع ميرزا أقا خان ان يرسل مندوبه، واسمه حاجي علي، الى سياه چال وان يسلم أمر الإفراج عنه الى السجان.

وبمجرد وصول الرسول ورؤيته المنظر الذي أمامه من هيئة حضرة بهاءالله، امتلأ حزنا وأسى. فلم يكن يصدق ما تشاهده عيناه، وبكى إذ شاهد حضرة بهاءالله مصفداً في الأغلال المثبتة في الأرض الموبوءة بأنواع الحشرات. بينما عنقه يرزح تحت أثقال السلاسل ووجهه ممتلئ بالحزن، وشعره أشعث غير ممشط، وهو يتنفس الهواء الموبوء المكتوم في أفظع أنواع

السراديب. فعندما شاهدت عيناه حضرة بهاءالله في الظلمة التي حوله، انبعث الحاجي علي، قائلا (لعن الله الميرزا أقا خان، فالله يعلم اني ما كنت أظن انك تقاسي مثل هذا الأسر المهين، وما كان يخطر لي على بال ان الوزير الأكبر يتجاسر على إتيان مثل هذا العمل المنكر).

وخلع رداءه عن كتفيه، وقدّمه لحضرة بهاءالله متوسلا إليه ان يلبسه عند مقابلته للوزير ومستشاريه. ولكن حضرة بهاءالله رفض قبول ذلك وذهب بلباس المسجونين تواً الى مقر الحكومة الشاهانية. وأول كلمة قالها الوزير الأكبر لمسجونه: (لو كنت اتبعت نصحي وانفصلت من أمر السيد الباب، ما كنت تتحمل كل هذه الآلام والإهانات التي انهالت عليك). فأجابه حضرة بهاءالله: (وإذا كنت أنت أيضا اتبعت نصحي، ما كانت تصل أحوال الحكومة الى هذه الدرجة من التحرج والفوضى).

وفي الحال تذكر الحديث الذي دار بينه وبين حضرة بهاءالله في حادثة استشهاد حضرة الباب، وأبرقت في ذاكرة الميرزا أقا خان كلماته وما سبق ان سمعه منه بقوله: (ان الشعلة التي أوقدت سوف تلتهب مرة أخرى بقوة أشد مما سبق). فقال له: (ان التحذير الذي سبق لك ان أخبرتني به قد تم ويا للأسف. فما هو الذي تنصحني الآن ان أعمله؟) فكان جواب حضرة بهاءالله للحال له: (أصدر الأوامر الى حكام المملكة ان يمتنعوا عن سفك دماء الأبرياء ونهب أموالهم أو استحياء نسائهم أو سبي أطفالهم. وان يكفوا عن اضطهاد أمر الباب وليتركوا أملهم الكاذب في استئصال شأفة أتباعه).

وفي نفس اليوم أعطيت الأوامر بمنشور الى جميع حكام المملكة يأمرهم فيه ان يمتنعوا عن أعمال القسوة والاضطهاد. وكتب لهم الميرزا أقا خان: (يكفي ما عملتم. فامتنعوا عن القبض على الناس ومعاقبتهم، ولا تكدروا فيما بعد صفو الراحة والاطمئنان بين أهل المملكة). وكانت حكومة الشاه تفكر في اتخاذ التدابير الحاسمة لتطهير المملكة دفعة واحدة من اللعنة التي أصابتها. وما كاد حضرة بهاءالله يحصل على حريته حتى تسلم أمر الحكومة، انه في ظرف شهر من ذلك التاريخ عليه ان يغادر طهران، هو وأسرته خارج حدود إيران.

وكان السفير الروسي بمجرد علمه بعمل الحكومة، عرض على حضرة بهاءالله ان يأخذه تحت حمايته، وطلب منه الذهاب الى روسيا، فرفض هذا العرض واختار بدلا عن ذلك ان يسافر الى العراق. فكان خروج حضرة بهاءالله من طهران هو وأفراد أسرته وبينهم الغصن الأعظم[31] والأقا كليم والورقة العليا[32] محروسين بعدد من الحرس الملكي وموظف من سفارة روسيا، وسافروا الى بغداد في اليوم الأول من شهر ربيع الثاني سنة 1269 هجرية[33] بعد تسعة أشهر من رجوعه من كربلاء.

الحواشي

(1) 1852 ميلادية.

(2) وتقع سراي (فين) على بعد أربعة أميال جنوب غرب كاشان على سفح جبل. واشتهرت فين بمنابعها التي جعلتها مصيفا من قديم الزمان للملوك. وفي الأزمان الحاضرة كان تذكارها مظلما، لأن فيها أعدم الوزير الكبير ميرزا تقي خان بقطع أوداجه في الحمّام في سنة 1852 ميلادية بأمر الشاه الحالي، وكان صهرا للملك، ولذلك هجر هذا المكان الآن. (من كتاب اللورد كرزون إيران والمسألة الإيرانية الجزء الثاني صحيفة 16).

وقد جاءت امرأة من الحريم الى البرنسيسة تطلب منها ان تكف عن دموعها، لأن الشاه عدل عن أمره وسيعود الأمير الى طهران ويذهب الى كربلاء الذي هو مأمن وحرم أهل إيران من الذين غضب عليهم الشاه. وقالت للأمير ان الخلعة حاضرة في الطريق وستحضر بعد ساعة أو اثنتين، فاذهب الى الحمام واستعد لاستقبالها. وكان الأمير ملازما لغرفة البرنسيسة لحمايته في حضرتها ولا يفارقها، وكانت تخشى على سلامته من مغادرتها، ولكنه إذ سمع هذه الأخبار السارة، عزم على اتباع ما أشارت به المرأة وفضل الذهاب الى الحمام.

ففارق البرنسيسة ولم تره بعد ذلك. ولما وصل الحمام كان الأمر القاضي بإعدامه حاضرا وأخبروه به، فحضر الفراش باشي وأعوانه العتاة وطلبوا منه ان يختار الميتة التي يريدها. وقيل انه تحمل الموت بثبات وصبر. فقطعت أوداجه ونزف حتى توفي. (من كتاب الليدي شيل لمحات عن الحياة والأخلاق في إيران صحيفة 251–252).

(3) وكان لقبه اعتماد الدولة. (المصدر السابق صحيفة 249).

(4) من 21 أبريل سنة 1852 الى 21 مايو سنة 1852 ميلادية.

(5) وشميران وتدعى أحيانا شمران، وأحيانا بالجمع شميرانات، هو اسم يطلق على القرى الموضوعة على سفح جبل البرز وهو مصيف للأغنياء من سكان طهران. (من مقالة سائح صحيفة 81 حاشية 1).

(6) 28 شوال وهو يطابق 15 أغسطس سنة 1852 ميلادية.

(7) وفي الصباح خرج الملك راكبا جوادا للتنزه، وكان يسبقه كالعادة رجال الاسطبل حاملين الحراب الطويلة يتقدمهم السيّاس ومعهم الجياد بأيديهم، والخيول المطهمة والمزركشة، وجماعة من الخيالة الرحل ومعهم البنادق والفيشلك والسيوف على السروج. ولأجل عدم إزعاج الملك بالتراب الذي تثيره أرجل الخيل، كان هؤلاء يتقدمون قليلا عنه في المسير. ويسير الملك وحده على بعض البعد من الرؤساء العظام والضباط الذين يحوطونه. ولم يكد يخرج من السراي ويبتعد قليلا عن حديقة محمود حسن الصندوق دار . صراف التوفير . حتى شاهد على جانب الطريق ثلاثة رجال وهم الثلاثة عمال في الحديقة واقفين كأنهم بالانتظار، واحد على اليمين واثنين على الشمال. فلم يشتبه فيهم، وأخذ في المسير. ولما وصل إليهم وجد انهم بدأوه بصوت واحد بالسلام والصياح (نحن فداؤك) وعندنا عريضة، ولكنهم بدلا من بقائهم في أماكنهم كما هو المعتاد، تقدموا سريعا إليه وصاحوا على عجل (عندنا عريضة) وتعجب الملك وصاح عليهم (أيها الأوباش ماذا تريدون) ففي هذا الوقت أمسك الرجل الذي على اليمين بالسرج بيده اليسرى وكان بيده اليمين غدارة أطلقها على الملك. وفي نفس الوقت أطلق الرجلان اللذان على الشمال النار أيضا. وقطعت إحدى الطلقات العقد اللؤلؤ الذي كان معلقا في جيد الجواد، وأخرى أخرجت رشاً كثيرا أصاب يد

الملك والسرج. وتعلق الرجل الذي على اليمين بفخذ الملك وجذبه على الأرض، وكاد ينجح في عمله لولا ان الاثنين اللذين كانا على الشمال عملا نفس العمل، فبقي الملك معلقا بين الاثنين. وفي هذه الأثناء ضرب الملك رأس أحد الاثنين بقبضة يده، وكان الجواد قد اضطرب وقفز قفزات متوالية عطلت حركات البابيين، ومضى وقت غير قليل. وإذ رأى رجال الحاشية ذلك، اضطربوا أولا ثم هرعوا إليه. وهجم أسد الله خان رئيس الاسطبل وهو خيال رجاله، وضرب الرجل الذي على اليمين بسيفه ضربة قاضية. وفي الأثناء قبض الرؤساء الآخرون على الاثنين اللذين كانا على الشمال وشدوا أوثاقهما. وحضر الدكتور كلوكيت طبيب الملك، وبمساعدة الآخرين تمكن من إدخال الملك في حديقة الصندوق دار محمد حسن، لأنهم لم يعرفوا ماذا عساه يحصل، ومع انهم كانوا عالمين بعظم الخطر، إلا انهم ما كانوا يعلمون مقدار اتساعه. وكان لذلك ضجة كبيرة لمدة ساعة في كل أنحاء نياوران. وبينما جاء الوزراء والصدر الأعظم في الحديقة التي أدخل الملك فيها، ضربت الطبول والأبواق والصفافير لجمع العسكر من كل الجهات، وركب الغلمان على الجياد بسرعة زائدة، وكان كل الناس يصدرون أوامر. ولم يسمع أحد شيئا ولم يروا شيئا. وجاء رسول من طهران بأمر أردشير ميرزا حاكم المدينة يسأل عما حصل وعما يمكن ان يصنع في العاصمة. ومنذ الصباح الى الليل كان الناس جميعا يعتقدون ان الملك قتل يقينا. وكان العسكر مسلحين يمرون في الأسواق بشكل تهديد، حتى ان التجار هجروا المتاجر. وكانت دكاكين الخبازين محاطة بالناس الذين يرغبون في تخزين الخبز لمدة أيام، وهذه هي العادة عند حدوث أي اضطراب. وفي الصباح ازداد الهياج. وأغلق اردشير ميرزا أبواب المدينة والقلعة. ولكن العسكر كانوا متأهبين والمدافع كانت مصوبة، ولم يعلم على من يطلقها وكان منتظرا الأوامر. (كتاب جوبينو الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى صحيفة 232– 233).

(8) وقد اعتبر اللورد كرزون ان هذه الحادثة لم تكن ثورية ولا مؤامرة فوضوية، وقال (ان من الخطأ البيّن اعتبارها كذلك، ولأن البابية كانت تعد منذ نشأتها معادية للحكومة المحلية، ولان البابيين شرعوا في قتل الشاه، استنتج الناس خطأ ان الحركة البابية هي سياسية في منشئها واشتراكية فوضوية في كيانها. ولكنه لا يظهر من كتابات الباب ولا من

كتابات اتباعه وجود أي أساس لهذا الادعاء. نعم ان اضطهاد البابيين من الحكومة قد ألجأهم للقيام على هيئة ثورية، وبسبب الغضب الذي تلا المشاحنة بين الطرفين والقسوة التي استعملتها أرباب الحكومة بعد انتصارهم، لا يستغرب ان تمتد بعض الأيدي المتعصبة لإسقاط الشاه وضربه. والبابيون في الوقت الحالي موالون للحكومة كغيرهم من الرعايا. وليس من العدل إطلاق ألفاظ الاشتراكية أو الشيوعية أو الإباحية التي استعملت في حق هذه الطائفة الفتية. فلم يكن فيها على وجه التحقيق فكرة الشيوعية كما يعرفها الاوروبيون، يعني استعمال القوة في كيفية إعادة التوزيع للأموال أو الاشتراكية التي انتشرت في القرن التاسع عشر، بمعنى تغلب العمال على أصحاب رؤوس الأموال. فلم يجل ذلك بخاطر الباب أو تلاميذه. والفكرة الاشتراكية الوحيدة التي أوصى بها هي كما حصل للمسيحيين في أوائل ظهور الديانة المسيحية من تقسيم المنافع بين المؤمنين والتصدّق بالزكاة والتوسع فيها. أما وصمة الإباحية فقد اخترعها أعداؤهم بسبب زيادة حرية النساء التي أمر بها الباب، وهي في العقل الشرقي تعادل الإباحية والفسق. وإذا نظرنا الى البابية نظرة واسعة صادقة، نرى انها عقيدة الإحسان والإنسانية العامة. فالمحبة الأخوية والشفقة على الأطفال والاحترام الممزوج بالجلال والكرم والتخلص من التعصبات والاخوة العامة حتى بالنسبة للمسيحيين جميعها من ضمن قواعدها. وليس من الضروري ان نعتقد ان كل بابي يكون متبعا لهذه القواعد اتباعا دقيقا. فانه من العبث اعتقاد ذلك. ولكن الحكم على كل نبي هو ما يدعو إليه. (من كتاب اللورد كرزون إيران والمسألة الإيرانية صحيفة 501–502).

(9) البرنس دلجروكي.

(10) وقال رنان في كتابه (الأنبياء) صحيفة 378 الرواية الآتية الخاصة بالاعتداء على الشاه والمذبحة العظيمة الحاصلة في طهران:–

انه كان يوما لا مثيل له في تاريخ العالم "من كتاب مقالة سائح المقدمة للمستر براون صحيفة 45" ويبلغ عدد الشهداء في إيران ما لا يقل عن عشرة آلاف "وهذا تقدير خاص، وإلا فكثير يقدره بثلاثين ألف أو اكثر". وحصلت أغلب تلك الحوادث في الأيام الأولى للأمر، ولكنها استمرت تتناقص تدريجيا حتى الزمن الحاضر. (كتاب حياة وتعاليم

عباس أفندي "المقدمة" للمستر فلبس صحيفة 36). ومن الوثائق الخاصة بالبهائية التي هي في حيازتي، أصل مقالة كتبت باللغة الألمانية وطبعت في 17 اكتوبر سنة 1852 تحت رقم 291 في جريدة المانية أو نمسوية، ولم يذكر فيها وللأسف اسم الكاتب. واظن اني استلمتها من أرملة الدكتور بولاك منذ بضع سنوات. وكان هذا الدكتور النمسوي طبيبا لناصر الدين شاه في ابتداء حكمه، وهو مؤلف كتاب قيم خاص بايران والمسائل والأحوال المتعلقة بها. ذلك بخلاف كثير من الرسائل الصغيرة. وتستند هذه المقالة على خطاب مكتوب في 29 أغسطس سنة 1852 بمعرفة ضابط نمسوي، وهو الكابتن فون جوميونز الذي كان في خدمة الشاه وأفجعه ما شاهده من الفضائع، حتى انه أرسل استقالته. وترجمة هذه المقالة كآلاتي:-

(منذ بضعة أيام ذكرت حكاية الشروع في قتل الشاه وهو متأهب للصيد. وكان المتآمرون من طائفة البابية. وأما عن هذه الطائفة وعن الإجراءات التأديبية التي اتخذت ضدهم، فان خطاب الكابتن النمساوي فون جوميونز الذي نشر أخيرا في جريدة صديق العسكر "سولد انفرود" يكشف عن أمور كثيرة، وخاصة عن حادثة الشروع المذكورة. وكان نص الخطاب المذكور كآلاتي:- طهران في 29 أغسطس سنة 1852. عزيزي ان خطابي الأخير كان عن حادثة الشروع في قتل الشاه، والآن أذكر لك نتيجة التحقيق الذي حصل مع المجرمين. فبالرغم من التعذيب الفضيع الذي قاسياه فان التحقيق لم يثمر عن أي اعتراف شامل، فكانت شفاه المتعصبين مغلوقة حتى بعد كيهم بأعمدة من الحديد المحمى، واثقاب أجسادهم بالمخاريز. وارادوا ان يكشفوا المحرض الحقيقي بواسطة هذا التعذيب. ولكن استمع مني يا عزيزي يا من لك قلب أوروبي وأخلاق أوروبية، اسمع مني وتتبع هؤلاء التعساء الذين فقأوا أعينهم واضطروهم ان يأكلوا آذانهم المبتورة بدون ضجيج، أو من قلعت أسنانهم بقسوة متناهية بيد الجلاد، أو من ضربت هامات رؤوسهم بالمطارق الحديدية، أو من اشتعلت أجسادهم في الأسواق العمومية حتى أضنتها نيران حريقهم بعد ان عملوا ثقوبا في أجسادهم ووضعوا فيها الشموع الموقدة. وقد رأيت البعض مسحوبا في الأغلال في السوق ومعهم العسكر، وفي أجسامهم ثقوب وضعت فيها الشموع المتقدة، حتى ان الدهن ساح وابتدأ أزيزه يسمع بين نيران الشموع كالمصباح الذي يطفأ حديثا. وليس من النادر ان نباهة

الشرقيين تسوقهم الى اختراع تعذيبات جديدة. فقد ينزعون جلد أرجل البابيين بعد غمسها في الزيت المغلي، أو يقطعون قدم الأسير على هيئة حافر الفرس ويضطروه للجري. وما كان الشهيد يظهر أي صياح، فكان ملازما للسكوت، ولكن عندما يجبرونه على الجري لا يقدر الجسم ان يتحمل ما يتحمله الروح، فلذلك كان يقع، فيقولون "خلص عليه وأرحه من الآلام". فيقول الجلاد "لا" ويبتدئ بجلده بالكرباج. وقد رأيت بنفسي ان الأسير الذي وقع عليه مائة تعذيب يجري من البداية للنهاية. وفي النهاية يعلقون الأجساد المثقوبة على شجرة ورؤوسهم الى أسفل، وكل إيراني له ان يجعلها هدفا له بأن يصوب عليها بندقيته أو سلاحه ليجرب مهارته في التصويب وهو مطمئن. وقد رأيت بنفسي نحو من 150 رصاصة في جثة. وعندما أعيد قراءة ما كتبت، تتغلبني فكرة ان الذين معك في مملكتنا العزيزة "النمسا" ربما لا يصدقون الرواية أو صورتها أو يتهمونني بالمبالغة. فياليت يا الهي لم أعش حتى أراها. ولكن لداعي مهنتي، كنت ويا للأسف كثيرا ما أشاهد هذه المظالم المفجعة. وانا الآن لا أترك منزلي أبدا حتى لا اضطر الى مشاهدة مناظر مفزعة أخرى. وبعد إعدام البابيين يشطرونهم نصفين، فاما ان يسمروهم على باب المدينة أو يطرحوهم في العراء للكلاب والثعالب لتأكلها.. وهكذا يستمر العقاب حتى فيما بعد حدود هذه الدنيا، ذلك لأن المسلمين الذين لا يدفنون لا يستحقون ان يدخلوا جنة الرسول، وان روحي تثور من رؤية هذه الفضائع. وبسبب المظالم المذكورة في هذا العهد الحديث صممت على قطع علاقتي بمناظر هذه الجرائم). ثم زاد بأنه طلب الاستقالة ولكنه لم يتلق نبأ بقبولها. (من كتاب المستر براون دراسة الديانة البابية على ضوء مستندات صحيفة 267-271).

وابتدأ اردشير ميرزا عمله، فأغلق أبواب المدينة ووضع عليها المدافعين المشاة، وطلب من الحراس ان يتفرسوا في وجوه الذين يرغبون في مغادرة المدينة. وبينما يحثون الأهالي على اعتلاء السور قريبا من باب شمران لرؤية جثة "صادق" المقطعة على العراء أمام الجسر الذي يعلو الخندق. جمع الحاكم البرنس كلا من كلانتر ومحافظ البوليس والوزير والداروغي أو قاضي البوليس ورؤساء الأقسام، وأمرهم ان يبحثوا على كل من يشتبه فيه انه من البابية، وان يقبضوا عليه. وإذ لم يتمكن أحد من مغادرة المدينة، انتظروا مرور الليل

حتى يتمكنوا نهارا من هذا الصيد الوحشي، حيث يلزم استعمال الحيلة. وبوليس طهران مثل جميع مدن آسيا مرتب ترتيبا حسنا. وكانت هذه وصية الساسانيين التي احتفظ بها خلفاء العرب بكل دقة، ولما كان من مصلحة الحكومات المحافظة عليها مهما كانت هذه الحكومات رديئة، لذلك بقي نظامها بغير مس أو تغيير رغما عن ان الأنظمة الأخرى تدهورت مع انها كانت متينة أيضا. فيجب العلم بان كل رئيس قسم يخاطب مباشرة الكلانتر أي محافظ المدينة، وله تحت إمرته جماعة من الرجال اسمهم سرغشمه أي عسكر البلدية، وهم ليس لهم شعار خاص ولا علامة مميزة، ولا يتركون مطلقا الشوارع التي هم مكلفون بحراستها، وهم محبوبون من الأهالي ويعيشون مختلطين معهم. ويقومون بكل خدمة، وفي الليل ينامون صيفا وشتاء على رصيف أول دكان أو خان بدون خوف أو اهتمام بالأمطار أو الثلج، فيحرسون الأملاك. وبذلك يجعلون السرقة نادرة لما فيها من الصعوبة. وفضلا عن ذلك فهم يعرفون عوائد وسكان جميع المساكن بطريقة انهم يرشدون فورا عن أي طلب في وقت اللزوم، وهم مطلعون على آراء وأفكار وعلاقات السكان بعضهم ببعض، وإذا تصادف وتناول ثلاثة أشخاص طعام الغداء معا، فان أصحاب السرغشمة بدون حاجة الى التجسس، يعرفون ميعاد اجتماعهم وماذا أكلوا وماذا عملوا أو قالوا وفي أي وقت افترقوا، لأنهم مطلعون على جميع الأخبار. ولذلك طلب الكدخدا من هؤلاء الحراس ان يطلعوه على أحوال البابية كل منهم في دائرة اختصاصه. (من كتاب جوبينو الأديان والفلسفة في أواسط آسيا صحيفة 234-235).

(11) سياه چال يعني "البئر السوداء".

(12) الإمام الحسين.

(13) إذا سنحت لك فرصة في وقت ما لزيارة سجن جلالة الشاه، فأسأل من رئيس ومدير ذلك المكان ليريك السلسلتين اللتين تعرف إحداهما باسم "قره جوهر" والأخرى باسم "سلاسل". وأقسم بشمس العدل اني تعذبت وأثقل كاهلي بإحدى هاتين السلسلتين لمدة أربعة أشهر. فحزني ما يعقوب بث أقله والآم أيوب بعض بليتي. (من كتاب ابن الذئب صحيفة 57).

وبخصوص السجون الفارسية ونظامها، فانها تخالف سجوننا في أحوال العقوبات. فلا يوجد فيها سجن الأشغال الشاقة المؤبدة أو لجملة سنوات، فذلك النوع من العقاب غير معلوم عندهم، وكذلك الحبس لمدة مستطيلة. ففي ابتداء كل سنة يفرج عن المسجونين، وكذلك عند تعيين حاكم جديد يفرج عن المساجين الذين أمر بحبسهم سلفه، وفقط يعدم شخص أو شخصان من أرباب الحالات الخطرة كعلامة لقوة الحاكم وتحية له. ولا يوجد سجن للنساء، فان النسوة يحبسن في منزل أحد المجتهدين. وكذلك المجرمون الذين هم من طبقة راقية. وفي طهران يوجد ثلاثة أنواع من السجون. الأول غرف تحت الأرض والمخابئ وفيها يسجن الذين يتآمرون على الملك أو الحكومة. وسجن البلدية وفيه يسجن المجرمون العاديون وتلف الأغلال على رقابهم وأحيانا تكبل أرجلهم في الحديد. ثم الحراسة الخاصة وهي من متعلقات مساكن العظماء. ومن ذلك يفهم ان نظام العدالة في إيران سواء في إصدار الأحكام أو في توقيع العقاب أو في نظام السجون، هو نظام حالي وسريع والغرض منه العقاب بطريقة موازية بقدر الإمكان للجريمة الأصلية، وليس فيها أي إصلاح للمجرم. (من كتاب اللورد كرزون إيران والمسألة الإيرانية جزء أول صحيفة 458–459).

(14) يقول بهاءالله: ولم يكن لنا من دخل في هذا الجرم، وظهرت براءتنا بغير شك أمام المحاكم، ولكنهم مع ذلك قبضوا علينا وأوردونا سجن طهران من نياوران التي كانت يومئذ مقر الحكومة، وساقونا مشياً على الأقدام مكبلين بالحديد وعاريي الرأس والأقدام، لأن الشقي الذي رافقنا والذي كان ممتطيا جوادا، خلع الكلاة من رأسنا. وساقنا الجلادون والفراشون بسرعة عظيمة، ووضعونا مدة أربعة أشهر في مكان لم تر عين شبهه. وفي الحقيقة، ان غرفة مظلمة ضيقة أحسن بكثير من المكان الذي حبس فيه هذا المظلوم مع الرفاق. ولما دخلنا السجن وبوصولنا ساروا بنا على طول ممر مظلم، ثم نزلنا ثلاث درجات عميقة الانحدار الى الحبس المعد لنا، وكان المكان مظلما ويحوي نحو مائة وخمسون من اللصوص والقاتلين وقطاع الطرق. ومع إنها تحوي هذا العدد، فلم يكن لها من منفذ سوى ما دخلنا منه. ويعجز القلم عن وصف هذا المكان وقذارة رائحته، ولم يكن عند أغلب المسجونين لباس ولا وطاء ليجلسوا عليه. والله يعلم ما ورد علينا في هذا المكان المظلم

الكريـه. وكنـا ليـل نهـار مشـتغلين فـي هـذا السـجن ومتفكـرين فـي أحـوال البابيـة وأعمـالهم ومتعجبين كيف انهم مع عظمة أرواحهم ونبالتهم ونباهتهم، يقومون على الأقدام على مثل هذا العمل المشين بالهجوم والشروع في قتل الملك. ولذلك عزم هذا المظلوم، انه بمجرد خروجه من السجن يقوم بكل جهد على إحياء هذه الأرواح. وذات ليلة سمعت في الرؤيا هذه الكلمة العليا من كل الجهات: (إننا حقاً سننصرك بنفسك وبقلمك فلا تحزن مما ورد عليك ولا تخف فانك أنت من الآمنين. سوف يظهر الله كنوز الأرض ويبعث رجالا ينصرونك بنفسك وباسمك الذي به أحيى الله قلوب الذين يعلمون)"من كتاب ابن الذئب".

وكتب الدكتور اسلمنت: (ان حضرة عبد البهاء يحكي كيف انه ذات يوم سمح له بالدخول في حوش السجن ليرى فيه والده المحبوب عندما يخرج للرياضة اليومية. فرأى ان حضرة بهاءالله قد تغيرت هيئته وكان مريضا، حتى انه ما كان يقدر على المشي إلا بصعوبة، وكان شعر رأسه ولحيته أشعث لم يمشط. وفي رقبته السلسلة وقد تورمت من ثقلها وكان جسمه منحنيا من ثقل الأغلال). وقد أثر هذا المنظر تأثيرا بالغا لا يمحى من ذاكرة نجله الشاب. (من كتاب بهاءالله والعصر الجديد صحيفة 61).

(15) وبعد قتل "صادق"، ربطوا جثته في ذيل بغل وجروه على الأحجار لغاية ان وصلوا الى طهران، حتى يمكن لجميع السكان ان يعلموا ان المؤامرة أخفقت، وفي الوقت نفسه أرسلوا الى اردشير ميرزا يفهمونه ماذا يعمل. (من كتاب الكونت جوبينو الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى صحيفة 234).

(16) وكان في هذه المرة قد أراد ميرزا أقا خان ان يوزع المسؤولية الناتجة من العقاب، وان يقلل من طلب الانتقام. ولذلك رأى ان يوزع المجرمين العديدين على الرؤساء والوزراء والموظفين في البلاط والمجتهدين العلماء والتجار. فقتل وزير الخارجية رجلا ووزير الداخلية رجلا آخر وكذلك رئيس الاسطبلات رجلا آخر وهلم جرا. (من كتاب اللورد كرزون إيران والمسألة الإيرانية صحيفة 402 حاشية 2).

(17) ورأى سعادته ان يقسم التنفيذ على الأسرى بين الجهات الرئيسية في الحكومة، ولم يستثن أحدا سوى نفسه. فأولا التشريفاتي الأول للملك، أطلق أول طلقة على أسيره

ليقتص لجرح الشاه من المتآمرين، ثم أتم الفراشون العمل. وكان ابن رئيس الوزراء رئيسا للداخلية، ولذلك ذبح بابياً آخر، ثم جاء دور وزير الخارجية، وكان رجلا داهية متظاهرا بالتقوى كثير التأمل في الأحاديث، وضرب ضربة بالسيف وهو يحول وجهه. ثم جاء وزير الداخلية وكتبة وزارة الخارجية، وقتلوا فريستهم من البابيين الموزعين عليهم. وحتى طبيب الشاه الخاص الفرنساوي المرحوم المأسوف عليه المستر كلوكيه، فانهم طلبوا منه ان يظهر ولاءه للشاه بان يتبع مثال باقي الموظفين، فاعتذر قائلا: انه قتل أشخاصا كثيرين أثناء العمليات التي كان يجريها، ولا يرغب ان يزيدها بقتل اختياري آخر. وقد قيل للصدر بان هذه الأعمال الوحشية التي لم يسمع بمثلها في غابر الأزمان، ليست ثورية فقط في شكلها بل انها توجب الانزعاج والاشمئزاز العظيم في أوروبا. وإذ سمع ذلك اشتد غضبه وقال (أفهل تريد ان يقع انتقام البابيين عليّ وحدي؟).

وكتبت جريدة (كازيت طهران) في ذلك اليوم كتابة تدل على نفسية موظفي الدولة، ومما يصح ان يكون نموذجا لأقوالهم:- (ان بعضا من الفسقة الغير المهذبين من الذين لا دين لهم، أصبحوا تلاميذ السيد علي محمد الباب الذي منذ بضع سنوات أخترع ديناً جديداً، والذي لقي فيما بعد حتفه. وكانوا غير قادرين على إثبات مدعاهم، وكان فسادها ظاهرا بيناً. مثلا قد وقع كثير من كتبهم في أيدينا، فلم نجد فيها سوى الكفر المبين. أما بالنسبة للبراهين الدنيوية، فكانوا عاجزين أيضا عن الإتيان بها لإثبات دينهم الذي لا يصلح لشيء إلا للجدال مع الله والتجديف عليه. ثم أرادوا بعد ذلك ان يحصلوا على الملك لأنفسهم، وسعوا في إثارة الثورات أملا في الانتفاع بالاضطراب ونهب ممتلكات المجاورين. وقامت منهم فئة تحت إمرة ملا شيخ علي من ترشيز، واعتبر نفسه نائبا عن الباب السابق، وسمى نفسه صاحب الجلالة، وجمعوا حوله عددا من اتباع الباب الأولين. وقد فتنوا لآرائهم ومعتقدهم بعض الفساق، وكان أحدهم الحاج سليمان خان بن المرحوم يحيى خان من تبريز. وكانت عاداتهم الاجتماع في منزل ذلك الحاجي للتشاور ولتدبير مؤامرة لاغتيال جلالة الشاه. وقد تطوع اثنى عشر نفرا منهم لهذا العمل ولتنفيذ هذه الخطة، أعطى لكل منهم غدارة وأسلحة وخناجر، وعزموا ان يقوموا الى مقر الشاه في نياوران انتظارا لتنفيذ عملهم. (ثم تكلم بعد ذلك عن

الهجوم وهو ما سبق أن فصلته قبل ذلك). وقد حكم على ستة أنفار ممن لم تثبت التهمة عليهم ثبوتا كافيا بالسجن المؤبد.

(ووزع الباقون على العلماء والمجتهدين والموظفين في البلاط الملكي وأهالي البلاد من التجار والصناع. وأوردوهم ما يستحقونه من العذاب. فذبحوا الملاوات والعلماء الملا شيخ علي وكيل الباب الذي لقب نفسه صاحب الجلالة، والذي كان رئيس هذه المؤامرة. وذبح البرنسات سيد حسن الخراساني، رجل فاسق بالغدارات والسيوف والخناجر. ووزير الخارجية المملوء بالحماسة الدينية والأدبية، ضرب أول ضربة على ملا زين العابدين من يزد. والسكرتاريون في وزارته أكملوا عليه وقطعوه إربا. ونظام الملك ابن رئيس الوزراء، ذبح الملا حسين. والميرزا عبد الوهاب من شيراز الذي كان من الاثنى عشر السفاكين، ذبحه أخ وأولاد رئيس الوزراء، وباقي أقاربه قطعوه إربا. والملا فتح الله القمي الذي أطلق الغدارة وجرح صاحب الجلالة، قتل بهذه الكيفية وسط المعسكر الملكي، ووضعت الشموع في جسده بعد ان ثقب بدنه ثم أوقدت. ثم جاء التشريفاتي وطعنه في نفس المكان الذي جرح فيه الشاه، ثم رجمه الباقون بالأحجار. أما أشراف البلاط فقد أرسلوا الشيخ عباس الى طهران ثم الى الجحيم. واما خدم الشاه فقتلوا محمد باقر أحد الاثنى عشر، وخدام الاسطبل ورئيسهم، سمّروا أرجل محمد تقي من شيراز، ثم أرسلوه مع أقرانه. ورئيس التشريفاتي ومعه النبلاء، ذبحوا محمد نجف آباد بالبلط والقضبان وأرسلوه الى قرار الجحيم. وطعن العسكر سيد حسين من ميلان. ورجال المدفعية اقتلعوا أعين محمد علي من نجف آباد ثم نسفوه من فم المدفع. والخيالة ذبحوا ميرزا رفيع. وقائد الجيوش مع ضباطه ذبحوا سيد حسين). (من كتاب الليدي شيل لمحات في حياة وعوائد الإيرانيين 277–281).

وقد رأى الناس في ذلك اليوم في الشوارع وفي الأسواق في طهران منظرا لا يمكن ان ينسى، فلا يزال الناس يعجبون بالفضائع التي ارتكبت في تلك الأيام كلما حدثت محادثة في موضوعها، ولم يغير مرور السنين الطويلة شيئا من طبائعهم، وكان الناس يرون الأطفال والنساء بين أيدي الجلادين تتقدم. ولحوما مغطاة بالدماء وفيها فتائل مشتعلة مغروزة في الجروح. وكان الأسرى يجرون بالحبال ويسيرون وهم يجلدون. ويتقدم الأطفال والنساء وهم

يتلون الآية (انا لله وانا إليه راجعون). وكان صوتهم يبدد السكون الذي خيم على الجماهير، لأن أهالي طهران لم يكونوا أشقياء ولا متدينين، وهم شديدوا التعلق بالإسلام. فإذا وقع أحد من هؤلاء الأسرى المحكوم عليهم، يضربونه بالكرباج ليقوم أو يضربونه برأس الحراب، ذلك لأن الدماء الغزيرة التي خرجت منهم تضعف قواهم، ولكنهم كانوا يرقصون ويصيحون بكل حماس (انا لله وانا إليه راجعون). وكثير من الأطفال يتوفون أثناء الطريق، فالجلادون يرمون جثثهم أمام أقدام آبائهم ليدوسوها. فيسيرون ولا يلتفتون إليهم. وإذا وصلوا الى المكان الذي أعد لتنفيذ الإعدام عليهم قريبا من الباب الجديد، طلب من المسجونين ان يتوبوا، ولما ظهر لهم ان ذلك غير ممكن، استعملوا معهم طرقا تهديدية، فقال الجلاد لواحد منهم: ان لم ترجع وتتوب، فإني أذبح أولادك على بطنك. وكان له ولدان، أحدهما الكبير يبلغ من العمر 14 سنة وكان جسمه قد احمر بدمائه واحترق لحمه، فاستمع الى هذا القول بكل ثبات، وأجاب الوالد وجلس على الأرض وأظهر استعداده، فاختار الولد الأكبر بكل شمم ان يكون هو أول مذبوح لأنه الأكبر، فلم يمتنع الجلاد عن قبول ملتمسه بدون ان يظهر منه أي تألم، وأخيرا بعد ان أتم عمليته، جاء الليل على أكوام وأكداس من اللحوم، فأخذوا الرؤوس وعلقوها على أعمدة، وأطلقوا الكلاب على جهة اللحوم لنهشها. وفي ذلك اليوم آمن بالباب جم غفير سراً، أكثر ممن آمن بواسطة الدعوة. فان التأثير الواقع على الأهالي من عدم خوف البابيين من الاستشهاد ومن العذاب المفجع، كان عميقا. وكثيرا ما سمعت من العديدين ومن كبار رجال الحكومة ممن كان شاهد عيان لهذه المفاجع عن حالات الشهداء، وكل من يستمع لأقوالهم يظنهم جميعا بابيين، لأنهم جميعا أعجبوا بهذه المشاهد التي لم يلعب الإسلام فيها دورا جميلا، ومن الفكرة العالية التي أسندوها الى نجاح طائفة البابية في جميع أدوارها. (كتاب الكونت جوبينو الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى صحيفة 248–250).

ولم تكن هذه التعذيبات فقط إجرامية، بل كانت أيضا جنونية، فان توحش المنفذين قد عكس مقصدهم، فبدلا من ان يوقعوا الرعب في القلوب، جعلت للشهداء فرصة لإظهار الثبات والشجاعة التي فاقت أي دعاية أو "برواجندا" مهما كانت ماهرة، لانتصار الأمر الذي ماتوا لأجله. فالتأثير الحاصل من مثل هذا الثبات وهذه الشجاعة كان عميقا وأبديا،

فان الدين الذي نفث في روع الشهداء هذه الشجاعة قد عدى الكثيرين غيرهم، كما يظهر من الحكاية الآتية:- كان أحد سكان يزد رجلا شقيا مشهورا بالحياة الغير المنتظمة، وقد ذهب لرؤية التنفيذ على بعض البابية، وربما كان بقصد الاستهزاء بهم، ولما رأى الثبات والصبر الذي قابلوا به العذاب والموت، حصل له تغيير كلي في احساساته، حتى انه هجم في وسطهم وهو يصيح (اقتلوني انا أيضا.. لأني أنا بابي). ومكث يصيح على هذه الكيفية حتى شاركهم أخيرا في نصيبهم، مع انه كان خارجا فقط للفرجة. (من كتاب ا.ج. براون سنة بين الإيرانيين صحيفة 111-112).

(18) وقال سمندر (في كتاب خطي صحيفة 2) بان سليمان خان قابل الباب أثناء حجه في المدينة ومكة.

(19) واسمه حاجي علي خان. (من كتاب مقالة سائح صحيفة 52 حاشية 1).

(20) ان الشجاعة الفائقة الحد التي أظهرها سليمان خان في تحمله الآلام المخيفة صارت أشهر من نار على علم. وقد سمعت مرارا وتكرارا كيف انه لم ينقطع أثناء تعذيبه الطويل عن ان يظهر سروره بان يكون مستحقا للاستشهاد في سبيل أمر مولاه. وكثيرا ما كان يغني ويسرد أبياتا شعرية، ومنها ما يأتي (قد رجعت من طريق شيراز وأحضرت معي اللطائف والظرائف وهكذا يكون جنون الحب). فعند ذلك استهزأ به الجلاد وقال له: لماذا لا ترقص إذا ما دمت ترى الموت جميلا الى هذا الحد؟ فصاح سليمان خان: نعم أرقص، فهذه الكأس في راحتي وفي الأخرى جدائل الشعر من محبوبي، وهذا الرقص وسط السوق مرغوبي. (من كتاب مقالة سائح صحيفة 333-334 حاشية ت). وكان استشهاده في أغسطس سنة 1852.

ولما قبضوا على سليمان خان بذلوا جهدهم ليرجعوه عن دينه بسبب إخلاصه للعرش وخدمته له، وأرادوا إغراءه بالوعود من الملك بالمكافآت ان يرجع عن عقيدته، فلم يقبل وأجاب بكل ثبات، ان جلالة الملك له الحق في ان يطلب من أتباعه الإخلاص والطاعة والاستقامة، ولكنه لا يحق له ان يتداخل فيما يعتقد به أتباعه من الأمور الدينية. فكانت النتيجة لهذه الجسارة في القول، ان صدر الأمر بان يثقبوا جسمه بالجروح وان يضعوا في

كل ثقب شمعة حتى يكون مثالا لغيره. وعاملوا آخر معه بنفس هذه الطريقة. وعلى هذه الحال ساروا به وسط الأسواق تتقدمه الطبول والمزمار ولكنه كان دائم التبسم ويتلو الأشعار الآتية (ما ترجمته):.

ما أسعد المحب إذا غلبه الشوق حتى لا يعي

ان كان تحت أقدام المحبوب رأسه أو العمامة ترتمي

وكان كلما وقعت شمعة من جسمه يلتقطها بنفسه ويوقدها من الشموع الأخرى ثم يضعها في محلها. ولما رأى الجلادون منه هذا الفرح والسرور، قالوا له (إذا كان شوقك للاستشهاد لهذا الحد فلماذا لا ترقص؟). فعند ذلك ابتدأ يقفز ويغني قائلا ما ترجمته:. (طوبى لاذن واعية ما أصمها الجهل والعمى، وطوبى لعبد خاضع خاشع يحمله سروره الروحي على الرقص. فالمجنون يرقص في الأسواق والرجال ترقص بينما دماؤهم تقطر من أجسادهم ويصفقون للنفس طربا إذا ذبحت ويرقصون لخلاص أرواحهم ونجاتهم من الشرور، يصفقون بأيديهم إذا ذبحت نفوسهم لعلمهم بانهم قد خرجوا وتخلوا من الشر). وعلى هذا المنوال قادوا هذين الشهيدين لغاية بوابة شاه عبد العظيم. ولما استعدوا لنشر جسم ذلك الرجل الشجاع، مد قدميه بلا وجل أو تردد بينما كان يتلو الشعر الآتي (مترجما): اني أعد الجسم أمرا نذرا فنفس الشجاع تحتقر بيتها الأرضي، فالخنجر والسيف كأوراق الأزهار أو كباقات صففت على مائدة الموت ببريقها ولمعانها. (من كتاب التاريخ الجديد صحيفة 228–230).

(21) إذا أردنا التوصل الى نتيجة حتمية في أفكارنا عن الماضي الذي تكلمت عنه، فانها ليست سوى ذلك الإخلاص العالي الهادئ الذي نفخه هذا الدين الجديد مهما يكن شكله. واعتقد انه لم يوجد سوى بابي واحد ارتد تحت ضغط التعذيب ثم قتل بعد مضي سنتين. وقد تزينت صحائف سفك دماء الشهداء بأعمال الشهامة الصادرة من هؤلاء البابيين. ومع ان كثيرين من الاتباع كانوا أميين، فانهم مع ذلك كانوا دائما مستعدين للتضحية لأجل دينهم وكانت نيران بنادق (سميث فيلد) غير قادرة على إشعال شجاعة في القلوب أعظم وأكبر مما شاهدها الجلادون من أهل إيران. فالعقيدة التي تنفث في قلوب أتباعها مثل هذه التضحية النادرة الجميلة، ليست من العقائد التي يستهان بها أو التي لا يقام لها وزن... فمثل

هذه الحوادث الصغيرة التي تظهر من وقت لآخر بهيئتها المنكرة، تبرهن على ان إيران لم تسترجع للآن كامل مجدها وتطعن المتشامخين الذين كثيرا ما يتحدثون عن المدنية الإيرانية. (كتاب اللورد كرزون إيران والمسألة الإيرانية جزء أول صحيفة 501).

(22) ومكثت هناك مدة مستطيلة تستقبل الزائرين العديدين من الرجال والنساء، وكانت تؤثر على النسوة وتظهر لهن حقيقة الدور الكريه الذي عينه لهن علماء الدين، وكانت تقنعهن كيف ان الدين الجديد أعطاهن حرية واحتراما. وكادت هذه المجادلات تمكث مدة مستطيلة لولا ان الميرزا أقا خان الذي تعين صدرا أعظم أمر حاجي ملا ميرزا محمد أندرماني وحاجي ملا علي كنى، ان يذهبا إليها ليمتحنا اعتقادها. فباحثاها في سبعة مجالس وناقشتهما بكل حماس وأظهرت لهما ان الباب هو الإمام المنتظر والموعود. فردا عليها بان الإمام الموعود يظهر من جابلقا وجابرسا، فأفهمتهما بقوة بان هذا كذب محض واختراع المحدثين الكذابين. وان المدينتين المذكورتين لا وجود لهما مطلقا، وما هما سوى خرافة تليق للمجانين. وأظهرت لهما الأوامر والأحكام الجديدة. وأثناء تبيين وجه الحقيقة كانت دائما تظهر فساد نظرية جابلقا. وأجابتهما منفعلة (بان الأدلة التي تسوقانها، هي أشبه بأقوال طفل غبي جاهل. فإلى متى تسيران وراء هذه الأكاذيب والخرافات الجنونية؟ والى متى لا ترفعان رأسيكما لتريا شمس الحقيقة؟ وإذ تأثر الحاجي ملا علي من هذه الأقوال، قام وقال لزميله: ما هي الفائدة من زيادة البحث والمناقشة مع كافرة؟ فذهبا الى منزل أحدهما وكتبا حكما، أبانا فيه عن ردتها وكفرها ورفضها التوبة، وحكما عليها بالإعدام باسم القرآن. (من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 446–447).

(23) واثناء وجودها، تصادف حصول عرس ابن كلانتر. فكانت نسوة الطبقة العالية مدعوات. ومع إنهن صرفن مبالغ طائلة لجمع وسائل الطرب، فإنهن صحن بطلب رؤية "قرة العين". وما كادت تحضر أمامهن وتبتدئ في الكلام، حتى أبطلن الموسيقى والرقص وتركن تناول المرطبات والحلويات وصرفن المغنيات والراقصات وامتنعن عن النظر لأي شيء سوى قرة العين. (نفس الكتاب صحيفة 448).

(24) واسمه محمود خان كلانتر الذي أودعت في حراسته قرة العين.

(25) هو مكان فسيح أمام الوكالة البريطانية والسفارة التركية. وهذا المحل اختفى منذ 1893. وفي وسط هذا الميدان وعلى رصيف الطريق خمس أو ست شجرات منفردة تؤدي الى البقعة التي استشهدت فيها البطلة البابية. لانه في ذلك التاريخ كانت الايلخانة تمتد الى تلك الناحية. ولما عدت في سنة 1898، وجدت ان الميدان قد اختفى وظهرت فيه مباني جديدة، ولا أعلم إذا كان المالك قد احترم هذه الأشجار التي قد غرستها أيدي صالحة. (من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 452).

(26) أغسطس سنة 1852 ميلادية.

(27) انظر المجلة للجمعية الآسيوية الملكية سنة 1889 البند السادس صحيفة 492.

(28) 1817-1818 ميلادية.

(29) قد أظهر الجمال مع الجنس اللطيف تعلقه بالأمر الجديد، وكانت تلك الشاعرة المحبوبة السيئة الحظ، زرين تاج، شاعرة قزوين أو قرة العين، قد خلعت برقعها ورفعت مشاعل التبليغ عن الأمر الجديد في كل مكان. وكانت شجاعتها من أعظم الحوادث أثرا في التاريخ الحديث. (إيران والمسألة الإيرانية للورد كرزون جزء 1 صحيفة 497 حاشية 2). ولا يوجد تذكار محترم أشعل حماسا من تذكارها. وكان تأثيرها في حال حياتها مما انتفع به أصحاب جنسها. (من كتاب المسألة الشرقية الوسطى لفالنتين شيرول صحيفة 124).

وظهور قرة العين في أي مملكة أو أي عصر من الحوادث النادرة. وأما ظهورها في مملكة مثل إيران، فاحدى العجائب، بل يكاد يكون معجزة. وكانت على ما جمعت من الجمال النادر والطهارة على جانب عظيم من المواهب العقلية والبلاغة والقوة والشجاعة الذاتية والإخلاص. وكان استشهادها الباسل مما لا مثيل له، وهو أبدي الذكرى فيما بين مواطنيها من النسوة. ولو لم يكن للدعوة البابية من أسباب العظمة والفخر سوى انها خلقت امرأة باسلة مثل قرة العين، لكفاها. (من كتاب مقالة سائح حاشية ق صحيفة 213).

وأعظم الأمثال في جميع الحركة، هو قرة العين الشاعرة. فكانت مشهورة بتقواها وفضلها وعلمها. وأخيرا تمسكت بدعوة الباب عندما قرأت بعض آياته ونصائحه، واشتد

ايمانها مع كونها غنية ونبيلة على شأن انها تركت ثروتها وصيتها ومركزها وأطفالها لأجل خدمة مولاها، وقامت على نشر مبدئه ودينه... وكان جمال خطابها بدرجة انها جذبت الضيوف من حفلة زواج وفرح ليستمعوا إليها بدلا من الموسيقى التي أعدها المضيف. أما أشعارها فمن أعظم الأشعار في اللغة الفارسية في قوة التأثير. (كتاب اللمعة تأليف السير فرانسيس يونج هسباند صحيفة 202-203).

وإذا نظرنا الى الدور الذي لعبته قرة العين، فان الانسان يندهش من الحماس المتأجج الذي أظهرته ومن انقطاعها التام عن العالم. فهذه الدنيا كانت بالنسبة إليها عبارة عن حفنة من التراب كما يقول القدوس. وقد كانت خطيبة بليغة ومتقنة لأعوص أنواع الشعر الفارسي. ومن أشعارها ما له أهمية خاصة لأنه يظهر فيه الاعتقاد في شخص بشري (بدعوة الرب) وانه سوف يصدق دعوته الجميع. فمن يكون ذلك الشخص يا ترى؟ ويظهر ان قرة العين استبطأته في إظهار دعوته. وهل يمكن ان يكون هناك شخص تفكر فيه سوى بهاءالله؟ فكانت الشاعرة حقاً بهائية. (كتاب الدكتور ت.ك. شين اتحاد الأقوام والأديان صحيفة 114-115).

فان الغرس الذي غرسته قرة العين في البلاد الإسلامية ابتدأ يثمر وأخذت هذه الأيام في الظهور. فان خطابا أرسل الى جريدة كريستيان كمنولث في يونيو الماضي، أنبأ بأن أربعين سيدة من المطالبات بحق الانتخاب قد نفين من القسطنطينية الى عكا (التي كانت مدة طويلة سجن بهاءالله). ففي السنوات الأخيرة ابتدأت حقوق الانتخاب تنتشر في داخل الحريم بسكون، وكان الرجال غير عالمين بهذه الحالة وكل الناس يجهلونها. والآن ابتدأ الطوفان ينهمر وابتدأ رجال اسلامبول يعدون العدة باتخاذ طرق شديدة. فقد تكونت نوادي السيدات للانتخاب، وكتبت مذكرات بديعة تتضمن مطالبهن، وانتشرت وظهرت مجلات نسوية وفيها مقالات بديعة، وعقدت مجامع وجمعيات عديدة. وذات مرة رفع نحو من أربعمائة سيدة براقعهن في إحدى المنتديات وانزعج الناس الجامدون من حصول ذلك الأمر، وأخذ المسلمون الطيبون والحكومة في العمل، وشتتت الحكومة شمل الأربعمائة سيدة الراغبات في الحرية الى جملة فرق. ونفت إحدى هذه الفرق وهي مكونة من أربعين سيدة الى

عكا، وسيصلن بعد بضعة أيام. وأخذ جميع الناس في التكلم عن ذلك. وانه من المدهش حقا ان ترى العديد من الرجال في جانب رفع الحجاب من وجوه النساء. وكثير منهم يفكر بان هذه العادة لم تكن قديمة فقط بل انها خانقة لحرية الفكر. وأرادت الحكومة ان تقتل هذه الحركة الفكرية للحرية، ولكنها زادت في اشتعالها وساعد عملها في خلق رأي عام أوسع نطاقا. وزاد اطلاع الناس على هذه المسألة العصيبة. (نفس الكتاب صحيفة 115-116).

أما المبلغة الأخرى وهي السيدة التي تكلمت عنها التي أتت الى قزوين وهي بكل تأكيد إحدى الظهورات المهمة ذات الأثر البليغ في الديانة البابية فضلا عن انها موضع احترام البابيين. (كتاب الكونت جوبينو الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى صحيفة 136).

وكان الكثير من الذين عرفوها وسمعوها في أوقات مختلفة من حياتها، يذكرون لي دائما انها فضلا عما اشتهرت به من العلم والغزارة في الخطب، فان إلقاءها كان من السهل الممتنع، وكان الناس أثناء تكلمها يشعرون باهتزاز وتأثير الى أعماق قلوبهم، مفعمين بالإعجاب وتنهمر دموعهم من الآماق. (نفس الكتاب صحيفة 150).

والكثيرون من المسلمين والبابيين يمتدحون اليوم جمال قرة العين. ومما لا نزاع فيه ان روح وأخلاق هذه السيدة الصغيرة كانت على غاية من الرفعة وعلو الشأن. وكانت كثيرا ما تشهد المجتمعات التي تغشاها العلماء، بل كانت يوميا تقريبا تحضرها، وكان لها شغف بها، وكانت دائما على استعداد لمتابعة المجادلات والمحاورات العميقة التي كان والدها وعمها يتذاكرونها. وكذلك ابن عمها الذي تزوجها. بل كانت تفحمهم بأفكارها وتدهشهم بملاحظاتها الدقيقة التي تدل على شدة نباهتها. ففي إيران ليس من الأمور العادية رؤية سيدة تشتغل بمثل هذه الأمور، بل ان تلك ظاهرة نادرة الحصول. فانه كان من الأمور المتعذرة ان تجد سيدة مثل قرة العين في فضلها وعلمها، فانها زيادة على معرفة اللغة العربية معرفة جيدة للغاية، فانها اشتهرت في علوم الحديث وفي تفسير القرآن بطريقة لم يتمكن من مثلها باقي العظماء. وأخيرا كانت في قزوين بحق إحدى المعجزات. (نفس الكتاب صحيفة 137).

(30) ومن العجب انهم كانوا يحترمون النسوة اللائي جمعوهن وساروا بهن الى جبل بابان. وكان من ضمن الأسرى اثنان من العجائز ولا قدرة لهما على القتال، وأحدهما ملا محمد موسى الكوا ومشهدي باقر الصباغ، وقتلوهما، والذي قتل مشهدي باقر هو علي بك قبطان العسكر النيريزية. فقطع رأسه وأعطاها الى طفل. ثم أخذ بنت أخيه ووضع على رأسها نقابا أسوداً وأركبها جوادا الى ان حضر تجاه ميرزا نعيم. وكان هذا على جبل بابان جالسا في حديقة على حجر. ولما وصل إليه علي بك رمى رأس باقر عليه ثم طرح عليه الطفلة صائحا: (قد عملنا كل ما أردتم حتى لم يبق بابي). ومليء فم الآخوند ملا عبد الحسين بالتراب بناء على أمر ميرزا نعيم. وأطلق أحد الغلمان طلقة نارية على رأسه، ولكنه لم يقتله. وكان هناك نحوا من 603 امرأة مقبوض عليهن، وساروا بهن مع باقي المسجونين لغاية الطاحون المسمى بالتخت القريبة من نيريز. ويحكي محدثنا الرواية الآتية للدلالة على شدة بطش المنتصرين قال: كنت حديث السن وكنت أتبع والدتي وكان لي أخ أصغر مني. وكان شخص يدعى أسد الله قد أخذ أخي وحمله على كتفيه، وكان على رأس الطفل قلنسوة مزركشة. فرأى القلنسوة أحد الخيالة الذين صاحبونا، فاقترب من الطفل واقتلعها منه بشدة وتوحش، حتى انه أخذ الطفل معه معلقا من شعره ودحرج الطفل بعيدا نحوا من عشرة أمتار، فرأته أمه المسكينة وقد غشي عليه.

ولا أطنب في الحديث على المفاجع التي تلت انتصارهم. بل يكفي ان تعلم ان الميرزا نعيم امتطى جواده وأمامه وخلفه رجال حاملين المزاريق ومعلق عليها رؤوس الشهداء. وكانوا يضربون الأسرى بالسياط أو بالسيف وكانوا يزجون بالنساء في الخنادق المملوءة بالماء. وأمضين الليلة في خان شيرازي. وفي الصباح أخرجت النسوة وهن عرايا ويستهزء بهن الناس ويضربوهن بالأرجل والأحجار والعصي ويبصقون عليهن، ولما تعبوا من هذه السخرية وضعوهن في مدرسة في تلك الجهة، ومكثن فيها عشرين يوما يعانين الاهانة والسب. وكان البابيون موضوعين كل أربعة وعشرين تحت حراسة 100 عسكري لقيادتهم الى شيراز، كل عشرة من جماعة الباب معاً. وتوفى السيد مير محمد عبد من شدة البرد في خان جرد، وتوفي غيره بعد ذلك بقليل. وكانوا يقطعون رؤوسهم على الفور. وأخيرا دخلوا شيراز من باب

سعدي وساروا بهم في طول المدينة ثم وضعوهم مكبلين بالأغلال في السجن، أما النسوة فبعد حبس 20 يوما في المدرسة التي حبسوا فيها، قسموهن قسمين وأفرجوا عن فريق منهن، وأما الاخريات فأخذوهن الى شيراز مع باقي الأسرى الذين قبضوا عليهم في تلك الأثناء. وإذ وصلوا الى شيراز انقسم الركب الى قسمين. الأول، النسوة اللائي أدخلن في خان الشاه مير علي حمزة والرجال الذين انضموا الى اخوانهم في الدين في سجنهم. وكان اليوم التالي يوم عيد عام. وكان الحاكم ومعه جميع أعيان مدينة شيراز وعظماؤها قد أحضر الأسرى أمامه، وكان عنده شخص نيريزي اسمه جلال وكان نعيم يسميه بلبل، وهو مكلف ان يتعرف على البابيين. وأول بابي ظهر أمامهم كان اسمه الملا عبد الحسين، فأمروه بلعن الباب، فامتنع، وإذا برأسه تدور على الأرض. ثم جاء الحاجي ابن أصغر وعلي جرم سيري وحسين بن هادي خيري وصادق بن صالح ومحمد بن محسن وجميعهم قتلوا. واطلق سراح النسوة وأعيد بقية الرجال للسجن. ولما طلب الشاه الأسرى، أرسل له 73 نفرا منهم الى طهران. وتوفي منهم اثنان وعشرون، ومن بينهم الملا عبد الحسين توفي في سايدان وعلي بن كربلائي زمان في آباده وأكبر بن كربلائي محمد من قناره وحسن بن عبد الوهاب والملا علي اكبر من اصفهان وكربلائي باقر بن محمد زمان وحسن وأخوه ذو الفقار وكربلائي نقي وابنه علي وولي خان وملا كريم واكبر رئيس وغلام علي بن بير محمد ونقي ومحمد علي بن محمد، وقضوا نحبهم أثناء الطريق. ووصل الباقون الى طهران، وفي نفس اليوم الذي وصلوا فيه قتلوا منهم خمسة عشر ومنهم أقا سيد علي وكربلائي رجب الحلاق وهو الذي تركوه ظناً منهم انه توفي، وصفي الدين وسليمان ابن ك سلمان وجعفر ومراد خيري وحسين وابن ك باقر وميرزا ابو الحسن وابن ميرزا تقي وملا محمد علي ابن أقا مهدي، وتوفي ثلاثة وعشرون شخصا في السجن وأفرج عن ثلاثة عشر بعد سجن ثلاث سنوات، ولم يبق في طهران سوى كربلائي زين العابدين، وهذا توفي بعد قليل من الزمن. (من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة 421-424).

وكان مضطهدوهم بعد ان قبضوا على الرجال وقتلوهم، قتلوا أيضا أربعين سيدة ومعهن أطفالهن بالطريقة الآتية:- وضعوهن في مغارة وجمعوا أخشابا وأحطابا في وسط

المغارة وصبوا عليها النفط ثم أشعلوا فيها النيران. وأحد الذين نفذوا هذه الطريقة قال: ذهبت بعد يومين أو ثلاثة وصعدت الجبل وخلعت باب المغارة ورأيت ان النيران بعد ان خمدت صارت كومة من الرماد، ورأيت النسوة جميعهن جالسات كل منهن في ركن ويحملن أطفالهن في حجورهن وقد قعدن حول دائرة بنفس الكيفية التي تركناهن عليها، وبعضهن قد سقطت رؤوسهن عل ركبهن من الأسى والحزن واليأس، وكلهن حافظات لشكلهن الأول. فلما دخلت ورأيتهن على هذه الكيفية امتلأت منهن رعبا، فرأيتهن قد احترقن جميعا وأصبحن رمادا، ولكنهن لم يتحركن من أماكنهن حتى يسقطن رمادا. وبمجرد ان لمست أجسادهن سقطت رمادا. ولما رأينا هذا المنظر تأسفنا جميعا على ما فعلنا. ولكن ماذا ينفع الندم. (التاريخ الجديد صحيفة 128-131).

ومؤلف التاريخ الجديد في سرده لهذه الرواية أشار الى كيفية انطباق البشارات على هذه الحوادث حرفيا ومنها النبوة المذكورة في الحديث الدال على علامات ظهور المهدي وهو (عليه كمال موسى وعيسى وصبر أيوب، فتذل أولياؤه في زمانه وتتهادى رؤوسهم كما تتهادى رؤوس الترك والديلم، فيقتلون ويحرقون ويكونون خائفين مرعوبين، وتصبغ الأرض بدمائهم ويفشو الويل والرنة في نسائهم. أولئك أوليائي حقاً). وهذا الحديث المسمى بحديث جابر منقول من كتاب الكافي أحد مجاميع الحديث المعتبرة عند الشيعة وقد ذكر هذا الحديث في الايقان.

وعندما كنت في يزد في صيف سنة 1888 تعرفت ببابي له مركز مهم نوعا في الحكومة، وكان من آبائه اثنان ممن لعبوا دورا مهما في اخماد ثورة نيريز. ومما أخبرني به وكتبته في مذكراتي في يوم 18 مايو سنة 1888 قال:- ان جدي لأمي مهر علي خان شجاع الملك وعمي الكبير ميرزا نعيم، كانا ممن اشتركوا فعلا في حرب نيريز. ولما جاءت الأوامر لشيراز لقمع الثورة، صدر الأمر الى جدي بأن يقود الفرقة التي أرسلت لهذا الغرض. وما كان راغبا في المأمورية التي عهد إليه بها، واتصل باثنين من العلماء اللذين أكدا له ان الحرب التي سيقوم بها هي عمل مقدس توافق عليه الشريعة، وانه سوف يجازى عليه في الجنة، فذهب بناء على ذلك وحصل ما حصل. وبعد ان قتلوا سبعمائة وخمسين شخصا

وأسروا النساء والأطفال، خلعوا عنهم ملابسهم وعروهم وأركبوهم على الحمير والبغال والجمال وساروا بهم وسط صفوف من رؤوس آبائهم واخوتهم وأبنائهم وأزواجهم التي قطعت من الجثث في طريقهم الى شيراز. ولما وصلوا وضعوهم في خان خارج باب اصفهان وفي مقابل مقام الإمام زاده. وكان القابضون عليهم قد عسكروا تحت بعض الأشجار قريبا منهم. فمكثوا هناك مدة من الزمن مستطيلة، وكانوا فيها موضع الاهانة والشتم والمتاعب، وتوفي كثير منهم. والآن انظر قصاص الله الذي وقع على الظالمين. فان كل واحد من الذين كانوا مسئولين عن هذا التعذيب، كانت له آخرة سيئة جداً ومات في كرب شديد ومصائب جمة. ووقع جدي مهر علي خان مريضا وصار أصم لا يسمع شيئا حتى توفي. وفي الوقت الذي كان يفارق فيه الحياة، لاحظ الذين حوله انه يحرك شفتيه كمن يقول شيئا، فأصغوا له وأمالوا آذانهم، فسمعوه يقول بصوت خافت (بابي.. بابي.. بابي..) ثلاث مرات ثم سكت. أما عمي الكبير ميرزا نعيم، فقد غضبت عليه الحكومة وتغرم مرتين، وكانت الغرامة عشرة آلاف تومان في المرة الأولى، وخمسة عشر ألف تومان في المرة الثانية. ولم يقف العقاب عند ذلك، بل حكم عليه بان يقاسي تعذيبا كبيرا، فوضعت أولا أيديه في (الألشبك) وهي آلة تعذيب توضع فيها الأصابع بين قطع خشبية ويضغط عليها بالحبال. ثم يصب على الحبال ماء بارد ليحصل لها انكماش ويزاد الضغط على الأصابع، ثم وضعت رجلاه في "تنك قاجار"، وهو آلة تعذيب تسمى (ضغط القاجار) تشبه الحذاء الذي كان يستعمل في انجلترا يوما ما وسمي باسم الدولة التي أحدثته في إيران وهي الدولة الحالية. ثم أوقف في الشمس عاري الرأس وصب على رأسه العسل لجلب الذباب عليه، وبعد تعذيبه بهذه الأنواع وغيرها مما هو أقسى وأذل، طرد من الخدمة ذليلا مسكينا وأصبح رجلا منبوذا لا يملك شروى نقير. (من كتاب مقالة سائح حاشية هـ صحيفة 191-193).

(31) عبد البهاء.

(32) بهية خانم، الورقة العليا، أخت عبد البهاء، وكانت طفلة عمرها 7 سنوات عندما رافقت المنفيين.

(33) 12 يناير سنة 1853 ميلادية.

الخاتمة

ولم يكن في وقت من الأوقات قد هبطت حالة الأمر الجديد بمثل ما انحطت عندما نفي حضرة بهاءالله من موطنه الى العراق، وكان الأمر الذي فداه حضرة الباب بحياته، والذي تألم وتحمل المشاق من أجله حضرة بهاءالله على شفا الانهيار. وظهر ان قوته تلاشت وان شوكته اقتلعت وتتابعت المصائب وتوالت المحن والرزايا بشدة تفوق ما سبق وكانت كل واحدة تتلو الأخرى بسرعة مروعة، حتى اجتاحت بما لم يخطر على بال أقوى الأنصار وخيبت فيهم الرجاء وأضاعت منهم الأمل. والذي يقرأ صفحات تاريخ "نبيل" قراءة سطحية، يرى ان الرواية من أولها عبارة عن ذكريات فجائع ومذابح ونكبات وبوائق، كل منها أشد وأنكى من سابقتها وانتهت جميعها بنفي حضرة بهاءالله من موطنه.

أما القارئ الغير المتدين الذي لا يريد الاعتراف بالقوة السماوية التي تجلت في هذا الأمر، فانه يرى ان المحور الذي تدور عليه فكرته الأساسية في نظر المؤلف قد تلاشى، لأن عمل حضرة الباب الذي كان جليلا في الأنظار والذي تعاون عليه الأبطال، قد تضعضعت قواته وانحلت عراه وانتابته الفجائع. ولمثل هذا القارئ، تكون حياة هذا الشاب الشيرازي قد انتهت بصفقة المغبون، وان النكبات التي أصابت أمره والنوائب التي قوّضت أركانه جعلته في النهاية عديم الجدوى فاقد الثمرة، بحيث كان نصيبه أسوأ حظ كتب لإنسان في العالم، وكانت تلك الحياة القصيرة المدى المفعمة بحوادث البطولة قد لمعت كالبرق الخاطف فوق سماء إيران، ثم نزل ذلك النور الذي كان الناس ينتظرونه بشوق للخلاص الأبدي في غياهب الظلمات التي أحاطت تلك المملكة وانغمس في هاوية داجية من اليأس.

وكانت كل حركة يقوم بها ذلك الشاب وكل جهد ينهض به لا يزيد إلا في الأحزان والبوائق التي أنّت روحه تحت أثقالها. وكان التدبير الذي عمله في مطلع حياته بتجسيم دعوته وإعلانها أمام الجميع في مدن مكة والمدينة المقدسة، لم يثمر بما كان يؤمله. وكان شريف مكة الذي أمر حضرة الباب ان يبلغه جناب القدوس الرسالة، قد قابله ببرود تام وعدم اكتراث، مما ظهر منه عدم مبالاة حاكم الحجاز وحارس الكعبة بذلك الشاب الشيرازي واحتقاره لأمره. كذلك ضاع أمله فيما تصوره من رجوعه منصورا من زيارة مدائن كربلاء والنجف وتأسيس أمره في تلك البلاد المقدسة التي هي معقل الشيعة، وكذلك لم يتهيأ له إكمال تنفيذ الخطة التي رسمها في تعيين التسعة عشر تلميذا، والحكمة

التـي أمـرهم بهـا فـي التبليـغ تناسـاها المبلغـون الأولـون بسـبب حميـتهم وشـدة حماسهم، فساعد ذلك لدرجة كبيرة في هبوط الآمال التي صرف لتحقيقها عنايته ومحبته.

وكان المعتمد، ذلك الحاكم العاقل الحكيم الذي درأ عنه الخطر الذي هدد حياتـه والـذي أظهـر مـن الكفـاءة والاسـتعداد لتقديم الخـدمات الجليلـة مـا ينـدر وقوعه من أمثاله المعتدلين، قد عاجلته المنية واختطفته من أمام وجهه وتركته لرحمـة ذلك القاسـي العاتي جورجين خـان أبغض وأفظـع كل أعدائـه. والفرصـة الوحيدة التـي كانـت مهيـأة لحضـرة البـاب لمقابلـة محمد شـاه تلك المقابلـة التـي طلبها بنفسه، والتي علّق عليها أكبر الآمال قد ضاعت وتصرمت من تداخل الفاسق الجبان حاجي ميرزا أقاسي، الذي كانت فرائصه ترتعد خوفا من ان تلك المقابلـة مـع الشـاه الـذي ظهـرت منـه بـوادر الميـل للأمـر تضـرّ بمصـالحه أو تقضـي عليهـا. أمـا الجهـود التـي بـذلها اثنـان مـن تلاميـذه وهمـا المـلا علـي البسطامي والشيخ سعيد الهندي لنشر الأمر، الأول في بلاد الترك والثاني في الهند كما أوصاهما بذلك حضرة الباب، فلم تأت بنتيجة، وانتهت بالفشل التام. وقد انهدمت آمال الأول في ابتداء الحال باستشهاده بكل قسوة، وكانت نتيجة الآخر ضئيلة حيث لم يقبل الأمر بسببه سوى سيد كانت آخر خدماته ما لاقاه مـن الصـدمات فـي لارسـتان بعمـل الشـقي الخـائن الـدريم ميـرزا. وكـان سـجن حضـرة البـاب الـذي حكـم بـه عليـه وقضـى معظـم سـني رسـالته فيـه وعزلتـه فـي جبـال وحصـون آذربيجـان، وفصـله عـن جميـع أتباعـه الـذين قاسـوا الشـدائد مـن العدو المفترس، وفوق ذاك مأساة استشهاده المفجعة القاسية المهينة، كل ذلك

على ما يظهر قد انزل مثل هذا الأمر المتشامخ الخطير من أول نشأته الى أدنى درجات الذلة. وكانت وفاته التي اختتمت بها مهمته في الحياة التي مرت بسرعة البرق واحيطت بالعواصف قد أظهرت الأمر بمظهر اليأس والقنوط.

وبقدر الويلات التي أصابته، فان الفاجعة التي تحملها لم تكن إلا كقطرة من بحر بالنسبة للرزايا التي انهمرت على أصحابه المخلصين. وكان كأس الحزن الذي لمسه بشفته قد ارتشفه الى آخر قطرة منه كل الذين عاشوا بعده، وكانت فاجعة الشيخ طبرسي التي أفقدته أقوى أنصاره، وهما جناب القدوس والملا حسين والتي أودت بحياة ما لا يقل عن ثلثمائة وثلاثة عشر رجل من كمأة أصحابه، شبيهة بالضربة القاضية والجائحة التي نزلت به والتي أحاطت البقية الباقية من أيامه السريعة الانحدار في غشاوة من الظلام.

أما ملحمة نيريز وما فيها من الفجائع والنكبات وما آلت إليه من فقد وحيد الذي هو أعظم الرجال علما وقوة واقتدارا وأثقف أصحاب حضرة الباب، فكانت ضربة أخرى قاضية على معالم الأمر ومن بقي من الاتباع حاملا للوائه في يده. وأما حصار زنجان الذي لحق كارثة نيريز وما كان فيها من المذابح والمجازر التي تبقى للأبد ملتصقة باسم ذلك الإقليم، فقد أودت بحياة من بقي من صفوف المؤمنين وحرمتهم من القوة المحيية التي كان ينفثها فيهم الحجة. وبوفاته ذهبت آخر شخصية بارزة من بين قوّاد الأمر الذين ارتفعوا عن باقي المؤمنين بسلطتهم الدينية وعلمهم وبسالتهم وقوة أخلاقهم. وحصدت زهرة أتباع حضرة الباب في مذبحة قاسية تاركة خلفها جماعة كبيرة من النسوة الأسارى والأطفال الذين كانوا يئنون ويرزحون تحت قسوة عدو جامح. وكان رؤساؤهم

الذين يغذّون ويوقدون تلك الشعلة في قلوب الأتباع الأبطال بعلمهم، قد قضوا نحبهم وتركت أعمالهم وسط الاضطراب الذي عم هذه الفئة المنكوبة.

ولم يبق من بين الذين كانوا قادرين على إجراء العمل الذي تركه حضرة الباب لأتباعه، سوى حضرة بهاءالله[1]. وأما الباقون فقد سقطوا بحد سيف الأعداء. أما ميرزا يحيى الرئيس الاسمي الذي عاش بعد حضرة الباب، ففر الى رؤوس جبال مازندران مخزيا هاربا من المهالك التي اقترنت بالانقلاب السائد في العاصمة، وهجر أصحابه ولبس لباس الدراويش وأمسك بيده الكشكول[2] وفرّ من موارد المهالك الى غابات جيلان. وأما السيد حسين كاتب وحي حضرة الباب وميرزا أحمد مساعده اللذين كانا متفقهين في تعاليم الأمر ومضامين كتاب البيان الموحى به، وكانا بسبب صحبتهما مع مولاهما واطلاعهما على أحكام دينه في مركز يسمح لهما ان يدعما التأسيسات الأمرية وينيرا أفهام الأتباع، فقد حبسا في سياه چال في طهران وقيدا بالأغلال وانفصلا عن جسم الأحباء الذين كانوا يرغبون في الاسترشاد منهما ومساعدتهما ومعاونتهما، وأخيرا لقيا حتفهما باستشهاد قاس. وفضلا عن ان خال حضرة الباب الذي كان يكفله منذ طفولته بعناية أبوية قل ان يظهر مثلها في الآباء، والذي أسدى له المعاونة والمناصرة في الأيام الأولى أثناء تألمه في شيراز، والذي كان قادرا على شد أزر الأمر لو كان قد سمح له بالبقاء بضع سنوات، كمد في سجنه وترك منسيا لا أمل له في استمرار العمل الذي كان محبوباً إليه من كل قلبه.

أما الطاهرة تلك المثال المشتعل للأمر التي كان يظهر عليها القدرة لاستمالة جميع نسوة إيران لأمر محبوبها، بسبب إيمانها الجريء وحماسها المتوهج وعلمها الواسع وشجاعتها التي لا تقهر وخلقها المتين، فإنها ويا للأسف وقعت فريسة لغضب عدو مفترس في الساعة التي كان قد آن فيها أوان انتصارها، وكان عملها الذي أوقف قبل أوان اتمامه قد ظهر بأنه انمحقت آثاره كلية في أعين الذين أنزلوها في البئر التي أعدت لدفنها. أما باقي حروف الحيّ فقد هلكوا بحد السيف أو كبلوا بالحديد في السجون أو بقوا في أقصى ركن من أركان المملكة يعيشون بحياة غامضة. كذلك لاقت معظم كتابات حضرة الباب الوفيرة العدد نصيبا لا يقل في الامتهان من نصيب الأصحاب ومحي الكثير من كتاباته الجليلة بالكلية، وكذلك أحرق البعض وصار طعمة للنيران، والبعض حرّفه الأعداء والكثير أخذه العدو والباقي منها كان عبارة عن بعض مخطوطات غير مرتبة ولا منقطة ومخفية ومبعثرة تحت أيدي البقية الباقية التي نجت من الأصحاب.

وكان أمر السيّد الباب الذي ضحى كل شيء في سبيله قد وصل الى أدنى درجات افوله وهبوطه والتهمت النيران التي اشتعلت حوله جميع الأسس التي كان يتوقف عليها وجوده، وكأن أجنحة الموت كانت ترفرف عليه مهددة باقتلاع أرومته واستئصال شأفته. وفي وسط الغياهب التي كانت تلتف حوله وتحيط به بسرعة، أضاء هيكل حضرة بهاءالله وحده كمنقذ قدير للأمر الذي كان على شفا الادبار السريع، وكانت علائم القوة والشجاعة وحصافة الرأي والحكمة التي بدت منه مرات متوالية منذ قام لمعاونة أمر حضرة الباب، قد

أظهرته بمظهر القادر على إعادة سطوة الأمر الذي كان في حالة الاحتضار، لو انه أتيحت له الإقامة وضمنت له الحياة في إيران. ولكن شيئاً من هذا لم يكن، لأن الكارثة التي لم يكن لها مثيل في جميع تاريخ هذا الأمر، قد جلبت اضطهاد أقسى من كل ما سبق حصوله، وجرّت في ذيلها شخص حضرة بهاءالله نفسه. فتحطمت وسط الاضطرابات الناشئة تلك الآمال الضعيفة التي كان بقية الأحباء يتعلقون بها، لأن حضرة بهاءالله الذي كان مطمح آمالهم وثقتهم الوحيد قد سطت عليه تلك العاصفة واجتاحته بشدتها، حتى أصبح من المحال عليه الخلاص من بأسها. فبعد أن جرّد من جميع أملاكه في نور وطهران، أتهم بأنه هو المحرك الأول للتعدي الفظيع على حياة مليكه، وزجّ في سرداب مظلم موبوء متروكا من الأقارب ومحتقراً من أصحابه الأولين والمعجبين به. وأخيرا نفي مع أعضاء أسرته خارج حدود موطنه، فانقرضت بذلك جميع الآمال التي تجمعت حوله من انه سيكون المعيد لذلك الدين المنكوب.

ولا عجب إذا كان ناصر الدين شاه الذي كانت تقع هذه النوائب أمام عينيه وبنفوذه، فخوراً بأنه بدد هذا الأمر الذي كان يحاربه على الدوام، والذي تمكن أخيرا من محوه بحسب الظاهر. ولا غرابة إذا ظن وهو جالس يفكر في الأدوار المتتابعة التي مرت على هذه التدابير الدموية الواسعة، بأنه بإمضائه أمر نفي حضرة بهاءالله، قد دق ناقوس النعي لهذه البدعة الكريهة التي أزعجت قلوب رعاياه إزعاجا مراً. وظهر لناصر الدين شاه في تلك اللحظة الفريدة، إن سحر هذا الانزعاج قد انفصمت عراه وان التيار الذي جرف على مملكته، قد

تحول وزال وأعاد الى رعاياه الأمان والطمأنينة التي كان ينشدها. وانه ما دام قد قضى نحب حضرة الباب وما دام قد هدمت الأعمدة التي كان أمره يستند عليها، وانه ما دام قد ذعر وانقرض جميع من كان يخلص له في طول البلاد وعرضها، وانه ما دام حضرة بهاءالله الذي هو الأمل الوحيد الباقي لفئة لا قائد لها، قد نفي واختار الالتجاء الى معقل الشيعة مركز التعصب في البلاد المتاخمة، فقد زال من وجهه الى الأبد ذلك الشبح المخيف الذي كان يخشاه منذ تولي العرش. ولم يكن يتصور انه بعد ذلك يعود يسمع بهذه الحركة التي يمقتها والتي ظن أنها سقطت هاوية الهوان والنسيان[3] حسبما أشار به عليه أكبر مستشاريه.

وكانت شدة الإهانات التي وقعت على الأمر، قد جعلت البقية الباقية عدا القليل من الأحباء يظنون وهم يتسلقون الجبال التي على حدود العراق[4] المغطاة بالثلوج في زمهرير الشتاء، ان أمر حضرة الباب قد خاب في مسعاه وقصده، وان جنود الظلام قد أحاطته من جميع الجهات وانتصرت عليه في النهاية، وانها قد أطفأت ذلك النور الذي أشعله ذلك الشاب والرئيس البهي الأعلى في بلاده.

وعلى كل حال، ففي نظر ناصر الدين شاه كانت تلك القوة التي كادت تجرف كل سلطته في مملكته، قد زالت وخضع لجوائحه وسطوات سيفه ذلك الأمر المنحوس الطالع وانتابته النوائب والبوائق بشدة فائقة معروفة. وإذ تخلص من لعنتها التي كادت تسلبه هناءه وراحته ونومه في كثير من الليالي، أراد ان يلتفت بهمة فائقة الى تخليص بلاده من آثار التخريب الذي جاءت به هذه

الضلالة الواسعة. وكان يعتقد ان مهمته في الحياة هي ضم شمل الحكومة والسلطات الدينية ورأب صدعهما وتوحيد أسسهما وتقوية صفوفهما حتى لا تؤدي مثل هذه الضلالات في المستقبل الى تسميم أفكار رعيته.

فذهبت تصوراته أدراج الرياح وأصبحت توهماته عبثا محالا. فالأمر الذي ظن انه قد انفصمت عراه وتهدمت أركانه، كان لا يزال حياً وقدر له ان يطلع من وسط القوارع والزعازع أقوى ظهراً وأطهر عرقاً وأنبل شرفاً الى أبد الآبدين. فالأمر الذي كان في ظن ذلك الملك الأحمق مشرفاً على الزوال والدمار، بدأ في اجتياز امتحانات نارية مضطربة والخروج منها سالماً في طريقه الى ما قدّر له من نصيب موفور. فانكشف في تاريخه فصل جديد أبهى مما ظهر في نشأته، فلم يكن ذلك القمع الذي ظنه ذلك الملك مبيداً للأمر سوى دور ابتدائي للتطور الذي كان نصيبه ان يزهر عند تمام الوقت الى وحي أقوى مما دعا له حضرة الباب. وتلك البذرة التي وضعتها يده، نمت وترعرعت، ولو انها خضعت وقتاً ما الى هيجان عاصفة من أنكى ما عرف في التاريخ. ورغما عن انها نقلت الى أرض أجنبية، فانها استمرت تنمو وتنشأ في الوقت الملائم شجرة باسقة تظل في ظلها الوارف جميع أهل الأرض. ورغما عن ان تلاميذ حضرة الباب قد قتلوا وعذبوا، وان أصحابه أهينوا ومحقوا، وان أتباعه نقصوا في العدد، وان صوت الحق قد خنقه يراع الظلم والقسوة، وان اليأس قد تطرق الى قلوب أهل الايمان، ورغما عن ان البعض من المدافعين عن الأمر ارتدوا عن الايمان، فان كل هذه العوامل لم تقدر على منع بروز ما أكنته أصداف القدرة

الإلهية، فلم ينجح الأعداء في ضياع آثار الموعود ولم تقدر أي قوة أن تقف في سبيل إنبات بذره ونمو شجرته.

حقاً ان بوارق مطالع الوحي الذي أقر حضرة الباب نفسه أنه البشير بظهورها ونادى مرارا بقرب تحققها[5] يمكن إدراكها من القوة التي ظهرت من حضرة بهاءالله من وسط الظلام في سياه چال في طهران[6] وان تلك القوة التي قدّر لها ان تنشأ وتنمو من ذلك الوحي الخطير الذي ابتدأه حضرة الباب والتي بسطت كل بهائها فيما غبر من الأيام، كانت تنبض في عروق حضرة بهاءالله وهو في سجنه معرض لنزول سيف الجلاد عليه. وكان هناك صوت خفي نادى المسجون بالوحي واختاره ان يكون مبلغه، ولم يطرق ذلك الصوت سمع الملك الذي كان يستعد للاحتفال بقطع دابر الأمر الذي كان يؤيده ذلك المسجون. وأما الحبس الذي ظن انه وصمة عار لحضرة بهاءالله واعتبره مقدمة لنفي مهين للعراق، فقد كان من أعظم مؤيدات الدعوة الجديدة التي ظهرت منه، وهي التي أعلنت أولا في مدينة بغداد ثم من بعدها في مدينة السجن في عكا، ومنها أرسل تلك الدعوة الى الشاه فضلا عن باقي ملوك ورؤساء العالم المتوجين.

وما كان ناصر الدين شاه ليخطر له على بال انه بالحكم الذي أصدره بنفي حضرة بهاءالله قد[7] نفذ إرادة الله وكشف الستار عن مشيئته التي لا تقهر، وانه لم يكن سوى آلة لتنفيذ وعده، وما كان ينتظر انه في أواخر أيام حكمه يشاهد ان الأمر الذي بذل جهده الجهيد في محوه ومحقه، قد عاد مرة أخرى للحياة بنهضة لم يكن يعتقد وجودها حتى في أظلم ساعات يأسه، ولم يقتصر

حصول هذا التنكيس وعودة الحياة الى الأمر على بلاده فقط، بل انتشر في الممالك المجاورة كالعراق وروسيا ووصل الى الهند[8] في الشرق ومصر وتركيا وأوروبا في الغرب، على شأن لم يكن ينتظر حصوله أبداً، حتى كان ذلك سببا لانتباهه من نومه الذي كان يغط فيه. وظهر له كأنما أمر حضرة الباب قد بعث من مرقده وظهر مجددا بشكل أثبت وأقوى من ظهوره السابق. ولم يكن يعمل حسابا لذلك العامل الجديد الذي هو شخص حضرة بهاءالله ولم يتصور في يوم من الأيام ظهور تلك القوة الباطنية للأمر الذي يمثله والتي ينصر بها أمر حضرة الباب. وكان من بين العوامل العديدة التي أظهرت للشاه ان الأمر الجديد لا يمكن أن يقهر، تلك السرعة المدهشة التي استيقظ بها الأمر ونشط من عقاله داخل مملكته وما كان من انتشاره في الممالك خارج حدود إيران، وكذلك الدعاوى الخطيرة التي قام باعلانها حضرة بهاء الله وسط المعقل الذي قد اختاره لسكناه، ومن إشهاره لها علنا في تركية أوربا واثباتها في الألواح المرسلة الى الرؤوس المتوجة في جميع الأرض، ومنها لوح كان من نصيب الشاه نفسه ووصل إليه. والحماس الذي أشعله ذلك الإعلان في قلوب الأتباع الذين لا عدد لهم، ونقل مركز الأمر الى الأرض المقدسة، والافراج التدريجي عن سجنه الذي وقع في آخر أيام حياته، ورفع المنع الحاصل من سلطات تركيا بخصوص مقابلته للزائرين، واسراع الزائرين والحجاج الذين أتوا من مختلف جهات الشرق لسجنه، وايقاظ روح البحث بين مفكري الغرب، وتشتيت القوى التي اجتهدت في التفريق بين صفوف الأتباع، والنصيب الذي لاقاه رئيس عصبتها. وفوق ذلك سموّ تلك التعاليم التي ظهرت في كتاباته المنتشرة

والتي ذاعت وتعلمها عدد لا يحصى من الأتباع في تركستان روسيا والعراق والهند وسوريا وجميع البلاد لغاية تركية أوروبا. فعلم ان محاولات قهره قد ذهبت أدراج الرياح بعد ان كان قد اعتقد بنفسه انه قضى على الأمر الجديد. وظهر له فشل محاولاته على عكس ما كان يتوقعه ومهما اجتهد في إخفاء احساساته. وكان أمر حضرة الباب الذي شاهد بنفسه ولادته وما حل به من النوائب، قد ولد مرة أخرى كأنه العنقاء التي تتولد من رماد احتراقها، وشاهده يقوم ويسير في الطريق الذي يؤدي الى الغاية التي ليس وراؤها غاية[9] مما لم يكن يحلم بحصوله.

وما كان نبيل يتصور انه في ظرف أربعين سنة من كتابة هذا التاريخ، يسير أمر حضرة بهاءالله الذي هو زهرة وثمرة أديان العالم ويتقدم في طريقه الى الاعتراف العالمي والنصرة الى هذا الحد. بل ما كان يظن انه في ظرف تلك الأربعين سنة التي مضت من صعود حضرة بهاءالله، يخترق أمره سمع أقصى مدن العالم بعد ان تجاوز حدود إيران والشرق وأحاط جميع الأرض، وقليلا ما كان يعتقد ان علَم الأمر سيرتفع في وسط قارة أمريكا، وان جميع عواصم أوروبا يشعرون به، وانه سيصل الى أقصى حدود أفريقيا جنوبا، وانه سيتجه الى تأسيس مراكزه في استراليا. وأبعد من ذلك، ان يتصور في فكره الذي امتلأ باعتقاد حازم عن مآل الأمر، تلك الكيفية التي صار إليها ضريح بقاياه ورفاته (حضرة الباب) التي باعترافه لم يكن يعلم عن مصيرها شيئا، وكذلك عن أمر دفنها في جوف جبل الكرمل منارة النور للزائرين والحجاج العديدين الحاضرين من أطراف الأرض. وما كان ليتصور ان بيت حضرة بهاءالله الذي يقع في

وسط الأزقة الملتوية في بغداد القديمة، يكون موضع مناقشات ومفاوضات من القوات الأوروبية الرئيسية بسبب مكائد العدو الساهر، حتى أصبح بذلك موضع نظرهم واهتمامهم. وما كان أيضا ليظن (نبيل) رغما عما امتدح به الغصن الأعظم في تاريخه، ان تظهر منه (حضرة عبد البهاء) قوة يوقظ بها ولايات أمريكا الشمالية ويعدها الى تفهم عظمة الأمر الذي خلّفه له والده حضرة بهاءالله. وما كان ليظن ان الأسر الملكية التي قاومت الأمر بالظلم الذي يصفه في تاريخه ببراعة تامة، قد تضعضعت قواها وانتثر عقد نظامها وتهدم بنيانها وأصابتها البوائق التي بذل رؤساؤها الجهد لايقاعها بخصومهم. وما كان ليظن ان تلك الطغمة الدينية التي كانت في بلاده المحرك الأول والعامل على الفساد والإهانات المتوقعة على دينه، قد سقطت وسرعان ما انخذلت وانحلت بنفس القوة التي بذلت وسعها في قمعها. وما كان ليعتقد ان أعظم أنظمة أهل السنة في الإسلام وهما السلطنة والخلافة[10] والهيئتان التوأمتان اللتان طغتا على دين حضرة بهاءالله وظلمتاه، قد محيتا ومحقتا بلا رحمة بنفس أيدي حماة الإسلام. وما كان يدور بخلده ان قوات الإدارة البهائية تتقدم جنبا لجنب مع انتشار أمر حضرة بهاءالله، لتهيئ للعالم نظاما اجتماعيا عالميا في تشعبه متحدا في أغراضه ومتسقا في مجهوداته ومشتعلا بالحماس والحمية التي لا تقدر أي قوة معادية على إطفائها.

ومع ذلك فما يدرينا ما يكون باقيا لأمر حضرة بهاءالله من الأعمال العظيمة التي تفوق كل ما سبق ومخزونا للذين تسلموا هذا الميراث العظيم. وما يدرينا انه لا يبرز من وسط الاضطراب الحالي الذي يهز وجه الحياة

الاجتماعية نظام حضرة بهاءالله العالمي بأسرع مما هو في الحسبان. ذلك النظام الذي لا يدركه إجمالا سوى الجماعات العالمية الذين اتبعوه والذين يشتغلون باسمه. فكما كانت الأعمال السالفة عظيمة ومدهشة، كذلك الوعد بظهور ومجيء مجد العصر الذهبي الذي هو الآن مكنون في أصداف عبارات حضرة بهاءالله الخالدة، سوف يظهر فيما بعد. ومهما كانت قسوة قوات الظلام التي ستهجم وتتعدى على الأمر، ومهما امتدت تلك المشاحنات واشتدت، ومهما يكن من المعاكسات والنوائب التي تنتاب الأمر وهي متحدة، فان سموه ورفعته ستصل الى درجة لم ينلها أي دين في تواريخ العالم. ويتحقق اتحاد أمم الشرق والغرب الذي تغنى بذكره الشعراء والوعد به الذي هو لبّ الأمر البهائي والاعتراف بشريعته التي هي العروة الوثقى التي لا انفصام لها لاتحاد واجتماع أمم الأرض واعلان حكم السلام الأعظم، كل ذلك من ضمن صحائف التاريخ المجيد التي سيكشفها ويظهرها أمر حضرة بهاءالله.

وما يدرينا ان النصر الذي لا حد له في مجده وبهائه مخزون لأتباع حضرة بهاءالله العاملين. فنحن والحق يقال، قد وقفنا بالقرب من ذلك الصرح الفخيم الذي شيدته يد قدرته، وفي هذا الدور من التطور المستمر في دينه، يمكننا ان نفهم عظمة هذا المجد الموعود. وان تاريخ الأمر السالف الملطخ بدماء ما لا يحصى من الشهداء، سوف يبعث فينا الفكرة القائلة : انه مهما يصيب هذا الأمر من الكوارث، ومهما كانت القوات التي تعمل على مهاجمته شديدة البأس، ومهما تعددت البوائح والجوائح التي ستنتابه، فان تقدم سيره لا

يمكن ان يوقف بحال وانه سيستمر على التقدم الى ان يتحقق آخر وعد مكنون من كلمات حضرة بهاءالله.

الحواشي

(1) وقد أورد ميرزا أبو الفضائل في كتاب الفرائد (صحيفة 50–51) الحديث الآتي المعترف به كحديث صحيح، والذي أورده السيد عبد الوهاب الشعراني في كتابه المسمى "اليواقيت والجواهر" قال (وجميعهم أي وزراء المهدي يقتلون ما عدا واحد منهم ينزل بمرج عكا في المأدبة الإلهية). وقد أورد الشيخ ابن العربي الحديث بأكمله في كتاب الفتوحات المكية.

(2) الكشكول هو إناء على شكل جوزة الهند ومعلق بسلسلتين من الأربع جوانب لتكون حاملا له، ويستعملها الدراويش للاستجداء. (من مقالة سائح صحيفة 51 حاشية 3).

(3) يا صاحب السعادة – انه بعد تنفيذ تلك الإجراءات من جانب الحكومة الإيرانية لمحو واستئصال شأفة الطائفة الضالة المضلة . البابية . التي اطلعتم سعادتكم على تفاصيلها

(وفي ذلك إشارة الى الاضطهاد العظيم الذي وقع على البابيين في طهران في صيف سنة 1852) فالحمد لله بعون وعناية الأمر الملكي لصاحب الجلالة القدير الذي هو معدود في مصاف جمشيد حامي حمى الدين الحق، أرواحنا له الفداء، قد اقتلعت جذورهم. (مختصر من خطاب أرسله ميرزا سعيد خان وزير خارجية إيران الى سفير إيران في اسلامبول تاريخه 12 ذي الحجة سنة 1278هـ) "10 مايو سنة 1862م"، وقد أورد صورته وترجمته المستر براون في كتاب مستندات لدراسة الديانة البابية صحيفة 283).

(4) وقد كان سفرا مخيفا في الجبال الوعرة، وقاسى المسافرون كثيرا. (كتاب ت.ك. جيني اتحاد الأقوام والأديان صحيفة 131).

(5) ويقابل ثباته العظيم في ادعاء السلطة الإلهية اقراره على ان أمره لم يكن نهائيا. وقد شعر بمقدرته على إكمال الدعوة وعلى زيادة اتساع نطاقها، ولكنه أشار بكل تأكيد على انه لم يكملها وإنها تحتاج الى وحي أكبر، وهنا تظهر عظمته. وهنا تتبين تضحيته العظيمة لأنه بذلك ضحى شهرته الشخصية بانقاصها، ولكنه أكد باستمرار مهمته ودعوته... وقرر ان الأمر الذي ابتدأه سوف يزداد وينتشر وانه لم يكن إلا حرفا من ذلك الكتاب المجيد ونقطة من ذلك المحيط اللامتناهي.. فهذا هو تواضعه البهي. فكان له تأثيره. فان أمره زاد وانتشر وله مستقبل مجيد أمامه. (من كتاب اللمعة صحيفة 210–211 للسير فرنسيس يونج هاسبند).

(6) يقول بهاءالله : وفي أثناء حبسنا في أرض الطاء (طهران) ونحن مغللون بالأغلال في سجن كريه الرائحة لم يسمح لنا بالنوم إلا قليلا، ومع ذلك أحيانا في لحظات النوم شعرت بشيء ينصب على صدري أقوى من السيل المنهمر الذي انحط من قمة جبل عال واستقر على الأرض ومنه اشتعلت جميع أعضائي، وفي تلك الأوقات نطق لساني بما لا تقدر أذن أن تسمعه. (من كتاب ابن الذئب صحيفة 17 إنجليزي).

(7) وشهد جوبينو سنة 1865م بما يأتي : ان الفكرة العامة هي ان البابية منتشرة في جميع طبقات السكان ومن بينهم جميع أصحاب الأديان عدا النصيرية والمسيحية. ولكن الطبقة المتنورة في المملكة والذين يمارسون العلوم في البلاد مشتبه فيهم جدا. وقد يظن

الناس والحق معهم ان الكثيرين من الملاوات والمجتهدين والقضاة من طبقة راقية ومن الرجال الذين يشغلون وظائف مهمة في الحكومة وخاصة في حاشية الملك هم بابيون. وطبقا للاحصاء الذي عمل حديثا، يوجد في طهران خمسة آلاف من هؤلاء المتمذهبين في كل ثمانين ألف من السكان. ولكن يظهر ان هذا الحساب لم يعمل على أساس وطيد، وأظن انه لو كان البابيون يقلون عن ذلك في أنحاء إيران، فانهم يزيدون عن ذلك في عاصمة المملكة. لأنه يجب علينا ان نضيف الى المتحمسين عدد الذين يميلون الى هذه الأحكام الجديدة وأهلها مضطهدون، والذين يحبذونها وتكون عندهم الشجاعة لاعلانها إذا رأوا نصرتها. (كتاب الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى صحيفة 251).

ولم يمض نصف قرن منذ أعلن الرائي الصغير ميرزا علي محمد دعوته في شيراز، حتى عد الآن شهداؤه بالمئات وأتباعه بمئات الألوف، وكانت في وقت ما تهدد سلطة القاجار والإسلام في إيران. وللآن ربما تكون عاملا مهما في تاريخ آسيا الغربية. (مقدمة كتاب التاريخ الجديد لبراون صحيفة 7).

وكتب البروفسور جيمس دارمستتر قال : ان البابية التي انتشرت في مدة خمس سنوات من أحد أطراف إيران الى الطرف الآخر، والتي غرقت في بحر من الدماء في سنة 1852 أي في دماء شهدائها، هي الآن تسير مترقية وتزداد يوما فيوم في الانتشار. وإذا فرض وكان لإيران حياة جديدة ونهضة، فستكون بواسطة هذا الدين الجديد. (ملخص من كتاب إيران نظرة أدبية وتاريخية ترجمة ج.ك. ناريمان).

وإذا استمرت البابية تسير في رقيها بالنسبة التي تنتشر بها الآن، فسيأتي الوقت الذي تمحو فيه الإسلام من إيران. وهذا ما لم يمكن إجراؤه لو ظهرت في مملكة أخرى معادية لإيران. ولكن بما ان المتطوعين للدين الجديد هم من نخبة عسكر الحامية التي تهاجمها، فانه يغلب على الظن انها ستتغلب في النهاية. وكل من هو مطلع على أخلاق الإيرانيين الذين هم غالبا يخضعون للمشاعر الدينية، يعلم كم من الناس من الطبقات المختلفة تنجح فيهم الدعوة. فالصوفية أو الباطنية يعتقدون انه لابد من وجود شيخ أو نبي ظاهراً في الجسد، وأغلبهم يندمج بسهولة في الدين البابي الجديد. حتى ان المسلمين المتمسكين بالدين

دائماً ينتظرون ظهور الإمام الموعود، وهم مسوقون باقتناع تام، بأن المهدي أما ان يكون الباب أو البهاء تبعا لتنبؤات القرآن والأحاديث. وطهارة حياة الباب وآلامه وموته المهين وشجاعته واستشهاد أتباعه، سيكون لها أثرها في تبليغ الذين لا يوجد لهم مثل حوادثها في مدونات الإسلام المعاصرة. (من كتاب اللورد كرزون إيران والمسألة الإيرانية الجزء الأول صحيفة 503).

وقد عالج المؤلف في نفس الفصل آمال المرسلين المسيحيين في إيران بقوله : ان إيران كانت معدودة من أحسن البلاد استعدادا لأعمال المبشرين في الشرق، ورغما عما هو حاصل فيها من العمل المجيد من ممثلي الإرساليات الإنجليزية والفرنساوية والامريكية في تلك المملكة وعن انتشار التعليم فيها ومظاهر توزيع الصدقات والمساعدات الطبية التي لا تكل ولا تمل، فاني لا أؤمل في حصول اضطراب يحصل فيه سفك الدماء مثل هذا في المستقبل. وليس الغرض من قولي هذا تثبيط همم القائمين على هذه المساعدات الخيرية. (نفس المصدر السابق صحيفة 504).

.. وفي إيران الاختلافات المذهبية الحاصلة في شيع المسيحيين أنفسهم تقوم حجر عثرة في سبيل المبشرين. وليس أبعد للمسلمين من دعوتهم للدخول في أحزاب مسيحية مختلفة قائمة على بعضها بالمحاربة والتخاذل. فالبروتستانت يتشاجرون مع الكاثوليك الرومان، والبرسبيتريان مع الابسبكوباليان، والنسطوريون البروتستان لا ينظرون بعين طيبة الى النسطوريين العاديين، وهؤلاء ليسوا على وفاق مع الكلدانيين أو السنطوريين الكاثوليك. وينظر الأرمن شذراً الى الأرمن الكاثوليك وهم يقومون معا على مهاجمة أعمال الارساليات الامريكية. وأخيرا يأتي اضطهاد اليهود وعداؤهم. ففي البلاد الشرقية التي سافرت فيها من سوريا الى اليابان شاهدت جموع المبشرين من الفرق المختلفة تقوم على محاربة بعضها البعض تحت راية رئيس السلام وبيدهم الأسلحة الساحقة لبعضهم البعض. (نفس المصدر السابق صحيفة 507-508).

فاذا كان مقياس التبليغ المسيحي في إيران ما نعلمه من عدد المتنصرين من المسلمين، فإني لا أتأخر أن أقول ان المبالغ التي تصرف على ذلك القصد النبيل، والعمل

الذي يقوم به جماعة المبشرين والذي يضحونه في تلك الممالك، لا يوازي النتيجة الحاصلة منه. نعم أحيانا يعمدون بعض الشبان من بين المسلمين بواسطة المرسلين المسيحيين، ولكن ذلك لا يصح اعتباره تنصراً حقيقياً، لأن المعمدين سرعان ما يعودون الى دين آبائهم. واني في شك من انه منذ اليوم الذي هبط فيه هنري مارتن أرض إيران، لم يزد عدد الذين اعتنقوا المسيحية اعتناقا صادقا على ستة أنفار، وكنت دائما أبحث عن مسلم تنصر، ولكني لم أجده (إذا استثنينا بالطبع هؤلاء المنبوذين أو اليتامى الذين تربوا من صغرهم على الديانة المسيحية في المدارس المسيحية) ولكني لم أستغرب على هذا الخسران والخيبة والعجز عن اتمام هذا العمل. فاذا فرضنا وطرحنا جانبا التقاليد الدينية، وهي التثليث وإلوهية المسيح، وهي التي لا يستسيغها العقل الإسلامي بحال من الأحوال ولا تنطبق على نظريات التوحيد، فلا يترك المسلم اعتقاده ما دام انه يعاقب على هذا الترك بالموت والإعدام. فما دامت هذه الموازين موجودة فلا ينتظر للمسلم التنصر بسهولة. والرأي الشخصي ولو انه عامل مهم، إلا انه ليس العامل الأساس في الموضوع. فان أمواج المجهود التبشيري تضرب عبثا على حائط الإسلام الصخري الذي لا يهدم، حيث انه نظام شامل لكل ناحية وموافق لطقس وعوائد وأعمال سكان تلك البلاد التي وضع يده الحديدية عليها. وأتباعه يخضعون لنظامه مأسورين من المهد الى اللحد، فهو لهم ليس دينا فقط بل حكومة وفلسفة وعلما أيضا. والفكرة الإسلامية ترمي الى حكومة دينية، وليس الى دين حكومي. والروابط التي ينهض بها المجتمع الإسلامي، ليست مدنية بل هي دينية. وقد يكتفي بهذا الدين السامي، المفلج المسلم الذي يعيش قانعا متنازلا عن كل إرادة معتقدا في القدر ومعتبرا أعظم شيء في الحياة هو عبادة الله ويجبر عليها غيره، وإذا لم يمكنه ذلك، يحتقر كل من لا يعبده بروحه، ثم يموت وهو مؤمل في دخول الجنة. وما دام هذا القانون الشامل الملتهم لجميع نواحي الحياة مستوليا على الشرقيين الذين يعتنقونه ومفصلا لأحكام كل شيء متعلق بهذه الحياة ومؤملا في حياة ونجاة وسعادة بعد الموت، فان أعمال المبشرين وصرفهم الأموال الطائلة ونكران ذواتهم، يصبح بدون أي فائدة بل هو من العبث بمكان. وكل محاولة لعمل بروبجندا هو في نظري أسوأ أعمال السياسات التي يمكن للمبشرين ان يتخذوها في مملكة متعصبة. وما رأيته من

تسامح الحكومة الإيرانية هو لامتناع المبشرين المسيحيين من أعمال التبشير والتكريز العلني. (نفس المصدر السابق صحيفة 508–509).

(8) وقد كتب جوبينو في سنة 1865 ميلادية الشهادة الآتية : كان للبابية تأثير عظيم على عقول الأمة الفارسية، وانتشرت ايضا فيما وراء حدود إيران وفاضت على اقليم بغداد والهند. ومن بين الأمور التي يشتد الإعجاب بها، انه في حياة الباب نفسه كان الكثير من العلماء وأتباعهم من الذين ثبت ايمانهم واقتناعهم، بل كان العديدون من أشدهم إخلاصا للدين الجديد لم يتقابلوا مع نبيهم ولم يعرفوه ولم يهتموا ان يتلقوا الأوامر بأنفسهم من فم رئيسهم. ومع ذلك فقد أسدوا له احترامهم الشديد، وكانوا يرون انهم محقين في ذلك. (الكونت جوبينو كتاب الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى صحيفة 255).

(9) وهكذا على التحقيق، نتجت حركة دينية مخصوصة في آسيا الوسطى أي إيران وبعض أطراف الهند وأجزاء من تركية آسيا وضواحي بغداد، وهي اليوم على جانب عظيم من الأهمية وتستحق كل عناية ودراسة. وهي تساعد على ترقي الأمور في الظاهر، وحصل فيها من المفاجع ما لا يمكن تصور وقوع مثله سابقا، إلا في الدهور القديمة التي فيها نتجت الأديان العظيمة. واني أعترف انه لو أتيح وجود مثل هذه الحركة في أوروبا بطريقة مماثلة لطريقة ظهور البابية وفيها كل الامتيازات الخاصة بها، كالاعتقاد الأعمى والحماس المتناهي والشجاعة والإخلاص الممتحن والاحترام العميق الذي صدر من المحايدين والخوف والذعر الذي استولى على الأعداء، فضلا عن الدعوة المستمرة التي تزداد يوما فيوم والتي تصادف نجاحا تاماً بين جميع الطبقات في المجتمع، فإني أقرر بأني لو رأيت ذلك حاصلا في أوروبا فلا أتردد أن أقرر انه لا يمضي زمن كبير حتى تصير القوة والملك والصولجان في يد هؤلاء الذين يملكون هذه الامتيازات. (كتاب الكونت جوبينو الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى صحيفة 116–293–294).

والآن يظهر لي ان تاريخ الحركة البابية مهم جدا لاعتبارات شتى للذين هم متعمقون في دراسة الفارسية فضلا عن غيرهم. فالباحث في الحركات الدينية يستفيد من التفكير فيها لأنه يرى هنا شخصيات سيكونون بعد مدة من الزمن أبطالا وأنصاف آلهة وتكتنفهم أسرار

وحكايات. ويمكنه ارتكانا على شهادة الذين لم يكونوا منحازين لأحد الطرفين ان يهتدي الى العثور على إحدى تلك الظواهر الغريبة التي فيها يتفجر الحماس والايمان والإخلاص اللامتناهي والشجاعة التي لا تقهر – وإذا شئت فقل التعصب – وهذه الحوادث هي التي اعتدنا ان ننسبها الى تاريخ الإنسانية القديم. وعلى العموم يمكنه ان يشاهد تولد دين، لا يستبعد ان يأخذ محلا ثابتا بين أديان العالم العظيمة. وكذلك الباحث عن الأجناس البشرية يستفيد كثيرا من طبائع هؤلاء الناس الذين كان معروفا عنهم انهم طماعون أُجَراء شرهون نفسانيون بخلاء جبناء، والآن تجدهم غيروا طباعهم تحت تأثير دافع ديني قوي، وأظهروا إخلاصا وكرما ونكرانا للذات وشرفا ونبلا وشجاعة، وان شوهد مثلها في تواريخ العصور الغابرة، إلا انها لا يمكن ان تزيد عليها. وكذلك بالنسبة للرجل السياسي، لم تكن المسألة بقليلة الأهمية، لأنه لا يمكن وضع حد للتغييرات التي تحصل في مملكة هي الآن معدودة بين الدول في ميزان القوى الدولية كالصفر، من تأثير دين أشعل في الناس مثل هذه الروح القوية. فالذين علموا ماذا فعل محمد(ص) بالعرب، عليهم ان يتفكروا فيما يعمله الباب بالفرس. (من ا.ج. براون مقدمة لكتاب مقالة سائح صحيفة 8–9).

وهنا في البهجة مكثت ضيفا في وسط كل ما يعده البابيون مقدسا وشريفا، وهنا صرفت خمسة أيام تذكارية تمتعت في أثنائها من الفرص الثمينة التي لا مثيل لها، والتي كنت كثير الشوق لاغتنامها، حيث تحادثت مع الذين هم معتبرون منبع هذه الروح العجيبة التي تعمل بقوة لا حد لها في تغيير واحياء الأقوام الذين هم في نومهم أشبه بالأموات. ولقد كانت تجربة مؤثرة حقاً تلك الفرصة التي أتاحت لي المقابلة التي لا أقدر ان أصفها إلا بقدر مقدور وربما أجتهد فيما بعد أن أصف تفصيل تلك الأحوال والأوضاع والوجوه التي أحاطتني والمحادثات التي كان لي الحظ باستماعها وقراءة الكتب المقدسة بالنغمات والترتيل، وبالجملة أحوال المحبة والرضا التي أحاطت بالمجلس. والحدائق الغناء التي لجأنا إليها في عصر بعض الأيام، وكل هذا لم يكن شيئا مذكورا في جانب الجو الروحاني الذي أحاطني. ويذكر لك المسلمون الإيرانيون ان البابيين يسحرون ضيوفهم، حتى انهم من تأثير ذلك السحر لا يمكنهم المقاومة، فيصبحون مثلهم منجذبين، وذلك مما يسميه هؤلاء المسلمون بالجنون

الغريب الغير المعقول. ومع ان مثل هذا النظر سخيف وقول هراء، فانه مع ذلك يستند على سبب أقوى مما يظنون، فان الروح التي تحيط بالبابيين هي مما لا يمكن ان يفلت من تأثيرها جميع الذين يقعون تحت أنظارها. فهي اما تخيف أو تجذب ولا يمكن لأي كان ان يتجاهل وجودها، فليكذبني كل من لم يشاهد الأمر بعينه، ولكن إذا ظهرت مرة هذه الروح لهم فانهم يشعرون باحساس لا يقدرون على تناسيه (نفس الكتاب صحيفة 38-39).

ويمكن القول بان البابية في مظهرها الخارجي قد حدث فيها تغييرات مهمة منذ نشأتها وابتداء دعوتها منذ نصف قرن. وهذه التغييرات لم تنقص شيئا من أمرها بل انها زادتها انتشارا بسرعة لا يمكن ان يتصورها الذين لا يرون فيها سوى نظام غير ناضج من الأنظمة السياسية أو الفلسفية. فان أقل تقدير لعدد البابيين في إيران، هو نصف مليون ويمكن الحكم من كلام الذين خاطبتهم في هذا الشأن انهم نحو مليون. فهم موجودون في كل طبقة من طبقات الحياة من الوزراء والنبلاء الى الكنّاس والسائس. ونصف أعمالهم تقريبا مع علماء المسلمين. فان الحركة ابتدأت بنفس المجتهدين والملاوات والحجاج والأسياد، وهم الذين اما من نسل شريف أو من الأتقياء، يمتون بصلة عظيمة الى الديانة الإسلامية. وكانت الدعوة البابية قد تأسست في وسط هؤلاء المتدينين، وفيهم تستمر الدعوة ومنهم ظهر بابيون عديدون، وفيهم من يتمسك بالحكمة ويكون بهذه الوسيلة آمنا لا يصيبه اضطهاد. أما في الأوساط الأدنى، فيخفون ايمانهم خوفا من غضب رؤسائهم. وحديثا انتشرت البابية بين جمع من الأعداء، وهم اليهود في المدن الإيرانية. وسمعت انه في السنة الماضية اعتنق الأمر من اليهود 150 في طهران و 100 في همدان و 50 في كاشان و 85 في المئة من يهود كلبايكان. (من كتاب لورد كرزون إيران والمسألة الإيرانية الجزء الأول صحيفة 499-500).

ويقول الدكتور ج. استلين كاربنتر، انه قد ظهر من الجنس الماهر أشهر وأهم حركة صدرت للآن من الديانة الإسلامية حديثا... وقد اجتمع حوله التلاميذ ولم تقف الحركة بالقبض عليه وسجنه مدة ست سنوات تقريبا وإعدامه أخيرا في سنة 1850م... وهي ايضا

تدعو الى تعاليم عامة، وكان لها جيش من الشهداء ولها كتب مقدسة. وتولّد في إيران في وقت اضطرابها وهبوطها دين سوف يدور حول العالم. (الدين المقارن صحيفة 70–71).

وكتب مستر ا.ج. براون مرة أخرى قال : انه في تاريخ العالم قد أثبت الشرق مقدرته على تعليم دين للغرب، وعلى ان يحل في العالم الروحي المحل الأسمى. وانه ليس للغرب سوى نصيب في الشؤون المادية. (مقدمة كتاب م.هـ. فيلبس تاريخ وحياة وتعاليم عباس أفندي صحيفة 15).

ويظهر انه من المحقق ان البابية من وجهة النظر الدينية ومن الوجهة الأدبية، لها ترقيات فوق الإسلام الشرقي. ويمكننا القول مع م. فامبري (في الاكاديمية 12 مارس سنة 1892) ان رئيسها قد أبدع قوانين وأحكام تستحق اعتبار كبار المفكرين.. وفي جميع الأحوال كان انتشار البابية أمر مهم وحادث جلل في تاريخ الأديان والمدنيات الحديثة، ثم ان الذين يفخرون بها، يحق لهم ان يفخروا، فسيأتي يوم تحيي فيه سكان إيران بحياة جديدة، حتى جميع أهل الإسلام سوف يحتاجون إليها، ولكنها مع الأسف لا تحيي الذين لا يكثر بينهم سفك الدماء. (م.ج. بالتو، البابية صحيفة 28).

(10) ابتدأت الخلافة الإسلامية بانتخاب أبى بكر سنة 632م واستمرت لغاية سنة 1258م عندما نهب هولاكو خان بغداد وأعدم المعتصم بالله. ولمدة ثلاثة قرون بعد هذه الفاجعة بقي لقب الخليفة للعباسيين الذين عاشوا تحت حماية المماليك لغاية سنة 1517م، غلب السلطان سليم العثماني المماليك وأجبر الخليفة على التنازل له عن لقب الخلافة وشعارها. (من تاريخ إيران المجلد الثاني صحيفة 25 للمستر ب.م. سيكس).

ملحق

قائمة بأشهر كتابات حضرة الباب:-

(1) البيان الفارسي
(2) البيان العربي
(3) قيوم الاسماء
(4) صحيفة الحرمين
(5) الدلائل السبع
(6) تفسير سورة الكوثر
(7) تفسير سورة والعصر
(8) كتاب الأسماء
(9) صحيفة المخدومية
(10) صحيفة الجعفرية
(11) زيارة شاه عبد العظيم
(12) كتاب بنج شأن

(13) صحيفة الرضوية (14) رسالة عدلية

(15) رسالة فقهية (16) رسالة ذهبية

(17) كتاب الروح (18) سورة توحيد

(19) لوح حروفات (20) تفسير النبوة الخاصة

(21) رسالة فروع العدلية (22) خصائل السبع

(23) لوح لمحمد شاه ولوح لحاجي ميرزا أقاسي

(ملحوظة) ويقول حضرة الباب نفسه في احد فصول البيان الفارسي ان كتاباته لا تقل عن 000 500 آية.

الكتب التي راجعها المترجم حضرة ولي الأمر:-

(1) كتاب اللورد كرزون "ايران والمسألة الايرانية" (جزءآن) مطبعة لونجمان جرين لندن سنة 1892.

(2) كتاب ا.ل.م. نقولاس "مقالة على الشيخية" (مكتبة بول جونتر شارع مازارين باريس سنة 1910) (جزءآن).

(3) كتاب ا.ل.م. نقولاس "السيد علي محمد الباب" (مكتبة كريتيك شارع نوتردام دي لوريت باريس سنة 1908).

(4) الكونت دي جوبينو كتاب "الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى" (مطبعة ج. كري وشركاه باريس شارع سيفر سنة 1928).

(5) "لمحات عن الحياة والعوائد في ايران" لليدي شيل (طبع جون ماري شارع البمارل لندن سنة 1856).

(6) "التاريخ الجديد" لميرزا حسين من همدان، ترجمه من الفارسية ا.ج. براون (طبع مطبعة الجامعة كامبردج سنة 1893).

(7) المسيو كليمان هوارت "ديانة الباب" (مكتبة ارتست لرو شارع بونابارت باريس سنة 1889).

(8) "مقالة سائح" ترجم من الفارسية بمعرفة ا.ج. براون (مطبعة الجامعة كامبردج سنة 1891).

(9) "البيان الفارسي" ترجم من الفارسية بمعرفة ا.ل.م. نقولاس، 4 أجزاء (مكتبة بول جوتنر شارع مازارين باريس سنة 11–1914).

(10) "المجلة الاسيوية الملوكية" سنة 1889 المقالة 6، 12 وكذلك سنة 1892 المقالة 7–9–13.

(11) "كتاب الدلائل السبع" ترجمة ا.ل.م. نقولاس (مكتبة ج مازونريف شارع ميرير باريس سنة 1902).

(12) كتاب "سنة بين الايرانيين" مكتبة الأفاضل ا.س. بلاك لندن سنة 1889.

(13) "التاريخ الأدبي لايران" لمؤلفه ا.ج. براون 4 أجزاء المطبعة الجامعة كامبردج سنة 1924.

(14) اللوتنت كولونيل ب.م. سايكس "تاريخ ايران" جزئين طبع ماكملان وشركاه لندن سنة 1915.

(15) كلمنت ر. ماركهام "لمحة عامة عن تاريخ ايران" طبع لونجمان جرين وشركاه لندن سنة 1874.

(16) ر.ج. واطسون "تاريخ ايران".

(17) المجلة الاسيوية سنة 1866 السلسلة السادسة جزء 7و8 (في الباب والبابية تأليف كاظم بك).

(18) م.ج. بالتو "البابية" (خطابة للمسيو م.ج. بالتو عضو فخري في الأكاديمية الملية للريمس بتاريخ 22 مايو سنة 1896).

(19) جبريل ساسي حكم الله والخروف المعروف باسم البابية. (12 يونيو سنة 1902).

(20) كتاب ج.ي. اسلمنت "بهاءالله والعصر الجديد" (لجنة الطبع البهائية نيويورك) سنة 1927.

(21) محمد مصطفى "الرسالة الأمرية" (مطبعة السعادة القاهرة مصر).

(22) ا.ج. براون مستندات لدراسة الديانة البابية. (مطبعة الجامعة كامبردج سنة 1918).

(23) مذكرات ومخطوطات أبو الفضل (لم تطبع).

(24) كشف الغطاء لأبي الفضل (طبع عشق آباد روسيا).

(25) م.هـ. فلبس "تاريخ وتعاليم عباس افندي". (طبع ج.ب. بوتمان وأولاده لندن سنة 1912).

(26) ت.ك. جيني "اتحاد الأقوام والاديان" (طبع آدم وشارل بلاك سنة 1914).

(27) سير فرانسس يونج هازبند "اللمعة". (طبع جون مرى شارع البمادل لندن سنة 1923).

(28) كتاب سمندر الخطي (لم يطبع).

(29) ا.ج. براون الثورة الفرنسية (مطبعة الجامعة كامبردج سنة 1910).

(30) مجلة كريستان كومنولث 22 يناير سنة 1913.

(31) ج.ك. ناريمان "ايران والمجوس" جزء 1. (الرابطة الايرانية بومباي سنة 1925).

(32) فالنتين شيرول "مسألة الشرق الاوسط".

(33) ج. استلين كاربنتر "الديانة المقارنة".

(34) ا.ج.و. جيب السلسلة التذكارية المجلد 15 (طبع لوزان وشركاه لندن سنة 1910).

(35) ناسخ التواريخ (عدد القاجارية) لميرزا تقي مستوفي لسان الملك المشهور بسبهر (طبع حجر في طهران).

(36) تاريخ حاجي معين السلطنة "خطي".

(37) كتاب الفرائد لميرزا ابو الفضل "طبع مصر" سنة 1900 من كتب حضرة بهاءالله كتاب (الايقان) طبع القاهرة، وكتاب رسالة ابن الذئب طبع القاهرة 1920، والاشراقات "خطي" وألواح الملوك "خطي" ومن كتب حضرة الباب صحيفة الحرمين وقيوم الاسماء والبيان العربي والدلائل السبع وجميعها مخطوطات. ومن قلم حضرة عبد البهاء كتاب المفاوضات "طبع لجنة النشر البهائية بشيكاغو سنة 1918" وتذكرة الأوفياء "طبع حيفا".

(ملحوظة): وتوجد مراجع اخرى كالآتي:

(1) العالم البهائي جزء 3 المجلد الثالث.

(2) ا.ل.م. نقولاس السيد علي محمد المدعو بالباب صحيفة 22-53.

(3) ا.ج. براون مستندات لدراسة الديانة البابية صحيفة 175-243.

(4) مجلة الجمعية الاسيوية رقم 1892 صحيفة 433-499-637-710.

(5) مقالة سائح صحيفة 173-211.

في ذكر أقسام ايران (في القرن التاسع عشر):

لا توجد أقسام ادارية ثابتة في ايران بل تتغير تبعا لحكام الجهات وسعتها او ضيقها يكون تبعا لثقة الملوك فيهم او الخوف منهم... والظاهر انه لا توجد قاعدة جغرافية او

سياسية او عمرانية لتعيين حدود الاقسام المختلفة بل تختلف من اقليم واسع أكبر من انجلترا بأسرها الى قرية صغيرة مع ضواحيها. وهذه أقاليمها الكبيرة:

(1) آذربايجان وقاعدتها تبريز

(2) خراسان وسستان وقاعدتها مشهد

(3) طهران وضواحيها

(4) فارس وقاعدتها شيراز

(5) اصفهان وضواحيها

(6) كرمان وبالوشستان العجم وقاعدتها كرمان

(7) عربستان وقاعدتها ششتر

(8) جيلان وطالش وقاعدتها رشت

(9) مازندران وقاعدتها آمل

(10) يزد وضواحيها

(11) الخليج الفارسي والسواحل والجزر وقاعدته بوشهر.

(من كتاب اللورد كرزون "ايران والمسألة الايرانية" الجزء الاول صحيفة 437).

في ذكر سفراء انجلترا وروسيا لايران من سنة 1814م-1855م:

(1) السير موريار والمستر اليس في سنة 1814

(2) السير هنري ولكوك يونيو سنة 1815

(3) السير جون ماكدونالد سبتمبر سنة 1826

(4) السير جون كامبل يونيو سنة 1830

(5) السير هنري اليس نوفمبر 1835

(6) السير جون ماك نيل اغسطس 1836

(7) السير جوستن شيل اغسطس 1842

(8) الكولونيل فرانت سفير بالنيابة اكتوبر 1847

(9) السير جوستن شيل نوفمبر 1849

(10) السير تايلو تومبسون السفير بالنيابة فبراير 1853

(11) ا.س. هلري ابريل 1855

(12) الجنرال برمولوف اغسطس 1817

(13) المستر مازاروتش ابريل 1819

(14) السير امبورجر سفير بالنيابة يناير 1823

(15) السير مازاروتش بعد عودته من الاجازة يوليو 1824

(16) المستر امبورجر سبتمبر سنة 1825

(17) البرنس منشيكوف يوليو 1826

(18) المستر جربدايدوف 1828

(19) البرنس دلكروكي 1831

(20) الكونت سيمونيخ فبراير 1833

(21) الكونت ميدين 1839

(22) البرنس دلكروكي يناير 1846

(23) المستر افتشكوف سبتمبر 1854

(من نظرة عامة في تاريخ ايران لكليمتس ر. ماركهام ذيل ب طبع لونجمان جرين لندن 1874).

(في ذكر بعض التواريخ العربية وما يقابلها بالتواريخ الافرنجية):

يوم أول المحرم من السنة الاولى للهجرة = يوم الجمعة 16 يوليو سنة 622 ميلادية

= = = = = = 1260 = = = الاثنين 22 يناير سنة 1844 =

= = = = = = 1261 = = = الجمعة 10 يناير سنة 1845 =

= = = = = = 1262 = = = الثلاثاء 30 ديسمبر سنة 1845 =

= = = = = = 1263 = = = الاحد 20 ديسمبر سنة 1846 =

= = = = = = 1264 = = = الثلاثاء 9 ديسمبر سنة 1847 =

= = = = = = 1265 = = = الاثنين 27 نوفمبر سنة 1848 =

= = = = = = 1266 = = = السبت 17 نوفمبر سنة 1849 =

= = = = = 1267 = = = الاربعاء 6 نوفمبر سنة 1850 =
= = = = = 1268 = = = الاثنين 27 اكتوبر سنة 1851 =
= = = = = 1269 = = = الجمعة 15 اكتوبر سنة 1852 =
= = = = = 1270 = = = الثلاثاء 4 اكتوبر سنة 1853 =

(من كتاب وستفيلد ماهلرش فرجليشتكس تابلن ليبزيك سنة 1926)

شرح المفردات الفارسية اللغوية:

آقا	**مولى وهو لقب أعطاه بهاءالله لعبد البهاء**
بقية الله	**لقب ينطبق على الباب وعلى بهاءالله**
البيان	**اسم كتاب الباب**
داروغه	**رئيس الشرطة**
فراش باشي	**رئيس الجلادين او الخدم**
امام الجمعة	**رئيس العلماء**
امام زاده	**سليل الامام**
كدخدا	**عمدة البلد او رئيس الحرس**

كلانتر **محافظ المدينة**

كربلائي **الذي حج الى كربلاء**

خان **برنس. أمير**

كلاه **القلنسوة التي يلبسها موظفو حكومة ايران**

ميدان **جزء من فرسخ**

ميرزا **منحوتة من كلمتين أمير وزاده ومعناهما ابن الأمير واذا جاءت قبل الاسم دلت على الاحترام واذا لحقت الاسم كان معناها برنس.**

مجتهد **اسم يطلق على علماء ايران وهم يأخذون الاجازة من متفقهي كربلاء والنجف**

الملا **عالم اسلامي**

نوروز **اسم لمبدأ السنة البهائية الجديدة وهو يقع في دخول الشمس برج الحمل ومعناه اليوم الجديد**

القليان **الشيشة المستعملة للتدخين**

تومان **عملة ايرانية مقابل الريال**

زاده **ابن**

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

المقدمة

ذكر حالة انحطاط إيران في أوائل القرن التاسع عشر

أولا: ذكر سلاطين القاجار

ثانيا: في ذكر الحكومة

ثالثا: في الرعية

رابعا: في النظام الديني

الخاتمة
إجلال حضرة بهاءالله لمقام حضرة الباب وأصحابه
(من كتاب الإيقان)
ذكر مميزات الشيعة في الإسلام
في النسبة المحمدية
في النظام القضائي في إيران في أواسط القرن التاسع عشر
مفتاح النسبة لحضرة الباب
ديباجة
الفصل الأول: في ذكر رسالة الشيخ أحمد الإحسائي
الفصل الثاني: في ذكر رسالة السيد كاظم الرشتي
الفصل الثالث: في إعلان دعوة حضرة الباب
الفصل الرابع: في رحلة الملا حسين الى طهران
الفصل الخامس: في رحلة حضرة بهاءالله الى مازندران
الفصل السادس: في سفر جناب الملا حسين الى خراسان
الفصل السابع: في حج حضرة الباب الى مكة والمدينة
الفصل الثامن: في إقامة حضرة الباب في شيراز بعد الحج
الفصل التاسع: في إقامة حضرة الباب في شيراز بعد الحج
(تابع ما قبله)
الفصل العاشر: في رحلة حضرة الباب الى اصفهان
الفصل الحادي عشر: في مكث حضرة الباب في كاشان
الفصل الثاني عشر: في رحلة حضرة الباب من كاشان الى تبريز
الفصل الثالث عشر: في حبس حضرة الباب في قلعة ماكوه
الفصل الرابع عشر: في سياحة جناب الملا حسين في مازندران
الفصل الخامس عشر: في سفر جناب الطاهرة

من كربلاء الى خراسان
الفصل السادس عشر: في مؤتمر بدشت
الفصل السابع عشر: في حبس حضرة الباب في قلعة جهريق
الفصل الثامن عشر: في محاكمة حضرة الباب في تبريز
الفصل التاسع عشر: في ملحمة مازندران
الفصل العشرون: في ملحة مازندران (تابع ما قبله)
الفصل الحادي والعشرون: في شهداء طهران السبعة
الفصل الثاني والعشرون: في ملحة نيريز
الفصل الثالث والعشرون: في استشهاد حضرة الباب
الفصل الرابع والعشرون: في ملحمة زنجان
الفصل الخامس والعشرون: في رحلة حضرة بهاءالله الى كربلاء
الفصل السادس والعشرون: في الشروع في قتل الشاه، ونجاته
الخاتمة
تذييل
المراجع التي راجعها المترجم حضرة ولي أمر الله
في ذكر أقسام إيران (في القرن التاسع عشر)
في ذكر سفراء انجلترا وروسيا لايران من سنة 1814م . 1855م
في ذكر التواريخ العربية وما يقابلها بالتواريخ الافرنجية
شرح المفردات الفارسية اللغوية
استدراك لمترجم السِفر الى اللغة العربية

ملاحظة

هذه النسخة المطبوعة بالكومبيوتر والمنظمة والمرتبة بتنظيم وترتيب جديد خلال عام 1997م (154 بديع)، هي عبارة عن مجهود فردي استغرق حوالي الستة أشهر، قمت به بدافع النقص الواضح لنسخ هذا السِفر الجليل في المكتبات البهائية العربية. وكذلك لقدم الطبعة العربية النادرة المتوفرة بين أيدي الأحباء. ولقد أقدمت على إجراء ما أشار اليه جناب المتصاعد الى الله عبد الجليل باشا سعد بك، من تصحيحات، كما إني أجريت بعض التصحيحات الأخرى البسيطة لما وجدته من أخطاء مطبعية وغيرها أثناء طباعتي.

تنضيد ومونتاج وتدقيق:

سيفي سيفي

(سنة 1999م)